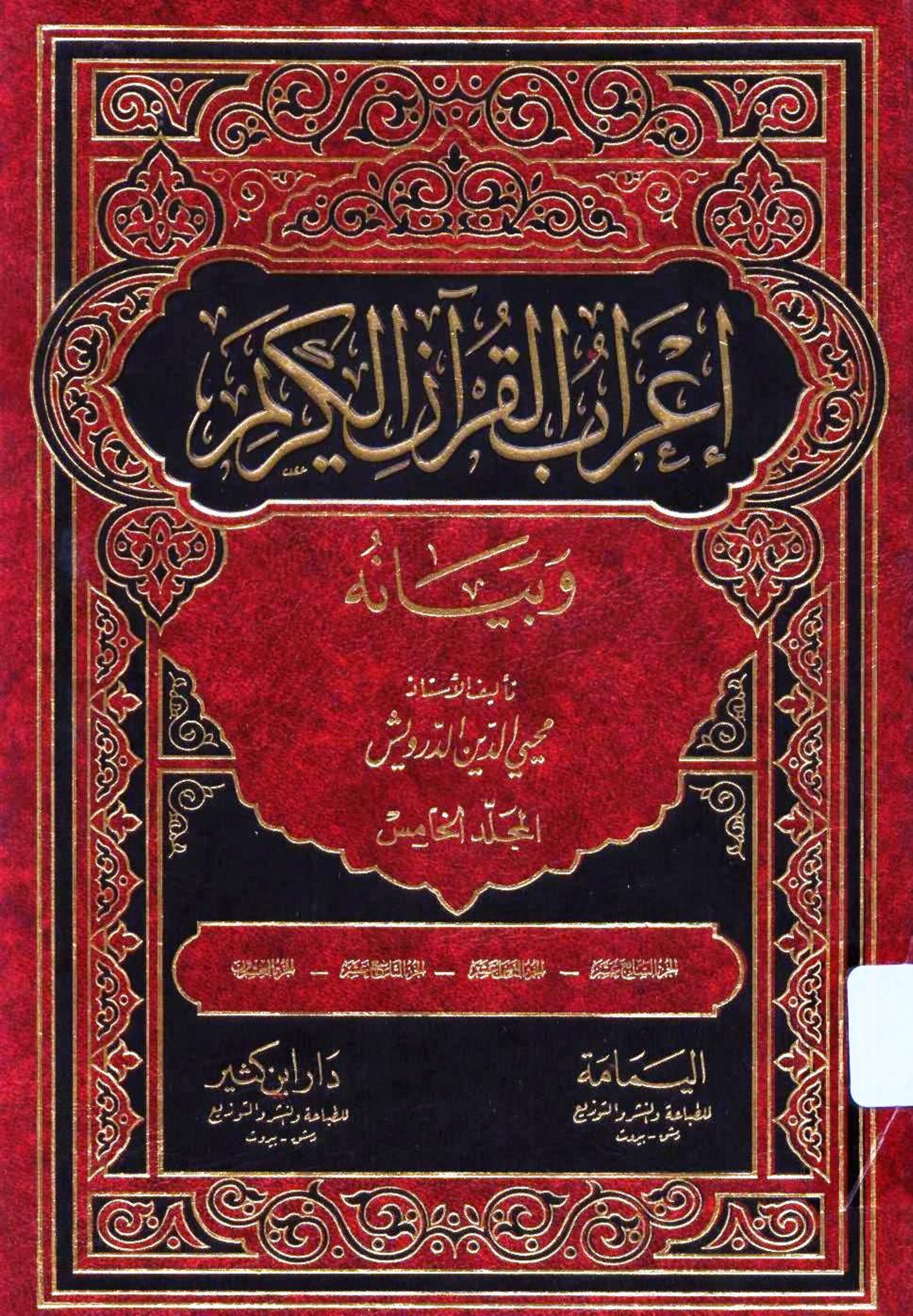


إعراب القرآن الكريم
وبيانه
تأليف الأستاذ
محيي الدين الدرويش
المجلد الخامس
الجزء السابع عشر — الجزء الثامن عشر — الجزء التاسع عشر — الجزء العشرون
اليمامة
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت
دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

إعراب القرآن الكريم
وبيانه

الطّبعَة السّابعَة

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

طَبعَةٌ منقّحَةٌ وَمُصحّحَةٌ ومفهرسَة

(تنضيد جديد)



دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
ص.ب: ٣١١ - هاتف: ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٢٨٤٥٠ - فاكس: ٢٢٤٣٥٠٢
بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
ص.ب: ١١٣/٦٣١٨ - تلفاكس ٠١٨١٧٨٥٧ - ٠٣٢٠٤٤٥٩



دمشق - برامكة - جانب الهجرة والجوازات
ص.ب: ٢٧٧ - هاتف: ٢١٢٢٠٥٩ - فاكس: ٢١٢٣٢٤٥
بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
ص.ب: ١١٣/٥٤٨٨ - هاتف: ٠١٧٠٢٩٥٩ - ٠٣٨٥٢٥٨٦



تأليف الأستاذ

محيي الدين الدرويش

المجلد الخامس

الجزء السابع عشر — الجزء الثامن عشر — الجزء التاسع عشر — الجزء العشرون



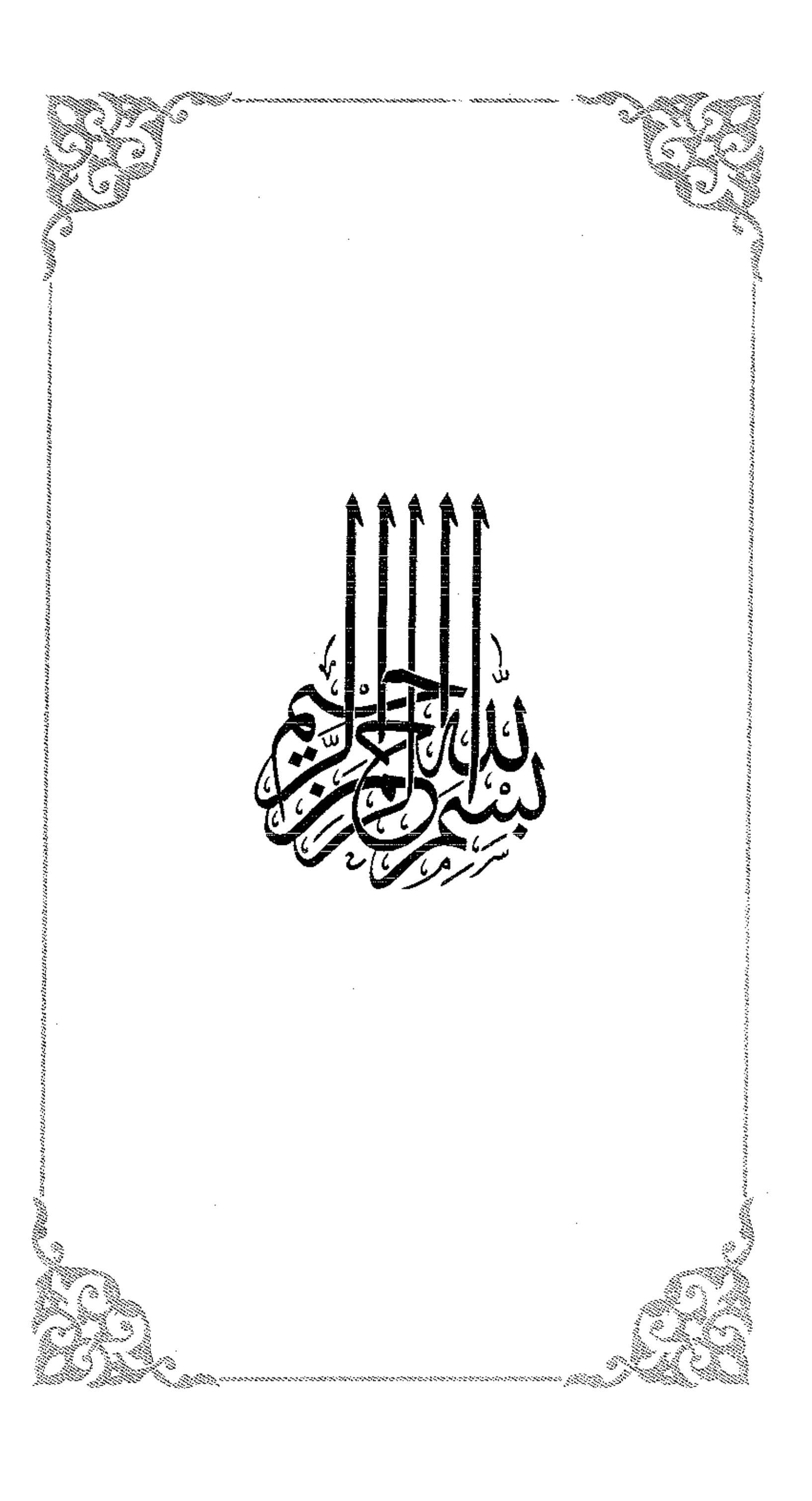
دمشق - بيروت



دمشق - بيروت

دار الإرشاد للشؤون الجامعية

حمص - سورية


بسم الله الرحمن الرحيم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ ﴾

☆ **اللغـة:**

﴿ ٱلنَّجْوَى ﴾ : الكلام السرّ، وهي اسم من التناجي، ولا تكون إلا خفية، وفي القاموس: «وهو وصف بالمصدر يستوفى فيه المفرد والجمع، يقال: هم نجوى».

﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ : أخلاط رآها في النوم، وقد تقدم بحثها.

○ الإعراب:

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ اقترب فعل ماض مبني على الفتح، وللناس متعلقان باقترب، ويجوز أن تكون تأكيداً لإضافة الحساب إليهم، كقولك: أزف للحي رحيلهم، والأصل: أزف رحيل الحي، ثم أزف للحي الرحيل، ثم أزف للحي رحيلهم، وحسابهم فاعل اقترب؛ لأن كل آت قريب مهما يطل الأمد، والواو للحال، وهم مبتدأ، وفي غفلة خبر، ومعرضون خبر ثان. ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ الجملة تعليل للجملة السابقة فلا محل لها، وما نافية، ويأتيهم فعل مضارع، والهاء مفعول به، ومن حرف جر زائد لسبقه بالنفي، وذكر مجرور لفظاً مرفوع محلاً على الفاعلية، ومن ربهم صفة لذكر، ومحدث صفة ثانية، ويجوز تعليق من ربهم بيأتيهم، أو بمحذوف حال من ذكر؛ لأنه وصف بمحدث، وإلا أداة حصر؛ لأن الاستثناء مفرغ، وجملة استمعوه في محل نصب على الحال من مفعول يأتيهم، وقد مقدرة، وهم الواو حالية، وهم مبتدأ، وجملة يلعبون خبر هم، والجملة نصب على الحال من فاعل استمعوه، هذا وقد استدل بوصف الذكر بكونه محدثاً على أن القرآن محدث؛ لأن الذكر هنا هو القرآن، وأجيب بأنه لا نزاع في حدوث المركب من الأصوات والحروف؛ لأنه متجدّد في النزول، فالمعنى محدث تنزيله، وإنما النزاع في الكلام النفسي. ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لاهية حال من فاعل يلعبون أيضاً، فتكون حالاً متداخلة، ويجوز أن تكون حالاً من فاعل استمعوه، فتكون الحالان مترادفتين؛ لأن الحال يجوز تعددها، وقلوبهم فاعل لاهية، وأسروا فعل وفاعل، والنجوى مفعول به، والذين بدل من واو: وأسروا النجوى، إشعاراً بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش الذي جاؤوا به، وسيأتي المزيد من إعراب هذه الكلمة في باب الفوائد، وجملة ظلموا صلة، وهل حرف استفهام، وهذا مبتدأ، وإلا أداة حصر، وبشر خبر، ومثلكم صفة، والجملة الاستفهامية في محل نصب بدل من النجوى؛ لأنها بمثابة

التفسير لها، وأجاز الزمخشري أن تكون في محل نصب مقول قول محذوف، ويجوز أن تكون في محل نصب محكية للنجوى؛ لأنها في معنى القول، ولا أرى مانعاً من أن تكون جملة لا محل لها؛ لأنها مفسرة. ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ وهذه الجملة تنطبق عليها الأوجه المتقدمة، والهمزة للاستفهام، والفاء عاطفة على مقدر، وتأتون السحر فعل مضارع وفاعل ومفعول به، والواو للحال، وأنتم مبتدأ، وجملة تبصرون خبر، وجملة وأنتم تبصرون حالية من فاعل تأتون مقررة للإنكار. ﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ربي مبتدأ، وجملة يعلم القول خبر، والجملة مقول القول، وفي السماء والأرض متعلقان بمحذوف حال من القول، أو بيعلم، وهو الواو عاطفة، وهو مبتدأ، والسميع العليم خبران لهو، وحذف متعلقهما للعلم به، أي: السميع لما أسروه، والعليم به. ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ أضربوا عن قولهم: هو سحر، فقالوا: هو أضغاث أحلام، فأضغاث أحلام خبر لمبتدأ محذوف، والجملة في محل نصب مقول قالوا: بل افتراه، ثم أضربوا عن ذلك، فقالوا: اختلقه، فافتراه فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به، ثم أضربوا أيضاً، فقالوا: هو شاعر مبتدأ وخبر. ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ الفاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، كأنه قيل: وإن لم يكن كما قلنا، فليأتنا، واللام لام الأمر، ويأت فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والفاعل مستتر تقديره: هو، ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به، كما يجوز في الكاف أن تكون نعتاً لآية، أي: كائنة مثل الآية التي أرسل بها الأولون، وعندئذ فما موصولة، ويجوز أن تكون نعتاً لمصدر محذوف، وما مصدرية، أي: فليأتنا بآية إتياناً كائناً مثل إرسال الأولين.

* الفوائــد:

قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ قال أبو البقاء: الذين ظلموا في موضعه ثلاثة أوجه:

أحدها: الرفع، وفيه أربعة أوجه:

آ ـ أن يكون بدلاً من الواو في: ﴿وَأَسَرُّواْ﴾.

ب ـ أن يكون فاعلاً، والواو حرف للجمع لا اسم.

جـ ـ أن يكون مبتدأ، والخبر هل هذا، والتقدير يقولون: هل هذا؟

د ـ أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: هم الذين ظلموا.

وثانيها: أن يكون منصوباً على إضمار أعني.

وثالثها: أن يكون مجروراً صفة للناس.

والمعروف أن الفعل يجب أن يبقى مع الفاعل بصيغة الواحد، وإن كان مثنى أو مجموعاً، قال ابن مالك:

وجَرِّدِ الفعلَ إذا ما أُسْنِدا لاثنين أو جمعٍ كفاز الشُّهدا

إلا على لغة ضعيفة لبعض العرب فيطابق فيها الفعل الفاعل، وحكى البصريون عن طيىء، وحكى بعضهم عن أزدشنوءة، نحو: ضربوني قومك، وضربنني نسوتك، وضرباني أخواك، وفي الحديث: «أو مخرجيّ هم؟» وقال عمرو بن ملقط الجاهلي:

أُلفيتا عيناك عند القَفا أولى فأولى لك ذا وَاقية

فألفيتا بالبناء للمجهول فعل ماض، وعيناك نائب الفاعل، فألحق الفعل علامة التثنية مع إسناده إلى الظاهر، ونائب الفاعل كالفاعل، وعند ظرف بمعنى قرب متعلق بألفيتا، وذا واقية حال من المضاف إليه، وهو الكاف، وواقية مصدر معناه الوقاية، كالكاذبة مصدر معناه الكذب، وأولى فأولى لك دعاء، أي: قاربك ما يهلكك.

قال العيني: فإن قلت: ما موقع أولى من الإعراب؟ قلت: يجوز أن يكون في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: دعائي أولى لك، فأولى لك عطف على أولى الأول كرر للتأكيد.

وقال أبو البقاء في إعراب أولى لك فأولى فيه قولان:

أحدهما: فعلى، والألف فيه للإلحاق لا للتأنيث.

والثاني: أفعل، وهو على القولين هنا؛ ولذلك لم ينون، ويدل عليه ما حكى أبو زيد في «النوادر» وهي أولات بالتاء غير مصروف؛ لأنه صار علماً للوعيد، فصار كرجل اسمه أحمد، فعلى هذا يكون أولى مبتدأ، ولك الخبر. والثاني: أن يكون اسماً للفعل مبنياً، ومعناه: ويلك شرّ بعد شرّ، ولك تبيين، وهذا البيت يصف به رجلاً إذا اشتد الوطيس، فهو يلتفت إلى ورائه مخافة أن يتبع، فتلفى عيناه عند قفاه من شدة الالتفات، وقال أبو فراس:

نتج الربيعُ محاسناً ألقحنها غرّ السَّحائب

وأبو فراس من المولدين، والغرض من كلامه التمثيل لا الاستشهاد.

وارتأى الشيخ مصطفى الغلاييني رأياً جميلاً، وسنورد نص كلامه:

«وما ورد من ذلك من فصيح الكلام، فيعرب الظاهر بدلاً من المضمر، وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أو يعرب الظاهر مبتدأ، والجملة قبله خبر مقدم، أو يعرب فاعلاً لفعل محذوف، فكأنه قيل بعد قوله وأسروا النجوى: من أسرها؟ فيقال: أسرها الذين ظلموا، وهو الحق، وهذا لا يكون إلا حيث يستدعي المقام تقدير كلام استفهامي كما ترى في الآية الكريمة» ونحسب أن القول قد أشبع فحسبنا ما تقدم.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا

قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوٓا إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾

☆ **اللغة:**

﴿قَصَمْنَا﴾: القصم أبلغ من الكسر، وفي القاموس: «قصم من باب ضرب قصماً الشيء: كسره، وقصم الرجل: أهلكه، ويقال: قصم الله ظهر الظالم، أي: أنزل به البلية» وللقاف مع الصاد فاء وعيناً للكلمة سر عجيب، إنهما تدلان على الكسر، والمحق، والإهلاك، فقولهم: قصب الشاة، يعني: قطعها قطعاً، أو عضواً عضواً، ومنه سمي القصاب، أي: الجزار، والقصّابة مؤنث القصاب، ولها معنى آخر وهو ما نسميه اليوم «الناي» أي: قصبة ينفخ بها للغناء. وعن بعض العرب: قلت أبياتاً فغنى بها حَكَمُ الوادي، فو الله ما حرك بها قصّابة إلا خفت النار، فتركت قول الشعر، وهي الوتر، ونفخ في القصابة: في المزمار، وأقصدته المنية: أهلكته، ومنه: قصد الرجل: أتى إليه، ونحا نحوه، وقصرته: حبسته، وقصرت نفسي على هذا الأمر: إذا لم تطمح إلى غيره، وقصرت طرفي: لم أرفعه إلى مالا ينبغي، وهنّ قاصرات الطرف: قصرنه على أزواجهنّ، وقص الشعر، والريش، وقصّصه: معروف، وجناح مقصوص ومقصص، وقصع الصُّؤاب بين ظفريه: قتله، وقصعت الرحى الحب: فضخته، وصبي قصيع: قميء لا يشب، وقصف القناة والعود: كسرهما، وقصف ظهره، ورجل مقصوف، والعامة تقول لمن تدعوا عليه: يا مقصوف، وهي فصيحة لا غبار عليها، وعصفت ريح فقصفت السفينة، وعود قصف: سريع الانكسار، قال الطرماح:

تميم تمنّى الحرب ما لم أُلاقِها
وهم قُصُفُ العيدانِ في الحربِ خورها

وقصله: قطعه قطعاً وَحِيّاً، وسيفٌ قاصل، وقصّال، ومِقْصَل، وقصل فرسه، يقصله: علفه القصيل، ومنه المقصلة، وهي: آلة للإعدام قوامها

سكين تسقط على رأس المجرم فتقطعه، وقصا، يقصوا، قَصْواً، وقُصُواً، وقصاً، وقَصَاءً الرجل: تباعد، وفي البعد إشارة إلى الهلكة؛ لأنها بعد أيضاً.

﴿أُتۡرِفۡتُمۡ﴾: نعمتم من العيش الرافه، والحال الناعمة، والإتراف: إبطار النعمة.

○ الإعراب:

﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ ما نافية، وآمنت فعل ماض، والتاء للتأنيث، والجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير كفرهم، واستبعاد إيمانهم، وقبلهم ظرف متعلق بآمنت، ومن حرف جر زائد، وقرية مجرور لفظاً فاعل آمنت محلاً، وجملة أهلكناها صفة لقرية، والمراد بالقرية: أهلها كما سيأتي في باب البلاغة، أفهم: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة، وهم مبتدأ، وجملة يؤمنون خبر. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وأرسلنا فعل ماض وفاعل، إلا أداة حصر، ورجالاً مفعول أرسلنا، وجملة نوحي إليهم صفة لرجالاً، وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية. ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ الفاء الفصيحة، واسألوا فعل أمر وفاعل، وأهل الذكر مفعول به، وإن شرطية، وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمها، وجملة لا تعلمون خبرها، وجواب الشرط محذوف دلّت عليه الفاء الفصيحة. ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وجعلناهم فعل وفاعل ومفعول به، وجسداً مفعول ثان إذا كانت جعل بمعنى التصيير، وإن كانت بمعنى الخلق فجسداً حال مؤولة بالمشتق، أي: متغذين، وجملة لا يأكلون الطعام في محل نصب نعت لجسداً، وجسد مفرد أريد به الجمع، وإنما وحّده ليشمل الجنس عامة؛ لأن الجسد لا بُدَّ له من غذاء، والواو عاطفة، وما نافية، وكانوا خالدين: كان واسمها وخبرها، والجملة معطوفة على لا يأكلون. ﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ ثم حرف عطف، وصدقناهم فعل وفاعل ومفعول، والوعد

منصوب بنزع الخافض؛ لأن صدق يتعدى لاثنين إلى ثانيهما بحرف الجر، والأصل: في الوعد، فأنجيناهم عطف على صدقناهم، ومن نشاء عطف على الهاء، وجملة نشاء صلة، وأهلكنا المسرفين عطف على أنجيناهم، والمسرفين مفعول به. ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ اللام جواب لقسم محذوف، وقد حرف تحقيق، وأنزلنا فعل وفاعل، وإليكم متعلقان بأنزلنا، وكتاباً مفعول به، وفيه خبر مقدم، وذكركم مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لكتاباً، وسيأتي معنى: «فيه ذكركم» في باب الفوائد، والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والفاء عاطفة على مقدر ينسحب عليه الكلام، أي: ألا تتفكرون فلا تعقلون شيئاً من الأشياء المذكورة لكم، ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ الواو عاطفة، أو استئنافية مسوقة للتمثيل بالأمم التي هلكت قبلهم، وكم خبرية مفعول به مقدم لقصمنا، ومن قرية تمييز لكم الخبرية مجرور بمن، وقد تقدم ذلك، وجملة كانت ظالمة صفة لقرية، والمراد بالقرية: أهلها، وكانت ظالمة كان واسمها المستتر وخبرها، وأنشأنا عطف على قصمنا، وبعدها ظرف متعلق بأنشأنا، وقوماً مفعول به، وآخرين صفة لقوماً. ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ الفاء عاطفة، ولما ظرفية حينية أو رابطة، وإذا الفجائية، وقد تقدم الكلام حولها، والخلاف فيها مُشْبَعَيْن، وهم مبتدأ، وجملة يركضون خبر هم، ومنها متعلقان بيركضون، وقد استدل بعضهم بهذه الآية على أن لما حرف، وسمّاها ابن هشام رابطة؛ لأنه لا عامل لها إذا أعربت ظرفاً بمعنى حين، ونرى أن معنى المفاجأة التي دلت عليه «إذا» هو العامل، وسيأتي مزيد بحث عن لمّا في باب الفوائد. ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ لا ناهية، وتركضوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، وجملة لا تركضوا مقول قول محذوف، والقائل اختلف فيه، فقيل: هم الملائكة، وقيل: هم من كان هناك من المؤمنين، وهذا القول على سبيل الاستهزاء بهم طبعاً، وارجعوا فعل أمر معطوف على لا تركضوا، وإلى ما متعلقان بارجعوا، وجملة أترفتم صلة، وفيه

متعلقان بأترفتم، ومساكنكم بالجر عطف على ما، ولعلكم تسألون لعل واسمها وخبرها، والترجي هنا استهزاء بهم وتهكم بما كانوا يظنونه بأنفسهم من أنهم مظنة السخاء ومطلع الكرم، والمعنى: ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون شيئاً من دنياكم حسبما تتصورون أنفسكم من أنكم أهل النوال والعطاء، حيث يسألكم الناس في العوادي والنوازل، ويندبونكم للملمات، ويستشيرونكم في المعضلات، وسيأتي المزيد عن هذا البحث الشيق في باب البلاغة.

□ البلاغة:

١ ـ المجاز المرسل في قوله: ﴿قَرْيَةٍ﴾ إذ المراد أهلها، وقد تقدم مثال ذلك كثيراً.

٢ ـ التهكم بقوله: ﴿وَارْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ وقد ألمعنا إلى المراد من هذا التهكم، ونزيد عليه هنا احتمالين هامين مترتبين على هذا التهكم:

آ ـ أنهم كانوا أسخياء حقيقة، يجودون بالنوال، ويبسطون أيديهم بالعطايا، ولكنهم كانوا يفعلون ذلك رئاء الناس، واكتساباً للشهرة والثناء، وفي ذلك من الإيلام والإيجاع ما فيه، إذ يرون أن ما أنفقوه، وما بذلوه لم يكن إلا زيادة في برحائهم، وإمعاناً في عذابهم.

ب ـ أنهم كانوا بخلاء، يكرهون البذل، ويصدون عمن جاء يستندي سحاب أكفهم، ويمتري أخلاف جدواهم، فقيل لهم ذلك ليزيدهم إيلاماً على إيلام، وإيجاعاً على إيجاع.

* الفوائـد:

١ ـ قوله: ﴿كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: فيه ما يوجب الثناء عليكم لكونه نازلاً بلسانكم، وبين ظهرانيكم، وعلى رسول منكم، وقيل: فيه ما تنشدونه من حُسْن الذكر، وبُعْد الصيت، وطيب الأحدوثة، وقيل: فيه الموعظة لكم

والإرشاد لمَّا ينفعكم في دينكم ودنياكم، وجميع ذلك محتمل.

٢ ـ بحث لمَّا: تقع لما في العربية على ثلاثة أوجه:

الأول: أن تختص بالمضارع فتجزمه، وتنفيه، وتقلبه ماضياً كـ «لم» إلا أنها تفارقها في خمسة أمور:

١ ـ أنها لا تقترن بأداة شرط، فلا يقال: إن لما تقم، ويقال: إن لم تقم.

٢ ـ أن منفيها مستمر النفي إلى الحال، أما منفي لم فيحتمل الاتصال والانقطاع، مثل: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ ولهذا جاز أن تقول: لم يكن ثم كان، ولكن لا يجوز أن تقول: لما يكن ثم كان.

٣ ـ أن الغالب في منفي لما أن يكون قريباً من الحال بخلاف منفي لم.

٤ ـ أن منفي لما متوقع ثبوته بخلاف منفي لم.

٥ ـ أن منفي لما جائز الحذف لدليل كقوله: «فجئت قبورهم بدءاً ولما» أي ولما أكن بدءاً قبل ذلك أي سيداً، ولا يجوز: «وصلت إلى حمص ولم» تريد ولم أدخلها.

الثاني: أن تختص بالماضي، فتقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما، نحو: لما جاءني أكرمته، ويقال فيها: حرف وجود لوجود، وبعضهم يقول: وجوب لوجوب، وقيل: هي ظرف لفعل وقع لوقوع غيره، وقال جماعة: إنها ظرف بمعنى حين.

الثالث: أن تكون حرف استثناء بمعنى إلا، فتدخل على الجملة الاسمية نحو: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ فيمن شدّد الميم، وعلى الماضي لفظاً لا معنى، نحو: أنشدك الله لما فعلت، أي: ما أسألك إلا فعلك.

﴿قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَـٰهُمْ حَصِيدًا خَـٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن

نَتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿حَصِيدًا﴾: فعيل بمعنى مفعول، يستوي فيه الواحد وغيره، وستأتي قاعدته في باب الفوائد، وهو الزرع المحصود.

﴿خَٰمِدِينَ﴾: يقال: خمدت النار وهمدت، كل منهما من باب دخل، لكن الأول عبارة عن سكون لهبها مع بقاء الجمر، والثاني عبارة عن ذهابها بالكلية.

﴿لَهْوًا﴾: في المصباح: «اللهو معروف، تقول أهل نجد: لهوت عنه ألهو لُهياً، والأصل على فعول من باب قعد، وأهل العالية لهيت عنه ألهى، من باب: تعب، ومعناه: السلوان والترك، ولهوت به لَهْواً، من باب: قتل، أولعت به أيضاً. قال الطرطوشي: وأصل اللهو: الترويح عن النفس بما لا تقضيه الحكمة، وألهاني الشيء بالألف: شغلني» اهـ. وفي القاموس والتاج: «لها لهواً: لعب، كالتهى، وألهاه ذلك، والملاهي: آلاته، وتلاهى بذاك، والأُلهوّة، والألهيّة، والتلهية: ما يتلاهى به، ولهت المرأة إلى حديثه، لَهْواً، ولُهُوّاً: أنست به، وأعجبها. واللَّهوة: المرأة الملهو بها كاللهو، وبالضم والفتح: ما ألقيته في فم الرحى، والعطية، أو أفضل العطايا وأجزلها، كاللهية والحفنة من المال، أو الألف من الدنانير والدراهم لا غير، ولهي به كرضي: أحبّه، وعنه: سلا، وغفل، وترك ذكره، كلها كدعا، لهياً، ولهياناً، وقال شارح القاموس قوله: لها لهواً: لعب، قضيته اتحادهما،

وقد فرق بينهما جماعة، فقيل: يشتركان في أنهما اشتغال بما لا يعني حراماً، أو لا. قيل: واللهو أعم مطلقاً، فاستماع الملاهي لهو لا لعب، وقال الجوهري: قد يكنى باللهو عن الجماع، ويدل على ما قاله امرؤ القيس:

أَلاَ زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليومَ أَنَّني كَبِرْتُ وأَلاَّ يُحْسِنَ اللَّهْوَ أَمْثالي

﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾: فيذهبه، وبابه: قطع، وفي القاموس: دمغه: قَهَرَه، ودمغ الحق بالباطل: أبطله ومحقه، وسيأتي تفصيل ذلك في باب البلاغة.

﴿يَسْتَحْسِرُونَ﴾ يكلُّون، ويتعبون. يقال: استحسر البعير، أي: كلَّ، وتعب، ويقال: حسر البعير وحسرته أنا، فيكون لازماً ومتعدياً، وأحسرته أيضاً، فيكون فعل وأفعل بمعنى واحد، وسيأتي مزيد بيان عن الاستحسار في باب البلاغة.

○ الإعراب:

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ يا أداة نداء، وويلنا منادى مضاف، يدعون الويل والثبور؛ لأن هذا وقته، ويجوز أن تكون يا للتنبيه، وويلنا مصدر لفعل محذوف، والجملة مقول قولهم، وإن واسمها، وجملة كنا ظالمين خبرها، وكان واسمها، وظالمين خبرها. ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ الفاء عاطفة، وما زالت فعل ماض ناقص، والتاء علامة التأنيث، وتلك اسم إشارة اسمها في محل رفع، ودعواهم خبرها منصوب بفتحة مقدرة على الألف، والهاء مضاف إليه، والميم حرف دال على جمع الذكور، والمراد بالدعوى: تلك الكلمات، وهي: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ وحتى حرف غاية وجر، وجعلناهم فعل وفاعل ومفعول به أول، وحصيداً خامدين مفعول به ثان، لأن حكمهما حكم الواحد، إذ أن معنى جعلناهم حصيداً خامدين: جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود، ومثال ذلك قولك: جعلته حلواً حامضاً، أي: جامعاً للطعمين، أي: مزاً، ولك أن تجعل خامدين صفة لحصيداً. ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ الواو حرف عطف، أو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لعرض البدائع والعجائب؛ التي انطوى

عليها خلق السموات والأرض، وما فيهما للعظة، ولتكون مطارح اعتبار، وحافزاً للتفكير والاستدلال، وما نافية، وخلقنا فعل وفاعل، والسماء مفعول به، والأرض عطف على السماء، وما عطف على السماء والأرض، وبينهما ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول، ولاعبين حال من فاعل خلقنا. ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ لو شرطية امتناعية، وأردنا فعل وفاعل، وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول أردنا، وفاعل نتخذ ضمير مستتر تقديره: نحن، ولهواً مفعول به، ولاتخذناه اللام واقعة في جواب لو، واتخذناه فعل وفاعل ومفعول به، من لدنا متعلقان بمحذوف مفعول به ثان لاتخذ، وإن يجوز أن تكون نافية بمعنى ما، وكنا فاعلين كان واسمها وخبرها، والجملة حالية من فاعل اتخذناه، أي: حال كوننا غير فاعلين، ويجوز أن تكون إن شرطية، وجوابها محذوف يدل عليه جواب لو، ولعل هذا أولى، وأشبه الوجهين بمذهب العربية. ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ بل إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب، وتنزيه منه تعالى لذاته، ونقذف فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره: نحن، وبالحق جار ومجرور متعلقان بنقذف، وعلى الباطل متعلقان بمحذوف حال، أي: مستعلياً على الباطل، فيدمغه عطف على نقذف، فإذا: الفاء عاطفة، وإذا فجائية، وقد تقدم ذكرها، وهو مبتدأ، وزاهق خبرها، ولكم: الواو استئنافية، ولكم خبر مقدم، والويل مبتدأ مؤخر، ومما متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به الخبر، وهو: مما، أي: استقر لكم الويل من كل ما تصفون، ومما يجوز أن تكون موصولة، وأن تكون مصدرية، وعلى كل جملة تصفون لا محل لها. ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ الواو عاطفة، وله خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وفي السموات والأرض صلة. ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ الواو عاطفة، ومن معطوفة على من الأولى، وعنده ظرف متعلق بمحذوف صلة، وجملة لا يستكبرون حالية مِن مَن الأولى، وعن عبادته متعلقان بيستكبرون، وجملة لا يستحسرون عطف على جملة لا يستكبرون، ويجوز أن تكون الواو

للاستئناف، ومن عنده ـ أي: الملائكة ـ مبتدأ خبره جملة لا يستكبرون، والجملة مستأنفة. ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتقرير ما يصنعه من عند الله في عبادتهم، ويسبحون فعل مضارع وفاعل، ويجوز أن تكون الجملة حالية، والليل والنهار ظرفان متعلقان بيسبحون، وجملة لا يفترون حال من فاعل يسبحون. ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ أم المنقطعة عاطفة، وتفيد الإنكار، واتخذوا فعل وفاعل، وآلهة مفعول به، ومن الأرض صفة، وهم مبتدأ، وجملة ينشرون خبر، وجملة هم ينشرون صفة لآلهة، ومفعول ينشرون محذوف، أي: يحيون الموتى، ويجوز جعلها جملة مستأنفة لأنهم[1] لم يدّعوا لآلهتهم أنها تنشر الموتى، ولكنهم بمجرد دعواهم ألوهيتها يترتب عليهم أن يدَّعوا ضمناً أنها تنشر الموتى، وسيأتي مزيد بحث حول الضمير الذي هو «هم» في باب البلاغة. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ لو شرطية امتناعية، وكان فعل ماض ناقص، وفيهما خبر كان المقدم، وآلهة اسمها المؤخر، وإلا بمعنى غير صفة لآلهة ظهر إعرابها على ما بعدها، ولا يصح أن تكون استثنائية؛ لأن مفهوم الاستثناء فاسد هنا، إذ حاصله أنه لو كان فيهما آلهة لم يُستثنَ اللهُ منهم لم تفسدا، وليس كذلك، فإن مجرد تعدّد الآلهة يوجب لزوم الفساد مطلقاً، وسيأتي مزيد بسط لهذا المبحث الهامّ، ولفسدتا اللام واقعة في جواب لو، وجملة فسدتا لا محل لها من الإعراب، فسبحان الله: الفاء عاطفة لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان، وسبحان مفعول مطلق لفعل محذوف، ولفظ الجلالة مضاف إليه، ورب العرش بدل، أو صفة للفظ الجلالة، وعما متعلقان بسبحان، وجملة يصفون لا محل لها؛ لأنها صلة ما، ويجوز أن تكون ما مصدرية. ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ الجملة مستأنفة مسوقة لبيان تفرده سبحانه بالسلطان، بحيث لا يسأله أحد عما يفعله، ولا نافية، ويسأل فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر

---

(١) زيادة على الأصل لإتمام السياق.

تقديره: هو، وعما متعلقان بيسأل، وهم: الواو عاطفة، أو حالية، وهم مبتدأ، وجملة يسألون خبر.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون عديدة أولها:

١ ـ الاستعارة في قولهم: ﴿يَٰوَيۡلَنَآ﴾ فقد خاطبوا الويل، وهو الهلاك، كأنه شخص حي يدعونه لينقذهم مّما هم فيه.

٢ ـ التشبيه البليغ في قوله: ﴿جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾. فقد شبّههم بعد حلول العذاب بهم بالحصيد أولاً، وهو الزرع المحصود، ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به هو الاستئصال من المنابت، ثم شبههم ثانياً بالنار المنطفئة، ولم يبق منها إلا جمر منطفىء، لا نفع فيه، ولا قابلية لشيء من النفع منه، فلا ترى إلا أشلاء متناثرة، وأجزاء متفرقة قد تمدّدت، وقد ران عليها البلى.

٣ ـ الاستعارة المكنية في قوله: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾ فقد شبه الحق والباطل، وهما معنويان بشيئين ماديين محسوسين، يقذفان ويدفعان، ثم حذف هذين الشيئين، واستعار ما هو من لوازمهما، وهما: القذف، والدمغ؛ لتجسيد الإطاحة بالباطل، واعتلاء الحق عليه، وتصوير إبطاله، وإهداره، ومحقه، كأنه جرم صلب كصخرة، أو ما يماثلها في القوة والصلابة، قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه، وهي من استعارة المحسوس للمعقول، وقد تقدم بحث ذلك مفصلاً مع استيفاء أقسام الاستعارة بالنسبة لطرفي التشبيه.

٤ ـ قوة اللفظ لقوة المعنى: وقد تقدم الكلام عن هذا الفن، ونعني به: نقل اللفظ من وزن إلى وزن آخر أكثر منه ليتضمّن من المعنى الدال عليه أكثر مما تضمنه أولاً؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا الضرب من الزيادة لا يستعمل إلا في مقام المبالغة، وهو هنا في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ فقد عدل عن

الثلاثي ـ وهو حسر ـ إلى السداسي ـ وهو استحسر ـ وقد كان ظاهر الكلام أن يقال: يحسرون، أي: يكلون، ويتعبون؛ لأن أقل ملل منهم، أو كلال إزاء الملائكة، وإزاء عبادتهم لله سبحانه لا يتصور منهم، ولكنه عدل عن ذلك لسرّ يخفى على النظرة السطحية الأولى، وهو: أن ما هم فيه من انهماك بالعبادة وانصراف بالكلية لها يوجب غاية الحسور، وأقصاه.

٥ ـ التصريح بالضمير: وذلك في قوله: ﴿هُمۡ يُنشِرُونَ﴾ وقد كان يكفي أن يقول: ينشرون، ولكنه عدل عن ذلك إلى التصريح بالضمير لإفادة معنى الخصوصية أولاً، كأنهم قالوا: ليس هنا من يقدر على الإنشار غيرهم، وثانياً لتسجيل إلزامهم ادعاء صفات الألوهية لآلهتهم، وهذا الادّعاء قد أبطله الله في الآية التالية لهذه الآية؛ بدليل التمانع المغترف من بحر هذه الآية، وهي: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ كما وضح في الإعراب، وهذا من جوهر الكلام، وخالصه.

٦ ـ المذهب الكلامي: وذلك في قوله: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ وذكر ابن المعتز أن الذي سمّاه هذه التسمية هو الجاحظ، والكتاب الكريم مشحون به، وتعريفه هو: أنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له، على طريقة أرباب الكلام، وله طرق متعددة، وقد أوصلها الرماني في تفسيره المسمى بـ «النكت في إعجاز القرآن» إلى خمسة ضروب، ومنها: إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل، فملزوم قوله: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ أنهما ما فسدتا، فليس فيهما آلهة إلا الله، وإيضاح ذلك: أن دليل التمانع هو أنه لو وجد مع الله إله آخر ربما قالوا: لو فرضنا وجود إلّهين، فإما أن يكونا جميعاً موصوفين بصفات الكمال؛ اللاتي يندرج فيها القدرة على إحياء الموتى، وإنشارهم، وغير ذلك من الممكنات، أو لا يتصف بها واحد منهما، أو أحدهما دون الآخر، وعندئذ تفسد الرعية بتدبير الملكين؛ لما يحدث بينهما من التغالب، والتناكر، والاختلاف. وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق:

«كان والله أعزّ علي من دم ناظري، ولكن لا يجتمع فحلان في شول» وللمتكلمين في طريقة التمانع جولات واسعة تؤخذ في مظانها، وسيرد إيضاحها في باب الفوائد.

* الفوائـــد:

«إلا» بمعنى «غير»:

الأصل في «إلا» أن تكون للاستثناء، وفي «غير» أن تكون وصفاً، ثم قد تحمل إحداهما على الأخرى، فيوصف بإلا، ويستثنى بغير، فإن كانت إلا بمعنى غير وقعت هي وما بعدها صفة لما قبلها، وذلك حيث لا يراد بها الاستثناء، وإنما يُراد بها وصف ما قبلها بمايغاير ما بعدها، كقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ فإلا وما بعدها صفة لآلهة؛ لأن المراد نفي الآلهة المتعددة، وإثبات الإله الواحد الفرد، ولا يصحّ الاستثناء بالنصب؛ لأن المعنى يكون حينئذ: لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا، وذلك يقتضي أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا، وهذا ظاهر الفساد، وسامح الله ابن يعيش شارح مفصّل الزمخشري حيث أجاز النصب على الاستثناء في الآية الكريمة، غير مقدّر ما يترتب على النصب من فساد، وعبارة ابن يعيش:

«قال الله تعالى: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، والمراد: غير الله، فهذا لا يكون إلا وصفاً، ولا يجوز أن يكون بدلاً يراد به الاستثناء؛ لأنه يصير في تقدير لو كان فيهما إلا الله لفسدتا، وذلك فاسد؛ لأن لو شرط فيما مضى، فهي بمنزلة إن في المستقبل، وأنت لو قلت: إن أتاني إلا زيد لم يصح؛ لأن الشرط، في حكم الموجب، فكما لا يصح: أتاني إلا زيد، كذلك لا يصح: إن أتاني إلا زيد، فلو نصب على الاستثناء فقلت: لو كان فيهما إلا الله لجاز».

ثم لا يصح أيضاً أن يعرب لفظ الجلالة بدلاً من آلهة؛ لأنه حيث لا يصح الاستثناء لا تصح البدلية، ثم إن الكلام موجب فلا تجوز البدلية، ولو صح الاستثناء؛ لأن النصب واجب في الكلام الموجب التام، وأيضاً لو جعلته

بدلاً، لكان التقدير: لو كان فيهما إلا الله لفسدتا؛ لأن البدل على نية طرح المبدل منه كما هو معلوم، ولعدم صحة الاستثناء هنا، وعدم جواز البدلية تعيّن أن تكون إلا بمعنى غير.

ولتتمة هذا المبحث الدقيق ننقل الفصل الممتع الذي أورده العلامة ابن هشام في «مغني اللبيب» وردّه على المبرد، مع تعليقات مناسبة ليستوفي الموضوع حقه، قال ابن هشام بعد أن ذكر أن لـ «إلاَّ» أربعة أوجه:

«والثاني أن تكون صفة بمنزلة غير، فيوصف بها، وبتاليها جمع منكر أو شبهه، فمثال الجمع المنكر: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ فلا يجوز في إلا هذه أن تكون للاستثناء من جهة المعنى، إذ التقدير حينئذ: لو كان فيهما آلهة فيهم الله لفسدتا، وذلك يقتضي بمفهومه: أنه لو كان فيها آلهة ليس فيهم الله لم تفسدا، وليس ذلك المراد، ولا من جهة اللفظ؛ لأن آلهة جمع منكر في الإثبات، فلا عموم له، فلا يصحّ الاستثناء منه، فلو قلت: قام رجال إلا زيداً لم يصحّ اتفاقاً، وزعم المبرد أن «إلا» في الآية للاستثناء، وأن ما بعدها بدل، محتجّاً بأن «لو» تدل على الامتناع، وامتناع الشيء: انتفاؤه، وزعم أن التفريغ بعدها جائز، وأن نحو: «لو كان معنا إلا زيد» أجود كلام، ويرده: أنهم لا يقولون: «لو جاءني ديّار أكرمته» ولا: «لو جاءني من أحد أكرمته» ولو كانت بمنزلة النافي لجاز ذلك، كما يجوز: ما فيها ديار، وما جاءني من أحد، ولما لم يجز ذلك دلّ على أن الصواب قول سيبويه: إن إلا وما بعدها صفة» إلى أن يقول: «وشرط ابن الحاجب في وقوع إلا صفة تعذر الاستثناء، وجعل من الشاذ قول حضرمي بن عامر الصحابي، وقيل: عمرو بن معدي كرب:

وكلُّ أخٍ مُفارِقه أَخُوه لعمرُ أبيكَ إلاَّ الفرقدانِ

ومعنى الشذوذ فيه أنه ليس استثناء؛ إذ لم ينصب بعد الكلام التام الموجب، فتعيّن أنه صفة، ولم يتعذر الاستثناء، فهو شاذ إذ كان يمكنه أن يقول إلا الفرقدين، ونحسب أن البحث طال، فحسبنا ما تقدم.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِىۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ ﴾ أم حرف عطف للإضراب، والانتقال إلى إظهار بطلان ما اتخذوه آلهة، مع خلوّها من خصائص الألوهية، واتخذوا فعل ماض وفاعل، ومن دونه في محل نصب مفعول به ثان لاتخذوا، وآلهة هو المفعول الأول. ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ ﴾ هاتوا فعل أمر مبني على الكسر دائماً إلا مع واو الجماعة فيضم، وواو الجماعة فاعل، وبرهانكم مفعول به. ﴿ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِىۗ ﴾ هذا مبتدأ، والإشارة للقرآن وجميع الكتب السماوية، وذكر خبر، ومن مضاف إليه، ومعي ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، وذكر عطف على ذكر الأولى، ومن مضاف إليه، والظرف صلة، والجملة مستأنفة. ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ بل حرف إضراب، وأكثرهم مبتدأ، وجملة لا يعلمون خبر، والواو فاعل، والحق مفعول به، فهم: الفاء للتعليل، وهم مبتدأ، ومعرضون خبر. ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الواو استئنافية، وما نافية، وأرسلنا فعل وفاعل، ومن قبلك حال، ومن حرف جر زائد، ورسول مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به، وإلا أداة حصر،

ونوحي فعل وفاعل، وإليه متعلقان بنوحي، ولا إله إلا أنا تقدم إعرابها كثيراً، والفاء الفصيحة، واعبدوني فعل أمر، والواو فاعل، والياء المحذوفة تبعاً لرسم المصحف مفعول به، والجملة مستأنفة مقررة لما سبق إجماله من توحيد الله، كما نطقت بذلك الكتب السماوية، استدلالاً بمقتضيات العقل، والمنطق. ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ استئناف آخر مسوق لحكاية أقوال بعض القبائل العربية؛ الذين قالوا: الملائكة بنات الله، ويقال: إنهم بنو خزاعة، وبنو جهينة، وبنو سلمة، وبنو مليح، وجملة: ﴿ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾ مقول القول، وسبحانه مصدر لفعل محذوف، وقد مرّ، والجملة معترضة، وبل حرف إضراب، وعباد خبر لمبتدأ محذوف، ومكرمون صفة، وقد وصف الملائكة بسبع صفات تقدمت الأولى. ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ وهاتان صفتان ثانيتان: الأولى جملة: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ ﴾ والثانية جملة: ﴿ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ وبأمره متعلقان بيعملون، وجملة يعملون خبرهم. ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ وهذه هي الصفة الرابعة، وما موصول مفعول به، وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول، وأيديهم مضاف إليه، وما خلفهم عطف على ما بين أيديهم. ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ وهاتان صفتان أخريان، ويشفعون فعل مضارع وفاعل، وإلا أداة حصر، ولمن متعلقان بيشفعون، وارتضى صلة الموصول، وهم مبتدأ، ومن خشيته جار ومجرور متعلقان بمشفقون، ومشفقون خبر هم. ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وهذه هي الصفة السابعة والأخيرة، ومن شرطية مبتدأ، ويقل فعل الشرط مجزوم، ومنهم حال، وإن واسمها، وإله خبرها، والفاء رابطة لجواب الشرط لأنه وقع جملة اسمية، وذلك: اسم إشارة مبتدأ، وجملة نجزيه خبر، والهاء مفعول نجزي، وجهنم: مفعول نجزي الثاني، والجملة جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر ذلك، وكذلك نجزي الظالمين: الكاف نعت لمصدر محذوف، أي: نجزي الظالمين جزاء مثل ذلك.

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ رَتْقًا ﴾: في المختار: «الرتق: ضد الفتق، وقد رتقت الفتق من باب: نصر: سددته فارتتق، أي: التأم، ومنه قوله تعالى: ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ والرتق ـ بفتحتين ـ مصدر قولك: امرأة رتقاء، أي: لا يستطاع جماعها لارتتاق ذلك الموضع منها». وفي الأساس: «رتق الفتق حتى ارتتق، وقرىء. كانتا رتْقاً ورتَقاً، وعن ابن الكلبي: كانتا رتقاوين ففتق الله السماء بالماء، وفتق الأرض بالنبات. وامرأة رتقاء: بينة الرَّتق؛ إذا لم يكن لها خرق إلا المبال».

﴿ رَوَٰسِىَ ﴾: جمع راسية، من: رسا الشيء: إذا ثبت ورسخ، وفي المختار: «والرواسي من الجبال: الرواسخ، واحدتها: راسية». وفي المصباح: «رسا الشيء يرسو، رسْواً، ورُسُوّاً: ثبت، فهو راس، وجبال راسية، وراسيات، ورواس».

﴿ تَمِيدَ ﴾: في المصباح: «ماد يميد ميداً من باب: باع، وميداناً ـ بفتح الياء ـ: تحرك». وفي الأساس: «غصن مائد: مائل، وماد يميد ميداناً، ومن المجاز: مادت المرأة، وماست، وتميّدت، وتميّست، ومادت به الأرض: دارت، ورجلٌ مائد: يدار به، والمطعون يميد في الرمح».

﴿ فِجَاجًا ﴾: في المختار: «الفجّ ـ بالفتح ـ: الطريق الواسع بين الجبلين،

والجمع فِجاج - بالكسر - مثل سهم وسهام، والفِج - بالكسر -: البطيخ الشامي، وكل شيء من البطيخ والفواكه لم ينضج فهو فِج - بالكسر -». وفي القاموس: «الفج، وجمعه: فجاج، والفجاج: الطريق الواسع بين جبلين».

○ الإعراب:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والواو حرف عطف على مقدر، ولم حرف نفي وقلب وجزم، والذين فاعل، وجملة كفروا صلة، وأن وما بعدها سدّت مسدّ مفعولي رأى؛ لأن الرؤية قلبية، وأن واسمها، وجملة كانتا خبرها، والألف اسم كان، ورتقاً خبرها، وفي الإخبار به ما تقدم في: زيد عدل، أي: كانت الشمس والأرض نفس الرتق، ففتقناهما، الفاء عاطفة، وفتقناهما فعل وفاعل ومفعول به، والجملة معطوفة على كانتا، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. قال الأخفش: إنما قال كانتا لأنهما صنفان، أي: جماعتا السموات والأرضين، كما قال سبحانه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ وقال الزجاج: إنما قال كانتا لأنه يعبر عن السموات بلفظ الواحد؛ لأن السموات كانت سماء واحدة، وكذلك الأرضون. ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ وجعلنا عطف على ما تقدم، وجعلنا فعل وفاعل بمعنى خلقنا، ومن الماء متعلقان بجعلنا؛ لأنها بمعنى خلقنا، أو: بمحذوف حال من كل شيء؛ لأنه كان في الأصل وصفاً له فلما قدم عليه نصب على الحال، ولك أن تجعل: وجعلنا بمعنى صيرّ متعدياً لاثنين، فيكون من الماء في محل نصب على أنه مفعول ثان، وكل شيء مفعول أول، أفلا: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على محذوف، ولا نافية، ويؤمنون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل. ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ وجعلنا عطف على جعلنا، وفي الأرض إما مفعول ثان، ورواسي هو المفعول الأول، وإما متعلقان بجعلنا، أو بمحذوف حال، ورواسي مفعول به، وأن وما في حيزها في محل نصب مفعول لأجله، أي: كراهة أن تميد، أو: لئلا تميد، وبهم

متعلقان بتميد. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ وجعلنا عطف على ما تقدم، وفيها هو المفعول الثاني، أو متعلق بجعلنا، وفجاجاً حال لأنه كان صفة لسبلاً، وتقدم عليه، وسبلاً مفعول به، ولعل واسمها، وجملة يهتدون خبرها. ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ وجعلنا السماء فعل وفاعل ومفعول به أول، وسقفاً مفعول به ثان، وهم مبتدأ، وعن آياتها متعلقان بمعرضون، ومعرضون خبر هم، والجملة حالية، أو استئنافية. ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الواو عاطفة، وهو مبتدأ، والذي خبر، وجملة خلق صلة، وفاعل خلق ضمير مستتر تقديره: هو، والليل مفعول به، وما بعده عطف عليه، وكل مبتدأ، وساغ الابتداء لما فيه من معنى العموم، وفي فلك متعلقان بيسبحون، وجملة يسبحون خبر كل، وجملة كل في فلك يسبحون محلها النصب على الحال من الشمس والقمر، وإنما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعل هو من خصائص العقلاء هو السباحة، وتقدم نظيره في قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

* الفوائـــد:

١ ـ بحث شيق في المفعول لأجله:

هذا بحث طريف، أفرد له سيبويه فصلاً خاصاً في كتابه، وهو يتعلق بالمفعول لأجله المؤول، وهو هنا في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ قال ما خلاصته: «هو من وادي قولهم: أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه، قال: ومعناه «أن أدعم الحائط إذا مال» وإنما قدم ذكر الميل اهتماماً بشأنه، ولأنه أيضاً هو السبب في الإدعام، وإدعام سبب في إعداد الخشبة، فعامل سبب السبب معاملة السبب، وعليه حمل قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ كذلك ما نحن بصدده يكون الأصل، وجعلنا في الأرض رواسي لأجل أن تثبتها إذا مادت بهم، فجعل الميد هو السبب، كما جعل الميل في المثل المذكور سبباً، وصار الكلام: وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد فتثبتها، ثم حذف فتثبتها لأمن الإلباس إيجازاً

واختصاراً». وهذا لعمري أولى مما درجنا عليه في الإعراب؛ لأن مقتضى ما ذكرناه، وذكره أكثر المعربين والمفسرين يقتضي ألاّ تميد الأرض بأهلها؛ لأن الله كره ذلك، ومكروه الله تعالى محال أن يقع، كما أن مراده واجب أن يقع، والمشاهد خلاف ذلك، فكم من زلزلة مادت لها الأرض، وكادت تقلب عاليها سافلها! وأما على تقرير سيبويه فالمراد: أن الله تعالى يثبت الأرض بالجبال إذا مادت، وهذا لا يأبى وقوع الميد، وهذا بحث جليل قلَّ من ينتبه له إلا بعد هذا التفصيل، فتأمله ترَ السحر الحلال، وإن من البيان لسحراً.

٢ ـ ذهب سيبويه والجمهور إلى القول بأن لفظي كل وبعض معرفتان بنية الإضافة؛ ولذلك يأتي الحال منهما كقولهم: مررت بكل قائماً وببعض جالساً، وأصل صاحب الحال التعريف، وذهب الفارسي إلى أنهما نكرتان، وألزم من قال بتعريفهما أن يقول: إن نصفاً، وسدساً، وثلثاً، وربعاً، ونحوها معارف؛ لأنها في المعنى مضافات، وهي نكرات بإجماع، وردّ بأن العرب تحذف المضاف وتريده، وقد لا تريده، ودلَّ مجيء الحال بعد كل وبعض على إرادته، بقي هنا سؤال واحد، وهو: لِمَ أتى بصيغة الجمع وهما اثنان؟ والجواب: إن الضمير عائد عليهما مع الليل والنهار، وذلك لأن الليل والنهار يسبحان أيضاً؛ لأن الليل ظلّ الأرض، وهو يدورُ على محيط كرة الأرض على حسب دوران الأرض، وكذلك النهار يدور أيضاً؛ لأنه يخلف الليل في المحيط.

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ

يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير عدم خلود البشر، جواباً لقولهم: إن محمداً سيموت، وما نافية، وجعلنا فعل وفاعل، ولبشر في محل نصب مفعول ثان، ومن قبلك صفة لبشر، والخلد مفعول جعلنا الأول، والهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة، وإن شرطية، ومت فعل ماض وفاعل، وهو في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة، وهم مبتدأ، والخالدون خبر، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وهي بنية التقديم؛ لأن أصل الكلام أفهم الخالدون إن مت، قال الفراء: جاء بالفاء لتدل على الشرط؛ لأنه جواب قولهم سيموت، قال: ويجوز حذف الفاء وإضمارها، والمعنى: إن مت فهم يموتون أيضاً، فلا شماتة في الموت. ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ كل مبتدأ، ونفس مضاف إليه، وذائقة الموت خبر، والجملة مستأنفة، مسوقة للتدليل على عدم الخلود، فلا مجال للشماتة، ورحم الله القائل:

فَقُلْ للشَّامتين بِنا أفيقُوا   سيلقى الشَّامتون كما لقينا

﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ الواو استئنافية أيضاً، ونبلوكم فعل مضارع، وفاعل مستتر تقديره: نحن، والكاف مفعول به، وبالشر متعلقان بنبلوكم، والخير عطف على الشر، أي: نختبركم بما يجب فيه الصبر، وبما يجب فيه الشكر، وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه؛ لأن الابتلاء فتنة، فكأنه قيل: نفتنكم فتنة، ويجوز أن يعرب مفعولاً من أجله، أو نصباً على الحال من فاعل نبلوكم، أي: فاتنين لكم، وإلينا متعلقان بترجعون، وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل،

والجملة معطوفة على نبلوكم، أو حالية. ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ لك أن تجعل الواو استئنافية، فتكون الجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير موقفهم من النبي محمد ﷺ، وأن تجعلها عاطفة، فتكون الجملة معطوفة على قوله الآنف: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة رآك مضاف لها الظرف، وفاعل رآك الذين، والكاف مفعول به، وجملة كفروا صلة، وإن نافية، ويتخذونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وإن النافية، وما في حيزها جواب إذا، وسيأتي ذكر السبب في عدم اقتران الجواب بالفاء في باب الفوائد، وإلا أداة حصر، وهزواً مفعول به ثان إما على الوصف بالمصدر مبالغة، وقد مرت له نظائر، وإما على حذف مضاف، هذا ويجوز أن تكون إن النافية وما بعدها جملة معترضة، فيكون الجواب قوله الآتي: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ الهمزة للاستفهام، والاستفهام معناه: السخرية، والجملة إما جواب إذا كما تقدم، وإما مقول قول محذوف، أي: يقول بعضهم لبعض على سبيل السخرية والهزء: أهذا؟ وهذا مبتدأ، والذي خبره، وجملة يذكر صلة، وآلهتكم مفعول به، والواو حالية، وهم مبتدأ وبذكر متعلقان بكافرون، والرحمن مضاف إليه، وهم تأكيد لهم الأولى تأكيداً لفظياً، وكافرون خبر هم، والجملة حال إما من فاعل يتخذونك، وإما من فاعل القول المقدر كما أسلفنا، ومفعول يذكر محذوف، وسيرد بحثه في باب البلاغة. ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ الجملة مستأنفة مسوقة للردّ على استعجالهم العذاب، وخلق فعل ماض مبني للمجهول، والإنسان نائب فاعل، ومن عجل متعلقان بخلق، أو بمحذوف حال، وسيأتي معنى هذا التركيب في باب البلاغة، وسأريكم: السين للاستقبال، وأريكم فعل مضارع، وفاعل مستتر تقديره: أنا، والكاف مفعول به أول، وآياتي مفعول به ثان، والفاء عاطفة، ولا ناهية، وتستعجلون فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، والياء المحذوفة للرسم مفعول به، وجملة سأريكم مستأنفة أيضاً، مسوقة لتأكيد العجلة، وعاقبتها التي هي رؤية العذاب.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لإيراد نمط من استعجالهم المذموم، ويقولون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، ومتى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم، وهذا مبتدأ مؤخر، والوعد بدل، وإن شرطية، وكنتم كان واسمها في محل جزم فعل الشرط، وصادقين خبر كنتم، وجواب إن محذوف تقديره: فعينوا موعده، وخطابهم للنبي وأصحابه. ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ لو شرطية، ويعلم فعل مضارع، والذين فاعل، وجملة كفروا صلة، وحين يجوز أن يكون مفعول يعلم، أي: الوقت الذي يستعجلون فيه بقولهم: ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ وهو وقت صعب ضنك، تحيط بهم النار من كل مكان؛ لما كانوا بتلك المثابة من الكفر، فجواب لو محذوف، وقد تقدمت الإشارة إليه كثيراً، ويجوز أن يكون يعلم متروكاً بلا تعدية، بمعنى: لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا متعجلين، وحين منصوب بمضمر، أي: حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون أنهم كانوا على الباطل، والأرجح أن مفعول يعلم محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي: لو يعلم الذين كفروا مجيء الموعود الذي سألوا عنه، واستبطؤوه، وحين منصوب بالمفعول الذي هو مجيء، وجملة لا يكفون مضافة إلى الظرف، وعن وجوههم متعلقان بيكفون، والنار مفعول به، ولا عن ظهورهم معطوفة، والواو حرف عطف، ولا نافية، وهم مبتدأ، وجملة ينصرون خبر، وينصرون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل. ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ بل حرف إضراب وعطف، وتأتيهم فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على النار، وبغتة حال أتى مصدراً، وقيل: مفعول مطلق، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب الفوائد، فتبهتهم عطف على تأتيهم فلا يستطيعون عطف أيضاً، وردها مفعول يستطيعون، ولا هم ينظرون عطف أيضاً، وهم مبتدأ، وجملة ينظرون خبر كما أنظروا وأمهلوا من قبل.

□ **البلاغة:**

١ ـ التذييل: في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ فن طريف من فنون البلاغة أطلق عليه علماؤها اسم: «التذييل» وعرفوه بأنه: تذييل الكلام بعد تمامه، وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام، وتزيده توكيداً، وتخرجه مخرج المثل السائر ليشيع الكلام بعد دورانه على الألسنة، فإن لم تكن الزيادة تفيد ذلك فلا يسمّى تذييلاً، وبعضهم يسميه آنذاك: تذييلاً، ولكنه يقول عنه أنه معيب، وما أجدر المعيب أن ينتفى عن فنون البلاغة، أو يندرج في سلكها! وهو شائع في القرآن الكريم، وستأتي أمثلة كثيرة منه، أما في الآية التي نحن بصددها، فإن المعنى مستوفى في الإخبار بأنه سبحانه لم يجعل لبشر قبل نبيه الخلد، ثم ذيل ذلك الإخبار بما أخرجه مخرج تجاهل العارف، وهو قوله: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ ثم ذيل هذا التذييل بما أخرجه مخرج المثل السائر حيث قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.

ومن أروع أمثلة التذييل في الشعر قول شاعر الخلود أبي الطيب:

تمسي الأمانيُّ صَرْعى دون مبلغِه
فما يقولُ لشيءٍ ليت ذلك لي

يقول أبو الطيب: لا تصل الأماني إلى قلبه فتستميله، ولا إلى لسانه فتجري عليه؛ لأنه لا يحتاج أن يتمنى شيئاً إلا وله خير منه، أو صار له ذلك الشيء، فالأماني تقصر عن بلوغ قدره، وتقصر عن جلالة أمره، وتمسي صرعى دون إدراك مجده، فما يتمنى في الرفعة أكثر مما قد بلغه، ولم يزل سيف الدولة لهجاً بهذا البيت، معظِّماً له، مثنياً عليه مقرّاً له بأنه لا يلحق سبقاً، ولا يأتي أحد في بابه من المبالغة بمثل ما أتى به.

وقال ابن نباتة السّعدي، وأجاد:

لم يُبْقِ جودُكَ لي شيئاً أؤمّله تركتني أصحبُ الدُّنيا بلا أمل

لقد حقق له جميع آماله ومشتهياته، فلم يعد لديه ما يؤمله، وهبه صَبًا إلى شيء، فإنه واثق بحضوره، فغدا بلا آمال.

٢ ـ الإيجاز بالحذف: وذلك في حذف مفعول يذكر في قوله تعالى: ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ والذكر يكون بالخير والشر، فإذا دلت الحال على أحدهما أطلق، ولم يقيد، كقولك للرجل: سمعت فلاناً يذكرك، فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء، وإن كان عدواً فذم. ومن جهة ثانية لم يقولوا: أهذا الذي يذكر آلهتكم بكل سوء؛ لأنهم استفظعوا حكاية ما يقوله النبي من القدح في آلهتهم رمياً بأنها لا تسمع ولا تبصر، ولا تنفع ولا تضر، ورئبوا بها عن نقل ذمها تفصيلاً وتصريحاً، فنقلوه إجمالاً وتلميحاً، بل أومؤوا إليه بالإشارة المذكورة، كما يتحاشى المؤمن من حكاية كلمة الكفر، وإن كان قائلها غير كافر، فيومىء إليها بلفظ يفهم المقصود بطريق التعريض، فسبحان من أضلّهم حتى تأدّبوا مع الأوثان، وأساؤوا الأدب على الرحمن.

٣ ـ الاستعارة المكنية في قوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ فقد شبّه العجل الذي طبع عليه الشخص، وصار له كالجبلة بأصل مادته، وهي الطين، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: ﴿خُلِقَ﴾ وقيل: لا استعارة فيه، وإنما هو من باب القلب، والأصل: خلق العجل من الإنسان لشدة صدوره عنه، وملازمته له، والقلب موجود كثيراً في كلامهم، وقد تقدمت الإشارة إليه، والأول أولى، وأقعد بالبلاغة. ومن بدع التفاسير ما قالوه من: أن العجل هو الطين بلغة حمير، وقال شاعرهم:

والنَّبْعُ في الصَّخرةِ الصَّمَّاءِ مَنْبِتُه		والنَّخْلُ يَنْبُتُ بين الماءِ والعَجَل

يقول: النبع، ـ وهو شجر تتخذ منه القسي ـ في الصخرة الصماء الصلبة لا في غيرها منبته، أي: نباته. والنخل ينبت في الأرض اللينة الريانة، فهو بين الماء والعجل، أي: الطين، وهذه لغة حمير كما قيل، والظاهر: أن الشطر الأول تمثيل للصعب البخيل، والثاني للسهل الجواد، أو الأول للشجاع، والثاني للجبان لشدة الأول ورخاوة الثاني، وعلى كل حال هذا المعنى غير وارد

في الآية الكريمة؛ لأن السياق يأباها، فهم يستعجلون، والله سبحانه ينعى عليهم عجلتهم.

وفي هذه الآية الاستعارة المكنية بقوله: ﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وليس الموت مما يذاق، ولكنه شبهه بطعام غير مريء، ولا مستساغ، ولكنه لحتمية وقوعه، وكونه أمراً لابد منه أصبح بمثابة المريء المستساغ، فلا مندوحة لنفس عن ذوقه، وقد تقدمت نظائر لهذه الاستعارة.

* الفوائـــد:

١ ـ جواب «إذا»:

تخالف «إذا» أدوات الشرط جميعاً، فإن أدوات الشرط متى أجيبت بأن النافية، أو بما النافية، وجب الإتيان بالفاء، كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى أيضاً: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾.

٢ ـ مجيء المصدر حالاً:

جاءت مصادر تعرب أحوالاً بكثرة في النكرات، كـ: طلع زيد بغتة، وجاء ركضاً، وقتلته صبراً، وهو: أن تحبسه حياً ثم يرمى حتى يقتل، وذلك كله على كثرته مؤول بالوصف، فيؤول بغتة بوصف من باغت؛ لأنها بمعنى مفاجأة، أي: مباغتاً، ويؤول ركضاً بوصف الفاعل من ركض، أي: راكضاً ويؤول صبراً بوصف المفعول، من صبر، أي: مصبوراً محبوساً، ومع كثرة وروده قال سيبويه: لا ينقاس مطلقاً، وقاسه بعضهم بما يمكن الرجوع إليه في المطولات.

ونعود إلى بغتة فقد أكد بعضهم أنه يجوز جعلها مفعولاً مطلقاً، وكذلك القول في الأمثلة المتقدمة؛ إذ هي نوع من عاملها، فهي كرجع القهقرى.

ويتحصّل ممّا ذكره النحاة أن المصدر المنصوب فيه أقوال ثلاثة:

١ ـ مذهب سيبويه: أن المصدر هو الحال، وهو الأصل.

٢ ـ مذهب المبرد والأخفش: أنه مفعول مطلق غير منصوب بالعامل قبله، وإنما هو منصوب بالعامل المحذوف من لفظه، وذلك المحذوف هو الحال، وهو قول جميل كما ترى.

٣ ـ مذهب الكوفيين: أنه مفعول مطلق منصوب بالعامل قبله، وليس في موضع الحال.

ومما يرد في هذا المجال إعراب «أسفاً» من قول أبي الطيب:

أَبْلَى الهَوَى أَسَفاً يومَ النَّوى بَدَنِي
وفَرَّقَ الهَجْرُ بين الجَفْنِ والوَسَنِ
رُوحٌ تَرَدَّدُ في مِثْلِ الخِلاَلِ إذا
أَطَارتِ الرِّيحُ عنه الثَّوبَ لم يَبِنِ
كَفَى بجسمي نُحُولاً أنَّني رَجُلٌ
لولا مُخاطَبَتِي إيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

فالحال هنا غير واردة؛ لأن المعنى يأباها، والمفعول لأجله لا يصح لاختلاف الفاعل، فلم يبق إلا المفعولية المطلقة، والتقدير: أسفت أسفاً، ودلّ على فعله ما تقدمه؛ لأن إبلاء الهوى بدنه يدلّ على أسفه، كأنه قال: أسفت أسفاً، وتعسّف ابن هشام فحاول أن يبرر نصبه على أنه مفعول لأجله، فقال: «فمن لم يشترط اتحاد الفاعل فلا إشكال (والقائل بهذا هو ابن خروف) وأما من اشترطه فهو على إسقاط لام العلة توسعاً، كما في قوله: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ (أي: يبغون لها عوجاً) أو: الاتحاد موجود تقديراً إما على أن الفعل المعلل مطاوع أبلى محذوفاً، أي: فبليت أسفاً، ولا تقدر، فبلي بدني؛ لأن الاختلاف حاصل؛ إذ الأسف فعل النفس لا البدن، أو لأن الهوى لما حصل بتسببه، كأنه قال: أبليت بالهوى بدني» ولا طائل تحت هذه التأويلات المتعسفة.

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ يَكْلَؤُكُم ﴾ : في المصباح : «كلأه الله يكلؤه ـ مهموز بفتحتين ـ من باب : قطع ، كِلاءة ـ بالكسر والمد ـ حفظه ، ويجوز التخفيف ، فيقال : كليته ، أكلاه ، وكلئته ، أكلؤه ، من باب : تعب ، لغة لقريش ، لكنهم قالوا : مكلوّ بالواو أكثر من مكليّ بالياء» . وفي القاموس : «كلأ يكلأ ـ بالفتح ـ كلئاً ، وكلاءة ، وكلاء ـ بكسر الكاف ـ الله فلاناً : حرسه وحفظه ، وكلأه بالسوط : ضربه به ، وكلأ بصره في الشيء : ردّده فيه ، وكلأ النجم متى يطلع : رعاه» . وفي الأساس : «الله يكلؤك ، وتداركه الله بكِلاءته ، واكتلأت منه : احترست . قال كعب بن زهير :

أنختُ قُلوصي واكتلأتُ بعينها وآمرتُ نفسي أيَّ أمريَّ أفعلُ

أي : احترستُ بعينها لأنها إذا رأت شيئاً ذعرتْ ، وكلأ دَيْنُه كلوءاً :

تأخر، فهو كالىء. ونُهي عن «بيع الكالىء بالكالىء» وكلأته أنا تكلئةً، واستكلأْت كُلأَةً وتكلأت: استلفت سلفاً، وتقول: «إن الكُلَىَ تذيب شحم الكُلى» جمع: كلأة».

﴿خَرْدَلٍ﴾: الخردل: نبات له حبّ صغير جداً أسود مقرح، والواحدة: خردلة، ويقال: خردل الطعام: أكل خياره، وخردل اللحم: قطع أعضاءه، والخرادل: القطع من اللحم.

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ الواو: استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لتسلية النبي ﷺ، ومواساته، واللام جواب قسم محذوف، وقد حرف تحقيق، واستهزىء فعل ماض مبني للمجهول، وبرسل قام مقام نائب الفاعل، ومن قبلك نعت لرسل. ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ الفاء عاطفة، وحاق فعل ماض، وبالذين متعلقان بحاق، وجملة سخروا لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول، ومنهم حال من فاعل سخروا، وما: فاعل حاق، وجملة كانوا صلة الموصول، وكان واسمها، وبه متعلقان بقوله يستهزئون، ويستهزئون جملة فعلية في محل نصب خبر كانوا. ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ من اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وجملة يكلؤكم خبر، والجملة مقول القول، وبالليل متعلقان بيكلؤكم، والنهار عطف على الليل، ومن الرحمن، أي: من عذابه وأمره، وهما متعلقان بيكلؤكم. ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ بل حرف إضراب، وهم مبتدأ، وعن ذكر ربهم متعلقان بمعرضون، ومعرضون خبر هم، وهو إضراب عما تضمّنه الكلام من النفي، والتقدير: ليس لهم كالىء ولا مانع غير الرحمن، مع أنهم لا يخطرونه في بالهم فضلاً عن أن يخافوا بأسه وعذابه. ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ أم حرف عطف وإضراب، فهي بمعنى بل، ولهم خبر مقدم، وآلهة مبتدأ مؤخر، وهمزة الاستفهام مقدرة، والتقدير: ألهم آلهة تمنعهم، وجملة تمنعهم صفة لآلهة، ومن دوننا صفة لآلهة

أيضاً. ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتقرير أنّ مَن ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها، ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره؟ ولا نافية، ويستطيعون فعل مضارع وفاعل، ونصر أنفسهم مفعول به، ولا الواو عاطفة، ولا نافية، وهم مبتدأ، ومنا متعلقان بيصحبون، ويصحبون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وجملة يصحبون خبر هم، تقول العرب: أنا لك صاحب من فلان، أي: مجير لك منه، وتقول أيضاً: صحبك الله، أي: حفظك وأجارك ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ بل حرف إضراب انتقالي، ومتعنا فعل وفاعل، وهؤلاء اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب مفعول به، وآباءهم عطف على هؤلاء، وحتى حرف غاية وجر، وطال فعل ماض، وعليهم متعلقان بطال، والعمر فاعل طال. ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على مقدر، وقد تكرر هذا التعبير حتى لم يعد ثمة موجب لإعادته، ولا نافية، ويرون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، وأن وما في حيزها سدّت مسدّ مفعولي يرون؛ لأن الرؤية هنا علمية، ويجوز أن تكون بصرية، وأن واسمها، وجملة نأتي الأرض خبرها، وجملة ننقصها من أطرافها حالية من فاعل نأتي، أو: من مفعوله، أي: نفتحها أرضاً بعد أرض بما ينقص من أطراف المشركين، ويزيد في أطراف المؤمنين، وقد تقدم بسط هذا مفصلاً في سورة الرعد فجدّد به عهداً، وسيأتي السرّ في إسناد الفعلِ إلى نفسه في باب البلاغة، وقوله أفهم: الهمزة للاستفهام الإنكاري التقريعي، والفاء عاطفة على مقدر، وهم مبتدأ، والغالبون خبر ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وأنذركم فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنا، والكاف مفعول به، وبالوحي متعلقان بأنذركم، ولا يسمع: الواو عاطفة، ويجوز أن تكون حالية، ولا نافية، ويسمع الصم الدعاء فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وهي لمجرد الظرفية متعلقان بيسمع،

أي: وقت إنذارهم، وما زائدة، وينذرون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وجملة ينذرون في محل جر بإضافة الظرف إليها، وسيأتي تفصيل لهذه الآية في باب البلاغة. ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، وإن شرطية، ومستهم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والهاء مفعول به، ونفحة فاعل، والمراد بالنفحة: القليل، مأخوذ من نفح المسك، قاله ابن كيسان، ومنه قول النعمان بن بشير:

وعمـرة مـن سَـرَوات النِّسـا ... ء تنفـحُ بـالمسـك أردانهـا

وقال المبرد: النفحة: الدفعة من الشيء التي دون معظمه: يقال: نفحه نفحة بالسيف، إذا ضربه ضربة خفيفة، وقيل: هي النصيب، وقيل: هي الطرف، والمعنى متقارب، أي: ولئن مسّهم أقل شيء من العذاب، ومن عذاب ربك صفة لنفحة، ليقولن: اللام واقعة في جواب القسم؛ لأنه سبق، ويقولنّ فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل، والنون للتوكيد، ويا ويلنا إما نداء للويل ليحضر، فهذا أوانه، وإما أن يا للتنبيه، وويلنا مفعول مطلق لفعل محذوف، وإنا: إن واسمها، وجملة كنا خبرها، ونا اسم كان، وظالمين خبرها ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان ما سيقع عند إتيان ما أنذروه، ونضع فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: نحن، والموازين مفعول به، والقسط وصف الموازين، وقد وصفت بنفس المصدر مبالغة من قسط إذا عدل، وليوم القيامة متعلقان بنضع، واللام بمعنى «في» كقولهم: مضى لسبيله، وقيل: بمعنى عند، قال الزمخشري: «مثلها في قولك جئته لخمس خلون من الشهر، ومنه بيت النابغة:

تـوسَّمـتُ آيـاتٍ لهـا فَعَـرَفْتُهـا ... لِستَّةِ أعـوامٍ وذا العـامُ سابـعُ

ومعناه: تتبعت رسومها وآثارها فعرفتها، أي: في تلك المواضع المذكورة في البيت قبله، وقوله «لستة أعوام» أي: تمام ستة أعوام مضت من عهدها،

وهذا العام الحاضر الذي نحن فيه هو السابع، ولو قال لسبعة أعوام لأفاد أن السبعة كلها مضت، وليس مراداً، فقول بعضهم: إنه كان يكفيه أن يقول لسبعة أعوام فعجز عن إتمامه وكمله بما لا معنى له، ولا وجه إلا عدم التبصر». فلا: الفاء عاطفة، وتظلم فعل مضارع مبني للمجهول، ونفس نائب فاعل، وشيئاً مفعول مطلق، أو مفعول ثان لتظلم. ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، واسمها مستتر تقديره: هو يعود على العمل، ومثقال حبة خبر كان، ومن خردل صفة لحبة، وأتينا بها في محل جزم جواب الشرط، وكفى الواو عاطفة، وكفى فعل ماض، والباء حرف جر زائد، وحاسبين تمييز، أو: حال، وأنث ضمير المثقال؛ لأنه أضيف إلى الحبة، وقد مرّت قاعدته.

□ **البلاغة:**

١ ـ وضع الظاهر موضع المضمر: في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ فن لطيف يمكن تسميته وضع الظاهر موضع المضمر، والفائدة منه: التسجيل عليهم، فقد كان مقتضى السياق أن يقول: ولا تسمعون، ولكنه صرح بالصم، وتجاوز بالظاهر عن ضميره للدلالة على تصامهم، وسدّهم أسماعهم إن أنذروا، وللدلالة على صدور إنكار شديد، وغضب عظيم، وتعجّب من نبوّ أسماعهم عن الوحي، وعدم إصاختهم لما ينفعهم، وإمعانهم في ركوب الغي، والتعسّف في متاهات الضلال، وهذا فنٌّ عجيب تميّز به القرآن الكريم، وسيرد عليك الكثير من نماذجه.

٢ ـ إسناد الضمير إلى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ﴾ أسند سبحانه الضمير إلى نفسه تعظيماً للمسلمين الذين أجرى على أيديهم الانتصار العظيم، وافتتاح البلاد والأمصار، وأن عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين، وتأتيها

غالبة عليها، ناقصة من أطرافها، فأصله: تأتي جيوش المسلمين، ولكنه أسند الإتيان إلى نفسه تنويهاً بقدر المجاهدين، وتعظيماً لما أتوا به من جلائل الأعمال، وناهيك بمن يعمل عملاً ينسبه الله إلى نفسه، ألاَ يصح فيه أن يكون مصداقاً لقوله في حديثه: «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها» إلى آخر الحديث القدسي؟!

٣ ـ مبالغات ثلاث:

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ ﴾ ثلاث مبالغات:

آ ـ ذكر المسّ، وهو أقلّ شيء، بل هو شيء رفيق جداً، فما بالك إذا انثال عليهم؟ أي: يكفي للدلالة على ذلّهم، وهو أن أمرهم، ووهن عزيمتهم أن أقلّ مسّ يكفيهم ليذعنوا، ويتطامنوا، ويعلنوا ذلّهم وخضوعهم، والإقرار على أنفسهم بأنهم تصاموا وأعرضوا، وقد رمق المتنبي سماء هذه المبالغة، فقال في وصف قوم جبناء:

وضاقتِ الأرضُ حتى كاد هارِبُهم
إذا رأى غيــرَ شيءٍ ظنَّــه رَجُــلا

ب ـ وما في النفحة من معنى القلة والنزارة، يقال: نفحته الدابة، ونفحه بعطية.

جـ ـ بناء المرة من النفح، فمصدر المرة يأتي على فعلة، أي: نفحة واحدة لا ثاني لها تكفي لتشتيت أمرهم، وتوهين كيانهم، وتصدّع صفوفهم، فكيف إذا عززت بثانية أو ثالثة؟.

* الفوائـــد:

مصدر المرة والهيئة:

مصدر المرة: هو ما يذكر لبيان عدد الفعل ويُبنى من الثلاثي المجرّد على وزن فعلة ـ بفتح الفاء، وسكون العين ـ مثل: وقفت وَقْفَةً، ووقفتين،

ووقفات، فإن كان الفعل فوق الثلاثي ألحقت بمصدره التاء، مثل: أكرمته إكرامة، وفرّحته تفريحة، وتدحرج دحرجة، لا إن كان المصدر ملحقاً في الأصل بالتاء، فيذكر بعده ما يدلّ على العدد، مثل: رحمته رحمة واحدة، وأقمت إقامة واحدة، واستقمت استقامة واحدة.

أما مصدر النوع، أو الهيئة فهو ما ذكر لبيان نوع الفعل وصفته، نحو: وقفت وقفة، ويُبنى من الثلاثي المجرد على وزن فِعلة ـ بكسر الفاء ـ مثل عاش عيشةً حسنة، ومات ميتة سيئة، وفلان حسن الجلسة، وفلانة هادئة المشية، فإن كان الفعل فوق الثلاثي يصير مصدره بالوصف مصدر نوع، مثل: أكرمته إكراماً عظيماً.

هذا؛ وهنا تنبيه هام نبّه عليه الشيخ أبو حيان، وهو: أن هذه التاء الدالة على المرة الواحدة لا تدخل على كلّ مصدر، بل على المصادر الصّادرة عن الجوارح المدركة بالحس، نحو: قومة، وضربة، وقعدة، وأكلة، وأما مصادر الأفعال الباطنة، والخصال الجليلة الثابتة، نحو: الظرف، والحسن، والجبن، والعلم، فلا يقال من ذلك: علمته علمة، ولا فهمته فهمة، ولا صبرته صبرة.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلتَّمَاثِيلُ ﴾: جمع تِمثال ـ بكسر التاء ـ أي: الصورة المصورة، أو

ما تصنعه وتصوّره مشبهاً بخلق الله من ذوات الروح والصورة، وهذا الوزن فيه زائدان: أحدهما: قبل الفاء، والآخر: قبل اللام، وقد جاء اسماً وصفة. فالاسم تمثال للصورة، ويجمع على تماثيل، وقالوا: تجفاف، وتبيان، فالتجفاف واحد تجافيف الفرس، وهو: ما يلبس عند الحرب والزينة، وتبيان بمعنى البيان، فمنهم من يجعله مصدراً من قبيل الشاذ؛ لأن المصادر إنما تجيء على تفعال بالفتح، نحو: التلعاب، والتهدار، ولم يجىء بالكسر إلا تبيان، وتلقاء، وسيبويه يجعلهما من الأسماء التي وضعت موضع المصادر كالغارة وضعت موضع الإغارة. وقال غير واحد من علماء اللغة: التمثال هو: الصورة المصنوعة من رخام، أو نحاس، أو خشب، شبيهة بخلق الآدمي.

○ الإعراب:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في قصص الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ تسلية لرسوله ﷺ فيما يكابده من قومه، وتقوية لقلبه، وحفزاً لاستدامته في تأدية الرسالة، وذكر منها في هذه السورة عشر قصص، وستأتي.

واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وآتينا فعل وفاعل، وموسى مفعول به، وهارون معطوف على موسى، والفرقان مفعول به ثان، وضياء عطف على الفرقان، وذكراً عطف على ضياء، وللمتقين متعلقان بضياء، وعطف الصفات جائز، فهو من هذا الوادي، واختار الزمخشري أن يعرب حالاً، وعامله محذوف دلّ عليه ما قبله، وقدره: وآتينا به ضياء، أما ما ارتآه بعضُهم من أنّ الواو زائدة، وضياء حال من الفرقان، فهذا مجرد تحكّم لا تردّد في ردّه. ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ الذين اسم موصول في محل جرّ صفة للمتقين، ولك أن تعربه خبراً لمبتدأ محذوف، أي: هم الذين، وجملة يخشون صلة، والواو فاعل، وربهم مفعول به، وبالغيب حال من الفاعل في يخشون، وهم الواو عاطفة، أو حالية، وهم مبتدأ، ومن الساعة جار ومجرور متعلقان بمشفقون، ومشفقون خبر هم،

وسيأتي سرُّ التعبير بالاسمية في باب البلاغة. ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة لخطاب أهل مكة، ومحاورتهم حول القرآن الكريم؛ الذي أنزل بلسانهم، وهذا مبتدأ، وذكر خبر، ومبارك صفة، وجملة أنزلناه صفة لذكر، وهو فعل وفاعل ومفعول به، والهمزة للاستفهام التوبيخي؛ لأنه خطاب للعرب وهم أهلُ اللسان العربي، ومعادن الفصاحة، فما أجدرهم باكتناه أسرار القرآن، وإدراك بلاغته، والفاء عاطفة على محذوف، وأنتم مبتدأ، وله متعلقان بمنكرون، ومنكرون خبر أنتم. ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ الواو عاطفة، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وآتينا فعل وفاعل، وإبراهيم مفعول به أول، ورشده مفعول به ثان، ومن قبل حال، أي: من قبل موسى وهارون، وكنا: الواو عاطفة، وكان واسمها، وبه متعلقان بعالمين، وعالمين خبر كنا. ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ الظرف متعلق بفعل محذوف، أي: اذكر، ولك أن تعلقه بعالمين، وعلّقه الزمخشري بآتينا. أو برشده أيضاً، وليس ثمة ما يمنع من ذلك، وجملة قال مضاف إليها الظرف، ولأبيه متعلقان بقال، وقومه عطف على لأبيه، وما اسم استفهام مبتدأ، وهذه خبر، والتماثيل بدل من اسم الإشارة، والتي صفة، وجملة أنتم لها عاكفون صلة الموصول، وأنتم مبتدأ، وعاكفون خبر، ولها متعلقان بعاكفون، وسيأتي السر في عدوله عن القول «عليها عاكفون» إلى «لها عاكفون» في باب البلاغة. ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ قالوا فعل وفاعل، ووجدنا فعل وفاعل، والجملة مقول القول، وآباءنا مفعول وجدنا الأول، ولها متعلقان بعابدين، وعابدين مفعول وجدنا الثاني. ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ اللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وكنتم كان واسمها، وأنتم تأكيد للتاء، وآباؤكم عطف على التاء، وفي ضلال خبر كنتم، ومبين صفة لضلال. ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾ الهمزة للاستفهام، وجئتنا فعل وفاعل ومفعول به، وبالحق

متعلقان بجئتنا، وأم حرف عطف معادل للهمزة، وأنت مبتدأ، ومن اللاعبين خبره.

□ البلاغة:

١ ـ العدول عن الفعلية إلى الاسمية: في قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ عدول عن الخطاب بالجملة الفعلية، كما هو مقتضى السياق إلى الخطاب بالجملة الاسمية، وإنما يعدل عن أحد الخطابين ـ وإن كان السياق يقتضيه ـ لضرب من التأكيد والمبالغة، وقد جيء بها هنا تنويهاً بالخاص بعد العام، فالخشية من الله ملازمة لهم، ولكنها من الساعة أكثر ملازمة، وأشد امتلاكاً لقلوبهم، وأسْراً لجوارحهم، ما يريمون عن تذكّرها، وتفادي كلّ ذنب خشية مواجهتها بما هم فيه، وأمر ثان هو: الديمومة، والاستمرار اللذان تفيدهما الجملة الاسمية أكثر مما تفيدهما الجملة الفعلية التي تتوزّع على الأزمنة.

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾؟ عدول عن «على» التي يتعدّى فعل العكوف بها، ولكنه لم يقصد التعدية، ولو قصد التعدية لقال عليها، ولكنه عدل عنها إلى اللام؛ لأنه قصد من العكوف معنى العبادة ليجيبوه بقولهم: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ وأنهم لا ينفكون عن التقليد الأعمى، وفي ذلك ما فيه من التنديد بالتقليد، والقول بغير برهان، والانجرار إلى ما عليه آباؤهم ولو بالأرسان، وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الأوثان والأصنام منهم، وقيل: إن اللام بمعنى على، وقد نصّ النحاة على مجيئها بمعنى على، ولكن تفوت بذلك النكتة التي ألمعنا إليها، فالأولى بقاؤها على بابها من الاختصاص؛ الذي هو معنى رئيسي للاّم.

٣ ـ خولف بين الجملتين في الآية: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ لملاحظة تجدّد في إحداهما، فبرزت في صورة الفعلية، وثبات في الأخرى، فبرزت في صورة الاسمية، والمعنى: أحدثت عندنا الإتيان بالحق، وهو

التوحيد، فيما نسمعه منك، أم أنت على ما كنت عليه من اللعب منذ أيام الصبا، وأرادوا بالتجدد في الجملة الأولى: أن التوحيد أمر محدث مخترع، وبالثبات في الثانية أنه على عادتهم المستمرّة من اللعب تحقيراً له، وما أقبح ضلالهم في تقليد آبائهم في عبادة جماد هو دونهم في الرتبة، حيث ينحتونها بأيديهم، ثم يعفرون وجوههم وجباههم دونها.

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿جُذَٰذًا﴾ في القاموس: الجذاذ بتثليث الجيم: ما تكسّر من الشيء، وفعله: جذّ يجذّ، من باب: نصر، وقد تقدمت الخصائص لاجتماع الجيم والذال فاء وعيناً للكلمة.

○ **الإعراب:**

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ بل حرف إضراب، وربكم مبتدأ، ورب السموات والأرض خبر، والذي صفة لرب، وجملة فطرهن صلة، والضمير يعود على السموات والأرض، أو على التماثيل، ورجّح الزمخشري الثاني لكونه: «أدخل في تضليلهم، وأثبت للاحتجاج عليهم» ويدل على ذلك أيضاً قوله: ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ كأنه قال: وسأبين لكم ذلك، وأبرهن عليه، وأنا مبتدأ، خبره من الشاهدين، وعلى ذلك متعلقان بالشاهدين. ﴿وَتَٱللَّهِ

لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ وهذا شروع في تأكيد الطريقة الفعلية، أو الدليل العملي كما يقال، فالواو عاطفة، والتاء تاء القسم، وسيرد بحث هامّ عن حروف القسم الجارة في باب الفوائد، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره: أقسم، واللام جواب القسم، وأكيدن فعل مضارع مبني على الفتح لوجوب توكيده بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنا، وأصنامكم مفعول به، وبعد ظرف متعلق بأكيدن، وأنا وما في حيزها مصدر مؤول مضاف إلى الظرف، ومدبرين حال، أي: تعودوا إلى مجتمعاتكم. ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ الفاء عاطفة على محذوف تقديره: فولوا، وعادوا إلى مجتمعاتهم، وذهب معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى بنفسه، وقال: إني سقيم، وأشتكي رجلي، فتركوه، ومضوا، فرجع إبراهيم إلى بيت الأصنام، وقبالة الباب صنم عظيم، وإلى جنبه أصغر منه، وهكذا دواليك، فقال لهم إبراهيم: ألا تأكلون؟ فلم ينبس أحد، فانهال عليهم تكسيراً فجعلهم. . . والقصة بكاملها مروية في الخازن، وغيره. وجعلهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول، وجذاذاً مفعول به ثان، وإلا أداة استثناء؛ لأن الكلام تام موجب، وكبيراً مستثنى من الهاء، أي: لم يكسره وتركه لحبك النكتة واستكمال الهزء بهم، ولعل واسمها، وإليه متعلقان بيرجعون، وجملة يرجعون خبر لعل، وفي هذا من التهكم ما فيه. ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قالوا فعل وفاعل، ومن اسم استفهام قصد به الإنكار مبتدأ، وجملة فعل خبر، وهذا مفعول فعل، وبآلهتنا متعلقان بفعل، ولم يشيروا إليها بهؤلاء، وهي أمامهم لوضع الظاهر موضع المضمر، وقد تقدّم بحثه، وجملة إنه لمن الظالمين مستأنفة، مسوقة لتقرير ما تقدم، وتأكيد استنكارهم لما حدث، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومن الظالمين خبر إن. ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ جملة سمعنا مقول القول، وفتى مفعول سمعنا، وجملة يذكرهم مفعول به ثان، وستأتي خاصة فعل سمع في باب الفوائد، وجملة يقال

صفة لفتى، وله متعلقان بيقال، وإبراهيم: في رفعه عدة أوجه متساوية الرجحان:

أولها: أنه نائب فاعل يقال: أي: يقال له هذا اللفظ، قال الزمخشري: وهو الصحيح؛ لأن المراد الاسم لا المسمى.

وثانيها: أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: هو إبراهيم، أو: هذا إبراهيم.

وثالثها: أنه مبتدأ محذوف الخبر، أي: إبراهيم فاعل ذلك.

ورابعها: أنه منادى، وحرف النداء محذوف، أي: يا إبراهيم.

﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ فائتوا: الفاء الفصيحة، وائتوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وبه متعلقان بقوله فائتوا، وعلى أعين الناس في محل نصب على الحال من الضمير المجرور بالباء، أي: ائتوا به حال كونه معايناً مشاهداً، وسيأتي سرّ الاستعلاء في هذا التعبير، ولعلهم لعل واسمها، وجملة يشهدون خبرها، أي: يشهدون عليه أنه الفاعل.

* الفوائـد:

في هذه الآيات فوائد كثيرة، نورد أهمها فيما يلي:

١ ـ حروف القسم: أصل حروف القسم: الباء، والواو مبدلة منها، وإنما قلنا ذلك؛ لأنها حرف الجر الذي يضاف به فعل الحلف إلى المحلوف، وذلك الفعل أحلف، أو أقسم، أو: نحوهما، ولكنه لما كان الفعل غير متعدّ وصلوه بالباء المعدية، فصار أحلف بالله، أو أقسم بالله، قال الله تعالى: ﴿۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾، وقال الشاعر:

أقسـم بـالله وآلائـه والمـرءُ عمّـا قـال مسـؤول

وقال زهير بن أبي سلمى:

فأقسمتُ بالبيتِ الذي طافَ حولَه
رجالٌ بَنَوْهُ من قُريشٍ وجُرْهُمِ

وإنما خص الباء بذلك دون غيره من حروف الجر لأمور :

آ ـ أنه يجوز ذكر فعل القَسم معها كما رأيت في الشواهد المتقدمة، ولا يجوز ذلك في الواو والتاء، فلا تقول : أقسم والله، ولا أقسم تالله.

ب ـ جواز دخولها على الضمير دون غيرها من الحروف، تقول : بك لأفعلن، ولا تقول : تك، ولا وك، ومعروف أن الضمير يرد الشيء إلى أصله.

جـ ـ استعمالها في القَسم الاستعطافي، وذلك أن القسم جملة إنشائية يقصد بها تأكيد جملة أخرى، فإن كانت هذه الجملة الأخرى إنشائية أيضاً، فذلك هو القسم الاستعطافي، نحو : بالله هل قام زيد؟ أي : أسألك بالله مستحلفاً. ومن القسم الاستعطافي بالباء قول المجنون :

بربِّك هل ضَمَمْتَ إليكَ ليلى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أو قَبَّلْتَ فاها؟

د ـ اختصاص الباء دون الواو والتاء بمجيئها لغير القسم، وهو ظاهر.

ولما كثر استعمال ذلك في الحلف آثروا التخفيف، فحذفوا الفعل من اللفظ، وهو مرادٌ ليعلق حرف الجر به، ثم أبدلوا الواو من الباء توسعاً في اللغة، ولأنها أخفّ لأن الواو أخف من الباء، وحركتها أخف من حركة الباء، وإنما خصوا الواو بذلك لأمرين :

آ ـ أنها من مخرج الباء، أي : من الشفتين.

ب ـ من جهة المعنى، وذلك أن الباء معناها الإلصاق والواو، معناها : الاجتماع، والشيء إذا لاصق الشيء فقد جاء معه.

وأما التاء فهي مبدلة من الواو لأنه قد كثر إبدالها في نحو : تكأة، وتراث، وتخمة لشبهها من جهة اتساع المخرج، وهي من الحروف المهموسة، فناسب همسها لين حروف اللين، ولما كانت الواو بدلاً من الباء، والبدل ينحط عن درجة الأصل؛ فلذلك لا تدخل إلا على كل ظاهر، ولا تدخل على المضمر؛ لانحطاط الفرع عن درجة الأصل؛ لأنه من المرتبة الثانية، والتاء لما كانت بدلاً

من الواو، وكانت من المرتبة الثالثة، انحطت عن درجة الواو، فاختصت باسم الله تعالى لكثرة الحلف به، وقد يكون فيها معنى التعجب، قال الله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ ﴾ على طريق التعجب، وكالآية التي نحن بصددها، كأنه تعجّب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه؛ لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه، أو مشكوكاً فيه على الأقل لتعذّره، وصعوبته.

٢ ـ خصائص فعل سمع:

لهذا الفعل خصائص عجيبة، وذلك أنه إذا دخل على ما لا يسمع تعدى لاثنين كما في الآية الكريمة، فالمفعول الأول فتى، والثاني يذكرهم، بخلاف ما لو دخلت على ما يسمع، كأن قلت: سمعت كلام زيد فإنها تتعدّى لواحد.

٢ ـ معنى الاستعلاء:

معنى الاستعلاء: العلو، فالسين والتاء للعلو لا للطلب، ويكون الاستعلاء على نوعين حقيقي، نحو: ﴿ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴾ ومجازي نحو: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ شبه التمكن من الهدى، والأخلاق العظيمة الشريفة، والثبوت عليها بمن على دابة يصرفها كيف شاء، وكذلك قولهم: عليه دين؛ كأن شيئاً اعتلاه، وكما في قوله: ﴿ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ ﴾ أي: يثبت إتيانه في الأعين، ويتمكن منها ثبات الراكب على المركوب، وتملكه منه.

﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا

يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

○ الإعراب:

﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ الهمزة للاستفهام، وأنت مبتدأ، وجملة فعلت خبر، وهذا مفعول به، وبآلهتنا متعلقان بفعلت، ويا حرف نداء، وإبراهيم منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب منادى. ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ بل حرف إضراب، وفعله كبيرهم فعل ومفعول به وفاعل مؤخر، وهذا نعت لكبيرهم، أو بدل منه، والفاء الفصيحة، واسألوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به، وإن شرطية، وكانوا فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والواو اسمها، وجملة ينطقون خبرها، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله، أي: فاسألوهم. ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الفاء عاطفة، ورجعوا فعل ماض وفاعل، وإلى أنفسهم متعلقان برجعوا، فقالوا عطف على فرجعوا، وإنكم إن واسمها، وجملة أنتم الظالمون خبرها، ولك أن تجعل أنتم ضمير فصل، والظالمون خبر إن ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ ثم حرف عطف للتراخي، وسيأتي معنى التنكيس في باب البلاغة، ونكسوا فعل ونائب فاعل، وعلى رؤوسهم حال، أي: كائنين على رؤوسهم، ولك أن تعلقّه بنفس الفعل، ومعنى التنكيس: القلب، يقال: نكس رأسه ونكسه، مخففاً ومشدداً، أي: طأطأه حتى صار أعلاه أسفله، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وعلمت فعل وفاعل، والخطاب لإبراهيم، والجملة معمول لقول محذوف في موضع الحال، وما نافية حجازية، وهؤلاء اسمها، وجملة ينطقون خبرها، وجملة ما هؤلاء ينطقون في موضع المفعولين لعلمت، أو في موضع المفعول الواحد إن كانت

علمت بمعنى عرفت. ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على محذوف، وتعبدون فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، ومن دون الله حال، وما مفعول به، وجملة لا ينفعكم صلة، وشيئاً مفعول مطلق، ولا يضركم عطف على لا ينفعكم. ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أف اسم فعل مضارع، وقد تقدّمت اللغات فيها، ومعناه: أتضجر، ولكم متعلقان بمحذوف حال؛ لأن اللام للبيان بالنسبة للمتأفف، ولما تعبدون عطف على لكم، وجملة تعبدون صلة، ومن دون الله حال، أفلا: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على محذوف، ولا نافية، وتعقلون فعل مضارع، والواو فاعل. ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ حرقوه فعل أمر وفاعل ومفعول به، والجملة مقول القول، وانصروا فعل أمر وفاعل، وآلهتكم مفعول به، وإن شرطية، وكنتم فعل الشرط، والتاء: اسم كان، وفاعلين خبرها، وجواب إن محذوف دلّ عليه ما قبله، أي: فحرقوه، وانصروا آلهتكم. ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ لابد من تقدير جمل محذوفة، أي: فأزمعوا أمرهم على حرقه، فجمعوا الحطب الكثير، وأضرموا النار، وأوثقوا إبراهيم، وجعلوه في منجنيق، ورموه في النار، وقلنا فعل وفاعل، ويا حرف نداء، ونار منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب، وكوني فعل أمر ناقص، والياء اسمها، وبرداً خبرها، وسلاماً عطف على برداً، وعلى إبراهيم صفة سلاماً. ﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ الواو حرف عطف، وأرادوا فعل ماض وفاعل، وبه متعلقان بأرادوا، وكيداً مفعول به، فجعلناهم: الفاء حرف عطف، وجعلناهم عطف على أرادوا، والأخسرين مفعول به ثان.

□ البلاغة:

١ ـ تجاهل العارف: في قوله: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ فن طريف من فنونهم يسمى: «تجاهل العارف» وهو سؤال المتكلم عما يعلمه

حقيقة تجاهلاً منه؛ ليخرج الكلام مخرج المدح، أو الذم، أو ليدل على شدة الوله في الحب، أو لقصد التعجب، أو التوبيخ، أو التقرير، وهو على قسمين: موجب، ومنفي، والآية التي نحن بصددها من التجاهل الموجب، الجاري مجرى التقرير.

٢ ـ التعريض: في قوله: ﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ فن التعريض، وقد تقدمت الإشارة إليه أكثر من مرة، أراد عليه الصلاة والسلام أن يبيِّن لهم أن من لا يتكلم ولا يعلم ليس بمستحق للعبادة، ولا يصح في العقل أن يطلق عليه أنه إله، فأخرج الكلام مخرج التعريض لهم بما يوقعهم في الاعتراف بأن الجمادات التي عبدوها ليست بآلهة؛ لأنهم إذا قالوا لا ينطقون قال لهم: فكيف تعبدون من يعجز عن النطق ويقصر عن أن يعلم بما يقع عنده في المكان الذي هو فيه، فهذا الكلام من فرض الباطل مع الخصم حتى تلزمه الحجة، ويعترف بالحق؛ فإن ذلك أقطع لشبهته، وأدفع لمكابرته.

﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الواو عاطفة، ونجيناه فعل وفاعل ومفعول به، ولوطاً معطوف على الهاء، أو مفعول معه، والواو واو المعية، وهو ابن أخيه، فنقلناه من أرض نمروذ بالعراق، إلى

الأرض متعلقان بنجيناه، أو بمحذوف حال، والتي صفة للأرض، وجملة باركنا فيها للعالمين صلة، وفيها حال، وللعالمين متعلقان بباركنا، وهي قرى بيت المقدس بفلسطين، وسيأتي بحث هام عن فلسطين لغة في باب الفوائد. ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ الواو حرف عطف، ووهبنا فعل وفاعل، وله متعلقان بوهبنا، وإسحاق مفعول به، ويعقوب عطف على إسحاق، ونافلة حال من يعقوب، أي: أعطي يعقوب زيادة من غير سؤال، وإذا جعلت معنى نافلة عطية، فيكون انتصابها على المفعولية المطلقة من معنى العامل، وهو وهبنا؛ لأن الهبة والعطية متقاربان في المعنى، وكلاً مفعول أول لجعلنا مقدم، وجعلنا فعل وفاعل، وصالحين مفعول به ثان. ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ وجعلناهم فعل وفاعل ومفعول به، وأئمة مفعول به ثان، وجملة يهدون بأمرنا صفة لأئمة، وبأمرنا حال، أي: يهدون إلى ديننا متلبسين بأمرنا. ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ وأوحينا عطف إلى ما تقدم، وإليهم متعلقان بأوحينا، وفعل الخيرات مفعول به، وإقام الصلاة عطف على فعل الخيرات، وكذلك إيتاء الزكاة، وكانوا: الواو عاطفة، وكانوا كان واسمها، وعابدين خبرها، ولنا متعلقان بعابدين. ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ ولوطاً منصوب بفعل محذوف يفسّره ما بعده، أي: آتينا لوطاً، فهو من باب الاشتغال، وجملة آتيناه مفسرة لا محل لها، وحكماً مفعول ثان لآتيناه، وعلماً معطوف على حكماً. ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴾ ونجيناه فعل وفاعل ومفعول به، ومن القرية متعلقان بنجيناه، والتي صفة للقرية، وجملة كانت صلة، واسم كانت ضمير مستتر تقديره: هي، وجملة تعمل الخبائث خبر كانت، وجملة إنهم تعليلية لا محل لها، وإن واسمها، وجملة كانوا خبرها، وقوم خبر كانوا، وسوء مضاف لقوم، وفاسقين صفة لقوم. ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ في رحمتنا متعلقان بأدخلناه، وجملة إنه من الصالحين تعليلية، وإن واسمها، والجار والمجرور خبرها.

□ البلاغة:

في هذه الآيات مجازان:

الأول في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ والمراد: أهلها؛ لأنهم كانوا يمارسون الخبائث، أي: الأعمال القبيحة من اللواط، والرمي بالبندق، واللعب بالطيور، وغيرها.

والثاني في قوله: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي: في جنتنا؛ لأنها مكان الرحمة، فهو مجاز مرسل علاقته المحلية.

* الفوائـــد:

١ ـ فلسطين:

فلسطين ـ بفتح الفاء وكسرها ـ مع فتح اللام لا غير: قرى بيت المقدس. وفي القاموس: «فلسطون وفلسطين، وقد تفتح فاؤهما: كورة بالشام، وقرية بالعراق، تقول في حال الرفع بالواو، وفي حال النصب والجر بالياء، أو تلزمها الياء في كل حال، والنسبة فلسطي» هذا، ويجوز في هذا النوع، أي: المسمى بجمع المذكر السالم أن يعرب بالحركات الثلاثة ظاهرة على النون، حال كونه لم يكن أعجمياً، وإن كان أعجمياً أعرب إعراب ما لا ينصرف، أي: لا ينون، ويجرّ بالفتحة، ويجوز فيه أن يعرب إعراب جمع المذكر السالم.

٢ ـ إقام الصلاة وإيتاء الزكـــاة:

﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ القاعدة في مصدر الفعل الرباعي على وزن أفعل أن يأتي على إفعال، إن كان صحيح العين، نحو: أكرم إكراماً، وأوجد إيجاداً، فإن اعتلت عينه، نحو: أقام، وأعان، وأبان، جاء مصدره على إفالة كإقامة، وإعانة، وإبانة، حذفت عين المصدر، وعوض منها تاء التأنيث، والأصل: إقوام، وإعوان، وإبيان، فنقلت حركة الواو والياء ـ وهي الفتحة ـ إلى الحرف الساكن قبلهما، ثم حذفتا فراراً من اجتماع

الساكنين، وعوض منها التاء، وقد تحذف هذه التاء من المصدر إذا أضيف، كقوله تعالى ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ وما كان منه معتلّ اللام مثل: أعطى، وأهدى، وأولى، قلبت لامه في المصدر همزة، مثل: إعطاء، وإهداء، وإيلاء، والأصل إعطاو، وإهداي، وإيلاي. قال في شرح القاموس: «العرب تهمز الواو والياء إذا جاءتا بعد ألف؛ لأن الهمزة أحمل للحركة منهما، ولأنهم يستثقلون الوقف على الواو، وكذلك الياء مثل الرداء، أصله: رداي» هذا؛ ويرجع في هذا إلى بحث الإبدال في كتب النحو المطوّلة.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱلْحَرْثِ﴾ الزرع، وبابه: نصر، أو: كتب، كما في المختار، وفي القاموس: الحرث مصدر، والأرض التي تستنبت بالبذور، والنوى، والغرس. قال ابن عباس وأكثر المفسرين: إن الحرث كان كرماً قد تدلّت عناقيده، وقيل: كان زرعاً.

﴿ نَفَشَتْ ﴾ تفرقت، وانتشرت فيه، فرعته، وأفسدته. وفي المختار: «نفشت الغنم والإبل، أي: رعت ليلاً بلا راع، من باب: جلس... والنَّفَش ـ بفتحتين ـ اسم منه، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ ولا يكون النفش إلا بالليل» ونفش الصوف والقطن، من باب: نصر، والنفش: تشعيب الشيء بأصابعك حتى ينتشر.

﴿ لَبُوسٍ ﴾: اللبوس: اللباس. قال: «البس لكل حال لبوسها» والمراد: الدرع. قال قتادة: كانت صفائح، فأول من سردها وخلقها داود، فجمعت الخفة والتحصين، وهي المسماة بالدرع، والدرع ـ كما في المختار ـ مؤنثة، وقال أبو عبيدة: تؤنث وتذكر.

○ الإعراب:

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ونوحاً عطف على لوطاً، فيكون مشتركاً معه في عامله؛ الذي هو آتينا المفسّر بآتينا الظاهر، وكذلك داود وسليمان، والتقدير: ونوحاً آتيناه حكماً، وداود وسليمان آتيناهما حكماً، فإذ بدل اشتمال من نوحاً وداود وسليمان، ولك أن تعربه مفعولاً به لفعل محذوف، أي: واذكر نوحاً وداود وسليمان، أي: اذكر خبرهم وقصتهم، فتكون إذ منصوبة بنفس المضاف المقدر، أي: خبرهم الواقع في وقت كذا، وجملة نادى مضاف إليها، ومن قبل متعلقان بنادى، فاستجبنا عطف على نادى، وله متعلقان باستجبنا، فنجيناه عطف على استجبنا ومن الكرب متعلقان بنجيناه، والعظيم صفة. ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ونصرناه فعل وفاعل ومفعول به، ومن القوم متعلقان بنصرناه، والذين صفة للقوم، وجملة كذبوا بآياتنا صلة، وإن واسمها، وجملة كانوا خبرها، وجملة إنهم تعليلية لا محل لها، وقوم سوء خبر كانوا، فأغرقناهم عطف على ما تقدم، وأجمعين تأكيد للهاء. ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ وداود وسليمان تقدم إعرابهما، وإذ

ظرف بدل من المضاف المحذوف، أي: اذكر قصة داود وسليمان، وجملة يحكمان مضافة إليها، وفي الحرث متعلقان بيحكمان، وإذ ظرف متعلق بدل من المضاف المحذوف، وجملة نفشت مضاف إليها، وفيه جار ومجرور متعلقان بنفشت، وغنم القوم فاعل، وستأتي خلاصة القصة في باب الفوائد. وكنا: الواو عاطفة، وكان واسمها، وشاهدين خبرها، ولحكمهم متعلقان بشاهدين، وجمع الضمير لأنه أرادهما والمتحاكمين إليهما، أو أنه ضمير يراد به المثنى، وإنما وقع الجمع مقام التثنية مجازاً، أو: لأن التثنية جمع، وأقل الجمع اثنان، ويدل على أن المراد التثنية قراءة ابن عباس لحكمهما بصيغة التثنية. ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ففهمناها عطف على يحكمان؛ لأنه بمعنى الماضي، أي: فهمناه الصواب فيها، وفهمناها فعل وفاعل ومفعول به، وسليمان مفعول به ثان، وكلاً مفعول أول مقدم لآتينا، وحكماً وعلماً مفعول به ثان لآتينا. ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ وسخرنا فعل وفاعل، ومع ظرف مكان متعلق بسخرنا، وداود مضاف إليه، والجبال مفعول به، وجملة يسبحن حالية من الجبال، أي: مسبحة، ويجوز أن تكون مستأنفة، والطير عطف على الجبال، أو مفعول معه، وكنا الواو عاطفة، وكان واسمها، وفاعلين خبرها. ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ وعلمناه عطف على ما تقدم، وعلمناه فعل وفاعل ومفعول به، وصنعة مفعول ثان لعلمناه، ولبوس مضاف، ولكم يجوز أن تتعلق بمحذوف صفة للبوس، فاللام للتمليك، ويجوز أن تتعلق بعلمناه، فتكون اللام للتعليل، وعلى هذا يكون قوله ﴿لِتُحْصِنَكُمْ﴾ بدلاً بإعادة اللام، أي: لكم ولإحصانكم، وعلى الوجه الأول يتعلق قوله ﴿لِتُحْصِنَكُمْ﴾ بعلّمنا، ولتحصنكم: اللام للتعليل، وتحصنكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: هي، والكاف مفعول به، ومن بأسكم متعلقان بتحصنكم، والفاء استئنافية، وأنتم مبتدأ، وشاكرون خبر. ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ الواو عاطفة، ولسليمان متعلقان بفعل محذوف تقديره: سخرنا،

والريح مفعول به للفعل المحذوف المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ﴾ وعاصفة حال، وجملة تجري بأمره حال ثانية، وإلى الأرض متعلقان بتجري، والتي صفة، وجملة باركنا فيها صلة. ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ الواو عاطفة، وكنا: كان واسمها، وبكل شيء متعلقان بعالمين، وعالمين خبرها. ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ ومن الشياطين خبر مقدم، ومن يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة مبتدأ مؤخّر، ولك أن تعطفها نسقاً على الريح، وجملة يغوصون صلة أو صفة، وجمع الضمير حملاً على معنى من، وحسّن ذلك تقدم جمع ما قبله، وله متعلقان بيغوصون. ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ ويعملون عطف على يغوصون، وعملاً مفعوله به، أو مفعول مطلق، ودون ظرف متعلق بمحذوف صفة، وذلك مضاف إليه، وكنا: كان واسمها، وحافظين خبرها، ولهم متعلقان بحافظين.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ﴾... الخ فن جمع المختلف والمؤتلف، وهو عبارة عن: أن يريد المتكلم التسوية بين ممدوحين، فيأتي بمعانٍ مؤتلفة في مدحهما، ثم يروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص مدح الآخر، فيأتي لأجل ذلك الترجيح بمعانٍ تخالف معاني التسوية، وقبل أن نتحدث عن الآية نورد أبياتاً للخنساء، توضّح هذا الفن بجلاء نظمتها في أخيها صخر، وقد أرادت مساواته في الفضل بأبيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الولد، فقالت:

جارى أباهُ فأقبلا وهُما ... يَتَعاوَرانِ مُلاءةَ الحُضْرِ
وهما وقد برزا كأنّهما ... صَقْرانِ قد حطّا إلى وَكْرِ
حتى إذا نَزَتِ القلوبُ وقدْ ... لُزَّتْ هناك العُذْرُ بالعُذْرِ
وَعَلا هُتافُ الناسِ أيّهما؟ ... قال المجيبُ هُناك: لا أدري
برقتْ صحيفةُ وجهِ والدِه ... ومضى على غلوائِه يجري

أولـى فـأولـى أن يسـاوِيَـهُ لـولا جَـلالُ السِّـنِّ والكِبْـرِ

فلنتكلم الآن على الآية والأبيات معاً لتتضح لك حقيقة هذا الفن العجيب: ففي الآية ساوى أول الآية بين داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ في أهلية الحكم، ثم رجح آخرُها سليمان حيث يقول: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ وحصل الالتفات إلى مراعاة السياق، فأتى بما يقوم مقام تلك الزيادة التي يرجح بها سليمان لترشد إلى المساواة في الفضل؛ لتكون فضيلة السن، وما يستتبعها من وفرة التجارب، وحنكة الحياة قائمة مقام الزيادة؛ التي رجح بها سليمان في الحكم، أما معنى شعر الخنساء فإنها بعد قولها في المساواة:

وهُمـا وقـد بـرزا كـأنَّهمـا صقـرانِ قـد حطّـا إلى وَكْـرِ

وبعد قولها فيها أيضاً:

حتـى إذا نَـزَتِ القلـوبُ وقـدْ لـزَّتْ هنـاك العُـذْر بـالعُـذْرِ

تريد: أن عذر اللجم لزّ بعضها بعضاً، والعذر جمع عذار، وهو: السير الذي يكون على خدّ الدابة من اللجام، وهذا يدلُّ على المساواة في العدو، ثم قالت في ترجيح الوالد:

بـرقـتْ صحيفـةُ وجـهِ والـده ومضـى على غلـوائِـه يجـري

تعني: أنه خرج وجهه من الغبار دون وجه رسيله سبقاً.

ثم قالت في إلحاق الولد بالوالد في الفضل:

أولى فـأولى أن يسـاوِيَـه لـولا جـلالُ السِّـنِّ والكِبْـرِ

تريد: أن الولد كان قادراً على مساواة الوالد، لولا ما التزمه من الأدب مع برّ أبيه، ومعرفته بحقه، فغض من عنانه، وخفض جناح فضله؛ ليؤثر أباه بالفضل على نفسه.

والآية الكريمة ساوت بين داود وسليمان في التأهل للحكم، وشركت بينهما فيه حيث قالت: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ وأخبرت أنّ الله سبحانه

فهم سليمان إصابة الحكم، ففضل أباه بذلك بعد المساواة، ثم التفت سبحانه إلى مراعاة حق الوالد، فقال: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ فرجعا بذلك إلى المساواة بعد ترجيح سليمان ليعلِّم الولد بذلك برّ الوالد، ويعرفه ما له عليه من الحق حتى إذا فكر الناظر في هذا الكلام، وقال: من أين جاءت المساواة في الحكم والعلم بعد الإخبار بأن سليمان فهم من الحكم ما لم يفهمه أبوه؟ علم أن حقّ الأبوة قام مقام تلك الفضيلة، فحصلت المساواة، وحصل في هذا الكلام من الزيادة على معنى الخنساء بعد اشتراكهما في جمع المختلف والمؤتلف ضرب آخر من المحاسن يقال له: الالتفات، وذلك في قوله تعالى فيها: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ وأدمج في هذا الالتفات ضرباً آخر من المحاسن يقال له: «التنكيت» فإن النكتة التي من أجلها جمع الضمير الذي كان من حقه أن يكون مثنى، هي الإشارة إلى أن هذا الحكم متبع يجب الاقتداء به؛ لأنه عين الحق، ونفس العدل، وكيف لا يكون كذلك، وقد أخبر سبحانه أنه شاهد له، أي: هو مراعى بعينه عز وجل، ويجوز أن يكون جمع الضمير الذي أضيف إليه الحكم من أجل أن الحكم يستلزم حاكماً ومحكوماً له ومحكوماً عليه، فجمع الضمير لأجل ذلك.

هذا؛ ومن الطريف ما قيل في جمع المؤتلف والمختلف قول الخبزأرزي، واسمه: نصر الله بن أحمد البصري، وكان أمياً، يخبز خبز الأرز في البصرة، وينشد أشعار الغزل، فقد قال:

رأيت الهلالَ ووجهَ الحبيب ... فكانا هلالين عند النّظر

فلم أدرِ من حيرتي فيهما ... هلالَ السَّما من هلالِ البشر

ولولا التورُّدُ في الوجنتين ... وما لاح لي من خلال الشّعر

لكنتُ أظنُّ الهلالَ الحبيب ... وكنت أظنُّ الحبيب القمر

فقد سوّى بينهما أولاً، ثم رجع ففضّل الحبيب على الهلال.

* الفوائـــد:

* قصة حكم داود وسليمان في الحرث:

سنلخّص قصة حكومة داود وسليمان في الحرث لما انطوت عليه من طرافة؛ لتكون حافزاً لأقلام كتاب القصة على ترجمتها على غرار قصة أهل الكهف، فقد روى التاريخ: أن رجلين دخلا على داود ـ عليه السلام ـ أحدهما: صاحب حرث، والآخر: صاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إن هذا انفلتت غنمه، فوقعت في حرثي فأفسدته، فلم تبق منه شيئاً، فأعطاه داود رقابَ الغنم في الحرث، فخرجا فمرّا على سليمان، وهو ابن إحدى عشرة سنة، فقال: كيف قضى بينكما؟ فأخبراه، فقال سليمان: لو وليت أمركما لقضيتُ بغير هذا، وروي أنه قال: غير هذا أرفق بالفريقين، فأخبر بذلك داود، فدعاه، فقال: كيف تقضي؟ ويروى أنه قال: بحق النبوة والأبوة إلا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين، قال: أدفع الغنم إلى صاحب الزرع ينتفع بدرّها، ونسلها، وصوفها، ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهيئته دفع إلى أهله، وأخذ صاحب الغنم غنمه، فقال داود: القضاء ما قضيت، كما قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: علمناه القضية.

ويروى: قال سليمان: أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها، وأولادها، وأصوافها، والحرث إلى أرباب الشاء يقومون عليه، حتى يعود كهيئته يوم أفسد، ثم يترادّان، فقال: القضاء ما قضيت. وأمضى الحكم بذلك.

* الحكم بالشريعة الإسلامية:

أما حُكْم هذه القضية في الشريعة الإسلامية فقد تساءل عنه الزمخشري في «كشافه» فقال: «فإن قلت: فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها؟ قلت: أبو حنيفة وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ لا يرون فيه ضماناً بالليل أو

بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد، والشافعي ـ رضي الله عنه ـ يوجب الضمان بالليل».

بقي هنا سؤال، وهو: لماذا استعمل ضمير الجمع لاثنين في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾؟

وفي الجواب قولان:

أولهما: أن المراد المثنى، ولو وقع الضمير جمعاً؛ لأن التثنية أقل الجمع.

والثاني: أن المصدر المضاف إنما هو مضاف للحاكمين، وهما داود وسليمان والمحكوم عليه، فهؤلاء جماعة، ولكن فيه على هذا إضافة المصدر إلى فاعله ومفعوله دفعة واحدة، وهما إنما يضاف إلى أحدهما فقط، وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز، فإن الحقيقة إضافة المصدر إلى فاعله، والمجاز إضافته إلى مفعوله».

ومن عجائب حكم سليمان ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «بينا امرأتان معهما ابناهما، إذ جاء الذئب، فذهب بأحدهما، فقالت هذه: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فاختصمتا إلى داود ـ عليه السلام ـ فقضى به للكبرى، فمرّتا على سليمان، فأخبرتاه، فقال: ائتياني بسكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى: لا، ويرحمك الله، فقضى به للصغرى» قال أبو هريرة: والله إن كنت سمعت بالسكين قبل ذلك، ما كنت أقول إلا المدية.

قال في القاموس: والسكين مؤنثة كالسكينة، وصانعها سَكّان، وسكاكيني. هذا؛ وقد اشتهر داود بصنع الدروع، والجواشن، ونحوها.

وقد رمق أبو الطيب المتنبي سماء هذه الصناعة، فقال يصف مفرشه وملبسه بصدد الافتخار بنفسه:

مفرشي صهوةُ الحصانِ ولكنَّ
قميصي مسرودةٌ من حَديدِ

لأْمَــةٌ فــاضَــةٌ أَضَــاةٌ دِلَاصٌ
أَحْكَمَــتْ نَسْجَهــا يَــدَا داودِ

يقول: إني شجاع، لا أفارق ظهر الفرس، وملبوسي الدرع، وقميصي لأمة، أي: ملتئمة الصنعة، محكمة النسج من صنع داود، وهو أول من عمل الدرع.

وسؤال آخر: كيف وصف الريح المسخّرة لسليمان بأنها عاصف، ووصفها في موضع آخر بأنها رخاء، فوصفها تارة بالعصف، وتارة بالرخاوة.

وقد أجاب الزمخشري على هذا السؤال ببراعة نادرة فقال: «كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم، فإذا مرّت بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة على ما قال: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ فكأن جمعها بين الأمرين، أن تكون رخاء في نفسها، وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم، آية إلى آية، ومعجزة إلى معجزة، وقيل: كانت في وقت رخاء، وفي وقت عاصفاً لهبوبها على حكم إرادته».

قلت: ويشبه هذا الوصف عصا موسى تارة بأنها جان، وتارة بأنها ثعبان، والجان: الرقيق من الحيات، والثعبان: العظيم الجافي منها، ووجه ذلك أنها جمعت الوصفين، فكانت في خفّتها، وفي سرعة حركتها كالجان، وكانت في عظم خلقها كالثعبان.

وقد رمق الشعراء سماء هذا المعنى، فوصفوا اجتماع النقيضين في موصوف واحد، قال ابنُ الرومي في وصف وحيد المغنية:

خُلِقَــت فتنــةً غنــاء وحسنــاً ... مــا لهــا فيهمــا جميعــاً نــديــدُ
فهــي نعمــى يميــدُ منهــا كبير ... وهي بلوى يشيبُ منها الوليدُ

فوصفها بأنها نعمى يميد منها الكبير، ثم وصفها بأنها بلوى يشيب منها الصغير، فهي إن واصلت أحيت، وإن هاجرت أماتت، وقال من هذه القصيدة الممتعة التي أحبّ أن ترجع إليها في ديوانه:

ما تزالين نظرةٌ منك موتٌ لي مميتٌ ونظرةٌ تخليدُ
نتلاقى فلحظةٌ منك وعدٌ بوصالٍ ولحظةٌ تهديدُ

وهو في الشعر كثير نجتزىء منه بهذا المثال.

﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ وأيوب مفعول به لفعل محذوف تقديره: اذكر، وهو على حذف مضاف، أي: اذكر خبر أيوب، وإذ بدل من خبر، أي: من المضاف المقدر، وجملة نادى ربه مضاف إليه، وربه مفعول نادى، وأني: أن وما في حيزها نصب بنزع الخافض، أي: بأني، وإن واسمها، وجملة مسّني الضر خبر أن، وأنت: الواو حالية، وأنت مبتدأ، وأرحم خبر، والراحمين مضاف إليه، وستأتي في باب الفوائد. ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾ الفاء عاطفة، واستجبنا فعل وفاعل، وله متعلقان باستجبنا، فكشفنا عطف على فاستجبنا، وما مفعول به، وبه صلة ما، ومن ضرّ حال. ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ وآتيناه فعل وفاعل ومفعول به، وأهله مفعول به ثان، ومثلهم عطف عى أهله، أو مفعول معه، ومعهم ظرف مكان متعلق

بمحذوف حال، أي: كائنين معهم، ورحمة مفعول من أجله، ويجوز أن يكون مصدراً لفعل مقدر، أي: رحمناه رحمة، والأول أرجح، ومن عندنا صفة لرحمة، وذكرى عطف على رحمة، وللعابدين متعلقان بذكرى. ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وإسماعيل مفعول به لفعل محذوف، أي: واذكر، ويجوز أن يعطف نسقاً على من تقدم من الأنبياء، وإدريس عطف على إسماعيل، وذا الكفل عطف أيضاً، وسيأتي سبب تسميته بذلك في باب الفوائد، وكل مبتدأ، ومن الصابرين خبره. ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الجملة معطوفة، وإن واسمها، ومن الصالحين خبرها. ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ وذا النون مفعول به لفعل محذوف، أو معطوف نسقاً على من تقدم، وسيأتي بحثه في باب الفوائد. وإذ بدل من المضاف المحذوف كما تقدم، وجملة ذهب مضاف إليها، ومغاضباً حال، أي: لقومه لا لربه، أي: إنه غضب عليهم لما كابده منهم، فظن: الفاء عاطفة، وظن معطوف على ذهب، أي: تركهم، وذهب دون أن يؤذن له، وفاعل ظن مستتر تقديره: هو، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة لن نقدر عليه خبر، وسيأتي معنى لن في باب الفوائد، كما ستأتي خلاصة قصته.

﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فنادى عطف على ظن، وفي الظلمات متعلقان بمحذوف حال، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة لا إله إلا أنت هي الخبر، ويجوز أن تكون مفسرة؛ لأن النداء فيه معنى القول دون حروفه، وسبحانك مفعول مطلق لفعل محذوف، والجملة حالية، وإني: إن واسمها، والجملة تعليلية، وجملة كنت من الظالمين خبر إني، ومن الظالمين خبر كنت. ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فاستجبنا عطف على ما تقدم، وله متعلقان باستجبنا، ونجيناه فعل وفاعل ومفعول به، ومن الغم متعلقان بنجيناه، وكذلك الكاف نعت لمصدر محذوف، وننجي المؤمنين فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به.

* الفوائـــد:

١ ـ خلاصة قصة أيوب:

روى التاريخ أن أيوب كان رجلاً رومياً من ولد إسحاق بن يعقوب، وقد استنبأه الله، وبسط عليه الدنيا، وكثر أهله وماله، و كان له سبعة بنين وسبع بنات، وله أصناف البهائم، وخمسمئة فدان يتبعها خمسمئة عبد، لكل عبد امرأة وولد ونخيل، فابتلاه الله بذهاب ولده، انهدم عليهم البيت فهلكوا، وبذهاب ماله، وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة، وقيل: ثلاث عشرة سنة، قالت له امرأته يوماً: لو دعوت الله! فقال لها: كم كانت مدة الرخاء؟ فقالت: ثمانين سنة، فقال: أنا أستحيي من الله أن أدعوه، وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي. فلما كشف الله عنه أحيا ولده، ورزقه مثلهم، ونوافل منهم. وقصة أيوب حافلة بالصور الشعرية الملهمة، وهي ديوان حافل عن الصبر على البلاء، وعدم البطر في الرخاء.

٢ ـ الفرق بين الضُّر والضَّر:

يقال: ضَر بفتح الضاد وضُر بضمها، والفرق بينهما: أن الضَّر بالفتح هو الضرر بكل شيء، والضُّر بالضم هو الضرر في النفس من: هزال، ومرض، وفرق بين البناءين لافتراق المعنيين، وقد نظم بعضهم الفرق بينهما، كما أورد معاني أخرى لهما قال:

وضـدّ نفـع قيـل فيـه ضَـرُّ   وُجـودُ ضَـرَّةٍ لِعـرْسٍ ضِـرُّ
وسـوءُ حـالِ المـرء ذاك ضُـرُّ   كـذا هـزالُ مـرضٍ أو كِبـرُ

٣ ـ التلطف في السؤال:

وقد تلطف أيوب في السؤال، وألمح إلى ما يعانيه من بلاء، دون أن يصرح بمطلوبه، حيث اكتفى بذكر المسّ في الضر، وأدخل أل الجنسية على الضر لتشمل أنواعه المتقدمة، ووصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها، فكان درساً بليغاً لكل من تتعاوره الأرزاء، وتنتابه اللأواء.

ويحكى أن عجوزاً تعرّضت لسليمان بن عبد الملك، فقالت: يا أمير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي، فقال لها: ألطفت في السؤال، لا جرم لأردنّها تثب وثب الفهود، وملأ بيتها حباً.

وقد تعلّق أبو الطيب المتنبي بأذيال هذه البلاغة عندما خاطب كافوراً بما كان يرجوه منه، وهو أن يعطيه ولاية، وإن كان قصده المواربة:

أرى لي بقُـرْبي منـك عينـاً قـريـرةً
وإن كـان قُـرْبـاً بـالبعـاد يشـابُ

وهل نافعي أن تُرْفَعَ الحجبُ بيننا
ودون الـذي أَمَّلْـتُ منـك حجـابُ

أُقِلُّ سـلامـي حُـبَّ مـا خفّ عنكـم
وأسكـتُ كيمـا لا يكـون جـوابُ

وفي النفـس حـاجـاتٌ وفيـك فطـانـةٌ
سكـوتي بيـانٌ عنـدهـا وخطـابُ

وفي البيت الثالث نكتة نحوية، وهي انتصاب حبّ، وذلك أنه نصبه على أنه مفعول له، وهو مصدر، كأنه يقول: لحب ما خف، أي: لإيثاري التخفيف.

وقد تلطف حبيب بن أوس أبو تمام، وأجمل أغراضه كلها في بيت واحد، وهو قوله:

وإذا الجـودُ كـان عـوني على المر ءِ تقـاضيتـه بتركِ التّقـاضي

أما أبو بكر الخوارزمي فقال راسماً خطة الطلب:

وإذا طلبتَ إلى كريمٍ حاجةً فلقـاؤه يكفيـكَ والتَّسليـمُ
فـإذا رآك مسلِّماً عـرفَ الـذي حمَّلتـه فكـأنَّـه ملـزومُ

وسبقهم جميعاً أمية بن أبي الصلت بقوله المشهور:

أأذكـرُ حـاجتـي أم قَـدْ كفـاني حَيَـاؤك إنَّ شيمتَـك الحيـاءُ

إِذا أثنى عليك المرءُ يوماً كفاه مِن تعرُّضِه الثَّناءُ

٤ ـ ذو الكفل:

هذا لقبه، والكفل هو: النصيب، واسمه بشير، وقيل: إلياس، وقيل: زكريا، كأنه سمي بذلك لأنه المجدور، وذو النصيب الأوفى من الحظ، وقيل: ذو الكفل اسمه، وقد كان له اسمان، ولم يكن لقباً.

٥ ـ ذو النون:

في المختار: «ذو النون: الحوت، وجمعه أنوان، ونينان، وذو النون لقب يونس بن متى، على وزن شتى، اسم والده على ما ذكر في القاموس، أو اسم لأمه على ما قاله ابن الأثير في «النهاية»، وقيل: ذا النون لأنه رأى صبياً مليحاً، فقال: دسموا نونته لئلا تصيبه العين، وحكى ثعلب أن نونة الصبي هي الثقبة التي تكون في ذقن الصبي الصغير، ومعنى دسموا: سوّدوا، وذو بمعنى صاحب، قال السهيلي في كتاب «الأعلام» في قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ وهو يونس بن متى، أضاف ذا إلى النون، وهو الحوت، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ وبينهما فرق، وذلك أنه حين ذكر في معرض الثناء عليه، قيل: ذا النون، ولم يقل: صاحب النون، والإضافة بذا أشرف من الإضافة بصاحب؛ لأن قولك ذو يضاف إلى التابع، وصاحب يضاف إلى المتبوع، تقول: أبو هريرة صاحب النبي، ولا تقول: النبي صاحب أبي هريرة إلا على وجه ما، وأما ذو فإنك تقول فيها: ذو الملك، وذو الجلال، وذو العرش، وذو القرنين، فتجد الاسم الأول متبوعاً غير تابع، ولذلك سميت أقيال حمير أذواء، منهم: ذو جدن، وذو يزن، وذو رعين، وذو كلاع، وفي الإسلام: ذو الشهادتين، وذو الشمالين، وذو اليدين، وذلك كله تفخيم للمسمّى بهذا، وليس ذلك في لفظ صاحب، وإنما فيه تعريف لا يقترن به شيء من هذا المعنى» وستأتي قصته، وابتلاع الحوت له في «الصافات».

٦ ـ معنى «لن نقدر عليه»:

أما معنى قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ لن نقضي عليه بما قضينا من حبسه في بطن الحوت، أو نضيق عليه بذلك، فهي من القدر، لا من القدرة، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال: لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها، فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك، قال: وما هي يا معاوية؟ فقرأ عليه هذه الآية وقال: أويظن نبي الله ألا يقدر عليه، قال: هذا من القدر لا من القدرة. على أن الزمخشري بعد أن ذكر الوجه الذي أوردناه أجاز أن يفسّر بالقدرة على معنى أن لن نعمل فيه قدرتنا، وأن يكون من باب التمثيل بمعنى: «فكانت حاله ممثلة لحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه، من غير انتظار لأمر الله».

وذهب جمهور من العلماء أن معناها: فظنَّ أن لن نضيق عليه، من قدر عليه رزقه، أي: ضيق، وقتر.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٨٩) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ (٩٠) وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ (٩١) إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ (٩٢) وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ (٩٣)﴾.

☆ **اللغة:**

﴿وَزَكَرِيَّآ﴾: ـ بالمد ـ علم نبي، وألفه للتأنيث؛ فلذلك منع من

الصرف، وهو أيضاً غير مصروف للعجمة والتعريف، وقيل: هو عربي مشتق من زكر، أي: امتلأ، أو تزكر.

○ الإعراب:

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ تقدم القول في إعراب: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ ورب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، ولا ناهية للدعاء، وتذرني فعل مضارع مجزوم بلا، والنون للوقاية، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والياء مفعول به، وفرداً حال، وأنت الواو عاطفة على محذوف، أي: فارزقني وارثاً، وأنت مبتدأ، وخير الوارثين خبر. ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ الفاء عاطفة، واستجبنا فعل وفاعل، وله متعلقان باستجبنا، واستجبنا فعل وفاعل، والمفعول محذوف، أي: نداءه، وأصلحنا فعل وفاعل، وله متعلقان بأصلحنا، وزوجه مفعول به، والمراد بإصلاحها: جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وعقمها، والعقم: انسداد الرحم كما في «المختار». ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الجملة تعليل للإصلاح، وإن واسمها، وجملة كانوا خبرها، وكان واسمها، وجملة يسارعون في الخيرات خبر كان، وعبّر بفي دون إلى للإشعار بديمومتهم على المسارعة، كأنهم استقروا فيها ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ ويدعوننا عطف على يسارعون، ويدعوننا فعل وفاعل ومفعول به، ورغباً ورهباً مصدران منتصبان على الحال، أو على المصدرية الملاقية لعاملها في المعنى دون اللفظ، أو على المفعول له، وكانوا: كان واسمها، وخاشعين خبرها، ولنا متعلقان بخاشعين. ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ والتي: أي: واذكر مريم التي، وجملة أحصنت فرجها صلة، فنفخنا عطف على أحصنت، وفيها متعلقان بنفخنا، ومن روحنا متعلقان بنفخنا أيضاً، ولك أن تعرب التي مبتدأ، والخبر محذوف، أي: فيما يتلى عليهم، وجعلناها فعل وفاعل ومفعول به، وابنها عطف على

الهاء، أو مفعول معه، وآية مفعول به ثان، وإنما لم يطابق المفعول الأول، فيثنى؛ لأن كلًّا من مريم وابنها آية بانضمامه للآخر، فصار آية واحدة، أو تقول: إنه حذف من أحدهما لدلالة الثاني عليه، أي: وجعلنا مريم آية وابنها كذلك، أو بالعكس، وللعالمين صفة لآية. ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ إن واسمها وخبرها، وأمة حال لازمة، وقيل: بدل من هذه، وواحدة صفة، وأنا الواو عاطفة، وأنا مبتدأ، وربكم خبر، والفاء الفصيحة، واعبدوني فعل أمر وفاعل، وياء المتكلم المحذوفة لرسم المصحف مفعول به. ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ الواو عاطفة، وتقطعوا فعل ماض وفاعله، والأصل: وتقطعتم إلا أن الكلام صرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات كما سيأتي في باب البلاغة. وأمرهم في نصبه وجوه أرجحها أنه منصوب بنزع الخافض، أي: تفرقوا في أمرهم، ويجوز أن يكون تقطعوا معناه: قطعوا: فيكون أمرهم مفعولاً به، ورأى أبو البقاء أن يكون تمييزاً، ولا أدري كيف استقام ذلك معه.

□ **البلاغة:**

١ ـ الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ الالتفات، الأصل في تقطعوا: تقطعتم على الأول، إلا أنه صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة على طريقة الالتفات، كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه، ويقبح عندهم ما فعلوه، ويقول لهم: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله، فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً، وذلك تمثيل لاختلافهم فيه وتباينهم، ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون، فيجازيهم على ما فعلوا.

٢ ـ معنى النفخ في مريم: ظاهر الكلام يوهم أن مريم هي التي أحييت؛ لأن معنى النفخ الإحياء، ولكن الله تعالى نزّل نفخ الروح في عيسى لكونه في جوف مريم منزلة نفخ الروح في مريم، ونحو ذلك أن يقول الزمار: نفخت في

بيت فلان، أي: نفخت في المزمار في بيته.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿كُفْرَانَ﴾: الكفران مصدر الكفر، قال في القاموس: «كفر يكفر، من باب: نصر، كَفراً، وكُفراً، وكُفُوراً، وكُفْراناً، ضد آمن، وكفر بالخالق: نفاه، وعطّل، وكفر كُفراً وكفوراً وكفراناً بنعم الله: جحدها، وتناساها».

﴿حَدَبٍ﴾: ـ بفتحتين ـ: مرتفع من الأرض، ومنه الحدب في الظهر، وكل كدية أو أكمة فهي حدبة.

﴿يَنسِلُونَ﴾: يسرعون، والنسلان: مقاربة الخطا مع الإسراع، وفي المصباح: نسل في مشيه نسلاناً: أسرع، وبابه: ضرب، وفي القاموس هو من باب: ضرب، وقتل.

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: الحصب: المحصوب به، أي: يحصب بهم في النار، والحصب: الرمي. وفي «المختار»: «والحصب ـ بفتحتين ـ: ما تحصب به النار، أي: ترمى، وكل ما ألقيته في النار فقد حصبتها به، وبابه: ضرب» ومثله في «القاموس».

○ **الإعراب:**

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ الفاء استئنافية، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويعمل فعل الشرط، ومن الصالحات صفة لمفعول به محذوف، أي: عملاً من الصالحات، والواو حالية، وهو مبتدأ، ومؤمن خبر، والفاء رابطة، ولا نافية للجنس، وكفران اسمها، ولسعيه خبر، والواو استئنافية، أو: حالية، وإن واسمها، وكاتبون خبرها، وله متعلقان بكاتبون. ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ الواو عاطفة من عطف الجمل، أو استئنافية، وحرام خبر مقدم، وعلى قرية متعلقان بحرام، وجملة أهلكناها صفة لقرية، وإن وما في حيزها مبتدأ مؤخر، وإن واسمها، وجملة لا يرجعون خبرها، وقيل: لا زائدة، وهو قول أبي عبيدة، كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ أي: يرجعون إلى الإيمان، والمعنى: وممتنع على أهل القرية قدرنا عليهم إهلاكهم لكفرهم رجوعهم في الدنيا إلى الإيمان إلى أن تقوم القيامة، فحينئذ يرجعون، ويصح أن تكون نافية على بابها، والتقدير: لأنهم لا يرجعون. قال الزجاج: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾: حكمنا بإهلاكها أن تتقبل أعمالهم؛ لأنهم لا يرجعون، أي: لايتوبون، ودلّ على هذا المعنى قوله قبل: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ أي: يتقبل عمله، ثم ذكر هذا عقيبه، وبين أن الكافر لا يتقبل عمله.

وعبارة ابن هشام في «المغني»: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ فقيل: لا زائدة، والمعنى: ممتنع على أهل قرية قدرنا إهلاكهم لكفرهم أنهم يرجعون عن الكفر إلى قيام الساعة، وعلى هذا فحرام خبر مقدم وجوباً؛ لأن المخبر عنه أن وصلتها، ومثله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ لا مبتدأ، وأن وصلتها فاعل أغنى عن الخبر، كما جوز أبو البقاء؛ لأنه ليس بوصف صريح، ولأنه لم يعتمد على نفي ولا استفهام، وقيل: لا نافية، والإعراب إما على ما تقدم، والمعنى ممتنع عليهم أنهم لا يرجعون إلى الآخرة،

وإما على أن حرام مبتدأ حذف خبره، أي: قبول أعمالهم، وابتدىء بالنكرة لتقييدها بالمعمول، وإما على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: والعمل الصالح حرام عليهم، وعلى الوجهين فإنهم لا يرجعون تعليل على إضمار اللام، والمعنى: لا يرجعون أعمالهم فيه، ودليل المحذوف ما تقدم من قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ حتى حرف غاية وجر، وهي غاية لامتناع الرجوع، فهي متعلقة بحرام، على أنها حرف غاية وجر، ويجوز أن تكون ابتدائية، وهي التي يحكى بعدها الكلام، والكلام المحكي هنا جملة الشرط والجزاء، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، والجواب الذي تتعلق به إذا محذوف، وتقديره: قالوا يا ويلنا. واختار الزمخشري وغيره أن يكون الجواب هو الفاء الداخلة على إذا الفجائية، فإذا جاءت الفاء معها تساندتا، وتعاونتا على وصل الجواب بالشرط فيتأكد، ولو قيل: إذا هي شاخصة، أو فهي شاخصة كان سديداً.

هذا وقد اختار أبو حيان أن تكون حتى جارة متعلقة بتقطعوا، على ما فيه من بعد، قال: «وكون حتى جارة متعلقة بتقطعوا فيه من حيث كثرة الفصل، لكنه من حيث المعنى جيد، وهو أنهم لا يزالون مختلفين على دين الحق إلى قرب مجيء الساعة، فإذا جاءت الساعة انقطع ذلك».

وفتحت فعل ماض مبني للمجهول، ويأجوج ومأجوج نائب فاعل، ولا بد من تقدير مضاف، وهو سدهما، والواو للحال، وهم مبتدأ، وخبره جملة ينسلون، ومن كل حدب متعلقان بينسلون. ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الواو عاطفة، واقترب الوعد فعل وفاعل، والحق صفة للوعد، والفاء رابطة، وإذا الفجائية، وقد تقدم بحثها، وهي مبتدأ، وشاخصة خبر، وأبصار الذين كفروا فاعل شاخصة. ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ النداء متعلق بقول محذوف في محل نصب على الحال، أي: يقولون: يا ويلنا احضر فهذا أوانك، وقد حرف

تحقيق، وكان واسمها، وفي غفلة خبرها، ومن هذا متعلقان بغفلة، بل حرف إضراب، وكان واسمها وخبرها، وهذه الجمل كلها مقول قولهم المحذوف.
﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾
إن واسمها، والجملة ابتدائية، وما عطف على الكاف، وجملة تعبدون صلة، ومن دون الله حال، وحصب جهنم خبر إنكم، وجملة أنتم لها واردون جملة اسمية من مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال من جهنم، وفيه أن مجيء الحال من المضاف إليه لم يرد في كلامهم إلا مشروطاً، ويجوز أن تكون بدلاً من حصب جهنم، ويجوز أن تكون خبراً ثانياً لإن، وأجاز آخرون أن تكون مستأنفة. ﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ لو شرطية امتناعية، وكان فعل ماض ناقص، وهؤلاء اسمها، وآلهة خبرها، وجملة ما وردوها لا محل لها لأنها جواب لو، والواو للحال، وكل مبتدأ، وفيها متعلقان بخالدون، وخالدون خبر. ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ لهم خبر مقدم، وفيها حال، وزفير مبتدأ مؤخر، والواو عاطفة، وهم مبتدأ، وفيها متعلقان بيسمعون، وجملة لا يسمعون خبر هم.

□ البلاغة:

المذهب الكلامي: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ المذهب الكلامي، وقد تقدمت الإشارة إليه، وسنزيده بسطاً هنا فنقول:

إذا تقرر أن المذهب الكلامي هو: احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له على طريقة أرباب الكلام، أو استنتاج النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة، كما سيأتي في سورة الحج، فإن الآية التي نحن بصددها يترتب عليها أن هؤلاء الأصنام والأوثان ليسوا بآلهة، فلو كانوا آلهة فهم حصب جهنم كما تقدم أن ملزوم قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ

لَفَسَدَتَاۚ﴾ هو ما تقديره: لكنهما ما فسدتا، فليس فيهما آلهة إلا الله. ومن النوع الثاني تقدم الكلام في سورة الأعراف على قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ فوجه استنتاج النتيجة في هذه الجملة من المقدمتين أن يقال: إن الكفار لا يدخلون الجنة أبداً حتى يلج الجمل في خرم الإبرة، والجمل لا يدخل في خرم الإبرة أبداً، فهم لا يدخلون الجنة أبداً؛ لأن تعليق الشرط على مستحيل يلزم منه استحالة وقوع المشروط.

ومن المذهب الكلامي قوله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» وتمام الدليل أن يقال: لكنكم ضحكتم كثيراً، وبكيتم قليلاً، فلم تعلموا ماأعلم، ومثله قوله مالك بن المرجل الأندلسي:

لـو يكـون الحـبُّ وصـلاً كلّـه　　لم تكــنْ غــايتــه إلاّ الملــل
أو يكـون الحـبُّ هجـراً كلّـه　　لم تكــن غــايتــه إلاّ الأجــل
إنمـا الـوصـلُ كمثـل المـاءِ لا　　يستطـابُ المـاءُ إلا بـالغَلـل

فالبيتان الأولان قياس شرطي، والثالث قياس فقهي، فإنه قاس الوصل على الماء، فكما أن الماء لا يستطاب إلا بعد العطش، فالوصل مثله لا يستطاب إلا بعد حرارة الهجر، وأما الأقيسة الحملية فقد استنبطوها على صور، منها ما يروى أن أبا دلف قصده شاعر تميمي، فقال له: ممن أنت؟ فقال: من تميم، فقال أبو دلف:

تميم بطرقِ اللؤمِ أهدى من القَطَا
ولـو سلكـت سُبُـل الهـدايـةِ ضلّـت

فقال التميمي: نعم بتلك الهداية جئت إليك، فأفحمه بدليل حملي ألزمه فيه أن المجيء إليه ضلال، ولعمري إن القياس الشرطي أوضح دلالة في هذا الباب من غيره، وأعذب في الذوق، وأسهل في التركيب، فإنه جملة واقعة بعد لو وجوابها، وهذه الجملة على اصطلاحهم مقدمة شرطية متصلة يستدل بها على ما تقدم من الحكم.

وقال ابن رشيق في كتاب «العمدة»: «ذكر ابن المعتز أن الجاحظ سمّى هذا

النوع: المذهب الكلامي، قال ابن المعتز: وهذا باب ما علمت أني وجدت منه في القرآن شيئاً، وهو ينسب إلى التكلف، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً».

وقد فات ابن رشيق وابن المعتز أن القرآن حافل بهذا النوع كما رأيت، وكما سيأتي فيما بعد على أن ابن رشيق لاحظ على ابن المعتز شيئاً آخر فقال: «غير أن ابن المعتز قد ختم بهذا الباب أبواب البديع الخمسة التي خصها بهذه التّسمية، وقدمها على غيرها» وأنشد للفرزدق:

لكلِّ امرىء نفسان: نفسٌ كريمةٌ
وأخرى يُعاصيها الفتى ويطيعها
ونفسك من نفسيك تشفعُ للنّدى
إذا قل من أحرارهن شفيعها

وأنشد لآخر ولا أظنه إلا إبراهيم بن العباس:

وعلّمتني كيف الهوى وجهلته
وعلّمكم صَبْري على ظلمكم ظلمي
فأعلمُ ما لي عندكم فيميلُ بي
هواي إلى جهلي وأعرضُ عن ظلمي

وعاب على أبي تمام قوله:

فالمجدُ لا يرضى بأن ترضى بأن
يرضى المؤمِّلُ منك إلا بالرضا

وحكي أن إسحاق الموصلي سمع الطائي ينشد، ويكثر من هذا الباب وأمثاله عند الحسن بن وهب فقال: «يا هذا لقد شذرت على نفسك». وعندي أن النقد يتوجه إلى أبي تمام في بيته لا من ناحية المذهب الكلامي الذي سلكه، بل من ناحية التعقيد اللفظي فيه.

ومن طريف هذا المذهب ما أورده ابن رشيق لابن المعتز وهو قوله:

أسرفتُ في الكتمانِ وذاك منِّي دَهَاني
كتمتُ حُبَّك حتى كتمته كتماني

ولم يكـــــنْ لي بُـــــدٌّ　　مـــن ذِكْـــره بلســـاني

قال: «وهذه الملاحة نفسها، والظرف بعينه».

وقال أبو نواس:

سَخُنْتَ من شدَّةِ البرودةِ حتى　　صرتَ عنـدي كـأنـك النـار

لا يعجبُ السامعون صفتي　　كـذلـك الثلـجُ بـاردٌ حـار

فهذا مذهب كلامي فلسفي، وقوله أيضاً:

فيـك خـلافٌ لخـلاف الـذي　　فيـه خـلافٌ لخـلافِ الجميـل

ويمكن اعتبار أبي تمام صاحب طريقة خاصة في المذهب الكلامي، استمع إلى قوله في الحسد:

وإذا أراد اللهُ نَشْــرَ فضيلــةٍ　　طُوِيَتْ أتاحَ لها لسانَ حسودِ

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ　　ما كان يُعْرَفُ طيبُ عَرْفِ العودِ

ومن أزهار البهاء زهير قوله:

يا من أكابدُ فيه ما أكابدُه　　مولاي أصبرُ حتى يحكمَ الله

سمّيت غيرك محبوبي مغالطةً　　لمعشرٍ فيكَ قد فاهوا بما فاهوا

أقولُ زيد وزيدٌ لستُ أعرفه　　وإنمـا هـو لفـظٌ أنـت معنـاهُ

وكم ذكرت مسمّى لا اكتراثَ به　　حتى يجر إلى ذكراك ذكراهُ

أتيه فيك على العشّاقِ كلّهم　　قد عزّ من أنت يا مولاي مولاهُ

كادت عيونُهم بالبغضِ تنطقُ لي　　حتى كأنَّ عيونَ الناس أفواهُ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ

خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

☆ **اللغـة:**

﴿ٱلسِّجِلِّ﴾: كتاب العهود، وكتاب الأحكام، وكتاب يكتب فيه القاضي صورة الدعاوى والحكم فيها، وصكوك المبايعات ونحوها لتبقى محفوظة عنده، والجمع: سجلات، ويقال سجّل الرجل: كتب السجل، وسجّل الأوراق: قيدها في المحاكم، وسجلّ القاضي عليه: حكم، وسجل عليه بكذا: شهره به، ووسمه، وسجّل له بماله: قرره، وأثبته له.

○ **الإعـراب:**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ إن واسمها، وجملة سبقت صلة، ولهم متعلقان بسبقت، ومنّا حال، والحسنى فاعل، وأولئك مبتدأ، وعنها متعلقان بمبعدون، ومبعدون خبر أولئك، وجملة أولئك عنها مبعدون خبر إن، وجملة إن. . . الخ ابتدائية. ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ جملة لا يسمعون حسيسها تحتمل وجوهاً:

منها: أن تكون بدلاً من مبعدون؛ لأنها تحل محله فتغني عنه.

ومنها أن تكون خبراً ثانياً لأولئك، ويجوز أن تكون حالاً من ضمير مبعدون، ولا نافية، ويسمعون حسيسها فعل مضارع مرفوع وفاعل ومفعول به، والواو للحال، أو استئنافية، وهم مبتدأ، وفيما متعلقان بخالدون، وجملة اشتهت أنفسهم صلة، وخالدون خبرهم.

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ الجملة حالية، أو بدل من الجملة السابقة، ولا نافية، ويحزنهم فعل ومفعول به، والفزع فاعل، والأكبر صفة للفزع، وتتلقاهم الملائكة فعل ومفعول به وفاعل، وجملة هذا يومكم مقول قول محذوف واقع

موقع الحال، أي: قائلين: هذا يومكم، وهذا مبتدأ، ويومكم خبر، والذي صفة ليومكم، وجملة كنتم صلة، وكان واسمها، وجملة توعدن خبر كنتم. ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ الظرف متعلق بمحذوف تقديره: اذكر، ولك أن تعلقه بلا يحزنهم، أو بالفزع، أو تتلقاهم الملائكة، وجملة نطوي في محل جر بإضافة الظرف إليها، والفاعل ضمير مستتر تقديره: نحن، والسماء مفعول به، وكطي الكاف نعت لمصدر محذوف، أي: كما يطوي الرجل صحيفته ليكتب فيها، فالطي مصدر مضاف للمفعول، والحذف للفاعل مع المصدر مطرد باستمرار، وللكتب متعلقان بطي، فهي لتقوية التعدية، أي: للمكتوبات جميعها، أي: لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة. ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف، وما مصدرية، وبدأنا فعل وفاعل، وأول خلق مفعول بدأنا، أي: نعيد أول خلق إعادة مثل بدئنا له، والزمخشري يجعل ما كافة للكاف دائماً، ووعداً مصدر منصوب بوعدنا مقدراً قبله، وهو مفعول مطلق مؤكد لمضمون ما قبله، وعلينا متعلقان بوعداً، وإن واسمها، وجملة كنا خبر إنا، وكان واسمها، وفاعلين خبرها، وجملة إنا تعليلية بمثابة التأكيد للقدرة على فعل ذلك، وقدرها أبو حيان في «البحر»: «أي: نحن قادرون على أن نفعل ذلك». واختار العمادي أن تكون حالية، وقدرها: «أي: محققين هذا الوعد فاستعدوا لذلك» وستأتي فوائد هامة حول هذه الآية في بابي: الفوائد، والبلاغة. ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير أن الأرض للصالحين لها، ولاستغلال مواردها، وطاقاتها المكنوزة فيها، واللام جواب لقسم محذوف، وقد حرف تحقيق، وكتبنا فعل وفاعل، وفي الزبور متعلقان بكتبنا، ومن بعد متعلقان بمحذوف حال من الزبور، وأن وما في حيزها مفعول كتبنا، أي: كتبنا وراثة الأرض، وأن واسمها، وجملة يرثها خبر، وعبادي فاعل، والصالحون صفة.

□ **البلاغة:**

١ ـ المبالغة: في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ فن المبالغة ذلك؛ لأن لقائل أن يقول: إذا نزل أهل الجنة منازلهم فيه، فأي بشارة لهم في أنهم لا يسمعون حسيسها؟ والجواب: أنه تأكيد للمبالغة، وأنها لن تقرب منهم أبداً؛ لأن الذي يكون عن كثب منها يسمع ـ ولا شك ـ حسيسها؛ لأنَّ أهل النار دركات جاءت وفق عدد سكانها، وعدد داخليها، ووفق عدة معبوداتهم، ولذلك قال تعالى في آية أخرى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ وسيأتي تفصيل ذلك في سورة الحجر.

ويروى أن علياً ـ رضي الله عنه ـ قرأ هذه الآية، وهي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ ثم قال: أنا منهم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف. ثم أقيمت الصلاة، فقام يجرّ رداءه، وهو يقول: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾.

٢ ـ التشبيه: في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ تشبيه للإعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء. قال الزمخشري: «فإن قلت: وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه؟ قلت: أوله: إيجاده من العدم، فكما أوجده أولاً من عدم يعيده ثانياً من عدم.

فإن قلت: ما بال خلق منكراً؟ قلت: هو كقولك: هو أول رجل جاءني، تريد: أول الرجال، ولكنك وحّدته، ونكّرته إرادة تفصيلهم رجلاً رجلاً، فكذلك معنى أول خلق، أول الخلق بمعنى أول الخلائق؛ لأن الخَلق مصدر لا يجمع، ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسّره: نعيده، وما موصولة، أي: نعيد مثل الذي بدأناه نعيده، وأول خلق ظرف لبدأناه، أي: أول ما خلق، أو: حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى».

﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

○ **الإعراب:**

﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ إن حرف مشبه بالفعل، وفي هذا خبرها المقدم، واللام المزحلقة، ولقوم صفة لبلاغاً، وعابدين صفة. ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ الواو حرف عطف، وما نافية، وأرسلناك فعل وفاعل ومفعول به، وإلا أداة حصر، ورحمة مفعول من أجله، أو حال مبالغة في أن جعله نفس الرحمة، أو على حذف مضاف، أي: ذا رحمة، وللعالمين صفة لرحمة، أو يتعلق بنفس الرحمة. ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ إنما كافة ومكفوفة، ويوحى فعل مضارع مبني للمجهول، وإليَّ متعلقان بيوحى، وإن وما في حيزها نائب فاعل يوحى، وإلهكم مبتدأ، وإله خبر، وواحد صفة، والفاء الفصحية، أي: إن علمتم هذا، وهل حرف استفهام، وأنتم مبتدأ، ومسلمون خبر، وسيأتي مبحث القصر بنوعيه في هذه الآية في باب البلاغة. ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وتولوا فعل ماض، وهو فعل الشرط، والواو فاعل، والفاء رابطة لجواب الشرط، وقل فعل أمر، وآذنتكم فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وعلى سواء متعلقان بمحذوف حال من التاء، أي: الفاعل، أو من الكاف، أي: المفعول، أي: مستوين في العلم بالحرب، وسيأتي تفصيل هذا الإيجاز في باب البلاغة. ﴿ وَإِنْ

أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ الواو للحال، وإن نافية، وأدري فعل مضارع مرفوع، والفاعل مستتر تقديره: أنا، والهمزة للاستفهام، وقريب خبر مقدم، وأم حرف عطف، وبعيد عطف عليه، وما مبتدأ مؤخّر، وجملة توعدون صلة، وجوّز أبو البقاء أن يرتفع ما توعدون فاعلاً بقريب سدّ مسدّ خبره، وقريب مبتدأ، قال: لأنه اعتمد على الهمزة، أو ببعيد؛ لأنه أقرب إليه فتكون المسألة من باب التنازع، وجملة أقريب أم بعيد ما توعدون في محل نصب مفعول أدري المعلّقة عن العمل. ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ إن واسمها، وجملة يعمل خبرها، وفاعل يعلم ضمير مستتر تقديره: هو، يعود على الله تعالى، والجهر مفعول به، ومن القول حال من الجهر، ويعلم عطف على يعلم الأولى، وما مفعول به، وجملة تكتمون صلة. ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ الواو عاطفة، وإن نافية، وأدري فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنا، ولعل واسمها، وفتنة خبرها، ولكم صفة، ومتاع عطف على فتنة، وإلى حين متعلقان بمحذوف صفة لمتاع، أو يتعلق به، وجملة لعله فتنة في محل نصب بأدري، والكوفيون يجرون الترجي مجرى الاستفهام في التعليق عن العمل، ولكن النحاة لم يذكروا لعل من المعلقات، ولكنها وردت كثيراً في القرآن، كقوله في هذه الآية، وكقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ وقيل: إن قوله ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ ليس داخلاً في حيز الترجي؛ لأنه محقّق، فلا يصحّ عطفه على فتنة؛ لأنه حيث كان معطوفاً على خبرها كان معمولاً لها، وداخلاً في حيزها، وفي نطاق الترجي؛ الذي تدلّ عليه، فالأَوْلى إذاً أن يقال: إن قوله ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، وتقديره: وهذا متاع إلى حين، أي: وتأخير عذابكم متاع لكم، وتكون الجملة مستأنفة، وليس هذا ببعيد. ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ رب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، واحكم فعل دعاء، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنت، وبالحق حال، وربنا الواو استئنافية، وربنا مبتدأ، والرحمن يجوز أن يكون خبراً، والمستعان خبراً ثانياً، ويجوز أن يكون صفة لربنا، والمستعان خبر؛ لأنه المحدث به، وعلى

ما متعلقان بالمستعان، وجملة تصفون صلة، والعائد محذوف، أي: تصفونه مخالفاً للواقع.

□ **البلاغة:**

١ ـ القصر:

في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وقد تقدّم بحث القصر مفصلاً، ونقول: إن في هذه الآية قصرين:

الأول: قصر الصفة على الموصوف، وذلك في قصر الوحي على الوحدانية، والمعنى: لا يوحى إليّ إلا اختصاص الإله بالوحدانية، لا لأنه لم يوح إليه بشيء غيرها، ولكنها الأصل الرئيسي في كل عبادة وعمل، وهي المطلوبة أولاً، وقبل كل شيء، حتى كأنَّ ما عداها غير منظور إليه، أو غير جدير بالذكر.

والثاني: قصر الموصوف على الصفة، وذلك في قصر الله على الوحدانية، وهو ظاهر.

٢ ـ الإيجاز:

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ تقدم القول في الإيجاز كثيراً، وفي هذه الآية إيجاز قصر؛ لأنه تحدث بثلاث كلمات، وهي: ﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ عن كلام طويل، أي: إن تولوا بعد هذه الآيات والشواهد، وأعرضوا، وطووا كشحاً، فقل لهم: لقد أعلمناكم على بيان أنا وإياكم في حرب لا مهادنة فيها، ولا صلح بيننا، ولكنني لا أدري متى يأذن الله، وآذنتكم منقول من أذن إذا علم، قال الحارث ابن حلّزة:

آذنتنـــا بِبَيْنِهـــا أسمـــاءُ   رُبَّ ثـاوٍ يُمَـلُّ منـه الثَّـواءُ

وقد سما الزمخشري في شرح هذا الإيجاز، وهذه نبذة من كلامه: «والمعنى: إني بعد توليكم وإعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله، وتنزيهه عن الأنداد والشركاء، كرجل بينه وبين أعدائه هدنة،

فأحسّ منهم بغدرة، فنبذ إليهم العهد، وشهر النبذ، وأشاعه، وآذنهم جميعاً بذلك ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي: مستوين في الإعلام به، لم يطوه عن أحد منهم، وكاشف كلهم، وقشر العصا عن لحائه».

٣ ـ التوليد:

في قوله: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ فن التوليد، وسمّاه ابن منقذ: فن التلطيف، وهو على ضربين: من الألفاظ، ومن المعاني:

١ ـ التوليد من الألفاظ على ضربين أيضاً:

آ ـ توليد المتكلم من لفظه ولفظ غيره صورة من الكلام.

ب ـ توليد المتكلم صورة من موضعين من لفظ نفسه.

والأول هو أن يزوج لفظة من لفظة للفظة من لفظ غيره، فيتولد بينهما كلام مناقض غرض صاحب اللفظة الأجنبية، وذلك في الألفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة، ومثاله: ما حكي عن مصعب بن الزبير أنه كان قد وسم خيله بلفظ: «عُدّة» وهو يريد عدة الحرب، فلما قتل، وصارت خيله عند الحجاج، ورأى ذلك الوسم أمر أن يوسم إلى جانب عدة بلفظة «الفرار» فتولد بين اللفظين معنى غير ما أراده مصعب، وانقلب المدح قدحاً.

٢ ـ التوليد من المعاني، وستأتي أمثلته، أما الآية التي نحن بصددها، فقد زوّج فناً من فنون البديع لفن آخر فيه، فتولّد فن ثالث غيرهما، وذلك أنه يتوجه على ظاهره إشكال، وهو أن يقال: ما الحكمة في كونه سبحانه أمر نبيه أن يسأله الحكم بالحق، وهو عزّ وجل يعلم أن نبيه متيقن أنه سبحانه لا يحكم إلا بالحق، فلو اقتصر على قوله: احكم فقط كان ذلك كافياً، فلم عدل عن الأوجز الموفي بالمعنى المراد، مع سلامة الظاهر من الإشكال إلى الأطول الموجب للإشكال، والجواب:

إن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لا يدعون على من خالفهم حتى يؤذن لهم في ذلك؛ لأنهم بعثوا مؤلفين لا منفرين، وهم لا يعلمون من الغيب

إلا ما أعلمهم به الله، فإذا أعلمهم بمن لا يمكن إيمانه من قومهم ساغ لهم الدعاء على ذلك، أَلاَ ترى أن نوحاً ـ عليه السلام ـ لم يتجرأ أن يقول: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ إلا بعد قوله تعالى له: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ ولذلك احترس في الدعاء بقوله: على الأرض، فإن مَن آمن معه كان في السفينة، ولم يبق على الأرض إلا من حقّ عليه العذاب، ولما علم سبحانه أن الذين عادوا نبيه محمداً ﷺ لا يُرْجَى فلاحهم أمره بالدعاء عليهم، بيد أنه علمه كيف يدعوا عليهم دعاء غير منفرٍ لغيرهم، فأراد سبحانه أن يقول: قل رب أهلك الظالمين، فعدل عن هذا اللفظ الخاص لما فيه من التنفير إلى لفظ الإرداف فقال: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ فإنه سبحانه إذا حكم بالحق ـ وهو العدل ـ عاقب من يستحق العقاب.

وأما قول مورد الإشكال: لم عدل عن الأوجز إلى الأطول؟ ولو قال: رب احكم لكان كافياً، فليس الأمر كما زعم؛ لأن للحاكم المختار الذي لا شريك له أن يحكم بالفضل، فينزل عن حق نفسه، وله أن يحكم بالعدل، فيستوفي حقه وحق غيره، وطلب مطلق الحكم لا يوفي بذلك، فلهذا عدل عن الأوجز إلى الأطول ليوفي بالمعنى المراد.

وقد تنخّل عن هذا الجواب أربعة عشر ضرباً من البديع، اتفقت في هذه الألفاظ الثلاثة، وهي:

١ ـ الإرداف الذي قدّمنا ذكره.

٢ ـ الإيضاح؛ لأن إيضاح الإشكال الوارد على ظاهر الكلام جاء مدمجاً في الإرداف.

٣ ـ التتميم؛ إذ لو وقع الاقتصار على قوله: رب احكم، لكان المعنى المراد ناقصاً؛ لأن مطلق الحكم لا يوفي بالمقصود كما بينا.

٤ ـ المقارنة؛ لأن الإدماج والإيضاح اقترنا في التتميم.

٥ و ٦ ـ الافتنان لجمع هذه اللفظات الثلاث بين فنين من الفنون التي يقصدها المتكلمون، وهما:

آ ـ فن الأدب في تعليم الحق سبحانه نبيه ﷺ كيف يدعو على من خالفه دعاء غير منفّر عنه .

ب ـ فن الهجاء ، لأن عدل الله سبحانه يأبى أن يأمر نبيه بالدعاء إلا على من علم تصميمه على العصيان ، وبراءته من الإيمان ، ومن كان كذلك كان مستحقاً للذم ، فأدمج سبحانه في أمر الرسول بالدعاء عليهم هجاءهم بمقتضى ما تضمنه الكلام من استحقاق الملام .

٧ ـ الإيجاز عن المعنى المراد بأقلّ ما يمكن من الحروف .

٨ ـ السهولة ، فقد تركبت الكلمات تركيباً سليماً من سوء الجوار ، سهلة المخارج ، ولأن الكلمات جاءت في مقارها ، فلا تتقدّم كلمة عن كلمة ولا تتأخر .

٩ ـ التهذيب في كون تركيب الجملة وضع على أصحّ ترتيب ، وأسهل تهذيب إذ تقدم فيها ذكر المدعو ، وثنى بالطلب ، وثلث بالمطلوب .

١٠ ـ حسن البيان ؛ لأن الذهن يسابق إلى فهم معنى الكلام من غير توقّف بمجرد سماعه أول وهلة لعدم التعقيد في اللفظ ، وخلوّه من أسباب اللبس من التقديم والتأخير ، وسلوك الطريق الأبعد ، وإيقاع المشترك .

١١ ـ التمزيج ؛ لامتزاج الفنون بمعاني البديع ، فإن فني الأدب والهجاء امتزجا بمعنى الإرداف والتتميم ، ولم يظهر في اللفظ لكل معنيين سوى صورة واحدة ، فظهر فن الأدب ، وأدمج فيه فن الهجاء ، وظهر الإرداف ، وأدمج فيه التتميم .

١٢ ـ الإبداع ؛ لما تتضمن كل لفظة من الجملة الضرب والضربين فصاعداً من البديع .

١٣ ـ التمثيل : لأن قوة البلاغة ، ورونق الفصاحة أخرجت هذه اللفظات مخرج المثل السائر ؛ الذي يصلح لأن يتمثّل به في كل واقعة تشبه واقعته .

١٤ ـ التوليد : لأن الإرداف لما زوّج بالتتميم تولّد منهما الإيضاح ، وتولّد

من الإيضاح والإرداف: الإدماج، ولما ظهرت فائدة الإتيان بالجار والمجرور، وثبت التتميم، وظهرت العلة في العدول عن لفظ الدعاء الخاص إلى لفظ الإرداف، وتولّد، من ذلك: فن الأدب، ومن فن الأدب: فن الهجاء. ولما ثبت الائتلاف والتهذيب، وما وقع في النظم من حسن الترتيب تولّد من ذلك المثل السائر؛ ولذلك غلب التوليد على جميع ما فيها من الضروب الثلاثة عشر، وأثبتت في بابه دون أبوابها.

التوليد في الشعر:

أما في الشعر فلا يستحسن إلا التوليد في المعاني، أما التوليد في الألفاظ، فيأتي دونه في المرتبة، بل ربما غالى بعضهم، فجعله غير مقبول لشبهه بالسرقة، وذلك أن يستعذبَ الشاعرُ لفظة في شعر غيره، فيأخذها، ويضمّنها معنى غير معناها الأول، كقول أبي تمام:

لها منظرٌ قَيْدُ الأوابدِ لم يَزَلْ يروحُ ويَغْدُو في خُفَارتِه الحُبُّ

أخذ لفظة قيد الأوابد من بيت امرىء القيس في وصف فرس، ونقلها إلى الغزل، وبيت امرىء القيس هو:

وقد أغتدي والطَّيرُ في وُكُناتها بِمُنْجَـرِدٍ قَيْـدِ الأوابـدِ هَيْكَـلِ

على أنه قد يكون عذباً كما فعل علي بن زريق البغدادي في قوله:

أستودعُ اللهَ في بغداد لي قَمَراً بالكَرْخِ من فلكِ الأزرارِ مطلعُهُ

فقد أخذ الأزرار من قول عبد الله بن المعتز:

يا حسن أحمد إذ بدا مُتشمّراً في قرطقٍ يسعى بكأسِ عقارِه

والغصـنُ في أثـوابـه والـدُّرُّ في فمـه وجيـد الظّبـي في أزرارِه

ولقد عابوا على عمارة اليمني بيته يمدح الخليفة المصري الفاطمي عند قدومه عليه من اليمن، وهو:

فهل درى البيت أنّي بعد فُرْقتِه ما سرتُ من حرمٍ إلا إلى حَرَمِ

لأنه مأخوذ بلفظه من شعر أبي تمام مادحاً:

يـا مَـنْ رأى حَـرَمـاً يسري إلى حـرم
طـوبـى لمستلـمٍ يـأتي ومُلْتَـزم

وهنا يحار الناقد في كثرة وقوع الشعراء الكبار بهذه المزالق، قال ابن الأثير: «ومما كنت أستحسنه من شعر أبي نواس قوله من قصيدته التي أولها:

دعْ عنـك لَـوْمـي فـإنَّ اللـومَ إغـراءُ
وداوِني بـالتـي كـانـتْ هـي الـدَّاءُ
دارتْ على فتيـةٍ ذلّ الـزمـانُ لهـم
فمـا يصيبُهـم إلاّ بمـا شـاؤوا

وهذا من عالي الشعر، ثم وقفت في كتاب الأغاني لأبي الفرج على هذا البيت في أصوات معبد، وهو:

لهفي على فتيةٍ ذلّ الزمانُ لهم فما أصابهم إلاَّ بما شاؤوا

وما أعلم كيف هذا».

أما توليد المعاني فهو مستحسن على إطلاقه كقول أبي الطيب المتنبي:

هُمَامٌ إذا ما فَارَقَ الغِمْدَ سَيْفُه وعايَنْتَهُ لم تَدْرِ أيُّهما النَّصْلُ

أخذه من قول أبي تمام:

يمدّون بالبيض القواطعِ أيدياً فهنّ سواءٌ والسيوفُ القواطع

وقال المتنبي أيضاً:

وما هي إلا لحظةٌ بعد لحظةٍ إذا نزلت في قلبه رحل العقل

أخذه من قول أبي نواس في وصف الخمرة:

إذا ما أتتْ دون اللهاةِ من الفتى دعا همّه من صدرِه برحيل

وجميل أخذ المتنبي من أبي تمام قوله:

ومـن الخيرِ بـطء سيبـك عنّـي أسرع السّحب في المسيرِ الجهام

وبيت أبي تمام:

هو الصنعُ إن تعجلْ فخيرٌ وإن ترث
فللـرّيـثِ في بعـض المـواضـعِ أنفـع

وبيت المتنبي أجمل وأرشق، وفيه زيادة ضرب المثل.

وولد أحد الشعراء المولدين بيتاً فارسياً فقال:

كـأنَّ عـذارَه في الخـدّ لام ومبسمه الشَّهيّ العذب صاد
وطـرّة شعـرِه ليـلٌ بهيـم فـلا عجـب إذا سرقَ الـرّقـاد

فقد ولّد هذا الشاعر من تشبيه العذار باللام، وتشبيه الفم بالصاد لفظة لص، وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النجوم، فحصل في البيت توليد، وإغراب، وإدماج.

وقد أطلنا عنان القول، ولكن الحسن غير مملول.

* الفوائـد:

التعليق:

للأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر أحكام عديدة، منها: التعليق، وهو: إبطال العمل لفظاً لا محلاً لمجيء ما له صدر الكلام بعده، والمعلقات عن العمل هي:

١ ـ لام الابتداء نحو: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ فمن مبتدأ، وهو موصول اسمي، وجملة اشتراه صلة من، وعائدها فاعل اشتراه المستتر فيه، وما نافية، وله وفي متعلقان بالاستقرار خبر خلاق، ومن زائدة، وجملة ماله في الآخرة من خلاق خبر من، والرابط بينهما الضمير المجرور باللام، وجملة من وخبره في محل نصب معلق عنها العامل بلام الابتداء؛ لأن لها الصدارة، فلا يتخطاها عامل، وإنما تخطاها في باب: إن، فرفع الخبر لأنها مؤخرة من تقديم لإصلاح اللفظ، وأصلها التقديم على إن.

٢ ـ لام القسم كقول لبيد:

ولقـد علمـتُ لتـأتين منيّتـي إنَّ المنـايـا لا تَطِيـشُ سِهَـامُهـا

فاللام في لتأتين لام القسم، وتسمّى: جواب القسم، والقسم وجوابه في محل نصب معلق عنها العامل بلام القسم، لا جملة الجواب فقط، فسقط ما قيل: إن جملة جواب القسم لا محل لها، وإن الجملة المعلق عنها العامل لها محل فيتنافيان؛ ولهذا قال أبو حيان: «أكثر أصحابنا لا يذكرون لام القسم في المعلقات، وفي العزة، ولام القسم لا تعلق كقوله:

لقد علمت أسدٌ أنّنا لهم يوم نصرٍ لنِعْمَ النَّصير

بفتح أن، فهذه لام القسم، ولم تعلق، وتقول: علمت أن زيداً ليقومن بفتح أن» اهـ وفي المغني: «أن أفعال القلوب لإفادتها التحقيق تجاب بما يجاب به القسم، كقوله:

ولقد علمت لتأتين منيتي... الخ» اهـ.

فأخرج لام لتأتين عن كونها للقسم.

٣ ـ ما النافية نحو: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾فما نافية، وهؤلاء مبتدأ، وجملة ينطقون خبره، والجملة الاسمية في موضع نصب بعلمت، وهي معلق عنها العامل في اللفظ بما النافية.

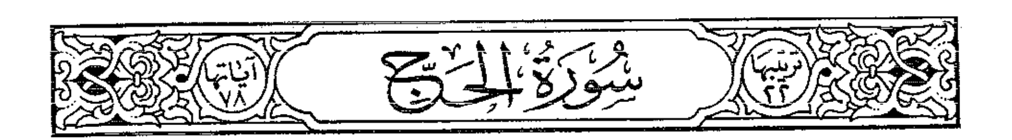
٤ ـ لا وإن النافيتان، الواقعتان في جواب قسم ملفوظ به، أو مقدر، فالملفوظ به، نحو: علمت والله لا زيد في الدار ولا عمرو، وعلمت والله أن زيد في الدار، والمقدر، نحو: علمت لا زيد في الدار ولا عمرو.

٥ ـ الاستفهام كالآية التي نحن بصددها، وهي: ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ﴾ الخ... وقول كثير:

وما كنتُ أَدْري قبلَ عزّة ما البُكا
ولا موجعات القلبِ حتى تولَّتِ

فعطف موجعات بالنصب على الكسرة على محل قوله: ما البكا؛ الذي علق عن العمل فيه قوله: أدري.

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٤) ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ مَّرِيدٍ ﴾: عاتٍ متجرّد للفساد. قال الزجاج: المريد، والمارد: المرتفع الأملس، وقال في القاموس وشرحه: المارد: العاتي المرتفع، يقال: بناء مارد، أي: مرتفع، وهو مجاز، وجمعه، مردة، وماردون، ومرّاد، والمريد: الشديد المرادة، والخبيث الشرير، وجمعه: مُرْد، ومؤنثه مرداء، يقال: مُرْد على جُرْدْ، أي: شبان مرد على خيول جرد.

○ الإعـراب:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ يا أداة نداء، وأيها منادى نكرة مقصودة مبني على الضم، والهاء للتنبيه، والناس بدل من أي على اللفظ، واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وإن زلزلة الساعة: إن واسمها، وشيء خبرها، وعظيم صفة لشيء، وجملة ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾.. الخ تعليلية لا محل لها من الإعراب، وذلك لقوله: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾ وزلزلة الساعة من إضافة المصدر إلى فاعله، أو إلى مفعوله، فعلى الأول كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكمي، وعلى الثاني على طريقة الاتساع في الظرف، وإجرائه مجرى المفعول به، كقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ الظرف متعلق بتذهل، وجملة ترونها مضاف إليها الظرف، وأجازوا فيه أوجهاً أخرى، منها: أن يكون متعلقاً بعظيم، أو باذكر مقدرة، أو: أنه بدل اشتمال من زلزلة؛ لأن كلاً من الحدث والزمان يصدق عليه أنه مشتمل على الآخر، والضمير في ترونها عائد على الساعة، أي: القيامة، ولأنها بهذه المثابة التي تقطع نياط القلوب، ويجوز أن يعود على الزلزلة، ولعله أقرب لأنه في الدنيا، وتذهل فعل مضارع مرفوع، وكل مرضعة فاعل، والجملة في محل نصب على الحال من ضمير ترونها، أي: الهاء فإن الرؤية هنا بصرية حتماً، هذا إذا لم نجعل يوم متعلقاً بتذهل، فإن تعلق به لم تجز الحال، وصارت الجملة مستأنفة، أو: أنها حال من الزلزلة، أو من الضمير المستتر في عظيم، أو: من الساعة، وإن كانت مضافاً إليها؛ لأنها إما فاعل، وإما مفعول به، كما تقدم، ولا بد عندئذ من تقدير ضمير محذوف، أي: تذهل فيها، والمرضعة هي التي باشرت الإرضاع بأن ألقمت الرضيع ثديها، والمرضع هي التي من شأنها أن ترضع سواء باشرت الإرضاع أم لم تباشره، ففرقوا بينهما بالتاء المربوطة، وسيأتي مزيد تفصيل لهذا السر في باب البلاغة، وعما

أرضعت متعلقان بتذهل، وما موصولة، أو مصدرية، أي: عن الذي أرضعته، أو عن إرضاعها، وتضع كل فعل مضارع وفاعل، والجملة معطوفة على جملة تذهل، وذات حمل مضاف لكل، وحملها مفعول به لتضع، والحَمل بفتح الحاء المهملة: ما كان في بطن، أو على شجرة، وبالكسرة: ما كان على ظهر. ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ الواو عاطفة، وترى فعل مضارع معطوف على ترونها، وإنما جمع في الأول، وأفرد في الثاني؛ لأن الرؤية الأولى علقت بالزلزلة أو الساعة، وكل الناس يرونها. أما الثانية فهي متعلقة بكون الناس سكارى، فلا بد من جعل كل أحد رائياً للباقي بقطع النظر عن اتصافه بالسكر، وفاعل ترى مستتر تقديره: أنت، والناس مفعول به، وسكارى حال، الواو للحال، وما نافية حجازية، وهم اسمها، والباء حرف جر زائد، وسكارى مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما، والجملة في محل نصب على الحال من الناس، ويجوز في سكارى ضم السين وفتحها فهما لغتان، وبهما قرىء، ولكن الواو عاطفة، على محذوف، مخالفة لما بعد لكن، وهذا حكم مطرد لها، والتقدير كما في «البحر» لأبي حيان: «فهذه الأحوال، وهي: الذهول، والوضع، ورؤية الناس شبه السكارى هينة لينة، ولكن عذاب الله شديد، أي: ليس ليناً وسهلاً، فما بعد لكن مخالف لما قبلها» وسيأتي مزيد بحث لهذه الآية في باب البلاغة. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لذكر من غفل عن الجزاء في ذلك، وكذب به، والمناسبة بينها وبين ما تقدم من ذكر أهوال الساعة، وزلزلتها واضحة، ومن الناس خبر مقدم، ومن نكرة موصوفة حتماً، وهي مبتدأ مؤخر، أي: ناس موصوفة بالجدل، واللجاج، والسفسطة، والمكابرة لا تنفع فيهم العظات، ولا تؤثر فيهم الدلائل، وجملة يجادل في الله صلة لمن، وأفرد الضمير مراعاة للفظ من، ولو جمع مراعاة لمعناها لجاز، وفي الله متعلقان بيجادل على حذف مضاف، أي: قدرته، وصفاته،

ودينه، وبغير علم حال من الضمير الفاعل في يجادل، أي: جاهلاً متخبطاً في متاهات الضلالة العمياء، والجهالة النكراء ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ ويتبع عطف على يجادل، وكل مفعول به، وشيطان مضاف إليه، ومريد صفة لشيطان، ولا بد من تقدير مضاف، أي: خطوات كل شيطان. ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ كتب فعل ماض مبني للمجهول، وعليه متعلقان به، وأن وما في حيزها في محل رفع نائب فاعل، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويجوز أن تكون من اسم موصول مبتدأ، وفأنه الخبر، ودخلت الفاء لما في الموصول من رائحة الشرط، وجملة يضله خبر أنه، وجملة الشرط أو الموصول خبر أنه، وأجاز الزمخشري أن تكون فأنه معطوفة على الأولى، وتعقبه أبو حيان فقال: وهذا لا يجوز؛ لأنك إذا جعلت فأنه عطفاً على أنه بقيت أنه بلا استيفاء خبر، على أن كثيرين أيدوا الزمخشري في إعرابه، ونرى أن ما اخترناه هو الأقرب للصواب، ويهديه عطف على يضله، وإلى عذاب السعير متعلقان بيهديه.

□ البلاغة:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ تشبيه بليغ، فقد شبه الناس في ذلك اليوم العصيب بحالة السكارى؛ الذين فقدوا التمييز، وأضاعوا الرشد، والعلماء يقولون: إن من أدلة المجاز صدق نقيضه، كقولك: زيد حمار إذا وصفته بالبلادة والغباء، ثم يصدق أن تقول، وما هو بحمار، فتنفي عنه الحقيقة، فكذلك الآية بعد أن أثبتت السكر المجازي نفت الحقيقة أبلغ نفي مؤكد بالباء، والسر في تأكيده التنبيه، على أن هذا السكر الذي هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود في شيء، وإنما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله، والاستدراك بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ راجع إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ وكأنه تعليل لإثبات السكر المجازي، كأنه قيل: إذا لم يكونوا سكارى من الخمر، وهو السكر المعهود، فما هذا السكر الغريب؟ وما سببه؟ فقيل: شدة عذاب الله تعالى.

٢ ـ وفي عدوله عن مرضع إلى مرضعة سرٌّ قلَّ من يتفطّن له، وهو: أن المرضعة هي التي باشرت الإرضاع فعلاً، فنزعها الثدي من فم طفلها عند حدوث الهول، ووقوع الارتباك أدلّ على الدهشة، وأكثر تجسيداً لمواطن الذهول؛ الذي استولى عليها، وهناك فرق آخر، وهو: أن وروده على النسب، أي: مرضع لا يلاحظ فيه حدوث الصفة المشتق منها، ولكن مقتضاه أنه موصوف بها، وعلى غير النسب، أي: مرضعة يلاحظ فيه حدوث الفعل، وخروج الصفة عليه، وهذا من أسرار لغتنا التي تندر في اللغات.

وقال في «المفصّل»: «إن مذهب الكوفيين إن حذف التاء من حائض للاستغناء عنها، وهذا يوجب إثبات التاء في محل الالتباس كضامر، وعاشق، وأيم، وثيب، وعانس» وهذا الاعتراض بيّن، وأما الاعتراض بإثبات التاء في الصفات المختصة بالإناث من امرأة معيبة، وكلبة مجرية على ما في الصحاح، فليس بسديد؛ لأن ما ذكروه مجوز لا موجب؛ لأنهم يقولون: الإتيان بالتاء في صورة الاستغناء على الأصل كحاملة في المرأة، قال في الصحاح: يقال: امرأة حامل وحاملة إذا كانت حبلى، فمن قال: حامل، قال: هذا نعت، ومن قال: حاملة، بناه على حملت، فهي حاملة، وأنشد لعمرو بن حسان:

تَمَخَّضَتِ المَنُونُ له بيوم أتى ولِكُلِّ حاملةٍ تَمام

فإذا حملت شيئاً على ظهرها، أو على رأسها، فهي حاملة لا غير.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿نُّطْفَةٍ﴾: ماء الرجل أو المرأة، والجمع: نطاف، ونُطَف، وهو ما يعرف بالمني، كفني، والمني، كإلي، والمنية كرمية، ويجمع على مُنْي، كقُفْل. ومنى، وأمنى، ومنّى بمعنى واحد. والنطفة أيضاً: الماء الصافي قل أو كثر، وسيأتي المزيد من الكلام عنه.

﴿عَلَقَةٍ﴾: العلقة: هي الدم الجامد، وهو المراد هنا، والذي يعلق باليد، وكل ما يُعلّق، وما تتبلّغ به الماشية من الشجر، ودويبة سوداء تمتص الدم، والجمع: علق.

﴿مُّضْغَةٍ﴾: لحمة قدر ما يمضغ.

﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾: المخلقة: المسوّاة الملساء من النقصان والعيب، يقال: خلق السواك والعود؛ إذا سواه، وملّسه، من قولهم: صخرة خلقاء، كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة متباينة منها، ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك، وعلى حسب ذلك التفاوت تتفاوت المخلوقات في الصّور، والخلق.

﴿طِفْلًا﴾: الطِّفل ـ بكسر الطاء ـ يطلق على الولد من حين الانفصال إلى حين البلوغ، وأما الطفل بالفتح فهو الناعم، والمرأة طفلة، وأما الطَّفَل ـ بفتح الطاء والفاء ـ فهو وقت ما بعد العصر، من قولهم: طفلت الشمس إذا مالت للغروب، وأطفلت المرأة؛ أي: صارت ذات طفل. وفي «المختار»: الطفل يستعمل مفرداً وجمعاً، وفي الحديث: سُئِل ﷺ عن أطفال المشركين. وقال في الأساس واللسان ما خلاصته: هو طفل بين الطفولة، وفعل ذلك في طفولته، وامرأة وظبية مُطفل، وطفّلت ولدها: رشحته. قال الأخطل يصف سحاباً:

إذا زَعْزَعَتْهُ الرِّيحُ جَرَّ ذُيولَها كما رَجَّعَتْ عُوذٌ ثِقالٌ تُطَفِّل

وامرأة طَفلة، وطفلة الأنامل: ناعمة، وبنان طَفْل: ناعمة.

قال ذو الرمة:

أسيلةُ مُسْتنِّ الوشاحين قانيءٌ
بأطرافِها الحِنَّاءُ في سَبِطٍ طَفْلِ

وقد طفُل طُفولة وَطَفالة، وآتيه في طفل الغداة، وطَفَل العَشي، وهو: بعيد طلوع الشمس وقبيل غروبها، قال:

باكرتُها طَفَلَ الغَداةِ بغارةٍ والمبتغونَ خِطارَ ذاكَ قليلُ

وقال لبيد:

فتَدلَّيتُ عليهِ قافِلاً وعلى الأرض غَيايات الطَّفَلْ

وطفَّلت الشمس: إذا دنت للغروب، وطفّل الليل: أقبل وأظلّ، وطفّل علينا وتطفَّل، وهو طفيلي. وتقول: ما زال يطفِّل على الناس، حتى نسخ طُفَيْلَ الأعراس، وهو رجل من الكوفة، نُسِب إليه التطفيل.

﴿ أَشُدَّكُمْ ﴾: تقدم بحثه، ونقول هنا: الأشد: كمال القول، والعقل، والتمييز، وهو من ألفاظ الجمع التي لم يستعمل لها واحد، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

﴿ هَامِدَةً ﴾: الهمود: السكون والخشوع، وهمدت الأرض: يبست، ودرست، وهمد الثوب: بلي.

﴿ ٱهْتَزَّتْ ﴾: تحركت، وتجوّز به هنا عن إنبات الأرض نباتها بالماء.

﴿ وَرَبَتْ ﴾: زادت وارتفعت، من: ربا، يربو.

○ الإعراب:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ يا أيها الناس تقدم إعرابها، وإن شرطية، وكنتم فعل ماض ناقص فعل الشرط، والتاء اسمها، وفي ريب خبرها، ومن البعث متعلقان بمحذوف صفة لريب، فإنا الفاء رابطة، وإن واسمها، وجملة خلقناكم خبرها، ومن تراب متعلقان

بخلقناكم، وإنما ساغ وقوع قوله ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ جواباً على تأويل، فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم. ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ عطف بثم للدلالة على وجود تراخٍ في تطور الخلق، وتدرّجه من حال إلى حال، وقوله مخلقة صفة لمضغة، وغير مخلقة عطف على مخلقة، والمراد: تفصيل حال المضغة، وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها من الأعضاء شيء، ثم ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً. ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لنبين اللام للتعليل، ونبين مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، واللام مع مدخولها متعلقة بخلقناكم، أو اللام للصيرورة والعاقبة، أي: أن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يمكن اكتناهه، أو الإحاطة به، ولذلك حذف مفعول نبيِّن، وذلك للاستدلال بهذه القدرة على أن من قدر على بدء الخلق قادر على إعادته، فلا مجال للإنكار، ولا مساغ للتشكك، ونقر: الواو استئنافية، ونقر فعل مضارع مرفوع، وفاعله مستتر تقديره: نحن، وفي الأرحام متعلقان بنقر، وما مفعول به، وجملة نشاء صلة، وإلى أجل مسمّى متعلقان بمحذوف حال، وإنما استأنف؛ لأنه ليس المعنى خلقناكم لنقر، ومسمّى صفة لأجل حرف، أي: ممتد الوقت خروجه. ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ ثم حرف عطف وتراخ أيضاً، ونخرجكم عطف على نقر، وفاعل نخرجكم ضمير مستتر تقديره: نحن، والكاف مفعول به، وطفلاً حال من مفعول نخرجكم، ثم لتبلغوا: لا بد من تقدير: فعل، وهو: نعمركم، ولتبلغوا اللام للتعليل، أو الصيرورة، وتبلغوا منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والواو فاعل، وأشدكم مفعول به. ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ الواو عاطفة، ومنكم خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وجملة يتوفى صلة، ومنكم خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وجملة يرد صلة، إلى أرذل العمر متعلقان بيرد، ونسب إلى علي بن أبي طالب قوله: أرذل العمر: خمس وسبعون سنة، وقيل: ثمانون، وقال قتادة: تسعون، والصواب أنه الهرم، والخرف، ووصول الإنسان إلى مرحلة الإعياء، والوهن، أو: يرتد إلى مرحلة

الطفولة ضعيف البنية والعقل، بليد الفهم. ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ لكيلا متعلقان بيرد، ويعلم منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وكي مصدرية، ومن بعد علم متعلقان بمحذوف حال؛ لأن علم بمعنى عرف، وشيئاً مفعول به ليعلم. ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ وهذه الجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير الدليل الثاني؛ لأن الدليل الأول منه ما هو مرئي مشاهد، ومنه ما ليس كذلك، فعبّر عنه بالخلق، أما هذا الدليل، فهو داخل في حيّز النظر ومندرج في سلك المرئيات، فلذلك عبر عنه بقوله وترى، والأرض مفعول به، وهامدة حال من الأرض، فإذا الفاء عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة أنزلنا مضافة إلى الظرف، وعليها متعلقان بأنزلنا، والماء مفعول به، وجملة اهتزت لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وربت عطف على اهتزت، وكذلك قوله: وأنبتت، ومن كل زوج صفة لمفعول به محذوف، أي: أشياء وأصنافاً كائنة من كل صنف، وبهيج صفة لزوج. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ذلك مبتدأ، وبأن الله خبر وقيل: ذلك خبر لمبتدأ محذوف، أي: الأمر ذلك، وعندئذ تكون الباء مع مدخولها في محل نصب على الحال، وأن واسمها، وهو ضمير فصل أو مبتدأ، والحق خبر أن، أو خبر هو، والمبتدأ الثاني، وخبره خبر أن، وأنه عطف على بأن، وأن واسمها، وجملة يحيي الموتى خبرها، وأنه على كل شيء قدير عطف أيضاً.

ولا بأس هنا بأن نورد ملاحظة لأبي حيان خلاصتها: أن الباء ليست للسببية، وإنما هي متعلقة بمحذوف تقديره: شاهد بأن، وهو ينطبق على ما ذكرنا من الوجهين المتقدمين.

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ وأن الساعة خبر لمبتدأ محذوف، أي: والأمر أن الساعة، وأن واسمها، وآتية خبرها، ولا نافية للجنس، وريب اسمها، وفيها خبرها، والجملة حالية، أو خبر ثان لأن. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ

﴿مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ عطف على ما تقدم، وأن واسمها، وجملة يبعث خبرها، ومن مفعول به، وفي القبور متعلقان بمحذوف صلة من.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ فنون لا يكاد يتسع لها صدر هذا الكتاب، وسنحاول تلخيصها جهد المستطاع، فأول ما فيها:

١ ـ ائتلاف الطباق والتكافؤ:

لمجيء أحدِ الضدين، أو أحد المتقابلين حقيقة، والآخر مجازاً، فهمود الأرض واهتزازها ضدان؛ لأن الهمود سكون، فالاهتزاز هنا حركة خاصة، وهما مجازان، والربو والإنبات ضدان، وهما حقيقتان، وإنما قلنا ذلك لأن الأرض تربو حالة نزول الماء عليها، وهي لا تنبت في تلك الحالة، فإذا انقطعت مادة السماء، وجفف الهواء رطوبة الماء خمد الربو، وعادت الأرض إلى حالها من الاستواء، وتشققت، وأنبتت، فصدر الآية تكافؤ، وما قابله في عجزها طباق.

٢ ـ الإرداف:

وفيها مع هذين الفنين: فن الإرداف، وهو كما ذكر قدامة في «نقد الشعر»: أن يريد المتكلم معنى، فلا يعبّر عنه بلفظه الموضوع له، ولا بلفظ الإشارة الدالّ على المعاني الكثيرة، بل بلفظ هو ردف المعنى الخاص، وتابعه قريب من لفظ المعنى الخاص قرب الرديف من الردف، وقد تقدمت الإشارة إليه في هود، وهنا في هذه الآية عدل عن لفظي الحركة والسكون الحقيقيين إلى أردافهما من لفظي الهمود والاهتزاز؛ لما في لفظي الإرداف من الملاءمة للمعنى المراد؛ لأن الهمود يراد به الموت، والأرض في حال عطلها من السقي والنبات موات، فكان العدول إلى لفظ الهمود المعبرّ به عن الموت أولى من لفظ السكون، والاهتزاز المجازي مشعر بالعطالة كاهتزاز الممدوح للمدح،

فلأجل ذلك عدل عن لفظ الحركة العام إلى لفظ الحركة الخاص؛ لما يشعر أن الأرض ستعطي عند سقيها ما يرضي من نباتها بتنزل السقي لها منزلة ما يسرها، فاهتزت لتشعر بالعطاء، فقد ظهرت فائدة العدول إلى لفظ الإرادف؛ لما يعطيه من هذه المعاني التي لا يعطيها لفظ الحقيقة.

٣ ـ التهذيب:

وقد جاء نظم هذه الآية مع ما تضمن من التكافؤ، والطباق، والإرداف، والائتلاف منعوتاً بالتهذيب؛ لما فيه من حسن الترتيب، حيث تقدّم فيه لفظ الاهتزاز على لفظ الربو، ولفظ الربو على الإنبات؛ لأن الماء إذ نزل على الأرض فرق أجزاءها، ودخل في خلالها، وتفريق أجزاء الجواهر الجمادية هو حركتها حالة تفرق الاتصال؛ لأن انقسام الجوهر يدلُّ على انتقال قسميه، أو أحدهما عن حيزه، ولا معنى للحركة إلا هذا، فالاهتزاز يجب أن يذكر عقيب السقي، كما جاء الربو بعد الاهتزاز، فإن التراب إذا دخله الماء ارتفع بالنسبة إلى حاله قبل ذلك، وهذا هو الربو بعينه، وقد تقدّم شرح كون الإنبات إنما يكون بعد الربو، وجفاف رطوبة الماء، وعود التراب إلى حاله، وتشققه، فحصل التهذيب في نظم هذه الآية بحصول حسن الترتيب، واقترن بذلك حسن النسق؛ لتقدم كل ما يجب أن يكون معطوفاً عليه على كل ما يجب أن يكون معطوفاً.

٤ ـ المذهب الكلامي:

وفي قوله تعالى من أول سورة الحج إلى قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ فن المذهب الكلامي، ففي هذه الآيات خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات، وسياقها مفصّلة على الترتيب:

آ ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ ذلك لأنه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه سبحانه أخبر بزلزلة الساعة معظماً لها، وذلك مقطوع بصحته؛ لأنه خبر أخبر به من ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته منقول إلينا بالتواتر، فهو حق، ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق، فالله هو الحق.

ب ـ أخبر سبحانه أنه يحيي الموتى؛ لأنه تعالى أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر، وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى؛ ليشاهدوا تلك الأهوال التي فعلها سبحانه من أجلهم، وقد ثبت أنه قادر على كل شيء، ومن الأشياء: إحياء الموتى، فهو يحيي الموتى.

جـ ـ وأخبر أنه على كل شيء قدير؛ لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين، ومن يجادل فيه بغير علم يذقه عذاب السعير، ولا يقدر على ذلك إلا من هو على كل شيء قدير، فهو على كل شيء قدير.

د ـ وأخبر أن الساعة آتية لا ريب فيها؛ لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الإنسان من تراب إلى قوله: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ وضرب سبحانه لذلك مثلاً بالأرض الهامدة التي ينزل عليها الماء، فتهتز، وتربو، وتنبت من كل زوج بهيج، ومن خلق الإنسان على ما أخبر به، فأوجده بالخلق، ثم أعدمه بالموت، ثم يعيده بالبعث، وأوجد الأرض بعد العدم، فأحياها بالخلق، ثم أماتها بالمحل، ثم أحياها بالخصب، وصدق خبره في ذلك كله بدلالة الواقع الشاهد على المتوقع الغائب؛ حتى انقلب الخبر عياناً صدق خبره.

هـ ـ في الإتيان بالساعة، ولا تأتي الساعة إلا ببعث من في القبور، إذ هي عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للمجازاة، فالساعة آتية لا ريب فيها، وهو سبحانه يبعث من في القبور.

٥ ـ المجاز:

في قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ فقد أسند الإنبات للأرض، وهو مجاز عقلي؛ لأن المنبت في الحقيقة هو الله تعالى، وقد تقدّم القول غير مرّة في المجاز، ونزيد هنا: أن المجاز خلاف الحقيقة، والحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة، من أحق الأمر، يحقه؛ إذا أثبته، أو: من حققته إذا كنت على يقين، وإنما سمي خلاف المجاز بذلك؛ لأنه شيء مثبت معلوم بالدلالة،

والمجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه؛ إذا تعداه، فإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً.

شرطا المجاز:

المجاز لا يكون إلا بشرطين:

آ ـ أن يكون اللفظ منقولاً عن معنى وضع اللفظ بإزائه أولاً، وبهذا يتميز عن اللفظ المشترك، وعن الكذب الذي ادعي فيه أنه مجاز.

ب ـ والشرط الثاني أن يكون النقل لمناسبة بين الأصل والفرع وعلاقته، ولأجل ذلك لا توصف الأعلام المنقولة بأنها مجاز، مثال ذلك تسميتك رجلاً بالحجر، ويقال أن ذلك مجاز وإن كنت نقلت اسم الحجر إلى الإنسان، إلا أنه نقل لغير مناسبة، إذ لا مناسبة بين حقيقة الحجر وحقيقة الإنسان، ومتى تحقق هذان الشرطان في لفظ، كان ذلك اللفظ مجازاً.

قسما المجاز:

والمجاز مجازان: مجاز استعارة، ومجاز حذف. والأول قائم على التشبيه؛ لأنها جعل الشيء للشيء للمبالغة في التشبيه، كقولك: لقيت أسداً، وأنت تعني: أنك لقيت شجاعاً، ولكن ليس فيها نقل كما تقدم، وسيأتي مزيد بسط لهذا البحث، فقوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ نقل الإنبات إلى الأرض، وجعل خضرتها، ونضرتها، وتعاشيبها، وتعاجيب ألوانها لها، والحقيقة أن كل ذلك لله.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ

خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ ﴾: الثني: اللي، وفي القاموس: ثنى يثني الشيء: عطفه، وطواه، ورد بعضه على بعض، وكفه. والعطف: الجانب يعطفه الإنسان، ويلويه، ويميله عند الإعراض عن الشيء، وهو تعبير يراد به التكبر.

﴿ حَرْفٍ ﴾: طرف، وسيأتي تفصيل معناه في باب البلاغة.

○ **الإعراب:**

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم: تقدم القول فيها مفصلاً، فجدّد به عهداً، ولا هدى عطف على علم ولا كتاب منير عطف أيضاً، وسيأتي القول في تكرير هذه الآية في باب البلاغة. ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ثاني حال من فاعل يجادل، وإنما نصبه على الحال، والحال من شرطها أن تكون نكرة؛ لأن إضافته بنية الانفصال، والتنوين مراد كالمنطوق به، وعطفه مضاف، وثني العطف سيأتي بحثه في باب البلاغة، وليضل: اللام للتعليل، أو للعاقبة، والصيرورة، ولعلها أولى لملاءمة السياق، ويضل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والفاعل مستتر تقديره: هو، وعن سبيل الله متعلقان بيضل، أي: عن دينه. ﴿ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ له خبر مقدم، وفي الدنيا حال؛ لأنه كان صفة لخزي، وتقدم على القاعدة المشهورة، وخزي مبتدأ مؤخر، ونذيقه الواو عاطفة، ونذيقه فعل وفاعل مستتر، ومفعول به، ويوم القيامة ظرف متعلق بالفعل قبله، وعذاب الحريق مفعول به ثان، وجملة له في الدنيا حالية. ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ذلك مبتدأ، وبما خبر، وجملة قدمت صلة، ويداك فاعل،

وأن عطف على قدمت، فهي في محل جر، وأن واسمها، وجملة ليس خبرها، واسم ليس مستتر تقديره: هو، والباء حرف جر زائد، وظلام اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ليس، وللعبيد جار ومجرور متعلقان بظلام، وجملة ذلك بما قدمت يداك مقول قول محذوف، وجملة القول حالية. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ الواو عاطفة، أو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان حال المرتابين في إيمانهم الشاكين في دينهم، ومن الناس خبر مقدم، ومن نكرة موصوفة، وهي مبتدأ مؤخر، أي: موصوفة بالعبادة القلقة، غير المستقرة، ولا الثابتة، فهي عرضة للأهواء يعصف بها أقل ما يحدث لهم من بلاء، أو ضر، وجملة يعبد الله صفة لمن، وعلى حرف حال من فاعل يعبد، أي: مضطرباً مترجرجاً، وسيأتي مزيد بيان لهذا التعبير في باب البلاغة. ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ﴾ فإن الفاء عاطفة، وإن شرطية، وأصابه فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والهاء مفعول به، وخير فاعل، واطمأن فعل ماض في محل جزم جواب الشرط، وبه متعلقان باطمأن، وإن الواو عاطفة على إن الأولى، وأصابته فتنة عطف على ما تقدم، وانقلب جواب الشرط، وعلى وجهه حال أيضاً، وجملة خسر الدنيا والآخرة حال أيضاً من فاعل انقلب، ولك أن تجعلها جملة مستأنفة، أو تبدلها من جملة انقلب على وجهه، والدنيا مفعول خسر، والآخرة عطف على الدنيا. ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ ذلك مبتدأ، وهو مبتدأ ثان والخسران خبر هو، والجملة خبر ذلك، والمبين نعت للخسران، والجملة مستأنفة، ولك أن تجعل هو ضمير فصل. ﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة حالاً من فاعل يعبد، ويجوز أن تكون مستأنفة، ويدعو فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو، ومن دون الله حال، وما اسم موصول مفعول به، ولا نافية، وجملة لا يضره صلة، وما لا ينفعه عطف على الجملة السابقة، وذلك هو الضلال البعيد تقدم إعراب نظيرتها. ﴿ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ الجملة بدل من جملة يدعو السابقة، فهي

بمثابة التكرير لها، ولا محل لها، ويدعو فعل مضارع، واللام للابتداء، أو هي موطئة للقسم، ومن اسم موصول مبتدأ، وضره مبتدأ ثان، وأقرب من نفعه خبر ضره، وجملة ضره أقرب من نفعه صلة من، وجملة لبئس المولى خبر من، ويرد على هذا الإعراب دخول لام الابتداء على الخبر، وهو ضعيف من حيث القواعد النحوية، إلا أن يقال أن اللام كررت للمبالغة، ولك أن تجعل يدعو من أفعال القلوب متضمنة معنى يزعم؛ لأن يزعم قول مع اعتقاد، فتكون جملة لمن ضره أقرب من نفعه في محل نصب على المفعول به؛ لأن لام الابتداء معلقة لها عن العمل، أو يكون يدعو بمعنى يقول، ومن مبتدأ، وضره مبتدأ ثان، وأقرب خبره، والجملة صلة من، وخبر من محذوف تقديره: إله، أو إلهي، وموضع الجملة نصب بالقول. وجملة لبئس مستأنفة؛ لأنها لا يصح دخولها في الحكاية؛ لأن الكفار لا يقولون عن أصنامهم لبئس المولى ولبئس العشير، وهناك وجه آخر مقبول، وهو أن تكون اللام زائدة في المفعول به ليدعو، ويؤيد هذا الوجه قراءة عبد الله يدعو من ضره بغير لام الابتداء، فمن مفعول يدعو، وضره مبتدأ، وأقرب خبر، والجملة صلة من، وقد اختار الجلال السيوطي هذا الوجه، ودعمه شارحوه، أما الزمخشري فهذا نصّ عبارته:

«استعير الضلال البعيد من ضلال من أبعد في التيه ضالاً، فطالت وبعدت مسافة ضلالته، فإن قلت: الضرر والنفع منفيان عن الأصنام مثبتان له في الآيتين، وهذا تناقض؟ قلت: إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم، وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جماداً لا يملك ضراً ولا نفعاً، وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستشفع به حين يستشفع به، ثم قال: يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها، ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها له ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾ أو كرر يدعو كأنه قال: يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه، ثم قال: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ بكونه معبوداً أقرب من نفعه بكونه شفيعاً لبئس المولى، وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام».

فكأن الزمخشري ـ رحمه الله ـ أجمل الأعاريب التي أوردناها على أن هناك أوجهاً عديدة، سلكها المفسرون تربو على سبعة أوجه، ولكنها كلها بعيدة عن المنطق نورد لك منها على سبيل المثال رأي الفراء قال: «إن التقدير يدعو من لضره، ثم قدم اللام على موضعها» ولا يخفى ما فيه من التعسف، وتقديم ما في صلة الذي عليها.

وثمة رأي لا يقلّ عن هذا غرابة وشذوذاً، وهو أن يكون ذلك بمعنى الذي في موضع نصب بيدعو، أي: يدعو الذي هو الضلال، ولكنه قدم المفعول، وهذا يتمشى على قول من جعل ذا مع غير الاستفهام بمعنى الذي، مع أنه منحصر في قولك ماذا، ومن ذا؟

وثمة رأي آخر أشد استحالة، وهو أن يكون التقدير ذلك هو الضلال البعيد يدعوه. فذلك مبتدأ، وهو مبتدأ ثان، أو بدل، أو ضمير فصل، والضلال خبر المبتدأ، ويدعوه حال، والتقدير: مدعواً، وهو وجه يدعو على نفسه بالوهن كما ترى، وإنما أوردنا هذه الآراء لنخلص إلى القول: إن هذه الآية من المشكلات التي شغلت علماء النحو والتفسير، ولم يأتوا فيها بما ينقع الغليل، وكلام الله المعجز أسمى من أن تطاله القواعد التي وضعها الإنسان.

وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم، والمولى فاعل، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: هو، ولبئس العشير معطوف على قوله: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ

ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَٱلۡمَجُوسَ﴾ : أطلق المجوس على فئة من الكهّان، كان لهم الدور الخطير في الديانة الإيرانية القديمة، ولا سيما في العهد الساساني، وقد أطلق الاسم على فئات من المنجمين والعلماء، وجاء ذكر المجوس في إنجيل متى، كانوا من رجال علم الفلك، وقد استناروا بوحي خاص عن مجيء المسيح، أتوا من منطقة لم تبعد عن فلسطين شرقاً على ما يظن، يهديهم نجم في السماء، إلى أن وصلوا إلى بيت لحم، وقدموا للمسيح الطفل هداياهم، وقد ذكر التقليد الشعبي أنهم كانوا ثلاثة ومن سلالة ملوكية، وأطلق العرب المجوس على قرصان النورمان والسكندينافيين؛ الذين حاولوا في القرون الوسطى اقتحام السواحل والحدود في بلاد الغرب الإسلامي، هذا وقد اختلف أهل العلم في المجوس، فقيل: هم قوم يعبدون النار، وقيل: الشمس، وقيل: هم القائلون بأن للعالم أصلين النور والظلمة، وقيل: هم قوم يستعملون النجاسات، والأصل نجوس، فأبدلت الميم نوناً، هذا؛ وقد تقدم تفسير ألفاظ هذه الآية إلا المجوس.

○ **الإعراب:**

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ إن واسمها، وجملة يدخل خبر، والذين مفعول به، وجملة عملوا الصالحات عطف على آمنوا، والجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير مصير المؤمنين الذين يعلمون الصالحات، وجنات مفعول به ثان على السعة، أو نصب بنزع الخافض، وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات، وجملة إن الله يفعل ما يريد مستأنفة لتعليل ما تقدم، وإن واسمها، وجملة يفعل خبر، وفاعل يفعل مستتر تقديره: هو، وما مفعول به، وجملة يريد صلة. ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ من شرطية مبتدأ، أو

موصولة فتكون الفاء فيما بعد رابطة للتشبيه بالشرط، والأول أرجح، وكان فعل ماض ناقص، واسمها مستتر يعود على من، وجملة يظن خبر وفاعل يظن مستتر يعود على: من، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف ضمير الشأن، وجملة لن ينصره الله خبرها، وأن وما بعدها سدّت مسدّ مفعولي يظن، وفي الدنيا متعلقان بينصره، والآخرة عطف على الدنيا. ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، واللام لام الأمر، ويمدد فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، والفاعل مستتر تقديره: هو، وبسبب متعلقان بيمدد، وإلى السماء صفة لسبب، والمراد بالسماء: سقف البيت، ثم ليقطع عطف على فليمدد، وهل حرف استفهام، ويذهبن فعل مضارع مبني على الفتح، وكيده مفعول به، وما يغيظ فاعل يذهبن، وجملة يغيظ صلة، وجملة ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ﴾ في موضع نصب بينظر، وسيأتي تفصيل واف لهذه الآية في باب البلاغة. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ الواو عاطفة، وكذلك نعت لمصدر محذوف، وأنزلناه فعل وفاعل ومفعول به، وآيات حال من الهاء، وبينات صفة، وأن الله عطف على هاء أنزلناه، والمعنى: وأنزلنا أن الله يهدي من يريد هدايته، ولك أن تجعل الواو للحال، وأن وما في حيزها في محل رفع لمبتدأ مضمر، أي: والأمر أن الله يهدي من يريد، وأن واسمها، وجملة يهدي خبرها، ومن مفعول يهدي، وجملة يريد صلة من. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ إن واسمها، وجملة آمنوا صلة، وما بعده عطف على الذين، والجملة ابتدائية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إن الثانية واسمها وخبرها في محل رفع خبر إن الأولى، وسيأتي السر في تصدير الجملتين بإن، أو تجعل الثانية تأكيداً للأولى، ويكون قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ هو الخبر، وإن واسمها، وعلى كل شيء متعلقان بشهيد، وشهيد خبر إن، وقيل: الخبر محذوف تقديره: معترفون، أو: نحو ذلك، وما ذكر تفسير له.

□ **البلاغــة:**

١ ـ الإيجاز والتمثيل:

في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿مَا يَغِيظُ﴾ الإيجاز والتمثيل، فأما الإيجاز فلأن معناه من كل يظن من حاسدي محمد ومبغضيه أن الله لن ينصره، وأنه يفعل شيئاً مغايراً للنصر، ومن كان يغيظه أن محمداً يظفر بمطلوبه، ويبلغ ما هدف إليه من المثل العليا التي رسمناها له فليستقص وسعه، وليستفرغ جهده، فلن يكون مثله إلا مثل من يأخذ حبلاً يمده إلى سماء بيته، فيخنق نفسه به، ثم بعد ذلك كله، ليعد النظر والتأمل مجدداً؛ ليرى هل ذهب نصر الله الذي يغيظه، ويقضّ مضجعه، وهل ذهب عنه ما كان يساوره من حرقة، وارتماض؟ وسمّي الاختناق قطعاً؛ لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه، ومنه قيل للبهر: القطع والبهر تتابع النفس.

وقال الجوهري في «الصحاح»: «وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ قالوا ليختنق؛ لأن المختنق يمد السبب إلى السقف، ثم يقطع نفسه من الأرض حتى يختنق، تقول منه: قطع الرجل، أي: اختنق، ولبن قاطع، أي: حامض».

قلت: والعامة تستعمل هذا التعبير فيما يذهب خيره ويبلى، وهو عربي فصيح. وسُمّي هذا الفعل كيداً لأنه وضعه موضعه، إما لأنه لا يستطيع سواه، ولا يملك غيره، وإما على سبيل الاستهزاء. وقد توسع المفسرون في هذه الآية، وذهبوا به مذاهب شتى، فقالوا: «ويجوز أن يراد: فليمد حبلاً إلى السماء المظلّة، وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي». وقال آخرون: «النصر هو الرزق، وأن الأرزاق بيد الله لا تنال إلا بمشيئته، ولابد للعبد من الرضا بقسمته، فمن ظن أن الله غير رازقه، وليس به صبر ولا استسلام، فليبلغ غاية الجزع، وهو الاختناق، فإن ذلك لا يقلب القسمة، ولا يرده مرزوقاً». وقيل غير ذلك. وما ذكرناه أولى، وأوفى بالمراد، وهو ما يخالج كل حاسد،

وما يقال لكل من يعترض على ما ليس في طوقه، ولا داخل في نطاق إرادته، تقول له: اشرب البحر، أو: اقتل نفسك، فليس لك حيلة في تبديل ما هو واقع راهن، وإرادة الله أقوى.

٢ ـ تصدير الجملتين بإن:

وفي تصدير الجملتين بإن زيادة في تأكيد الكلام، وقد رمقه الشعراء في أشعارهم، قال جرير:

إنَّ الخليفةَ إن الله سَرْبَلَه سربالَ ملكٍ به تُزجى الخواتيم

فقوله: إن الله سربله خبر إن الأولى، وكررها لتوكيد التوكيد، وسربله: كساه بالملك الشبيه بالسربال. ويروى: لباس ملك، وقوله: به، أي: بذلك اللباس أو الملك، تزجى؛ أي: تساق الخواتيم، جمع خاتم ـ بالفتح والكسر ـ والأصل: خواتم، فزيدت الباء، والمراد بها: عواقب الأمور الحميدة ومغابها. وقال أبو حيان: «يحتمل أن خبر إن، قوله: به تزجى الخواتيم، وجملة إن الله سربله: اعتراضية» ويروى: ترجى ـ بالراء المهملة ـ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨) ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِي رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (٢٢)﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَٱلدَّوَآبُّ﴾: جمع دابة ـ بتشديد الباء ـ لأنه مشتق من الدبيب، فأما من

قرأ بتخفيف الباء فقد حذفها كراهية التضعيف، والدابة مؤنث الدابّ: ما دبّ من الحيوان، أي: مشى كالحية، أو على اليدين والرجلين كالطفل، وغلبت الدابة على ما يركب، ويحمل عليه، وتقع على المذكر والمؤنث، والتاء فيه للوحدة، وتصغير الدابة: دويبة، والدبّاب: الشديد الدبيب، والضعيف: الذي يدب في المشي، قال:

زعمتني شَيْخاً ولستُ بشيخٍ إنَّما الشيخُ مَن يدبُّ دَبِيبا

والدبابة: مؤنث الدباب، وسميت بها آلة كانت في الماضي تتخذ في الحصار، وكانوا يدخلون في جوفها، ثم تدفع في أصل الحصن فينقبونه وهم في أجوافها، ثم أطلقت في العصر الحديث على سيارة مصفحة تهجم على صفوف الأعداء، وتُرْمَى منها القذائف.

﴿ٱلْحَمِيمُ﴾: الماء البالغ نهاية الحرارة، واستحمّ الرجل: اغتسل، واستحمّ: دخل الحمام، وبض حميمه، أي: عرقه، ويقال للمستحم: طابت حمّتك وحميمك، وإنما يطيب العرق على المعافى، ويخبث على المبتلى، فمعناه: أصحّ الله جسمك، وهو من باب الكناية. وسخن الماء بالمِحَمّ، وهو القمقم، أو المرجل، ومثل العالم كمثل الحَمّة، وهي العين الحارّة، وذابوا ذوب الحمّ، وهو ما اصطهرْتَ إهالته من الألية، وحمّى الرجل حُمَّى شديدة، وهو محموم، وهو حميمي، وهي حميمتي، أي: وديدي، وديدتي، وهم أحمّائي. وتقول المرأة: هم أحْمائي، وليسوا بأحِمّائي، وعرف ذلك العامة والحامّة، أي: الخاصة، وهو مولاي الأحم، أي: الأخص والأحب، قال:

وكَفَيْتُ مولايَ الأحمَّ جَرِيرتي وحَبَسْتُ سائِمتي على ذي الخَلَّةِ

وحمَّ الأمر: قضي، وحُمَّ حِمامه، ونزل به القدر المحموم، والقضاء المحتوم.

﴿يُصْهَرُ﴾: يذاب، يقال: صهرت الشحم، من باب: قطع؛ إذا أذبته، والصهارة: الألية المذابة، وصهرته الشمس: أذابته، وفي الحديث: «إن الحميم ليصب من فوق رؤوسهم، فينفذ من جمجمة أحدهم حتى يخلص إلى

جوفه، فيسلب ما في جوفه حتى يمرق من قدميه، وهو الصهر، ثم يعاد كما كان».

﴿مَّقَـٰمِعُ﴾: جمع مِقمعة ـ بكسر الميم ـ لأنها آلة القمع، يقال: قمعه يقمعه، من باب: قطع، إذا ضربه بشيء يزجره به، ويذله، والمقمعة: المطرقة، وقيل: السوط. وفي الأساس: «قمع خصمه: قهره، وأذله، فانقمع، وتقمع، والناس على باب القاضي متقمّعون، وانقمع في بيته، وتقمع: جلس وحده، وقمعته بالمقمع والمقمعة وبالمقامع، وهي: الجِرزة، وتقمّعت الدواب: ذّببت عن رؤوسها القَمَع، وهي: ذبّان كبار زُرق، من ذبان الكلأ التي تغنّي، الواحدة: قَمَعة، وأنشد الجاحظ:

كـأنَّ مَشَـافِـرَ النّجَـداتِ منهـا
إذا مـا مسّهـا قَمَـعُ الـذّبـابِ

بـأيـديَ مـأتـمٍ مُتَسـاعـداتٍ
نِعـالُ السَّبْـت أو عـذَب الثّيـابِ

من النّجْد: العَرَق.

وقال أوس:

ألم تَـرَ أنَّ اللهَ أرْسـل مُـزْنَـةً
وعُفْـر الظّبـاء في الكِنـاسِ تَقَمَّـعُ

وهم يكلّلون الجِفان بالقمع، جمع قَمَعة، وهي: أعلى السنام، ومن المجاز: «ويل لأقماع القول» وهم الذين يسمعون ولا يعون، وفلان قمعُ الأخبار: يتتبّعها، ويتحدّث بها، وتقول: ما لكم أسماع، إنما هي أقماع». وفي القاموس وشرحه: «والقمع أيضاً بتثليث القاف: آلة تُوضع فوق الإناء فتصبّ فيه السوائل، وجمعه: أقماع».

وللقاف مع الميم خاصة عجيبة، وهي أنهما إذا اجتمعتا فاء وعيناً للكلمة دلّت على القهر، والإذلال، والغلبة. تقول: قمؤ الرجل قماءة وقمأ قمأً: إذا ذل وصغر في الأعين، وهو صاغر قميء، وأقمأ الرجل: أذله، وقمحت

السويق وغيره ـ بكسر الميم ـ واقتمحته: إذا أخذته في راحتك إلى فيك، ومنه القمح، وهو الحب الذي يطحن، ويتخذ منه الخبز، وشهر أقماح: أشد أشهر الشتاء برداً، قال الهذلي:

فتىً ما ابن الأغرِّ إذا شَتَوْنا وحُبَّ الزَّادِ في شهريْ قُماحِ

ومن المجاز: أقمح المغلول فهو مقمح: إذا لم يتركه عمود الغُل الذي ينخس ذقنه أن يطأطىء رأسه ﴿فَهُم مُّقۡمَحُونَ﴾ وقمر الرجل: غلبه، وسلبه ماله، وقِمر الرجل ـ بكسر الميم ـ تحير بصره من الثلج، وكأن القمر سُمّي بذلك لأنه متحيرّ في سمائه، وقمز الشيء: جمعه، وأخذه بأطراف أصابعه، وقمسه في الماء: غمسه، وغرق في قاموس البحر: في قعره الأقصى، وشبه القاموس بأعماق البحار لاشتماله على الكثير من مفردات اللغة، وهو اسم لكتاب الفيروزبادي في اللغة، ويطلق في زماننا على كل كتاب في اللغة، فهو يرادف كلمة معجم، وليس ذلك بعيداً، وقمص يقمص بكسر الميم وضمها في المضارع قِماصاً ـ بالكسر ـ كالنفار، والشراد، وتقامص الصبيان وبينهم مقامصة، وقمص الفرس: رفع يديه معاً، وطرحهما معاً، وعجن برجليه، وتقمص مطاوع قمص: لبس القميص، ويقال على الاستعارة: تقمص الولاية والإمارة، وتقمصت الروح: انتقلت من جسد إلى جسد آخر على زعم بعضهم، ومنه القميص، وهو: ما يلبس، وقمط الأسير: جمع بين يديه ورجليه بالحبل، وهو: القماط، وقمط الصبي بقماطة، وهي: الخرقة التي تلف عليه في المهد، والعامة تستعمله كثيراً، وهو عربي فصيح، والقمّاط: اللص، وقمط الطائر أنثاه، والرجل امرأته: فعل بها، وقمقم ما على المائدة: تتبع ما عليها، وجمعه، وقمل رأسه: صار ذا قمل يُفَلّيه، وقمَّ الشيء يُقمه ـ بضم القاف ـ: استأصله، وقممه: جففه، والقَمَن ـ بفتحتين ـ: الجدير بالأمر كأنه يغلبه، ويتحكم به، ويكون بلفظ واحد مع المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع، ويقال: هذا المنزل لك موطن قمن، أي: جدير بأن تسكنه، وقمه البعير يقمه قموهاً: رفع رأسه فلم يشرب الماء، كأن شيئاً غلبه، وهذا من الغريب بمكان.

○ الإعراب:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ ﴾ : الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتر فعل مضارع مجزوم بلم، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والرؤية هنا علمية، وذلك لأن رؤية سجود هذه الأمور إنما تتأتى عن طريق العقل لا عن طريق البصر، وأن وما في حيزها سدّت مسدّ مفعولي تر، وأن واسمها، وجملة يسجد خبرها، وله متعلقان بيسجد، ومن فاعل، وفي السموات، ومن في الأرض متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والشمس وما بعدها عطف خاص على قوله من في السموات ومن في الأرض، ونص على هذه الأمور لما ورد من أن بعضهم كان يعبدها، والسجود يشمل الملائكة، والآدميين، والجبال، والشجر، والدواب، وغيرها، وأفرد الشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، والدواب بالذكر لشهرتها، واستبعاد السجود منها. ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ شغلت هذه الآية المفسرين والمعربين كثيراً فمن منع استعمال المشترك في معنييه الحقيقي والمجازي لم ينظم كثيراً في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل، وجعله مرفوعاً بفعل مضمر يدل عليه قوله: يسجد، أي: ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة، وذلك أن السجود المسند لغير العقلاء غير السجود المسند للعقلاء، فلا يسوغ عطفه عندهم على ما قبله لاختلاف الفعل المسند إليهما في المعنى، فسجود العقلاء هو الكيفية المخصوصة المعروفة، وسجود غير العقلاء هو الإذعان والطاعة، وأما الذين أجازوا استعمال المشترك في معنييه الحقيقي والمجازي، فهم ينسقونه على ما تقدم، ولهم في تبرير ذلك تأويلات ثلاثة، وهي:

آ ـ أن المراد بالسجود هو المعنى العام المشترك بين العقلاء وغيرهم، وهو: الخضوع، والإذعان، فيكون الاشتراك معنوياً.

ب ـ أنه لا يمنع الاشتراك اللفظي، وقد يشترك المجاز والحقيقة.

ج ـ أنه يجوز الجمع بين المجاز والحقيقة، وسيأتي مزيد بسط لهذا الموضوع في باب البلاغة.

ووقف فريق من المعربين موقفاً ثالثاً، فلم يرفعوه بفعل مضمر؛ لأن حذف فعل الفاعل غير وارد عندهم، ولم ينسقوه على ما تقدم، بل أعربوه مبتدأ وخبره محذوف تقديره: مطيعون، أو مجزيون، أو مثابون، أو نحو ذلك، ومن الناس صفة كثير، وكثير حق عليه العذاب عطف على سابقه. ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، ومن شرطية في محل نصب مفعول به مقدم ليهن، والله فاعل، وما نافية، وله خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، ومكرم مجرور بمن لفظاً مبتدأ مرفوع محلاً، وإن واسمها، وجملة يفعل خبرها، والجملة تعليلية. ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لسرد قصة المتبارزين يوم بدر، وهم: حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وقيل: هم المختصمون من أهل الكتاب، والمسلمين في دين الله، وهذان مبتدأ، وخصمان خبره، وجملة اختصموا صفة لخصمان، ولك أن تجعل الجملة خبراً، وخصمان بدل من هذان، وفي ربهم متعلقان باختصموا، وهو على حذف مضاف، أي: في دينه، وقال خصمان، ثم جمع الفعل؛ لأن الخصم في الأصل مصدر؛ ولذلك يوحَّد ويذكر غالباً، ويجوز أن يثنى ويجمع أو الجمع مراعاة للمعنى؛ لأن المتخاصمين كانوا فرقاً شتى، وطوائف كثيرة. ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ الفاء عاطفة، والذين مبتدأ، وجملة كفروا صلة، وجملة قطعت خبر، ولهم متعلقان بقطعت، وثياب نائب فاعل، ومن نار صفة لثياب، وسيأتي تفصيل معنى الثياب ـ هنا ـ في باب البلاغة، وجملة يصب خبر ثان لاسم الموصول، أو حالية من الضمير في لهم، أو تجعلها مستأنفة، ويصب فعل مضارع مبني للمجهول، ومن فوق رؤوسهم متعلقان بيصب، والحميم نائب فاعل. ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ جملة يصهر حالية من الحميم،

وهو بالبناء للمجهول، وبه متعلقان به، وما نائب فاعل، وفي بطونهم متعلقان بمحذوف صلة ما، والجلود عطف على ما، واختار بعضهم أن يكون الجلود مرفوعاً بفعل مضمر، أي: وتحرق الجلود، قالوا: لأن الجلود لا تذاب، وإنما تنقبض إذا صليت بالنار، فهو من باب: علفتها تبناً وماء بارداً... أي: وسقيتها ماء؛ لأن الماء لا يكون علفاً. ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ الواو عاطفة، ولهم خبر مقدم، ومقامع مبتدأ مؤخر، ومن حديد صفة لمقامع، واختلف في عودة الضمير في لهم، فقيل: يعود على الذين كفروا، واللام للاستحقاق، وقيل: يعود على أعوان جهنم، أي: الزبانية، ولم يتقدم لهم ذكر، ولكن سياق الكلام يدلّ عليه. ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ كلما ظرف متضمن معنى الشرط، وقد تقدم كثيراً، وأرادوا فعل وفاعل، وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول به لأرادوا، ومنها متعلقان بيخرجوا، ومن غم بدل من الجار والمجرور قبله بدل اشتمال؛ لأنها تشمل عليه، ويجوز أن تكون من للتعليل فتتعلق بيخرجوا أيضاً، أي: يخرجوا من النار من أجل الغم الذي لحق بهم، وجملة أعيدوا لا محل لها؛ لأنها جواب كلما، وفيها متعلقان بأعيدوا، والواو حرف عطف، والمعطوف محذوف تقديره: وقيل لهم، وجملة «ذوقوا عذاب الحريق» مقول القول المحذوف.

□ البلاغة:

١ ـ الحقيقة والمجاز:

الحقيقة: هي اللفظ الدال على موضعه الأصلي، وأما المجاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع في أصل اللغة كما تقدم، وقد وعدناك أن نقول قولاً شافياً في جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز، فالواقع أن كل مجاز له حقيقة؛ لأنه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعة له، وبديه أن المخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء يستدل بها عليها ليعرف كل منها باسمه من أجل التفاهم الذي لابد منه، فالاسم الموضوع بإزاء المسمى هو حقيقة له، فإذا

نقل إلى غيره صار مجازاً، والفرق الدقيق بينهما: هو أن الحقيقة جارية على العموم في نظائر، ألا ترى أنا إذا قلنا: فلان «عالم» صدق على كل ذي علم، بخلاف: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ لأنه لا يصح إلا في بعض الجمادات دون بعض؛ إذ المراد أهل القرية لأنهم ممن يصح السؤال لهم، ولا يجوز أن يقال: واسأل الحجر، والتراب، وقد يحسن أن يقال: واسأل الربع والطلل، قال الأعشى:

ألم تَسألِ الرَّبْعَ القواءَ فَيَنْطِقُ وهل تُخْبِرَنْكَ اليومَ بَيْداءُ سَمْلَقُ؟

٢ ـ الاستعارة التمثيلية في ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ﴾:

في قوله تعالى: ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ استعارة تمثيلية، جعل تقطيع الثياب وتفصيلها على قدود الكفار بمثابة الإحاطة بهم، مع التهكم الذي ينطوي عليه، أي: أنها تشتملهم وتحتويهم كما تشتمل الثياب لابسها وتحتويه، أما الروعة فهي كامنة في قوله: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ وهو ما يسمّى بالإرداف؛ فإن الثياب تشمل جميع الجسد غير الرأس، أفرد الرؤوس بالذكر بقوله: ﴿يُصَبُّ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

○ الإعراب:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ تقدم إعراب نظيرها، فجدّد به عهداً. ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ

أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ يحلون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وفيها متعلقان بيحلون، ومن أساور اضطربت أقوال المعربين فيها، كما استشهد بها جميع النحويين على مجيء من لبيان الجنس، وهي قوله: ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ وعلامتها: أن يصح الإخبار بما بعدها عما قبلها، فتقول: الأساور هي من ذهب، ومن البيانية ومجرورها في موضع نصب على الحال مما قبلها إن كان معرفة، كقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ وفي موضع النعت كقوله: من ذهب، ولم أر بينهم جميعاً من تعرض لإعراب من أساور إلا بقول مبهم، لا يبل أواماً، ولا يشفي غليلاً، ولعل أقرب ما أراه فيها أن تكون نعتاً لمفعول محذوف، أي: حلياً ناشئاً من أساور كائنة من ذهب، واكتفى ابن هشام بقوله: هي للابتداء. وقال أبو البقاء مثل قولنا، ولم يتعرض الزمخشري لها، وقال شهاب الدين الحلبي: «وقوله ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ في من الأولى ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها زائدة.

والثاني: أنها للتبعيض، أي: بعض أساور.

والثالث: أنها لبيان الجنس.

ومن في ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ لابتداء الغاية، وهي نعت لأساور».

وقوله متهافت متدافع كما ترى.

ولؤلؤاً عطف على محل من أساور؛ لأن محلها النصب، كذا قال المعربون، ولكن الزمخشري لم يرتض هذا القول، فجعلها منصوبة بفعل محذوف، تقديره: ويؤتون لؤلؤاً، وجملة يحلون حالية، أو: خبر ثان لإن، ولباسهم الواو عاطفة، ولباسهم مبتدأ، وفيها حال، وحرير خبر. وفي هذا العدول عن الفعلية إلى الاسمية دلالة على الديمومة، حيث لم يقل: ويلبسون حريراً، فقد دل على أن الحرير ثيابهم المعتادة والدائمة في الجنة، كما أن فيه رعاية للمحافظة على الفواصل؛ لأنه لو قال: ويلبسون حريراً لكان في آخر الفاصلة

الألف في الكتابة، والوقف بخلاف البقية ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ الواو عاطفة، وهدوا فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وإلى الطيب متعلقان بهدوا، ومن القول متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستكن في الطيب، وهدوا إلى صراط الحميد عطف على الجملة السابقة، أي: إلى طريق الله المحمود، ودينه القويم. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ إن واسمها، وجملة كفروا صلة، والجملة مستأنفة،

ويصدون الواو حرف عطف، ويصدون عطف على كفروا، وفي عطفه على الماضي تأويلات: أولها: أن لا يقصد بالمضارع الدلالة على زمن معين من حال أو استقبال، وإنما يراد به مجرد الاستمرار، ومثله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾. أو أنه مؤول بالماضي لعطفه على الماضي، أو أنه على بابه، وأن الماضي قبله مؤول بالمستقبل، وقد أجاز أبو البقاء وغيره أن تكون الواو حالية، والجملة في محل نصب على الحال من فاعل كفروا، وهو قول متهافت؛ لأنه مضارع مثبت، وما كان كذلك لا تدخل عليه الواو، وما ورد منه على قلته مؤول، فلا يسوغ حمل القرآن عليه، وعن سبيل الله متعلقان بيصدون، والمسجد الحرام عطف على سبيل الله، والذي صفة ثانية للمسجد، وجملة جعلناه صلة، ونا فاعل، والهاء مفعول به أول، وللناس حال؛ لأنه كان صفة وتقدم، وسواء مفعول به ثان إن كانت جعل متعدية لاثنين، وإن كانت متعدية لواحد أعربت سواء حالاً من هاء جعلناه، والعاكف فاعل سواء لأنه مصدر وصف، فهو في قوة اسم الفاعل المشتق، أي: بمعنى مستو، أي: جعلناه مستوياً فيه العاكف، أي: المقيم، والباد بحذف الياء تبعاً لرسم المصحف معطوف على العاكف، ومعناه: الطارىء، وقد انفرد حفص بقراءة النصب في سواء، والجمهور على رفعها، على أنه خبر مقدم، والعاكف والباد مبتدأ مؤخر، والجملة في محل نصب مفعول به ثان، أو حال، وخبر إن محذوف تقديره: خسروا، أو هلكوا، أو نحو ذلك، وقدره الزمخشري نذيقهم من عذاب أليم، واعترض عليه بأنه يكون بعد المسجد الحرام، وفيه فصل بين

الصفة والموصوف. ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الواو عاطفة، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويرد فعل الشرط، وفيه متعلقان بيرد، ومفعول يرد محذوف ليتناول كل ما يمكن تناوله، وبإلحاد حال، وبظلم حال أيضاً، فهما حالان مترادفتان، كأنه قال: ومن يرد فيه مراداً عادلاً عن القصد ظالماً، وهذا أولى من تقدير زيادة الباء في إلحاد، وجعله هو المفعول، قال أبو عبيدة: «مفعول يرد هو بإلحاد، والباء زائدة في المفعول، قال الأعشى:

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا ....

أي: رزق». وقال أبو حيان: والأحسن أن يضمن معنى يرد يلتبس، فيتعدى بالباء» ونذقه جواب الشرط، والفاعل مستتر تقديره: نحن، والهاء مفعول به، ومن عذاب متعلقان بنذقه، وأليم صفة، وقدر أبو حيان الخبر مستنتجاً من قوله: نذقه، وهو إعراب تفسيري لا صناعي، فالأولى أن يقدر تقديراً، أي: نذيقهم عذاباً أليماً.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿رِجَالًا﴾: مشاة، جمع راجل، كقائم وقيام، يقال: رجل يرجَل ـ بفتح الجيم ـ رَجَلاً ـ بفتحتين ـ: سار على رجليه لا راكباً، ويقال: هذا رجل، أي: كامل في الرجال، بين الرَّجولية والرُّجولية، وهذا أرجل

الرجلين، وهو راجِل ورجِل بين الرُّجْلة، وحملك الله عن الرُّجلة، ومن الرُّجلة، وقومٌ رُجّال، ورِجال، ورجّالة، ورجْل، ورَجْلى، ورُجالى، وأراجيل، وترجلوا في القتال: نزلوا عن دوابهم للمنازلة، ورآه فترجل له، ورجل أرْجَل عظيم الرجل، ورجل رجيل، وذو رُجلة مشّاء.

﴿ضَامِرٍ﴾: في «المختار»: ضمر الفرس، من باب: دخل، وضَمُر أيضاً ـ بالضم ـ ضمراً بوزن قفل، فهو ضامر، وناقة ضامر وضامرة، وتضمير الفرس أيضاً: أن تعلفه حتى يسمن، ثم ترده إلى القوت، وذلك في أربعين يوماً. والبعير يطلق على الجمل والناقة.

﴿فَجٍّ﴾: الفَج ـ بفتح الفاء ـ ويجمع على فِجاج ـ بكسر الفاء ـ والفُجاج ـ بضم الفاء ـ: الطريق الواسع، الواضح بين الجبلين.

﴿تَفَثَهُمْ﴾: أوساخهم، وقضاء التفث المراد به: قص الأظافر، ونتف الإبط. وفي «المصباح»: تفث تفثاً فهو تفث، مثل تعب تعباً فهو تعب: إذا ترك الأدهان والاستحداد، فعلاه الوسخ. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ قيل: هو استباحة ما حرم عليهم بالإحرام بعد التحلل». وقال غيره: «التفث قيل: أصله من التف، وهو: وسخ الأظفار، قلبت الفاء كمعثور في معفور، وقيل: هو الوسخ والعذر، يقال: ما تفثك؟ وحكى قطرب: تفث الرجل: إذا كثر وسخه في سفره، ومعنى: ليقضوا: ليصنعوا ما يصنعه المحرم من إزالة شعر وشعث، ونحوهما عند حلّه».

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ الواو استئنافية، والظرف متعلق بمحذوف تقديره: اذكر، وجملة بوأنا مضافة إليها الظرف، وبوأنا فعل وفاعل، ولإبراهيم متعلقان ببوأنا، ومكان البيت مفعول بوأنا، واختار أبو البقاء وغيره أن تكون اللام زائدة، أي: أنزلناه

مكان البيت، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أما على الأول، فيكون معنى بوأنا: هيأنا، وإن هي المفسرة لأنها واقعة بعد قول مقدر، أي: قائلين له لا تشرك، ولا ناهية، وتشرك فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وقيل: هي مصدرية، فعلنـا ذلك لئلا تشرك، وجعل النهي صلة لها، وبي متعلقان بتشرك، وشيئاً مفعول تشرك. وعبارة أبي حيان: وأن مخففة من الثقيلة، قاله ابن عطية، والأصل: أن يليها فعل تحقيق، أو ترجيح كحالها إذا كانت مشددة، أو حرف تفسير، قاله الزمخشري، وابن عطية، وشرطها أنْ يتقدمها جملة في معنى القول، وبوأنا ليس فيه معنى القول، والأولى عندي أن تكون أن الناصبة للمضارع إذ يليها الفعل المتصرف من مـاض ومضـارع وأمـر، والنهـي كـالأمـر. ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ وطهر الواو عاطفة، وطهر فعل أمر، فاعله مستتر تقديره: أنت، وبيتي مفعول طهر، وللطائفين متعلق بطهر، والقائمين والركع عطف على ما تقدم، والسجود صفة للركع، والأولى أن تجعل الكلمتين بمثابة الكلمة الواحدة؛ لأنهما عملان في عمل واحد، وهو الصلاة. ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ وأذن فعل أمر، أي: ناد بدعوة الحج، والأمر به، والخطاب لإبراهيم كما يقضيه السياق، وعليه المفسرون جميعاً. وعن الحسن: أنه خطاب لرسول الله ﷺ أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع، وهو أقوى من جهة التشريع، وفي الناس متعلقان بأذن، وبالحج متعلقان بمحذوف حال، أي: معلناً، ويأتوك مضارع مجزوم؛ لأنه وقع جواباً للطلب، والواو فاعل، والكاف مفعول به، ورجالاً حال، وعلى كل ضامر عطف على رجالاً، أي: مشاة وركباناً، ويأتين فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، والنون فاعل، وجملة يأتين صفة لكل ضامر؛ لأنه في معنى الجمع، وقرىء يأتون صفة للرجال الركبان، ومن كل فج متعلقان بيأتين، وعميق صفة لفج. ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ اللام للتعليل، ويشهدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها، وهي متعلقة مع

مجرورها بيأتوك، أو بأذّن، ومنافع مفعول به، ولهم صفة لمنافع، ويذكروا عطف على يشهدوا، والواو فاعل، واسم الله مفعول به، وفي أيام متعلقان بيذكروا، ومعلومات صفة لأيام، وسيأتي ذكر هذه الأيام في باب الفوائد. ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ على ما رزقهم متعلقان بيذكروا أيضاً، ومعنى على هنا التعليل، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾.

وقول الشاعر:

علامَ تَقُولُ الرُّمحَ يُثقلُ عاتِقي إذا أنا لم أطعنْ إذا الخيلُ كرَّتِ

ومن بهيمة الأنعام متعلقان برزقهم، فكلوا: الفاء الفصيحة، وكلوا فعل أمر وفاعل، ومنها متعلقان بكلوا، وأطعموا عطف على كلوا، والبائس مفعول به، والفقير صفة. ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ ثم حرف عطف، واللام لام الأمر، وسيأتي بحث مفيد عنها في باب الفوائد، ويقضوا مضارع مجزوم بلام الأمر، وتفثهم مفعول به، وليوفوا نذورهم عطف على يقضوا تفثهم، وليطوفوا بالبيت عطف أيضاً، وبالبيت متعلقان بيطوفوا، والعتيق صفة للبيت، وسيأتي السر في تسميته بالعتيق في باب الفوائد.

* الفوائـد:

١ ـ لام الأمر:

لام الأمر، ويسميها النحاة: اللام الطلبية، سواء أكانت أمراً أم دعاء، فالأول نحو: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ والثاني نحو: ﴿لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَ﴾ وتكون للالتماس، فالأمر من الأعلى، والدعاء من الأدنى، والالتماس من المساوي. ولام الأمر مكسورة إلا إذا وقعت بعد الواو والفاء، فالأكثر تسكينها، نحو: ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي﴾ وقد تسكن بعد ثم. وتدخل

لام الأمر على فعل الغائب معلوماً ومجهولاً، وعلى المخاطب والمتكلم المجهولين.

٢ ـ لماذا سمّي البيت العتيق؟

اختلف المفسرون في هذه التسمية، فرجح الزمخشري أنه القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس، وقال ابن عباس: سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من تسلط الجبابرة عليه، فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله. وقال الزمخشري في تأييد هذا الوجه: «فإن قلت: قد تسلط عليه الحَجّاج فلم يمنع؟ قلت: ما قصد التسلّط على البيت، وإنما تحصن به ابن الزبير، فاحتال لإخراجه، ثم بناه، ولما قصد التسلط عليه أبرهة فعل به ما فعل» كما سيأتي، وقيل: بيت كريم، من قولهم: عتاق الخيل، والطير.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: الحُرُمات ـ بضمتين ـ ويقال في الجمع أيضاً حُرَمات ـ بضم ففتح ـ وحُرَم ـ بضم ففتح ـ جمع حُرْمَة ـ بضم فسكون ـ وحُرُمه ـ بضمتين ـ وحُرَمة ـ بضم ففتح ـ وهي الذمة، والمهابة، وما وجب القيام به من حقوق الله، وحرم التفريط به، وما لا يحل انتهاكه. وتفاصيل الحرمات تؤخذ من كتب الفقه.

﴿ٱلرِّجْسَ﴾: بتشديد الراء المكسورة وسكون الجيم، والرَّجس بتشديد الراء المفتوحة وفتح الجيم، والرَّجِس بتشديد الراء المفتوحة وكسر الجيم: القذر والأوساخ، وسمى الأوثان رجساً على طريق التشبيه؛ لأنها قذر معنوي.

﴿ٱلزُّورِ﴾: الشرك بالله، والباطل، والكذب. ومن معانيه أيضاً: العقل، والقوة، يقال: ماله زور ولا صَيّور، أي: لا قوة له، ولا مرجع إليه. والرأي، والسيد، والزعيم، ولذة الطعام وطيبه، ولين الثوب ونقاؤه، ومجلس الغناء، وهو من الزور، أو الازورار، وهو: الانحراف. وفي الأساس: «وكلمة زوراء: دنيّة معوّجة، ومنارة زوراء: مائلة عن السَّمْت، ورمى بالزوراء: بالقوس، وفلاة زوراء، وهو أزور عن مقام الذل. وتقول: قوم عن مواقف الحق زُور، فعلهم رياء، وقولهم زُور، ومالكم تعبدون الزور، وهو: كل ما عُبِد من دون الله، وأنا أُزيركم ثنائي، وأزرتكم قصائدي».

هذا وقد نظم بعضهم معاني هذه المادة بالأبيات التالية:

الصَّدر والزئرُ فهو زَوْرُ وكلُّ زوار النّساء زيرُ

في جمع أزورٍ يقال زُور أعني به ذا مَيْلٍ في الصَّدر

زيارة أيّ مرة فزورهْ وهيئة الزّيارة ادعُ زيره

وقطعة الكتّان أما الزُّوره فموضعٌ ذو شجرٍ وطير

وسميت بغداد بالزوراء لانحراف قبلتها، قال الطغرائي:

فيم الإقامةُ بالزَّوراء لا سكني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي؟!

﴿فَتَخْطَفُهُ﴾: في القاموس: خطف يخطف، من باب: تعب، خطفاً الشيء: استلبه بسرعة، وخطف البرق البصر: ذهب به بسرعة.

﴿سَحِيقٍ﴾: بعيد، أي فهو لا يرجى خلاصه.

﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: جمع شعيرة، أو شِعارة بالكسر، وفي «المصباح»:

«والشعائر: أعلام الحج وأفعاله، الواحدة: شعيرة، أو شِعارة بالكسر، والمشاعر: مواضع المناسك».

○ الإعراب:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ ذلك قال الزمخشري: «خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر والشأن ذلك، كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال: هذا، وقد كان كذا» ومعنى هذا: أنه يُذْكَر للفصل بين كلامين، أو بين وجهي كلام واحد، وقيل: مبتدأ محذوف الخبر، أي: ذلك الأمر الذي ذكرته، وقيل: في موضع نصب، تقديره: امتثلوا ذلك، ونظير هذه الإشارة البليغة قول زهير في وصف هرم بن سنان:

هذا وليس كمن يعيا بخُطْبتِه وسط النَّديِّ إذا ما ناطقٌ نطقا

وكان وصفه قبل هذا بالكرم والشجاعة، ثم وصفه في هذا البيت بالبلاغة، فكأنه قال: هذا خلقه، وليس كمن يعيا بخطبته.

والواو استئنافية، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويعظم فعل الشرط، وفاعله مستتر يعود على من، وحرمات الله مفعول به، والفاء رابطة، وهو مبتدأ، وخير خبر، وله متعلقان بخير، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من، وعند ربه الظرف متعلق بمحذوف حال. ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ الواو عاطفة، وأحلت فعل ماض مبني للمجهول، ولكم متعلقان بأحلت، والأنعام نائب فاعل، وإلا أداة استثناء، وما مستثنى يجوز فيه الاتصال والانقطاع، وقد تقدم إعراب هذه الآية، وما استثناه الله في كتابه، فالانقطاع على أنه ذكر في آية المائدة ما ليس من جنس الأنعام، كالدم، ولحم الخنزير، والاتصال على صرفه إلى ما يحرم من الأنعام بسبب عارض كالموت ونحوه، وجملة يتلى صلة، ونائب الفاعل ضمير مستتر، وعليكم متعلقان بيتلى. ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ الفاء تفريع على قوله: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ

حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ واجتنبوا الرجس فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، ومن الأوثان بيان للرجس، فهو في محل نصب على الحال، واختار الزمخشري أن يكون تمييزاً، ومثل لذلك بقولك: عندي عشرون من الدراهم؛ لأن الرجس منهم يتناول غير شيء، كأنه قيل: فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، وليس قوله ببعيد، واجتنبوا قول الزور عطف عل ما تقدم. ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ حنفاء لله حال، مؤسسة من ضمير اجتنبوا، وغير مشركين حال مؤكدة منه أيضاً، وبه متعلقان بمشركين، وسيأتي بحثهما في باب الفوائد. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ هذه الجملة مستأنفة، مسوقة لضرب المثل لمن يشرك بالله، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويشرك بالله فعل الشرط، فكأنّما: الفاء رابطة، وكأنما كافة ومكفوفة، وخر فعل ماض وفاعل مستتر، ومن السماء متعلقان بخرّ، فتخطفه عطف على خرّ، وإنما عدل إلى المضارع لسر سيأتي في باب البلاغة، والطير فاعل، أو تهوي به الريح عطف أيضاً، وفي مكان متعلقان بتهوي أيضاً، وسحيق نعت لمكان. ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ ذلك خبر لمبتدأ محذوف كما تقدم، ومن يعظم شعائر الله تقدم إعرابها، والفاء رابطة، وإن واسمها، ومن تقوى القلوب خبرها. ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ لكم خبر مقدم، وفيها حال، ومنافع مبتدأ مؤخر، وإلى أجل صفة لمنافع، ومسمى صفة لأجل، ثم حرف عطف، ومحلها مبتدأ، وهو اسم مكان من حل يحل، أي: صار حلالاً، وإلى البيت خبر، والعتيق صفة.

□ البلاغة:

١ ـ التشبيه المركب والتمثيلي:

وقد تقدم أنه ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، وبيان ذلك: أنه لما انقسمت حال الكافر إلى قسمين لا مزيد عليهما:

الأول منهما: المتذبذب، الشاكّ، المتمادي على الشك، وعدم التصميم

على ضلالة واحدة، فهذا القسم من المشركين شبه بمن اختطفه الطير، وتوزّعته، فلا يستولي طائر على مزعة منه إلا انتهبها منه آخر، وذلك حال المذبذب، لا يلوح له خيال إلا اتبعه، ونزل عما كان عليه.

والثاني: مشرك مصمم على معتقد باطل، لو نشر بالمناشير لم يتراجع عن تصميمه، لا سبيل إلى تشكيكه، ولا مطمع في نقله عما هو عليه، فهو فرح، مبتهج لضلالته، فهذا مشبه في إقراره على كفره باستقرار من هوت به الريح إلى واد سحيق سافل، فاستقر فيه، ونظير تشبيهه بالاستقرار في الوادي السحيق الذي هو أبعد ما يكون عن السماء.

وأجاز الزمخشري أن يكون هـذا التشبيه من المركب والمفرق، قال: «فإن كـان تشبيهاً مركبـاً، فكأنـه قال: من أشرك بالله فقـد أهلك نفسـه إهلاكاً ليس بعده نهاية؛ بأن صور حاله بصورة حال من خرّ من السماء، فاختطفته الطير، فتفرق مزعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة، وإن كان مفرقاً، فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزّع أفكاره بالطير المتخطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصف به في بعض المهاوي المتلفة».

وكلام الزمخشري فيه نظر؛ لأن التشبيه التمثيلي ما في ذلك شك، ولا مساغ لجعله مفرقاً.

٢ ـ العدول إلى لفظ المضارع:

سياق الكلام يقتضي أن يعطف فتخطفه على مضارع، مع أنه في الآية معطوف على خرّ، وهو ماض، وإنما عدل عن ذلك لتصوير الواقع، والتقدير: فهي تخطفه، فيكون من عطف الجملة على الجملة، ولكنه آثر المخالفة لاستحضار الصورة الغريبة التي تصوّره مزعاً في حواصل الطير.

* الفوائد:

١ ـ الحال إما مؤسسة وإما مؤكدة، فالمؤسسة هي التي لا يستفاد معناها بدونها نحو: جاء خالد راكباً، وأكثر ما تأتي الحال من هذا النوع، والمؤكدة هي التي يستفاد معناها بدونها، وإنما يؤتى بها للتوكيد، وهذه أنواع ثلاثة:

آ ـ ما يؤتى بها لتوكيد عاملها، وهي التي توافقه معنى فقط، أو معنى ولفظاً، فالأول نحو: «تبسم ضاحكاً»، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ والثاني كقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ وقول الشاعر:

أصخْ مصيخاً لمن أبدى نَصِيحته
والزمْ توقِّي خلْطَ الجدّ باللعب

ب ـ ما يؤتى بها لتوكيد صاحبها، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾.

ج ـ ما يؤتى بها لتوكيد مضمون جملة معقودة من اسمين معرفتين جامدين، نحو: هو الحق بيناً أو صريحاً، وقول الشاعر:

أنا ابنُ دارة معروفاً بها نَسَبي وهل بدارة يا للناسِ من عار؟!

٢ ـ لماذا أنث الضمير في فإنها؟

في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ سؤال مهم، وهو: لماذا أنث الضمير؟ وعلى أي شيء يعود؟

والجواب لا يستقيم إلا بتقدير مضافات محذوفة، ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها؛ لأن الضمير يعود على الشعائر، أي: فإن تعظيمها من أفعال تقوى القلوب، والعائد على من محذوف، أي: منه، ويجوز أن الضمير ضمير مصدر مؤنث، تقديره: فإن العظمة، أو الحرمة، أو الخصلة.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ

ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

☆ **اللغة:**

﴿مَنسَكًا﴾: بفتح السين وكسرها، فالفتح على أنها مصدر ميمي، والكسر على أنها اسم مكان، وفي «المصباح»: نسك لله ينسك، من باب: قتل، تطوع بقربة، والنُّسُك ـ بضمتين ـ اسم منه. وفي التنزيل: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ والمنسك ـ بفتح السين وكسرها ـ يكون زماناً ومصدراً، ويكون اسم المكان الذي تذبح فيه النّسيكة، وهي: الذبيحة وزناً ومعنى، ومناسك الحج: عباداته، وقيل: مواضع العبادات، ومن فعل كذا فعليه نسك، أي: دم يريقه، ونسك: تزهد وتعبد، فهو ناسك، والجمع نساك، مثل عابد وعباد».

وفي القاموس: «المنسك ـ بفتح السين ـ: المكان المألوف، والمنسَك بالفتح أيضاً: مصدر نسك، والمنسِك ـ بالكسر ـ: شرعة النسك، وموضع تذبح فيه النسيكة».

﴿ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾: المطيعين، المتواضعين، والإخبات: نزول الخبت، وهو المكان المنخفض، وسيأتي في باب البلاغة بحث قيّم حول هذا الوصف.

﴿وَٱلۡبُدۡنَ﴾: ـ بضم الباء ـ: جمع بدنة، سميت بذلك لعظم بدنها، وهي خاصة بالإبل، كما قال الأزهري، أو هي تشمل الإبل والبقر، كما قال

صاحب «الصحاح». قال القسطلاني: «البدن عند الشافعي خاصة بالإبل، وعند أبي حنيفة من الإبل والبقر، فكلام الشافعية موافق لكلام الأزهري، وكلام الحنفية موافق لكلام الصحاح».

﴿صَوَآفَّ﴾: قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن، وقرىء صوافن من صفون الفرس، وهو: أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه؛ لأن البدنة تعقل إحدى يديها.

﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾: وجوب الجنوب، وقوعها على الأرض، من وجب الحائط وجبة، إذا سقط، ووجبت الشمس وجبة: غربت، قال أبو تمام:

فالشمسُ طالعةٌ من ذا وقد غربتْ

والشمسُ واجبةٌ مِن ذا ولم تجبِ

﴿ٱلْقَانِعَ﴾: السائل المتذلل، والخارج من مكان إلى مكان، وخادم القوم، وأجيرهم، والجمع قانعون وقنَّع، أو بمعنى القَنِع، أي: الراضي بما قسم له، يقال: قنع يقنع، من باب: تعب تعباً، قَنَعاً، وقناعة، وقُنْعاناً: رضي بما قسم له، وقنع يقنع، من باب: فتح، قنوعاً: سأل وتذلل. وفي «الأساس» و«اللسان»: «العز في القناعة والذل في القنوع، وهو: السؤال. وفلان قنِع بالمعيشة، وقنيع، وقنوع، وقانع، أنشد الكسائي:

فإن ملكتْ كفّاك قَوْطاً فكن به قَنيعاً فإنَّ المتَّقي الله قانعُ

وقنِع بالشيء، واقتنع، وتقنّع، وأقنعك الله بما أعطاك، وفلان حريص ما يقنعه شيء». وبيت شوقي المشهور:

شباب قنع لا خيرَ فيهم وبُورِك بالشَّباب الطَّامِحينا

يدلُّ على ضلاعته باللغة، وتمكّنه منها.

﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: المعترض بسؤال، وعرّه وعرّاه بمعنى واحد، وقيل: القانع: السائل، والمعتر: المعترض من غير سؤال، وقال قوم بالعكس. وفي

«المصباح»: «المعتر: الضيف الزائر، والمعتر: المعترض للسؤال من غير طلب. يقال: عره، واعتره، وعراه، واعتراه: إذا تعرض للمعروف من غير مسألة».

وفي «القاموس»: «والمعتر: الفقير، والمتعرّض للمعروف من غير أن يسأل عرّه، عرّاً، واعتره، وبه». وفي «الأساس» و«اللسان»: «وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: مال اليتيم عُرة لا أدخله في مالي، ولا أخلطه به. ولا تفعل هذا لا تصبك منه معرّة. وفي الحديث: «كلما تعاررت ذكرت الله» وكان سلمان ـ رضي الله عنه ـ إذا تعارّ في الليل قال: سبحان رب النبيين وإله المرسلين. وهو أن يهبّ من النوم مع كلام، من عِرار الظليم، وهو: صياحه، و: ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ أي: المتعرّض بسؤاله».

○ الإعراب:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير التشريع الخاص بكل أمة، ونوع التعبد الذي يتقربون به إلى الله، ولكل أمة متعلقان بمحذوف مفعول جعلنا الثاني المقدم، وجعلنا فعل وفاعل، ومنسكاً مفعول جعلنا الأول، وليذكروا اللام للتعليل، ويذكروا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بجعلنا، واسم الله مفعول به، وعلى ما رزقهم متعلقان بيذكروا، وجملة رزقهم صلة، ومن بهيمة الأنعام متعلقان برزقهم. ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ الفاء الفصيحة، وإلهكم مبتدأ، وإله خبره، وواحد صفة، فله: الفاء عاطفة، وله متعلقان بأسلموا، وأسلموا فعل أمر وفاعل، وبشر: الواو عاطفة وبشر فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، والمخبتين مفعول به. ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الذين نعت للمخبتين، أو بدل منه، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه، وجملة ذكر الله مضاف إليها، وجملة وجلت قلوبهم لا محل

لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وإذا وفعلها وجوابها لا محل لها؛ لأنها صلة، والصابرين عطف على الذين، وعلى ما: متعلقان بالصابرين، وجملة أصابهم صلة للموصول، والمقيمي الصلاة عطف أيضاً، وحذفت النون للإضافة، ومما متعلقان بينفقون، وجملة رزقناهم صلة، وجملة ينفقون صلة أيضاً. ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ الواو عاطفة، والبدن مفعول لفعل محذوف، فهي منصوبة على الاشتغال، أي: وجعلنا البدن، وجعلناها فعل وفاعل ومفعول به، ولكم متعلقان بجعلناها، ومن شعائر الله مفعول به ثان لجعلناها؛ التي هي بمعنى التصيير. ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ لكم خبر مقدم، وفيها حال، وخير مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير ما قبلها، ويجوز جعلها حالاً من الهاء في جعلناها، فاذكروا: الفاء الفصيحة، واذكروا فعل أمر وفاعل، واسم الله مفعول به، وعليها متعلقان باذكروا، وصواف حال من الهاء، أي: بعضها إلى جنب بعض. ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ الفاء عاطفة، وإذا ظرف مستقبل، وجملة وجبت جنوبها مضافة إلى الظرف، والفاء رابطة لجواب إذا، وجملة كلوا منها لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وأطعموا القانع والمعتر عطف على جملة كلوا منها. ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ كذلك الكاف نعت لمصدر محذوف، أي: سخرها تسخيراً مثل ذلك التسخير، وسخرناها فعل وفاعل ومفعول به، والجملة حال، ولكم متعلقان بسخرناها، ولعل واسمها، وجملة تشكرون خبرها، والجملة في محل نصب على الحال من الكاف في لكم. ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ لن حرف نفي ونصب واستقبال، وينال فعل مضارع منصوب بلن، ولفظ الجلالة مفعول به مقدم، ولحومها فاعل ينال، ولا دماؤها عطف على لحومها، والمعنى لن تبلغ مرضاته، ولن تقع منه موقع القبول، والمراد: أصحاب اللحوم والدماء.

قال أبو حيان في «البحر»: «أراد المسلمون أن يفعلوا فعل المشركين من الذبح وتشريح اللحم منصوباً حول الكعبة، وتضميخ الكعبة بالدم تقرباً إلى الله تعالى، فنزلت هذه الآية».

ولكن: الواو عاطفة، ولكن حرف استدراك مهمل؛ لأنه مخفف، ويناله فعل مضارع ومفعول به، والتقوى فاعل، ومنكم حال من التقوى، أي: يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان. ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف، وقد تقدمت نظائره، وسخرها فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به، ولكم متعلقان بسخرها، ولتكبروا اللام للتعليل، وتكبروا منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، واللام وما في حيزها متعلقة بسخرها، وتكبروا فعل مضارع، وفاعل، ولفظ الجلالة مفعول به، على ما هداكم: ما مصدرية، أو موصولة، أي: على هدايته إياكم، أو على ما هداكم إليه، وعلى متعلقة بتكبروا لتضمينه معنى الشكر، وبشر الواو استئنافية، وبشر فعل أمر، وفاعل مستتر، والمؤمنين مفعول به. ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لتأكيد البشرى للمؤمنين بالنصر المحتوم، وإن الله: إن واسمها، وجملة يدافع خبر، وعن الذين متعلقان بيدافع، وجملة آمنوا صلة، ومفعول يدافع محذوف، تقديره: عوادي المشركين وغوائلهم، وجملة «إن الذين» تعليل للجملة السابقة، وإن واسمها، وجملة لا يحب خبرها، وكل خوان مفعول به، وكفور صفة لخوان.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن

مَكَّنَّـٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿صَوَامِعُ﴾: الصوامع جمع صَوْمَعَة وصومع، وهو جبل، أو مكان مرتفع يسكنه الراهب، أو المتعبد قصد الانفراد، ثم أطلقت الكلمة على الدير، والصومعه أيضاً: العقاب، والبرنس، وأعلى كل جبل إذا كان مستدقّ الرأس.

﴿وَبِيَعٌ﴾: جمع بِيعة ـ بكسر الباء ـ: المعبد للنصارى واليهود، والجمع بِيَع وبِيَعات بكسر الباء وفتح الياء، وبِيْعات بكسر الباء وسكون الياء.

﴿وَصَلَوَاتٌ﴾: بفتح الصاد واللام، جمع صلاة، وسميت الكنيسة صلاة؛ لأنه يصلَّى فيها، وقيل: هي كلمة معربة أصلها بالعبرية صلوثا بفتح الصاد والثاء المثلثة كما في الخفاجي على البيضاوي، قال: وبه قرىء في الشواذ، ومعناه في لغتهم: المصلى، فلا يكون مجازاً.

○ **الإعراب:**

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة للإذن بقتال المشركين، كان المؤمنون يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب ومشجوج يشكون، فيقول لهم: اصبروا، فإني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر، فنزلت هذه الآية، وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية.

وأذن فعل ماضي مبني للمجهول، والمأذون فيه محذوف للعلم به، أي: أذن للذين يقاتلون في القتال، وللذين متعلقان بأذن، وجملة يقاتلون صلة، ويقاتلون مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وبأنهم متعلقان بأذن أيضاً، والباء للسببية، أي: بسبب ظلمهم، وجملة ظلموا خبر أنهم، وإن الله

على نصرهم لقدير: الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة للوعد لهم بالنصر على طريق الرمز والكناية، وإن واسمها، وقدير خبرها، واللام المزحلقة، وعلى نصرهم متعلقان بقدير. ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ الذين نعت، أو بدل من الموصول الأول، ولك أن ترفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف، تنويهاً بقدرهم، ورفعاً لشأنهم، وجملة أخرجوا صلة، والواو نائب فاعل، ومن ديارهم متعلقان بأخرجوا، وبغير حق حال، وإلا أداة استثناء، وأن يقولوا المصدر المؤول مستثنى منقطع في محل نصب، واختار الزمخشري وغيره أن يكون الاستثناء مفرغاً لوجود النفي بغير، فإلا أداة حصر، وأن يقولوا في محل جر على الإبدال من حق، أي: بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج والتسيير، ومثله: ﴿ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ وربنا متبدأ، والله خبر، والجملة في محل نصب مقول القول. ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ الواو استئنافية، ولولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط، ودفع الله مبتدأ محذوف الخبر وجوباً، والناس مفعول به لدفع؛ لأنه مصدر مضاف إلى فاعله، وهو الله، والمعنى: ولولا أن دفع الله الناس بعضهم ببعض لغلب المفسدون، وتعطّلت المصالح، ويقل عمله عكسه، وهو أن يضاف المصدر إلى مفعوله، ثم يأتي فاعله مرفوعاً كقول الأقيشر الأسدي:

أفنى تلادِي وما جمعت من نَشَبٍ
قرعُ القواقيز أفواهَ الأباريق

فقرع بالقاف والعين المهملة مرفوع على الفاعلية بأفنى، وهو مصدر مضاف إلى مفعوله، وهو القواقيز بقافين وزاي معجمة: أقداح يشرب بها الخمر، واحدها قاقوزة بزاءين معجمتين، فجمعها قواقيز، وأفواه فاعل المصدر، وهو جمع فم، وأصله فوه، فلذلك وردت في الجمع على أنه رُوِي البيت بنصب الأفواه، فيكون من القسم الأول.

وبعضهم بدل بعض من الناس، وببعض متعلقان بدفع، واللام واقعة في جواب لولا، وهدمت فعل ماض مبني للمجهول، وصوامع نائب فاعل وبيع وصلوات ومساجد عطف على صوامع، وأخر ذكر المساجد لأن الصوامع والبيع والكنائس أقدم منها في الوجود، وجملة يذكر صفة للمواضع المذكورة، وفيها متعلقان بيذكر، واسم الله نائب فاعل، وكثيراً صفة لمصدر محذوف، أي: ذكراً كثيراً، أو صفة لظرف محذوف، أي: وقتاً كثيراً. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الواو استئنافية، واللام موطئة للقسم، وينصرن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والله فاعل، ومن موصول مفعول به، وجملة ينصره صلة، وجملة إن وما بعدها لتعليل النصر، والله اسمها، واللام المزحلقة، وقوي خبرها الأول، وعزيز خبرها الثاني ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ الذين بدل من الذين السابقة، أو نعت ثان للذين الأولى، أو خبر لمبتدأ محذوف، ولك وجه آخر، وهو أن تعربها بدلاً من ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ ذكر هذا الوجه الزجاج، قال: أي: لينصرن الله الذين إن مكناهم، وإن شرطية، ومكناهم فعل ماض وفاعل ومفعول به، وهو في محل جزم فعل الشرط، وفي الأرض متعلقان بمكناهم، وأقاموا فعل ماض وفاعل، وهو في محل جزم جواب الشرط، والصلاة مفعول به، وما بعده عطف عليه. ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، ولله خبر مقدم، وعاقبة الأمور مبتدأ مؤخر.

* الفوائد:

الجهاد ذروة سنام الإسلام:

والأحاديث في الجهاد كثيرة، نورد منها ما يسمو إلى ذروة البلاغة جرياً على نهجنا في هذا الكتاب، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: سُئِل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حجٌّ مبرور» رواه البخاري،

ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن خزيمة في صحيحه.

وعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ خرج بالناس قبل غزوة تبوك، فلما أن صبح صلى بالناس صلاة الصبح، ثم إن الناس ركبوا، فلما أن طلعت الشمس نعس الناس على إثر الدّلجة، ولزم معاذ رسول الله ﷺ يتلو إثره، والناس تفرقت بهم ركابهم على جوادّ الطرق تأكل وتسير، فبينا معاذ على إثر رسول الله ﷺ وناقته تأكل مرة وتسير أخرى، عثرت ناقة معاذ فحنكها بالزمام، فهبت حتى نفرت منها ناقة رسول الله ﷺ، ثم إن رسول الله ﷺ كشف عنه قناعه، فالتفت فإذا ليس في الجيش أدنى إليه من معاذ، فناداه رسول الله ﷺ فقال: «يا معاذ» فقال: لبيك يا رسول الله، قال: «ادن دونك» فدنا منه حتى لصقت راحلتاهما إحداهما بالأخرى، فقال رسول الله ﷺ: «ما كنت أحسب الناس منا بمكانهم من البعد» فقال معاذ: يا نبيّ الله نعس الناس فتفرقت ركابهم ترتع وتسير، فقال رسول الله ﷺ: «وأنا كنت ناعساً». فلما رأى معاذ بشر رسول الله ﷺ وخلوته له، فقال: يا رسول الله ائذن لي أن أسألك عن كلمة أمرضتني، وأسقمتني، وأحزنتني، فقال رسول الله ﷺ: «سل عما شئت» قال: يا نبي الله حدثني بعمل يدخلني الجنة لا أسألك عن شيء غيره؟ قال رسول الله ﷺ: «بخ بخ، لقد سألت لعظيم ثلاثاً، وإنه ليسير على من أراد الله به الخير، وإنه ليسير على من أراد الله به الخير، وإنه ليسير على من أراد الله به الخير» فلم يحدثه بشيء إلا أعاده رسول الله ﷺ ثلاث مرات حرصاً لكيما يتقنه عنه، فقال نبي الله ﷺ: «تؤمن بالله واليوم الآخر، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً حتى تموت وأنت على ذلك» قال: يا رسول الله أعد لي، فأعادها ثلاث مرات، ثم قال نبي الله ﷺ: «إن شئت يا معاذ حدثتك برأس هذا الأمر، وقوام هذا الأمر، وذروة السّنام؟» فقال معاذ: بلى يا رسول الله، حدثني بأبي أنت وأمي، فقال نبي الله ﷺ: «إن رأس هذا الأمر: أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وإن قوام هذا الأمر: إقام

الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإن ذروة السّنام منه الجهاد في سبيل الله، إنما أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد اعتصموا، وعصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقّها، وحسابهم على الله».

وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما شُحب وجه، ولا اغبّرت قدم في عمل تُبْتَغى به درجات الآخرة بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله، ولا ثقّل ميزان عبد كدابّة تنفق في سبيل الله، أو يحمل عليها في سبيل الله».

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَبِئْرٍ﴾: في المختار: «بأر بئراً ـ بهمزة بعد الباء ـ: حفرها، وبابه: قطع». والبِئْر فِعْل بمعنى مفعول، كالذبح بمعنى المذبوح: حفرة في الأرض عظيمة يستقى منها الماء، والجمع: آبار، وأبآر، وبئار، وأبؤر، وهي مؤنثة. وفي الأساس: «الفاسق من ابتأر، والفويسق من ابتهر، يقال: ابتأرت الجارية: إذا قال فعلت بها وهو صادق، وابتهرتها: إذا قال ذلك، وهو كاذب، وأنشد الكميت:

قَبيــحٌ بمثليَ نَعْــتُ الفتــا ة إمَّــا ابْتِهــاراً وإمَّــا ابْتِئــارا

﴿مُّعَطَّلَةٍ﴾ متروكة بموت أهلها، مع أنها عامرة، فيها الماء، ومعها آلات الاستقاء.

﴿مَّشِيدٍ﴾: مرتفع مجصص، من شاد البناء، أي: رفعه، ويقال: شيّد، وأتى به في «النساء» من شيّد؛ لأنه هناك وقع بعد جمع، أما هنا فقد وقع بعد مفرد فناسب التخفيف.

○ الإعراب:

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لتسلية النبي ﷺ، وأنه ليس بأوحدي في التكذيب، وإن شرطية، ويكذبوك فعل الشرط، والواو فاعل، والكاف مفعول به، فقد: الفاء رابطة للجواب لاتصاله بقد، وقد حرف تحقيق، وكذبت فعل ماض، والتاء تاء التأنيث الساكنة، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وقبلهم ظرف زمان متعلق بكذبت، وقوم نوح فاعل، وعاد وثمود معطوفان على قوم، وأنّث القوم باعتبار معنى الأمة أو القبيلة، ولم يقل قوم عاد وثمود استغناء بشهرتهما بهذين الاسمين. ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ عطف على ما تقدم، ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ وأصحاب مدين عطف، وعدل عن قوم شعيب لأن أصحاب مدين أعرق من أصحاب الأيكة في التكذيب؛ فلذلك خصّهم بالذكر، وكذب فعل ماض مبني للمجهول، وموسى نائب فاعل، وخالف في الكلام، فلم يقل: قوم موسى؛ لأنه لما صدر الكلام بحكاية تكذيبهم، ثم عدد أصناف المكذبين وطوائفهم، ولم ينته إلى موسى إلا بعد طول الكلام حسن تكريره ليلي قوله: فأمليت، فيتصل المسبّب بالسبب، كما قال في آية «ق» بعد تعديدهم: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ فربط العقاب والوعيد، ووصلهما بالتكذيب بعد أن جدّد ذكره، فأمليت: الفاء عاطفة، وأمليت فعل وفاعل، وللكافرين متعلقان بأمليت. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، وأخذتهم فعل وفاعل ومفعول به، فكيف: الفاء عاطفة، وكيف اسم استفهام

في محل نصب خبر كان المقدم، ونكير اسم كان، أي: إنكاري، فحذفت الياء، والنكير مصدر بمعنى الإنكار والتغيير؛ حيث أبدلهم بالنعمة نقمة، وبالحياة هلاكاً، وبالبناء خراباً، وسيأتي معنى الاستفهام في باب: البلاغة.

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ الفاء استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لتأكيد ما تقدم بضرب الأمثلة والشواهد، وكأين خبرية، ومحلها الرفع على الابتداء، ومن قرية تمييز كأين، وقد تقدم تحقيقه، وجملة أهلكناها من الفعل والفاعل والمفعول به خبر كأين، ويجوز نصب كأين على الاشتغال بفعل محذوف يفسّره أهلكناها، فتكون جملة أهلكناها مفسّرة، وهي ظالمة: الواو للحال، وهي مبتدأ، وظالمة خبر، والجملة نصب على الحال.

﴿ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ الفاء عاطفة، وهي مبتدأ، وخاوية خبر، والجملة معطوفة على جملة أهلكناها، وعلى عروشها إما متعلقان بخاوية، فيكون المعنى: إنها ساقطة على سقوفها، أي: خرت سقوفها على الأرض، ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف، وإما أن يكون خبراً ثانياً لهي، كأنه قيل: هي خالية وهي على عروشها، أي: قائمة مطلّة على عروشها، بمعنى: أن السقوف سقطت إلى الأرض، فصارت في سمت الحيطان، وبقيت الحيطان مواثل، باهتة، مشرفة على السقوف الساقطة، وكلا التقديرين جميل، ووارد، وبئر عطف على قرية، أي: وكم من بئر، ومعطلة صفة لبئر، وقصر مشيد عطف أيضاً، وهل هي بئر معينة وقصر معين، أم هما واردان مورد المثل؟ سيأتي الكلام عن هذا كله في باب الفوائد.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري إن كانوا قد سافروا، أو للحث على السفر ليروا مصارع من تقدّمهم، والفاء عاطفة على مقدر يقتضيه المقام، أي: أغفلوا وأهملوا، وسافروا فلم ينتفعوا، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويسيروا فعل مضارع مجزوم بلم، والواو فاعله، وفي الأرض متعلقان بيسيروا، فتكون الفاء للسببية، وتكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، ولهم خبر تكون المقدم، وقلوب اسمها المؤخر، وجملة يعقلون صفة لقلوب، وبها

متعلقان بيعقلون، وأو حرف عطف، وآذان عطف على قلوب، وجملة يسمعون بها صفة لآذان، وواضح أن التفريع على المنفي يوجب النفي أيضاً.
﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ الفاء للتعليل، وإن واسمها، والضمير يعود على القصة أو الشأن، وجملة لا تعمى الأبصار خبر، ولكن الواو عاطفة، ولكن حرف استدراك أهمل؛ لأنه خفف، وتعمى القلوب فعل مضارع وفاعل، والتي صفة القلوب، وفي الصدور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، وسيأتي سرّ قوله في الصدور في باب البلاغة.

□ **البلاغة:**

١ ـ الاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ معناه: التقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه، ويماري فيه، ويلجأ إلى المكابرة والسفسطة في مخالفته، وقال أبو حيان: «ويصحب هذا الاستفهام معنى التعجب، فكأنه قيل: ما أشد ما كان إنكاري عليهم» وهذا واضح أيضاً، فالاستفهام إذاً للتقرير التعجبي.

٢ ـ الانفصال في قوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ فإن لقائل أن يقول: إن القلوب لا تكون إلا في الصدور، فأية فائدة في ذكر ما هو متعارف وكائن؛ لأنه معلوم، والانفصال عن ذلك أن يقال: إن المتعارف أن العمى الحقيقي مكانه البصر؛ لأنه إصابة الحدقة بما يطمس نورها، واستعماله في القلب مجاز، فلما أريد نقله من الحقيقة إلى المجاز كان الكلام بمثابة إثبات ما هو خلاف المتعارف، وما هو الأصل، فاحتاج إلى زيادة تعيين ليتقرر أن العمى مكانه هو القلوب لا الأبصار، كما تقول: ليس المضاء للسيف، ولكنه للسانك الذي بين فكيك، فقوله: بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه، ونفي المضاء عن السيف، وهو المتعارف، وهذا من أوابد البيان، فافهمه، وجملة الأمر: أن الخلل ليس في مشاعرهم، فهي سليمة لا عيب فيها، وإنما الخلل في عقولهم المرتكسة، وأحلامهم المعطلة.

* الفوائـد:

البئر المعطلة والقصر المشيد: قيل: هما خاصان، قال الخطيب الشربيني في تفسيره: «رُوي أن هذه البئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به، ونجاهم الله تعالى من العذاب، وهي بحضرموت، وإنما سميت بذلك؛ لأن صالحاً حضرها حين مات، وثم بلدة عبد البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح، وأمَّروا عليهم جلهس بن جلاس، وأقاموا بها زماناً، ثم كفروا، وعبدوا صنماً، وأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان نبياً فقتلوه، فأهلكهم الله تعالى، وعطل بئرهم، وخرب قصورهم، والأولى أن تكون البئر عامة، وأن يكون القصر عاماً، أي: كم من قرية أهلكناها، وكم من بئر عطلناها من سقاتها! وكم من قصر مشيد تفرق عنه أهلوه، وتحمل عنه ساكنوه!».

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾ الواو عاطفة، ويستعجلونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وبالعذاب متعلقان بيستعجلونك، أي: يطلبون عجلتك على سبيل الاستهزاء، والواو عاطفة،

ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ويخلف فعل مضارع منصوب بلن، والله فاعل، ووعده مفعول به. ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ الواو للحال، وإن واسمها، وعند ربك الظرف متعلق بمحذوف حال، والكاف خبر إن، ومما صفة لسنة، وجملة تعدون صلة، واقتصر في التشبيه على الألف؛ لأن الألف منتهى العدد بلا تكرار، وأيام الشدائد مستطالة على حدّ قول الشاعر:

فقصارهنّ مع الهموم طويلة وطوالهن مع السُّرورِ قِصار

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ الواو عاطفة، قال الزمخشري في «كشافه»: «فإن قلت: لم عطفت الأولى بالفاء وهذه بالواو؟ قلت: الأولى وقعت بدلاً من قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ وأما هذه فحكمها حكم الجملتين المعطوفتين بالواو، أعني قوله: ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ و﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ وكأين خبرية في محل رفع مبتدأ، ومن قرية في محل نصب تمييز كأين، وجملة أمليت لها صفة لقرية، والواو حالية، وهي مبتدأ، وظالمة خبر، والجملة في محل نصب على الحال، ثم أخذتها عطف على أمليت، وإليَّ: الواو عاطفة، أو حالية، وإليَّ خبر مقدم، والمصير مبتدأ مؤخر. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يا حرف نداء، وأيها منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب على النداء، والهاء للتنبيه، والناس بدل من أي، وإنما كافة ومكفوفة، وأنا مبتدأ، ونذير خبر، ومبين صفة. ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الفاء تفريعية، والذين مبتدأ، وجملة آمنوا صلة، وعملوا عطف على آمنوا، والصالحات مفعول به، ولهم خبر مقدم، ومغفرة مبتدأ مؤخر، ورزق عطف على مغفرة، وكريم صفة لرزق، وجملة لهم مغفرة خبر الذين. ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ الواو عاطفة، والذين مبتدأ، وجملة سعوا صلة، وفي آياتنا متعلقان بسعوا، ومعنى السعي في الآيات: إفسادها، وتزييفها، وإبطالها، يقال: سعيت في أمر فلان: إذا

أصلحته، أو أفسدته بهذا السعي، ومعاجزين حال، أي: مسابقين في زعمهم وتقديرهم، قد سولت لهم أنفسهم أنهم يستطيعون إبطالها، وصرف الناس عن اتباعها، فالمفاعلة لا تخلو من معنى الظن، والاعتقاد بالنسبة إليهم، وأولئك مبتدأ، وأصحاب الجحيم خبره، والجملة خبر الذين. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة للشروع في تسلية ثانية للنبي ﷺ، وما نافية، وأرسلنا فعل وفاعل، ومن قبلك متعلقان بأرسلنا، ومن لابتداء الغاية، ومن رسول من زائدة، ورسول مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به لأرسلنا، ولا نبي عطف على من رسول، وإلا أداة حصر، وإذا ظرف مستقبل، وجملة تمنى في محل جر بإضافة الظرف، وجملة ألقى الشيطان لا محل لها، والجملة الشرطية بعد إلا تحتمل وجوهاً؛ أرجحها: أن تكون في محل جر صفة لرسول على اللفظ والنصب على المعنى، ويجوز أن تكون حالاً، ولك أن تجعل الاستثناء منقطعاً فتكون إلا أداة استثناء، والجملة نصب على الاستثناء، وفي أمنيته متعلقان بألقى، وسيأتي معنى هذا الإلقاء، وقصة سبب النزول في باب الفوائد، وقد استشكل أبو حيان مجيء جملة ظاهرها الشرط بعد إلا وهو إذا تمنى ألقى، وأجاب عن ذلك بأن إذا جردت للظرفية، ولا شرط فيها، وفصل بها بين إلا والفعل الذي هو ألقى، وهو فصل جائز، فيكون إلا قد وليها ماض في التقدير، ووجه شرط، وهو تقدم فعل قبل إلا، وهو أرسلنا. قال ابن هشام: والذي يظهر إنما هو فيما إذا ولي إلا لفظ الفعل، وهذا لم يقع في الآية فلا إشكال، ولا حاجة لتأويل إذا بأنها خرجت عن الشرطية. ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الفاء استئنافية، وينسخ الله فعل مضارع وفاعل، وما مفعول به، وجملة يلقي الشيطان صلة، ثم حرف عطف، ويحكم الله فعل وفاعل، وآياته مفعول به، والله عليم حكيم جملة اعتراضية مؤلفة من مبتدأ وخبريه. ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ اللام للتعليل، والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة، وهي متعلقة بيحكم، أي: ثم يحكم الله

آياته ليجعل، ويجوز أن تتعلق بينسخ، وما موصولية، أو مصدرية، وهي على كل حال مفعول به أول، وجملة يلقي الشيطان صلة، وفتنة مفعول به ثان، وللذين صفة لفتنة، وفي قلوبهم خبر مقدم، ومرض مبتدأ مؤخر، والجملة صلة للذين، والقاسية عطف على الذين، وقلوبهم فاعل القاسية، ومن المفيد أن نذكر أن أل في «القاسية» موصولة، والقاسية صفتها، وأنثها لأن مرفوعها وهو قلوبهم مؤنث مجازي. ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ الواو حالية، أو استئنافية، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وفي شقاق خبرها، وبعيد صفة لشقاق.

* الفوائد:

☆ أسطورة الغرانيق:

نعرض الآن لمسألة شغلت علماء المسلمين في القديم والحديث، واستأثرت باهتمام الكثيرين منهم لخطورتها، وجسامة ما تنطوي عليه من أمور، لا يجوز للباحث أن يمرَّ بها مرور الراكب العجلان، فهي تمسّ جوهر العقيدة، وتتعلق بعصمة صاحب الرسالة، فإلقاء الكلام على عواهنه فيها من غير تمعن ولا تمحيص لا يجوز بحال، وسنعمد إلى سرد الأسطورة على علاتها، وكما نقلها المفسرون من غير تفنيد لها، أو إثارة للشكوك حولها، وكثر تناقلها حتى أصبحت حديث السمر تروّح به النفس، ويزجى بها الفراغ، والناس بطبعهم ميالون إلى كل غريب، وهذه هي الأسطورة:

لما رأى رسولُ الله ﷺ إعراضَ قومه عنه، لعيبه أصنامهم، وزرايته بآلهتهم، أخذه الضجر من هذا الإعراض، ولحرصه على إسلامهم، وتهالكه عليه، تمنى ألا ينزل عليه ما ينفّرهم؛ لعله يتخذ ذلك طريقاً إلى استمالتهم، واستنزالهم عن غيّهم وعنادهم، فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ وهو في نادي قومه، وذلك التمني في نفسه، فأخذ يقرؤها، فلما بلغ قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ التي تمناها بأن وسوس له بما شيعها به، فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى

أن قال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى أدركته العصمة، فتنبه إليه، وقيل: نبهه جبريل ـ عليه السلام ـ أو تكلم الشيطان بذلك، فأسمعه الناس، فلما سجد في آخرها سجد معه جيمع مَن في النادي، وطابت نفوسهم، وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء، زاد المنافقون به شكاً وظلمة، والمؤمنون نوراً وإيقاناً.

وفيما يلي طائفة من أقوال العلماء والمفسرين، فقال الرازي ما خلاصته:

هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم تكلم في أن رواة هذه القصة مطعونون، وأيضاً فقد روى البخاري في «صحيحه» أنه عليه الصلاة والسلام قرأ سورة النجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والإنس والجن، وليس فيه حديث الغرانيق، بل روي هذا الحديث من طرق كثيرة، وليس فيها البتة حديث الغرانيق، ولا شك أن من جوّز على الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر؛ لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان، ولو جوّزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه، وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك، أي: مما ألقاه الشيطان على لسانه، ويبطل قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ فإنه لا فرق في العقل بين النقصان من الوحي وبين الزيادة فيه، فبهذه الوجوه النقلية والعقلية عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة، وقد قيل: إن هذه القصة من وضع الزنادقة لا أصل لها. اهـ كلام الرازي.

أما شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني شارح البخاري، فقد نبه في «فتح الباري على البخاري» على ثبوت أصلها، وقال ـ سامحه الله ـ: «أخرج ابن أبي حاتم، والطبري، وابن المنذر من طرق عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة: والنجم، فلما بلغ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ ألقى الشيطان على لسانه: «تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فلما ختم السورة سجد وسجدوا، فكبر ذلك عن النبي، فنزل تسلية

له: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ أي: في قراءته بين كلماته.

وأخرجه البزار، وابن مردويه من طريق أمية بن خالد، عن شعبة، فقال في إسناده: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب، ثم ساق الحديث المذكور، وقال البزار: لا يروى إلا متصلاً بهذا الإسناد، وتفرد بوصله أمية بن خالد، وهو ثقة مشهور.

وأوردها الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس، ومعناهم كلهم في ذلك واحد، وكلٌّ من طرقها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإما منقطع، ولكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً، مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح:

أحدهما: ما أخرجه الطبري عن طريق يونس بن زيد عن ابن شهاب، حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فذكر نحوه.

والثاني: ما أخرجه من طريق المعتمر بن سليمان وحماد بن سلمة، كلاهما عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية.

وقال ابن حجر العسقلاني في معرض ردّه على القاضي أبي بكر بن العربي: «وقد تجرأ ابن العربي كعادته فقال: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة لا أصل لها، وهو إطلاق مردود عليه، وكذا قول القاضي عياض: هذا الحديث لم يخرجه أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته، وانقطاع أسانيده، وكذا قول عياض أيضاً: ومن حكيت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم، ولا رفعها إلى صحابي، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية، فهذا مردود أيضاً».

وتتمة كلام القاضي عياض تدل على مدى تحرره من غائلة التقليد، ومحاولته تمحيص القحائق، قال: «وقد بين البزار أن الحديث لا يعرف طريق يجوز ذكره إلا من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير، مع الشك الذي وقع في

وصله، وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه، ثم رده من طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم، قال: ولم ينقل ذلك».

قال الحافظ ابن حجر: «وجميع ذلك لا يتمشى مع قواعد المحدثين؛ فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دلّ ذلك على أن لها أصلاً، وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتجّ بالمرسل، وكذا من لا يحتجّ به لاعتضاد بعضها ببعض، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر، وهو قوله: ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى، فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره؛ لأنه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس فيه، وكذا سهواً إذ كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته» ومضى قائلاً: «وقد سلك العلماء في ذلك التأويل مسالك نحو السبعة، فقيل: جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة من النوم، وهو لا يشعر، فلما أعلمه الله بذلك أحكم آياته، وهذا أخرجه الطبري عن قتادة».

وردّ القاضي عياض بأنه لا يصح؛ لكونه لا يجوز على النبي ذلك، ولا ولاية للشيطان عليه في النوم.

وقيل: إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختيار. وردّه ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ . . .﴾الآية، قال: فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة على طاعة.

وقيل إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوها بذلك، فعلق ذلك بحفظه ﷺ، فجرى على لسانه سهواً. وقد ردّ القاضي عياض ذلك فأجاد.

وقيل: لعله قال ذلك توبيخاً للكفار، قال القاضي عياض: وهذا جائز إذا كان هناك قرينة تدلّ على المراد، ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزاً، وإلى هذا نحا الباقلاني.

وقيل: إنه لما وصل إلى قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ خشي المشركون أن

يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به كعادته إذا ذكرها، فبادروا إلى ذلك الكلام، فخلطوه في تلاوة النبي ﷺ على عادتهم في قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ أي: أظهروا اللغو برفع الأصوات تخليطاً وتشويشاً عليه، ونسب ذلك إلى الشيطان لكونه الحامل لهم عليه، أو: المراد بالشيطان شيطان الإنس.

وقيل: المراد بالغرانيق العلا: الملائكة، وكان الكفار يقولون: الملائكة بنات الله، ويعبدونها فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع، وقالوا: قد عظم آلهتنا، ورضوا بذلك، فنسخ تينك الكلمتين، وهما قوله: تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى، وأحكم آياته.

وقيل: كان النبي ﷺ يرتل القرآن، فترصّده الشيطان في سكتة من السكتات، ونطق بتلك الكلمات محاكياً صوت النبي ﷺ بحيث سمعه من دنا إليه، فظنها من قول النبي، وأشاعها. قال القاضي عياض: وهذا أحسن الوجوه، وهو الذي يظهر ترجيحه، ويؤيده ما روي عن ابن عباس في تفسير تمني بتلا، وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل، وقال: معنى قوله في أمنيته، أي: في تلاوته، فأخبر تعالى في هذه الآية أن سنة الله في رسله إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، فهذا نصّ في أن الشيطان زاد في قول النبي ﷺ لا أن النبي ﷺ قاله؛ لأنه معصوم.

قال في «فتح الباري»: «وقد سبق إلى ذلك الطبري مع جلالة قدره، وسعة علمه، وشدة ساعده في النظر، فصوّب هذا المعنى» اهـ.

أمّا ما ورد في «صحيح البخاري» بصدد هذه القصة فهو: «وقال ابن عباس في ﴿إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾: إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه، فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته، ويقال: أمنيته: قراءته: «الأماني يقرؤون ولا يكتبون» فتراه حكى تفسير الأمنية بالقراءة بلفظ: يقال بعد ما فسرها في الحديث رواية عن ابن عباس، وهذا يدل على المغايرة بين التفسيرين، فما يدّعيه الشراح أن الحديث في رأي ابن عباس بمعنى التلاوة

يخالف ظاهر العبارة، ثم حكايته تفسير الأمنية بمعنى القراءة بلفظ يقال يفيد أنه غير معتبر عنده، وسيأتي أن المراد بالحديث حديث النفس.

وقال القسطلاني في «شرح البخاري»: «وقد طعن في هذه القصة غير واحد من الأئمة، حتى قال ابن إسحاق وقد سُئِل عنها: هي من وضع الزنادقة» وكفى في إنكار حديث أن يقول فيه ابن إسحاق أنه من وضع الزنادقة مع حال ابن إسحاق المعروفة عند المحدثين.

وهذا نص ما قاله القاضي عياض: «والذي ورد في الصحيح أن النبي ﷺ قرأ: والنجم» وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس، وقد يكون ذلك لبلاغة السورة، وشدة قرعها، وعظم وقعها». ثم قال القاضي: «قد قامت الحجة، وأجمعت الأمة على عصمته ﷺ، ونزاهته عن هذه الرذيلة».

أما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله، وهو كفر، أو أن يتسوّد عليه الشيطان، ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه، ويعتقد النبي ﷺ أن من القرآن ما ليس منه، وحتى يفهمه جبريل عليه السلام، وذلك كله ممتنع في حقه ﷺ، أو يقول ذلك النبي ﷺ من قبل نفسه عمداً، وذلك كفر، وسهواً، وهو معصوم من هذا كله، وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته ﷺ من جريان الكفر على لسانه، أو قلبه لا عمداً ولا سهواً، أو أن يشتبه عليه ما يلقيه الملك بما يلقي الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو: أن يتقول على الله ـ لا عمداً ولا سهواً ـ ما لم ينزل عليه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ وقال: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾.

ووجه ثان: وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً، وذلك أن هذا الكلام لو كان ـ كما روي ـ لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام، ممتزج المدح بالذم، متخاذل التأليف والنظم. ولما كان النبي ﷺ ومَن بحضرته من المسلمين،

وصناديد المشركين ممن لا يخفى عليه ذلك، وهذا لا يخفى على أدنى متأمل، فكيف بمن رجح حلمه، واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه؟!

ووجه ثالث: أنه علم من عادة المنافقين، ومعاندة المشركين، وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة، وتخليط العدو على النبي ﷺ لأقل فتنة، وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة، وارتداد مَن في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة، ولم يحك أحد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل، ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة، ولأقامت اليهود عليهم الحجة، كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء، ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت، ولا تشغيب للمعادي حينئذ أشدّ من هذه الحادثة لو أمكنت، وما ورد عن معاند فيها كلمة، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة، فدلّ على بُطلها، واجتثاث أصلها، ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس والجن هذا الحديث على بعض مغفّلي المحدّثين؛ ليلبس به على بعض ضعفاء المسلمين.

ووجه رابع: ذكر الرواة لهذه القصة أن فيها نزلت: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ الآيتان، هاتان الآيتان تردّان الخبر الذي رووه؛ لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري، ولولا أن ثبته لكاد يركن إليهم شيئاً قليلاً، فمضمون هذا ومفهومه: أن الله عصمه من أن يفتري، وثبته حتى لم يركن إليهم قليلاً، فكيف كثيراً؟ وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم، وأنه ﷺ قال: افتريت على الله وقلت ما لم يقل، وهي تضعف الحديث لو صحّ، فكيف ولا صحة له؟! وهذا مثل قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ﴾ قال القشيري: ولقد طالبته قريش وثقيف إذ مرّ بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها، ووعدوه الإيمان به إن فعل، فما فعل، ولا كان ليفعل، قال ابن الأنباري: «ما قارب الرسول ولا ركن».

أما ما ذكره ابن حجر من أن القصة رويت مرسلة من ثلاث طرق على شرط الصحيح، وأنه يحتج بها. . . الخ ما سبق، فقد ذهب عليه أن العصمة من العقائد التي يطلب فيها اليقين، فالحديث الذي يفيد خرمها ونقضها لا يقبل على أي وجه جاء، وقد عدّ الأصوليون الخبر الذي يكون على تلك الصفة من الأخبار التي يجب القطع بكذبها، هذا لو فرض اتصال الحديث، فما ظنك بالمراسيل؟! وإنما الخلاف في الاحتجاج بالمرسل وعدم الاحتجاج به فيما هو من قبيل الأعمال وفروع الأحكام، لا في أصول العقائد، ومعاقد الإيمان بالرسل، وما جاؤوا به فهي هفوة من ابن حجر، يغفرها الله له.

وقد استغل بروكلمان ـ المستشرق الألماني الشهير ـ هذه الرواية فنقلها بأمانة، واعتبرها من المسائل المفروغ من إثباتها، وذلك في كتابه: «تاريخ الشعوب الإسلامية» الذي أخرجه للناس عام (١٩٣٩) للميلاد، فقال في الحديث عن محمد: «ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث؛ اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله، ولقد أشار إليهن في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن ترتجى، أما بعد ذلك حين قوي شعور النبي بالوحدانية، فلم يعترف بغير الملائكة شفعاء عند الله، وجاءت السورة الثالثة والخمسون، وفيها إنكارٌ لأن تكون الآلهة الثلاث بنات الله، ولم يستطع التقليد المتأخر أن يعتبر ذلك التسليم إلا تحولاً أغراه به الشيطان؛ ولذلك أرجئت حوادثه إلى أشد الأوقات ضيقاً في مكة، ثم ما لبث أن أنكره، وتبرأ منه في اليوم التالي».

هذا ما ذكره بروكلمان، وهو ينضح بالتعصب، وينادي على نفسه بالافتئات.

ولم يقتصر الأمر على بروكلمان وحده، فكثير من المبشرين، وبعض المستشرقين تشبّثوا بهذه الرواية، وزعموا أن الرسول فعل ذلك لما قاومه المشركون بمكة، فأحب أن يتقرب منهم، فمدح آلهتهم، ثم عدوا عمله هذا تراخياً عن تشدّده في التوحيد ومهاجمة الأصنام.

هذا؛ وقد تصدى لهم كثيرون من علماء المسلمين في العصر الحديث، ففندوا افتراءاتهم، وطوحوا بأراجيفهم، وحسبنا أن نلمع إلى اثنين من كبار هؤلاء العلماء، ملخصين ما قالاه ضاربين صفحاً عن التطويل فيما لا يتفق مع منهاج الكتاب.

*** خلاصة ما كتبه العالم الهندي محمد علي:**

«إن هذه الرواية وردت عند الواقدي وعند الطبري، ومع ذلك فإنها لا ظل لها من الحقيقة، فإن كل عمل من أعمال رسول الله مناقض لمثل هذا الاتجاه، أضف إلى ذلك أن الواقدي معروف بسرد الإسرائيليات، وبسرد الخرافات، وكذلك الطبري معروف بالجمع الكثير، واستقصاء الروايات مهما كان حظها من الصحة، على أننا لو رجعنا إلى رواية محمد بن إسحاق أو: إلى صحيح البخاري، وهو الذي لم يغادر من حياة الرسول شيئاً إلا ذكره لم نر لقصة الغرانيق أثراً، وابن إسحاق جاء قبل الواقدي بأربعين سنة، وقبل الطبري بنحو مئة وخمسين سنة أو تزيد، أما البخاري فقد كان معاصراً للواقدي، ومع ذلك لم يذكر هذه القصة، ثم إن الواقدي معروف عند المحدثين بأنه يضع الأحاديث، وأنه غير ثقة فيما يروي، وكذلك لم يذكرها أحد من رواة الحديث.

وإذا عدنا إلى قراءة الآيات نفسها بالتسلسل وجدناها: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ فليس من المعقول أن تحشر بين هذه الآيات المتتالية آية مناقضة لها في أصل العقيدة الإسلامية، وصلب دعوة محمد ﷺ، وهنالك تفاصيل كثيرة في نقض هذه الرواية لا جدوى من ذكرها».

هذا ما ذكره العالم الهندي مولانا محمد علي، وهو كافٍ في الرد على هؤلاء المستشرقين الذي ينظرون إلى نبوة محمد نظرة مادية، مجردة من الإيحاء الإلهي،

وما ذلك إلا من قبيل التعصب الديني، المبني على عداء سياسي أنهم ينكرون أن يكون محمد ذا نبوة صحيحة، بينما هم يقّرون بهذه النبوة نفسها لجميع أنبياء بني إسرائيل.

☆ خلاصة البحث الجليل الذي كتبه الإمام محمد عبده:

والآن آن لنا أن نلخص البحث الممتع الذي كتبه الإمام الشيخ محمد عبده، وفيه قطعت جهيزة قول كل خطيب:

«لا يخفى على كل من يفهم العربية، وقرأ شيئاً من القرآن أن قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ . . . ﴾ الآيات، يحكي قدراً للمرسلين كافة لا يعدونه، ولا يقفون دونه، ويصف شنشنة عرفت فيهم، وفي أممهم، فلو صحّ ما قال أولئك المفسرون لكان المعنى: أن جميع الأنبياء والمرسلين قد سلط الشيطان عليهم، فخلط في الوحي المنزل إليهم، ولكنه بعد هذا الخلط ينسخ الله كلام الشيطان، ويحكم الله آياته، وهذا من أقبح ما يتصور متصور في اختصاص الله تعالى لأنبيائه واختيارهم من خاصة أوليائه، فلندع هذا الهذيان، ولنعد إلى ما نحن بصدده».

وبعد أن أفاض الأستاذ الإمام في ذكر الله لنبيه أحوال الأنبياء والمرسلين قبله ليبين له سنته فيهم، وأنه لم يبعث واحد منهم في أمة إلا كان له خصوم يؤذونه بالتأويل والتحريف، قال: «فعلى هذا المعنى الذي يتفق مع ما لقيه الأنبياء يجب أن تفسر الآية، وذلك على وجهين:

الأول:

أن يكون تمنى بمعنى قرأ، والأمنية بمعنى القراءة، وهو معنى قد يصح، وقد ورد استعمال اللفظ فيه قال حسان بن ثابت في عثمان رضي الله عنهما:

تمنّى كتابَ الله أوّل ليلهِ وآخره لاقى حِمامَ المقادر

غير أن الإلقاء لا يكون على المعنى الذي ذكروه، بل على المعنى المفهوم من قولك: ألقيت في حديث فلان؛ إذا أدخلت فيه ما ربما يحتمله لفظه،

ولا يكون قد أراده، أو نسبت إليه ما لم يقله؛ تعللاً بأن ذلك الحديث المذكور يؤدي إليه، وذلك من عمل المعاجزين الذين ينصبون أنفسهم لمحاربة الحق، يتبعون الشبهة، ويسعون وراء الريبة، فالإلقاء بهذا المعنى دأبهم، ونسبة الإلقاء إلى الشيطان؛ لأنه مثير الشبهات بوساوسه، مفسد القلوب بدسائسه، وكل ما يصدر من أهل الضلال ينسب إليه، ويكون المعنى: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا حدث قومه عن ربه، أو تلا وحياً أنزل إليه فيه هدى لهم، قام في وجهه مشاغبون يحولون ما يتلوه عليهم عن المراد منه، ويتقولون عليه ما لم يقله، وينشرون ذلك بين الناس ليبعدوهم عنه، ويعدلوا بهم عن سبيله، ثم يحق الله الحق، ويبطل الباطل، ولا زال الأنبياء يصبرون على ما كذبوا، وأوذوا، ويجاهدون في الحق، ولا يعتدُّون بتعجيز المعجزين، ولا بهزء المستهزئين إلى أن يظهر الحق بالمجاهدة، وينتصر على الباطل بالمجالدة، فينسخ الله تلك الشبهة، ويجتثها من أصولها، ويثبت آياته، ويقررها. وقد وضع الله هذه السنة في الناس ليتميز الخبيث من الطيب، فيفتتن الذين في قلوبهم مرض، وهم ضعفاء العقول بتلك الشبه والوساوس، فينطلقون وراءها، ويفتتن بها القاسية قلوبهم من أهل العناد والمجاحدة، فيتخذونها سنداً يعتمدون عليه في جدلهم، ثم يتمحص الحق عند الذين أوتوا العلم، ويخلص لهم بعد ورود كل شبهة عليه، فيعلمون أنه الحق من ربك فيصدقون به، فتخبت، وتطمئن قلوبهم، والذين أوتوا العلم هم الذين رزقوا قوة التمييز بين البرهان القاطع؛ الذي يستقر بالعقل في قرارة اليقين، وبين المغالطات وضروب السفسطة التي تطيش بالفهم، وتطير به مع الوهم، وتأخذ بالعقل تارة ذات الشمال وأخرى ذات اليمين.

الثانـي:

أن التمني على معناه المعروف، وكذلك الأمنية، وهي أفعولة بمعنى المنية، وجمعها أماني كما هو مشهور، وقال أبو العباس أحمد بن يحيى: التمني حديث النفس بما يكون، وبما لا يكون، والتمني سؤال الرب. وفي

الحديث: «إذا تمنى أحدكم فليتكثر فإنما يسأل ربه» وفي رواية: فليكثر، قال ابن الأثير: التمني: تشهي حصول الأمر المرغوب فيه، وحديث النفس بما يكون وما لا يكون. وقال أبو بكر: تمنيتُ الشيء إذا قدرته، وأحببت أن يصير لي، وكل ما قيل في معنى التمني على هذا الوجه، فهو يرجع إلى ما ذكرنا، ويتبعه معنى الأمنية. ما أرسل الله من رسول ولا نبي ليدعو قوماً إلى هدى جديد، أو شرع سابق شرعه لهم، ويحملهم على التصديق بكتاب جاء به نفسه إن كان رسولاً، أو جاء به غيره إن كان نبياً بعث ليحمل الناس على اتباع من سبقه إلا وله أمنية في قومه، وهي أن يتبعوه، وينحازوا إلى ما يدعوهم إليه، وما يستشفوا من دائهم بدوائه، ويعصوا أهواءهم بإجابة ندائه، وما من رسول أرسل إلا وقد كان أحرص على إيمان أمته، وتصديقهم برسالته منه على طعامه الذي يطعم وشرابه الذي يشرب وسكنه الذي يسكن إليه، ويغدو عنه، ويروح عليه، وقد كان نبيُّنا ﷺ من ذلك في المقام الأعلى والمكان الأسمى، قال الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ وقال: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ وقال: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾.

وفي الآيات مما يطول سرده ممّا يدل على أمانيه ﷺ المتعلقة بهداية قومه، وإخراجهم من ظلمات ما كانوا فيه إلى نور ما جاء به، وما من رسول ولا نبي إذا تمنى هذه الأمنية السامية إلا ألقى الشيطان في سبيله العثرات، وأقام بينه وبين مقصده العقبات، ووسوس في صدور الناس، وسلبهم الانتفاع بما وهبوا من قوة العقل والإحساس، فثاروا في وجهه، وصدوه عن قصده، وعاجزوه حتى لقد يعجزونه، وجادلوه بالقول والسلاح حتى لقد يقهرونه، فإذا ظهروا عليه والدعوة في بدايتها، وسهل عليهم إيذاؤه، وهو قليل الأتباع ضعيف الأنصار، ظنوا الحق من جانبهم، وكان فيما ألقوه من العوائق بينه وبين ما عمد إليه فتنة لهم، غلبت سنة الله في أن يكون الرسل من أواسط قومهم، أو من المستضعفين فيهم؛ ليكون العامل في الإذعان بالحق محض

الدليل، وقوة البرهان، وليكون الاختيار المطلق هو الحامل لمن يدعى إليه على قبوله، ولكيلا يشارك الحق الباطل في رسائله، ويشاركه في نصب شراكه وحبائله أنصار الباطل في كل زمان، هم أهل القوة، والأنفة، والجاه، والاعتزاز بالأموال، والأولاد، والعشيرة، والأعوان، والغرور بالزخارف، والزهو بكثرة المعارف، وتلك الخصال إنما تجتمع كلها، أو بعضها في الرؤساء، وذوي المكانة من الناس، فتذهلهم عن أنفسهم، وتصرف نظرهم عن سبيل رشدهم، فإذا دعا إلى الحق داع عرفته القلوب النقية من أوضار هذه الفواتن، وفزعت إليه النفوس الصافية والعقول المستعدة لقبوله بخلوصها من هذه الشواغل، وقلما توجد إلا عند الضعفاء وأهل المسكنة، فإذا التف هؤلاء حول الداعي، وظاهروه على دعوته قام أولئك المغرورون يقولون: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾.

فإذا استدرجهم الله على سنته، وجعل الجدال بينهم وبين المؤمنين سجالاً افتتن الذين في قلوبهم مرض من أشياعهم، وافتتنوا بما أصابوا من الظفر في دفاعهم، ولكن الله غالب على أمره، فيمحق ما ألقاه الشيطان من هذه الشبهات، ويرفع هذه الموانع وتلك العقبات، ويهب السلطان لآياته فيحكمها، ويثبت دعائمها، وينشىء من ضعف أنصارها قوة، ويخلف لهم من ذلهم عزة، وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الشيطان هي السفلى ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾.

☆ خاتمــة هامــة للأستاذ الإمــام:

«ولو صح ما قاله نقلة قصة الغرانيق لارتفعت الثقة بالوحي، وانتقض الاعتماد عليه، كما قاله البيضاوي وغيره، ولكان الكلام في الناسخ كالكلام في المنسوخ يجوز أن يلقي الشيطان فيه ما يشاء، ولانهدم أعظم ركن للشرائع الإلهية، وهو العصمة، وما يقال من المخرج في ذلك ينفر منه الذوق، ولا ينظر إليه العقل، على أن وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرانيق العلى لم يرد

لا في نظمهم ولا في خطبهم، ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جارياً على ألسنتهم إلا ما جاء في معجم ياقوت غير مسند ولا معروف بطريق صحيح، وهذا يدل على أن القصة من اختراع الزنادقة، كما قال ابن إسحاق، وربما كانت منشأ ما أورده ياقوت، ولا يخفى أن الغرنوق والغرنيق لم يعرف في اللغة إلا اسماً لطائر مائي أسود أو أبيض، أو هو اسم الكركي، أو طائر يشبهه، والغرنيق بالضم كزنبور، وقنديل، وسموءل، وفردوس، وقرطاس، وعلابط معناه الشاب الأبيض الجميل، وتسمى الخصلة من الشعر المفتلة: الغرنوق، كما يسمى به ضرب من الشجر، ويطلق الغرنوق والغرانق على ما يكون في أصل العوسج اللين النبات، ولا يقال: لمة غرانقة وغرانقية، أي: ناعمة تضيئها الريح، أو الغرنوق: الناعم المستتر من النبات... الخ.

ولا شيء من هذه المعاني يلائم الإلهام والأصنام حتى يطلق عليها في فصيح القول؛ الذي يعرض على ملوك البلاغة وأمراء الكلام، فلا أظنك تعتقد إلا أنها من مفتريات الأعاجم، ومختلقات الملبسين ممن لا يميز بين حرّ الكلام، وما استعبد منه لضعفاء الأحلام، فراج ذلك على من يذهله الولوع بالرواية، عما تقتضيه الدراية، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾

﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝٥٩ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٦٠﴾

○ الإعراب:

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ الواو عاطفة، وليعلم عطف على ليجعل، وقد تقدم تعليق ليجعل، والذين فاعل، وجملة أوتوا العلم صلة، والعلم مفعول به ثان لأوتوا، وأنه الحق سدت مسد مفعولي يعلم، ومن ربهم حال، فيؤمنوا عطف على يعلم، وبه متعلقان بيؤمنوا. ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فتخبت عطف على فيؤمنوا به، وله متعلقان بتخبت، أي: تطمئن له قلوبهم، وقلوبهم فاعل، والواو استئنافية، وأن واسمها، ولهاد اللام المزحلقة، وهاد خبر إن، والذين مفعول هاد؛ لأنه اسم فاعل، وجملة آمنوا صلة، وإلى صراط مستقيم متعلقان بهاد. ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ الواو عاطفة على ما تقدم ليستكمل شرح حال الكافرين ويستوفيها، ولا يزال فعل مضارع ناقص، والذين كفروا اسمها، وفي مرية خبرها، ومنه صفة لمرية، وهي بكسر الميم وضمها، والضمير يعود إلى القرآن، أو: إلى الرسول، أو: إلى ما ألقاه الشيطان. ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ حتى حرف غاية وجر، وتأتيهم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والهاء مفعول به، والساعة فاعل، وبغتة حال، وأو حرف عطف، ويأتيهم عطف على تأتيهم، وعذاب يوم فاعل، وعقيم صفة. ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ الملك مبتدأ، ويومئذ ظرف مضاف إلى مثله، وهو متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر، وهو لله، والتنوين عوض عن محذوف تقديره: يوم يؤمنون، أو: يوم تزول حريتهم، وجملة يحكم بينهم مستأنفة كأنها وقعت جواباً لسؤال مقدر تقديره: ماذا يصنع بهم، فقيل: يحكم بينهم، ولا يبعد أن

تكون حالاً من اسم الله، والظرف متعلق بيحكم. ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ الفاء عاطفة للتفريع، والذين مبتدأ، وجملة آمنوا صلة، وجملة وعملوا الصالحات عطف على جملة آمنوا، وفي جنات النعيم خبر. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ والذين مبتدأ أيضاً، وجملة كفروا صلة، وجملة كذبوا بآياتنا عطف على جملة كفروا، فأولئك الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط، وأولئك مبتدأ، ولهم خبر مقدم، وعذاب مهين مبتدأ مؤخر، والجملة خبر أولئك، وجملة أولئك.. الخ خبر الذين. ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ قتلوا أو ماتوا عطف على قتلوا، ليرزقنهم اللام موطئة للقسم، ويرزقنهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والهاء مفعول به، والله فاعل، ورزقاً مفعول مطلق، وحسناً صفة، والجملة القسمية وجوابها خبر الذين، وهذا أولى من تقدير خبر. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وهو مبتدأ، وخير الرازقين خبر هو، والجملة خبر إن. ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ اللام موطئة للقسم، وجملة يدخلنهم جواب القسم، وجملة القسم وجوابه بدل من الجملة القسمية الأولى، أو: هي مستأنفة، والهاء مفعول به، ومدخلاً مفعول مطلق لأنه مصدر ميمي، وجملة يرضونه صفة لمدخلاً، وإن الله لعليم حليم: الواو عاطفة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وعليم حليم خبران لإن. ﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ ذلك خبر مبتدأ محذوف، وقد تقدم إعراب نظيره، والواو استئنافية، ومن اسم شرط جازم أو موصولة مبتدأ، وعاقب فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وبمثل متعلقان بعاقب، وما موصول مضاف إليه، وجملة عوقب به صلة.

﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ ثم بغي عليه

عطف على عاقب، واللام موطئة للقسم، والجملة القسمية خبر من، وجملة إن الله لعفو غفور تعليلية لا محل لها.

□ البلاغة:

﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: استعارة مكنية، فقد شبه مالا خير فيه من الزمان بالنساء العقم، أو لأن يوم الحرب يقتل فيه أولاد النساء، فيصرن كأنهن عقم لم يلدن.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾

○ الإعراب:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ الجملة مستأنفة لتقرير قدرته تعالى على النصر، وأن من قدر على إيلاج الليل والنهار، وإيلاج النهار في الليل، وغير ذلك من روائع قدرته، قادر ولا شك على النصر، وذلك مبتدأ، والإشارة إلى النصر الموعود، وبأن الله خبره، والباء للسببية، وجملة يولج الليل في النهار خبر أن، وجملة ويولج النهار في الليل عطف على الجملة الأولى، وأن الله سميع بصير عطف أيضاً على: بأن الله... الخ، ومعنى إيلاج الليل في النهار، وبالعكس تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك، وبالعكس. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ جملة مستأنفة ثانية لتقرير دليل آخر إلى جانب الدليل الأول، وهو

القدرة على جميع الممكنات، وهو كونه تعالى حقاً ثابتاً، وما عداه معدوم وزائل، وذلك مبتدأ، وبأن خبر، والله اسم أن، وجملة هو الحق من المبتدأ والخبر خبر أن. ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ عطف على ما تقدم، وقوله: من دونه متعلقان بمحذوف حال.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتر فعل مضارع مجزوم بلم، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تر؛ لأنها علمية كما سيأتي، وجملة أنزل خبر أن، ومن السماء متعلقان بأنزل، وماء مفعول به، فتصبح الفاء عاطفة لا سببية؛ لأن الاستفهام تقريري كما قدمنا مؤول بالخبر، أي: قد رأيت، والخبر لا جواب له، وأيضاً لا تصح السببية ـ هنا ـ فإن الرؤية لا يتسبب عنها اخضرار الأرض، بل إنما يوجبه إنزال الماء بعد أن تصبح، وسيأتي مزيد تفصيل لهذه النكت البلاغية في باب البلاغة، فتصبح الفاء عاطفة، وتصبح معطوف على أنزل، وهو فعل مضارع ناقص، وسيأتي سرّ المخالفة في عطف المضارع على الماضي، والأرض اسم تصبح، ومخضرة خبرها، واختار أبو البقاء أن تكون تصبح تامة، والأرض فاعلاً ومخضرة حالاً. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ الجملة تعليل لما تقدم، وإن واسمها وخبراها. ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ الجملة حالية أو مستأنفة، وله خبر مقدم، وما مبتدأ مؤخر، وفي السموات متعلقان بمحذوف صلة ما، وما في الأرض عطف على ما في السموات، وإن الله: الواو عاطفة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وهو الغني مبتدأ وخبر، والجملة خبر إن، والحميد خبر ثان لهو. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتر مضارع مجزوم بلم، وأن الله مفعول تر، وجملة سخر خبر أن، ولكم متعلقان بسخر، وما مفعول سخر، وفي الأرض صلة ما، والفلك عطف على ما، أي: سخر لكم ما في الأرض، وسخر لكم الفلك، وجملة تجري حال من الفلك، وفي البحر متعلقان

بتجري، وبأمره حال ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ الواو عاطفة، ويمسك فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: هو، والسماء مفعول به، وأن تقع المصدر المؤول في محل نصب مفعول لأجله، فالبصريون يقدرون: كراهة أن تقع، والكوفيون: لئلا تقع، واختار أبو البقاء وغيره أن تكون بدل اشتمال من السماء، أي: ويمسك وقوعها بمعنى يمنعه، وعلى الأرض متعلقان بتقع، وإلا أداة حصر؛ لأن الكلام غير موجب، أو في قوة النفي، أي: لا يتركها تقع في حالة من الأحوال، فهو استثناء مفرغ من أعمّ الأحوال، فقوله: بإذنه متعلقان بمحذوف حال، أي: متلبسة بمشيئته تعالى وإذنه، والباء للملابسة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الجملة تعليلية، وإن واسمها، وبالناس متعلقان برؤوف، واللام المزحلقة، ورؤوف خبر أول، ورحيم خبر ثان.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ عطف المضارع المستقبل على الماضي، ولم يقل: فأصبحت عطفاً على أنزل، وذلك لإفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان، فإنزال الماء مضى وجوده، واخضرار الأرض باق لم يمض، وهذا كما تقول: أنعم علي فلان فأروح وأغدو شاكراً له، ولو قلت: فرحت وغدوت شاكراً له لم يقع ذلك الموقع؛ لأنه يدل على ماض قد كان وانقضى، وهذا موضع جدير بالتأمل.

والسؤال الوارد هنا لِمَ لَمْ ينصب، فتصبح جواباً للاستفهام؟ والجواب لو نصب لأعطى عكس ما هو الغرض؛ لأن معناه: إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار، مثاله أن تقول لصاحبك: ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر؟ إن نصبته، فأنت نافٍ لشكره، شاكٌّ تفريطه فيه، وإن رفعته فأنت مثبت للشكر. قال سيبويه: وسألته (يعني الخليل) عن ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ فقال: هذا واجب، وهو تنبيه كأنك قلت: أتسمع أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا». قال ابن خروف

في «شرح كتاب سيبويه»: «وقوله: فقال هذا واجب، وقوله: فكان كذا، يريد: أنهما ماضيان، وفسر الكلام بأن تسمع ليريك أنه لا يتصل بالاستفهام لضعف حكم الاستفهام فيه».

وقال بعض شراح «الكتاب»: «فتصبح لا يمكن نصبه؛ لأن الكلام واجب، ألا ترى أن المعنى: أن الله أنزل الماء، فالأرض هذه حالها».

وقال الفراء: «وإنما عبّر بالمضارع؛ لأن فيه تصويراً للهيئة التي الأرض عليها، والحالة التي لابست الأرض، والماضي يفيد انقطاع الشيء، وهذا كقول جحدر بن معونة العكلي يصف حاله مع أشد نازلة، في قصّةٍ جرت له مع الحجاج بن يوسف:

يسمو بناظرتين تحسبُ فيهما ... لما أجالهما شعاعُ سراجِ
لما نزلت بحصن أزبر مهضر ... للقرن أرواحُ العدا مجاجِ
فأكرّ أحملُ وهو يقعي باسته ... فإذا يعودُ فراجع أدراجي
وعلمت أني إن أبيتُ نزاله ... أنّي من الحجاجِ لست بناجِ

فقوله: «فأكر» تصوير للحالة التي لابسها».

وقال ابن هشام في «المغني»: «وقيل: الفاء في هذه الآية للسببية وفاء السببية لا تستلزم التعقيب، بدليل صحة قولك: إن يسلم فهو يدخل الجنة، ومعلوم ما بينهما من المهلة».

* **بحث ممتع للرازي:**

وللإمام الرازي بحث جيد هنا، ويمكن تلخيصه بما يلي:

«ذكر هنا من آثار قدرته ستة أشياء:

١ ـ إنزال الماء الناشىء عنه اخضرار الأرض، وفسر الرؤية بالعلم دون الإبصار؛ لأن الماء وإن كان مرئياً إلا أنَّ كون الله منزلاً له من السماء غير مرئي، وقال: ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ﴾ دون أصبحت لإفادته بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان.

٢ ـ قوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ومن جملته خلق المطر والنبات نفعاً للحيوان، مع أن الله لا يحتاج لذلك، ولا ينتفع به.

٣ ـ تسخير ما في الأرض، أي: ذلل لكم ما فيها كالحجر والحديد والنار لما يراد منها والحيوان للأكل والركوب، والحمل عليه، والنظر إليه.

٤ ـ تسخير الفلك بالماء والرياح، فلولا أنَّ الله سخرها لكانت تغوص، أو تقف.

٥ ـ إمساك السماء؛ لأن النعم المتقدمة لا تكمل إلا به، والسماء جرم ثقيل، وما كان كذلك لا بد له من السقوط لولا مانع يمنع منه، وهو القدرة، فأمسكها الله بقدرته لئلا تقع، فتبطل النعم التي امتنّ بها علينا.

٦ ـ الإحياء، ثم الإماتة، ثم الإحياء. نبّه بهذا على أن هذه النعم لمن أحياه الله، فنبّه بالإحياء الأول على إنعامه في الدنيا بكل ما تقدم، ونبّه بالإماتة والإحياء على إنعامه علينا في الآخرة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿مَنسَكًا﴾: بفتح السين وكسرها: شريعة؛ لأنه مأخوذ من النسيكة، وهي: العبادة. وقد تقدم الكلام مستوفياً عن هذه المادة.

○ الإعراب:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لنهي رسول الله ﷺ عن الالتفات إلى قولهم، وتمكينهم من منازعته تثبيتاً له، وحفزاً لهمته على المضي في الأمر الذي عهد الله إليه به، وهو مبتدأ، والذي خبر، وجملة أحياكم صلة، ثم حرف عطف للتراخي، ويميتكم فعل وفاعل ومفعول به، أي: عند انتهاء الآجال، ثم حرف عطف وتراخ أيضاً، ويحييكم فعل مضارع مرفوع، والكاف مفعوله، أي: عند البعث، وجملة «إن الإنسان لكفور» مستأنفة تفيد التعليل لعدم الاعتبار والتبصر بعد هذه العبر والدلائل، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وكفور خبرها. ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ﴾ لكل أمة مفعول ثان مقدم لجعلنا، ومنسكاً هو المفعول الأول، والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها؛ ولذلك لم يأت بالواو الاستئنافية، وهي مسوقة لزجر منازعيه من أهل الأديان السماوية، وهم مبتدأ، وناسكوه خبر، والجملة الاسمية صفة لمنسكاً، والفاء الفصيحة، ولا ناهية، وينازعنك فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين هي واو الجماعة في محل رفع فاعل، والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة، ولم تؤثر في بناء المضارع؛ لأنها لم تباشره، وقد مرت لها نظائر، والكاف مفعول به، وفي الأمر متعلقان بينازعنك، وادع فعل أمر، وفاعله أنت، وإلى ربك متعلقان بادع على حذف مضاف، أي: إلى دينه وسبيله، وجملة «إنك لعلى هدى مستقيم» تعليلية لا محل لها، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وعلى هدى خبرها، ومستقيم صفة لهدى. ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وجادلوك فعل ماضي في محل جزم فعل الشرط، و الواو فاعل، والكاف مفعول به، فقل: الفاء رابطة، وقل فعل أمر، والله مبتدأ، وأعلم خبر، والجملة مقول القول، وجملة فقل جواب

الشرط، وبما متعلقان بأعلم، وتعلمون صلة. ﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتسلية النبي مما كان يلقى، والله مبتدأ، وجملة يحكم خبر، وبينكم ظرف متعلق بيحكم، ويوم القيامة متعلق بيحكم أيضاً، وفيما متعلقان بمحذوف حال، وجملة كنتم صلة، وكان واسمها، وفيه متعلقان بتختلفون، وجملة تختلفون خبر كنتم. ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتعلم فعل مضارع مجزوم، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وأن وما في حيزها سدّت مسدّ مفعولي يعلم، وإن واسمها، وجملة يعلم خبرها، وما مفعول به، وفي السماء صلة ما، والأرض عطف على السماء. ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ جملتان تعليليتان لما سبق، وإن واسمها، وفي كتاب خبرها، وإن واسمها، ويسير خبرها، وعلى الله متعلقان بيسير.

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ يَسْطُونَ ﴾: يبطشون، والسطو: الوثب، والبطش؛ ولذلك عدي

بالباء، وإلا فهو يتعدى بعلى. يقال: سطا عليه، وأصله: القهر والغلبة، وفي الأساس: «وسطا بقرنه، وعلى قرنه: وثب عليه، وبطش به، والفحل يسطو على طروقته. ومن المجاز: سطا الماء: كثر وزخر، وما سطوت في طعام أحد: ما تناولته، ولهم أيد سَواطٍ عَواطٍ. قال المتنخّل يصف خمراً:

رَكُـودٌ في الإنـاء لَهَـا حُمَيَّـا   تلذُّ بأخذِها الأيدي السَّواطي

وللسين مع الطاء فاء وعيناً للكمة صفة الامتداد، تقول: رأيتهم قاعدين على المساطب، وهي الدكاكين الممتدة حول رحبة المسجد، وبات فلان على المسطبة، وتقول: كم أبات هذا البيت رجالاً على المساطب، وأوقعهم في المتالف والمعاطب! تريد: فسْر في بلاد الله، وتقول: إما أن يبيتك على المسطبة، أو: يرفعك إلى المسطبة، وهي: المجرّة، وسطح الشيء: بسطه وسواه، ومنه سطح الخبز بالمسطح، وهو: المحور، وسطح الثريدة في الصحفة، ومنه، سطح البيت، وسطحٌ مسطح: مستو، وأنف مسطح منبسط جداً، وبسط لنا المِسْطح والمساطح: وهو: الحصير من الخوص، وضربه فسطحه: إذا بطحه على قفاه ممتداً، فانسطح، وهو سطيح ومنسطح، وبه سُمِّي سطيح، وضربه بالمسطح، وهو: عمود الخباء، وشرب من السطيحة، وهي: المزادة، وسطر واستطر: كتب، وكتب سطراً من كتابه، وسَطَراً، وأسطُراً، وسطوراً، وأسطاراً، وهو مسيطر علينا، ومتسيطر، ونار ساطعة: ممتدة، ونور ساطع، وسطع الفجر، وسطع الغبار سطوعاً، وسطع البعير والظليم: مدّ عنقه إلى السماء، قال ذو الرمة يصف ظليماً:

يَظَـلُّ مُخْتَضِعـاً طَـوْراً فَتُنْكِـرُهُ   حِيناً ويَسْطَعُ أحياناً فَيَنْتَسِبُ

وسطع بيديه رفعهما مُصفِّقاً بهما. ومن المجاز: سطعت رائحة المسك، وأعجبني سطوع رائحته، واغتسلت بالسَّطل والسيّطل، وهما القَدَس الذي يُتطهر به في الحمّام، وحرك النار بالإسْطام، وسيف مصقول السِّطام، وهو: الحدّ، وأنشد سيبويه لكعب بن جُعَيْل:

وأبيــضَ مصقــولَ السِّطــام مُهَنَّــداً
وذا حَلَــقٍ مــن نَسْــجِ داودَ مِسْــرَدا

ومن المجاز: ليل طما أسطمّه، وهو في أسطمّة قريش: في وسطهم، وعاد الملك في إسطمّه: في أصله، قال:

يا ليتها قد خرجت من فُمِّه حتى يعود الملكُ في إسطمّه

والعرب سطام الناس.

﴿ ٱلذُّبَابُ ﴾: اسم جنس، واحده: ذبابة، يقع على المذكر والمؤنث، ويجمع على ذبّان بالكسر كغربان، وذُبان بالضم كقضبان، وعلى أذبّة كأغربة، وهو أجهل الحيوانات لأنه يرمي نفسه في المهلكات، ومدة عيشه أربعون يوماً، وأصل خلقته من العفونات، ثم يتوالد بعضه من بعض يقع روثه على الشيء الأبيض فيرى أسود، وعلى الأسود فيرى أبيض، والذباب مأخوذ من ذب؛ إذا طرد، وآب؛ إذا رجع؛ لأنك تذبه فيرجع عليك، وقد ذكره امرؤ القيس في شعره قال:

أَرَانـا مُـوضِعِيـنَ لأَمْـرِ غَيْـبٍ ونُسْحَـرُ بـالطَّعـامِ وبـالشَّـرابِ
عصـــافيـــرٌ وذِبَّـــانٌ وَدُودٌ وأَجْـرَأُ مـن مُجَلَّحَـةِ الـذِّئـابِ

وسيأتي بحث مسهب عنه في باب البلاغة.

○ الإعـراب:

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، ويعبدون فعل مضارع، والواو فاعل، ومن دون الله حال، وما موصول مفعول به، وجملة لم ينزل صلة ما، وبه حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لسلطاناً، وسلطاناً مفعول به. ﴿ وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ وما عطف على ما الأولى، وجملة ليس صلة، ولهم خبر ليس المقدم، وبه متعلقان بعلم، وعلم اسم ليس المؤخر، وما الواو عاطفة، وما نافية، وللظالمين خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، ونصير مجرور لفظاً مرفوع محلاً

مبتدأ مؤخر. ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ﴾ الواو عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة تتلى في محل جر بإضافة إذا إليها، وتتلى فعل مضارع مبني للمجهول، وعليهم متعلقان بتتلى، وآياتنا نائب فاعل، وبينات حال، وجملة تعرف لا محل لها؛ لأنها جواب إذا، وفي وجوه متعلقان بتعرف، والذين مضاف إليه، وجملة كفروا صلة، والمنكر مفعول به، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر، وهو الذين كفروا تشنيعاً عليهم، وتسجيلاً للشهادة عليهم بالكفر. ﴿ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ جملة يكادون حال من الموصول، وإن كان مضافاً لأن المضاف جزؤه، ويجوز أن يكون حالاً من وجوه؛ ولأن المراد بها أصحابها، ويكادون من أفعال المقاربة، والواو اسمها، وجملة يسطون خبرها، وبالذين متعلقان بيسطون، وجملة يتلون صلة، وعليهم متعلقان بيتلون، وآياتنا مفعول به. ﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ قل فعل أمر، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والجملة مستأنفة، أفأنبئكم: الهمزة للاستفهام، والفاء عاطفة على محذوف، أي: أخاطبكم فأنبئكم، وأنبئكم فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وبشر متعلقان بأنبئكم، ومن ذلكم متعلقان بشر، والنار خبر لمبتدأ محذوف، أو النار مبتدأ، وخبره جملة وعدها، والجملة لا محل لها لأنها مفسرة لشر. ﴿ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ جملة وعدها الله إما خبر ثان، وإما خبر النار، ووعدها الله فعل ومفعول به أول وفاعل، والذين كفروا مفعول به ثان لوعدها، ويجوز أن يكون الضمير هو المفعول الثاني، والذين كفروا هو المفعول الأول، ولعل هذا أرجح لسرّ سيأتي في باب الفوائد، وبئس المصير فعل وفاعل، والمخصوص بالذم محذوف، أي: هي. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لضرب المثل، وهو: إن يكن أشبه بالقصة إلا أنه في سيرورته واسغرابه سُمِّي مثلاً، يا أيها الناس تقدم إعرابها كثيراً، وضرب مثل فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعل، فاستمعوا: الفاء الفصحية، واستمعوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وله متعلقان باستمعوا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ الجملة مفسرة للمثل، وإن واسمها، وجملة تدعون صلة، ومن دون الله حال، وجملة لن يخلقوا ذباباً خبر إن، وذباباً مفعول به، ولو الواو عاطفة على محذوف هو حال، أي: انتفى خلقهم الذباب على كل حال، ولو في هذه الحال التي اجتمعوا لها، ولو شرطية، واجتمعوا فعل وفاعل، وله متعلقان باجتمعوا.
﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويسلبهم فعل الشرط، والهاء مفعول به، والذباب فاعل وشيئاً مفعول به ثان، ولا نافية، ويستنقذوه جواب الشرط، والواو فاعل، والهاء مفعول به، ومنه متعلقان بيستنقذوه، وجملة ضعف الطالب والمطلوب حال. ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الواو استئنافية، مسوقة للرد على أحبار اليهود ورؤسائهم؛ الذين قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء، وما نافية، وقدروا فعل وفاعل، ولفظ الجلالة مفعول به، وحق قدره مفعول مطلق، وجملة إن الله تعليل لما تقدم، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وقوي خبر إن الأول، وعزيز خبر إن الثاني.

□ البلاغة:

* سلامة الاختراع:

وهو أن يخترع الشاعر أو الكاتب معنى لم يسبق إليه، ولم يتبع فيه، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا﴾ الآية من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل الكافرين، واستركاك عقولهم لغرابة التمثيل؛ الذي تضمن الإفراط في المبالغة، مع كونها جارية على الحق، خارجة مخرج الصدق، وذلك حين اقتصر سبحانه على ذكر أضعف المخلوقات، وأقلها سلباً لما تسلبه، وتعجيز كل من دونه سبحانه كائناً من كان عن خلق مثله، مع التضافر والاجتماع، ثم نزل في التمثيل عن رتبة الخلق، إذ هما مما يعجز عن مثلهما كل قادر غير الله عز وجل إلى استنقاذ النزر التفه؛ الذي يسلبه هذا الخلق الضعيف على ضعفه، ويعجز كل قادر من المخلوقين عن استنقاذه منه، فتنقل في النزول

في التمثيل على ما تقتضيه البلاغة على الترتيب في هذه المكان؛ لما علم سبحانه أنه لا مبالغة في تعجيزهم عن الخلق والاختراع؛ الذي لا يدعيه جبار، ولا يتعاطاه مِن المخلوقين أحد، وإن أوتي قدرة، وأعطي قوة، وكان فيه من التغالي بالكفر والجهل ما يدعي معه الإلهية، وينتحل الربوبية، فنزل بهم إلى استنقاذ ما يسلبه هذا المخلوق الضعيف على ضعفه وقوتهم؛ ليريهم عجزهم، فتستيقنه نفوسهم وإن لم تقرّ به ألسنتهم، فجاء بما يقضي الظاهر أنه أيسر من الخلق، وهو الحقيقة مثله في العمر، فإن الظفر بنفس هذا المخلوق أيسر من الظفر بما يسلبه، فاستنقاذ ما يسلبه في العجز عنه مثل خلقه، ولم يسمع مثل هذا التمثيل في بابه لأحد قبل نزول الكتاب العزيز.

هذا؛ وقد قسم علماء البيان سلامة الاختراع إلى ضربين:

أولهما: يبتدعه صاحبه من غير أن يقتدي فيه بمن سبقه، وهذا الضرب يعثر عليه عند الحوادث المتجدّدة، وينتبه له عند الأمور الطارئة، فمن ذلك ما ورد في شعر لأبي تمام في قصيدة له يمدح بها المعتصم بالله، ويذكر حرق الأفشين، ومطلعها:

الحَـقُّ أَبْلَـجُ والسُّيـوفُ عَـوارِ فَحَذَارِ مِنْ أُسْدِ العَرِينِ حَذَارِ

وفيها يخترع وصف المصلبين، فيقول:

بَكَـرُوا وأَسْـروْا في مُتُـونِ ضَـوامِـرٍ
قِيـدَتْ لَهُـمْ مِـنْ مَـرْبِـطِ النَّجـارِ
لا يَبْـرَحُـونَ ومَـن رآهُـمْ خـالَهُـمْ
أبَـــداً على سَفَـــرٍ مـــن الأَسْفـــارِ

وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة، والخاطر في مثل هذا المقام ينساق إلى المعنى المخترع من غير كبير كلفة لشاهد الحال الحاضرة، ومما قاله فيها في صفة من أحرق بالنار:

ما زالَ سِرُّ الكُفْرِ بين ضُلُوعِه حتى اصْطَلى سِرَّ الزِّنادِ الوَارِي
ناراً يُساوِرُ جِسْمَه مِنْ حَرِّها لَهَبٌ كما عَصْفَرْتَ شِقَّ إزارِ

طارتْ لها شُعَلٌ يُهَدِّمُ لَفْحُها أَرْكـانَـهُ هَـدْمـاً بغيْـرِ غُبَـارِ

فَصَّلْـنَ منـه كُـلَّ مَجْمَـعِ مَفْصِـلٍ
وفَعَلْـنَ فـاقِـرةً بِكُـلِّ فَقَـارِ

مَشْبُـوبـةً رُفِعَـتْ لأعظُـمِ مُشْرِكٍ
مـا كـان يَـرْفَـعُ ضَـوْءَهـا للسَّـاري

صَلَّى لهـا حَيّـاً وكـان وَقُـودهـا
مَيْتـاً ويَـدْخُلُهـا مـع الفُجَّـارِ

وقد ذيل البحتري على ما ذكره أبو تمام في وصف المصلبين فقال :

كـم عَـزيـزٍ أبـادَهُ فَغَـدا يـر كَـبُ عُـوداً مُـرَكَّبـاً فَـوْقَ عُـودِ

أَسْلَمَتْـهُ إلى الـرُّقَـادِ رِجَـالٌ لم يَكُونُوا عن وِتْرِهِمْ بِرُقُودِ

تَحْسُدُ الطَّيْرَ فيه ضَبْعُ البوادي وَهْـوَ في غَيْـرِ حـالـةِ المحسُـودِ

غابَ عن صَحْبِهِ فلا هُوَ مَوْجُو دٌ لـديهـم وليـس بـالمفقُـودِ

وكـأنَّ امتـدادَ كَفَّيْـهِ فـوق الـ ـجِذْعِ في مَحْفِلِ الرَّدى المشهودِ

طـائـرٌ مَـدَّ مُستريحـاً جنـاحَيْـ ـه استراحاتِ مُتْعَبٍ مَكْدُودِ

أَخْطَـبُ النَّـاسِ راكبـاً فـإذا أُرْ جِلَ خاطَبْتَ منه عَيْنَ البليدِ

ومن هذا الضرب ما جاء في شعر أبي الطيب المتنبي في وصفه الحمى :

وزائـرتي كـأنَّ بهـا حيـاءً فليـس تـزورُ إلاَّ في الظَّـلامِ

بذلتُ لها المطارفَ والحشايا فعـافَتْهـا وبـاتـتْ في عِظـامـي

كأنَّ الصُّبْحَ يطردُها فتجري مـدامِعُهـا بـأربعـةٍ سجـامِ

أراقِـبُ وقتها مـن غير شـوقٍ مـراقبـةَ المشـوقِ المستهـامِ

ومن بديع ما أتى به في هذا الموضع أن سيف الله بن حمدان كان مخيماً بأرض ديار بكر على مدينة «ميا فارقين» فعصفت الريح بخيمته، فتطيَّرَ الناس لذلك، وقالوا فيه أقوالاً، فمدحه أبو الطيب بقصيدة يعتذر فيها عن سقوط الخيمة أولها :

أينفـعُ في الخيمـةِ العُـذَّلُ وتَشْمَـلُ مَـنْ دَهْـرَهـا يَشْمَـلُ

ومما أحسن فيه غاية الإحسان، وعدَّ من أوابده التي لا تبلى قوله:

تَضيقُ بِشَخْصِكَ أرجاؤها ويركضُ في الواحدِ الجَحْفَلُ
وتَقْصُرُ ما كنتَ في جَوْفِها وتُرْكَزُ فيها القَنَا الذُّبَّلُ
وكيف تقومُ على راحةٍ كأنَّ البحارَ لها أَنْمُلُ
فليتَ وَقَارَكَ فَرَّقْتَهُ وَحَمَّلْتَ أرضَكَ ما تَحْمِلُ
فصار الأنامُ به سادةً وسُدْتَهُمُ بالذي يَفْضُلُ
رأتْ لونَ نُورِكَ في لَوْنِها كلونِ الغزالةِ لا يُغْسَلُ
وأنَّ لها شَرَفاً باذخاً وأنَّ الخِيامَ بها تَخْجَلُ
فلا تُنْكِرَنَّ لها صَرْعَةً فَمِنْ فَرَحِ النفسِ ما يَقْتُلُ
ولو بُلِّغ الناسُ ما بُلِّغَتْ لَخَانَتْهُمُ حولكَ الأَرْجُلُ
ولمَّا أَمَرْتَ بِتَطْنِيبِها أُشِيعَ بأنَّكَ لا تَرْحَلُ
فما اعْتَمَدَ اللهُ تَقْوِيضَها ولكنْ أشار بما تَفْعَلُ
وعَرَّفَ أنَّكَ مِن هَمِّهِ وأنك في نصره ترفلُ
فما العانِدُون وما أَمَّلُوا وما الحاسِدُون وما قَوَّلُوا
هُمُ يطلبونَ فَمَنْ أَدْرَكُوا؟ وهُمْ يكذِبُونَ فَمَنْ يَقْبَلُ؟
وهُمْ يتمنَّوْن ما يَشْتَهُونَ ومِنْ دُونِه جَدُّكَ المُقْبِلُ

والمعاني المخترعة فيها واضحة للعيان، وكفى المتنبي فضلاً أن يأتي بمثلها.

وفي كتاب «الروضة» لأبي العباس المبرد، وهو كتاب جمعه، واختار فيه أشعار شعراء بدأ فيه بأبي نواس، ثم بمن كان في زمانه، فقال مما أورده من شعره: وله معنى لم يسبق إليه بإجماع، وهو قوله:

تُدارُ علينا الراحُ في عسجديةٍ حبتها بأنواعِ التَّصاوير فارس
قرارتُها كسرى وفي جنباتها مها تدَّريها بالقسيِّ الفوارس
فللرَّاحِ ما زرت عليه جيوبُها وللماءِ ما دارتْ عليه القلانس

فالمعنى مخترع، ولكنه ـ كما يقول الجاحظ ـ من المعاني المشاهدة، فإن هذه الخمر لم تحمل إلا ماء يسيراً، وكانت تستغرق صور هذه الكأس إلى مكان

جيوبها، وكان الماء فيها قليلاً بقدر القلانس التي على رؤوسها، وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر.

وثانيهما: المعاني التي تستخرج من غير شاهد حال متصورة، فإنها أصعب منالاً مما يستخرج بشاهد الحال، وقد قيل: إن أبا تمام أكثر الشعراء المتأخرين ابتداعاً للمعاني، وقد عدّت معانيه المبتدعة فوجدت ما يزيد على عشرين معنى:

فمن ذلك قوله:

يـا أيُّهـا الملكُ النَّـائي بـرؤيتـه　　وجـودُه لمـراعـي جـودِه كثـب
ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لي أملاً　　إنَّ السمـاءَ تـرجّـى حين تحتجـب

وكذلك قوله في الهجاء:

وأنـت تـديـرُ قطـبَ رحـىً عليـا　　ولم نـر للـرَّحـى العليـاءِ قطبـا
تـرى ظفـراً بكـلِّ صراعِ قـرنٍ　　إذا مـا كنـت أسفـلَ منـه جنبـا

وكذلك قوله:

وإذا أراد اللهُ نَشْـرَ فضيلـةٍ　　طُـوِيَـتْ أتـاحَ لهـا لسـانَ حسـودِ
لـولا اشتعـالُ النـارِ فيمـا جـاورتْ　　مـا كـان يُعْـرَفُ طِيْـبُ عَـرْفِ العُـودِ

وكذلك له في الشيب:

شعلـةٌ في المفـارقِ استـودعتنـي　　في صميـمِ الفـؤادِ ثكـلاً صميمـا
يستثيـرُ الهمـومَ مـا اكتـنّ منهـا　　صُعُـداً وهـي تستثيـرُ الهمـومـا

على أن ابن الرومي فاق شعراء العربية جميعاً في خلق الأشكال للمعاني المجردة، أو خلق الرموز لبعض الأشكال المحسوسة، بل فاق بها شعراء الدنيا جميعاً. استمع لوصفه لحركة الرقاق في يد الخباز:

ما أَنْسَ لا أَنْسَ خبّازاً مررتُ به
يدحو الرقاقةَ مثل اللمحِ بالبصرِ

ما بين رؤيتها في كفّه كرةً
وبين رؤيتها قوراءَ كالقمرِ

إلاَّ بمقدارِ ما تنداحُ دائرةٌ
في صفحةِ الماء يُرمى فيه بالحجرِ

ووصفه للحركة البطيئة في سير السحائب:

سحائبَ قيستْ في البلادِ فألفيت
غطاء على أغوارِها ونجودها

حدتها النّعامى مثقلات فأقبلتْ
تهادى، رويداً، سيرها كركودها

وله:

وإذا امرؤٌ مَدَحَ امرأً لنواله
وأطال فيه فَقَدْ أرادَ هجاءه

لو لم يقدرْ فيه بعد المستقى
عند الورودِ لما أطالَ رشاءه

وله قوله الممتع:

عدوّكَ من صديقكَ مستفادٌ
فلا تستكثرنَّ من الصِّحابِ

فإنَّ الدَّاءَ أكثر ما تراه
يكونُ من الطَّعام والشَّرابِ

وكذلك قوله:

لما تؤذن الدنيا به من صُروفها
يكونُ بكاء الطفلِ ساعةَ يولد

وإلاَّ فما يبكيه منها وإنها
لأوسعُ ممَّا كان فيه وأرغد؟!

إذا أبصر الدُّنيا استهلَّ كأنَّه
بما هو لاقٍ مِن أذاها يهدد

* قول جامع للجاحظ:

وللجاحظ فصل ممتع انتهى فيه إلى وصف الذباب الذي نحن بصدد الحديث عنه، قال: «ولا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام، وفي معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم، أو في بديع مخترع، إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه إن هو لم يقدر على لفظه، فيسرق بعضه، أو يدعيه بأسره، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكاً فيه كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء، فتختلف ألفاظهم، وأعاريض أشعارهم، ولا يكون أحد منهم أحقّ بذلك المعنى من صاحبه، أو لعله يجحد أنه سمع بذلك المعنى قط، وقال: إنه خطر على بالي من غير سماع كما خطر على بال الأول، هذا إذا قرعوه به، إلا ما كان من عنترة في صفة الذباب، فإنه وصفه فأجاد وصفه، فتحامى معناه جميع الشعراء فلم يعرضوا له، قال عنترة:

جادتْ عليها كُلُّ عَيْنٍ ثرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ حديقةٍ كالدِّرْهَمِ
فترى الذُّبابَ بها يغني وَحْدَه هَزِجاً كِفِعْلِ الشَّاربِ المترنِّمِ
غَرِداً يحكُّ ذِراعَه بذراعِه فِعْلَ المُكِبِّ على الزِّنادِ الأَجْذَمِ

يريد فعل الأقطع المكب على الزناد، والأجذم: المقطوع اليدين، فوصف الذباب إذا كان واقعاً ثم حك إحدى يديه بالأخرى، فشبهه عند ذلك برجل مقطوع اليدين يقدح بعودين، ومتى سقط الذباب فهو يفعل ذلك».

* قصة قاضي البصرة:

وبعد أن تحدَّث الجاحظ طويلاً كعادته في الاستطراد عن الذباب، روى قصة قاضي البصرة، وهي طويلة، تُصوِّر إلحاح الذباب وقدرته على العض، وهي مثبتة في كتاب «الحيوان» للجاحظ فليرجع إليه من شاء.

* الفوائـــد:

متى اجتمع بعد ما يتعدّى إلى اثنين شيئان ليس ثانيهما عبارة عن الأول، فالفاعل المعنوي رتبته التقديم، وهو المفعول الأول، ويعني بالمفعول الأول: من يتأتى منه فعل، فإذا قلت: وعدت زيداً ديناراً فالدينار هو المفعول الثاني؛ لأنه لا يتأتى من فعل، وهو نظير: أعطيت زيداً درهماً، فزيد هو الفاعل؛ لأنه آخذ للدرهم.

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾

○ الإعراب:

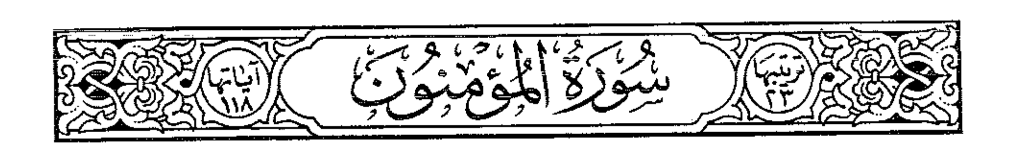
﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتقرير اصطفائه تعالى الرسل، والله مبتدأ،

وجملة يصطفي خبر، ومن الملائكة حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لرسلاً، وتقدم عليه، ولك أن تعلقه بيصطفي، ورسلاً مفعول به، ومن الناس عطف على من الملائكة، وحذف من الثاني لدلالة الأول عليه، أي: ويصطفي من الناس رسلاً، وجملة إن الله سميع بصير تعليلية لما تقدم، أي: سميع لما يقولونه بصير بمن يتخذه رسولاً، وإن واسمها، وسميع خبرها الأول، وبصير خبرها الثاني. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ جملة يعلم خبر ثالث، أو مستأنفة، ويعلم فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: هو، وما موصول مفعول به، وبين أيديهم الظرف متعلق بمحذوف صلة، وما خلفهم عطف على ما بين أيديهم، وإلى الله الواو عاطفة، وإلى الله متعلقان بترجع، وترجع فعل مضارع مبني للمجهول، والأمور نائب فاعل. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ يا أيها الذين آمنوا تقدم إعرابها، وجملة آمنوا صلة، واركعوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، واسجدوا عطف على اركعوا، واعبدوا ربكم عطف أيضاً. ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ وافعلوا الخير عطف على ما تقدم، وجلمة لعلكم تفلحون حال من الواو في اركعوا، وما عطف عليه، أي: افعلوا هذه الأمور حال كونكم راجين الفلاح. ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ وجاهدوا عطف أيضاً، وفي الله متعلقان بجاهدوا، ولا بد من حذف مضاف بعد حذف مفعول جاهدوا، أي: جاهدوا أعداءكم في ذات الله، ومن أجله ففي للسببية، وحق جهاده مفعول مطلق.

﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ هو مبتدأ، وجملة اجتباكم، أي: اختاركم خبر، والجملة حال من الله، وما الواو عاطفة، وما نافية، وجعل فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو، وعليكم متعلقان بمحذوف مفعول به ثان لجعل، وفي الدين حال، ومن حرف جر زائد، وحرج مجرور لفظاً منصوب محلاً؛ لأنه مفعول جعل الأول. ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾ ملة في نصبها أوجه أظهرها

ما ذكره الزمخشري، ونصّه: «نصب الملة بمضمون ما تقدمها، كأنه قيل: وسع دينكم توسعة ملة أبيكم، ثم حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، ويجوز نصبها على الاختصاص، أي: أخص بالدين ملة أبيكم، أو: بتقدير: فعل مضمر تقديره: اتبعوا، وهناك أوجه أخرى لا تخرج عن هذه الأوجه، وأبيكم مضاف إليه، وإبراهيم بدل من أبيكم، وهو مبتدأ، وجملة سماكم خبر، والجملة حال من إبراهيم، وسماكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول، والمسلمين مفعول به ثان، ومن قبل حال، أي: من قبل هذا الكتاب، وفي هذا عطف على من قبل، أي: وفي هذا القرآن. ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ اللام للتعليل، وقيل: للعاقبة، ويكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، واللام ومدخولها متعلقة بسماكم، والرسول اسم يكون، وشهيداً خبر يكون، وعليكم متعلقان بشهيداً، وتكونوا شهداء على الناس عطف على نظيرتها. ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ الفاء الفصيحة، وأقيموا الصلاة فعل أمر وفاعل ومفعول به، وما بعده عطف عليه. ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ الجملة حالية من الله، وهو مبتدأ، ومولاكم خبر، فنعم المولى: الفاء استئنافية، ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح، والمولى فاعل، والمخصوص بالمدح محذوف، أي: هو، ونعم النصير عطف على نعم المولى.

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱللَّغْوِ﴾: اللغو: كل ما كان حراماً، أو مكروهاً، أو مباحاً لم تدع إليه ضرورة، ولا حاجة، واللغو: كل ما لا يعنيك من قول أو فعل، كاللعب والهزل، وما توجب المروءة إلغاءه وإطراحه، وكل ما لا يعتدّ به.

﴿لِفُرُوجِهِمْ﴾: الفروج: جمع فرج، وهو من الإنسان: العورة.

○ الإعـراب:

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ قد حرف تحقيق، وأفلح فعل ماض، والمؤمنون فاعل. ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ الذين صفة للمؤمنون، وهم مبتدأ، وفي صلاتهم متعلقان بخاشعون، وخاشعون خبر «هم»، والجملة صلة الذين، وقدّم الجار والمجرور على متعلقه للاهتمام به وحسّنه كون متعلقه فاصلة. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ والذين عطف على الذين، وهم مبتدأ، وعن اللغو متعلقان بمعرضون، ومعرضون خبر «هم»، والجملة صلة الذين. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ والذين عطف على الذين، وهم مبتدأ، وفاعلون خبر، وللزكاة متعلقان بفاعلون، وضمن فاعلون معنى مؤدون، وقيل: اللام زائدة في المفعول به لتقدّمه على عامله. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ والذين عطف على ما تقدم، وهم مبتدأ، وحافظون خبر، ولفروجهم متعلقان بحافظون. ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ إلا أداة استثناء، وعلى أزواجهم في موضع الحال، أي: إلا والين على أزواجهم، أو قوّامين عليهن. قال الزمخشري: «من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها، فخلف عليها فلان، ونظيره: كان زياد على البصرة، أو والياً عليها، ومنه قولهم: فلانة تحت فلان، ومن ثم سميت المرأة فراشاً، والمعنى: أنهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال إلا في حال تزوجهم، أو تسرّيهم، أو تُعلق «على» بمحذوف يدل عليه ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ كأنه قيل: يلامون إلا على أزواجهم، أي: يلامون على كل مباشرة إلا على ما أطلق لهم، فإنهم غير ملومين عليه، أو تجعله صلة لحافظين، من قولك: احفظ علي عنان فرسي، على تضمينه معنى النفي، كما ضمن قولهم: نشدتك بالله إلا فعلت، معنى: ما طلبت منك إلا فعلك». وذهب الفراء إلى أن «على» بمعنى «من» أي: إلا من أزواجهم، كما جاءت «من» بمعنى «على» في قوله: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾، وأو حرف عطف، وما عطف على أزواجهم، وجملة ملكت أيمانهم صلة، وعبر بما دون «من» وإن كان المقام لها؛ لنقصهن لأنهن السراري؛ والسرية:

الأمة التي بوأتها بيتاً، وهي فعلية منسوبة إلى السر، وهو: الجماع، أو الإخفاء؛ لأن الإنسان كثيراً ما يسرها، ويسترها عن حرّته، وضمت السين لأن الأبنية قد تغير في النسب، كما قالوا في النسب إلى الدهر: دُهري، وإلى الأرض السهلة: سُهلي بضم أولهما، والجمع: سراري. وقال الأخفش: هي مشتقة من السرور؛ لأن الإنسان يسرّ بها، وعبارة المصباح: «والسرية فعلية، قيل: مأخوذة من السِّر بالكسر، وهو النكاح، فالضم على غير قياس، فرقاً بينها وبين الحرّة إذا نكحت سراً، فإنه يقال لها: سِرية بالكسر على القياس، وقيل: من السُّرُّ بالضم بمعنى السرور؛ لأن مالكها يُسرّ بها، فهو على القياس». ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ الجملة تعليل للاستثناء، وإن واسمها، وغير ملومين خبرها. ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ الفاء استئنافية، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، وابتغى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وفاعله مستتر تقديره: هو، ووراء الظرف متعلق بمحذوف صفة، وهذا المحذوف مفعول ابتغى، أي: ابتغى شيئاً كائناً وراء ذلك، ولك أن تجعل وراء بمعنى خلاف، فتنصبه على أنه مفعول به، وذلك مضاف إليه، والفاء رابطة لجواب الشرط، وأولئك مبتدأ، وهم مبتدأ ثان، والعادون خبر أولئك، أو هم ضمير فصل، والعادون خبر، والجملة خبر أولئك. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ والذين عطف على ما تقدم، وهم مبتدأ، وراعون خبره، ولأماناتهم متعلقان براعون، وعهدهم عطف على أماناتهم. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ تقدم إعرابها، وهي عطف على ما تقدم. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ أولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل، والوارثون خبر، وقد تقدم أنه يجوز إعراب هم مبتدأ ثانياً، ولكن الأحسن أن يكون للفصل للدلالة على التخصيص. ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ الذين خبر ثان، أو صفة للوارثون، وجملة يرثون صلة، والفردوس مفعول به، وهم مبتدأ، وفيها متعلقان بخالدون، وخالدون خبر هم، وأنّث الفردوس باعتبار المعنى: أنها الجنة، وجملة هم فيها خالدون: حال.

□ البلاغة:

١ ـ التفصيل:

تميزت السورة ببراعة استهلالها؛ لأنها ذكرت أحوال المؤمنين على جهة التفصيل، والتفصيل على قسمين: متصل ومنفصل، فالمتصل: كل كلام وقع فيه أما، أو ما، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ إلى آخر الكلام، وأما المنفصل فهو: ما يأتي مجمله في مكان، ومفصله في مكان آخر، كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ فإن قوله تعالى «وراء ذلك» إجمال المحرمات، وقد تقدمت مفسّرة في سورة النساء بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ فإن هذه الآية اشتملت على خمسة عشر محرّماً من أصناف النساء، ذوات الأرحام ثلاثة عشر صنفاً، ومن الأجانب صنفان.

٢ ـ الطباق:

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ طباق إيجاب، فقد جمع سبحانه للمؤمنين في هذا الوصف بين الفعل والترك، إذ وصفهم بالخشوع في الصلاة وترك اللغو، وهذا كله من طباق الإيجاب المعنوي، وقد حمدوا الخشوع كثيراً. روي عن النبي ﷺ أنه أبصر رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال: «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه». ونظر الحسن إلى رجل يعبث بالحصى، وهو يقول: اللهم زوِّجني بالحور العين، فقال: بئس الخاطب أنت! تخطب وأنت تعبث.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ

عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ الجملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب قسم محذوف، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وخلقنا فعل وفاعل، والإنسان مفعول به، ومن سلالة متعلقان بخلقنا، فمن للابتداء، ومن طين صفة لسلالة، أو متعلقان بسلالة؛ لأنها بمعنى مسلولة، فمن للبيان، ولا تلتفت إلى قول بعض المعربين أن الواو عاطفة جملة كلام على جملة كلام، فالكلام مستأنف، لا علاقة له بما قبله. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ ثم حرف عطف، وجعلناه فعل وفاعل ومفعول به، ونطفة مفعول به ثان، وفي قرار مفعول به ثالث، ومكين صفة. ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ ثم حرف عطف، وخلقنا فعل وفاعل، والنطفة مفعول به أول، وعلقة مفعول به ثان؛ لأن خلقنا متضمن معنى صيرنا. ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ الفاء حرف عطف، وخلقنا فعل وفاعل، والعلقة مفعول به أول، ومضغة مفعول به ثان، فخلقنا فعل وفاعل، والمضغة مفعول به أول، وعظاماً مفعول به ثان. ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ الفاء حرف عطف، وكسونا فعل وفاعل، والعظام مفعول به أول، ولحماً مفعول به ثان، ثم حرف عطف، وأنشأناه فعل وفاعل ومفعول به، وخلقاً حال، وآخر صفة، فتبارك: الفاء استئنافية، وتبارك فعل ماض، والله فاعل، وأحسن بدل من الله، والخالقين مضاف إليه، وليس بصفة لأنه نكرة وإن أضيف؛ لأن المضاف إليه عوض من «من»، وهكذا جميع باب اسم التفضيل، ومميز أحسن محذوف للعلم به، أي: خلقاً. ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، وإن واسمها، وبعد ذلك الظرف متعلق بمحذوف حال، أو: بميتون، واللام المزحلقة، وميتون خبر

إن، ثم إنكم عطف على ما تقدم، وجملة تبعثون خبر إن.

□ البلاغة:

١ ـ المخالفة في حروف العطف:

في حروف العطف المتتابعة في هذه الآيات أسرار لطيفة المأخذ، دقيقة المعنى، فقد ذكر تعالى تفاصيل حال المخلوق في تنقله، فبدأ بالخلق الأول، وهو خلق آدم من طين، ولما عطف عليه الخلق الثاني الذي هو خلق النسل عطفه بثم لما بينهما من التراخي، وحيث صار إلى التقدير الذي يتبع بعضه بعضاً من غير تراخ عطفه بالفاء، ولما انتهى إلى جعله ذكراً أو أنثى ـ وهو آخر الخلق ـ عطفه بثم، ونحن نعلم أن الزمن الذي تصير فيه النطفة علقة طويل، ولكن الحالتين متصلتان، فأحياناً ينظر إلى طول الزمان فيعطف بثم، وأحياناً ينظر إلى اتصال الحالين ثانيهما بأولهما من غير فاصل بينهما بغيرهما، فيعطف بالفاء، ومثل هذا: تزوج محمد، فولد له.

وشيء آخر، وهو: أن صيرورة التراب نطفة أمر مستبعد في ظاهر الحال، ومثل ذلك صيرورة النطفة علقة لاختلاف إحداهما عن الأخرى اختلافاً ظاهراً، ولكن صيرورة العلقة مضغة لا غرابة فيه لتقاربهما، فلهذا الوجه عطف في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ ﴾ بثم.

وفي الآية التي نحن بصددها لوحظت أطوار الخلق، وتباعد الأوقات بين كل طورين. وفي «حاشية» الشهاب الخفاجي على البيضاوي ما خلاصته: اختلاف العواطف بالفاء وثم لتفاوت الاستحالات، يعني: إن بعضها مستبعد حصوله مما قبله، وهو المعطوف بثم، فجعل الاستبعاد عقلاً، أو رتبة بمنزلة التراخي والبعد الحسي؛ لأن حصول النطفة من أجزاء ترابية غريب جداً، وكذا جعل النطفة البيضاء ماء أحمر بخلاف جعل الدم لحماً مشابهاً له في اللون والصورة، وكذا تصليبها حتى تصير عظماً؛ لأنه قد يحصل ذلك بالمكث فيما يشاهد، وكذا مدّ لحم المضغة عليه ليستره، وذلك يقتضي عطف الجميع

بثم إن نظر لآخر المدة وأولها، ويقتضي العطف بالفاء إن نظر لآخرها فقط.

٢ ـ تشبيه الرحم بالقرار:

في قوله تعالى: ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ استعارة تصريحية، فقد حذف المشبه وأبقى المشبه به، والمشبه هو الرحم، وقد شبهه بالقرار، أي: موضع الاستقرار، ثم وصفه بمكين بمعنى متمكن لتمكنه في نفسه، بحيث لا يعرض له اختلال، أو لتمكن ما يحل فيه، كقولهم: طريق سائر، أي: يسار فيه. وفيه إيضاح قوله تعالى: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ وقد كثرت فيه الأقوال، واضطربت وخير ما يقال فيه: إنَّه عام، والمراد مباينته للخلق الأول مباينة بعيدة جداً، حيث جعله حيواناً وكان جماداً، وناطقاً وكان أبكم، وسميعاً وكان أصم، وبصيراً وكان أعمى أكمه، وأودع باطنه وظاهره، وكل عضو من أعضائه، وكل جزء من أجزائه عجائب لا توصف، وغرائب لا تدرك.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿طَرَآئِقَ﴾: جمع طريقة، وهي: السيرة، والحالة، والمذهب، والخط في الشيء، وفي «الأساس» و«اللسان»: «ووضع الأشياء طُرقة طرقة، وطريقة طريقة: بعضها فوق بعض، وهي طرق وطرائق، وطرّق طريقاً: سهّله حتى طرقه الناس بسيرهم» وسميت السموات طرقاً؛ لأنه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل، وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة.

﴿طُورِ سَيْنَاءَ﴾ : وطور سينين، قال الزمخشري: «لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون، وإما أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه كامرىء القيس وكبعلبك فيمن أضاف، فمن كسر سين سيناء فقد منع من الصرف للتعريف والعجمة، أو التأنيث؛ لأنها بقعة، وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء، ومن فتح فلم يصرف لأن الألف للتأنيث كصحراء».

هذا؛ وسيناء: شبه جزيرة يحدها البحر الأبيض المتوسط شمالاً، وقناة السويس وخليج السويس غرباً، وفلسطين وخليج العقبة شرقاً، تنتهي جنوباً عند رأس محمد في البحر الأحمر، وسيناء: جبل واقع في شبه جزيرة سيناء جنوباً، والمراد بالشجرة: شجرة الزيتون، وخصّت بطور سيناء مع أنها تخرج في غيره؛ لأن أصلها منه، ثم نقلت إلى غيره.

○ الإعـراب:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لذكر خلق السموات التي تعلو الإنسان بعد ذكر خلقه، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرق تحقيق، وخلقنا فعل وفاعل، وفوقكم ظرف متعلق بخلقنا، وسبع طرائق مفعول خلقنا، وطرائق مضاف لسبع، وما الواو حالية، وما نافية، وكان واسمها، وعن الخلق متعلقان بغافلين، وغافلين خبر كنا. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وأنزلنا عطف على خلقنا، ومن السماء متعلقان بأنزلنا، وماء مفعول به، وبقدر صفة لماء، أو حال من الضمير، أي: بتقدير يسلمون معه من المضرة، ويصلون إلى المنفعة، فأسكناه عطف على أنزلنا، وهو فعل وفاعل ومفعول به، وفي الأرض متعلق بأسكناه. ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، وعلى ذهاب متعلقان بقادرون، وبه متعلقان بذهاب، وقادرون خبر إنا، واللام المزحلقة. ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ الفاء عاطفة، وأنشأنا فعل وفاعل، ولكم متعلق بأنشأنا، وبه متعلقان بأنشأنا أيضاً، أو بمحذوف حال

فتكون الباء للملابسة، وجنات مفعول به، ومن نخيل صفة لجنات، وأعناب عطف على نخيل. ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ لكم خبر مقدم، وفيها حال، وفواكه مبتدأ مؤخر، وكثيرة صفة، ومنها متعلقان بتأكلون، وتأكلون فعل مضارع وفاعل، وجملة لكم فيها الآية حال من جنات، أو صفة، كما هي القاعدة. ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾ الواو حرف عطف، وشجرة عطف على جنات، وجملة تخرج صفة لشجرة، ومن طور سيناء جار ومجرور متعلقان بتخرج. ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ الجملة صفة ثانية لشجرة، وبالدهن في موضع نصب على الحال، أي: متلبسة بالدهن ومصحوبة به، والدهن في عصارة كل شيء ذي دسم، وصبغ عطف على الدهن جار على إعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر، أي: تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به، ويسرج منه، وكونه إداماً يصبغ به الخبز، أي: يغمس فيه للائتدام به، وللآكلين صفة لصبغ. ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ الواو حرف عطف، وإن حرف مشبه بالفعل، ولكم خبرها المقدم، وفي الأنعام حال، واللام المزحلقة، وعبرة اسم إن، وجملة نسقيكم تفسيرية لعبرة، أو: مستأنفة، والكاف مفعول به، ومما متعلقان بنسقيكم، وفي بطونها متعلقان بمحذوف صلة ما. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ تقدم إعرابها قريباً فجدد به عهداً.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ استعارة تصريحية، شبه الإدام من المائعات بالصبغ، ثمَّ حذف المشبه وأبقى المشبه به بجامع التلون بلونه إذا غمس به.

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا

بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾

○ الإعراب:

﴿ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴾ الواو عاطفة، وعليها متعلقان بتحملون، والضمير يعود على الإبل التي هي من جملة الأنعام، ولأنها هي المحمول عليها في العادة، وقرنها بالفلك التي هي السفائن لأنها سفن البر. ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لسرد خمس قصص أولاها قصة نوح، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وأرسلنا فعل وفاعل، ونوحاً مفعول به، وإلى قومه متعلقان بأرسلنا. ﴿ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الفاء حرف عطف، وقال فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو، ويا حرف نداء، وقوم منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، واعبدوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به، وما نافية، ولكم خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، وإله مبتدأ مؤخر محلاً مجرور بمن لفظاً، وغيره صفة لإله على المحل، وقرىء بالجر على اللفظ، وهو جائز، وجملة ما لكم من إله غيره مستأنفة، تجري مجرى التعليل للأمر بالعبادة، والهمزة للاستفهام، والفاء عاطفة على مقدر، أي: أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم، وخالقكم، ورازقكم. ﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ ﴾ الفاء عاطفة، وقال الملأ فعل وفاعل، والذين صفة للملأ، وجملة كفروا صلة، ومن قومه حال، وجملة ما هذا مقول القول، وما نافية، وهذا مبتدأ، وإلا أداة حصر، وبشر خبر، ومثلكم صفة، وهذه هي الشبهة الأولى من الشبه الخمس التي ذكروها. ﴿ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ جملة يريد صفة، وأن وما في حيزها مفعول يريد، وعليكم جار ومجرور متعلقان بيتفضل، والواو حالية، أو استئنافية، وشاء الله فعل وفاعل، ومفعول المشيئة محذوف يفهم من مضمون جواب لو، أي: لو شاء إنزال رسول، واللام واقعة في جواب لو، وجملة أنزل ملائكة لا محل لها لأنها جواب شرط جازم، وهذه هي الشبهة الثانية. ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لحكاية شبهتهم الثالثة، وما نافية، وسمعنا فعل وفاعل، وبهذا متعلقان بسمعنا، وفي آبائنا في محل نصب حال، أي: في قصص آبائنا، والأولين صفة لآبائنا. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لحكاية شبهتهم الرابعة، وإن نافية، وهو مبتدأ، وإلا أداة حصر، ورجل خبر هو، وبه خبر مقدم، وجنة، أي: جنون مبتدأ مؤخر، والجملة صفة رجل، فتربصوا: الفاء الفصيحة، أي: إن أردتم أن تتبينوا حقيقته فتربصوا، ويجوز أن تكون استئنافية، وهذه هي شبهتهم الخامسة، وتربصوا فعل أمر، أي: انتظروا، والواو فاعل، وبه متعلقان بتربصوا، وحتى حرف غاية وجر، وحين مجرور بحتى، والجار والمجرور متعلقان بتربصوا أيضاً، أي: اصبروا عليه، واحتملوه إلى زمان حتى ينجلي لكم أمره عن مغبته، فإن أفاق من جنته وإلا قتلتموه. ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لطلب الانتصاف منهم، والانتصار عليهم من ربه بعد أن يئس من إيمانهم، ورب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة وانصرني فعل أمر، والفاعل مستتر، والنون للوقاية، والياء مفعول به، والباء حرف جر، وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر مجرور بالباء، أي: بسبب تكذيبهم إياي، فالباء للسببية، ويجوز أن تكون للبدل، أي: انصرني بدل تكذيبهم إياي، كما تقول: هذا بذاك، أي: بدل ذاك ومكانه، والجار والمجرور متعلقان بانصرني. ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ الفاء استئنافية، وأوحينا فعل وفاعل، وإليه متعلقان بأوحينا، وأن مفسرة لوقوعها بعد أوحينا، وهو فعل فيه معنى القول دون حروفه، واصنع فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، والفلك مفعول به،

وبأعيننا حال من الضمير المستكن في اصنع، اي: بحفظنا، وكلاءتنا، ووحينا عطف على أعيننا، أي: وأمرنا. ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ الفاء عاطفة لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك، والمراد بالأمر: العذاب، وجملة جاء مضاف إليها الظرف، وأمرنا فاعل، وفار التنور عطف على جاء أمرنا، وقد تقدم بحث هذا في سورة هود. فاسلك: الفاء رابطة لجواب إذا، واسلك فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وفيها متعلقان باسلك، ومن كل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان صفة لاثنين واثنين مفعول اسلك، وقد تقدم إعراب هذا في هود أيضاً. ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ وأهلك عطف على اثنين، وإلا أداة استثناء، ومن مستثنى متصل من موجب فهو واجب النصب، وجملة سبق صلة، وعليه متعلقان بسبق، والقول فاعل، ومنهم حال، أي: بالإهلاك ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتخاطبني فعل مضارع مجزوم بلا، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والنون للوقاية، والياء مفعول به، وفي الذين متعلقان بتخاطبني، أي: بترك إهلاكهم، وذلك بعد أن لزمتهم الحجة البالغة، وبعد أن أملى لهم الدهر المتطاول، لم يبق إلا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين، وجملة ظلموا صلة، وجملة إنهم مغرقون تعليل للنهي عن المخاطبة بشأنهم، وإن واسمها وخبرها. ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ الفاء استئنافية، وإذا ظرف مستقبل، وجملة استويت في محل جر بالإضافة إليها، وأنت تأكيد للتاء، ومن عطف على التاء، ومعك ظرف متعلق بمحذوف صلة لمن، وعلى الفلك متعلقان باستويت، أي: اعتدلت عليه. ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الفاء رابطة لجواب إذا، وقل فعل أمر، وأفرده بالأمر إظهاراً لفضله، وإشعاراً بأن في دعائه مندوحة عن دعائهم، والحمد مبتدأ، ولله خبره، والجملة مقول القول، وجملة القول لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، والذي صفة لله، وجملة نجانا صلة، ومن القوم متعلقان بنجانا، والظالمين صفة للقوم.

﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

○ الإعـراب:

﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ الواو عاطفة، وقل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، ورب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وحرف النداء محذوف، وأنزلني فعل أمر للدعاء، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والنون للوقاية، والياء مفعول به، ومنزلاً اسم مكان، أو مصدر مفعول به ثان، أو مفعول مطلق، ومباركاً صفة، وأنت الواو حالية، وأنت مبتدأ، وخير المنزلين خبر. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لتعليل ما ذكر، وإن حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك خبرها المقدم، ولآيات اللام المزحلقة، وآيات اسم إنّ، وإن مخففة من الثقيلة، والغالب إهمالها، وكنا: كان واسمها، واللام الفارقة، ومبتلين خبر كنا، ويجوز أن يكون اسمها ضمير الشأن، والجملة خبرها، ويجوز أن تكون إن نافية، واللام بمعنى إلا. ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ ثم حرف عطف للتراخي، وأنشأنا فعل وفاعل، ومن بعدهم حال، وقرناً مفعول به، أي: قوماً، وآخرين صفة، وهم قوم عاد. ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ الفاء حرف عطف، وأرسلنا فعل وفاعل، وفيهم متعلقان بأرسل، ورسولاً مفعول به،

ومنهم صفة. ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أن مفسرة؛ لأن في الإرسال معنى القول دون حروفه، أي: قلنا لهم على لسان الرسول: اعبدوا الله، ثم إن إرسال الرسل هو للتبليغ، ويجوز أن تكون مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في موضع نصب بنزع الخافض، أي: بأن اعبدوا، والجار والمجرور متعلقان بأرسلنا، وما بقي تقدم إعرابه قريباً بنصه، فجدّد به عهداً. ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الواو عاطفة، وقال الملأ فعل وفاعل، والجملة من كلامهم الباطل معطوفة على كلامه الحق، فالعطف هنا لبيان المفارقة، وقد سبق مثل هذا التعبير في سورة الأعراف مجرداً من الواو، كأنه جواب سؤال مقدر، فلم يحتج إليها، ومن قومه حال، والذين صفة لقومه، وجملة كفروا صلة، وما بعدها عطف عليه داخل في حيزها، وأسهب في وصفهم لبيان فداحة ما ارتكبوه من كفران للنعم، وجحود للنعم المترادفة عليهم؛ ليورد بعد ذلك على لسانهم شبهتين من شبهات الملاحدة، وبنوا عليهما إنكارهم البعث والطعن في رسالته ﷺ. ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ ما نافية، وهذا مبتدأ، وإلا أداة حصر، وبشر خبر، ومثلكم صفة، وجملة يأكل صفة ثانية، ومما متعلقان بيأكل، وجملة تأكلون صلة، ولك أن تجعلها مصدرية، أي: من مأكولكم، وكذلك قوله «ويشرب مما تشربون» وحذف العائد من الثاني اكتفاء بالعائد الأول، وهو منه، والجملة كلها مقول القول، وهي تتضمن الشبهة الأولى.

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، وإن شرطية، وأطعتم فعل وفاعل، وهو في محل جزم فعل الشرط، وبشراً مفعول به، ومثلكم صفة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وخاسرون خبرها، وإذاً: هذه ليست هي الناصبة للفعل المضارع، وإنما هي إذا الشرطية، حذفت جملتها التي تضاف، وعوض عنها التنوين، كما في يومئذ، ولهذا لا يختص دخولها على المضارع، بل تدخل على الماضي، وعلى الاسم،

وقد وردت في القرآن كثيراً، مثل: ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ فقد دخلت هنا على الاسم ومن دخولها على الماضي قوله: ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم﴾ وهذا تقرير عن شبهتهم الثانية. والجملة جواب القسم لأنه المتقدم حسب القاعدة.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري الاستبعادي، وجملة يعدكم مستأنفة، مسوقة لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه بإنكار وقوع ما يدعوهم إلى الإيمان به واستبعاده. ويعدكم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره: هو، والكاف مفعول به، وأن وما في حيزها في محل نصب مفعول به ثان، وأن واسمها، ومخرجون خبرها، وإذا ظرف متعلق بمخرجون، وجملة متمّ في محل جر بإضافة الظرف إليها، وكنتم تراباً وعظاماً عطف على إذا متم، وأنكم الثانية تأكيد للأولى لما طال الفصل بين اسم أن، وهو الكاف، وخبرها وهو مخرجون، ولما كانت لمجرد التأكيد اللفظي لم تحتج إلى الخبر، وهذا أحد أوجه ذكرها النحاة، وسنأتي على ذكرها في باب الفوائد؛ لأنها كلها صحيحة، وما ذكرناه أسهلها. ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ هيهات اسم فعل ماض بمعنى بعد، وسيأتي الكلام عليها مطولاً في باب الفوائد، والثانية تأكيد لفظي لها، واللام زائدة، وما اسم موصول فاعل لاسم الفعل، وهو هيهات، ومحله القريب الجر باللام الزائدة، ومحله البعيد الرفع على أنه فاعل هيهات، ويجوز أن تكون ما مصدرية، والمصدر المؤول فاعل هيهات، ويجوز أن تكون ما مصدرية، والمصدر المؤول فاعل هيهات، وسيأتي مزيد من الأوجه في إعراب هذا التركيب في باب الفوائد.

* الفوائد:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾ الآية: اختلفت آراء الأئمة النحاة والمفسرين في إعراب هذه الآية، وقد ذكرنا في الإعراب ما رأيناه أقرب إلى التناول، وأدنى إلى المنطق، وسنورد لك هنا ما قالوه لوجاهته، ولترى ما تختار. فقال سيبويه: إن خبر «أن» الأولى محذوف لدلالة خبر الثانية عليه،

تقديره: «أنكم مخرجون» وهو العامل في الظرف و«أن» الثانية وما في حيزها بدل من الأولى.

وذهب الجرمي والمبرد والفراء: إلى أن خبر «أن» الأولى هو مخرجون وهو العامل في «إذا» وكررت الثانية توكيداً لما طال الفصل، وهذا هو الوجه الذي اخترناه.

واختار أبو البقاء أن اسم الأولى محذوف أقيم مقام المضاف إليه، تقديره: أن إخراجكم، و«إذا» هو الخبر، و«أنكم مخرجون» تكرير؛ لأن «أن» وما عملت فيه للتوكيد، أو للدلالة على المحذوف.

وقيل: «أنكم مخرجون» مبتدأ، وخبره الظرف مقدماً عليه، والجملة خبر عن «أنكم» الأولى، والتقدير: أيعدكم أنكم إخراجكم كائن، أو مستقر وقت موتكم، ولا يجوز أن يكون العامل في «إذا» مخرجون؛ لأن ما في حيز «أن» لا يعمل فيما قبلها، ولا يعمل فيها «متم» لأنه مضاف إليه، وأنكم وما في حيزها في محل نصب، أو جر بعد حذف حرف الجر؛ إذ الأصل: أيعدكم بأنكم، ويجوز ألاّ يقدر حرف جر، فيكون في محل نصب فقط، نحو: وعدت زيداً خيراً.

٢ ـ هيهات:

في هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الأربعين، ونذكر فيما يلي أشهرها، وما قرىء به، فالمشهور هيهاتَ بفتح التاء من غير تنوين، بني لوقوعه موقع المبني، أو لشبه الحرف، وبها قرأ العامة، وهي لغة الحجازيين، وهيهاتاً بالفتح والتنوين، وهيهات بالضم والتنوين، وبالضم من غير تنوين، وهيهات بالكسر والتنوين، وبالكسر من غير تنوين، وهيهات بإسكان التاء، وهيهه بالهاء آخراً ووصلاً ووقفاً، وإيهات بإبدال الهاء همزة مع فتح التاء، فهذه تسع لغات، وقد قرىء بهن، ولم يتواتر منهن غير الأولى، ويجوز إبدال الهمزة من الهاء الأولى في جميع ما تقدم، فيكمل بذلك ست عشرة لغة، وإيهان بالنون آخراً وإيها بالألف آخراً، ويقع الاسم بعدها مرفوعاً بها

ارتفاع الفعل بفعله؛ لأنها جارية مجرى الفعل، فاقتضت فاعلاً كاقتضائه الفعل. قال جرير:

فهيهاتَ هيهاتَ العقيقُ ومَن به وهيهاتَ خِلٌّ بالعقيقِ نُواصِلُه

والعقيق: واد بالمدينة، يقول فيه جرير ويبدع:

ولم أَنْسَ يوماً بالعقيقِ تخايلتْ
ضحاه وطابتْ بالعشيّ أصائِلُه
رُزِقنا به الصيدَ العزيزَ ولم نكنْ
كمنْ نبلُهُ محرومةٌ وحبائِلُه

وقال الزمخشري: «فإن قلت: ما توعدون هو المستبعد، ومن حقه أن يرتفع بهيهات، كما ارتفع في قوله: «فهيهات هيهات العقيق وأهله» فما هذه اللام. قلت: قال الزجاج في «تفسيره»: البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فيمن نوّن، فنزله منزلة المصدر، وفيه وجه آخر وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد، كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به» وما اخترناه في الإعراب أسهل، وأقرب.

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿غُثَآءً﴾: الغثاء: ما يحمله السيل، ومثله الجفاء، وهو: ما تكسّر

وتهشّم أيضاً من المرعى إذا يبس، ويجمع على أغثية كغراب وأغربة، وعلى غِثيان كغراب وغِرْبان، وقال الزجاج: هو البالي من ورق الشجر إذا جرى السيل فخالط زبده، وقيل: ما يلقيه السيل والقذر مما لا ينتفع به، ولامه واو لأنه من غثا الوادي يغثو غثواً، وكذلك القدر، وأما غثيث نفسه تغثى غثياناً، أي: خبثت، فهو قريب من معناه، ولكنه من مادة الياء. وقال الزمخشري: «شبههم في دمارهم بالغثاء، وهو حميل السيل مما بلي واسود، من: بلي العيدان والورق».

○ الإعـراب:

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتقرير معتقدهم بأن العالم قديم بالطبع، ولم يزل كذلك، ولم يحدث بإحداث محدث، والناس كالنبات ينبتون ويعودون بالموت هشيماً، وهذا كفر صريح، وضلال بعيد، وسيأتي في باب الفوائد مزيد من معتقد الدهريين. وإن نافية، وهي مبتدأ، وإلا أداة حصر، وحياتنا خبر، والدنيا صفة، وجملة نموت، ونحيا حالية، أو مفسرة لما ادعوه من أن حياتهم هي الحياة الدنيا، أي: يموت بعضنا، وينقرض بعضنا إلى انقراض العصر، والواو حرف عطف، وما نافية حجازية، ونحن اسمها، وبمبعوثين الباء حرف جر زائد، ومبعوثين مجرور بالباء لفظاً خبر ما محلاً. ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ إن نافية، وهو مبتدأ، وإلا أداة حصر، ورجل خبر، وجملة افترى صفة، وعلى الله متعلقان بافترى، وكذباً مفعول به، والواو حرف عطف، وما نافية حجازية، ونحن اسمها، وله متعلقان بمؤمنين، ومؤمنين محله القريب مجرور بالباء الزائدة، ومحله البعيد خبر ما. ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره: هو، ورب منادى محذوف منه حرف النداء، مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وانصرني فعل أمر معناه الدعاء، والنون للوقاية، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وبما الباء حرف جر، وما موصولة، أو مصدرية، وكذبوني فعل وفاعل ومفعول به، والجملة

صلة ما، والجار والمجرور متعلقان بانصرني. ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾ عما قليل: عن حرف جر، وما زائدة، وقليل مجرور بعن، والجار والمجرور متعلقان بيصبحن، أو بنادمين، أو بمحذوف تقديره: عما قليل ننصر، فحذف لدلالة ما قبله، وهو رب انصرني، واللام موطئة للقسم، ويصبحن فعل مضارع ناقص، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين اسمها، وهو مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة ونادمين خبر يصبحن. ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ الفاء عاطفة، وأخذتهم الصيحة فعل ومفعول به وفاعل، وبالحق حال من الصيحة فجعلناهم عطف على فأخذتهم، والهاء مفعول به أول، وغثاء مفعول به ثان، والفاء حرف عطف، وبعداً مصدر يذكر بدلاً من اللفظ بفعله، فهو مفعول مطلق لفعل محذوف واجب الإضمار؛ لأنه بمعنى الدعاء عليهم، والأصل بعدوا بعداً، وللقوم صفة لبعداً، ولا تتعلق به لأنه لا يحفظ حذف هذه اللام، ووصول المصدر إلى مجرورها البتة، ووضع الظاهر موضع المضمر للتعليل. ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾ ثم حرف عطف وتراخ وأنشأنا فعل وفاعل ومن بعدهم متعلقان بمحذوف حال، وقروناً مفعول به، وآخرين صفة ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ ما نافية، وتسبق فعل مضارع، ومن حرف جر زائد، وأمة مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه فاعل تسبق، وأجلها مفعول به، وما يستأخرون عطف على ما سبق، وذكر الضمير بعد تأنيثه لمراعاة المعنى؛ لأن أمة بمعنى قوم.

* الفوائد:

في «شرح النهج» لابن أبي حديد: «قال قاضي القضاة: إن أحداً من العقلاء لم يذهب إلى نفي الصانع للعالم، ولكن قوماً من الورّاقين اجتمعوا، ووضعوا بينهم مقالة لم يذهب أحد إليها، وهي أن العالم قديم، لم يزل على هيئته هذه، ولا إله للعالم، ولا صانع له أصلاً، وإنما هو هكذا ما زال ولا يزال من غير صانع ولا مؤثر، ومن أشهر الذين أخذوا هذه المقالة من

العرب ابن الراوندي، وقد أخذ هذه المقالة، ونصرها في كتابه المعروف بكتاب التاج».

قلت: قد ذكر أبو العلاء المعري ابن الراوندي وتاجه هذا في رسالة الغفران، ومما قاله: «وأما ابن الراوندي فلم يكن إلى المصلحة بمهدي، وأما تاجه فلا يصلح أن يكون نعلاً، وهل تاجه إلا كما قالت الكاهنة: أف وتف وجورب وخف؟!».

وفي هؤلاء يقول أبو العلاء في لزومياته:

ضلَّ الذي قال البلاد قديمة بالطَّبع كانت والأنامُ كَنبْتها

وأمامنا يوم تقومُ هجوده من بعد إبلاء العظامِ ورفتها

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ تَتْرَا ﴾ سترد في باب الإعراب.

﴿ رَبْوَةٍ ﴾: الربوة والرباوة: الأرض المرتفعة، وفي رائهما الحركات الثلاث، وقد اختلف المفسرون في المراد بها، فقيل: بيت المقدس، وقيل: دمشق وغوطتها، وعن الحسن: فلسطين، والرملة.

﴿ وَمَعِينٍ ﴾: اسم مفعول، من عان يعين، كباع يبيع، فهو معين كمبيع، فالميم زائدة، وأصله معيون كمبيوع، وقد دخله الإعلال، والمعين: الماء

الظاهر الجاري على وجه الأرض، وقد اختلف في زيادة ميمه وأصالته، فوجه من جعله مفعولاً أنه مدرك بالعين لظهوره، من: عانه؛ إذا أدركه بعينه، نحو: ركبه؛ إذا ضربه بركبته، ووجه من جعله فعيلاً أنه نفاع بظهوره وجريه من الماعون، وهو: المنفعة، وقال الراغب: هو من: معن الماء: جرى، وسمّي مجرى الماء: معيان، وأمعن الفرس: تباعد في عدوه، وأمعن بحقي: ذهب به، وفلان معن في حاجته، أي: سريع.

○ الإعراب:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ ثم حرف عطف وتراخ، وأرسلنا فعل وفاعل، ورسلنا مفعول به، وتترى: التاء مبدلة من الواو، وأصله: وترى، وهو مصدر كشبعى ودعوى، فألفه للتأنيث، وهو منصوب على الحالية، أي: متتابعين، فهو مصدر واقع موقع الحال، ويجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف، تقديره: أرسالاً تترى، أي: متتابعاً، وفي ألفها ثلاثة أقوال:

١ ـ هي للإلحاق بجعفر، كالألف في أرطى؛ ولذلك تؤنث في قول من صرفها.

٢ ـ هي بدل من التنوين.

٣ ـ هي للتأنيث مثل سكرى؛ ولذلك لا تنون على قول من منع الصرف.

﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ كلما ظرف متضمن معنى الشرط، وجملة جاء أمة إما مضاف إليها، وإما لا محل لها، وقد تقدم تفصيل البحث عن كلما، وأمة مفعول مقدم، ورسولها فاعل مؤخر، وجملة كذبوه لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم. ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ الفاء عاطفة، وأتبعنا فعل وفاعل وبعضهم مفعول به أول، وبعضاً مفعول به ثان، وجعلناهم عطف على أتبعنا، والهاء مفعول به أول، وأحاديث مفعول به ثان، والأحاديث تكون اسم جمع للحديث، ومنه: أحاديث رسول الله ﷺ، وتكون جمعاً للأحدوثة التي هي مثل الأضحوكة، والألعوبة، والأعجوبة،

وهي مما يتحدث به الناس تزجية للفراغ، واجتلاباً للسلوى، ودفعاً للملالة، وتعجباً، وتلهياً، وفي القاموس: «يقال: صاروا أحاديث، أي: انقرضوا».

﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ الفاء: استئنافية، وبعداً مصدر لفعل محذوف، أي: بعدوا بعداً، وهذا دعاء عليهم، ولقوم: تقدم القول في هذه اللام قريباً، فجدد به عهداً، وجملة لا يؤمنون صفة لقوم. ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، وأرسلنا فعل وفاعل، وموسى مفعول به، وأخاه عطف عليه، وهارون بدل أوعطف بيان، وبآياتنا حال، أي: حال كونهما متلبسين بآياتنا، فالباء للملابسة، وسلطان مبين عطف على آياتنا، وهي الآيات التي جاء بها، وإنما عطف سلطان على آياتنا لما تميزت به تلك الآيات المرهصة من الفضل حتى كأنها ليست منها، وإلا فإن الشيء لا يعطف على نفسه، ومن تلك الحجج القاطعة البينة: اليد، والعصا. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ إلى فرعون متعلقان بأرسلنا، وملئه عطف على فرعون، فاستكبروا عطف على أرسلنا، وكانوا قوماً عالين: كان واسمها وخبرها، ومعنى عالين: متكبرين، أو: متطاولين على الناس، قاهرين لهم بالبغي والظلم، وقد أشار سبحانه إلى ذلك في آية آخرى فقال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ الفاء عاطفة، وقالوا فعل وفاعل، والضمير يعود على فرعون وملئه، والهمزة للاستفهام الإنكاري، ونؤمن فعل مضارع، ولبشرين متعلقان بنؤمن، والبشر يقع على الواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث، ومثلنا صفة، وهي كغير في أنه يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ وقال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ ويقال أيضاً: هما مثلاه، وهم أمثاله.

وقومهما الواو للحال، وقومهما مبتدأ، ولنا متعلقان بعابدون، وعابدون خبر قومهما. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وكذبوهما فعل وفاعل ومفعول به، فكانوا عطف على كذبوهما، وكان

واسمها، ومن المهلكين خبرها. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الواو استئنافية، وقد حرف تحقيق، وآتينا فعل وفاعل، وموسى مفعول به أول، والكتاب مفعول به ثان، ولعل واسمها، والضمير يعود إلى قوم موسى؛ لأن فرعون وقومه كانوا قد بادوا غرقاً. ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ الواو عاطفة، وجعلنا فعل وفاعل، وابن مريم مفعول به أول، وأمه عطف على ابن مريم، وآية مفعول به ثان، ولم يقل آيتين؛ لأن الآية فيهما واحدة، وهي الولادة من غير أب، ولو قال آيتين لساغ؛ لأن مريم ولدت من غير مسيس، وعيسى روح الله ألقي إليها، وقد تكلم في المهد، وكان يحيي الموتى مع معجزات أخرى، فكان آية من غير وجه. ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ وآويناهما عطف على جعلنا، أي: أسكناهما، وإلى ربوة متعلقان بآويناهما، وقد تقدم القول فيها، وذات صفة لربوة، وقرار مضاف إليه، ومعنى القرار: الاستقرار، أي: جعلناها صالحة للاستقرار فيها بما فيها من مغلّات، وطاقات، وثمار، وماء، ومعين عطف على قرار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

○ الإعراب:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يا أيها الرسل تقدم إعرابها، والنداء لجميع الأنبياء بحسب تفاوت الأزمنة المترامية بينهم، وكلوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، ومن الطيبات متعلقان بكلوا، والمراد بالطيبات: ما حلّ، وطاب. ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ واعملوا عطف على كلوا، وصالحاً مفعول به، أو مفعول مطلق، وجملة إني تعليل للأمر، وإن

واسمها، وبما متعلقان بعليم، وجملة تعملون صلة، وعليم خبر إن. ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة للتنبيه على انتظام أمر هذه الأمة، وكمال سدادها. وإن واسمها، وأمتكم خبرها، وأمة حال لازمة، وواحدة صفة، وأنا: الواو عاطفة، وأنا مبتدأ، وربكم خبر، فاتقون: الفاء الفصيحة، واتقوني فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والنون للوقاية، والياء المحذوفة لرسم المصحف مفعول به. ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ الفاء استئنافية، وتقطعوا فعل ماض، والواو فاعل، وأمرهم تقدم إعرابها في الأنبياء، وأنها إما نصب على إسقاط الخافض، أي: تفرقوا في أمرهم، أو أنها مفعول به، وعدّى تقطعوا إليه؛ لأنه بمعنى قطعوا، وبينهم ظرف متعلق بتقطعوا، وزبراً حال من فاعل تقطعوا، أي: أحزاباً متخالفين، والزبر جمع زبرة بمعنى القطعة، أو جمع زبور بمعنى فريق، ولها جمع آخر تقدم في الكهف، وهو زبَر بفتح الباء، وكل مبتدأ، وحزب مضاف إليه، وبما متعلقان بفرحون، ولديهم ظرف متعلق بمحذوف صلة، وفرحون خبر كل حزب. ﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ الفاء الفصيحة، وذرهم فعل أمر، وفاعل مستتر تقديره: أنت، والهاء مفعول به، والخطاب لمحمد ﷺ، والضمير لكفار مكة، وفي غمرتهم حال، أي: متخبطين في غمرتهم، أو مفعول ثان لذر، أي: اتركهم متخبطين في غمرتهم، وحتى حرف غاية وجر وحين مجرور بحتى، والجار والمجرور متعلقان بذرهم. ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التقريعي، ويحسبون فعل مضارع وفاعل، وأن وما بعدها سدّت مسدّ مفعولي يحسبون، وأن وما اسمها، وكان من حقها أن تكتب مفصولة، ولكنها كتبت موصولة إتباعاً لرسم المصحف، وجملة نمدهم صلة، وبه متعلقان بنمدهم، ومن مال وبنين حال من الموصول. ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ الجملة خبر أن، نسارع فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: نحن، ولهم متعلقان بنسارع، وفي الخيرات حال، بل حرف إضراب انتقالي عن الحسبان، ولا نافية، ويشعرون

فعل وفاعل معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام، أي: لا نفعل ذلك، بل هم لا يشعرون بشيء أصلاً كالبهائم، لا فطنة لهم، ولا شعور يتيح لهم التأمل، فيعرفون أن ذلك الإمداد ما هو إلا استدراج لهم، واستجرار إلى زيادة الإثم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

○ الإعراب:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ الجملة ابتدائية، مستأنفة، مسوقة لذكر الأبرار الذين يشفقون من خشية ربهم، وإن واسمها، وهم مبتدأ، ومن خشية ربهم متعلقان بمشفقون، ومشفقون خبر هم، والمصدر ـ وهو خشية ـ مضاف لمفعوله، أي: خائفون من عذابه، وجملة «هم من خشية ربهم مشفقون» صلة الذين. وفي الإشفاق معنى يتضمن زيادة على معنى الخشية، هو معنى الرقة والضعف.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ عطف على الجملة السابقة، وإعرابها مماثل لها، وجملة يؤمنون خبرهم. ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ عطف أيضاً على إن الذين، وجملة يؤتون صلة الذين، وما مفعول يؤتون، وجملة آتوا صلة، وقلوبهم: الواو حالية، وقلوبهم مبتدأ، ووجلة خبره، وأنهم: أن وما بعدها نصب بنزع الخافض، ويكون تعليلاً لقوله: وجلة، والتقدير: وجلة من أنهم، أي: خائفة من رجوعهم إلى ربهم، وأن واسمها، وإلى ربهم متعلقان براجعون، وراجعون خبر أنهم. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ

يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ الجملة خبر إن الذين هم من خشية ربهم وما عطف عليه، فاسم إن أربعة موصولات، وخبرها جملة أولئك، وأولئك مبتدأ، وجملة يسارعون خبر المبتدأ، وفي الخيرات متعلقان بيسارعون، والواو عاطفة، والجملة معطوفة على سابقتها بمثابة تأكيد لها، وهم مبتدأ، ولها متعلقان بسابقون، وسابقون خبر هم، والضمير في لها يعود على الخيرات لتقدمها عليه في اللفظ، وهو الظاهر من سياق الكلام، وقيل: على الجنة، وليس ببعيد، ومفعول سابقون محذوف، أي: سابقون الناس لها، ويقال: سبق له، وإليه، ويجوز أن تكون اللام للتعليل، أي: سابقون لأجلها. ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة للدلالة على أن التكليف غير خارج عن حدود الطاقات والإمكانيات، ولا نافية، ونكلف فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: نحن، ونفساً مفعول نكلف الأول، وإلا أداة حصر، ووسعها مفعول به ثان. ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الواو عاطفة، ولدينا ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، وكتاب مبتدأ مؤخر، وجملة ينطق صفة، وبالحق حال، أي: متلبساً بالحق، وهم: الواو عاطفة، وهم مبتدأ، وجملة لا يظلمون خبر. ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ بل حرف إضراب للانتقال إلى أحوال الكفار المحكية، وقلوبهم مبتدأ، وفي غمرة خبر، ومن هذا صفة لغمرة، أي: كائنة من هذا الذي وصف به المؤمنون. ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ الواو عاطفة، ولهم خبر مقدم، وأعمال مبتدأ مؤخر، ومن دون ذلك صفة لأعمال، وجملة هم صفة ثانية لأعمال، وهم مبتدأ، ولها جار ومجرور متعلقان بعاملون، وعاملون خبر هم، أي: مستمرون عليها، ومعنى من دون ذلك، أي: متجاوزة متخطية لما وصف به المؤمنون.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا

تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿مُتْرَفِيهِم﴾: أغنياءهم، ورؤساءهم.

﴿يَجْـَٔرُونَ﴾: يضجون. وفي القاموس: «جأر كمنع جأراً، وجؤاراً: رفع صوته بالدعاء، وتضرّع، واستغاث، والبقرة والثور: صاحا، والنبات: طال، والأرض: طال نبتها، والجؤار من النبت: الغض، والكثير، والرجل الضخم». وقال في «اللسان» و«الأساس»: الجُؤار: الصراخ باستغاثة.

﴿تَنكِصُونَ﴾: في «المختار» ما يدل على أنه من بابي جلس، ودخل، والمصدر: نكوص.

﴿سَٰمِرًا﴾: السامر مأخوذ من السمر، وهو سهر الليل، وقال الراغب: السامر: الليل المظلم، وهو اسم جمع كحاج، وحاضر، وراكب، وغائب كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون، وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن، وتسميته سحراً وشعراً، وسبّ رسول الله ﷺ.

﴿تَهْجُرُونَ﴾: هو بفتح التاء من الهجران، وهو: الترك، أو من هجر هجراً: هذى، وتكلم بغير معقول لمرض أو نحوه، وقُرِىء بضمها من أهجر إهجاراً: أفحش في كلامه.

○ **الإعراب:**

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ حتى ـ هنا ـ ابتدائية، يبتدأ بها الكلام، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، خافض لشرطه، منصوب

بجوابه، وهو يجأرون، وجملة أخذنا في محل جر بإضافة الظرف إليها، ونا فاعل، ومترفهيم مفعول به، وبالعذاب متعلقان بأخذنا، وإذا الثانية حرف مفاجأة، قائمة مقام فاء الجزاء في الربط، والجملة بعدها جواب إذا الأولى لا محل لها، كأنه قيل: فهم يجأرون، وقيل: حتى حرف غاية وجر. ﴿لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ لا ناهية، وتجأروا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، واليوم متعلق بتجأروا، وإنكم تعليل للنهي، وإن واسمها، ومنا متعلقان بتنصرون، ولا نافية، وجملة تنصرون خبر إنكم، والواو نائب فاعل. ﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ﴾ قد حرف تحقيق، وكانت آياتي: كان واسمها، وجملة تتلى خبرها، وعليكم متعلقان بتتلى، فكنتم: الفاء عاطفة، وكان واسمها، وعلى أعقابكم حال من فاعل تنكصون، وجملة تنكصون خبر كنتم. ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ﴾ مستكبرين حال ثانية من فاعل تنكصون، وبه متعلقان بمستكبرين، أي: بسببه والضمير في «به» للبيت العتيق والحرم، وقيل: عائد إلى القرآن، وسامراً حال ثالثة، وجملة تهجرون حال رابعة، فهي أحوال متداخلة، أي: كل واحدة مما قبلها. ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لبيان أسباب ركوبهم متن الضلالة، وسيأتي أنها خمسة سنشير إليها في مواطنها، والهمزة للاستفهام الإنكاري التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويدبروا فعل مضارع مجزوم بلم، والقول مفعول به، والفاء عاطفة على محذوف، دخلت عليه الهمزة، أي: فعلوا ما فعلوا مما سبق ذكره، فلم يدبروا القول، وأم عاطفة بمعنى بل الانتقالية، أي: بل أجاءهم، بل ألم يعرفوا، بل أيقولون، وقوله: أفلم يدبروا القول هو السبب الأول لإقدامهم على الضلالة، واجترائهم على ارتكابها، أي: أنهم صدفوا عن التأمل في دلائل نبوته ﷺ، وفي مقدمتها: القرآن المعجز، وجاءهم فعل ومفعول به ثان، وما موصول فاعل، وجملة لم يأت آباءهم الأولين صلة، وهذا هو السبب الثاني، وهو اعتقادهم أن بعثة محمد ﷺ أمر غريب؛ لأنها لم تسمع عن الأمم السالفة. ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ عطف على ما تقدم كما

ذكرنا، وهذا هو السبب الثالث في إقدامهم على ركوب الغي، وهو عدم علمهم بأمانة مدّعي الرسالة وصدقه قبل أن يدعيها، وليس الأمر بهذه المثابة، بل إنهم سبروا غوره، وعلموا حقيقته، واكتنهوا صدقه، ولقّبوه بالأمين، فكيف كذبوه بعد أن أجمعوا على جدارته باللقب الذي أطلقوه عليه؟!. والفاء عاطفة، وهم مبتدأ، وله متعلقان بمنكرون، ومنكرون خبرهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ عطف على ما تقدم أيضاً، وهذا هو السبب الرابع، وهو اعتقادهم فيه الجنون، وهذا الاعتقاد مناقض لما كانوا يعتقدون فيه من كمال الرجاحة، وتمام الحصافة. وبه خبر مقدم، وجنة، أي: جنون، مبتدأ مؤخر، بل حرف عطف وإضراب انتقالي، وجاءهم فعل ومفعول به وفاعل مستتر، وبالحق متعلقان بجاءهم، أو بمحذوف حال، أي: متلبساً بالحق، والواو حالية، وأكثرهم مبتدأ، وللحق متعلقان بكارهون، وكارهون خبر أكثرهم.

* الفوائـد:

ـ معنى «وأكثرهم»:

اعترض الزمخشري على نفسه، فوجّه إليها سؤالاً، وأجاب عليه، وفيما يلي نص السؤال والجواب:

قال: «فإن قلت: قوله ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق، قلت: كان فيهم من يترك الإيمان به أنفة واستنكافاً من توبيخ قومه، وأن يقولوا: صبأ، وترك دين آبائه لا كراهة للحق، كما يُحكى عن أبي طالب.

فإن قلت: يزعم بعض الناس أن أبا طالب صحّ إسلامه، قلت: يا سبحان الله! كأنَّ أبا طالب كان أخمل أعمام رسول الله ﷺ حتى يشتهر إسلام حمزة والعباس، ويخفى إسلامه!!».

وهذا جميل من الزمخشري، ولكن أولى من ذلك أن يكون الضمير في قوله

﴿ وَأَكْثَرُهُمْ ﴾ عائداً على الجنس للناس كافة، ولما ذكر هذه الطائفة من الجنس بنى الكلام في قوله ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ ﴾ على الجنس بجملته، كقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ وكقوله: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ والنبي ﷺ جاء إلى الناس كلهم، وبعث إلى الكافة. ويحتمل أن يحمل الأكثر على الكل، كما حمل القليل على النفي، وأما قول الزمخشري: إن من تمادى على الكفر، وآثر البقاء عليه تقليداً لآبائه ليس كارهاً للحق، فمردود، فإن من أحب شيئاً كره ضده، فإذا أحبوا البقاء على الكفر فقد كرهوا الانتقال عنه إلى الإيمان ضرورة، ثم انجرّ الكلام إلى استبعاد إيمان أبي طالب، وتحقيق القول فيه أنه مات على الكفر، ووجه ذلك بأنه أشهر عمومة النبي ﷺ، فلو كان قد أسلم لاشتهر إسلامه كما اشتهر إسلام العباس وحمزة؛ لأنه أشهر، وللقائل بإسلامه أن يعتذر عن عدم شهرته بأنه إنما أسلم قبيل الاحتضار، فلم يظهر له مواقف في الإسلام يشتهر بها، كما اشتهر لغيره من عمومته.

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ خَرْجًا ﴾: أجراً وخراجاً، ويغلب في الخرج أن يكون مال العنق، وفي الخراج مال العقار، ونقيض الدخل، وقيل: الخرج: ما تبرعت به، والخراج: ما لزمك أداؤه، والوجه أن الخرج أخصّ من الخراج، ومعنى

الآية: أم تسألهم عن هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق، فالكثير من عطاء الخالق خير.

﴿لَنَٰكِبُونَ﴾ عادلون، وزائفون، ومائلون، وكل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب.

﴿لَّلَجُّواْ﴾: اللجاج، وهو: التمادي في العناد، وفي المصباح: لجّ في الأمر لجاً، من باب: تعب، ولجاجاً ولجاجة، فهو لجوج، ولجوجة مبالغة إذا لازم الشيء، وواظبه، ومن باب: ضرب لغةً.

﴿يَعۡمَهُونَ﴾: في «المصباح»: «عمه في طغيانه عمهاً، من باب: تعب، إذا تردّد متحيراً، وتعامه: مأخوذ من قولهم: أرض عمهاء؛ إذا لم يكن فيها أمارات تدلُّ على النجاة، فهو عمه، وأعمه.

﴿ٱسۡتَكَانُواْ﴾: يقال: استكان، أي: انتقل من كون إلى كون، كاستحال إذا انتقل من حال إلى حال، وأصله: استكون نقلت حركة الواو إلى ما قبلها، ثم قلبت ألفاً، هذا ما قاله علماء اللغة، ولكن اعترض بعضُهم على هذا التنظير، وحجته: أن استكان على تأويله أحد أقسام استفعل الذي معناه التحول، كقولهم: استحجر الطين، واستنوق الجمل، وأما استحال فثلاثيه حال: إذا انتقل من حال إلى حال، وإذا كان الثلاثي يفيد التحول لم يبق لصيغة استفعل فيها أثر، فليس استحال من استفعل للتحول، ولكنه من استفعل بمعنى فعل، وهو أحد أقسامه إذا لم يزد السداسي فيه على الثلاثي معنى.

ثم نعود إلى تأويله فنقول: المعنى عليه: فما انتقلوا من كون التكبر، والتجبر، والاعتياص إلى كون الخضوع، والضراعة إلى الله تعالى.

ولقائل أن يقول: استكان يفيد على التأويل المذكور الانتقال من كون إلى كون، فليس حمله على أنه انتقال عن التكبر إلى الخضوع بأولى، وترى هذه الصيغة لا تفهم إلا أحد الانتقالين، فلو كانت مشتقة من مطلق الكون لكانت مجملة محتملة للانتقالين جميعاً، والجواب: أن أصلها كذلك على الإطلاق،

ولكن غلب العرف على استعمالها في الانتقال الخاص، كما غلب في غيرها.

ولما دخل أحمد بن فارس اللغوي الوزير بغداد في زمن الإمام الناصر، جمع له جميع علماء بغداد، وعقد بهم محفلاً للمناظرة، فانجر الكلام إلى هذه الآية فقال: الأصل اللغوي هو مشتق من قول العرب: كنت لك إذا خضعت، وهي لغة هذلية، فاستحسن ابن فارس ذلك منه، وعلى هذا يكون من استفعل بمعنى فعل، كقولهم: استقر، واستعلى، وحال، واستحال على ما مرّ، وإنما لم يجعل سن استفعل المبني للمبالغة، مثل: استحسر واستعصم، من: حسر وعصم؛ لأن المعنى يأباه، وذلك أنها جاءت في النفي، والمقصود منها: ذم هؤلاء بالجفوة، والقسوة، وعدم الخضوع، مع ما يوجب نهاية الضراعة من أخذهم بالعذاب، فلو جعلت للمبالغة أفادت نقص المبالغة؛ لأن نفي الأبلغ أدنى من نفي الأدنى، وكأنهم على ذلك ذمّوا بنفي الخضوع الكثير، وأنهم ما بلغوا في الضراعة نهايتها، وليس الواقع؛ فإنهم ما اتّسموا بالضراعة ولا بلحظة منها، فكيف تنفى عنهم النهاية الموهمة لحصول البداية؟

ووزن استفعل على ضربين متعد وغير متعد، فالمتعدي قولهم: استحقه، واستقبحه، وغير المتعدي: استقدم، واستأخر، ويكون فعل منه متعدياً، وغير متعد، فالمتعدي نحو: علم، واستعلم، وفهم، واستفهم، وغير المتعدي نحو: قبح، واستقبح، وحسن واستحسن، وله معان أحدها: الطلب والاستدعاء، كقولك: استعطيت، أي: طلبت العطية، واستعتبته، أي: طلبت إليه العتبى، ومنه: استفهمت، واستخبرت، والثاني: أن يكون للإصابة، كقولك: استجدته، واستكرمته، أي: وجدته جيداً وكريماً، وقد يكون بمعنى الانتقال والتحول من حال إلى حال، نحو قولهم: استنوق الجمل؛ إذا صار على خلق الناقة، واستتيست الشاة؛ إذا أشبهت التيس، ومنه استحجر الطين؛ إذا تحوّل إلى طبع الحجر في الصلابة، وقد يكون بمعنى تفعل لتكلف الشيء وتعاطيه، نحو: استعظم بمعنى تعظم، واستكبر بمعنى تكبر،

كقولهم: تشجّع وتجلّد، وربما عاقب فعل، قالوا: قرّ في المكان، واستقرّ، وعلا قرنه، واستعلاه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ والغالب على هذا البناء: الطلب والإصابة، وما عدا ذينك فإنه يُحفظ حفظاً، ولا يقاس عليه.

○ الإعراب:

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ الواو استئنافية، ولو شرطية، واتبع الحق فعل وفاعل، وأهواءهم مفعول به، واللام واقعة في جواب الشرط، وفسدت السموات والأرض فعل وفاعل، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ومن عطف على السموات والأرض، وفيهن متعلقان بمحذوف صلة من. ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ بل حرف إضراب انتقالي، وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به، وبذكرهم متعلقان بآتيناهم، والمعنى: كيف يكرهون الحق مع أن القرآن أتاهم بتشريفهم، والتنويه بذكرهم، والفاء عاطفة، وهم مبتدأ، وعن ذكرهم متعلقان بمعرضون، ومعرضون خبر هم. ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ عطف انتقالي على ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ وهو السبب الخامس من أسباب ركوبهم متن الضلالة العمياء، وتسألهم فعل مضارع، وفاعل مستتر تقديره: أنت، ومفعول به أول، وخرجاً مفعول به ثان، والفاء تعليلية، أو فصيحة، وردت مورد التعليل للسؤال المستفاد من الإنكار، وخراج مبتدأ، وربك مضاف إليه، وخير خبر، وهو الواو حرف عطف، وهو مبتدأ، وخير الرازقين خبر. ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الواو حرف عطف، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وتدعوهم فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وإلى صراط متعلقان بتدعوهم، ومستقيم صفة. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، وجملة لا يؤمنون صلة، وبالآخرة متعلقان بيؤمنون، وعن الصراط متعلقان بناكبون، واللام المزحلقة، وناكبون خبر إن. ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا

﴿مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الواو استئنافية، مسوقة لبيان إصابتهم بعد خروج النبي ﷺ إلى المدينة بالقحط، حتى روي أنهم أكلوا العلهز، وهو كما في «الصحاح»: طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة، وسيأتي تفصيل هذه الحادثة في باب الفوائد. ولو شرطية، ورحمناهم فعل وفاعل ومفعول به، وكشفنا عطف على رحمناهم، وما مفعول به، وبهم متعلقان بمحذوف صلة ما، ومن ضرّ حال، للجّوا: اللام رابطة لجواب لو، وجملة لجوا لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وفي طغيانهم متعلقان بيعمهون، وجملة يعمهون حالية. ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ الواو عاطفة، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وأخذناهم فعل وفاعل ومفعول به، وبالعذاب متعلقان بأخذناهم، فما استكانوا عطف على أخذناهم، وما نافية، واستكانوا فعل وفاعل، ولربهم متعلقان باستكانوا، والواو حرف عطف، وما نافية، ويتضرعون فعل مضارع وفاعل، وسيأتي سرّ عطف المضارع على الماضي في باب البلاغة.

□ البلاغة:

عطف المضارع على الماضي لإفادة الماضي وجود الفعل، وتحقّقه، وهو بالاستكانة أحق بخلاف التضرع؛ فإنه أخبر عنهم بنفي ذلك في الاستقبال.

* الفوائد:

قوله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ . . .﴾ الآية، والآية التي تليها، هاتان الآيتان مدنيتان، فإن إصابتهم بالقحط إنما كانت بعد خروجه ﷺ من بينهم. روى التاريخ أنه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي، ولحق باليمامة، ومنع الميرة من أهل مكة، وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز ـ وقد قدّمنا تفسيره ـ جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال له: أنشدك الله والرحم، ألست تزعم

أنك بُعِثْتَ رحمةً للعالمين؟ فقال: «بلى» فقال: قتلتَ الآباء بالسيف والأبناء بالجوع! فنزلت الآية.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ مُبْلِسُونَ ﴾: في «المصباح»: «البلاس مثل سلام، هو: المِسْحُ، وهو فارسي معرب، والجمع بُلُس بضمتين، مثل: عناق: عُنُق، وأبلس الرجل إبلاساً: سكت، وأبلس: أيس، وفي التنزيل ﴿ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾.

﴿ ذَرَأَكُمْ ﴾: خلقكم، وبثّكم بالتناسل.

○ **الإعراب:**

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ حتى حرف تبتدأ به الجمل، وقد تقدم نظيره قريباً، وقيل: هي غاية وجر، إذا شرطية ظرفية متعلقة بمبلسون، وجملة فتحنا في محل جر بإضافة الظرف إليها، وعليهم متعلقان بفتحنا، وباباً مفعول به، وذا عذاب صفة لباباً، وإذا الثانية حرف مفاجأة، قائمة مقام فاء الجزاء في الربط، والجملة بعدها جواب إذا الأولى، كأنه قيل: فهم فيه مبلسون، وهم مبتدأ، وفيه متعلقان بمبلسون، ومبلسون خبر هم. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ الواو

استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لتقريع الكافرين، وتذكير المؤمنين، فهو خطاب عام، وهو متبدأ، والذي خبر، وجملة أنشأ صلة، ولكم متعلقان بأنشأ، والسمع مفعول به، والأبصار والأفئدة عطف عليه، وقليلاً منصوب على أنه مفعول مطلق صفة لمحذوف هو المفعول المطلق في الحقيقة، تقديره: شكراً قليلاً، وما زائدة للتوكيد بمعنى حقاً، وإنما خصّ هذه الأعضاء؛ لأنه يُناط بها من المنافع ما لا يُناط بغيرها، هذا من جهة، ومن جهة ثانية من لم يعمل هذه الأعضاء فيما خلقت له، فهو بمنزلة عادمها، وسيأتي مزيدُ بسطٍ في هذا الصدد في باب البلاغة. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ عطف على ما تقدم، وإعرابه ظاهر. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وهو الذي عطف على ما تقدم، وله خبر مقدم، واختلاف الليل والنهار مبتدأ مؤخر، والهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على محذوف مقدر، ولا نافية، وتعقلون فعل مضارع وفاعل. ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ بل حرف إضراب انتقالي، وقالوا فعل وفاعل، ومثل صفة لمصدر محذوف، أي: قولاً مثل قول الأولين، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مضاف لمثل، والأولون فاعل. ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ الجملة بدل من الجملة قبلها، أي: مستأنفة، والهمزة للاستفهام الاستبعادي، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة متنا في محل جر بإضافة إذا إليها، وكنا عطف على متنا، وكان واسمها، وتراباً خبرها، وعظاماً عطف على تراباً، والهمزة للاستفهام الاستبعادي أيضاً، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومبعوثون خبرها. ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ﴾ اللام جواب للقسم المحذوف، ووعد فعل ماض مبني للمجهول، ونا نائب فاعل، ونحن تأكيد للضمير، وآباؤنا معطوف على الضمير المتصل، وسوغ العطف الفصل بالمنفصل، ومن قبل متعلقان بوعدنا، أو بمحذوف صفة لقوله «آباؤنا» أي: الكائنون من قبل، والمعنى على الجميع: لقد وعدنا وآباؤنا بالبعث، فلم نر هذا الوعد صدقاً، وإنما رأيناه أساطير

الأولين. ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إن نافية، وهذا مبتدأ، وإلا أداة حصر، وأساطير الأولين خبر هذا.

□ البلاغة:

١ ـ وحد السمع في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ لوحدة المسموع دون الأبصار والأفئدة، أو: لأنه مصدر في الأصل، والمصادر لا تجمع، فلمح إلى الأصل، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في البقرة، فجدّد به عهداً.

٢ ـ في قوله: ﴿بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ الفصل، أي: قطع إحدى الجملتين عن الأخرى للاتحاد، فقد فصل: قالوا أئذا متنا وكنا تراباً... الخ عما قبله؛ لقصد البدل؛ لكونه أوفى بالمقصود من الأول؛ لأن ما قال الأولون أقوال كثيرة، ولا يدرى أي قول يُراد من تلك الأقوال، والأحسن أن يقال: إن أريد بقوله: مثل ما قال الأولون ما نقل عنهم من قولهم: أئذا متنا... الخ، وهو الظاهر، كان بدل كل من كل.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا

عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾

○ الإعراب:

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قل فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، والجملة استئنافية، ولمن خبر مقدم، ومن استفهامية، والأرض مبتدأ مؤخر، ومن عطف على الأرض، ومن موصولية، وعبر عنهم بمن تغليباً للعقلاء كما تقرر، وفيها متعلقان بمحذوف صلة من، وإن شرطية، وكنتم تعلمون: كان واسمها، وجملة تعلمون خبرها، وكنتم فعل الشرط، والجواب محذوف، أي: فأخبروني بخالقهما، وفي هذا تلويح بغباوتهم.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة للإخبار من الله تعالى عما يقع منهم في الجواب قبل وقوعه، ولله متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هي، والجملة مقول القول، قل فعل أمر، والمراد بالأمر: التوبيخ والتأنيب، والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والفاء عاطفة على محذوف، ولا نافية، وتذكرون فعل مضارع بحذف إحدى التاءين، والأصل: تتذكرون. ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ من اسم استفهام مبتدأ، ورب السموات السبع خبره، ورب العرش العظيم عطف عليه. ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ لله خبر لمبتدأ محذوف، أي: لا بد لهم أن يقولوا ذلك، وأتى باللام نظراً إلى معنى السؤال، فإن قولك: من ربه؟ ولمن هو؟ في معنى واحد، كقولك: من رب هذه الدار؟ فيقال: زيد، ويقال: لزيد. ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ من اسم استفهام مبتدأ، وبيده خبر مقدم، وملكوت كل شيء مبتدأ مؤخر، والجملة خبر من، والتاء والواو في ملكوت زائدتان للمبالغة، كزيادتهما في الرحموت والرهبوت، من الرحمة والرهبة، والملكوت: الملك العظيم، والعز، والسلطان، والملكوت السماوي: هو محل القديسين في

السماء، والواو عاطفة، أو حالية، وهو مبتدأ، وجملة يجير خبر، والواو عاطفة، وجملة لا يجار عطف على يجير، والمعنى: يغيث من يشاء ويحرسه، ولا يغاث أحد منه، وعدي بعلى لتضمّنه معنى النصر. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إن شرطية، وكنتم فعل الشرط، والجواب محذوف كما تقدم، أي: فأخبروني. ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ لله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، وفيه نظر إلى أن المعنى: من له ما ذكر؟ والتقدير في الأولى: قل من له السموات السبع؟ وفي الثاني: قل من له ملكوت كل شيء؟ فلام الجر مقدرة في السؤال، فظهرت في الجواب نظراً للمعنى، وقد قرىء بإسقاطها مع رفع الجلالة جواباً على اللفظ لقوله مَن؛ لأن المسؤول به مرفوع المحل، وهو مَن، فجاء جوابه مرفوعاً مطابقاً له في اللفظ. فأنى: الفاء الفصيحة، وأنى اسم استفهام بمعنى كيف، وهي في محل نصب على الحال، وتسحرون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل. ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ بل حرف إضراب وعطف، وأتيناهم فعل وفاعل ومفعول به، وبالحق حال، والواو حالية، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وكاذبون خبر إن. ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ ما نافية، واتخذ الله فعل وفاعل، ومن حرف جر زائد، وولد مجرور لفظاً منصوب محلاً؛ لأنه مفعول به، والواو عاطفة، وما نافية، وكان فعل ماض ناقص، ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، وإله مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه اسم كان. ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ إذاً حرف جواب وجزاء مهمل، وإلى هذا ذهب الفراء، وقد تقدم القول فيه في الإسراء، وإليه جنح الزمخشري قال:

«فإن قلت إذاً لا تدخل إلا على كلام هو جواب وجزاء، فكيف وقع قوله: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ﴾ جواباً وجزاء، ولم يتقدم شرط، ولا سؤال سائل؟ قلت: الشرط محذوف، تقديره: و كان معه آلهة، فحذف لدلالة: وما كان معه من إله».

واختار غير الفراء والزمخشري أن تكون إذاً بمعنى لو الامتناعية، وعليه جرى البيضاوي قال: «أي: لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه، واستبد به، وامتاز ملكه عن ملك الآخرين، ووقع بينهم التحارب والتغالب، كما هو حال ملوك الدنيا، فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء، واللازم باطل بالإجماع، والاستقراء، وقيام البرهان على استناد جميع الكائنات إلى واجب واحد».

واللام واقعة في جواب الشرط على كلا القولين، وذهب كل إله فعل وفاعل، والجملة لا محل لها، وبما خلق متعلقان بذهب، وجملة خلق صلة، ولعلا بعضهم على بعض عطف على ما تقدم. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ سبحان الله نصب على المصدر، وعما متعلقان بسبحان، وجملة يصفون صلة، ويجوز أن تكون ما مصدرية، أي: عن وصفهم. ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عالم الغيب بالجر على البدلية من الجلالة، أو: صفة له، وقرىء بالرفع على القطع، فهو خبر لمبتدأ محذوف، فتعالى: الفاء عاطفة، كأنه قال: علم الغيب فتعالى، وعما متعلقان بتعالى، وجملة يشركون صلة. ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ رب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وإما أدغمت إن الشرطية بما الزائدة، وتريني فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو في محل جزم فعل الشرط، والنون للوقاية، والياء مفعول به، وما مفعول به ثان، فهي بصرية تعدّت لمفعولين بواسطة الهمزة؛ لأنه من أرى الرباعي، وجملة يوعدون صلة ما، والعائد محذوف، أي: يوعدون به من العذاب ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ هذا جواب الشرط، والفاء رابطة، وأعيد لفظ رب منادى مبالغة في التضرع والابتهال، ولا ناهية، وتجعلني فعل مضارع مجزوم بلا، والنون للوقاية، والياء مفعول به أول، وفي القوم مفعول به ثان، والظالمين صفة. ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ الواو عاطفة على ما تقدم، وإن واسمها، وعلى أن نريك متعلقان بقادرون، وأن حرف مصدري ونصب،

ونري مضارع منصوب بأن، والفاعل مستتر تقديره: نحن، والكاف مفعول به أول، وما مفعول به ثان، وقد تقدم القول في أرى البصرية، واللام المزحلقة، وهي لام الابتداء، زحلقت إلى الخبر، وقادرون خبر إنا. ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ كلام مستأنف مسوق لحث النبي ﷺ على الصفح عن مساءتهم، ومقابلتها بما أمكن من الإحسان. وادفع فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وبالتي جار ومجرور متعلقان بادفع، والتي نعت لمحذوف، أي: الخصلة، وهي أحسن مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية صلة التي، والسيئة مفعول به، وجملة، نحن أعلم حالية، ونحن مبتدأ، وأعلم خبر، وبما متعلقان بأعلم، وجملة يصفون صلة، ويجوز أن تكون ما مصدرية، أي: بوصفهم لك، وسوء ذكرهم.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ عدول عن مقتضى السياق لسرٍّ بليغ، فالظاهر أن يقول: ادفع بالحسنة السيئة، ولكنه عدل عن مقتضى الكلام لما فيه من التفصيل، والمعنى: ادفع السيئة بما أمكن من الإحسان، حتى إذا اجتمع الصفح، والإحسان، وبذل الاستطاعة فيه، كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة. ولمعترض أن يقول: كيف تسوغ هذه المفاضلة التي هي اشتراك في أمر والتميز بغيره، وليس ثمة أي اشتراك بين الحسنة والسيئة، فإنهما ضدان متقابلان، فما وجه هذه المفاضلة إذاً؟.

والجواب: إن الحسنة من باب الحسنات، أزيد من السيئة من باب السئيات، فتجيء المفاضلة مما هو أعم من كون هذه حسنة وهذه سيئة، وذلك شأن كل مفاضلة بين ضدّين، كقولك: العسل أحلى من الخل، يعني: أنه في الأصناف الحلوة أميز من الخلّ في الأصناف الحامضة، وليس لأن بينهما اشتراكاً خاصاً، ومن هذا الوادي ما يُحكى عن أشعب الماجن أنه قال: نشأت أنا والأعمش في حجر فلان، فما زال يعلو وأسفل حتى استوينا، بمعنى:

أنهما استويا في بلوغ كل منهما الغاية: أشعب بلغ الغاية على السفلة، والأعمش بلغ الغاية على العلية.

هذا؛ ويجوز أن يُراد وجه آخر، وهو أن تكون المفاضلة بين الحسنات التي تدفع بها السيئة، فإنها قد تدفع بالصفح والإغضاء، ويقنع في دفعها بذلك، وقد يُزاد على الصفح الإكرام، وقد تبلغ غايته ببذل الاستطاعة، فهذه الأنواع من الدفع كلها دفع بحسنة، ولكن أحسن هذه الحسنات في الدفع هي الأخيرة لاشتمالها على عدد من الحسنات، فأمر النبي ﷺ بأحسن الحسنات في دفع السيئة، وعندئذ تجري المفاضلة على حقيقتها من غير تأويل.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿هَمَزَاتِ﴾: جمع همزة، وهي: النخسة، والدفعة بيد وغيرها، وفي الأساس واللسان: «همز رأسه: عصره، وهمز الجوزة بكفه. ومن المجاز: همز الرجل في قفاه: غمز بعينه، ورجل هُمَزَة وهمّاز، والشيطان يهمز الإنسان: يهمس في قلبه وسواساً، ويقال: أعوذ بالله من هَمْسه، وهمزه، ولمزه، و﴿أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾.

وفي «المختار»: «وهمزات الشيطان: خطراته التي يخطرها بقلب الإنسان».

قلت: وأصل الهمز: النخس، ومنه: مهماز الرائض، شبّه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على المشي، والجمع للمرّات، أو لتنوع الوساوس.

﴿ بَرْزَخٌ ﴾: حاجز يصدّهم عن الرجوع إلى الدنيا، والبرزخ هو: الحاجز بين المتنافيين، وقيل: الحجاب بين الشيئين أن يصل أحدهما إلى الآخر، وقال الراغب: أصله برزه، فعرّب، وهو في القيامة: الحائل بين الإنسان وبين المنازل الرفيعة، والبرزخ قيل: هو الحائل بين الإنسان وبين الرجعة التي يتمنّاها.

﴿ تَلْفَحُ ﴾ اللفح: أشد النفح؛ لأنه الإصابة بشدة، والنفح: الإصابة مطلقاً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾. وفي «القاموس»: لفح يلفح، من باب: فتح فلاناً بالسيف: ضربه به، ولفحت النار لفحاً ولفحاناً، أو السموم بحرها فلاناً: أصابت وجهه، وأحرقته.

﴿ كَالِحُونَ ﴾: الكلوح أن تتقلص الشفتان، وتتشمرا عن الأسنان، كما ترى الرؤوس المشوية. وعن مالك بن دينار: كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مرّ في السوق برأس قد أخرج من التنور، فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهن. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته». وفي «المختار»: «الكلوح: تكشّر في عبوس، وبابه: خضع». قلت: ومنه كلوح الأسد، أي: تكشيره عن أنيابه، ودهر كالح، وبرد كالح، أي: شديد.

○ الإعراب:

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، ولك أن تعطفها على ما تقدم، ورب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وأعوذ فعل مضارع، وفاعل مستتر تقديره: أنا، وبك متعلقان

بأعوذ، وكذلك قوله من همزات الشياطين. ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ عطف على ما تقدم، وأعيد كل من العامل والنداء مبالغة، وزيادة اعتناء بهذه الاستعاذة، وأن حرف مصدري ونصب، ويحضرون منصوب بأن، وعلامة نصبه حذف النون، والنون للوقاية، والواو فاعل، وياء المتكلم المحذوفة في محل نصب مفعول به. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ يجوز أن تكون غاية ليصفون متعلقة بها، أي: لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت، ويجوز أن تكون ابتدائية، وإذا ظرف مستقبل متعلق بقال، وجملة جاء مضاف إليها الظرف، وأحدهم مفعول به مقدم، والموت فاعل مؤخر، وجملة قال لا محل لها، ورب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وارجعون فعل أمر مبني على حذف النون، وواو الجماعة فاعل، والنون للوقاية، والياء المحذوفة لرسم المصحف مفعول به، وإنما جمع، والمخاطب واحد، وهو الله تعالى للتعظيم.

قال أبو البقاء: «فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه جمع على التعظيم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ وكقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا ﴾.

والثاني: أنه أراد يا ملائكة ربي أرجعون.

والثالث: أنه دلّ بلفظ الجمع على تكرير القول، فكأنه قال: أرجعني أرجعني».

وما ذكرناه أولى، ولعل واسمها، وجملة أعمل خبرها، وصالحاً مفعول به، أو مفعول مطلق، وفيما صفة لصالحاً، أو متعلقان بأعمل، وجملة تركت صلة، أي: ضيعت من عمري من دون جدوى، أو فائدة. ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ كلا حرف ردع وزجر، وسيأتي القول فيها مفصلاً، أي: لن تكون له رجعة، وإن واسمها، وكلمة خبرها، وسيأتي بحث مفيد عن الكلمة في باب الفوائد. وهو مبتدأ، وقائلها خبر، والجملة الاسمية صفة لكلمة، والواو إما عاطفة، وإما حالية، ومن ورائهم خبر

مقدم، وبرزخ مبتدأ، وإلى يوم صفة لبرزخ، وجملة يبعثون مضاف إليها الظرف، وليس المراد أنهم يرجعون يوم البعث ولكنه إقناط كلي عن الرجوع إلى الدنيا، فليست الغاية داخلة في المغيا، وإنما المراد أنه غيا رجوعهم بالمحال، فهو يشبه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ الفاء استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متعلق بما في الجواب من معنى النفي، أي: انتفى ذلك، وجملة نفخ مضاف إليها الظرف، وفي الصور متعلقان بنفخ، والفاء رابطة لجواب إذ، ولا نافية للجنس، وأنساب اسمها مبني على الفتح، وبينهم ظرف متعلق بمحذوف خبرها، ويومئذ ظرف متعلق بمحذوف صفة لأنساب، أو بالمحذوف الذي تعلق به الخبر، والتنوين في يومئذ عوض عن جملة تقديرها: يوم نفخ في الصور، وسيأتي معنى نفي الأنساب في باب البلاغة. ولا يتساءلون عطف على ما سبق، ويتساءلون فعل مضارع وفاعل، أي: لا يسأل بعضهم بعضاً عنها كما سيأتي. ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفاء للتفريع، والجملة معطوفة، أو مستأنفة، ومن شرطية مبتدأ، وثقلت فعل الشرط، وموازينه فاعل، فأولئك: الفاء رابطة للجواب؛ لأنه جملة اسمية، وأولئك مبتدأ، وهم مبتدأ ثان، أو ضمير فصل، والمفلحون خبر أولئك، أو خبر هم، والجملة خبر أولئك. ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ الجملة معطوفة على سابقتها ومثيلتها، وفي جهنم متعلقان بخالدون، وخالدون خبر لمبتدأ محذوف، أو: خبر بعد خبر لأولئك، وارتأى الزمخشري أن يكون بدلاً من خسروا أنفسهم، ولا محل للبدل والمبدل منه؛ لأن صلة الموصول لا محل لها. ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ الجملة مستأنفة، أو خبر ثان، أو حال، ووجوههم مفعول به مقدم، والنار فاعل مؤخر، والواو عاطفة، أو حالية، وهم مبتدأ، وفيها متعلقان بكالحون، أو: بمحذوف حال من هم، وكالحون خبر.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ فن التنكيت، قد تقدّم بحثه، فقد قصد بنفي الأنساب وهي موجودة أمراً آخر لنكتة فيه، فإن الأنساب ثابتة لا يصح نفيها، وقد كان العرب يتفاخرون بها في الدنيا، ولكنه جنح إلى نفيها إما لأنها تلغو في الآخرة إذ يقع التقاطع بينهم، فيتفرقون معاقبين أو مثابين، أو أنه قصد بالنفي صفة للأنساب محذوفة، أي: لا يعتد بها حيث تزول بالمرة، وتبطل لزوال التراحم والتعاطف؛ من فرط البهر، والكلال، واستيلاء الدهشة عليهم.

* الفوائـد:

تطلق الكلمة في اللغة على الكلام، وهذا الإطلاق اختلف فيه العلماء، فذهب السنهوري في شرح الأجرومية، وابن هشام في شذور الذهب إلى أن الإطلاق حقيقي كائن في أصل اللغة، قال صاحب القاموس: «الكلمة، وجمعها كلم وكلمات: اللفظة، وما ينطق به الإنسان مفرداً كان أو مركباً». وقيل: إن الإطلاق المذكور من قبيل الاستعارة، وإن أجزاء الكلام لمّا ارتبط بعضها ببعض حصلت له بذلك وحدة، فشابه بذلك الكلمة فأطلق لفظها عليه، والآية صريحة في تأكيد هذا الإطلاق، ونحوها قوله ﷺ: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد:

أَلَا كلّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ وكـلُّ نعيـمٍ لا محـالـةَ زائـلُ

وقولهم: كلمة الشهادة، يريدون: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا

فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾

☆ **اللغـة:**

﴿ شِقْوَتُنَا﴾ : أحد مصادر شقي، وفي «المختار»: «الشقاء والشقاوة بالفتح ضد السعادة، وقرأ قتادة شقاوتنا بالكسر، وهي لغة. وقد شقي بالكسر شقاء وشقاوة أيضاً، وأشقاه الله، فهو شقي، بيّن الشقوة». وفي «القاموس» وشرحه: «شقي يشقى، من باب: تعب، شَقاً، وشقاوة، وشِقاوة، وشَقوة، وشِقوة، ضد: سعد، فهو شقي، والجمع: أشقياء».

﴿ ٱخْسَـُٔوا۟﴾ : ذلوا فيها، وانزجروا، كما تنزجر الكلاب إذا زجرت. وفي «المصباح»: «خسأت الكلب، وخسأ بنفسه يتعدى ولا يتعدى». وفي «المختار»: «خسأ الكلب: طرده، من باب: قطع، وخسأ هو بنفسه: خضع». وللخاء مع السين فاء وعيناً خاصة واحدة، وهي أن الكلمة تدل على المهانة والمذلة، وقد تقدم القول في خسأ، وخسر التاجر في بيعه خسراناً وخسراً، وتاجر خاسر، وأخسر الميزان، وخسّره نقصه، وميزان مخسور، وأخسر فلان، وأكسد: وقع في الخسران والكساد، وأخسرت الرجل: نقيض أربحته، وقيل لسلم: الخاسر؛ لأنه باع مصحفاً ورثه، واشترى بثمنه عوداً يضرب به، والخسة معروفة، وهي: النذالة، تقول: خسست يا رجل تخس، مثل مسست تمس، خسة وخساسة، ورجل خسيس، وقوم أخسة، وما رأيت أخسّ منه! والخس ترياق. ويقال: أين نبت الخس، من فصاحة قسّ، وكلاهما من إياد، ولكن أين الأخامص من الأجياد، وخسف القمر، وخسفت الأرض، وانخسفت: ساخت بما عليها، وخسف الله بهم الأرض. ومن المجاز: سامه خسفاً، أي: ذلاً وهواناً، ورضي بالخسف، وبات على الخسف: على الجوع، وشربوا على الخسف على غير ثقل، وعين خاسفة: فقئت حتى غابت حدقتها في الرأس، وخسفت عينه، وانخسفت، وخسف

بدنه: هزل، وفلان بدنه خاسف، ولونه كاسف، قال يصف صائداً:

أخُو قُتُراتٍ قد تَبَيَّن أنَّهُ
إذا لم يصبْ لحماً من الوحش خاسفُ

وخسفت إبلك وغنمك، وأصابتها الخسفة، وهي: تولية الطرق، وإن للمال خسفتين: خسفة في الحر، وخسفة في البرد، وهو مخول ومخسّل: وقد خَسَله، وخسّله. وقال:

ونحنُ الثُّريّا وجَوْزاؤها ونحنُ الذِّراعانِ والمِرْزَمُ
وأنتم كواكبُ مَخْسُولَةٌ تُرى في السَّماء ولا تُعْلَمُ

وقولهم: أخَسَاً أم زكاً؟ أي: أوتر أم شفع؟ وتخاسى الصبيان: تلاعبوا بذلك، وقال الممزَّق:

تخاس يَدَاها بالحَصَى وترضّهُ بأسمرَ صرّافٍ إذا جَمَّ مُطرِق

وفي هذا القدر ما يكفي.

﴿سِخۡرِيًّا﴾: بالكسر والضم، مصدر سخر، كالسخر إلا أن في ياء النسب زيادة في قوة الفعل، كما قيل الخصوصية في الخصوص. وعن الكسائي والفراء: أن المكسور من الهزء، والمضموم من السخرة والعبودية، والأول مذهب الخليل وسيبويه، والمراد بهم: الصحابة، وقيل: أهل الصفّة خاصة. وفي «المصباح»: «سخرت منه سخراً، من باب: تعب، هزئت به، والسّخري بالكسر لغة فيه، والسُّخْرة وزان غرفة: ما سخّرت من خادم أو دابة بلا أجر، والسُّخري بالضم بمعناه، وسخَّرته في العمل بالتثقيل: استعملته مجاناً، وسخَّر الله الإبل: ذلّلها، وسهَّلها».

○ الإعراب:

﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري والتوبيخي، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، وآياتي اسمها، وجملة تتلى خبرها، وعليكم متعلقان بتتلى،

فكنتم: الفاء عاطفة، وكان واسمها، وبها متعلقان بتكذبون، وجملة تكذبون خبر كنتم. ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾ قالوا فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بالواو، والواو فاعل، وربنا منادى مضاف، وغلبت فعل ماض، والتاء للتأنيث، وعلينا متعلقان بغلبت، وشقوتنا فاعل غلبت، وكنا: الواو عاطفة، وكان واسمها، وقوماً خبرها، وضالين صفة. ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ ربنا منادى مضاف، وكرَّره للعناية به، وأخرجنا فعل أمر معناه الدعاء، ومنها متعلقان بأخرج، والفاء عاطفة، وإن شرطية، وعدنا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والضمير فاعل، والفاء رابطة لجواب الشرط؛ لأنه جملة اسمية، وإن واسمها، وظالمون خبرها، والجملة في محل جزم جواب الشرط. ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ جملة اخسؤوا مقول القول، وهو فعل أمر، والواو فاعل، وفيها متعلقان باخسؤوا، ولا الواو عاطفة، ولا ناهية، وتكلمون فعل مضارع مجزوم بلا، والنون للوقاية، والياء المحذوفة مفعول به. ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ جملة تعليلية لما قبلها من الزجر، وإن واسمها، وجملة كان خبرها، وفريق اسم كان، ومن عبادي صفة لفريق، وجملة يقولون خبر كان، وربنا منادى مضاف، وجملة آمنا مقول القول، فاغفر لنا: الفاء عاطفة، واغفر فعل أمر معناه الدعاء، وارحمنا عطف عليه. وأنت: الواو استئنافية، وأنت مبتدأ، وخير الراحمين خبر. ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ الفاء عاطفة، واتخذتموهم فعل وفاعل ومفعول به، والميم علامة جمع الذكور، والواو لإشباع ضمة الميم، وسخرياً مفعول به ثان، ومن هؤلاء المهاجرين بلال وصهيب وعمار وخباب، وحتى حرف غاية وجر، وأنسوكم فعل ماض وفاعل ومفعول به أول، وذكري مفعول به ثان، وكنتم كان واسمها، ومنهم متعلقان بتضحكون، وجملة تضحكون خبر كنتم، والمعنى: لم يعد لكم شغل إلا الهزء بهم، والضحك منهم.

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلْعَآدِّينَ ﴾: بتشديد الدال، جمع عاد، من عدّ الشيء يعدُّه بضم العين في المضارع: إذا أحصاه، وحسبه.

﴿ عَبَثًا ﴾ العَبَث بفتحتين: اللعب، ومالا فائدة فيه، وكل ما ليس فيه غرض صحيح. يقال: عبث يعبث عبثاً: إذا خلط عمله بلعب، وأصله من قولهم: عبثت الأقط، أي: خلطته، والعبث طعام مخلوط، ومنه العوثباني لتمر وسويق وسمن مختلط.

○ **الإعراب:**

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان حسن حالهم أنهم انتفعوا بإذايتهم إياهم، وإن واسمها، وجملة جزيتهم خبر إن، وجزيتهم فعل ماض وفاعل ومفعول به أول، واليوم ظرف لجزيتهم، وبما متعلقان بجزيتهم، والباء للسببية، أي: بسبب صبرهم، وما مصدرية، وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول ثان لجزيتهم، أي: جزيتهم فوزهم، وأن واسمها، وهم ضمير فصل، والفائزون خبر إن. ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ كم استفهامية في محل نصب على الظرفية الزمانية، وهو متعلق بلبثتم، وفي الأرض متعلقان بلبثتم، أو بمحذوف

حال، وعدد سنين تمييز كم، وسنين مضاف إليه، والمعنى: كم لبثتم عدداً من السنين. ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ جملة لبثنا مقول القول، ويوماً ظرف متعلقان بلبثنا، وأو حرف عطف، وبعض يوم معطوف على يوماً، فاسأل: الفاء الفصيحة، واسأل فعل أمر، وفاعل مستتر تقديره: أنت، والعادين مفعول به، وقد قالوا هذا لأنهم ـ وقد غشيهم العذاب، وأحاطت بهم أهواله ـ لم يعد بوسعهم أن يحصوا ذلك، أو يذكروا، فقالوا: إن أردت معرفة الحقيقة فاسأل العادين، أما نحن ففي معزل عن ذلك. ﴿قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال فعل، وفاعله مستتر يعود على الله سبحانه، وإن نافية، ولبثتم فعل وفاعل، وإلا أداة حصر، وقليلاً صفة لظرف محذوف، أي: زمناً قليلاً، ولو حرف امتناع لامتناع، وإن واسمها، وجملة كنتم خبرها، وجملة تعلمون خبر كنتم، ومفعول تعلمون محذوف، أي: مقدار لبثكم، ويجوز إعراب قليلاً صفة لمصدر محذوف، أي: لبثاً قليلاً. ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وحسبتم فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، مسوقة لتوبيخهم على تماديهم في الغفلة، وصدوفهم عن النظر الصحيح، وأنما كافة ومكفوفة، وهي وما بعدها في تأويل مصدر سدّت مسدّ مفعولي حسبتم، وخلقناكم فعل وفاعل ومفعول به، وعبثاً يجوز إعرابه نصباً على أنه مصدر واقع موقع الحال، أي: عابثين، ويجوز إعرابه نصباً أيضاً على المصدرية، أو أنه مفعول لأجله، أي: لأجل العبث، وأنكم يجوز أن يكون معطوفاً على أنما خلقناكم فيكون الحسبان منسحباً عليه، وأن يكون معطوفاً على عبثاً، أي: للعبث، وأن واسمها، ولا نافية، وجملة ترجعون خبر إن، وهو فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل. ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ الفاء استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لاستعظام الله تعالى، وتعالى فعل ماض، والله فاعله، والملك الحق صفتان له، وجملة لا إله إلا هو حال، وقد تقدم إعرابها كثيراً، ورب العرش صفة ثالثة، والكريم نعت للعرش. ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا

بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ الواو استئنافية، ومن شرطية مبتدأ، ويدع فعل الشرط مجزوم بحذف حرف العلة، ومع الله ظرف متعلق بيدع، وإلهاً مفعول به ليدع، وآخر صفة، ولا نافية للجنس، وبرهان اسمها مبني على الفتح، وله خبر لا، والجملة صفة ثانية لإلهاً، وهي صفة لازمة، نحو قوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ وجيء بها للتوكيد، ويجوز أن تكون جملة معترضة بين فعل الشرط وجوابه، فإن كانت صفة فالمقصود بها التهكم بمدعي إله مع الله، كقوله: ﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۚ﴾ فنفى إنزال السلطان به، وإن لم يكن في نفس الأمر سلطان لا منزّل ولا غير منزّل، ومن جنس مجيء الجملة بعد النكرة وصرفها عن أن تكون صفة لها ما تقدم عند قوله تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾ فارجع إليه إن شئت.

فإنما: الفاء رابطة لجزاء الشرط؛ لأن الجملة اسمية، وإنما كافة ومكفوفة، وحسابه مبتدأ، وعند ربه الظرف متعلق بمحذوف خبر حسابه، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر من ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ الجملة تعليلية لا محل لها، وإن واسمها، وجملة لا يفلح خبر إنه، والكافرون فاعل. ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ الواو استئنافية، ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، واغفر فعل أمر، والمقصود منه: الدعاء، وارحم عطف عليه، وأنت: الواو استئنافية، وأنت مبتدأ، وخير الراحمين خبر.

□ البلاغة:

في خاتمة سورة «المؤمنون» قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وفي فاتحتها ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة!

* * *



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ الزَّانِيَةُ ﴾ : بيّنة الزّنى والزناء، بالمد والقصر، قال الفرزدق:

أبـا خـالـد مَـنْ يَـزْنِ يُعْلَـمْ زِنـاؤه
ومَن يَشْرَبِ الخُرْطُومَ يُصْبِحْ مُسَكَّرا

قال الفراء: المقصور من زنى، والممدود من زانى، يقال: زاناها مُزاناةً

وزناءً، وخرجت فلانة تزاني، وتباغي، وقد زنى بها، وجمع بين الزناة والزواني، وزنّاه تزنية: نسبه إلى الزنى، وهو ولد زنية، بفتح الزاي وكسرها.

﴿رَأْفَةٌ﴾: في «المختار»: «والرأفة: أشد الرحمة، وقد رؤف بالضم رآفة، ورأف به يرأف، مثل: قطع يقطع، ورئف به، من باب: طرب، كله من كلام العرب، فهو رؤوف، على فعول».

○ الإعراب:

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ سورة خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذه سورة، أو مبتدأ والخبر محذوف، أي: فيما أوحينا إليك سورة، وساغ الابتداء بالنكرة؛ لأنها وصفت بجملة أنزلناها، وفرضناها عطف على أنزلناها، وأنزلنا عطف أيضاً، وفيها متعلقان بأنزلنا، وآيات مفعول به، وبينات صفة لآيات، ولعل واسمها، وجملة تذكرون خبرها، وجملة لعلكم تذكرون حال. ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة للشروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات. والزانية والزاني في رفعهما وجهان:

أحدهما مذهب سيبويه أنه مبتدأ خبره محذوف، أي: فيما يتلى عليكم حكم الزانية.

وثانيهما: مذهب الأخفش وغيره بأنه مبتدأ، والخبر جملة الأمر، ودخلت الفاء لشبه المبتدأ بالشرط، وقد تقدم الكلام على هذه المسألة مستوفى عند قوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ فجدد به عهداً، وسيأتي في باب الفوائد مزيد من هذا البحث.

وإنما قدم الزانية على الزاني؛ لأنها الأصل في الفعل، لكون الداعية إليها أوفر، ولولا تمكينها منه لم يقع، وقد عكس الأمر في آية حدّ السرقة، فقدّم السارق على السارقة؛ لأن الزنى يتولد بشهوة الوقاع، وهي في المرأة أقوى

وأكثر، والسرقة إنما تتولد من الجسارة، والقوة، والجرأة، وهي في الرجل أقوى وأكثر.

فاجلدوا: الفاء رابطة لأن الألف واللام بمعنى الذي، والموصول فيه رائحة من الشرط، أي: التي زنت، والذي زنى فاجلدوهما، كما تقول: من زنى فاجلدوه، واجلدوا فعل أمر وفاعل، وكل واحد مفعول به، ومنهما صفة لواحد، ومئة جلدة نائب مفعول مطلق؛ لأن المفعول المطلق ينوب عنه عدده، أي: ضربة، يقال جلده: ضرب جلده. ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتأخذكم فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وبهما متعلقان بتأخذكم، ورأفة فاعل، وفي دين الله متعلقان بتأخذكم أيضاً. ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ إن شرطية، وكنتم فعل ماض ناقص، والتاء اسمها، وهو في محل جزم فعل الشرط، وجملة تؤمنون بالله واليوم الآخر خبر كنتم، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، أي: فلا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وحكمه، والمراد بالشرط: التهييج، وإثارة الحفائظ على الزناة، والغضب لله ولدينه. وسيأتي في باب البلاغة المزيد من القول في هذه الآية. ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الواو عاطفة، واللام لام الأمر، ويشهد فعل مضارع مجزوم باللام، وعذابهما مفعول به مقدم، وطائفة فاعل مؤخر، ومن المؤمنين صفة لطائفة. وسيأتي القول عن المراد فيها. ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان أن الفاسق الخبيث الذي جعل الزنى ديدنه وهجّيراه لا يرغب في نكاح الصوالح، ذوات الصون والعفاف، وكذلك شأن الفاسقة الخبيثة، تأبى إلا الارتطام في مستوبل الأقذار. والزاني مبتدأ، وجملة لا ينكح خبر، وإلا أداة حصر، وسيأتي سرّ القصر على زانية. ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ جملة معطوفة على سابقتها، ومثيلتها في الإعراب، وزان فاعل حذفت ياؤه؛ لأنه اسم منقوص تحذف ياؤه في حالة التنوين رفعاً وجراً، وتثبت نصباً ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة،

مسوقة لبيان حكم المتشبهين بالفساق والمستهدفين لسوء القالة والطعن، وسيأتي القول في سرّ التحريم في باب الفوائد. ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ الواو استئنافية، مسوقة لبيان نوع آخر من حدود الزنى، والذين مبتدأ، سيأتي له ثلاثة أخبار، وجملة يرمون صلة الموصول، والمحصنات مفعول به، ثم لم يأتوا عطف على يرمون، وبأربعة متعلقان بيأتوا، وشهداء مضاف إليه جرّ بالفتحة لمنعه من الصرف لمكان ألف التأنيث منه ﴿ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ الفاء رابطة لجواب الموصول المتضمن معنى الشرط، واجلدوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به، وجملة فاجلدوهم خبر أول للذين، وثمانين مفعول مطلق، وجلدة تمييز، ولا تقبلوا عطف على فاجلدوهم، وهي بمثابة الخبر الثاني للذين، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لشهادة، وأبداً ظرف متعلق بتقبلوا، وأولئك الواو عاطفة، وأولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل، أو خبر ثان، والفاسقون خبر أولئك، أو خبر هم، والجملة بمثابة الخبر الثالث للذين. ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ إلا أداة استثناء، والذين مستثنى من الفاسقين، واختلف في هذا الاستثناء، فقيل: هو متصل؛ لأن المستثنى منه في الحقيقة الذين يرمون، والتائبون من جملتهم، لكنهم مخرجون من الحكم، وهذا شأن المتصل، وقيل: هو منقطع؛ لأنه لم يقصد إخراجه من الحكم السابق، بل قصد إثبات أمر آخر له وهو أن التائب لا يبقى فاسقاً، ولأنه غير داخل في صدر الكلام لأنه غير فاسق، وجملة تابوا صلة الموصول، ومن بعد ذلك متعلقان بتابوا، وأصلحوا عطف على تابوا، فإن الفاء تعليلية لما سبق، وإن واسمها، وغفور خبرها الأول، ورحيم خبرها الثاني.

□ البلاغة:

١ ـ الإيجاز بالحذف:

في قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا﴾ إيجاز بالحذف، وهو كما يراه عبد القاهر

الجرجاني، باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبن، ولكن عبد القاهر لم يصب كبد الحقيقة عندما أردف يقول: «ما من اسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره» ووجه عدم إصابته أن الذي ذكره لا يأتي في كل مبتدأ، وإنما يحسن في مبتدأ خبره وصف يقتضي المدح أو القدح، وتقبل المبالغة فيه، وتكون تلك المبالغة تفيد الموصوف معنى، وفي المبتدآت ما هو بخلاف ذلك، فإن قولنا «زيد قائم» لا نجد في وصف زيد بالقيام خصوصية يمتاز بها زيد عن غيره، فإن القيام يوصف به كل أحد إذا أريد به ضد القعود، ولا يقبل المبالغة، وليس هو من صفات المدح، ولا من صفات الذم، ولا هو مما يبلغ به الموصوف إلى أنه استحق الوصف به دون غيره، فإن كان القاضي ـ رحمه الله ـ أردا مبتدأ مخصوصاً فيحتمل، وإن كان أطلق فالأمر مشكل، والسبب فيما ذكر من حذفه غير معلوم.

ثم يعرض عبد القاهر أمثلة من الشعر الجيد لأبيات حذف المبتدأ فيها، كقول الشاعر:

سأشكرُ عمراً إن تراختْ منيّتي
أياديّ لم تُمْنَنْ وإن هي جلَّت
فتىً غير محجوب الغِنى عن صديقِه
ولا مظهر الشّكوى إذا النّعل زلَّت

والأصل: هو فتى.

٢ ـ النهي والشرط للتهييج:

المقصود من النهي في قوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم﴾ والشرط في قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ . . . الخ التهييج، وإثارة الغضب، وإلهاب الحفاظ على دين الله، وإن على المؤمنين الحراص على الاتسام بهذه السمة المشرقة أن يتصلبوا في

دينهم، وألاّ تأخذهم هوادة، أو لين في تنفيذ ما أمرهم الله به لاستيفاء حدوده، وقد ضرب رسول الله ﷺ المثل بنفسه وابنته، فقال: «لو سرقتْ فاطمة بنتُ محمد لقطعتُ يدها».

٣ ـ الحصر بإلا:

ظاهر النظم يوحي بأن الزاني لا ينكح المؤمنة العفيفة، وأن الزانية لا ينكحها المؤمن التقي، ولما كان ذلك غير ظاهر الصحة، كان لا بُدَّ من حمل الأخبار على الأعمّ الأغلب كما لا يفعل الخير إلا الرجل التقي، وقد بفعل الخير من ليس بتقي.

٤ ـ استعار الرمي للشتم بفاحشة الزنى لكونه جناية بالقول، كما قال النابغة:

... ... وجـرح اللسـانِ كجـرحِ اليـدِ

ويسمى الشتم بهذه الفاحشة: قذفاً، والمراد بالمحصنات: النساء، وخصصهن بالذكر؛ لأن قذفهن أشنع، والعار فيهن أعظم، ويلحق الرجال بالنساء في هذا الحكم، بلا خلاف بين علماء هذه الأمة.

* الفوائـد:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟﴾ الآية: إنما عدل الخليل وسيبويه إلى هذا الذي نقلناه من الإعراب لوجهين: لفظي، ومعنوي. أما اللفظي، فلأن الكلام أمر، وهو يخيل اختيار النصب، ومع ذلك فالرفع قراءة العامة، فلو جعل الأمر خبراً، وبنى المبتدأ عليه؛ لكان خلاف المختار عند الفصحاء، فالتجأ إلى تقدير الخبر حتى لا يكون المبتدأ مبنياً على الأمر، فخلص من مخالفة الاختيار، وقد مثلهما سيبويه في كتابه بقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ الآية، ووجه التمثيل أنه صدّر الكلام بقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ ولا يستقيم أن يكون قوله: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ خبره، فتعين تقدير خبره محذوفاً، وأصله فيما نقص عليكم مثل الجنة، ثم لما كان هذا إجمالاً لذكر المثل فصل

المجمل بقوله: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ إلى آخرها، فكذلك ها هنا، كأنه قال: وفيما فرض عليكم شأن الزانية والزاني، ثم فصّل هذا المجمل بما ذكره من أحكام الجلد، هذا بيان المقتضى عند سيبويه لاختيار الحذف من حيث الصناعة اللفظية، وأما من حيث المعنى فهو أن المعنى أتم وأكمل على حذف الخبر؛ لأنه يكون قد ذكر حكم الزانية والزاني مجملاً، حيث قال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ وأراد: وفيما فرض عليكم حكم الزانية والزاني، فلما تشوّف السامع إلى تفصيل هذا المجمل، ذكر حكمهما مفصلاً، فهو أوقع في النفس من ذكره أول وهلة.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الطائفة: الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة، وأقلها ثلاثة أو أربعة، وهي صفة غالبة، كأنها الجماعة الحافّة حول الشيء. وعن ابن عباس في تفسيرها: هي أربعة إلى أربعين رجلاً من المصدقين بالله. وعن الحسن: عشرة. وعن قتادة: ثلاثة فصاعداً. وعن عكرمة: رجلان فصاعداً. وعن مجاهد: أقلها رجل فصاعداً. وقيل: رجلان. وفضل قول ابن عباس لأن الأربعة هي الجماعة التي يثبت بها الحد، والتفصيل في كتب الفقه.

٣ ـ أقسام الزناة الأربعة[1]:

أ ـ الزاني لا يرغب إلا في زانية.

ب ـ الزانية لا ترغب إلا في زان.

جـ ـ العفيف لا يرغب إلا في عفيفة.

د ـ العفيفة لا ترغب إلا في عفيف.

وهذه الأقسام الأربعة مختلفة المعاني، وحاصرة للقسمة، فنقول: اختصرت الآية من هذه الأربعة قسمين، واقتصرت على قسمين أخرى من المسكوت عنهما، فجاءت مختصرة جامعة، فالقسم الأول صريح في القسم الأول ويفهم الثالث، والقسم الثاني صريح في القسم الثاني ويفهم الرابع،

(١) كذا في الأصل، وليس (ج ود) من أقسام الزناة!

والقسم الثالث والرابع متلازمان من حيث أن المقتضي لانحصار رغبة العفيف في العفيفة هو اجتماعهما في الصفة، وذلك بعينه مقتضٍ لانحصار رغبتها فيه، ثم يقصر التعبير عن وصف الزناة، والأعفاء بما لا يقلّ عن ذكر الزناة وجوداً وسلباً، فإنّ معنى الأول: الزانية لا ينكحها عفيف، ومعنى الثانية: العفيفة لا ينحكها زان، والسِّرُّ في ذلك أن الكلام في أحكامهم، فذكر الإعفاء لسلب نقائصهم حتى لا يخرج الكلام عما هو المقصود منه، ثم بيّنه في إسناد النكاح في هذين القسمين للذكور دون الإناث، بخلاف قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ فإنه جعل لكل واحد منهما ثم استقلالاً، وقدّم الزانية على الزاني ـ كما تقدم ـ والسبب فيه أن الكلام الأول في حكم الزنى، والأصل فيه المرأة لما يبدو منها من الإيماض، والإطماع، والكلام الثاني في نكاح الزناة إذا وقع ذلك على الصحة والأصل في النكاح الذكور، وهم المبتدئون بالخطبة، فلم يسند إلا لهم لهذا، وإن كان الغرض من الآية تنفير الأعفاء من الذكور والإناث مناكحة الزناة ذكوراً وإناثاً، زجراً لهم عن الفاحشة؛ ولذلك قرن الزنى والشرك.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان أحكام اللعان، وهو مبسوط في كتب الفقه. والذين مبتدأ، وجملة يرمون أزواجهم صلة، وحذف التاء أفصح؛ ولذلك جمع الزوج على أزواج، ويتعين

في الفرائض إثبات التاء، ومتعلق يرمون محذوف، أي: بالزنى، ولم: الواو حالية، أو عاطفة، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، ولهم خبر مقدم، وشهداء اسمها المؤخر، وإلا أداة حصر، وأنفسهم بدل من شهداء، ويجوز أن تكون إلا بمعنى غير، فتكون أنفسهم نعتاً لشهداء، وقد ظهر عليها إعراب إلا، على حدّ قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾. ﴿فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ الفاء واقعة في جواب اسم الموصول لتضمنه معن الشرط، وشهادة مبتدأ، وأحدهم مضاف إليه، وأربع شهادات خبر المبتدأ، وقرأ العامة بنصب أربع، فيكون خبر شهادة مقدر التقديم، أي: فعليهم شهادة، أو: مؤخر، أي: فشهادة أحدهم كائنة، أو واجبة، أو: هو خبر لمبتدأ محذوف، أي: فالواجب شهادة أحدهم، وأما نصب أربع فهو نصب على المصدر، والعامل فيه مصدر مثله، وقد ناب عن المصدر عدده، وبالله جار ومجرور متعلقان بشهادات، أو: بشهادة، فالمسألة من باب التنازع، وإن واسمها، وكسرت همزة إن لوجود اللام، واللام المزحلقة، ومن الصادقين خبر إن، وإن وما بعدها مفعول شهادات، أو: شهادة، أي: يشهد أنه صادق، وجملة «فشهادة أحدهم» خبر الذين. ﴿وَٱلْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ الواو اعتراضية، والخامسة مبتدأ، أي: الشهادة الخامسة، وأن وما بعدها في تأويل مصدر خبر، ولعنة الله اسم أن، وعليه خبر أن، وإن شرطية، وكان فعل الشرط، واسم كان مستتر، ومن الكاذبين خبر كان، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله، ويجوز أن تكون الواو عاطفة، والخامسة عطف على شهادة، وأن لعنة الله بدل من الخامسة، أو نصب بنزع الخافض، أي: بأن لعنة الله، والأول أسهل. ﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ جملة ويدرأ عطف على ما سبق، ويدرأ فعل مضارع معناه: يدفع، وعنها متعلقان به، والعذاب مفعول به، وأن تشهد في تأويل مصدر فاعل يدرأ،

وأربع شهادات نصب على المصدر، فهو نائب مفعول مطلق، وبالله متعلقان بشهادات، أو: بأن تشهد كما تقدم في الأولى، وإنه لمن الكاذبين تقدم إعرابها. ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ تقدم إعراب مثيلتها، فجدّد به عهداً. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ لولا حرف امتناع لوجود، وفضل الله مبتدأ، وخبره محذوف وجوباً كما تقدّم، وعليكم متعلقان بفضل، ورحمته عطف على فضل، وأن الله تواب: أن واسمها وخبرها، وهي معطوفة على فضل، وجواب لولا محذوف للدليل على أمر محذوف لا يكتنه لعظمه، وفداحته، ورُب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به.

□ البلاغة:

اشتملت هذه الآيات ـ بالإضافة إلى ما انطوت عليه من الأحكام والتشريع الصالح ـ على العديد من فنون البلاغة، وقد تقدم البحث فيها فنجتزىء بالإلماع إليها:

١ ـ الالتفات: في قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ فقد التفت من الغيبة إلى الخطاب لتسجيل المنّة على المخاطبين؛ بحيث لا تبقى لديهم أعذار واهية، يتشبثون بها إذا هم تجاوزوا حدود ما بيّنه لهم.

٢ ـ التغليب: فقد غلب صيغة الذكور على صيغة الإناث، حيث لم يقل: عليكم وعليكن؛ لأنه بصدد مخاطبة الفريقين، أي: القاذفين والمقذوفات.

٣ ـ الحذف: وقد تكرر حذف المتبدأ والخبر، كما رأيت في الإعراب، وحذف جواب لولا، أي: كأن يقول الله في بيانه: فلان صادق بالزنى لكون المقذوفة قد زنت في نفس الواقع، أو يقول فلان كاذب في قذفه؛ لكون المقذوفة لم تزن في نفس الواقع، وسدل الستار على ذلك كله؛ لأن الغرض الأسمى هو الصون، والصون يتطلب التحوّط، والتحوط يستدعي السكوت عما لا يحسن التصريح به.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ بِٱلۡإِفۡكِ ﴾: أبلغ ما يكون من الكذب، وقيل: هو البهتان، لا تشعر به حتى يفجأك، وأصله: الأفك، وهو: القلب؛ لأنه قول مأفوك عن وجهه.

﴿ كِبۡرَهُۥ ﴾: كِبْرُ الشيء ـ بكسر الكاف وسكون الباء ـ: معظمه، قال قيس بن الخَطيم يذكر امرأة:

تنامُ عن كِبْرِ شأنِها فإذا　　قامَتْ رُوَيْداً تكادُ تَنْغَرِفُ

○ **الإعراب:**

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ ﴾ الجملة مستأنفة للشروع في سرد قصة الإفك، وتقع في ثماني عشرة آية ستأتي باطراد، وهي تتعلق بعائشة ـ رضي الله عنها ـ وهي صالحة تستحق المديح والثناء، فمن رماها بالسوء فكأنه قلب الحقائق، وطمسها. وإن واسمها، وجملة جاؤوا صلة الموصول، وبالإفك متعلقان بجاؤوا، وعصبة خبر إن، ومنكم صفة لعصبة، أي: من المؤمنين ولو ظاهراً، فقد كان عبد الله بن أبيّ ـ وهو أحد الذين خاضوا في حديث الإفك ـ من كبار المنافقين، وجملة لا تحسبوه مستأنفة، والخطاب هنا للنبي ﷺ وأبي بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم، وستأتي قصة الإفك في باب الفوائد. ﴿ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۚ ﴾ لا جازمة، وتحسبوه مضارع مجزوم، والواو فاعل، والهاء مفعول به أول، وشراً مفعول به ثان، ولكم متعلقان بشر، وبل حرف عطف وإضراب، وهو مبتدأ، وخير خبر، ولكم متعلقان بخير، ووجه الخير فيه: ما يناله صاحب الابتلاء من مثوبة، ثم ظهور الكرامة، ونصوع الحق بإنزال ثماني عشرة آية في براءتكم، والتهويل بالوعيد لمن خاض فيه عن سوء نية، وقصد.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ لكل امرىء خبر مقدم، ومنهم صفة لامرىء، وما اسم موصول متبدأ مؤخر، وجملة اكتسب صلة، ومن الإثم متعلقان باكتسب. ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الواو استئنافية، والذي مبتدأ، وجملة تولى كبره صلة، أي: بالغ فيه، وضخّم الأمور، وزوّقها لسوء دخيلته، وشرّ طويته، ومنهم متعلقان بمحذوف حال، وهو عبد الله بن أبيّ المنافق، وله خبر مقدم، وعذاب عظيم مبتدأ مؤخر، والجملة خبر الذي.

* الفوائـد:

-حديث الإفك:

جاء في صحيحي البخاري ومسلم على لسان عائشة قالت: «كنت مع النبي ﷺ في غزوةٍ بعد ما أنزل الحجاب، ففرغ منها، ورجع، ودنا من المدينة، وأذن بالرحيل ليلة، فمشيت، وقضيت شأني، وأقبلت إلى الرحل، فإذا عقدي انقطع، فرجعت ألتمسه، وحملوا هودجي يحسبونني فيه، وكانت النساء خفافاً، إنما يأكلن العلقة من الطعام، ووجدت عقدي، وجئت بعد ما ساروا، فجلست في المنزل الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدونني، فيرجعون إليّ، فغلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان قد عرَّس من وراء الجيش، فأدلج للاستراحة، فسار منه، فأصبح في منزله، فرأى سواد إنسان نائم، فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمّرت وجهي، والله ما كلمْني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته، ووطىء على يدها، فانطلق يقودُ بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك مَن هلك فيّ، وكان الذي تولىّ كبره منهم عبد الله بن أبي ابن سلول.

ـ تفسير غريب الحديث:

١ ـ قوله في غزوة: قيل: هي غزوة المريسيع، وتسمى: غزوة بني المصطلق، وكانت في السنة الرابعة، وقيل في السادسة، وسببها، أن

رسول الله ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه، وقائدهم الحارث ابن أبي ضرار، أبو جويرية زوج النبي ﷺ، فلما سمع بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له: المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فاقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق، وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم، فأفاءها، وردّها عليهم.

٢ ـ يأكلن العُلْقة: ـ بضم العين وسكون اللام ـ: القليل من الطعام.

٣ ـ صفوان: هو الصحابي الجليل صفوان بن المعطل السلمي.

٤ ـ عرّس: بتشديد الراء المفتوحة، أي: نزل ليلاً للاستراحة، وهو خاصّ بآخر الليل.

٥ ـ أدلج: بتشديد الدال المفتوحة: سار من أول الليل.

٦ ـ باسترجاعه: أي: بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

٧ ـ خمّرت وجهي بجلبابي: أي: غطّيته بالملاءة.

٨ ـ ووطىء على يدها: أي: وضع رجله على ركبتها.

٩ ـ موغرين: «في القاموس» الوغرة: شدة الحر، ووغرت الهاجرة كوعد، وأوغروا: دخلوا فيها، والوغر ـ ويحرّك ـ: الحقد، والضغن، والعداوة، والتوقد من الغيظ. وقد وغر صدره كوعد، ووجل، وغراً ووَغَراً بالتحريك. وفي «المصباح»: «ووقع في أرض فلاة: صار فيها».

رواية المستشرقين: هذا وقد شغل حديثُ الإفك المستشرقين، فصاغوه في روايات شتى، نورد منها هنا للاطلاع رواية بروكلمن المستشرق الألماني صاحب كتاب «تاريخ الشعوب الإسلامية»، وفيما يلي نصّ تعريبه:

«وقام النبي خلال سنة (٦٢٧) أيضاً بحملات عدة على بعض القبائل البدوية، ولقد أبعد في إحداها حتى لقارب مكة، وكانت هذه الغزوات آمنة إلى حدّ ساعده على أن يصطحب فيها اثنتين من أزواجه، فاتفق مرة أن أضاعت زوجه المفضلة عائشة بنت أبي بكر ـ وكانت آنذاك في الرابعة عشرة

من عمرها ـ قلادتها، فخرجت تبحث عنها مساء، ففاتتها قوافل الغزاة، ولم تعد إلى المعسكر إلا في اليوم التالي، وبرفقتها شاب كانت قد عرفته من قبل، وتطرّق الشك في إخلاص عائشة إلى نفس النبي، فرّدها إلى بيت أبويها، ولكن الله لم يلبث أن برّأها بعد شهر واحد في إحدى الآيات الموحاة إلى النبي، مضيفاً في الوقت نفسه أنّ أيّ اتهام لامرأة بالخيانة الزوجية لا يؤيده أربعة شهود عيان يعتبر فرية، أو قذفاً، يستحق عليه صاحبه مئة جلدة، وكان عليّ صهر النبي أحد خصوم عائشة؛ الذين ألحوا عليه في طلاقها، وليس من شكّ في أن جذور العداء الذي تكشفت عنه عائشة لعلي بعد أن استخلف على المسلمين ترجع إلى هذه الحقبة.

ومهما يكن من شيء، فلم يكن لحادثة العقد هذه أدنى تأثير على وضع المرأة الاجتماعي في الإسلام كما يظن، فالحجاب الذي تصطنعه النساء المتزوجات كان عادة عربية قديمة، وكان النبي قد فرضه قبل هذه الحادثة لأسباب أخرى، والواقع أن الحجاب لم يحل بين النساء في الجاهلية وفي الإسلام أيضاً حتى عهد الأمويين وبين الظهور في الناس في كثير من الحرية والتأثير في المجتمع العربي تأثيراً مذكوراً في بعض الأحيان. إن مؤسسة الحريم التي وضع قواعدها العباسيون على غرار النموذج المسيحي البيزنطي، هي وحدها المسؤولة عن انحطاط المرأة في الشرق».

ولا تخلو رواية بروكلمن، على دقتها من خلل، وخطأ، وتحامل خفي يحاول صاحبه إخفاءه، ويأبى إلا أن يظهر، ومن ذلك قوله «فردّها إلى بيت أبويها».

ـ العودة إلى المدينة، واللغط في الحديث:

ولنعدْ إلى رواية عائشة نفسها في تتمة الحديث الآنف الذكر، قالت:

واشتكيت حين قدمنا المدينة شهراً، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، ويريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله فيسلّم ثم

يقول: «كيف تيكم؟» فذاك يريبني، ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت، وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع، ثم عدنا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح.

قلت: بئس ما قلت!! أتسّبين رجلاً قد شهد بدراً؟

قالت: أي هنتاه! أو لم تسمعي ما قال؟

قلت: وماذا قال؟

فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددتُ مرضاً إلى مرضي، فلما رجعتُ إلى بيتي استأذنت أن آتي أبوي، أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي.

قالت أمي: هوِّني عليك، فوالله لقلّما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، ولها ضرائر، إلا كثّرن عليها.

قلت: سبحان الله! وقد تحدّث الناس بهذا؟ فبكيتُ تلك الليلة، حتى أصبحتُ لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم.

ودعا رسولُ الله عليَّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الودّ، وقال لرسول الله: هم أهلك، ولا نعلم إلا خيراً.

وأما عليّ بن أبي طالب فقال: لم يضيِّق اللهُ عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك.

فدعا رسولُ الله بَرِيرَةَ يسألها: هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟ قالت: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قد أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله.

وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي.

فبينما نحن على ذلك دخل رسولُ الله فسلّم ثم جلس، وتشهّد ثم قال: «أما بعد يا عائشة، فإني قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنتِ بريئةً فسيبرئك الله، وإن كنت ألممتِ بذنب فاستغفري الله، وتوبي إليه؛ فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه».

فلما قضى رسولُ الله مقالته قلص دمعي، حتى ما أحسّ منه قطرة، فقلت لأبي: أجبْ عني رسول الله فقال: والله، ما أدري ماذا أقول لرسول الله.

فقلت لأمي: أجيبي عني، فقالت: كذلك والله، ما أدري ماذا أقول لرسول الله.

قلت: ـ وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن ـ: إني والله، لقد عرفتُ أنكم سمعتم بهذا حتى استقرّ في نفوسكم، وصدَّقتم به، فإن قلتُ لكم: إني بريئة لا تصدقوني، وإن اعترفتُ لكم بأمر، والله يعلم أني بريئة، لتصدقوني، وإني والله، ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

ثم تحولتُ فاضطجعتُ على فراشي، فوالله ما رام رسول الله مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز وجل على نبيه، فأخذه ما كان من البرحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي.

فلما سُرِّي عن رسول الله وهو يضحك، كان أول كلمة تكلم بها أن قال: «أبشري يا عائشة، أما الله فقد برأك».

قالت لي أمي: قومي إليه.

قلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي.

وكان أبو بكر ينفق على مسطح لقرابته منه، وفقره، فأقسم لا ينفق عليه شيئاً أبداً، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ...﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾؟

فقال أبو بكر: والله، إني لأحب أن يغفر الله لي. ورجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه.

هذا؛ وسيأتي في بقية الآيات ما يتعلق بهذا الحديث.

﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾

○ **الإعراب:**

﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ كلام مستأنفة للشروع في زجر الخائضين في الإفك، وتوبيخهم على ما أرجفوا به، وستأتي تسعة زواجر مترادفة، وهذا هو الزاجر الأول. ولولا حرف تحضيض متضمن معنى الزجر والتوبيخ، وذلك كثير في اللغة إذا دخلت على الفعل، كقوله تعالى: ﴿لولا أخرتني﴾ وإذا ظرف لما مضى من الزمن متعلق بظن، وجملة سمعتموه في محل جر بإضافة الظرف إليها، وظن المؤمنون فعل وفاعل، والمؤمنات عطف، وبأنفسهم متعلقان بخيراً، وخيراً مفعول به ثان. ﴿ وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ وقالوا عطف على ظن، وهذا مبتدأ، وإفك خبر، ومبين صفة، و الجملة الاسمية مقول القول، وسيأتي القول في الالتفات الرائع بهذه الآية. ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ ﴾ لولا حرف تحضيض ثان، وهذا هو الزاجر الثاني، وجاؤوا فعل وفاعل، وعليه متعلقان بشهداء، وبأربعة متعلقان بجاؤوا، وشهداء مضاف إليه، فإذ: الفاء عاطفة، وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بالكاذبون، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويأتوا فعل مضارع مجزوم بلم، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها،

وبالشهداء متعلقان بيأتوا. ﴿فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ الفاء رابطة، وأولئك مبتدأ، وعند الله متعلقان بمحذوف حال، أي: في حكمه، وهم مبتدأ ثان، أو ضمير فصل، والكاذبون خبر أولئك، أو خبر هم، والجملة خبر أولئك. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ الواو عاطفة، ولولا حرف امتناع لوجود، وفضل الله مبتدأ، حذف خبره وجوباً، وهذا هو الزاجر الثالث، وعليكم متعلقان بفضل، ورحمته عطف على فضل، وفي الدنيا متعلقان بمحذوف حال، والآخرة عطف على الدنيا. ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ اللام واقعة في جواب لولا، ومسكم فعل ومفعول به، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وفيما متعلقان بمسكم، وجملة أفضتم فيه صلة، و«ما» عبارة عن حديث الإفك، والإفاضة: الاندفاع، والخوض، ويصح أن تكون ما مصدرية، أي: لمسكم بسبب إفاضتكم، وخوضكم في الإفك، وفيه متعلقان بأفضتم، وعذاب فاعل، وعظيم صفة. ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ وهذا هو الزاجر الرابع، وإذ ظرف متعلق بمسكم، أو بأفضتم، وتلقونه فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه، وهو مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، والهاء مفعول به، والتلقي، والتلقف، والتلقن معان متقاربة، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها، والمراد يرويه بعضكم عن بعض، وبألسنتكم متعلقان بتلقونه، وتقولون عطف على تلقونه، وبأفواهكم متعلقان بتقولون، وما مفعول تقولون، وجملة ليس صلة الموصول، وليس فعل ماض ناقص، ولكم خبر، وبه متعلقان بعلم، وعلم اسم ليس. ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ وتحسبونه فعل مضارع وفاعل ومفعول به أول، وهيناً مفعول به ثان، والواو للحال، وهو مبتدأ، وعند الله حال، وعظيم خبر هو، والجملة حالية.

□ البلاغة:

١ ـ التعبير بالأنفس عن الآخرين:

التعبير بالأنفس عن الآخرين ينطوي على أبعد النكت مرمى، وأكثرها

حفولاً بالمعاني السامية، فهو أولاً يهيب بالمؤمنين إلى التعاطف، وإجراء التوبيخ على النفس بدلاً من أن يذكره بسوء، وذلك أدعى إلى اصطناعه، وجعله محمولاً على الموالاة والاصطفاء، وذلك بتصويره بصورة من أخذ يقذف نفسه، ويرميها بما ليس فيها من الفاحشة. وروي أن أبا أيوب الأنصاري قال لامرأته: ألا ترين مقالة الناس؟ قالت له: لو كنت بدل صفوان أكنت تخون في حرمة رسول الله ﷺ سوءاً؟ قال: لا، قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنته، وصفوان خير منك، وعائشة خير مني.

وهذا صحيح كل الصحة، وبراءة عائشة واضحة، ومفهومة بالبداهة لدى كل منصف يفهم أن امرأة كعائشة لا تعرض نفسها لهذه الريبة أمام جيش، وفي وضح النهار، ولغير ضرورة مع رجل من المسلمين يتقي ما يتقيه المسلم في هذا المقام من غضب النبي، وغضب المسلمين، وغضب الله، فتلك خلة تترفع عنها من هي أقل من عائشة منبتاً، ومنزلة، وخلقاً، وأنفة، فكيف بها في مكانها المعلوم؟! وهذا هو المفهوم للتعبير عن الآخرين من المؤمنين بالنفس، الذي حدا بامرأة أبي أيوب الأنصاري إلى أن تنزل زوجها منزلة صفوان، ونفسها منزلة عائشة، ثم تثبت لنفسها ولزوجها البراءة والأمانة، حتى تثبت لصفوان وعائشة بطريق الأولى.

وهو ثانياً يحتمل أن يكون التعبير بالأنفس حقيقة، والمقصود: إلزام سيىء الظن بنفسه؛ لأنه لم يعتد بنوازع الإيمان ووزائعه في حق غيره، وألفاه، واعتبره في حق نفسه، وادعى لها البراءة قبل معرفته بحكم الهوى، لا بحكم الهدى.

٢ ـ الالتفات:

وفي الكلام عدول عن الخطاب إلى الغيبة، وعن الضمير إلى الظاهر، وسياق الحديث أن يقول: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟﴾ وإنما اقتضت البلاغة هذا الالتفات، والعدول عن الضمير إلى الظاهر للمبالغة في التوبيخ، وليصرح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه

يقتضي ألا يصدق مؤمن على أخيه، ولا مؤمنة على أختها قول عائب، ولا طاعن، وهذا ما فعله النبي ﷺ، وكان جديراً بالآخرين الاحتذاء به: سمع حديثاً يلاك بين المنافقين، ويسري إلى المسلمين، بل إلى خاصة ذويه الأقربين، حديثاً يسمعه رجل كعلي بن أبي طالب في نبرته تحيّز، فلا يرى بعده حرجاً من الطلاق، والنساء كثيرات، سمع النبي ذلك الحديث المريب فلم يقبله بغير بينة، ولم يرفضه بغير بينة، وكان عليه أن يعود زوجه المريضة، أو يجفوها إلى حين، فعادها وبه من الرفق والإنصاف ما يأبى عليه أن يفاتحها في مرضها بما يخامر نفسه الكريمة، وبه من الموجدة والترقب ما أبى عليه أن يقابلها بما كان يقابلها به، والنفس صافية كل الصفاء، وظل يسأل عنها سؤال متعتب ينتظر أن تشفى، وأن تأتيه البينة، فيشتد كل الشدة، أو يرحم كل الرحمة، ولا يعجله لغط الناس أن يأخذ في هذا الموقف الأليم بما توجبه الحمية، وما توجبه المروءة في آن.

ـ عبد الله بن أبيّ ومسطح:

وإذا قيل: إن عبد الله بن أبيّ كان من أصحاب العصبية التي يحسب حسابها، وتتقى بوادرها، فماذا يقال في مسطح وهو مكفول أبي بكر، وصنيعته الذي يأكل من ماله؟ ما الذين أنجاه من السخط والعقاب، وكفل له دوام البر والمعونة لولا سماحة النبي الكريم، وسماحة أبي بكر، وسماحة القرآن؟!

٣ ـ المبالغة:

تقدم في البحث في مثل هذا التعبير: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ والقول لا يكون إلا بالفم، فما معنى ذكر الأفواه؟ ونعيد القول: إنه ـ هنا ـ للمبالغة والتعريض بأنه ربما يتشدق ويقضي تشدق جازم عالم، وهذا أشد وأقطع، ومعناه: أن الشيء المعلوم يكون وعلمه في القلب، فيترجم عنه اللسان، وهذا الإفك ليس إلا قولاً يجري على ألسنتكم، ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علمٍ به في القلب.

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا ﴾ وهذا هو الزاجر الخامس، ولولا حرف تحضيض وتوبيخ، وإذ ظرف متعلق بقلتم، أي: كان ينبغي لكم بمجرد السماع الأول أن تقولوا: ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا، وأن تقولوا: سبحانك.

وقال الزمخشري: «فإن قلت: كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم بالظرف؟ قلت: للظروف شأن، وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها، وأنها لا تنفك عنها، فبذلك يتسع فيها مالا يتسع في غيرها».

ورد عليه أبو حيان فقال: «وهذا يوهم اختصاص ذلك بالظرف، وهو جار في المفعول به، تقول: لولا زيداً ضربت، ولولا عمراً قتلت».

وسيأتي سرّ تقديم الظرف في باب البلاغة.

وجملة سمعتموه مضاف إليها الظرف، وجملة قلتم لا محل لها لأنها ابتدائية، وما نافية، ويكون فعل مضارع ناقص، ولنا خبرها المقدم، وأن وما في حيزها اسمها المؤخر، وبهذا متعلقان بنتكلم، وسبحانك مفعول مطلق، وجملة سبحانك في محل نصب حال لأن معناه: التعجب، والمعنى: هلا قلتم ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا حال كونكم متعجبين من هذا الأمر العجيب الغريب. ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ وهذا مبتدأ، وبهتان خبر،

وعظيم صفة ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ وهذا هو الزاجر السادس ويعظكم، وقد ضمن معنى فعل يتعدى بعن، ثم حذف الجار، أي: ينهاكم عن العودة، وهي فعل مضارع ومفعول به، والله فاعل، وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض، ولمثله متعلقان بتعودوا، وأبداً ظرف زمان متعلق بتعودوا أيضاً، وقيل: لا تضمين في معنى يعظكم، وأن وما بعدها مفعول لأجله على حذف مضاف، أي: كراهة أن تعودوا، وإن شرطية، وكنتم: كان واسمها، ومؤمنين خبرها، وجواب الشرط محذوف، أي: إن كنتم مؤمنين فلا تعودوا لمثله. ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الواو عاطفة، ويبين الله فعل وفاعل، ولكم متعلقان بيبين، والآيات مفعول به، والله مبتدأ، وعليم حكيم خبران لله. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لإيراد الزاجر السابع، وإن واسمها، وجملة يحبون صلة، وأن وما في حيزها مفعول يحبون، والفاحشة فاعل، وفي الذين آمنوا متعلقان بتشيع. ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ لهم خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية خبر إن، وأليم صفة، وفي الدنيا والآخرة صفة ثانية، ففي الدنيا ثبت بالحد للقذف، وسيأتي في باب الفوائد تفصيل ذلك. والله مبتدأ، وجملة يعلم خبر، وأنتم مبتدأ، وجملة لا تعلمون خبر. ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وهذا هو الزاجر الثامن، ولولا امتناعية، وفضل الله عليكم مبتدأ محذوف الخبر وجوباً، ورحمته عطف على فضل، وأن الله رؤوف رحيم عطف على فضل الله، وجواب لولا محذوف، أي: لعاجلكم بالعقوبة.

* الفوائد:

ثبت أن النبي ﷺ حدَّ القاذفين الأربعة، وهم: عبد الله بن أبيّ، وحسان بن ثابت، ومسطح، وحمنة بنت جحش، وقعد صفوان لحسان بن ثابت، وضربه بالسيف فكف بصره، وفي ذلك يقول:

تـوقَّ ذبـابَ السيـفِ عنِّـي فـإنَّنـي
غـلامٌ إذا هُـوجِيـتُ لسـت بشـاعـر
ولكنّنـــي أحمـــي حِمـــاي وأتَّقـــي
من الباهتِ الرّامي البريء الظّواهر

وأنشد حسان بن ثابت أبياتاً يثني فيها على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ويبرئها مما نُسِب إليها، ومنها:

حَصَـانٌ رَزَانٌ مـا تُـزَنُّ بـريبـةٍ وتصبحُ غَرْثى من لحومِ الغوافلِ
حليلةُ خير الناس ديناً ومنصباً نبيّ الهدى والمكرماتِ الفواضلِ
عقيلةُ حيّ من لؤي بن غالب كرام المساعي مجدُها غير زائلِ
مهـذّبـةٌ قـد طيَّـب اللهُ جنيهـا وطهَّرها من كل شين وباطلِ
فإن كان ما بُلِّغْتِ عني قلتُه فلا رفعتْ سوطي إليَّ أناملي
وكيف ووُدِّي ما حييتُ وَنُصْرَتِي لآلِ رسولِ الله زَيْنِ المحافلِ
له رتبٌ عال على الناسِ فَضْلُها تقـاصرَ عنهـا سـورةُ المتطـاولِ

□ البلاغة:

١ ـ التقديم والتأخير:

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم﴾. الخ قدم الظرف لفائدة هامة، وهي: بيان أنه كان من الواجب أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به، فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم. ولعبد القاهر في «دلائل الإعجاز» بحث عن التقديم والتأخير يقول فيه: باب التقديم والتأخير من الأبواب التي تظهر بها مزية الكلام، ويعلو بها أسلوب على أسلوب، ويبدو بها إعجاز القرآن.

٢ ـ سرّ التعجب:

في كلمة التعجب ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ سر عجيب، وهو أن الأصل في ذلك أن

يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه، ثم كثر حتى استعمل عند كل متعجب منه.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ خُطُوَٰتِ ﴾: جمع خطوة، بفتح الخاء وضمها وسكون الطاء، وكل ما كان على وزن فعل بكسر الفاء، أو بفتح الفاء مع سكون العين جاز لنا إذا أردنا أن نجمعه جمعاً مؤنثاً سالماً الإتباع والفتح والتسكين، فنقول في خطوة: خُطُوات، وخُطَوات، وخُطْوات.

﴿ زَكَىٰ ﴾: طهر من دنس.

﴿ يَأۡتَلِ ﴾: في «المختار»: «وآلى يؤلي إيلاء: حلف، وتألى، وائتلى مثله. قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ ﴾ والألية: اليمين، وجمعها: ألايا» وقيل: هو من قولهم: ما ألوت جهداً؛ إذا لم تدخر شيئاً.

﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾: السليمات الصدور، النقيات القلوب، اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر؛ لأنهن لم يجربن الأمور، ولم يرزن الأحوال، فلا يفطن لما تفطن له المجرّبات العرّافات. قال:

ولقد لهوتُ بطَفْلةٍ ميالةٍ		بلهاء تُطلعني على أسرارِها

لهوت: تلاهيت، ولعبت بطَفْلة بالفتح، أي: امرأة ناعمة لينة، يقال: امرأة طفلة الأنامل، أي: رخصتها لينتها، وميالة: مختالة، وبلهاء: غافلة، لا مكر عندها، ولا دهاء، فلذلك تطلعني على ضمائرها.

○ الإعراب:

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وهذا هو الزاجر التاسع والأخير، ولا ناهية، وتتبعوا فعل مضارع مجزوم بلا، وخطوات الشيطان مفعول به. ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ الواو استئنافية، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويتبع فعل الشرط، وخطوات الشيطان مفعول به، والفاء رابطة لجواب الشرط؛ لأنه جملة اسمية، وإن واسمها، وجملة يأمر بالفحشاء والمنكر خبرها، والضمير في إنه يعود على الشيطان، أو على المتبع، والأول أظهر. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ لولا امتناعية، وقد تقدم إعرابها، وما نافية، وزكى فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو، يعود على الله، ومنكم حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لأحد، ومن حرف جر زائد، وأحد مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به، وأبداً ظرف متعلق بزكى. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الواو عاطفة، ولكن واسمها، وجملة يزكي خبرها، ومن يشاء مفعول يزكي، والله مبتدأ، وسميع خبر أول، وعليم خبر ثان، أي: أنه سبحانه سميع لمقالهم عليم بنياتهم. ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ﴾ تقدم القول مُسهباً في سبب نزول هذه الآية، وأنها نزلت في شأن مسطح بن أثاثة بضم الهمزة وفتحها. ولا ناهية، ويأتل فعل مضارع مجزوم بلا، وأولو فاعل ملحق بجمع المذكر

السالم، والفضل مضاف إليه، ومنكم حال، والسعة عطف على الفضل، وأن يؤتوا: أن وما في حيزها نصب بنزع الخافض مع حذف لا النافية، والتقدير: على ألاّ يؤتوا، وأولي القربى مفعول، وما بعدها عطف عليه. ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الواو عاطفة، واللام لام الأمر، ويعفوا مضارع مجزوم بلام الأمر، وليصفحوا عطف، والهمزة للاستفهام، ولا نافية، وتحبون فعل مضارع مرفوع، وأن وما في حيزها مفعول تحبون، والله فاعل، ولكم متعلقان بيغفر، والله مبتدأ، وغفور خبر أول، ورحيم خبر ثان. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقريع الخائضين في الإفك، ووعيدهم الشديد، وعتابهم البليغ. وإن واسمها، وجملة يرمون المحصنات صلة، والمحصنات مفعول به، والغافلات المؤمنات عطف على المحصنات، وجملة لعنوا خبر إن، وفي الدنيا والآخرة متعلقان بلعنوا، ولهم خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وعظيم صفة. ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الظرف متعلق بالاستقرار الذي تعلق به ﴿وَلَهُمْ﴾ ويجوز تعليقه بالمصدر، وهو عذاب؛ لأن الظروف يتسع فيها مالا يتسع في غيرها، وجملة تشهد في محل جر بإضافة الظرف إليها، وعليهم متعلقان بتشهد، وألسنتهم فاعل، وأيديهم وأرجلهم عطف على ألسنتهم، وبما جار ومجرور متعلقان بتشهد، وجملة كانوا لا محل لها لأنها صلة، ولك أن تجعل ما مصدراً، وكان واسمها، وجملة يعملون خبرها، وقد مرت لها نظائر. ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ الظرف متعلق بيعلمون، أو بيوفيهم، وقد تقدم البحث في إضافة إذ للظرف، والتنوين اللاحق لإذ، ويوفيهم الله فعل مضارع ومفعول به وفاعل، ودينهم مفعول به ثان، والحق نعت لدينهم، والمراد بدينهم الحق: جزاؤهم الواجب عليه، وفي الحديث: «كما تدين تدان». ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ ويعلمون عطف على يوفيهم، وأن وما في حيزها سدّت مسدّ مفعولي يعلمون، وهو ضمير فصل، أو مبتدأ، والحق خبر أن، أو خبر هو، والجملة الاسمية خبر أن، والمبين صفة.

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان سنة الله في خلقه في أن يسوق كل صنف إلى صنفه، وأن يقع كل طير على شكله. والخبيثات مبتدأ، وللخبيثين خبره، وما بعده عطف عليه، وسيرد معنى ذلك في باب البلاغة. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ أولئك مبتدأ، والإشارة إلى الطيبين، وسيأتي المزيد من هذا المعنى في باب البلاغة. ومبرؤون خبر أولئك، ومما متعلقان بمبرؤون لأنه اسم مفعول، وجملة يقولون صلة، ولهم خبر مقدم، ومغفرة مبتدأ مؤخر، والجملة خبر ثان لأولئك، ورزق كريم عطف عليه.

□ **البلاغة:**

١ ـ المجاز العقلي في شهادة الأيدي والأرجل، وقد تقدم بحثه مستوفى.

٢ ـ أراد بالمحصنات العموم، وإن كان الحديث مسوقاً عن عائشة، والمقصود بذكرهن على العموم وعيد من وقع في عائشة على أبلغ الوجوه؛ لأنه إذا كان هذا وعيد قاذف آحاد المؤمنات، فما الظن بوعيد من وقع في قذف سيدتهن؟! على أن تعميم الوعيد أبلغ وأقطع من تخصيصه، ولهذا عمّمت زليخا حين قالت: ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فعممت، وأرادت يوسف تهويلاً عليه، وإرجافاً.

٣ ـ يحتمل أن يراد بالخبيثات: النساء، وبالخبيثين: الرجال، فيكون الكلام جارياً على حقيقته، ويجوز أن يراد: الكلمات التي صيغ منها الإفك، فيكون الكلام مجازاً بالاستعارة التصريحية.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

○ الإعراب:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان ما يترتب على مخالطة الرجال بالنساء، ودخولهم عليهن في أوقات خلواتهن. ولا ناهية، وتدخلوا فعل مضارع مجزوم بلا، وبيوتاً مفعول به على السعة، وقد تقدم بحث ذلك، وغير بيوتكم صفة لبيوتاً، وحتى حرف غاية وجر، وتستأنسوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، ومعنى الاستئناس: الاستئذان على طريق الكناية، وسيأتي تفصيل ذلك في باب البلاغة، وتسلموا عطف على تستأنسوا، وعلى أهلها متعلقان بتسلموا. ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ذلكم مبتدأ، وخير خبر، ولكم متعلقان بخير، ولعل واسمها، وجملة تذكرون خبر لعل، وجملة ذلكم مستأنفة، وجملة لعلكم تذكرون حال معللة لفعل محذوف، أي: أنزل عليكم هذا آملين أن تتذكروا. ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتجدوا مضارع مجزوم بلم، وفيها متعلقان بتجدوا، وأحداً مفعول به، فلا تدخلوها: الفاء رابطة لجواب الشرط، ولا ناهية، وتدخلوها مضارع مجزوم بلا الناهية، وحتى حرف غاية وجر، ويؤذن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، ويؤذن مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، ولكم متعلقان بيؤذن. ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وقيل لكم فعل الشرط، وجملة ارجعوا مقول القول، فارجعوا: الفاء رابطة لجواب الشرط؛ لأنه طلبي، وهو مبتدأ، وأزكى لكم خبر، والجملة مستأنفة، والله: الواو استئنافية، والله مبتدأ، وبما تعملون متعلقان بعليم، وعليم خبر الله.

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ ﴾ ليس فعل ماض ناقص، وعليكم خبر ليس المقدم، وجناح اسمها المؤخر، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، أي: في أن تدخلوا، والجار والمجرور صفة لجناح، وبيوتاً مفعول به على السعة، وغير مسكونة نعت لبيوتاً، وفيها خبر مقدم، ومتاع لكم مبتدأ مؤخر، والجملة صفة ثانية لبيوتاً.
﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ والله: الواو استئنافية، والله مبتدأ، وجملة يعلم خبر، وما مفعول به، وجملة تبدون صلة، وما تكتمون عطف على ما تبدون.

□ البلاغة:

١ ـ الكناية في قوله تستأنسوا: فإن أصل معناها: الاستئناس، وهو ضد الاستيحاش؛ لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا، فهو متردّد، مستطار القلب، مستوحش، أو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له بالدخول استأنس، وزايله تردّده، واستطارة قلبه، وقد أريد المعنى البعيد منه، وهو: الاستئذان.

٢ ـ الإرداف، وقد تقدم أنه هو: أن يريد المتكلم معنى، فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له، ولا بلفظ الإشارة الدال على المعاني الكثيرة، بل لفظ هو ردف المعنى الخاص، وتابعه قرب من لفظ المعنى الخاص قرب الرديف من الردف، وواضح أن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن، فوضع موضع الإذن، ويجوز أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف، من أنس الشيء: إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً، وعليه يكون المعنى حتى تستعلموا، وتستكشفوا الحال، هل يراد دخولكم أم لا؟ والوجه الأول هو البين، وسرّ التجوز فيه، والعدول إليه عن الحقيقة ترغيب المخاطبين في الإتيان بالاستئذان بواسطة، وسيأتي في باب الفوائد مزيد بحث عن الاستئذان.

* الفوائـد:

في القرطبي سبب نزول هذه الآية، كما روى الطبراني وغيره عن عدي بن ثابت: أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله ﷺ إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل علي، وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي، وأنا على تلك الحال، فنزلت هذه الآية، فقال أبو بكر: يا رسول الله أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن، فأنزل الله: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ... ﴾ الآية.

وعن أبي موسى الأشعري: أنه أتى باب عمر ـ رضي الله عنهما ـ فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ قالها ثلاثاً، ثم رجع، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الاستئذان ثلاثاً».

واستأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: أألج؟ فقال ﷺ لامرأة يقال لها روضة: «قومي إلى هذا فعلّميه، فإنه لا يحسن أن يستأذن، قولي له: يقول السلام عليكم أأدخل؟» فسمعها الرجل فقالها، فقال: «ادخل».

وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم إذا دخل بيتاً غير بيته: حييتم صباحاً، وحييتم مساء، ثم يدخل، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحافٍ واحد، فصدّ الله عن ذلك، وعلم الأحسن والأجمل.

أما البيوت التي استثناها الله، فهي غير المسكونة نحو الفنادق، والربط المسبلة، وحوانيت البياعين، والمنازل المبنية للنزول، وإيواء المتاع فيها، واتقاء الحر والبرد، وقيل: بيوت التجار وحوانيتهم في الأسواق يدخلها للبيع والشراء.

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ

وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

☆ **اللغـة:**

﴿يَغْضُضْنَ﴾: الغض: إطباق الجفن بحيث تمتنع الرؤية، وفي «المصباح»: «غض الرجل صوته، وطرفه، ومن صوته، ومن طرفه غضاً، من باب قتل: خفض، ومنه يقال: غض من فلان غضاً، وغضاضة: إذا انتقصه». وقد أدغم في الأول أحد المثلين في الثاني بخلاف الثاني؛ لأن الثاني في يغضضن متحرك، فأدغم فيه الأول، وفيما سيأتي ساكن، فلم يتأت إدغام الأول فيه، قال جرير:

فغضّ الطَّرْفَ إنَّكَ من نُمَيْرٍ فـلا كعبـاً بَلَغْـتَ ولا كِـلابـا

﴿زِينَتَهُنَّ﴾: الزينة: ما تزينت به المرأة من حلي، أو كحل، أو خضاب، فما كان ظاهراً منها كالخاتم والفَتَخة ـ بالتحريك ـ وهي حلقة من فضة لا فص فيها، فإذا كان فيها فص فهو الخاتم، والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للأجانب، وما خفي منها كالسوار، والخلخال، والدملج، والقلادة، والإكليل، وهو ـ كما في الصحاح ـ يشبه عصابة تزين بالجوهر، ويسمى التاج: إكليلاً، والوشاح، والقرط، فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين.

﴿بِخُمُرِهِنَّ﴾: الخُمُر ـ بضم الخاء والميم ـ جمع خِمار ـ بكسر الخاء ـ وهو ما تغطي به المرأة رأسها، والستر عموماً، ويجمع على أخمرة، وخُمْر ـ بضم الخاء وسكون الميم ـ وخُمُر بضمتين.

﴿جُيُوبِهِنَّ﴾: جمع جيب، والجيب من القميص: طوقه، والقلب، والصدر، وعند العامة الجيب: هو كيس يخاط في جانب الثوب من الداخل، ويجعل فمه من الخارج.

﴿أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ﴾: أصحاب الإربة، والإربة: الحاجة، وفي «المصباح»: «الأَرَب: بفتحتين، والإربة بالكسر، والمأربة بفتح الراء وضمها: الحاجة، والجمع: المآرب، والأرب في الأصل مصدر، من باب: تعب، يقال: أرب الرجل إلى الشيء: إذا احتاج إليه، فهو آرب على فاعل، والإرْب ـ بالكسر ـ يستعمل في الحاجة، وفي العضو، والجمع: آراب، مثل: حمل، وأحمال».

○ الإعراب:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة، يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجاً كلياً. وقل فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، ومفعوله محذوف، وهو أمر آخر مثله، وقد حذف لدلالة جوابه عليه، وهو يغضوا من أبصارهم، ويغضوا فعل مضارع جزم؛ لأنه جواب الأمر المحذوف، وهو غضوا، أو مقول القول، ومن أبصارهم: قال الزمخشري: «من للتبعيض، والمراد: غض البصر عما يحرم، والاقتصار على ما يحلّ، وجوز الأخفش أن تكون مزيدة، وأباه سيبويه». ويجوز أن تكون للبيان، أو لابتداء الغاية، وعلى كل حال، فهي متعلقة بيغضوا، وسيأتي السبب في دخول من على الأبصار دون الفروج في باب البلاغة، ويحفظوا عطف على يغضوا، وفروجهم مفعول به. ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ذلك مبتدأ، وأزكى خبره، ولهم متعلقان بأزكى، وإن واسمها وخبرها، وبما متعلقان بخبير، وجملة يصنعون لا محل لها. ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ تقدم إعراب نظيرتها، أي: فلا يحلّ للرجل أن ينظر إلى المرأة، ولا للمرأة أن تنظر إلى الرجل؛ فإن علاقتها به كعلاقته بها، وقصدها منه كقصده منها، ومن طريف ما يلفت النظر أن هذه

الآية اشتملت على عدد كبير من ضمائر الإناث، وقد بلغت عدتها خمسة وعشرين ضميراً ما بين مرفوع ومجرور، ولم يوجد لها نظير في القرآن في هذا الصدد. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ الواو حرف عطف، ويبدين عطف على يغضضن، فهو مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة في محل جزم، والنون فاعل، وزينتهن مفعول به، وإلا أداة حصر، وما بدل من زينتهن، وجملة ظهر منها صلة، والمراد بالظاهر: الوجه والكفان، فيجوز أن ينظرها الأجنبي إن لم يخف فتنة، كما هو مقرر في علم الفقه. ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ الواو عاطفة، واللام لام الأمر، ويضربن فعل مضارع مبني على السكون في محل جزم باللام، والنون فاعل، وبخمرهن: الباء زائدة، أو تبعيضية، أي: يلقين خمرهن على جيوبهن، أي: يسترن الرؤوس، والأعناق، والصدور بالمقانع، جمع: مقنعة، أو مِقنع بكسر الميم فيهما، وهي: ما يغطّى به الرأس. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، ويبدين مضارع مبني في محل جزم، والنون فاعل، وزينتهن مفعول به، وإلا أداة حصر، ولبعولتهن متعلقان بيبدين، وهذه المستثنيات اثنا عشر نوعاً آخرها الطفل. ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ كلهن معطوفات. ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ غير صفة للتابعين، والمراد بالتابعين: غير أولي الإربة موضع خلاف، قال ابن عباس: التابع: هو: العنين الأحمق، وقيل: هو الذي لا يستطيع غشيان النساء، ولا يشتهيهن، وقيل: هو المجبوب، وقيل: هو الشيخ الهرم الذي ذهبت شهوته، وقيل: هو المخنث. أقول: والعنين والمخنث هو: المشبه بالنساء، والشيخ الهرم، وأما المجبوب فهو: الذي بقي أنثياه، والخصي هو: الذي بقي ذكره. ومن الرجال حال، وأو حرف عطف، والطفل معطوف على ما تقدم، وهو بمعنى الأطفال، فأل جنسية، والطفل يطلق على الواحد والمجموع؛ فلذلك وصف بالجمع، وقيل: لما قصد الجنس روعي فيه الجمع، والذين

صفة، وجملة لم يظهروا صلة، وعلى عورات النساء متعلقان بيظهروا. ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ الواو عطف على ما تقدم، ولا ناهية، ويضربن فعل مضارع مبني في محل جزم بلا، والنون فاعل، وبأرجلهن متعلقان بيضربن، كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها، فيعلم أنها ذات خلخال، وقيل: كانت تضرب بإحدى رجليها الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين، فإن ذلك يورث الرجال ميلاً إليهن، ويوهم أن لهن ميلاً إلى الرجال. وقال الزجاج: «وسماع صوت هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائها».

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الواو عاطفة، وتوبوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وإلى الله متعلقان بتوبوا، وجميعاً حال، وأيها المؤمنون منادى نكرة مقصودة، وقد تقدم إعرابه، ولعل واسمها، وجملة تفلحون خبرها، وقد رسمت في المصحف دون ألف، والرسم سنة متبعة.

□ **البلاغـة:**

من الأسرار التي تدقّ على الأفهام دخول من الجارة على غض الأبصار دون الفروج في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ والسر في ذلك أن أمر النظر واسع، لا يني يسرح في مراتع الجمال، ومواطن الفتنة، قال الزمخشري بهذا الصدد: «ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن، وصدورهن، وثديهنّ، وأعضادهن، وسوقهن، وأقدامهن، وكذلك الجواري المستعرضات للبيع، وأما أمر الفروج فمضيق».

ومن هذه الأسرار تقديم غضّ الأبصار على حفظ الفروج في الآية نفسها، وفي الآية التي تليها، والسر فيه: أن النظر بريد الزنى، ورائده الذي لا يخطىء. وقد أفاض الشعراء في القديم والحديث فيما تُحْدِثه النظرة من

إلهاب نار الحب، وتأريث الحرقة؛ التي تدفع إلى ارتكاب المحرم، ومن أجمل ما قيل فيه قول ابن زيدون:

حسنٌ أفانين لم تستوفِ أعيننا
غاياته بأفانين من النَّظَر

وقال ابنُ الرومي:

عيني لعينك حين تنظرُ مقتلُ　　لكن لحظك سهمُ حتفٍ مرسل
ومن العجائبِ أنَّ معنى واحداً　　هو منك لحظٌ وهو منّي مقتل

وسيرد في كتابنا العجيب منه.

وفيما يلي طائفة من الأحاديث الواردة بهذا الصدد:

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ يعني عن ربه: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه» أي: جعلت بدله إيماناً يشعر بلذاته في قلبه.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى، فهو مدرك ذلك لا محالة: العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويُصدّق ذلك الفرج أو يكذبه». والمعنى أن الله تعالى يعذب العين بالنار يوم القيامة لتطلعها إلى محرم بقصد بلا فجاءة، والخَطا ـ بفتح الخاء ـ: المشي إلى المعصية.

وعن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحم؟ قال: «الحم الموت» رواه البخاري ومسلم، ثم قال: ومعنى كراهية الدخول على النساء على نحو ما روي عن النبي ﷺ قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان».

والحَمُ ـ بفتح الحاء وتخفيف الميم، وبإثبات الواو أيضاً، وبالهمز أيضاً ـ

هو أبو الزوج، ومن أدلى به كالأخ، والعم، وابن العم، ونحوهم، وهو المراد هنا، كذا فسّره الليث بن سعد وغيره، وأبو المرأة أيضاً، ومن أدلى به، وقيل: بل هو قريب الزوج فقط، وقيل: قريب الزوجة فقط. قال أبو عبيد في معناه: يعني: فليمت ولا يفعلنّ ذلك، فإذا كان هذا رواية في أب الزوج، وهو محرم، فكيف بالغريب؟ ومعنى الحمو الموت: أي: الخوف منه أكثر من غيره، والشر يتوقع منه، والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة، والخلوة من غير أن ينكر عليه.

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱلْأَيَـٰمَىٰ﴾: جمع أيم، وهي مَن ليس لها زوج بكراً كانت أو ثيباً، ومن ليس له زوج، وهذا في الأحرار، والحرائر بقرينة قوله: وإمائكم، وتجمع الأيم أيضاً على أيائم، وأيّمون، وأيمات، يقال: آم، يئيم الرجل من زوجه أو المرأة من زوجها: فقدها، أو فقدته، وأصل الأيامى: أيائم، كما قال الزمخشري، ومثله: يتامى في يتائم، وأجاز سيبويه أن يكون غير مقلوب، وأنه جمع على فعالى، وقال الشاعر:

فإن تَنْكِحِي أَنْكِحْ وإن تَتأيَّمي وإن كنتُ أفتى منكم أتأيّمُ

يقول لمحبوبته: إن تتزوجي أتزوج، وإن لم تتزوجي لم أتزوج، وجملة: وإن كنت أفتى منكم اعتراضية، والأفتى: الأكثر فتية وشباباً، ورفع المضارع

في جواب الشرط ـ كما هنا ـ قليل، وقد ورد في الشعر إذا كان الشرط فعلاً ماضياً ـ كما هنا ـ. وفي الحديث: «اللهم إني أعوذ بك من العيمة، والغيمة، والأيمة، والكزم، والقرم» أما العيمة فهي: شدة شهوة اللبن، والغيمة: شدة شهوة العطش، والأيمة: طول العزبة، والكزم: شدة شهوة الأكل، قال في «الصحاح»: كزم الشيء بمقدّم فيه، أي: كسره، واستخرج ما فيه، والقرم: شدة شهوة اللحم.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: والمكاتبة كالعتاب، والمعاتبة: هو أن يقول الرجل لمملوكه: كاتبتك على ألف درهم، فإن أداها عتق، ومعناه: كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال، وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك، أو كتبت لك الوفاء بالمال، وكتبت علي العتق، وله أحكام مبسوطة في كتب الفقه. وفي «الأساس» و«اللسان»: «كُتب عليه كذا: قُضي عليه، وكتب الله الأجل والرزق، وكتب على عباده الطاعة، وعلى نفسه الرحمة، وهذا كتاب الله: قدره، قال الجعدي:

يا بنتَ عمّي كتابُ الله أخَّرني		عنكم وهل أمنعنَّ الله ما فَعَلا؟!

﴿ٱلْبِغَآءِ﴾: الزناء، وبغت فلانة بغاء، وهي بغي: طلوب للرجال، وهن بغايا، ومنه للإماء: البغايا؛ لأنهن كن يباغين في الجاهلية، يقال: قامت البغايا على رؤوسهم، قال الأعشى:

والبغـايـا يَـرْكُضْـنَ أَكْسِيَـةَ الإضْـ

ـريـجِ والشَـرْعَبِـيَّ ذا الأَذْيـالِ

وفي المصباح: «وبغت المرأة تبغي بغاء بالكسر والمد، من باب: رمى: فجرت، وهي بغي، والجمع البغايا، وهو وصف مختص بالمرأة، فلا يقال للرجل: بغي، قاله الأزهري، والبغي: القينة وإن كانت عفيفة لثبوت الفجور لها في الأصل، قاله الجوهري، ولا يُراد به الشتم؛ لأنه اسم جعل كاللقب، والأمة تباغي، أي: تزاني».

○ الإعراب:

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير حكم النكاح، والأمر للوجوب إن كانت المرأة محتاجة للنكاح خوف الزنى، أو كان الرجل محتاجاً للنكاح خوف الزنى، فإن لم تكن ثمة حاجة كان الأمر للإباحة كما رأى الشافعيُّ أو للندب كما رأى أبو حنيفة، ومالك، والتفصيل في كتب الفقه. والأيامى مفعول به، ومنكم حال، والصالحين عطف على الأيامى، ومن عبادكم حال، وإمائكم عطف على عبادكم. ﴿ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ إن شرطية، ويكونوا فعل الشرط، والواو اسمها، وفقراء خبرها، ويغنهم الله جواب الشرط، ومن فضله متعلقان بيغنهم، والله مبتدأ، وواسع خبر أول، وعليم خبر ثان. ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ الواو عاطفة، واللام لام الأمر، ويستعفف مضارع مجزوم بلام الأمر، والذين فاعل، وجملة لا يجدون صلة، ونكاحاً مفعول به، وحتى حرف غاية وجر، ويغنيهم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والله فاعل، ومن فضله متعلقان بيغنيهم. ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ والذين نصب على الاشتغال، أي: منصوب بفعل مقدر يفسّره المذكور، ويجوز إعرابه مبتدأ، وخبره جملة فكاتبوهم، والأول أرجح لمكان الأمر، وجملة يبتغون الكتاب صلة، ومما حال، وجملة ملكت أيمانكم صلة، والفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط، وكاتبوهم فعل أمر، والواو فاعل، والجملة مفسرة على الوجه الأول، وخبر على الوجه الثاني، وإن شرطية، وعلمتم فعل ماض وفاعل، وهو في محل جزم فعل الشرط، وفيهم متعلقان بعلمتم، وخيراً مفعول به، والجواب محذوف دلّ عليه قوله: فكاتبوهم ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ وآتوهم عطف على فكاتبوهم، ومن مال الله متعلقان بآتوهم، والذي صفة لله، وجملة آتاكم صلة للموصول. ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾

الواو عاطفة، ولا ناهية، وتكرهوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلى البغاء متعلقان بتكرهوا، وإن شرطية وأردن فعل ماض وفاعل، وهو في محل جزم فعل الشرط، وتحصناً مفعول له، والجواب محذوف كما تقدم، ولتبتغوا: اللام للتعليل، وتبتغوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والواو فاعل، وعرض الحياة الدنيا مفعول به. ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الواو عاطفة، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويكرههن فعل الشرط، والفاء رابطة؛ لأن الجواب جملة اسمية، وإن واسمها، ومن بعد إكراههن حال، وغفور خبر إن الأول، ورحيم خبرها الثاني.

□ البلاغة:

الاحتراس: في قول تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ فقد أقحم هذا الاعتراض ليبشع ذلك عند المخاطب، ويحذره من الوقوع فيه، ولكي يتيقظ أنه كان ينبغي له أن يأنف من هذه الرذيلة، وإن لم يكن زاجر شرعي، ووجه التبشيع عليه أن مضمون الآية النداء عليه بأن أمته خير منه؛ لأنها آثرت التحصُّن عن الفاحشة، وهو يأبى إلا إكراهها، ولأبي السعود قول جميل في هذا الصدد: «وقوله تعالى «إن أردن تحصناً». ليس لتخصيص النهي بصورة إرادتهن التعفف عن الزنى، وإخراج ما عداها من حكمه كما إذا كان الإكراه بسبب كراهتهنّ الزنى لخصوص الزاني، أو لخصوص الزمان، أو لخصوص المكان، أو لغير ذلك من الأمور المصحّحة للإكراه في الجملة، بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهوهنّ على البغاء، وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الأمور الداعية إلى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح».

هذا؛ ومن المفيد أن نذكر سبب نزول هذه الآية، فقد ذكروا أنها نزلت في عبد الله بن أبيّ، كان يكره جواريه على الكسب بالزنى وكنّ ستاً، فشكا منهن اثنتان إلى النبي ﷺ فنزلت الآية، وأسماء هذه الجواري هي: معاذة، ومسكية، وأميمة، وعمرة، وأروى، وقتيلة.

* الفوائـد:

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» رواه البخاري ومسلم.

وإنما خصّ الشباب لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ، والباءة: الجماع، واستعمل لعقد النكاح، قال الجوهري: الباءة مثل الباعة، ومنه سمي النكاح: باءة، والوجاء أصله: رض الخصيتين. قال النووي في «شرح مسلم»: «معناه: من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤونته، وهي مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليقطع شهوته، ويقطع شرّ منيه، كما يقطعه الوجاء». وهناك قول آخر وهو أن المراد بالباءة: مؤن النكاح، سميت باسم ما يلازمها، وتقديره: من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، قالوا: والعاجز لا يحتاج إلى الصوم لدفع الشهوة، فوجب تأويل الباءة بالمؤن.

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ

ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ : المشكاة: الكوة غير النافذة، وقيل: هي الحديدة، أو الرصاصة التي يوضع فيها الزيت، وقيل: هي العمود الذي يوضع على رأسه المصباح، وقيل: ما يعلق فيه القنديل من الحديدة، وفي «القاموس» وشرحه: «المشكاة كل كوة غير نافذة، وكل ما يوضع فيه أو عليه المصباح، وقيل: المشكاة حبشية معربة» وسيأتي مزيد بحث عنها في باب البلاغة.

﴿ زُجَاجَةٍ ﴾ : الزّجاج ـ بفتح الزاي وضمها وكسرها ـ: جسم شفاف يُصنع من الرمل، والقلى، والإناء، والقطعة منه: زجاجة بتثليث الزاي أيضاً، وأراد قنديلاً من زجاج شامي أزهر.

﴿ دُرِّيٌّ ﴾ : مضيء، بضم الدال من غير همز وبالتشديد، منسوب إلى الدر، شُبِّه به لصفائه، وإضاءته، ويجوز أن يكون أصله الهمز، ولكن خففت الهمزة، وهو فعيل من الدر، وهو: دفع الظلمة بضوئه، ويُقرأ بالكسر على معنى الوجه الثاني، ويكون على فعيل كسكيت وصديق. وفي «المختار»: «الدرء: الدفع، وبابه قطع، درأ: طلع مفاجأة، وبابه: خضع، ومنه كوكب دريء كسكيت؛ لشدة توقده، وتلألؤه، ودريٌّ ـ بالضم ـ: منسوب إلى الدر، وقرىء دُريء بالضم والهمزة، ودَريء بالفتح والهمز، وتدارأتم: تدافعتم، واختلفتم». وفي «الأساس»: «وكوكب دُرّي، وطلعت الدراري نسبت إلى الدار، وهو: كبار اللؤلؤ». وفيه أيضاً: «ومن المجاز: درأ الكوكب: طلع كأنه يدرأ الظلام، ودرأت النار: أضاءت».

﴿ وَٱلْآصَالِ ﴾ : جمع أصيل، وهو: الوقت بين العصر والمغرب، ويُجمع أيضاً على أصائل، وأصل، وأصلان.

○ الإعراب:

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان حقيقة الآيات المنزلة. واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وأنزلنا فعل وفاعل، وإليكم متعلقان بأنزلنا، وآيات مفعول به، ومبينات صفة، وهي بكسر الياء وفتحها، ومثلاً عطف على آيات، ومن الذين صفة لمثلاً، وجملة خلوا صلة، ومن قبلكم حال، وموعظة عطف على مثلاً، وللمتقين صفة لموعظة. ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ﴾ الله مبتدأ، ونور السموات والأرض خبره، ومثل مبتدأ، ونوره مضاف إليه، والكاف اسم بمعنى مثل خبر، ومشكاة مضاف إليه، ويجوز إعراب الكاف حرف جر، والجار والمجرور خبر مثل، وفيها خبر مقدم، ومصباح مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لمشكاة، وسيأتي تحقيق هذا الكلام في باب البلاغة، وجملة مثل نوره تفسير لما قبلها، فلا محل لها. ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة تفسير لما قبلها فلا محل لها. ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ الزجاجة مبتدأ، وكان واسمها، وكوكب خبرها، ودري صفة لكوكب، والجملة خبر الزجاجة، وجملة الزجاجة.. الخ تفسير لما قبلها فلا محل لها، وجملة يوقد صفة ثانية لكوكب، ونائب الفاعل مستتر، ومن شجرة جار ومجرور متعلقان بيوقد، وهي لابتداء الغاية على حذف مضاف، أي: من زيت شجرة، ومباركة صفة لشجرة، وزيتونة بدل من شجرة، ولا شرقية صفة ثانية لشجرة، ودخلت لا لتفيد النفي، فلا تحول بين الصفة والموصوف، ولا غربية عطف، وسيأتي المزيد من بيان هذا المعنى في باب البلاغة. ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ ﴾ هذه الجملة صفة ثالثة لشجرة، ويكاد فعل مضارع ناقص من أفعال المقاربة، وزيتها اسمها، وجملة يضيء خبرها، ولو: الواو حالية، ولو شرطية، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتمسسه فعل مضارع مجزوم بلم، وجواب لو محذوف، أي:

لأضاء بدلالة ما تقدم عليه، والجملة حال، فلو هنا تفيد استقصاء الأحوال، أي: حتى في هذه الحال، ونار فاعل تمسسه، ونور خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف، وعلى نور متعلقان بمحذوف صفة لنور مؤكدة له، وسيأتي سرّ تنكير النور في باب البلاغة. ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير تنفيذ مشيئته سبحانه، ولنوره متعلقان بيهدي، ومن يشاء مفعول يهدي، وجملة يشاء صلة، ويضرب الله فعل مضارع وفاعل، والأمثال مفعول به، وللناس متعلقان بيضرب، والله: الواو استئنافية، أو: عاطفة، والله مبتدأ، وبكل شيء متعلقان بعليم، وعليم خبر الله. ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ في بيوت صفة لمشكاة، أي: كمشكاة في بيوت، أو لمصباح، أو لزجاجة، أو متعلقان بيوقد، وعلى هذا لا يوقف على عليم، ولك أن تقف على عليم فتعلقه بمحذوف تقديره: سبحوه في بيوت، أو بيسبح، وقال ابن الأنباري: سمعت أبا العباس يقول: هو حال للمصباح، والزجاجة، والكوكب، كأنه قيل: وهو في بيوت، وقيل: متعلقان بتوقد، أي: توقد في بيوت، وجملة «أذن الله» صفة لبيوت، وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض، أي: في أن ترفع، ويذكر عطف على ترفع بالبناء للمجهول، وفيها متعلقان بيذكر، واسمه نائب فاعل. ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ الجملة صفة ثانية لبيوت، وله متعلقان بيسبح، وبالغدو والآصال حال، ورجال فاعل يسبح، وجملة لا تلهيهم صفة لرجال، وتجارة فاعل تلهيهم، ولا بيع عطف على تجارة، وعن ذكر الله متعلقان بتلهيهم، وما بعده عطف على ذكر الله. ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ الجملة صفة ثانية لرجال، أو حال من مفعول تلهيهم، ويخافون فعل وفاعل، ويوماً مفعول به لا ظرف، وجملة تتقلب صفة ليوماً، وفيه متعلقان بتتقلب، والقلوب فاعل تتقلب، والأبصار عطف على القلوب. ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ اللام للتعليل، ويجزيهم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والهاء

مفعول به أول، والله فاعل، وأحسن مفعول به ثان، وما مضاف إليه، وجملة عملوا صلة، ويزيدهم عطف على ليجزيهم، ومن فضله متعلقان بيزيدهم.
﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وجملة يرزق خبر، ومن مفعول به، وجملة يشاء صلة، وبغير حساب حال.

□ البلاغة:

حفلت هذه الآيات بأفانين شتى من البلاغة والبيان، وسنسهب فيها بعض الشيء، جرياً على ما درجنا عليه في هذا الكتاب، وسنوزع هذه المباحث نجوماً متتالية:

١ ـ التشبيه البليغ في قوله تعالى: ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ والمراد به المضمر الأداة، وقد سبق ذكره مع أقسام التشبيه، وإنما سمي بليغاً لحذف واسطة الأداة ولوجازته بسبب هذا الحذف، وقد تكلم علماء البيان مطولاً في هذا التشبيه، وحاولوا تجسيد الكيفية التي ساغ فيها هذا التشبيه؛ لأن النور كما هو معلوم كيفية، أو عرض يدرك بالبصر، فلا يصحّ حمله على الذات المقدسة، وأحسن ما يقال فيه: أن التشبيه جارٍ على التقريب للذهن، أي: به تعالى وبقدرته أنارت أضواء السماء والأرض، واستقامت أمورها؛ لأن ظهور الموجودات حصل به كما حصل بالضوء جميع المبصرات، أو أنه على التجوز، أي: منور السماء والأرض، أو: بتقدير مضاف، كقولك: زيد عدل، أي: ذو عدول.

٢ ـ التشبيه المرسل في قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ...﴾ الآية، فقد جاء التشبيه هنا بواسطة الأداة، وهي الكاف، والمراد: أن النور الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناحر فيه المشكاة، والزجاجة، والمصباح، والزيت حتى لم تبق بقية مما يقوي النور، واختلفوا في هذا التشبيه: هل هو تشبيه تمثيلي، أي: مركب قصد فيه تشبيه جملة بجملة، من غير نظر إلى مقابلة جزء بجزء، بل قصد تشبيه هداه وإتقانه صنعته في كل مخلوق على الجملة بهذه الجملة من النور؛ الذي تتخذونه، وهو أبلغ صفات النور عندكم؟ أو تشبيه غير تمثيلي،

أي: غير مركب، قصد فيه مقابلة جزء بجزء؟

وأجاز القرطبي الوجهين، وهذا نص عبارته:

«قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: صفة دلائله التي يقذفها في قلب المؤمن، والدلائل تسمى نوراً، وقد سمى الله تعالى كتابه نوراً، فقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ وسمّى نبيه نوراً فقال: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ وهذا لأن الكتاب يهدي ويبين، وكذلك الرسول، ووجه الإضافة إلى الله تعالى أنه مثبت الدلالة، ومبينها، وواضعها، وتحتمل الآية معنى آخر، ليس فيه مقابلة جزء من المثال بجزء من الممثل به، بل وقع التشبيه فيه لجملة بجملة، وذلك: أن يريد مثل نور الله الذي هو هداه وإتقانه صنعة كل مخلوق، وبراهينه الساطعة على الجملة، كهذه الجملة من النور؛ الذي تتخذونه أنتم على هذه الصفة؛ التي هي أبلغ صفات النور؛ الذي بين أيدي الناس، فمثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم أيها البشر».

وأبدع الكرخي في تحديده هذا التشبيه التمثيلي فقال: «.. ومثل الله نوره، أي: معرفته في قلب المؤمن بنور المصباح دون نور الشمس، مع أن نورها أتم؛ لأن المقصود تمثيل النور في القلب، والقلب في الصدر، والصدر في البدن بالمصباح، والمصباح في الزجاجة، والزجاجة في القنديل، وهذا التمثيل لا يستقيم إلا فيما ذكر أو لأن نور المعرفة له آلات يتوقف هو على اجتماعها كالذهن، والفهم، والعقل، واليقظة، وغيرها، ولأن نور الشمس يشرق متوجهاً إلى العالم السفلي، ونور المعرفة يشرق متوجهاً إلى العالم العلوي كنور المصباح، ولكثرة نفع الزيت، وخلوصه عما يخالطه غالباً، وقع التشبيه في نوره دون نور الشمس، مع أنه أتمّ من نور المصباح».

٣ ـ الطباق: في قوله تعالى﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ وقد تكلم علماء البيان كثيراً عن هذا الطباق، والمقصود منه.

قال الزمخشري: «وقيل: لا في مضحى ولا في مقنأة (وهو المكان الذي لا تطلع عليه الشمس) ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها، وذلك أجود لحملها، وأصفى لدهنها، قال رسول الله ﷺ: «لا خير في شجرة في مقنأة، ولا نباتٍ في مقنأة، ولا خير فيهما في مضحى» وقيل: ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط، بل تصيبها بالغداة والعشي جميعاً فهي شرقية وغربية».

ولابن الأثير كلام لطيف في هذا الصدد قال: «أما تمثيل نور الله تعالى بمشكاة فيها مصباح، فإن هذا مثال ضربه للنبي ﷺ، ويدل عليه أنه قال: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ وإذا نظرت إلى هذا الموضع وجدته تشبيهاً لطيفاً عجيباً، وذاك أن قلب النبي ﷺ وما أُلقي فيه من النور، وما هو عليه من الصفة الشفافة كالزجاجة؛ التي كأنها كوكب لصفائها، وإضاءتها، وأما الشجرة المباركة التي لا شرقية ولا غربية، فإنها عبارة عن ذات النبي ﷺ لأنه من أرض الحجاز؛ التي لا تميل إلى الشرق ولا إلى الغرب، وأما زيت هذه الزجاجة فإنه مضيء من غير أن تمسه نار، والمراد بذلك: أن فطرته فطرة صافية من الأكدار، منيرة من قبل مصافحة الأنوار».

٤ ـ التنكير: في تنكير قوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ ضرب من الفخامة والمبالغة لا أرشق، ولا أجمل منه، فليس هو نوراً واحداً معيناً، أو غير معين فوق نور آخر مثله، وليس هو مجموع نورين اثنين فقط، بل هو عبارة عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحدّ معين. وقد استهوى هذا التعبير شعراءنا العرب، فرمقوا سماءه، قال أبو تمام يصف غربته في مصر:

أخمسة أعوامٍ مضتْ لمغيبِه ... وشهران بل يومان ثكلٌ على ثكل

وقال أبو الطيب المتنبي:

أَرَقٌ على أَرَقٍ ومِثْلي يَأْرَقُ ... وَجَوىً يَزِيدُ وعَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ

وقال شوقي في العصر الحديث يرثي المرحوم فوزي الغزي أحد أعلام دمشق:

جُرح على جُرحٍ حنانك جلّق　　حُملت ما يُوهي الجبالَ ويرهق

٥ ـ تشابه الأطراف: وهو أن ينظر المتكلم إلى لفظة وقعت في آخر جملة من الفقرة في النثر، أو آخر لفظة وقعت في آخر المصراع الأول في النظم، فيبتدىء بها... تأمل في تشابه أطراف هذه الجمل المتلاحقة: ﴿ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾. ومن أمثلة الشعر في قول ليلى الأخيلية في الحجاج بن يوسف:

إذا نـزل الحجَّـاجُ أرضـاً مـريضـةً
تتبـعَ أقصـى دائِهـا فشفـاهـا
شفاها من الدَّاء العُضالِ الذي بها
غـلامٌ إذا هـزَّ القنـاةَ سقـاهـا
سقـاهـا فـرواهـا بشرب سجـالِـهِ
دمـاء رجـالٍ يحلبـون حـراهـا

وجميل قول أبي تمام:

هوىً كان خلْساً إنَّ مِنْ أَبْرَدِ الهَوَى
هَوىً جُلْتَ في أفنائِه وهو خامِلُ
أبـا جَعْفَـرٍ إنَّ الجهَـالـةَ أُمُّهـا
وَلُـودٌ وأُمُّ العِلْـمِ جَـدَّاءُ حـائِـلُ
فَكُـنْ هَضْبَـةً نـأوِي إليهـا وحَـرَّةً
يُعَـرِّدُ عنهـا الأَعْـوَجِـيُّ المُنَـاقِـلُ
فـإنَّ الفتـى في كُـلِّ ضَـرْبٍ مُنـاسِـبٌ
مَنَـاسِـبَ رُوحـانِيـةً مَـن يُشـاكِـلُ

وينسب لأبي نواس قوله:

خـزيمـة خير بنـي حـازم　　وحـازم خير بنـي دارم
ودارم خيـر تميـم ومـا　　مثـل تميـم في بنـي آدم
إلاَّ البهـاليـل بنـي هـاشـم　　وهـم سيـوفٌ لبنـي هـاشـم

وقد يكون تشابه الأطراف معنوياً، وهو: أن يختم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه في المعنى لا في اللفظ، كقول محمد بن عبيد الله السّلامي:

بدائعُ الحسنِ فيه مفترقه وأعينُ الناس فيه متفقه
سهامُ ألحاظه مفوقه فكلُّ مَن رام لحظَه رشقه
قد كتب الحسنُ فوق عارضه هذا مليحٌ وحقّ مَن خلقه

فالرشق في قافية البيت الثاني يناسب السهام في أوله.

وجميل قول السري الرفاء:

إبريقنا عاكفٌ على قدحٍ كأنه الأمُّ ترفعُ الولدا
أو عابدٌ من بني المجوس إذا توهّم الكأسَ شعلةً سجدا

فالسجود مناسب للعابد في أول البيت.

وبلغ ابن الرومي الغاية في وصف مغنية:

جاءتْ بوجهٍ كأنه قمرٌ على قوامٍ كأنّه غصن
غَنّتْ فلم تبقَ فيَّ جارحةٌ إلا تمنيتُ أنّها أذن

فالأذن تناسب ذكر الغناء في أول البيت.

ـ استدراك على بعض النقاد:

هذا؛ وقد خفيت على بعض علماء البيان أسرار التشابه في الأطراف، فجزم بأنه إذا ذكرت اللفظة في أول كلام يحتاج إلى تمام، فينبغي أن تعاد بعينها في آخره، ومتى عدل عن ذلك كان معيباً، ثم مثّل ذلك بقول أبي تمام، وقول أبي الطيب المتنبي، فقال: إن أبا تمام أخطأ في قوله:

بسط الرّجاء لنا برغم نوائبٍ كثرتْ بهن مصارعُ الآمال

فحيث ذكر الرجاء في صدر البيت، كان ينبغي أن يعيد ذكره أيضاً في عجزه، أو كان ذكر الآمال في صدر البيت وعجزه، وكذلك أخطأ أبو الطيب في قوله:

إنّي لأعلمُ ـ واللبيبُ خبير ـ أنَّ الحياة ـ وإن حرصتَ ـ غرور

فإنه قال: «إني لأعلم واللبيب خبير» وكان ينبغي أن يقول: إني لأعلم واللبيب عليم؛ ليكون ذلك تقابلاً صحيحاً.

هذا ما ذكره الناقد، وليس بشيء؛ لأن المعتمد عليه في هذا الصدد أنه إذا كانت اللفظة في معنى أختها جاز.

٦ ـ المجاز العقلي: في قوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ فقد أسند إلى القلوب والأبصار التقلب والاضطراب من الهول والفزع.

وفي قوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ فن الغلو، وهو الإفراط في وصف الشيء المستحيل عقلاً وعادة، وهو ينقسم إلى قسمين: مقبول وغير مقبول، فالمقبول لابد أن يقربه الناظم إلى القبول بأداة التقريب، إلا أن يكون الغلو في مدح النبي ﷺ، فلا غلو حينئذ، ويجب على الناظم أن يسبكه في قالب التخيلات؛ التي تدعو العقل إلى قبولها في أول وهلة كالآية الكريمة، فإن إضاءة الزيت من غير مسّ النار مستحيلة عقلاً، ولكن لفظة يكاد قربته، فصار مقبولاً.

والقسم الثاني، وهو الغلو غير المقبول، كقول أبي نواس:

وأَخَفْتَ أهلَ الشِّركِ حتى أنَّه لتخافُكَ النُّطَفُ التي لم تُخْلَق

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿كَسَرَابٍ﴾: السراب: ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر، كأنه ماء

تنعكس فيه البيوت والأشجار وغيرها، ويضرب به المثل في الكذب والخداع. يقال: هو أخدع من السراب، وسمي سراباً لأنه يتسرب، أي: يجري كالماء، يقال: سرب الفحل، أي: مضى وسار، ويسمى الآل أيضاً، ولا يكون إلا في البرية والحر، فيغترّ به الظمآن.

﴿بِقِيعَةٍ﴾: القيعة بمعنى القاع، أو جمع قاع، وهو: المنبسط المستوي من الأرض، وفي «الصحاح»: «والقاع: المستوي من الأرض، والجمع أقواع، وقيعان، فصارت الواو ياء لكسر ما قبلها، والقيعة مثل القاع، وهو أيضاً من الواوي، وبعضهم يقول: هو جمع». وقال الهروي: «والقيعة جمع القاع، مثل: جيرة وجار». وفي «الأساس»: «هو كسراب بقيعة وبقاع، ونزلوا بسراب قيعان، ولهم قاعة واسعة، وهي عرضة الدار، وأهل مكة يسمون سفل الدار: القاعة، ويقولون: فلان قعد في العِلية، ووضع قماشه في القاعة، وقال:

سائلْ مجاور جَرْمٍ هل جَنيتُ لهم
حرْباً تُفرِّق بين الجيرةِ الخُلُطِ
وهل تركت نساء الحَيّ ضاحيَةً
في قاعةِ الدَّارِ يَستوقدنَ بالغُبُطِ»

وفي «القاموس» و«التاج» مايفهم منه أن القاع: أرض سهلة مطمئنة، قد انفرجت عنها الجبال والآكام، ويجمع على: أقواع، وأقوُع، وقيع، وقيعان، وقيعة.

﴿لُّجِّيٍّ﴾: اللجي: العميق، الكثير الماء، منسوب إلى اللج، وهو معظم البحر، هكذا قال الزمخشري، وقال غيره: منسوب إلى اللجة بالتاء، وهي أيضاً معظمه.

○ الإعراب:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ

يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان حال عمل من لا يعتقد الإيمان، ولا يتبع الحق بعد أن بين حال المؤمنين بضرب مثل لهم، وهو: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾، والذين مبتدأ أول، وجملة كفروا صلة الموصول، وأعمالهم مبتدأ ثان، وكسراب خبر الثاني، والمبتدأ الثاني وخبره خبر الأول، وجملة يحسبه الظمآن صفة لسراب، وماء مفعول به ثان ليحسبه، وحتى حرف غاية وجر، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة جاءه في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة لم يجده لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وشيئاً في موضع المصدر، أي: لم يجده وجداناً، وقيل: شيئاً هنا بمعنى: ما قدّره، وظنّه، فهي مفعول به ثان ليجده، وسيأتي مزيد بحث عنها في باب البلاغة. ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ الواو حرف عطف، ووجد فعل ماض وفاعل مستتر، ولفظ الجلالة مفعول به، وعنده متعلقان بمحذوف مفعول به ثان لوجد، أي: كائناً عند السراب، أو العمل، فوفاه: الفاء عاطفة، ووفاه فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، وحسابه مفعول به ثان، أي: جازاه عليه في الدنيا، والله مبتدأ، وسريع الحساب خبر. ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾ أو حرف عطف، قيل: هي للتقسيم، أو للتخيير، أي: أن عمل الكافر قسمان: قسم كالسراب وهو العمل الصالح، وقسم كالظلمات وهو العمل السيء، أو أن عمل الكافر لاغ لا منفعة له كالسراب، ولكونه خالياً من نور الحق كالظلمات المتراكبة، والحنادس المدلهمة. قال الزجاج: «أعلم الله سبحانه أن أعمال الكفار كما أنها تشبه السراب الموصوف بتلك الصفات، فهي أيضاً تشبه الظلمات، وأنها إن مثلت بما يوجد فمثلها كمثل السراب، وإن مثلت بما يرى فهي كهذه الظلمات التي وصف». وقال أيضاً: «إن شئت مثّل بالسراب، وإن شئت مثل بهذه الظلمات، فأو للإباحة».

والجار والمجرور نسق على كسراب، على حذف مضاف تقديره: أو كذي ظلمات، ويدل على هذا المضاف قوله: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ أو على حذف مضافين، تقديرهما: كأعمال ذي ظلمات، وفي بحر صفة لظلمات،

ولجي صفة لبحر، وجملة يغشاه موج صفة ثانية لبحر، وموج فاعل، ومن فوقه خبر مقدم، وموج مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لموج الأولى، وجملة من فوقه سحاب صفة لموج الثانية. ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ ظلمات خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذه ظلمات، والجملة تفسير لما قبلها فلا محل لها، وبعضها مبتدأ، وفوق بعض: الظرف متعلق بمحذوف خبر، والجملة صفة لظلمات، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب، وجملة أخرج في محل جر بإضافة الظرف إليها، وفاعل أخرج ضمير الواقع في البحر المرتطم فيه، ويده مفعول به، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويكد فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، واسمها ضمير مستتر تقديره: هو، وجملة يراها خبر يكد وجملة لم يكد يراها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم. ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ الواو استئنافية، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويجعل فعل الشرط، والله فاعل، وله مفعول به ثان، ونوراً مفعول به أول ليجعل، والفاء رابطة للجواب لأنه جملة اسمية، وما نافية، وله خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، ونور مجرور لفظاً مرفوع بالابتداء محلاً، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه خبر المبتدأ.

□ **البلاغة:**

وقد انطوت هذه الآية على أفانين من البلاغة، ندرجها فيما يلي:

١ ـ التشبيه المرسل: فقد أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ماتقع عليه الحاسة، ولو قيل: يحسبه الرائي ماء لكان بليغاً، وأبلغ منه لفظ القرآن؛ لأن الظمآن أشد حرصاً عليه، وأكثر تعلق قلب به. وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أحسن التشبيه، وأبلغه، فكيف وقد تضمن مع ذلك حسن النظم، وعذوبة الألفاظ، وصحة الدلالة، وصدق التمثيل؟!.

٢ ـ التشبيه التمثيلي: وقوله: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ تشبيه تمثيلي، أي: وجد عقابه، وزبانية عذابه، ووجه التشبيه: أن الذي يأتي به الكافر من أعمال البر،

ويعتقد أن له ثواباً عند الله تعالى، وليس كذلك، فإذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه، بل وجد العقاب العظيم، والعذاب الأليم، فعظمت حسرته، وتناهى غمّه، فشبه حاله بحال الظمآن؛ الذي اشتدت حاجته إلى الماء، فإذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه، فإذا جاءه لم يجده شيئاً، فكذلك حال الكافر يحسب أن عمله نافعه، فإذا احتاج إلى عمله لم يجده أغنى عنه شيئاً.

٣ ـ العطف على محذوف: في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ عطف على مقدر، وليست الجملة معطوفة على: ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عيناً ولا أثراً، كأنه قيل: حتى إذا جاء الكفرة يوم القيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة، لم يجدوها شيئاً، ووجدوا حكم الله، وقضاءه لهم بالمرصاد.

٤ ـ المبالغة في التشبيه: وهذا في قوله: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ وقد اختلف الناس في تأويل هذا الكلام، ويكاد الإجماع ينعقد على أن المعنى أنه لا يرى يده، فعلى هذا في التقدير ثلاثة أوجه[1]:

أحدها: أن التقدير لم يرها ولم يكد، وهذا غير واضح؛ لأنه نفي للرؤية، ثم إثبات لها.

ووجه ثان: وهو أن كاد زائدة، ولا مساغ له في القرآن، فالوجه إذاً أنه لم يقرب أن يراها فضلاً عن أن يراها، ومثله قول ذي الرمة:

إذا غيرّ النأيُ المحبين لم يكدْ　　رسيسُ الهوى من حبِّ ميَّةَ يبرح

أي: لم يقرب من البراح، والنأي: البعد، ويقال: رس وأرس؛ إذا لزم، والرسيس: بقية المرض، ويبرح: يذهب، وروي: أن ذا الرمة لما قدم الكوفة اعترض عليه ابن شبرمة في ذلك بأنه يدلُّ على زوال رسيس الهوى، فغيره

(١) ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ وجهين لا ثلاثة.

بقوله: لم أجد، وقال ابن عتبة: حدثت أبي بذلك، فقال: أخطأ ابن شبرمة، وأخطأ ذو الرمة في تغييره، وإنما هو كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ وبعد البيت:

فلا القربُ يدنو من هواها ملالةً
ولا حبُّها إن تنزحِ الدَّارُ ينزح

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَٱلطَّيْرُ﴾: قال: أبو عبيدة وقطرب: الطير يقع على الواحد والجمع. وقال ابن الأنباري: الطير: جماعة، وتأنيثها أكثر من التذكير. وفي «المصباح»: «الطائر على صيغة اسم الفاعل، من: طار يطير طيراناً، وهو له في الجو كمشي الحيوان في الأرض، ويعدّى بالهمزة والتضعيف، فيقال: طيّرته، وأطرته. وجمع الطائر: طير، ومثل صاحب وصحب، وراكب وركب. وجمع الطير: طيور، وأطيار».

﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾: باسطات أجنحتهن في الهواء.

﴿يُزْجِى﴾: يسوق. وفي «المختار»: «زجى الشيء تزجية: دفعه برفق، وتزجّى بكذا: اكتفى به، وأزجى الإبل: ساقها، والمزجَى: الشيء القليل، وبضاعة مزجاة: قليلة، والريح تزجي السحاب، والبقرة تزجي ولدها:

تسوقه». وفي «القاموس» وشرحه: «زجا يزجوا زجواً، زجّى تزجية، وأزجى إزجاء، وازدجاه: ساقه، ودفعه برفق. يقال: كيف تزجي أيامك؟ أي: كيف تدفعها؟ وزجّى فلان حاجتي، أي: سهّل تحصيلها، وأزجى الأمر: أخره، وأزجى الدرهم: روّجه». ومنه قول النابغة:

إنِّي أتيتُك من أَهْلي ومن وَطَني
أزجي حشاشةَ نفسٍ ما بها رَمَق

﴿رُكَامًا﴾: الرُّكام ـ بضم الراء ـ: المتراكم بعضه فوق بعض، وفي «المختار»: «ركم الشيء؛ إذا جمعه، وألقى بعضه على بعض، وبابه: نصر، وارتكم الشيء وتراكم: اجتمع، والركام: الرمل المتراكم، والسحاب ونحوه».

﴿ٱلْوَدْقَ﴾: المطر، قيل: هو خاص بالضعيف، وقيل: هو المطر ضعيفاً كان أو شديداً، وهو في الأصل مصدر، يقال: ودق السحاب يدق، من باب: وعد.

﴿سَنَا﴾: في «المختار»: «السنا ـ مقصور ـ: ضوء البرق، والسنا أيضاً: هو نبت يُتداوى به، والسناء من الرفعة ممدود، والشيء الرفيع، وأسناه: رفعه، وسناه تسنية: فتحه، وسهّله».

○ الإعراب:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير هذه الحقيقة، فالهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتر فعل مضارع مجزوم بلم، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وأن وما في حيزها سدّت مسدّ مفعولي تر؛ لأن الرؤية هنا قلبية؛ لأن تسبيح المسبحين لا تتعلق به رؤية البصر، أي: قد علمت علماً يشبه المشاهدة في اليقين، وجملة يسبح خبر، وله متعلقان بيسبح، ومن فاعل يسبح، وفي السموات والأرض صلة من. ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ

عَلِيمٌۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ الواو للعطف، والطير عطف على من، وصافات حال، ومفعول صافات محذوف، أي: باسطات أجنحتها، وكل مبتدأ، وساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم، وجملة قد علم خبر كل، وفاعل علم يعود على كل، أو: على الله، ويقول أبو البقاء: إن عودته على «كل» أرجح لأن القراءة برفع كل على الابتداء، فيرجع ضمير الفاعل إليه، ولو كان فيه ضمير اسم الله لكان الأولى نصب كل؛ لأن الفعل الذي بعدها قد نصب ما هو من سببها، فيصير كقولك: زيداً ضرب عمرو غلامه، فتنصب زيداً بفعل دل عليه ما بعده، وهو أقوى من الرفع، والآخر جائز». وصلاته مفعول به، وتسبيحه عطف على صلاته، والله مبتدأ، وعليم خبر، وبما متعلقان بعليم، وجملة يفعلون صلة ما.

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ الواو استئنافية، ولله خبر مقدم، وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر، وإلى الله خبر مقدم، والمصير مبتدأ مؤخر. ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، وأن وما في حيزها سدّت مسدّ مفعولي تر، وقد تقدم إعراب نظيره، ثم حرف عطف، ويؤلف عطف على يزجي، وبينه ظرف متعلق بيؤلف، ودخلت بين على مفرد، وهي إنما تدخل على المثنى فما فوقه؛ لأنه إما أن يراد بالسحاب الجنس، فعاد الضمير على حكمه وإما أن يراد أنه على حذف مضاف، أي: بين قطعه، فإن كل قطعة سحابة، ثم حرف عطف، ويجعله فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، وركاماً مفعول به ثان. ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾ الفاء عاطفة، وترى الودق فعل مضارع، وفاعل مستتر تقديره: أنت، ومفعول به، وجملة يخرج حال؛ لأن الرؤية ـ هنا ـ بصرية، ومن خلاله متعلقان بيخرج، أي: من فتوقه ومخارجه، جمع خلل، كجبل وجبال، وينزل من السماء من جبال فيها من برد تقدم إعرابها، ونعيده هنا للتقوية، فمن الأولى ابتدائية متعلقة بينزل، وكذلك الثانية فهي بدل بإعادة العامل، وفيها صفة لجبال، ومن برد

للتبعيض، وهي ومجرورها في موضع مفعول الإنزال، وقيل: هي للبيان، أي: فتكون حالاً وتكون من جبال هي في موضع مفعول الإنزال، وأجمل بعضهم إعراب الآية، فقال: والحاصل أن من في «من السماء» لابتداء الغاية بلا خلاف، ومن في «من جبال» فيها ثلاثة أوجه:

الأول: لابتداء الغاية، فتكون هي ومجرورها بدلاً من الأولى بإعادة الخافض بدل اشتمال.

الثاني: أنها للتبعيض، فتكون على هذا هي ومجرورها في محل نصب على أنها مفعول الإنزال، كأنه قال: وينزل بعض جبال.

الثالث: أنها زائدة، أي: ينزل من السماء جبالاً.

وأما من في «من برد»، ففيها أربعة أوجه:

الثلاثة المتقدمة، والرابع: أنها لبيان الجنس، فيكون التقدير على هذا الوجه: وينزل من السماء بعض جبال التي هي البرد.

وقال الزجاج: «ومعنى الآية: وينزل من السماء من جبال برد فيها، كما تقول: هذا خاتم في يدي من حديد، أي: خاتم حديد في يدي؛ لأنك إذا قلت: هذا خاتم من حديد، وخاتم حديد كان المعنى واحداً». وعلى هذا يكون «من برد» في موضع جر صفة لجبال، كما كان من حديد صفة لخاتم، ويكون مفعول ينزل: من جبال، ويلزم من كون الجبال برداً أن يكون المنزل برداً.

وذكر أبو البقاء أن التقدير شيئاً من جبال، فحذف الموصوف، واكتفى بالصفة.

﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾ الفاء عاطفة، ويصيب فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر يعود على الله، وبه متعلقان بيصيب، ومن مفعول به، وجملة يشاء صلة الموصول، ويصرفه عمن يشاء عطف على الجملة السابقة، وهي مماثلة لها. ﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٣ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ

﴿وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ الجملة صفة لبرد، ويكاد فعل مضارع من أفعال المقاربة، وسنا برقه اسمها، وجملة يذهب بالأبصار خبرها، وجملة يقلب تفسير لما قبلها، فلا محل لها، والله فاعل يقلب، والليل مفعول به، والنهار عطف على الليل، وإن حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك خبرها المقدم، واللام المزحلقة، وعبرة اسمها المؤخر، ولأولي الأبصار صفة لعبرة، والأبصار بمعنى البصائر.

□ البلاغة:

١ ـ فن العنوان:

في قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا﴾ الآية، فن انفرد به القليل من علماء البيان، وهو: فن العنوان، وعرفوه بأنه: أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف، أو فخر، أو مدح، أو عتاب، أو هجاء، أو غير ذلك من الفنون، ثم يأتي لقصد تكميله وتوكيده بأمثلة من ألفاظ تكون عنوانات لأخبار متقدمة، وقصص سالفة، ومنه نوع عظيم جداً، وهو ما يكون عنواناً للعلوم، وذلك أن تذكر في الكلام ألفاظ تكون مفاتيح لعلوم، ومداخل لها؛ والآية التي نحن بصددها فيها عنوان العلم المعروف بالآثار العلوية، والجغرافيا الرياضية، وعلم الفلك، ومن أمثلته في الشعر قصيدة أبي فراس الحمداني:

خليلّي ما أَعْدَدْتُما لمتيم ... أسيرٍ لدى الأعداءِ جافي المراقد
فريدٍ عن الأحباب لكن دموعه ... مثانٍ على الخدَّين غير فرائد
جمعت سيوف الهندِ من كلِّ وجهةٍ ... وأعددت للأعداء كلّ مجالد
إذا كان غيرُ الله للمرء عدةً ... أتته الرَّزايا من وجوهِ الفوائد
فقد جَرت الحنفاء حتفَ جذيمة ... وكان يراها عدَّةً للشَّدائد
وجرت منايا مالك بن نويرة ... حليلته الحَسْناء يا أمَّ خالد
وأردى ذؤاباً في بيوتِ عتيبة ... بنوه وأهلوه بشَدْو القصائد

فهذه القصص التي استطرد إليها أبو فراس تكميلاً لقصده وتدعيماً لرأيه مشهورة ومعروفه، ويمكن الرجوع إليها في مظانها بكل سهولة.

وقال الفرزدق لجرير:

فهل أنتَ إن ماتتْ أتانُك راكبٌ
إلى آلِ بسطام بن قيس فخاطب

وإني لأخشى إن خطبتَ إليهم
عليك الذي لاقى يسار الكواعب

ومن حديث يسار أنه كان عبداً أسود، يرعى لأهله إبلاً، وكان معه عبد يراعيه، وكان لمولى يسار بنت، فمرت يوماً بإبله، وهي ترعى في روض معشب، فجاء يسار بعلبة لبن وسقاها، وكان أفحج الرجلين، فنظرت إلى فحجه فتبسمت، ثم شربت، وأخذت مضجعها، فانطلق فرحاً حتى أتى العبد الراعي، وقصّ عليه القصة، وذكر فرحه بتبسّمها، فقال صاحبه: يا يسار كل من لحم الحوار، واشرب لبن العشار، وإياك وبنات الأحرار، فقال له: دحكت لي دحكة لا أخيبها، يريد: ضحكت لي ضحكة، ثم قام إلى علبة فملأها، وأتى إلى ابنة مولاه، فنبهها، فشربت ثم اضطجعت، فجلس العبد حذاءها، فقالت: ما جاء بك؟ فقال: ما خفي عنك ما جاء بي، فقالت: فأي شيء هو؟ قال: دحكك الذي دحكت إلي، فقالت: حياك الله، ثم قامت إلى سفطٍ لها، فأخرجت منه بخوراً ودهناً، وعمدت إلى موسى، ودعت بمجمرة، وقالت له: إن ريحك ريح الإبل، وهذا دهن طيب، فوضعت البخور تحته، وطأطأت كأنها تصلح البخور، وأخذت مذاكيره، وقطعتها بالموسى، ثم أشمته الدهن، فسلتت أنفه وأذنيه، وتركته، فصار مثلاً لكل جانٍ على نفسه، ومتعدّ طوره.

وزعيم هذا الباب أبو تمام، فقد كان من أهمّ مميزات شعره: استخدامه الحوادث القديمة والحديثة في أماديحه خاصة، كقوله يمدح أبا دلف:

إذا افتخرتْ يوماً تميمٌ بقوسِها
وزادتْ على ما وطَّدتْ من مناقبِ

فأنتم بذي قارٍ أمالتْ سيوفُكم
عروشَ الذين استرهنوا قوسَ حاجبِ

فقد ارتقى بمديحه إلى ذكر قصة قوس حاجب، وخلاصتها: أن حاجب بن زرارة ـ سيد بني تميم ـ أتى إلى كسرى في سنة جدب يستميره، فقال له كسرى: وما ترهنني؟ قال: قوسي، فاستعظمه، وقدّم له ما طلب، فضرب بقوس حاجب المثل عند العرب، ثم كانت وقعة ذي قار، وانتصر العرب على العجم لأول مرة، وحرّروا أرضهم من استعمارهم، وكان الفضل يعود إلى بني شيبان الذين يمتّ إليهم الممدوح بالنسبة، فقال أبو تمام منوّهاً بذكر هذه الحادثة.

ويطول بنا الحديث إن تقصّينا ما ورد في هذا الباب، فحسبنا من القلادة ما أحاط بالجيد.

٢ ـ المبالغة، أو الإفراط في الصنعة:

وفي قوله: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ﴾ فن سماه ابن المعتز: الإفراط في الصنعة، وسماه قدامة: المبالغة، وسمّاه من بعدهما: التبليغ، والناس على تسمية قدامة، وعرفه بقوله: «هو أن يذكر المتكلم حالاً لو وقف عندها لأجزأت، فلا يقف عندها حتى يزيد في معنى كلامه ما يكون أبلغ في معنى قصده». وقد قدمنا في مكان آخر من هذا الكتاب ضروب المبالغات في الكتاب العزيز، فلا حاجة إلى الإعادة، ونقف عند الضرب الخامس الذي منه هذه الآية، وهو ما جرى مجرى الحقيقة، وهو قسمان:

قسم: كان مجازاً فصار بالقرينة حقيقة كهذه الآية، فإن اقتران هذه الجملة بيكاد يصرفها إلى الحقيقة، فانقلبت من الامتناع إلى الإمكان.

وقسم: أتى بصيغة اسم التفضيل، وهو محض الحقيقة من غير قرينة، كقوله تعالى: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ وقد تقدم القول فيه.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان أصناف الخلق، والله مبتدأ، وجملة خلق خبر، وكل دابة مفعول به، ومن ماء جار ومجرور متعلقان بخلق، أي: نطفة بحسب الأغلب. ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ الفاء تفريعية، ومنهم خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وجملة يمشي صلة الموصول، وعلى بطنه متعلقان بيمشي، ومنهم من يمشي على رجلين عطف على ما سبقه. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ عطف، وسيأتي سرّ ذكر من لغير العاقل في باب البلاغة. ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ يخلق الله ما يشاء فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وجملة يشاء صلة، وإن الله: إن واسمها، وعلى كل شيء متعلقان بقدير، وقدير خبر إن. ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ كلام مستأنف، مسوق لذكر آياته سبحانه على طريق الالتفات، كما سيأتي في باب البلاغة، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وأنزلنا فعل وفاعل، وآيات مفعول به، ومبينات صفة، والله مبتدأ، وجملة يهدي خبره، ومن مفعول به، وجملة يشاء صلة، وإلى صراط متعلقان بيهدي، ومستقيم صفة.

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في بيان حال المنافقين، ويقولون فعل مضارع مرفوع وفاعل، وجملة آمنا مقول القول، وآمنا فعل وفاعل، وبالله متعلقان بآمنا، وبالرسول عطف على بالله، وأطعنا عطف على آمنا. ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم حرف عطف، ويتولى فعل مضارع مرفوع، وفريق فاعل، ومنهم صفة، ومن بعد ذلك حال، والإشارة إلى القول المذكور، والواو حالية، وما نافية حجازية، وأولئك اسم إشارة في محل رفع اسم ما، والباء حرف جر زائد، والمؤمنين مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ما، والجملة حالية. ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ الواو عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، ودعوا فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وإلى الله متعلقان بدعوا، ورسوله عطف على الله، والمراد: رسول الله، كقولك: أعجبني زيد وكرمه، تريد: كرم زيد، واللام للتعليل، ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بدعوا، وبينهم ظرف متعلق بيحكم. ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ إذا فجائية، وقامت مقام الفاء في ربط الجواب بشرطه، وهو إذا الأولى، وفريق مبتدأ، ومنهم صفة، وهي التي سوغت الابتداء به، ومعرضون خبر فريق. ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويكن فعل الشرط، ولهم خبر يكن المقدم، والحق اسمها المؤخر، ويأتوا جواب الشرط، وإليه متعلقان بيأتوا، ويجوز أن يتعلق بمذعنين، قال الزمخشري: «وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى: أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المر والعدل البحت يزورّون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم» ومذعنين حال، قال الزجاج: الإذعان: الإسراع مع الطاعة. وفي «القاموس»: «أذعن له: خضع وذل وأقر وأسرع في الطاعة».

□ البلاغة:

١ ـ صحة التفسير:

في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ الآية: فيها فن بديع من فنون البلاغة، سمّاه علماؤها: «صحة التفسير» وسماه ابن الأثير في «المثل السائر»: «التناسب بين المعاني»، وحدّه: أن يأتي المتكلم في أول كلامه بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه، إما أن يكون مجملاً يحتاج إلى تفصيل، أو موجّهاً يفتقر إلى توجيه، أو محتملاً يحتاج المراد منه إلى ترجيح لا يحصل إلا بتفسيره وتبيينه، ووقوع التفسير على أنحاء تارة يأتي بعد الشرط، أو بعد ما فيه معنى الشرط، وطوراً بعد الجار والمجرور، وآونة بعد المبتدأ الذي التفسير خبره. والآية التي نحن بصددها مما وقع بعد الجار والمجرور، فقد ذكر سبحانه الجنس الأعلى مقدماً له حيث قال: ﴿كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ فاستغرق أجناس كل ما دبّ ودرج، ثم فسّر هذا الجنس الأعلى بالأجناس المتوسطة، والأنواع، حيث قال: ﴿فَمِنْهُم﴾ و﴿وَمِنْهُم﴾ مراعياً الترتيب؛ إذ قدم ما يمشي بغير آلة لكون الآية سيقت لبيان القدرة، والتمدح بها، وتعجّب السامعين منها، وما يمشي بغير آلة أعجب مما يمشي بآلة؛ فلذلك اقتضت البلاغة تقديمه، ثم ثنى بالأفضل فالأفضل، فأتى بما يمشي على رجلين، وهو الإنسان والطائر لتمام خلق الإنسان، وكمال حسن صورته، وهيئته، وجمال تقويمه المقتضي تخصيصه بالعقل، ولما في الطائر من عجب الطيران في الهواء الدال على غاية الخفة، ونهاية اللطف، مع ما فيه من كثافة، وثلّث بما يمشي على أربع؛ لأنه أحسن الحيوان البهيم، وأقواه تغليباً على ما يمشي على أكثر من أربع من الحشرات، فاستوعبت جميع الأقسام، وأحسن الترتيب بالإضافة إلى الترتيب، والإشارة، والإرادف، وحسن النسق.

وعرفه صاحب «العمدة» بأنه أن يستوفي الشاعر شرح ما بدأ به مجملاً، وقلّما يجيء هذا إلا في أكثر من بيت واحد، ومثّل له ببيتين للفرزدق، وهما:

لقد جئت قوماً لَوْ لجأت إليهمُ
طريدَ دم أو حاملاً ثقْلَ مَغْرم
لألفيتَ منهم معطياً ومُطاعناً
وراءك شَزْراً بالوشيجِ المقوّم

واشترط صاحب «العمدة» سلامته من سوء التضمين، قال: ومن جيد التفسير قول حاتم الطائي، ويروى لعتيبة بن مرداس:

متى ما يجيءُ يوماً إلى المالِ وارثي
يَجِدْ جَمْعَ كَفٍّ غيْرِ مَلأى ولا صِفرِ
يجدْ فرساً مثل العنان وصارِماً
حُساماً إذا ما هُزَّ لم يرض بالهَبْرِ
وأسْمَرَ خَطِّياً كأنَّ كُعُوبَهُ
نَوى القَسْبِ قد أَرْبَى ذِراعاً على العَشْرِ

فهذا هو التفسير الصحيح السالم من التضمين؛ لأنه لم يعلق كلامه بـ «لو» كما فعل الفرزدق، ومثله قول عروة بن الورد:

وإنَّ امرأً يرجو تُراثي وإنَّ ما يصيرُ له منه غداً لقليلُ
ومالِيَ مال غير دِرْع ومِغْفَرٍ وأبيضَ من ماءِ الحديدِ صقيلِ
وأَسْمَرُ خَطِّيّ القناةِ مُثَقَّفٌ وَأَجْرَدُ عريانُ السّراة طويلُ

هكذا أنشدوه بالإقواء، ويجوز أن يرفع على القطع والإضمار، كأنه قال: هو صقيل، أو قال: ولي أبيض من ماء الحديد، يعني: سيفه. وقال ذو الرمة في التفسير:

وليلٍ كجلبابِ العروسِ ادّرعته
بأربعةٍ والشخصُ في العين واحد
أحمّ علافيّ وأبيض صارِم
وأعيس مَهْرِي وأروع ماجِد

ففسر الأربعة ما هي؟ ورفع على شرط ما قدمت من الإضمار، كأنه قيل

له: ما الأربعة التي شخصها في العين واحد؟ فقال: كذا، وكذا، وكذا.

ومضى صاحب «العمدة» يُورِدُ نماذجَ من التفسير، إلى أن قال: «ومن التفسير ما يفسر فيه الأكثر بالأقل، وذلك ما أتت فيه الجملة بعد الشرح، نحو قول أبي الطيب:

مَـنْ مُبْلِـغُ الأعـرابِ أنِّـي بَعْـدَهـا
جـالسـتُ رَسْطَـالِيـسَ والإِسْكَنْـدَرا

وَمَلِلْـتُ نَحْـرَ عِشَـارِهـا فَـأَضَـافَنـي
مَـنْ يَنْحَـرُ البَـدْرَ النُّضَـارَ لمـن قَـرَىٰ

وسَمِعْـتُ بَطْلَيْمُـوسَ دَارِسَ كُتْبِـه
مُتَملِّكـاً مُتَبَـدِّيـاً مُتَحَضِّرا

ولقيـتُ كـلَّ الفـاضِليـنَ كـأنَّمـا
رَدَّ الإلــهُ نفـوسَهـم والأَعْصُـرا

نُسِقُـوا لنـا نَسَـقَ الحسـابِ مُقَـدَّمـاً
وأتـى فَـذَلِـكَ إذْ أتيـتَ مُـؤَخَّـرا

فقوله: «نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً» البيت تفسير مليح قليل النظير في أشعار الناس» هذا وقال الواحدي في شرح البيت الأخير: «جمع لنا الفضلاء في الزمان ومضوا متتابعين متقدمين عليك في الوجود فما أتيت بعدهم كان فيك من الفضل ما كان فيهم مثل الحساب يذكر تفاصيله ثم تجمع تلك التفاصيل فيكتب في آخر الحساب فذلك كذا وكذا فيجمع في الجملة ما ذكر في التفاصيل، كذلك أنت جمع فيك ما تفرق فيهم من الفضائل والعمل والحكمة».

وقال أبو الطيب أيضاً في التفسير المستحسن:

إن كُوتِبُوا أو لُقُوا أو حُورِبُوا وُجِدُوا
في الخَطِّ واللفظِ والهَيْجَاءِ فُرْسانا

ففسّر، وقابل كل نوع بما يليق به من غير تقديم ولا تأخير، ومن التفسير الحلو قول كشاجم، واسمه محمود بن الحسين:

فـي فمهـا مِسْـكٌ ومَشْمُـولـة صِـرْف ومنظـومٌ مـن الـدُّرِ
فالمسكُ للنكهة والخمر للرّ يقـة واللـؤلـؤُ للثغـرِ

وجميل قول ابن هانىء الأندلسي:

المـدنفـاتُ مـن البريـة كلّهـا جسْمـي وطـرفٌ بـابليٌّ أحـور
والمشرقـاتُ النيِّـراتُ ثـلاثـةٌ الشمسُ والقمرُ المنيرُ وجعفر

٢ ـ التنكير:

ونكر الماء في قوله: ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ وعرفه في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ لأن المقصد في الآية هنا إظهار أن شيئاً واحداً تكونت منه بالقدرة أشياء مختلقة، ذكر تفاصيلها في آية النور والرعد، والمقصد في آية ﴿اقْتَرَبَ﴾[1] أنه خلق الأشياء المتفقة في جنس الحياة من جنس الماء المختلف الأنواع، فذكر معرفاً ليشمل أنواعه المختلفة.

٣ ـ الاستعارة:

الاستعارة في قوله: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ فقد سمّى الزحف على البطن مشياً على سبيل الاستعارة المكنية، كما قالوا في الأمر المستمر: قد مشى هذا الأمر، ويقال: فلان لا يتمشى له أمر.

٤ ـ التغليب:

وفي قوله: ﴿مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ . . . مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ تغليب للعاقل على غيره، وقد مرت له نظائر كثيرة لأنه لما اختلط غير العاقل بالعاقل في الفصل بمن وكل دابة، كان التعبير بمن أولى لتوافق اللفظ.

وقيل: أوقع «من» على غير العاقل لما اختلط بالعاقل، ويحتمل أن تكون

(١) المقصود في الآية التي في السورة التي أولها ﴿اقْتَرَبَ﴾، وهي سورة الأنبياء.

من نكرة موصوفة بالجملة بعدها، والتقدير: فمنهم نوع يمشي على بطنه، ونوع يمشي على رجلين، ونوع يمشي على أربع على حدّ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٍۖ ﴾ قال ابن هشام: «ويجوز في من أن تكون نكرة موصوفة بالجملة بعدها والتقدير: ومن الناس ناس يعبدون الله».

﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقسيم الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين، أو مرتابين في أمر نبوته، أو خائفين أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله. والهمزة للاستفهام التقريري، ويبالغ به تارة في الذم، وتارة في المدح، وهو هنا من النوع الأول، وفي قلوبهم خبر مقدم، ومرض مبتدأ مؤخر، وأم حرف عطف بمعنى بل، فهي منقطعة، وارتابوا فعل وفاعل. ﴿ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أم يخافون عطف على ما تقدم، وأن يحيف في تأويل مصدر مفعول به يخافون، والحيف: الميل، والجور في القضاء، وبل حرف إضراب، وأولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، والظالمون خبر هم، والجملة خبر المبتدأ الأول، أو خبر أولئك. ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وكان فعل ماض ناقص، وقول خبر كان المقدم، والمؤمنين مضاف إليه، وإنما ترجح

نصبه؛ لأنه متى اجتمع معرفتان، فالأولى جعل[١] أوغلهما في التعريف، ولكن سيبويه لم يفرق بينهما، وسيأتي مزيد بحث في باب الفوائد، وإذا ظرف مستقبل، متضمن معنى الشرط، وجملة دعوا في محل جر بإضافة الظرف إليها، والواو نائب فاعل، وإلى الله متعلقان بدعوا، ورسوله عطف على الله، واللام للتعليل، ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وبينهم ظرف متعلق بيحكم، وجعل الزمخشري فاعل يحكم عائداً إلى المصدر؛ لأن معناه ليفعل الحكم بينهم. ﴿أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أن وما حيزها اسم كان، وجملة سمعنا مقول القول، وأطعنا عطف على سمعنا، والواو حرف عطف، وأولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، والمفلحون خبر هم، أو خبر أولئك، وقد تقدم قريباً. ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الواو استئنافية، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويطع فعل الشرط، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو، ورسوله عطف على الله، ويتقه عطف على يطع بسكون الهاء وكسرها، ومع إشباع، وبدونه، والفاء رابطة لجواب الشرط، وأولئك هم الفائزون، تقدم فيه القول كثيراً. ﴿۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ كلام مستأنف لحكاية قول المنافقين لرسول الله أينما كنت نكن معك، لئن خرجت خرجنا، ولئن أقمت أقمنا، ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا. وأقسموا فعل ماض، والواو فاعل، وبالله متعلقان بأقسموا، وجهد أيمانهم مفعول مطلق، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب البلاغة، أو: حال تقديره مجتهدين، وقد خلط الزمخشري الوجهين فجعلهما واحداً، ولئن اللام موطئة للقسم، وإن شرطية أمرتهم فعل وفاعل ومفعول به. ﴿لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ اللام واقعة في جواب القسم، ويخرجن فعل مضارع مرفوع، وحذفت النون لتوالي الأمثال، والواو فاعل، والنون للتوكيد، ولم يبن الفعل؛ لأن النون لم تباشره، وقل فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، ولا ناهية، وتقسموا

---

(١) كذا الأصل، ولعل كلمة «نَصْب» تفي بالغرض المقصود.

فعل مضارع مجزوم بلا، وطاعة خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أمركم، أي: أمركم الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها، ويجوز أن يعرب مبتدأ محذوف الخبر، أي: طاعة معروفة أولى بكم، وأمثل من هذه الأيمان الكاذبة، ومعروفة صفة، وجملة إن الله: تعليلية لما تقدم، وإن واسمها، وخبير خبر، وبما متعلقان بخبير، وجملة تعملون صلة.

□ البلاغـة:

١ ـ الاستعارة:

جهد أيمانكم: لفظ مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها، وقد استعاره للإيمان، وأصله: أقسم بالله جهد اليمين جهداً، فحذف الفعل، وقدم المصدر موضوعاً موضعه مضافاً إلى المفعول كضرب الرقاب، وإذا جعلته حالاً جعلته مؤولاً باسم الفاعل، أي: جاهدين.

٢ ـ صحة التقسيم:

وفي قوله تعالى: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ الآية، فن يقال له: صحة التقسيم، وقد تقدمت الإشارة إليه، فإنها لم تبق قسماً يقع في القلوب من الصوارف عن القبول إلا جاءت به، ألا ترى أنه تعالى بعد قوله: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ ذكر الريبة؛ لأنه لا بد أن يكون الصارف عن الإجابة، فحكم الله ورسوله إما إبطان الكفر وإظهار الإسلام، وهو: المرض، أو التشكك والتردد والتذبذب في حكم الله، هل هو جار على العدل، أو على غيره؟ وذلك هو الريبة، أو يكون الصارف خوف الحيف الذي لا يشعر به رجاء الإنصاف؟ فلم يبق قسم من الصوارف حتى ذكر فيها، ثم ختمها سبحانه بقوله: ﴿ بَلْ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ فيكون مرشحاً للإيغال الذي جاء في فاصلة الآية، فحقّق الظلم وصفاً لهم في الرد عليهم ليبقي ثبوته فيهم، وجوده في حكمه سبحانه، فحصل من ذلك الافتنان، وهو جمع الكلام بين فنيّ الفخر والهجاء، فإن في وصفهم بالظلم وصف ذاته بالعدل، ووصف نبيه بالعدل أيضاً، فإذا أضفت إلى ذلك أن الكلام قد أفرغ في قالب من النزاهة والاحتشام، واشتمل الهجاء

المرير على مالا يوهم الهجاء، وهو من أمضى الهجاء وأقذعه، فقد أضفت إلى ما تقدم فن النزاهة، وهو فن مشهور من فنون البلاغة عبرّ عنه أبو عمرو بن العلاء بقوله: «خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها، فلا يقبح بمثلها»، وابن بسام في قوله في «الذخيرة»: «الهجاء ينقسم إلى قسمين: قسم يسمونه هجاء الأشراف، وهو ما لم يبلغ أن يكون سباباً، أو هجواً مستبشعاً، والثاني: السباب الذي أحدثه جرير، وطبقته» فقد اجتمع في الآية حسن التقسيم، والإيغال، والافتنان، والنزاهة.

ومما ورد من الهجاء الموجع، وليس فيه لفظ فاحش قول أبي تمام:

بني لهيعة ما بالي وبالكم ... وفي البلادِ مناديح ومضطرب

لحاجة لي فيكم ليس يُشْبِهها ... إلا لحاجتكم في أنكم عرب

* الفوائد:

توسط الخبر بين الأفعال الناقصة وبين أسمائهن جائز، قال ابن مالك: «وفي جميعها توسط الخبر أجز» قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فحقاً خبر كان مقدم، ونصر المؤمنين اسمها المؤخر، ويؤخذ من كلام «المغني» أن رفع الخبر ضعيف كضعف الإخبار بالضمير عما دونه في التعريف إلا أن يمنع مانع من تقدم الخبر، كحصر الخبر، نحو: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ أو كخفاء إعرابهما، نحو: كان موسى فتاك، وقد يكون التوسط واجباً، نحو: كان في الدار ساكنها، فتحصل ثلاثة أقسام: قسم يجوز، وقسم يمتنع، وقسم يجب، وسكتوا عن تقديم أسمائهن لعدم تصوّره، إذ متى تقدم الاسم صار مبتدأ، وتحمل الناسخ ضميره، فلا يقال: إن الاسم تقدم.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ

ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٥٥)﴾

○ الإعراب:

﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لخطاب المأمورين بالطاعة من جهته تعالى. وجملة أطيعوا مقول القول، ولفظ الجلالة مفعول به، وأطيعوا الرسول عطف على: أطيعوا الله. ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ الفاء عاطفة، وإن شرطية، وتولوا فعل الشرط، وهو مضارع حذفت إحدى تاءيه، فإنما: الفاء رابطة للجواب، والجواب محذوف، أي: إن تتولوا عن الطاعة إثر ما أمرتم بها فاعلموا أنما عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما حمل، أي: ما أمر به من التبليغ، وإنما كافة ومكفوفة، وعليه خبر مقدم، وما حمل مبتدأ مؤخر، وجملة حُمِّل صلة، وعليكم ما حملتم عطف على ما تقدم. ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وتطيعوه فعل الشرط، وهو فعل وفاعل ومفعول به، وتهتدوا جواب الشرط، والواو حالية، أو استئنافية، وما نافية، وعلى الرسول خبر مقدم، وإلا أداة حصر، والبلاغ مبتدأ مؤخر، والمبين صفة. ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير المصير للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، والتمكين لهم في الأرض. ووعد الله الذين فعل وفاعل ومفعول به، وجملة آمنوا صلة، ومنكم حال، وعملوا الصالحات عطف على آمنوا، ومفعول وعد الثاني محذوف تقديره: الاستخلاف لدلالة قوله: ليستخلفنهم عليه، واللام جواب قسم مضمر، أي: أقسم ليستخلفنهم، وفي الأرض متعلقان بيستخلفنهم، وللك أن تنزل وعد منزلة أقسم، فتلقى بما يتلقى به القسم.

﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف، أي: استخلافاً كاستخلاف الذين من قبلهم، والذين مفعول استخلف، ومن قبلهم متعلقان بمحذوف صلة الذين. ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ وليمكنن عطف على ليستخلفنهم، فهو مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، ولهم متعلقان بيمكنن، ودينهم مفعول به، والذي صفة، وجملة ارتضى صلة، والعائد محذوف، أي: ارتضاه، ولهم متلعقان بارتضى. ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ وليبدلنهم عطف على ما تقدم، والهاء مفعول به أول، ومن بعد خوفهم حال، وأمناً مفعول به ثان. ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ جملة يعبدونني استئنافية على الأرجح فلا محل لها، وكأنها جواب لسؤال مقدر، أي: ما بالهم، فقيل: يعبدونني، واختار بعض المعربين أن تكون حالاً من مفعول وعد، أي: وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم، فمحلها النصب، أو حال من مفعول: لسيتخلفنهم. وجملة لا يشركون بي شيئاً بدل منها، ولك أن تجعلها حالاً من فاعل يعبدونني، أي: يعبدونني موحدين، وهو جيد، ولك أن تجعلها استئنافية كسابقتها، وشيئاً مفعول مطلق، أو مفعول به، وقد تقدم مثله كثيراً، ومن كفر: الواو استئنافية، ومن شرطية مبتدأ، وكفر فعل ماض فعل الشرط، وبعد ذلك متعلق بكفر، فأولئك هم الفاسقون: الجملة جواب الشرط، وقد تقدم إعراب نظيرتها.

* الفوائد:

ذكر التاريخ أن النبي ﷺ وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين، ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه، حتى قال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه، ونضع السلاح! فقال النبي ﷺ: «لا تغبرون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم الملأ العظيم محتبياً ليس معه حديدة» فأنجز الله وعده، وأظهرهم على جزيرة العرب، وافتتحوا بلاد المشرق والمغرب، ومزقوا ملك الأكاسرة، وملكوا خزائنهم، واستولوا على الدنيا، ثم خرج

الذين على خلاف سيرتهم، فكفروا بتلك الأنعم، وفسقوا، وذلك قوله ﷺ «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم يملك الله من يشاء، فتصير ملكاً، ثم تصير بِزِّيزى: قطع سبيل، وسفك دماء، وأخذ أموال بغير حقها». ومعنى بزيزى، قال في «الصّحاح»: «بزه يبزه بزّاً: سلبه، والاسم البزيزى، مثل: الخصِّيصى».

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ كلام معطوف على: وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول، قال الزمخشري: «وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال؛ لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه» ولك أن تعطفه على محذوف يقتضيه السياق، وتقديره: فآمنوا واعملوا صالحاً وأقيموا الصلاة، وإعراب الجملة واضح كل الوضوح. ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ لا ناهية، وتحسبن فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والذين مفعول تحسبن الأول، وجملة كفروا صلة، ومعجزين مفعول تحسبن الثاني، وفي الأرض متعلقان بمحذوف حال، ومتعلق معجزين محذوف، أي: لنا، ومأواهم عطف على لا تحسبن الذين كفروا، عطف خبر على إنشاء على رأي بعضهم، أو معطوف على مقدر

تقديره: بل هم مقهورون مدركون، ومأواهم، ولعله أولى لأنه يكون عطف خبر على خبر، ومأواهم مبتدأ، والنار خبره، أو بالعكس، ولبئس: اللام موطئة للقسم، وبئس فعل ماض جامد للذم، والمصير فاعل، والمخصوص بالذم محذوف، أي: مصيرهم، يعني: النار. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان حكم الاستئذان، وسيأتي في باب الفوائد المزيد منها، واللام لام الأمر، ويستأذنكم فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، والكاف مفعول به، والذين فاعل، وجملة ملكت أيمانكم صلة. ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ والذين عطف على الذين، وجملة لم يبلغوا الحلم صلة، ومنكم حال، وثلاث مرات نصب على الظرفية، أو المفعولية المطلقة، فإن قدرت بمعنى ثلاثة أوقات فهي ظرف، وإن قدرت بمعنى ثلاثة استئذانات، فهي مفعول مطلق، ومن قبل صلاة الفجر بدل من ثلاث مرات، ويجوز أن يكون في محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: هنَّ من قبل، وإنما وجب الاستئذان في ذلك الوقت؛ لأنه وقت القيام من المضاجع، وطرح الغلائل، وما ينام فيه من الثياب. ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ وحين عطف على محل من قبل صلاة الفجر، وجملة تضعون مجرورة بإضافة الظرف إليها، وثيابكم مفعول به، ومن الظهيرة حال، أي: حين ذلك الوقت الذي هو الظهيرة، أو: بتضعون، فتكون من بمعنى في. ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ﴾ ومن بعد صلاة العشاء عطف على ما قبله، وثلاث عورات خبر لمبتدأ محذوف مقدر بعده مضاف، وقام المضاف إليه مقامه، أي: هي أوقات ثلاث عورات، وسمي كل واحد من هذه الأحوال عورة؛ لأن الناس يختل تسترهم، وتحفظهم فيها. والعورة: الخلل، وفي «الصحاح»: «أعور الفارس؛ إذا بدا فيه موضع خلل للضرب، والأعور: المختل العين». ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ جملة ليس عليكم... الخ صفة لثلاث عورات، والمعنى: هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان، وعليكم خبر ليس المقدم، وجناح اسمها المؤخر، وبعدهن ظرف متعلق بمحذوف صفة لجناح،

وطوافون خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هم، وعليكم متلعقان بطوافون؛ لأنه صيغة مبالغة لاسم الفاعل، وبعضكم مبتدأ، وعلى بعض خبره، أي: طائف على بعض بدلالة طوافون، ويجوز أن يعرب بدلاً من قوله طوافون، ولأبي حيان كلام مطول فيه لا جدوى منه، ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف، وقد تقدم كثيراً، ويبين الله لكم الآيات فعل مضارع وفاعل ومفعول به، والله مبتدأ، وعليم خبر أول، وحكيم خبر ثان.

* **الفوائـد:**

روي أن مدلج بن عمرو ـ وكان غلاماً أنصارياً ـ أرسله رسول الله ﷺ وقت الظهيرة إلى عمر ليدعوه، فدخل عليه وهو نائم، وقد انكشف عنه ثوبه، فقال عمر: لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا ألا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن، ثم انطلق معه إلى النبي ﷺ، فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية، وهي إحدى الآيات المنزلة بسبب عمر. وقيل: نزلت في أسماء بنت أبي مرثد قال: إنا ندخل على الرجل والمرأة، ولعلهما يكونان في لحاف واحد، وقيل: دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله، فأتت رسول الله ﷺ.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً اطلع من بعض حُجَر النبي ﷺ، فقام إليه النبي ﷺ بمشقص، أو مشاقص، فكأني أنظر إليه يختل الرجل ليطعنه، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، ولفظه: أن أعرابياً أتى باب النبي ﷺ، فألقم عينه خصاصة الباب، فبصر به النبي ﷺ، فتوخاه بحديدة، أو عودة ليفقأ عينه، فلما أبصره انقمع، فقال له النبي ﷺ: «أما إنك لو ثبت عليك لفقأت عينك».

والمشقص: ـ بكسر الميم بعد شين ساكنة، وقاف مفتوحة ـ هو سهم له نصل عريض، وقيل: طويل، وقيل: هو النصل العريض نفسه، وقيل: الطويل.

ويختِله: ـ بكسر التاء ـ: أي: يخدعه، ويراوغه.

وخَصاصة الباب: ـ بفتح الخاء المعجمة وصادين مهملتين ـ: هي الثقب فيه، والشقوق، ومعناه: أنه جعل الشق الذي في الباب محاذياً عينه.

توخّاه: أي: قصده، بتشديد الخاء المعجمة.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ﴾: جمع قاعد بغير تاء، وفي «المصباح»: «وقعدت المرأة عن الحيض: أسنت، وانقطع حيضها، فهي قاعد بغير تاء، والجمع: قواعد. وقعدت عن الزوج فهي لا تشتهيه» ولولا تخصيصهن بذلك لوجبت التاء، نحو: ضاربة، وقاعدة، ومن القعود المعروف.

﴿مُتَبَرِّجَٰتٍۭ﴾: مظهرات للزينة، وحقيقة التبرج: تكلّف إظهار ما يجب

إخفاؤه من قولهم: سفينة بارج، لا غطاء عليها، والبرج محركة: سعة العين يرى بياضها محيطاً بسوادها كله، لا يغيب منه شيء، إلا أنه اختص بأن تتكشف المرأة للرجال بإبداء زينتها، وإظهار محاسنها للرجال. وفي «المختار»: «والتبرج: إظهار المرأة زينتها، ومحاسنها للرجال» فالبرج يعطي معنى الاتساع، يقال: برج يبرج برجاً، من باب: تعب؛ اتسع أمره في الأكل والشرب ونحوهما، وبرجت عينه: اتسعت بحيث يرى بياضها محدقاً بالسواد كله، والبرج: الركن والحصن، والقصر، وكل بناء مرتفع على شكل مستدير أو مربع، ويكون منفرداً أو قسماً من بناية عظيماً، وجمعه: بُرُج بضمتين، وأبراج، وأبرجة، والبرج أيضاً: أحد بروج السماء، وهي اثنا عشر: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت. والبارجة: سفينة كبيرة للقتال، وتُجمع على: بوارج، ومن أقوالهم: ما فلان إلا بارجة قد جمع فيه كل الشر، أي: إنه شرير.

﴿صَدِيقِكُمْ﴾ الصديق يكون واحداً أو جمعاً، وكذلك الخليط، والقطين، والعدو، وهو الصادق في المودة والمخالّة، قال الشاعر:

دعَون الهوى ثم ارتمين قلوبنا ... بأعينِ أعداءٍ وهنّ صديق

ومن هنا اختلس أبو نواس معناه في قوله:

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفتْ ... له عن عدوّ في ثياب صديق

﴿أَشْتَاتًا﴾: جمع شت، بمعنى التفرق، وفي «المختار»: «أمر شَتّ بالفتح، أي: متفرق، تقول: شت الأمر يشِت ـ بالكسر ـ من باب: ضرب، شَتاً، وشَتاتاً بفتح الشين فيهما، أي: تفرق».

○ الإعراب:

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير حكم الأطفال الذين خرجوا عن حد الطفولة

بأن يحتلموا، أو يبلغوا السن التي يحكم فيها بالبلوغ في وجوب الاستئذان، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة بلغ الأطفال مجرورة بإضافة إذا إليها، ومنكم حال، والحلم مفعول به، والفاء رابطة لجواب إذا، واللام لام الأمر، ويستأذنوا مضارع مجزوم باللام، وكما نعت لمصدر محذوف، وما مصدرية، أي: استئذاناً كاستئذان الذين من قبلهم، والذين فاعل، ومن قبلهم متعلقان بالصلة. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف، ويبين الله فعل مضارع وفاعل، ولكم متعلقان بيبين، وآياته مفعول به، والله مبتدأ، وعليم خبر أول، وحكيم خبر ثان. ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ الواو استئنافية، والقواعد مبتدأ، ومن النساء حال، واللاتي صفة للقواعد لا للنساء، إذ لا يبقى مسوغ لدخول الفاء في خبر المبتدأ، وجملة لا يرجون صلة، ويرجون فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، والنون فاعل، ونكاحاً مفعول به.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍۖ﴾ الفاء واقعة في جواب الموصول؛ لأن الألف واللام في القواعد بمعنى اللاتي قعدن، وجملة ليس خبر القواعد، وعليهن خبر ليس المقدم، وجناح اسمها المؤخر، وأن وما في حيزها في موضع نصب بنزع الخافض، أي: في أن يضعن ثيابهن، بمعنى: ينزعن ثيابهن، فيجوز النظر إلى أيديهن ووجوههن، وسيأتي مزيد بسط لهذه الآية في باب البلاغة. وغير متبرجات حال، وبزينة متعلقان بمتبرجات، واعتبرها بعضهم بمعنى اللام، أي: غير مظهرات لزينة، واعتبر آخرون الباء للتعدية، أي: غير مظهرات زينة. وفي «حاشية الشهاب» على البيضاوي: «قوله غير مظهرات زينة: أشار به إلى أن الباء للتعدية؛ ولذا فسّر بمتعد، مع أن تفسير اللازم بالمتعدي كثير، ويؤيده أن أهل اللغة لم يذكروه متعدياً بنفسه، ولم نر مَن قال: تبرجت المرأة حليها، وليست الزينة مأخوذة في مفهومه حتى يقال: إنه تجريد كما توهم، فمن قال: إنه إشارة إلى زيادة الباء في المفعول به فقد أخطأ».

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الواو عاطفة، وأن وما في حيزها مبتدأ، وخير خبر، ولهن متعلقان بخير، أي: والاستعفاف من الوضع خير لهن، لما ذكر الجائز أعقبه بالمستحب بعثاً منه على اختيار أفضل الأعمال وأحسنها، كقوله: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ والله مبتدأ، وسميع خبر أول، وعليم خبر ثان. ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ كلام مستأنف، مسوق لأمر اختلف العلماء في تأويله، وأقرب ما ذكروه من تلك التأويلات: أن هؤلاء الطوائف الثلاث كانوا يتحرجون عن مؤاكلة الأصحاء، فإن الأعمى ربما سبقت يده إلى أطيب الطعام فسبقت البصير إليه، والأعرج يتفسح في مجالسه فيأخذ مكاناً واسعاً فيضيق على السليم، والمريض لا يخلو من حالة مؤذية لقرينه وجليسه، فنزلت هذه الآية، وسيأتي في باب الفوائد بقية الأقوال.

وليس فعل ماض ناقص، وعلى الأعمى خبرها المقدم، وحرج اسمها المؤخر، ولا على الأعرج حرج عطف على ما سبقه، وكذلك ما بعده. ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ الواو استئنافية، وما بعدها كلام مستأنف لتقرير إباحة ما حرموه على أنفسهم، ففي القرطبي: «أنه لما أنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قال المسلمون: إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، وأنّ الطعام من أفضل الأموال، فلا يحلّ لأحد منا أن يأكل عند أحد فنزلت» ولا نافية، وعلى أنفسكم خبر مقدم، وأن وما في حيزها مبتدأ مؤخر، ومن بيوتكم متعلقان بتأكلوا. ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ﴾ عطف على ما تقدم وإخوانكم بمعنى إخوتكم. ﴿أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ﴾ عطف أيضاً على ما سبق. ﴿أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ﴾ عطف أيضاً على ما سبق. ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ ما عطف على ما سبق، وجملة ملكتم صلة، ومفاتحه مفعول به، والمراد بها: أموال الرجل إذا كان له عليها قيّم، أو

وكيل يحفظها له، والمفاتح: جمع مفتاح، وتُجمع على مفاتيح، والمراد: الخزائن، وأو حرف عطف، وصديقكم معطوف على ما سبق. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ الجملة بدل من الجملة السابقة، وأن تأكلوا: أن وما في حيزها نصب بنزع الخافض، أي: في أن تأكلوا، وجميعاً حال، وأشتاتاً عطف على جميعاً، والمعنى: أنهم لما تحرّجوا في الاجتماع على الطعام، والمشاركة فيه لاختلاف الآكلين، بيّن أنه لا حرج عليهم أن يأكلوا مجتمعين ومتفرقين، وسيأتي مزيد بسط لهذا كله في بابي البلاغة، والفوائد. ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ الفاء عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة دخلتم في محل جر بإضافة الظرف إليها، وبيوتاً نصب على المفعولية على السعة، وقد اختلف في المراد بهذه البيوت، والصحيح: أنها عامة؛ لأنه لا دليل على التخصيص، فسلموا: الفاء رابطة، وسلموا فعل أمر وفاعل، وعلى أنفسكم متعلقان بسلموا، وتحية منصوب على المصدر من معنى فسلموا، فهو مرادفه، كقعدت جلوساً، وفرحت جزلاً، ومن عند الله صفة لتحية، أو بنفس التحية، ومباركة صفة، وطيبة صفة أيضاً، أي: يرجى بها زيادة الخير، وتطيب بها نفس المستمع. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف، ويبين الله فعل مضارع وفاعل، ولكم متعلقان بيبين، والآيات مفعول به، ولعل واسمها، وجملة تعقلون خبر لعل.

□ البلاغة:

١ ـ عكس الظاهر:

في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ فن يطلق عليه بعض علماء البيان اسم عكس الظاهر، وبعضهم يسميه نفي الشيء بإيجابه، وقد سبقت الإشارة إليه في كتابنا، وهو من محاسن الكلام، فإذا تأملته وجدت باطنه نفياً، وظاهره إيجاباً، أو: أن تذكر كلاماً يدل ظاهره على أنه نفي لصفة موصوف، وهو نفي

للموصوف أصلاً، ومن أهم أبياته قول امرىء القيس:

على لاحبٍ لا يُهتدى بمنارِه إذا سافه العودُ النّباطيُّ جرجرا

فاللاحب هو: الطريق الواضح، والمنار: هو العلامة توضع على الطريق للهداية، وفي الحديث: «إن للدين صوى ومناراً كمنار الطريق». وسافه: شمه، والعود المسن من الإبل والنباطي: الضخم، وجرجر: رغا، وضج، وأخرج جرته، فقوله: «لا يهتدى بمناره» لم يرد أن له مناراً لا يُهتدى به، ولكن أراد أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار.

وكذلك المراد هنا، والقواعد من النساء اللاتي لا زينة لهن، فيتبرجن بها؛ لأن الكلام فيمن هي بهذه المثابة، وكأن الغرض من ذلك أن هؤلاء استعفافهن عن وضع الثياب خير لهن، فما ظنك بذوات الزينة من الثياب؟! وأبلغ ما في ذلك أنه جعل عدم وضع الثياب في حقّ القواعد من الاستعفاف إيذاناً بأن وضع الثياب لا مدخل له في العفة، هذا في القواعد، فكيف بالكواعب؟!.

٢ ـ الإيضاح:

وفي قوله: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية فن الإيضاح، وهو: أن يذكر المتلكم كلاماً في ظاهره لبس، ثم يوضحه في بقية كلامه، والإشكال الذي يحلّه الإيضاح يكون في معاني البديع من الألفاظ، وفي إعرابها، ومعاني النفس دون الفنون، وقد سبق ذكره في هذا الكتاب، وهنا في هذه الآية ترد على ظاهرها أسئلة:

أولها: ما الفائدة في الإخبار برفع الجناح عمن أكل من بيته؟ وكيف يظن أن على من أكل من بيته جناحاً؟

وثانيها: لِمَ لَمْ يذكر بيوت الأولاد كما ذكر بيوت غيرهم من الأقارب القريبة؟

وثالثها: ما فائدة قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ وظاهر الحال أن هذا داخل في قوله: ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾؟

ورابعها: كيف وقعت التسوية بين الصديق وبين هؤلاء الأقارب؟

والأجوبة التي تتضح بها هذه الإشكالات الأربعة هي:

الجواب الأول:

أما فائدة الإخبار برفع الجناح عمن أكل من بيته، فإنما ذكر ذلك توطئة ليبني عليه ما يعطفه على جملته من البيوت التي قصد إباحة الأكل منها، فإنه إذا علم أن الإنسان لا جناح عليه أن يأكل من بيته، فكذلك لا جناح عليه أن يأكل من هذه البيوت؛ ليشير إلى أن أموال هذه القرابة كمال الإنسان، وإذا تساوت هذه الأموال سرى ذلك التساوي إلى الأزواج، فيكون سبحانه قد أدمج في ذلك الحض على صلة الأرحام ومعاملتهم معاملة الإنسان نفسه.

الجواب الثاني:

وأما عدم ذكر بيوت الأولاد فإنما ذكر من الأموال ما يظن بأن الأكل منه محظور، فاحتاج إلى بيان الإباحة، وأما أموال الأولاد فتصرف الوالدين فيها كتصرّفهم في أموالهم أنفسهم؛ لأن ولد الرجل بعضه، وحكمه حكم نفسه، ألا ترى أن الشرع يوجب على الولد نفقة الوالدين إذا كانا محتاجين؟ وفي الحديث: «إن طيب ما يأكل المرء من كسبه، وإن ولده من كسبه».

الجواب الثالث:

وأما زعم القائل بأن الكلام فيه تداخل؛ لأن قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ هو ما في بيوتهم، فإنه يحتمل أن يراد بما في البيوت المال التليد العتيد، وما ملك الإنسان مفاتحه: المال الطريف المكتسب؛ الذي يتسبّب الإنسان في تحصيله، ويتعب في اكتسابه.

الجواب الرابع:

وأما سرّ التسوية بين الصديق وبين هؤلاء الأقارب، فهو تعريف حق الصديق الذي ساوى باطنه ظاهره في إخلاص المودة، ولا يسمى صديقاً حتى يكون كذلك، فإن اشتقاق اسمه من صدق المحبة، وصفاء المودة، وهو الذي

أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ فإذا كان الصديق بهذه المثابة، وعلى هذه الصفة ساوى هذه القرابة القريبة، فليس على الإنسان جناح إذا تصرّف في ماله تصرّفه في مال نفسه.

ـ فنون أخرى في الآية الكريمة:

هذا؛ وقد اشتملت هذه الآية الكريمة بعض إيضاح هذه الإشكالات على تسعة أضرب من فنون البديع، ندرجها فيما يلي، مع التلخيص والاختصار:

آ ـ صحة التقسيم: وذلك لاستيعاب الكلام جميع أقسام الأقارب القريبة، بحيث لم يغادر منها شيئاً.

ب ـ التهذيب: وذلك في انتقال الكلام على مقتضى البلاغة في هذا المكان، فإن مقتضى البلاغة تقديم الأقرب فالأقرب كما جاء فيها.

جـ ـ حسن النسق: وذلك في اختياره ﴿أو﴾ لعطف الجمل، وهي تدل على الإباحة.

د ـ الكِنَاية: فقد كنى سبحانه عن الأموال بالبيوت التي هي حرز الأموال، ومقرها، من باب: تسمية الشيء بما جاوره، كقولهم: سال الميزاب، وجرى النهر.

هـ ـ المناسبة: وذلك بمناسبة الألفاظ بعضها ببعض في الزنة، وهي واضحة في لفظة: آبائكم، وأخوانكم، وأعمامكم، وأخوالكم.

و ـ المثل: وذلك في قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ خرج مخرج المثل السائر الذي يصح أن يتمثل به في كل واقعة تشبه واقعته.

ز ـ التذييل: فإن الكلام الذي خرج مخرج المثل جاء تذييلاً لمعنى الكلام المتقدم لقصد توكيده، وتقريره.

ح ـ المطابقة: وذلك في قوله: ﴿جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ فإن هاتين اللفظتين تضادتا تضاداً أوجب لهما وصفها بالمطابقة؛ لأن المعنى جميعاً أو متفرقاً.

ط ـ المقارنة: وذلك في موضعين:

أحدهما: اقتران التمثيل بالتذييل كما تقدم بيانه.

والثاني: اقتران المطابقة بالتمكين، فإن فاصلة هذا الكلام في غاية التمكين.

* الفوائـد:

ذكرنا في باب الإعراب أقرب الوجوه في تأويل قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ . . .﴾ الآية، ووعدناك بأن نورد بقية الوجوه التي ذكرها المفسرون؛ فقد كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات إلى بيوت أزواجهم وأولادهم، وإلى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها، فخالج قلوب المطعِمين والمطعَمين ريبة في ذلك، وخافوا أن يلحقهم فيه حرج، وكرهوا أن يكون أكلاً بغير حق لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ فقيل لهم: ليس على الضعفاء، ولا على أنفسكم، يعني: عليكم، وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك.

وقيل: كانوا يخرجون إلى الغزو، ويخلفون الضعفاء في بيوتهم، ويدفعون إليهم المفاتيح، ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم، فكانوا يتحرّجون. حُكي عن الحارث بن عمرو أنه خرج غازياً، وخلف مالك بن زيد في بيته وماله، فلما رجع رآه مجهوداً فقال: ما أصابك؟ قال: لم يكن عندي شيء، ولم يحل لي أن آكل من مالك، فقيل لي: ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا منه، ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت.

وقيل: نزلت رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد، فعلى هذا تم الكلام قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ

فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

☆ **اللغة:**

﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾: ينسلون واحداً بعد واحد، أو قليلاً قليلاً.

﴿لِوَاذًا﴾: في «القاموس»: «اللوذ بالشيء: الاستتار، والاحتصان به، كاللواذ مثلثة، واللياذ، والملاوذة، والإحاطة كالإلاذة، وجانب الجبل، وما يطيف به، ومنعطف الوادي، والجمع: ألواذ». وكان المنافقون يخرجون متسترين بالناس من غير استئذان حتى لا يُروا، والمفاعلة لأن كلاً منهما يلوذ بصاحبه، فالمشاركة موجودة، وإنما صحت الواو في لواذاً مع انكسار ما قبلها؛ لأنها تصحّ في الفعل الذي هو لاوذ، ولو كان مصدر لاذ لكان لياذ مثل: صام صياماً، وقام قياماً.

﴿يُخَالِفُونَ﴾: يقال: خالفه إلى الأمر؛ إذا ذهب إليه دونه، وخالفه عن الأمر؛ إذا صدّ عنه دونه.

○ **الإعراب:**

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتقرير حال المنافقين الذين كان يعرض بهم النبي في مجالسه، وخطبه. وإنما كافة ومكفوفة، والمؤمنون مبتدأ، والذين خبره، وجملة آمنوا بالله ورسوله صلة الموصول، أي: هؤلاء هم المؤمنون الكاملو الإيمان، أما المنافقون فكانوا إذا جلسوا في مجلسه يرامقون أصحابه، فإن بدرت لهم منهم غفلة عنهم تسللوا

لواذاً، وذهبوا خفية من غير استئذان. ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ الواو عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة كانوا في محل جر بإضافة الظرف إليها، والواو اسم كان، ومعه ظرف متعلق بمحذوف خبر، وعلى أمر متعلقان بمحذوف حال، ولك أن تعكس الأمر، وجامع صفة لأمر، كالحروب، وصلاة الجمعة، والعيدين، وسيأتي معنى إسناد الجمع للأمر في باب البلاغة(١). وجملة لم يذهبوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وحتى حرف غاية وجر، ويستأذنوه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، ويستأذنوه فعل وفاعل ومفعول به. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إن واسمها، وجملة يستأذنونك صلة، وأولئك مبتدأ، والذين خبره، وجملة يؤمنون بالله ورسوله صلة الموصول، والجملة الاسمية خبر إن. ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ الفاء عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة استأذنوك مجرورة بإضافة الظرف إليها، ولبعض شأنهم متعلقان باستأذنوك بمثابة التعليل للاستئذان، فائذن: الفاء رابطة لجواب إذا، وائذن فعل أمر وفاعله مستتر تقديره: أنت، ولمن متعلقان به، وجملة شئت صلة، ومنهم حال، وفيه تفويض الأمر لرأي رسول الله. ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ واستغفر عطف على فائذن، ولهم جار ومجرور متعلقان باستغفر، وجملة إن الله غفور رحيم تعليل للاستغفار فلا محلّ لها. ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ اضطربت عبارات المفسرين في تفسير هذا التعبير، وأقرب ما قيل فيه: لا تجعلوا دعاءه إياكم كدعاء بعضكم لبعض، فتتلكؤون، وتحجمون، كما يتلكأ، ويحجم بعضكم عن بعض إذا دعاه لأمر، فالمصدر ـ وهو دعاء ـ مضاف إلى الفاعل، ويجوز أن يكون مضافاً إلى المفعول، أي: دعاءكم الرسول، ونداءكم له كدعاء ونداء بعضكم لبعض. ولا ناهية، وتجعلوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية،

(١) فات المؤلف ـ رحمه الله ـ إفراد بابٍ للبلاغة لهذه الآيات.

والواو فاعل، ودعاء الرسول مفعول به، وبينكم ظرف متعلق بمحذوف حال، والكاف بمعنى مثل مفعول به ثان، وبعضكم مضاف لدعاء، وبعضاً مفعول به لدعاء، ونصبه بعضهم بنزع الخافض، أي: لبعض، وذلك متحتم عندما يقدر دعاء مضافاً لمفعوله. ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ قد ـ هنا ـ بمعنى ربما، وذلك مطرد في دخولها على المضارع، وسيأتي مزيد تفصيل عنها في باب الفوائد، ويعلم الله فعل مضارع وفاعل، وجملة يتسللون صلة، ومنكم متعلقان بيتسللون، ولواذاً يجوز أن ينصب على المصدر من معنى الفعل إذا كان التقدير: يتسللون منكم تسللاً، أو: يلاوذون لواذاً، ويجوز أن يكون مصدر في موضع نصب على الحال، أي: ملاوذين. ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الفاء الفصيحة، أو عاطفة على ﴿قَدْ يَعْلَمُ﴾ لأنها مترتبة عليه، واللام لام الأمر، ويحذر فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، والذين فاعل، وجملة يخالفون صلة، ومفعول يخالفون محذوف، وهو الله تعالى؛ لأنه الآمر، وجيء بـ «عن» لتضمنه معنى الصدّ والإعراض، وأن يصيبهم مفعول يحذر، وفتنة فاعل، أو يصيبهم عذاب أليم عطف على أن تصيبهم فتنة. ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ قد للتكثير كما تقدم، وكما سيأتي، ويعلم فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله تعالى، وما مفعول به، وأنتم مبتدأ، وعليه خبر، والجملة صلة. ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ ويوم عطف على مفعول يعلم، أي: ويعلم ما يرجعون، وجملة يرجعون صلة، ويرجعون بالبناء للمجهول، فينبئهم عطف على يعلم، والهاء مفعول، وبما عملوا في موضع المفعول الثاني، والله مبتدأ، وبكل شيء متعلقان بعليم، وعليم خبر.

* الفوائد:

تقدم القول في «قد» ونضيف هنا أنها إذا دخلت على المضارع أفادت التكثير، وكانت بمعنى «ربما» ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

أخي ثِقَـةٍ لا تُـهْلِكُ الخمرُ مالَـه ولكنّه قد يُـهْلِكُ المـالَ نائِلُـهْ

فـ «قد» هنا للتكثير، وإلا لم يكن مدحاً، والثقة: من وثق، كالعدة من وعد، وإسناد الإهلاك إلى الخمر مجاز عقلي، وكذلك إسناده إلى النائل، أي: العطاء، والمراد: وصفه بالكرم. ومن أمثلة «ربما» قول ابن عطاء السندي يرثي ابن هبيرة:

أَلاَ إنَّ عيناً لم تجدْ يومَ واسطٍ عليك بجاري دمعها لجمود
عشيةَ قام النائحاتُ وشقّقت جيوبٌ بأيدي مأتمٍ وخدود
فإن تمس مهجورَ الفناءِ فربما أقام به بعد الوفودِ وفود

وواسط موضع الواقعة التي قتل المنصور فيها ابن هبيرة، والمأتم مكان الإقامة، واستعمل في جماعة النساء الحزينات مجازاً، وجمعه: مآتم، يقول: إن كل عين لم تبك عليك ذلك اليوم شديدة الجمود، وعشية بدل من يوم، وجيب القميص: مخرج الرأس منه، أي: مزقت الجيوب والخدود بأيدي النساء؛ ثم التفت إلى الخطاب، وقوله: فإن تمس مهجور الفناء: كناية عن الموت، فربما: أي: كثيراً أقام بفناء بيتك جموع من الناس بعد جموع يستمنحونك، فإن يهجر فناؤك الآن فلا حزن؛ لأنه كثيراً ما اجتمع فيه الناس، ومنحوا خيراً.

* * *



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ تَبَارَكَ ﴾: البركة: زيادة الخير، وكثرته، والزيادة تكون حسية ومعنوية، أي: تزايد خيره، وتكاثر، أو تزايد عن كل شيء، وتعالى عنه في صفاته وأفعاله، ثم إن تبارك فعل ماض جامد لا يتصرف، فلا يأتي منه مضارع، ولا أمر، ولا اسم فاعل، وليس له مصدر، ولا يستعمل في غير الله

تعالى، وسيأتي بحث الجامد في باب الفوائد.

﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾: القرآن؛ لأنه فرق بين الحق والباطل، وقيل: لأنه نزل مفرقاً في أوقات كثيرة. وفي «المصباح»: «فرقت بين الشيئين فرقاً، من باب: قتل، فصلت أبعاضه، وفرقت بين الحق والباطل، فصلت أيضا، هذه هي اللغة العالية، وبها قرأ السبعة في قوله تعالى: ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ وفي لغة، من باب: ضرب، وقرأ بها بعض التابعين، وقال ابن الأعرابي: فرقت بين الكلامين فافترقا مخفّف، وفرقت بين العبدين فتفرقا مثقّل، فجعل المخفف في المعاني، والمثقل في الأعيان. والذي حكاه غيره أنهما بمعنىً والتثقيل مبالغة».

ولهذه المادة في اللغة شعاب كثيرة، وسنورد لك منها ما يروق الخاطر: فالفرقان مصدر فرق بين الشيئين؛ إذا فصل بين الشيئين، وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل، أو لأنه لم ينزل جملة واحدة، ولكن مفروقاً مفصولاً بين بعضه وبعض في الإنزال، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ والأظهر هو المعنى الثاني؛ لأن في السورة بعد آيات: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾. قال الله تعالى كذلك، أي: أنزلناه مفرقاً كذلك لنثبت به فؤادك، فيكون وصفه بالفرقان في أول السورة كالمقدمة، والتوطئة لما يأتي بعد، وقد رأت دائرة المعارف الإسلامية كلمة فرقان مجهولة الأصل، وهذا خطأ بيِّن، ووهم ظاهر كما رأيت من اشتقاق الكلمة، يقال: فرق لي الطريق فروقاً، وانفرق انفراقاً إذا اتجه لك طريقان، فاستبان ما يجب سلوكه منهما، وطريق أفرق: بيِّن، وضم تفاريق متاعه، أي: ما تفرق منه، وضرب الله بالحق على لسان الفاروق، وسطع الفرقان، أي: الصبح، وهذا أبين من فلق الصبح، وفرق الصبح، وتقول: سبيل أفرق كأنه الفرق، وهو أسرع من فريق الخيل، وهو سابقها، فعيل بمعنى مفاعل؛ لأنه إذا سبقها فارقها، وبانت في قذاله فروق من الشيب، أي: أوضاح منه، وماله إلا فرق من الغنم وفريقة، أي:

يسير، ورأى أعرابي صبياناً فقال: هؤلاء فِرْق سوء، وما أنت إلا فروقة، وفَرَقٌ خير من حبٍّ، أي: أن تُهاب خير من أن تُحب، وأفرق المحموم والمجنون، وهو في أفراقٍ من حُمّاه. ومن المجاز: وقفته على مفارق الحديث، أي: على وجوهه الواضحة، وفي «اللسان» و«الأساس»: «بدا المشيب في مفرقه وفرقه، ورأيت وبيص الطيب في مفارقهم، وفرقت الماشطة رأسها كذا فرقاً، ورأس مفروق، وديك أفرق: انفرقت رعثته، وجمل أفرق: ذو سنامين، ورجل أفرق الأسنان: أفلجها، وناقة فارق: ماخض، فارقت الإبل نادّة من وجع المخاض، ونوقٌ فُرْق، وفوارق، ومفاريق، وقد فرقتْ فُروقاً وتشبّه بها السحاب. قال ذو الرمة:

أو مزنـة فـارق يجـلو غواربَهـا　　تبوّجُ البرقِ والظَّلماءُ عُلْجومُ

○ الإعـراب:

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ تبارك فعل ماض جامد كما تقدم في باب اللغة، والذي فاعله، وجملة نزل الفرقان صلة، وعلى عبده متعلقان بنزل، واللام للتعليل، ويكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، واسم يكون مستتر تقديره: هو، ونذيراً خبر يكون. ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ هذا الموصول يجوز أن يكون بدلاً من الموصول الأول، أو خبر لمبتدأ محذوف فيكون محله الرفع، ويجوز نصبه على المدح، وما بعده تمام الصلة للموصول الأول، وله خبر مقدم، وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر، والجملة صلة الموصول، ولم يتخذ ولداً عطف على ما تقدم. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ عطف على ما سبق، وله خبر يكن المقدم، وشريك اسمها المؤخر، وفي الملك متعلقان بشريك، وخلق عطف على ما سبق أيضاً فهو من تمام العلة لما قبله، وكل شيء مفعول خلق، فقدره: الفاء عاطفة، وقدره فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به، وتقديراً مفعول مطلق. ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ واتخذوا: الواو استئنافية، والجملة مستأنفة،

مسوقة لتقرير حال وعبادة الكفار، ومن دونه في محل المفعول الثاني لاتخذوا، وآلهة مفعول اتخذوا الأول، وجملة لا يخلقون شيئاً صفة لآلهة من سبع صفات ستأتي مسرودة متعاقبة، وهم يخلقون: الواو عاطفة، وهم مبتدأ ويخلقون بالبناء للمجهول خبر، وهذه هي الصفة الثانية، ومعنى كونهم مخلوقين أن العابدين ينحتونهم، ويصوّرونهم. ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ الواو عاطفة، ولا يملكون جملة معطوفة على ما تقدم، وضراً مفعول به، وهذه هي الصفة الثالثة، ولا نفعاً هي الصفة الرابعة، ولا يملكون موتاً هي الصفة الخامسة، ولا حياة هي الصفة السادسة، ولا نشوراً هي الصفة السابعة، والنشور هو: بعث الأموات. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في حكاية أباطيلهم، وإبطالها، ودحضها. والذين فاعل قال، وجملة كفروا صلة، وإن نافية، وهذا مبتدأ، وإلا أداة حصر، وإفك خبر هذا، وجملة افتراه صفة لإفك. ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ وأعانه عطف على افتراه، وعليه متعلقان بأعانه، والضمير للإفك المفترى، وقوم فاعل، وآخرون صفة قوم، ويريدون بهم أهل الكتاب الذين أمدّوه، على زعمهم، بأخبار الأمم الماضية والقرون البائدة، والفاء الفصيحة، وقد حرف تحقيق، وجاؤوا فعل وفاعل، وقد تضمن معنى فعل فعدي تعديته، وظلماً مفعوله، ويجوز أن يكون على بابه فيعرب ظلماً منصوباً بنزع الخافض، أو نصباً على الحال المؤولة، أي: ظالمين، وزوراً عطف على ظلماً. ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الواو عاطفة، وقالوا فعل وفاعل وأساطير الأولين خبر لمبتدأ محذوف، وجملة اكتتبها حالية، ويجوز إعراب أساطير الأولين مبتدأ، وجملة اكتتبها خبر، فهي الفاء عاطفة، وهي مبتدأ وجملة تملى خبر، ونائب الفاعل مستتر، وعليه متعلقان بتملى، وبكرة ظرف متعلق بتملى، وأصيلاً عطف على بكرة، ومعنى تملى عليه تقرأ عليه لينتسخها بواسطة من يكتب له، لأنه عليه الصلاة والسلام كان أمياً. ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ قل فعل أمر،

وفاعله مستتر تقديره: أنت، وجملة أنزله مقول القول، والذي مفعول به، وجملة يعلم السر صلة الموصول، وفي السموات والأرض حال، وجملة إنه كان... الآية: تعليل لما تقدم، فلا محل لها، وقد تقدم إعرابها كثيراً.

□ **البلاغة:**

في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ لف ونشر مرتب، وقد تقدم في هذا الكتاب أن اللف والنشر فن يتضمن ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين، ثقةً بأن السامع يميز ما لكل واحد منها، ويردّه إلى ما هو له، وقد مثّلنا لكل من قسميه بما هو كاف، أما في هذه الآية فإن قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ فيه جعل الكلام المعجز إفكاً مختلقاً متلقفاً من اليهود، أو غيرهم من أهل الكتاب، وزوراً بنسبة ما هو بريء منه إليه.

* الفوائـد:

ـ الفعل الجامد:

الفعل الجامد: هو ما أشبه الحرف من حيث أداؤه معنى، مجرداً عن الزمان والحدث المعتبرين في الأفعال، فلزم مثله طريقة واحدة في التعبير، فهو لا يقبل التحول من صورة إلى صورة، بل يلزم صورة واحدة لا يزايلها، وذلك مثل: عسى، وليس، وهب بمعنى: احسب، وافرض، ولم يرد من مادته بهذا المعنى إلا الأمر فهو فعل أمر جامد، وأما «هب» المشتق من الهبة فماضيه وهب ومضارعه يهب، وكذلك هب المشتق من الهيبة، فإنه فعل أمر متصرف فماضيه هاب ومضارعه يهاب، ونعم وبئس وهو إما أن يلازم صيغة الماضي مثل: عسى، وليس، ونعم، وبئس، وتبارك الله، أو: صيغة المضارع مثل يهيط، ومعناه: يصيح، ويفح، يقال: ما زال منذ اليوم يهيط هيطاً، وهو مضارع لا ماضي له كما في «لسان العرب» و«تاج العروس» ويقال: ما زال في هَيط ومَيط بفتح أولهما، وفي هِياط ومِياط بكسر أولهما، أي: ضجاج، وشرّ، وجلبة، وقيل في هياط ومياط: في دنو، وتباعد، والهياط: الإقبال،

والمياط: الإدبار، والهائط: الجائي، والمائط: الذاهب، والمهايطة والهياط: الصياح، والجلبة، ويقال: بينهما مهايطة، وممايطة، ومسايطة، ومشايطة، أي: كلام مختلف، ومثل هب: هات، وتعال، وهلم في لغة تميم؛ لأنه عندهم فعل يقبل علامته، فتلحقه الضمائر، أما في لغة الحجاز فهي اسم فعل أمر؛ لأنها ستكون عندهم بلفظ واحد للجميع، وسيأتي بحثها في حينه. ومن الأفعال الجامدة «قلّ» بصيغة الماضي للنفي المحض، وإذا لحقته ما الزائدة كفته عن العمل، فلا يليه حينئذ إلا فعل، ولا فاعل له لجريانه مجرى حرف النفي، نحو: قلما فعلت هذا، وقلما أفعله، أي: ما فعلت ولا أفعل، ومنه قول الشاعر:

قلّمـــا يبرحُ اللبيـــبُ إلى مـــا يُـورِثُ المجـدَ داعيـاً أو مُجيبـا

أي: لا يزال اللبيب داعياً.

وقد يليه الاسم في ضرورة الشعر كقوله:

صددتِ فأطولتِ الصُّدودَ وقلَّما وصالٌ على طول الصُّدودِ يدومُ

وقد يراد بقولك: قلما أفعل إثبات الفعل القليل، كما في «الكليات» لأبي البقاء، غير أن الكثير استعمالها للنفي الصرف، ومثل قلّما في عدم التصرف: طالما، وكثرما، وقصرما، وشدما، فإن ما فيهن زائدة للتوكيد كافة لهن عن العمل، فلا فاعل لهن، ولا يليهن إلا فعل، فهن كقلّما. ومن الأفعال الجامدة قولهم: «سقط في يده» بمعنى ندم، وتحير، وزلّ، وأخطأ، وهو ملازم صورة الماضي المجهول، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ وقد تقدّم بحثه.

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ

كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في بيان قبائحم التي أرجفوا بها في شأن الرسول، وهي ستة كما سيأتي. وقالوا فعل وفاعل، وما اسم استفهام مبتدأ، ولهذا خبره، والرسول بدل من اسم الإشارة، وجملة يأكل الطعام حالية، وهي الفرية الأولى، ويأكل الطعام فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وجملة يمشي في الأسواق عطف عليها، وهي الفرية الثانية، وسيأتي معنى أكل الطعام والمشي في الأسواق في باب البلاغة. ﴿لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ لولا حرف تحضيض، وأنزل فعل ماض مبني للمجهول، وعليه متعلقان بأنزل، وملك نائب فاعل، والفاء فاء السببية، ويكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية؛ لأنها جواب التحضيض، واسمها مستتر تقديره: هو، أي: الملك، ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف حال، ونذيراً خبر يكون، أي: فهما يتساندان في الإنذار والتخويف، وهذه هي الفرية الثالثة. ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أو حرف عطف، ويلقى فعل مضارع مبني للمجهول، وكنز نائب فاعل، وإليه متعلقان بيلقى، أو تكون له جنة عطف على ما تقدم، وجملة يأكل منها صفة لجنة، وهذان الفعلان معطوفان على أنزل لأنه بمعنى ينزل، ولا يجوز أن يعطفا على «فيكون» المنصوب في الجواب؛ لأنهما مندرجان في التحضيض فيعطفان على جوابه، وهاتان هما الفريتان الرابعة والخامسة. ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ الواو عاطفة، وقال الظالمون فعل وفاعل، وإن

نافية، وتتبعون فعل مضارع وفاعل، وإلا أداة حصر، ورجلاً مفعول به، ومسحوراً صفة، وهذه هي الفرية السادسة والأخيرة. ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ انظر فعل أمر وفاعل مستتر تقديره: أنت، وكيف اسم استفهام في محل نصب حال، ولك متعلقان بضربوا، والأمثال مفعول به، فضلوا: الفاء عاطفة، وضلوا فعل ماض وفاعل، فلا: الفاء عاطفة، ويستطيعون سبيلاً فعل مضارع وفاعل ومفعول به. ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير تساميه سبحانه وتعاليه عما يقولون. وتبارك الذي فعل وفاعل، وقدّر الزمخشري والجلال وغيرهما مضافاً محذوفاً، أي: خير الذي، وإن شرطية، وشاء فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وجعل جواب الشرط، والجملة الشرطية صلة الموصول، ولك مفعول جعل الثاني، وخيراً مفعول جعل الأول، ومن ذلك متعلقان بخيراً، والإشارة إلى الذي اقترحوه من الكنز، والبستان. ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾ جنات بدل من خيراً، وجملة تجري صفة لجنات، ومن تحتها متعلقان بتجري، والأنهار فاعل تجري، ويجعل فعل مضارع معطوف على محل جعل الواقع جواباً للشرط، وسيأتي بحث هام عن فعل الشرط وجوابه في باب الفوائد، ولك مفعول ثان، وقصوراً مفعول أول. ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ بل حرف للإضراب، فقد أضرب عن توبيخهم بحكاية أراجيفهم السابقة إلى حكاية تكذيبهم بالساعة، وكذبوا فعل وفاعل، وبالساعة متعلقان بكذبوا، وأعتدنا فعل وفاعل، ولمن متعلقان بأعتدنا، وجملة كذب بالساعة صلة من، وسعيراً مفعول به، والمعنى: هيأنا لهؤلاء المكذبين ناراً عظيمة، ووضع الموصول موضع الضمير، ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التوبيخ، وقد مرت نظائره في أبواب البلاغة، ونون سعيراً للتكثير، أي: ناراً عظيمة كما ذكرنا. ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ هذه الجملة الشرطية في محل نصب صفة لسعيراً؛ لأنه مؤنث بمعنى النار. وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة رأتهم في محل جر بإضافة إذا إليها، ومن

مكان متعلقان بمحذوف حال، وجملة سمعوا جواب الشرط، ولها حال؛ لأنه كان في الأصل صفة وتغيظاً مفعول به، وزفيراً عطف عليه، وسيأتي في باب البلاغة فصل مسهب عن هذا التعبير.

□ البلاغة:

١ ـ كنايتان بديعتان:

في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ كناية عن الحدث لأنه ملازم أكل الطعام، وقد مرّ تقريره مفصلاً في سورة المائدة، فجدّد به عهداً، وفي يمشي في الأسواق كناية عن طلب المعاش، وانظر بعد هاتين الكنايتين البديعتين إلى حكاية خطراتهم الملتاثة، وهواجسهم المحمومة، كيف اقترحوا أولاً بأن يكون ملكاً إلى اقتراح أن يكون إنساناً معه ملك حتى يتساندا في الإنذار والتخويف، ثم نزلوا أيضاً فقالوا: وإن لم يكن مرفوداً بملك، فليكن مرفوداً بكنز يلقى إليه من السماء يستظهر به، ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش، ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلاً له بستان يأكل منه، ويرتزق كما يرتزق المياسير، فانظر كيف صور خطرات النفس الملتاثة، وحالات تردّدها.

٢ ـ وضع الظاهر موضع المضمر:

في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وضع الظاهر موضع الضمير، وقد تقدمت الإشارة إليه مع أمثلته، فقد أراد بالظالمين إياهم بأعيانهم، فهم القائلون الأولون، وإنما وضع المظهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم بوصف الظلم، وتجاوز الحدّ.

٣ ـ الاستعارة: إثبات الرؤية لجهنم، والتغيظ المسموع، والزفير المتصاعد، أمر شغل العلماء كثيراً، فأما أهل السنة فيجعلون ذلك كله حقيقة، ولا يحملونه على المجاز، فإن رؤية جهنم جائزة، وقدرة الله تعالى صالحة، وقد تظاهرت الظواهر على وقوع هذا الجائز، وعلى أن الله تعالى يخلق لها إدراكاً حسياً وعقلياً. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ وإلى

محاجتها مع الجنة، وإلى قولها: ﴿ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾ وإلى اشتكائها إلى ربها، فأذن لها في نفسين، إلى غير ذلك من الظواهر التي لا سبيل إلى تأويلها؛ إذ لا محوج إليه، قالوا: «ولو فتح باب التأويل والمجاز في أحوال المعاد لتطوح الذي يسلك ذلك إلى وادي الضلالة» أما بصدد سمع التغيظ، وهو لا يسمع، فقد أجاب عنه أهل السنة بثلاثة أجوبة ندرجها فيما يلي:

آ ـ أنه على حذف مضاف، أي: صوت تغيظها.

ب ـ أنه على حذف فعل تقديره: سمعوا، ورأوا تغيظاً وزفيراً، فيرجع كل واحد إلى ما يليق به، أي: رأوا تغيظاً، وسمعوا زفيراً.

ج ـ أن يضمن سمعوا معنى يشمل الشيئين، أي: أدركوا لها تغيظاً، وزفيراً.

أما بصدد قوله: رأتهم، فقال بعضهم: إنه من باب القلب، أي: رأوها، أو: على حذف تقديره: رأتهم زبانيتها.

أما المعتزلة فهم يحملون ذلك كله على المجاز، ويجعلون رؤية جهنم من باب قولهم: دور بني فلان تتراءى وتتناظر، فتدخل عندئذ في باب الاستعارة المكنية، وقد تقدم القول فيها كثيراً.

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله: ﴿ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ من مسيرة مئة عام، وذلك إذا أُتي بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام، يشدّ بكل زمام سبعون ألف ملك، لو تركت لأتت على كل بر وفاجر ﴿ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴾ تزفر زفرة، لا تبقى قطرة من دمع إلا ندرت، ثم تزفر الثانية فتقطع القلوب من أماكنها، تقطع اللهوات، والحناجر.

٤ ـ حسن الاتباع:

هذا؛ وقد رمق الشعراء سماء هذه التعابير البليغة مما يدخل في باب: حسن الاتّباع، وهو: أن يأتي المتكلم إلى معنى اخترعه غيره، فيحسن اتباعه فيه، بحيث يستحقه، ويحكم له به دون الأول، وهذا الباب مما يخصّ كلام المخلوقين، ومما أخذ بعضهم من بعض، ولا مدخل لشيء من القرآن العزيز

فيه، فإن القرآن مُتَّبَعٌ لا مُـتَّبِعٌ، إلا أن الشعراء حين يرمقون سماءه، ويحسنون اتباعه، صار كأنه داخل في سلك هذا الفن، فقال الفرزدق:

يكـادُ يمسكـه عـرفـانُ راحتـه ركن الحَطِيم إذا ما جاء يستلم

فأسند أفعال من يعقل إلى مالا يعقل، وجرى على منواله أبو تمام فقال:

لو يعلمُ الركنُ مَن قد جاء يلثمه لخرَّ يلثُم منه موطىءَ القدم

وحذا البحتري حذو أبي تمام فقال:

فلو انَّ مشتاقاً تكلَّفَ فوق ما فـي وسعِـه لَسَعـى إليـك المنبر

واتبع المتنبي البحتري في ذلك فقال:

لو تعقلُ الشَّجرُ التي قابلتها مـدَّتْ محييـةً إليـك الأغصنـا

وهذا باب واسع، سيأتي الكثير من أمثاله.

* الفوائـد:

ـ فعل الشرط والجواب:

لا يشترط في الشرط والجواب أن يكونا من نوع واحد، بل تارة:

١ ـ يكونان مضارعين نحو: ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾.

٢ ـ يكونان ماضيين نحو: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾.

٣ ـ يكونان مختلفين ماضياً فمضارعاً، نحو: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ وإنما حسن ذلك؛ لأن الاعتماد في المعنى على خبر كان وهو مضارع، فكأنه قال: من يرد نزد له.

٤ ـ يكونان عكسه مضارعاً فماضياً، وهو قليل، وخصّه بعضهم بالشعر، وورد منه في الحديث قوله ﷺ: «من يقم ليلة القدر احتساباً غفر له» رواه البخاري.

هذا؛ وإذا وقع فعل الشرط ماضياً، جاز في جزائه الجزم والرفع، كقول زهير:

وإن أتـاه خليـلٌ يـومَ مسغبـةٍ يقولُ لا غائب مالي ولا حرم

برفع يقول: قال ابن مالك «وبعد ماض رفعك الخبر أحسن». والذي حسّن ذلك: أن الأداة لما لم تعمل في لفظ الشرط لكونه ماضياً مع قربه، فلا تعمل في الجزاء مع بعده؛ ولذلك قرىء: ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ برفع يجعل عطفاً على جعل، وقد أراد بعضهم تخطئة شوقي في قوله:

إن رأتنـي تميـلُ عنّـي كـأن لم يـكُ بينـي وبينهـا أشيـاء

وفاتهم القاعدة المتقدمة.

﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: من قرّنه بتشديد الراء: جمّعه وشدّده، يقال: قرّنت الأسارى في الحبال، وفعله الثلاثي قرن يقرن، من باب: ضرب يضرب قرناً الشيء بالشيء: شده به، ووصل إليه، وقرن الثورين: جعلهما في نير واحد، وقرن البعيرين: جمعهما في حبل، وهي في قوله تعالى: ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ تفيد شيئين: التصفيد، أي: تقييد الأرجل، وجمع الأيدي والأعناق بالسلاسل.

﴿ثُبُورًا﴾: هلاكاً يقال: ثبره الله: أهلكه هلاكاً دائماً لا ينتعش بعده، ومن ثم يدعو أهل النار: واثبوراه. وما ثبرك عن حاجتك: ما ثبطك؟ وهذا مثبر فلانة: لمكان ولادتها، حيث يثبرها النفاس.

○ **الإعراب:**

﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ الواو عاطفة، وإذا

ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة ألقوا مجرورة بإضافة الظرف إليها، وهو متعلق بالجواب وهو دعوا، وألقوا فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، ومنها حال من مكاناً؛ لأنه في الأصل صفة له، ومكاناً ظرف متعلق بألقوا، وضيقاً صفة لمكاناً، ومقرنين حال من الواو في ألقوا، وجملة دعوا لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، والواو فاعل دعوا، وهنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية، وهو متعلق بدعوا في ذلك المكان، ومعنى دعوا: نادوا، وثبوراً مفعول به لدعوا، ويجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً، أي: مصدراً من معنى دعوا، وقال الزجاج: وانتصاب ثبوراً على المصدرية، أي: ثبرنا ثبوراً، وقيل: منتصب على أنه مفعول له، وقيل: منادى، أي: يقولون يا ثبوراه احضر فهذا أوانك، فإن الهلاك أخف عليهم مما هم فيه. ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ الجملة مقول قول محذوف تقديره: فيقال لهم، وهذا المحذوف معطوف على ما قبله. ولا ناهية، وتدعوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو فاعل تدعوا، وثبوراً تقدم أنها مفعول به، أو مفعول مطلق، وادعوا فعل أمر، وثبوراً تقدم إعرابها، وكثيراً صفة لثبوراً، وعبر عنه بالكثرة، ونفى عنه الوحدة؛ لأنّ ألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته، أو: لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها، فلا غاية، ولا نهاية لهلاكهم. ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا﴾ قل فعل أمر وفاعله مستتر وجوباً تقديره: أنت، والهمزة للاستفهام للتقريع والتهكم، وسيأتي مزيد من بحث بلاغة هذه الآية، وذلك مبتدأ، وخير خبر، وأم حرف عطف، وجنة الخلد عطف على ذلك، واسم الموصول صفة لجنة الخلد، وجملة وعد المتقون جملة فعلية من فعل ونائب فاعل صلة، وجملة كانت لهم حالية من جنة الخلد، ولهم حال؛ لأنه كان في الأصل صفة، واسم كانت مستتر تقديره: هي، وجزاء خبر كانت، ومصيراً عطف على جزاء. ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ

كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ﴾ الجملة حال ثانية من جنة الخلد، ولهم خبر مقدم، وفيها حال، وما مبتدأ مؤخر، وجملة يشاؤون صلة، وخالدين حال لازمة من الهاء في لهم، أو الواو في يشاؤون ، وكان فعل ماض ناقص، واسمها مستتر يعود على الوعد المفهوم من قوله: وعد المتقون، أو: على ما يشاؤون، وعلى ربك حال؛ لأنه كان صفة لوعداً، ومسؤولاً صفة لوعداً.

* الفوائـد:

معنى التفضيل:

المفهوم من اسم التفضيل أنه تفاوت بين صفتين مشتركتين، فكيف قال: أذلك خير أم جنة الخلد؟ ومعلوم أن النار لا خير فيها ألبتة، وقد سبق مثل هذا السؤال؛ والجواب ما حكاه سيبويه عن العرب: الشقاء أحب إليك أم السعادة؟ وقد علم أن السعادة أحب إليه، وقيل ليس هو من باب اسم التفضيل، وإنما هو كقولك: عنده خير.

ومما لا مندوحة عن التنبيه إليه هو أن قوله تعالى: ﴿ لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ﴾ ظاهره يقتضي عموم الموصول أنه إذا شاء أحد رتبة من فوقه كالأنبياء نالها، فلم يبق بين الناقص والكامل تفاوت، ويقتضي أيضاً أنه إذا شاء أحدهم الشفاعة لأحد من أهل النار كابنه، أو أبيه، فإن شفاعته سوف تقبل، وذلك يتنافى مع العلم بأن عذاب الكافر مخلد، وقد أجاب القاضي البيضاوي على هذا الإيهام بقوله: «ولعله يقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبتها، وأنه تعالى لا يلقي في خواطرهم أن ينالوا أكثر مما نالوه، أو يطلبوا المزيد على ما يسبحون فيه من أمواه النعيم المترقرقة عليهم. والأحاديث مستفيضة في درجات الجنة وتفاوتها. روى البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مئة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض».

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿بُورًا﴾: البور ـ بضم الباء ـ: الفاسد الذي لا خير فيه، يقال: امرأة بور، وقوم بور، يوصف به الواحد والجمع، والبور من الأرض: ما لم يزرع، ويجوز أن يكون جمع بائر، كعائذ وعوذ، وفي «الأساس» و«اللسان» و«التاج»: «فلان له نوره، وعليك بوره: أي هلاكه، وقوم بور، وأحلوا دار البوار، ونزلت بوار على الكفار. قال أبو مُكْعِتٍ الأسدي:

قُتِلَتْ فكان تظالُماً وتَباغياً　　إنَّ التَّظالُمَ في الصَّديقِ بَوَارِ
لو كان أوَّلَ ما أتَيْتَ تَهَارَشَتْ　　أولادُ عُرْجَ عليك عند وِجَارِ

جعلها علماً للضباع، فاجتمع التعريف والتأنيث، ومن المجاز: بارت البيَاعات، أي: كسدت، وسوق بائرة، وبارت الأيم إذا لم يرغب فيها».

○ الإعراب:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لوصل ما ذكره في أول السورة، وهو قوله: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾. والظرف متعلق باذكر مقدراً معطوفاً على قل، وجملة يحشرهم بالياء والنون في محل جر بإضافة الظرف إليها، والهاء مفعول به، وما موصول معطوف على الهاء، أو منصوب على المعية، وغلب غير العاقل على العاقل، فأتى بما دون «من» لأن بين المعبودين عقلاء، وقيل: إن كلمة ما موضوعة للكل، أو: يريد

الأصنام؛ لأنها تتكلم بلسان الحال، كما قيل في شهادة الأيدي والأرجل.

وقال الزمخشري: «فإن قلت: كيف يصح استعمال ما في العقلاء؟ قلت: هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك: إذا رأيت شبحاً من بعيد: ما هو؟ فإذا قيل لك: إنسان قلت حينئذ: من هو؟».

وجملة يعبدون صلة ما، ومن دون الله حال. ﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ فيقول عطف على يحشرهم، وأأنتم الهمزة للاستفهام التقريعي، وأنتم مبتدأ، وجملة أضللتم خبر، وعبادي مفعول به، وهؤلاء اسم إشارة صفة لعبادي، أي: المشار إليهم، أو بدل من عبادي، وأم حرف عطف، وهم مبتدأ، وجملة ضلوا خبره، والسبيل نصب بنزع الخافض؛ لأن ضل مطاوع أضلّه، وكان القياس ضلّ عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق، والأصل: إلى الطريق وللطريق. ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ سبحانك مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: تنزيهاً لك عما لا يليق بك، وما نافية، وكان فعل ماض ناقص، وجملة ينبغي خبر كان، ولنا متعلقان بينبغي، وأن وما في حيزها فاعل ينبغي، فيكون اسم كان مستتراً، وفاعل ينبغي مستتر، ومن دونك مفعول نتخذ الثاني، ومن حرف جر زائد، وأولياء مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول نتخذ الأول، أو بالعكس، والصحيح أن قوله: من أولياء هو المفعول الأول؛ لأنه الذي يجوز أن تكون فيه زائدة بخلاف الثاني، تقول: ما اتخذت من أحد ولياً، ولا يجوز في الأفصح: ما اتخذت أحداً من ولي. ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ الواو عاطفة، ولكن مخففة مهملة للاستدراك، ومتعتهم فعل وفاعل، ومفعول به، وآباءهم الواو عاطفة، أو للمعية، وآباءهم عطف على الهاء، أو مفعول معه، وحتى حرف غاية وجر، ونسوا الذكر فعل وفاعل ومفعول به، وكانوا كان واسمها، وقوماً خبرها وبوراً صفة. ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ الفاء الفصيحة؛ لأنها مرتبة على محذوف، ولأنها مفاجأة

بالاحتجاج والإلزام، وخاصة إذا انضم إليها الالتفات، وحذف القول، وهذا التعبير بليغ جداً، وله نظائر في الكتاب الكريم، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ ﴾.

وقول الشاعر:

قالوا: خُراسان أقصى ما يُرادُ بنا
ثم القفولُ فقد جِئْنا خُراسانا

أي: إن هذه البلدة أبعد ما يُراد بنا، وغاية سفرنا، ثم يكون القفول والرجوع، وقوله: فقد جئنا مرتب على محذوف، أي: إن صدقوا فقد جئنا خراسان، فلمَ لم نتخلص من السفر؟ ويجوز أنه عدل إلى الخطاب، أي: فقولوا لهم اقطعوا السفر بنا، وارجعوا فقد جئنا الموعد.

وقد حرف تحقيق، وكذبوكم فعل وفاعل ومفعول به، وبما متعلقان بكذبوكم، وجملة تقولون صلة، والواو واقعة على المعبودين، والكاف على العابدين، فما: الفاء عاطفة، وما نافية، وتستطيعون فعل مضارع وفاعل، وصرفاً، أي: دفعاً للعذاب عنكم مفعول به، ولا نصراً عطف على صرفاً. ﴿ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ﴾ الواو استئنافية، ومن اسم شرط جازم مبتدأ، ويظلم فعل الشرط، ومنكم حال، أي: كائناً منكم أيها المكلفون، ونذقه جواب الشرط، والفعل وجوابه خبر من، والهاء مفعول نذقه الأول، وعذاباً مفعول نذقه الثاني، وكبيراً صفة.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٢١﴾ يَوۡمَ يَرَوۡنَ

ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾: ذكرهما سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك إظهارها، نحو: معاذ الله، وقعدك الله، وعمرك الله، وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور، أو هجوم نازلة، أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة، قال سيبويه: «ويقول الرجل للرجل: أتفعل كذا؟ فيقول: حجراً، وهي من: حجره: إذا منعه؛ لأن المستعيذ بالله طالب منه أن يمنع المكروه، فلا يلحقه، فكأن المعنى: اسأل الله أن يمنع ذلك منعاً، ويحجره حجراً».

وقد تساءل الزمخشري فقال: «فإذا قد ثبت أنه من باب المصادر، فما معنى وصفه بمحجور؟ قلت: جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر، كما قالوا: ذيل زائل، والذيل: الهوان، وموت مائت، والحجر: العقل؛ لأنه يمنع صاحبه. وفي «الأساس»: «وفي ذلك عبرة لذي حجر، وهو: اللّب، وهذا حجر عليك: حرام، وحجر عليه القاضي حجراً، واستقينا من الحاجر، وهو منهبط يمسك الماء، وفلان من أهل الحاجر، وهو: مكانٌ بطريق مكة، وقعد حجرة، أي: ناحية، وأحاطوا بحجرتي العسكر، وهما جانباه، وحجّر حول العين بكيّة، وعوذ بالله وحجر، وامرأة بيضاء المحاجر، وبدا محجرها من النقاب، واستحجر الطين، وتحجّر: صلب كالحجر، وتحجر ما وسّعه الله: ضيّقه على نفسه، وقراءة العامة على كسر الحاء، وقرىء بالضم، وهو لغة فيه، وحكى أبو البقاء فيه لغة ثالثة، وهي الفتح، قال: وقد قرىء بها.

﴿ هَبَآءً ﴾: الهباء، قال في «القاموس» و«التاج»: الغبار ودقائق التراب ساطعة، ومنثورة على وجه الأرض، والقليلو العقول من الناس، وفعله: هبا يهبو هُبوّاً». وقال الزمخشري: «والهباء: ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس

شبيه الغبار، وفي أمثالهم: أقل من الهباء». قال: «ولام الهباء واو بدليل الهبوة» قلت: وقال المتنبي:

ولا تحسبنَّ المجدَ زقّاً وقينةً
فما المجدُ إلا السيفُ والفتكةُ البِكْرُ
وتضريبُ أعناقِ الملوكِ وأن تُرى
لك الهبواتُ السُّودُ والعسكرُ المجرُ

وقال الخليل والزجاج: «هو مثل الغبار الداخل في الكوة يتراءى مع ضوء الشمس».

○ الإعراب:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتسليته ﷺ، وما نافية، وأرسلنا فعل وفاعل، وقبلك ظرف متعلق بمحذوف حال، ومن المرسلين متعلقان بأرسلنا، أو: بمحذوف صفة لمفعول أرسلنا، والمعنى: وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ على معنى: وما منا أحد، ولعل هذا أولى، وإلا أداة حصر، وجملة إنهم حالية؛ ولذلك كسرت همزة إن، كما أنها كسرت لأجل اللام في الخبر، والمعنى: إلا وهم يأكلون، فالاستثناء من أعمِّ الأحوال، وإن واسمها، واللام المزحلقة، وهي لام الابتداء، زحلقت إلى الخبر، وجملة يأكلون الطعام خبر إنهم، وجملة يمشون في الأسواق عطف على: ليأكلون الطعام. ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ وجعلنا عطف على ما تقدم، أو تجعلها مستأنفة، مسوقة لتسليته ﷺ أيضاً، وجعلنا فعل وفاعل، وبعضكم مفعول به أول، ولبعض حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لفتنة، وفتنة مفعول به ثان لجعلنا، ومعنى جعل بعضهم فتنة لبعض: أن الغني فتنة للفقير، والصحيح فتنة للمريض، والشريف فتنة للوضيع، والمراد: أن الدنيا دار امتحان وبلاء، فلا يفلل ذلك في عزمك، ولا يضيقن به صدرك، ولا تأبه لأراجيفهم،

والهمزة للاستفهام، ومعنى الاستفهام: الأمر، أي: اصبروا، ومثله: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ معناه: أسلموا، وكان: الواو عاطفة، أو استئنافية، وكان فعل ماض ناقص، وربك اسمها، وبصيراً خبرها. ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ الواو عاطفة، وقال الذين فعل وفاعل، وجملة لا يرجون صلة، ولقاءنا مفعول به، ولولا أداة تحضيض، وأنزل فعل ماض مبني للمجهول، وعلينا متعلقان به، والملائكة نائب فاعل، والجملة مقول قولهم، وهم الذين ينكرون البعث، وأو حرف عطف، وجملة نرى ربنا عطف على جملة أنزل علينا الملائكة، فهي من مقول قولهم اقترحوا أن ينزل الله عليهم الملائكة، فتخبرهم بصدق محمد حتى يصدقوه، أو يروا الله جهرة، فيأمرهم بتصديقه، واتباعه. ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ الجملة مقول قوله تعالى في درء الشبهتين؛ اللتين أوردوهما تعنتاً ومكابرة بعد قيام الحجة، وسطوع الدليل. واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، واستكبروا فعل وفاعل، وفي أنفسهم فيه وجهان:

أحدهما: أنه متعلق باستكبروا، يعني: أنهم لتكبرهم استكبروا أنفسهم، أي: عدوها كبيرة الشأن، وأصله: من: استكبره، إذا عدَّه كبيراً، ونزّله منزلة اللازم.

والثاني: أنه متعلق بمحذوف حال، أي: أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق في قلوبهم، أي: كائناً في قلوبهم، وعتوا فعل ماض وفاعل، وعتواً مفعول مطلق، وكبيراً صفة له.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ يوم متعلق باذكر مقدرة، أو: بيعذبون، أو: بلا يبشرون المفهومة ضمناً من لا بشرى، أي: يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى، أو: يعدمونها، ولا تعمل فيه البشرى؛ لأن المصدر لا يعمل فيما قبله، ولأن المنفي لا يعمل فيما قبل لا. وجملة يرون مجرورة بإضافة الظرف إليها، والملائكة مفعول به، ولا بشرى: لا نافية للجنس، وبشرى اسمها، وللمجرمين خبرها، والجملة مقول قول

محذوف، أي: يقولون: لا بشرى، وجملة القول حال من الملائكة، ويقولون فعل وفاعل، وحجراً محجوراً تقدم القول في إعرابها مفصلاً في باب اللغة. ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ الواو استئنافية، وقدمنا فعل وفاعل، وإلى ما: متعلقان بقدمنا، وجملة عملوا صلة، ومن عمل حال، أي: عمل خير كصدقة، وصلة رحم، أو إغاثة ملهوف، والفاء عاطفة، وجعلناه فعل وفاعل ومفعول به أول، وهباء مفعول به ثان، ومنثوراً صفة.

□ البلاغة:

شبَّه أعمال الكفار الحسنة بالهباء، ووجه الشبه: قلّته، وحقارته، وعنده[1]، وأنه لا ينتفع به، ثم أي هباء؟ إنه قد يكون منتظماً مع ضوء الشمس، فإذا حركته الريح تطاير، وذهب كل مذهب، ولذلك قال منثوراً، أي: جامعاً لحقارة الهباء والتناثر، ومثله: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ أي: جامعين للمسخ، والخسء، وأتى بالعامل منكراً؛ ليتناول هذا الوعيد كل من سوّلت له نفسه البقاء على الكفر، وعمل مثل عملهم.

وللرماني في كتابه: «النكت في إعجاز القرآن» بحث طريف في هذا التشبيه بعد أن يلحقه بباب الاستعارة يقول فيه: «حقيقة قدمنا هنا عمدنا، وقدمنا أبلغ منه؛ لأنه يدلُّ على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر؛ لأنه من إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم، ثم قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم، وفي هذا تحذير من الاغترار بالأفهام، والمعنى الذي يجمعهما العدل؛ لأن العمد لإبطال الفاسد عدل، والقدوم إلى إبطال الفاسد عدل، والقدوم أبلغ لما بيّنا، وأما هباء منثوراً فبيان ما قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه».

فانظر إليه كيف استجمع الصور القرآنية في ذهنه، وكيف أوحى إليه لفظ قدمنا المستعار من معان، ثم كيف كشف عن خبايا التعبير القرآني في استعارة القدوم للعمد، وفضل الأول في بعث الخيال، وإثارته؛ ليربط بين المعنى

(١) كذا في الأصل، ولم نهتدِ لمعناها.

الأول في الآية والمعنى المستعار، وصورة أخرى ربطية تثور في الخيال، وهي صورة المسافر الغائب الذي يأتي فيرى القوم على خلاف، فيضرب ليعدل، ويصلح الفاسد.

وقال الواحدي: «معنى قدمنا: عمدنا وقصدنا، يقال: قدم فلان إلى أمر كذا؛ إذا قصده أو عمده، ومنه قول الشاعر:

وقدم الخوارجُ الضلّالُ إلى عباد ربِّهم فقالوا
إنَّ دماءكم لنا حلالُ

﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ أصحاب: مبتدأ، والجنة: مضاف، ويومئذ: ظرف أضيف إلى مثله، وهو متعلق بخير، وخير: خبر أصحاب، وهو اسم تفضيل، أو لمجرد الوصف، ومستقراً: تمييز وأحسن مقيلاً: عطف على: خير مستقراً، والمستقر: المكان الذين يقضون فيه معظم أوقاتهم. والمقيل: المكان الذي يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم، والتمتع بمغازلتهن. وسيأتي في باب البلاغة مزيد من بحث هذه الآية. ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ الظرف منصوب بتقدير اذكر، وجملة تشقق: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وأصل تشقق: تتشقق، فحذف بعض القراء التاء، وأدغمها بعضهم، والسماء: فاعل، وبالغمام: في هذه

الباء وجوه. أولها: أنها للسببية، بمعنى: أنها تتشقق بسبب طلوعه منها، فيتعلق الجار والمجرور بتشقق. وثانيها: أنها للملابسة، فيكون الجار والمجرور في موضع نصب على الحال، والثالث: أنها بمعنى عن، أي: عن الغمام؛ كقوله: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ فتتعلق بتتشقق أيضاً. ونزل الملائكة: فعل ماض مبني للمجهول، والملائكة: نائب فاعل، وتنزيلاً: مفعول مطلق.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ الملك: مبتدأ، والظرف متعلق به، والحق: صفة للملك، وللرحمن: خبر الملك، وأجاز بعض المعربين أن يكون الظرف هو الخبر، وآخرون أجازوا أن يكون الحق، وما ذكرناه أولى. وكان: الواو استئنافية، وكان: فعل ماضٍ ناقصٍ، واسمها ضمير مستتر تقديره: وكان اليوم. ويوماً: خبرها، وعلى الكافرين: متعلق بعسيراً، وعسيراً: صفة ليوماً. ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ الظرف: منصوب باذكر مقدراً، وهو معطوف على قوله: يوم يرون الملائكة، وكذا قوله السابق: يوم تشقق السماء، وجملة يعض مجرورة بإضافة الظرف إليها، والظالم: فاعل يعض، وعلى يديه: متعلقان بيعض. وسيأتي معنى هذا الكلام في باب البلاغة. ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ الجملة: نصب على الحال من فاعل يعض، أي: قائلاً، ويا ليتني: يا: حرف نداء، والمنادى محذوف، أو هي لمجرد التنبيه، وليتني: ليت واسمها، وجملة اتخذت: خبرها، ومع الرسول: ظرف مكان في موضع المفعول الثاني لاتخذت، وسبيلاً: مفعول اتخذت الأول. تمنى أن لو صاحب الرسول، وسلك سبيل الحق. ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ يا: حرف نداء، وويلتا: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المنقلبة ألفاً، وأصله: يا ويلتي. وقد تقدم بحث المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، ينادي ويلته، أي: هلكته. وليتني: ليت واسمها، وجملة لم أتخذ: خبرها، وفلاناً: مفعول به أول، وخليلاً: مفعول به ثان. ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾

اللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وأضلني: فعل وفاعل مستتر، وعن الذكر: متعلقان بأضلّني، والجملة: تعليلية لتمنيه المذكور، ونداءه هلكته، وبعد: ظرف أضيف إلى مثله، وهو متعلق بمحذوف حال، وجملة جاءني: مجرورة بإضافة الظرف إليها، والواو حالية، وكان الشيطان: كان واسمها، وللإنسان: متعلقان بخذولاً، وخذولاً: خبر كان.

□ البلاغة:

الكناية في قوله: ﴿مُّسْتَقَرًّا﴾ و﴿مَقِيلًا﴾ فأما المستقر: فهو اسم مكان من الاستقرار، وهو المجلس الدائم لأهل الجنة، يستقرون فيه، ويقضون معظم أوقاتهم متقابلين، يتحادثون، ويتسامرون، وكنى به عن أحاديث العشايا والبكر التي يتبادلونها، وهي أحاديث كانت في الدنيا تدور بين المترفين وأصحاب النعيم واليسار، وكنى بالمقيل ـ وهو وقت استراحة نصف النهار ـ عن قضائهم وقت الاستجمام والاستراحة مع أزواجهم، وفي هذا المعنى سيأتي قوله: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ قيل في تفسير الشغل: إنه افتضاض الأبكار.

ومن روائع الحديث في وصف غناء الحور العين قوله ﷺ فيما يرويه عنه ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحدٌ قطُّ، إن مما يغنين به: نحن الخيرات الحسان، أزواج قومٍ كرام، ينظرون بقرة أعيان. وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا نمتنه، نحن الآمنات فلا نخفنه، نحن المقيمات فلا نظعنه».

وفي قوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ كناية عن الندم والغيظ والحسرة، ومثل هذا التعبير: عض الأنامل، والسقوط في اليد، وحرق الأرم، ففي الصحاح: حرقت الشيء حرقاً: بروته، وحككت بعضه ببعض، ومنه: قولهم: حرق نابه. أي: سحقه حتى يسمع له صريف، وفلان يحرق

عليك الأرم غيظاً، من أرم على الشيء، أي: عض عليه، وأرمه أيضاً. والأرم: الأضراس، كأنه جمع آرم، يقال: فلان يحرق عليك الأرم: إذا تغيظ، فحك أضراسه بعضها ببعض، وقيل: هو مجاز عبر به عن التحير، والغم، والندم، والتفجع. ونقل أئمة اللغة: أن المتأسف المتحزن المتندم يعضّ على إبهامه ندماً، وقال الشاعر:

لطمتْ خدّها بحمر لطاف   نِلْنَ منها عذابَ بيض عذابِ
فشكا العنَّابُ نورَ أقاحٍ   واشتكى الوردُ ناضِرَ العنَّابِ

و«فلان» كناية عن علم من يعقل، وفل: كناية عن نكرة من يعقل من الذكور، وفلانة: كناية عن علم من يعقل من الإناث، وفلة كناية عن نكرة من يعقل من الإناث، والفلان، والفلانة بالألف واللام: كناية عن غير العاقل، ولامه واوية أو يائية.

قال أبو حيان: وفلان: كناية عن العلم، وهو متصرف. وفل: كناية عن نكرة الإنسان نحو: يا رجل، وهو مختص بالنداء، وفلة: يعني: يا امرأة، كذلك، ولام فل ياء، أو واو، وليس مرخماً من فلان، خلافاً للفراء، ووهم ابن عصفور، وابن مالك، وصاحب البسيط في قولهم: فل: كناية عن العلم، كفلان، وفي كتاب سيبويه ما قلناه بالنقل عن العرب.

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ مَهْجُورًا ﴾: متروكاً، أي: تركوه، وصدوا عن الإيمان به، وقيل: هو

من هجر: إذا هذى، أي: جعلوه مهجوراً فيه، فحذف الجار، وهو يحتمل بهذا المعنى وجهين. أحدهما: أنهم زعموا: أنه هذيان، وباطل، وأساطير الأولين، وثانيهما: أنهم كانوا إذا سمعوه هجروا فيه، فهو إمَّا من الهجر بالفتح، أي: ضد الوصل، وإما من الهجر بالضم، وهو الهذيان، وفحش القول. ثم المهجور: إما اسم مفعول، وإما مصدر بمعنى: الهجر، أطلق على القرآن على طريق التسمية بالمصدر، كالمجلود، والمعقول، والميسور، والمعسر.

﴿وَرَتَّلْنَٰهُ﴾: فرقناه، أو أتينا به شيئاً بعد شيء بتمهل، وتؤدة، ولنيسر فهمه، وحفظه، وأصله: الترتيل في الأسنان وهو تفليجها، يقال: ثغر مرتل، ورتل (بفتحتين).

○ الإعراب:

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ عطف على قوله: ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ وقال الرسول: فعل وفاعل، ويا: حرف نداء، ورب: منادى مضاف إلى ياء المتكلم، وإنَّ، واسمها، وجملة اتخذوا: خبرها، وهذا: مفعول أول لاتخذوا، والقرآن: بدل من اسم الإشارة ومهجوراً: مفعول به ثان. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الواو: استئنافية، والكلام مستأنف، مسوق لتسليته ﷺ بعد الارتماض الذي يعانيه، والذي تدل عليه شكواه المريرة. وكذلك نعت لمصدر محذوف، أي: مثل ذلك الجعل جعلنا، ولكل نبي: مفعول به ثانٍ لجعلنا، وعدواً: مفعول به أول، ومن المجرمين: نعت لعدواً. ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ الواو: عاطفة، وكفى: فعل ماض، وبربك: الباء حرف جر زائد في الفاعل، وربك: مجرور لفظاً، فاعل كفى محلاً، وهادياً: حال، ونصيراً: عطف عليه. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ الواو: استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لحكاية شبهةٍ منهم تتعلق بالقرآن، والحاكون هم قريش، أو اليهود، وهو اعتراض متهافت ساقط من أساسه؛ لأن إعجاز القرآن ليس منوطاً

بنزوله جملة أو تفصيلاً. قال الذين: فعل وفاعل، وجمل كفروا: صلة، ولولا: حرف تحضيض، ونزل: فعل ماض مبني للمجهول، وعليه متعلقان بنزل، والقرآن: نائب فاعل، وجملةً: حال، وواحدةً: صفة. ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ الكاف: نعت لمصدر محذوف، أي: نزلناه تنزيلاً مثل ذلك التنزيل، ولنثبت: تعليل لنزلناه المحذوفة، وبه: متعلقان بنثبت، والفاعل مستتر تقديره: نحن، وفؤادك: مفعول به، ورتلناه: عطف على نزلناه المحذوفة، وهو فعل ماض، وفاعل، ومفعول به. وترتيلاً: مفعول مطلق، ومعنى ترتيله: أن قدره آيةً بعد آيةٍ بترسل، وتثبت، وقيل: هو أنزله مع كونه متفرقاً على تمكث وتمهل في مدة متباعدة، وهي عشرون سنة. ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الواو: عاطفة، ولا: نافية، ويأتونك: فعل وفاعل ومفعول به، وبمثل: متعلقان بيأتونك، أي: بسؤال عجيب يشبه في استغرابه وبطلانه المثل السائر، وإلا: أداة حصر، وجئناك: فعل وفاعل ومفعول به، وبالحق: جار ومجرور، متعلقان بجئناك، والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال، فمحل الجملة النصب على الحال، أي: لا يأتونك بمثل في حالٍ من الأحوال إلا في حال إتياننا إليك بالحق، وبما هو أحسن بياناً. وأحسن: عطف على الحق، وجُرَّ بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف، وتفسيراً: تمييز. ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ الذين: رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم، أو: نصب على الذم، أي: أذم الذين، وجملة يحشرون: صلة، وعلى وجوههم: متعلقان بمحذوف حال، أي: مقلوبين على وجوههم، وإلى جهنم: متعلقان بيحشرون. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أولئك: مبتدأ، وشرٌّ: خبر، ومكاناً: تمييز، وأضل سبيلاً: عطف على شرٌّ مكاناً، والجملة تفسيرية، فلا محل لها، ولك أن تعرب: الذين: مبتدأ، والجملة: خبره.

□ **البلاغة:**

١ ـ وصف المكان بالشر، والسبيل بالضلال، من الإسناد المجازي. وقد مرت له نظائر.

٢ ـ قوة اللفظ لقوة المعنى:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ فإنَّ لفظة رتَّل على وزن لفظة قتّل الرباعية، ومع هذا ليست دالة على كثرة القراءة، وإنما المراد بها: أن تكون القراءة على هيئة التأني والتدبر، وسبب ذلك أنَّ هذه اللفظة لا ثلاثي لها حتى تنقل عنه إلى رباعي، وإنما هي رباعية موضوعة لهذه الهيئة الحسنة المخصوصة من القراءة، فاللفظة إن كانت منقولة أدت إلى الكثرة. خذ لك مثالاً: «كلّم» من قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ فإن كلَّم على وزن قتّل أيضاً، ولم يُرد بها التكثير بل أريد بها: خاطبه، سواء أكان خطابه إيَّاه طويلاً، أم قصيراً، قليلاً أم كثيراً، وهذه اللفظة رباعية، وليس لها ثلاثي نقلت عنه إلى الرباعي. لكن قد وردت بعينها ولها ثلاثي ورباعي، فكان الرباعي أكثر وأقوى فيما دل عليه من المعنى، وذاك أن تكون كلَّم من الجرح، أي: جرَّح ولها ثلاثي، وهو كَلَم مخففاً، أي: جرح، فإذا وردت مخففةً دلت على الجراحة مرةً واحدة، وإذا وردت مثقلة دلت على التكثير. فتدبر هذا فإنه حسن جداً، وقل من يتفطن له.

٣ ـ وفي قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ استعارة تصريحية. شبه السؤال بالمثل بجامع البطلان، لأن أكثر الأمثال أمور متخيلة.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا

أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱلرَّسِّ﴾: اسم بئر معينة، قال أبو عبيدة: هي البئر المطوية، والجمع: الرساس، ومنه قول الشاعر:

وهُمْ سائِرُونَ إلى أَرْضِهِم　　تنابلةٌ يَحْفِرون الرِّساسا

وقيل: الرَّس: قرية، وكان أصحاب الرَّسِّ قوماً من عبدة الأصنام، أصحاب آبار ومواش، فبعث الله إليهم شعيباً، فدعاهم إلى الإسلام، فتمادوا في طغيانهم، وفي إيذائه، وقيل: هم أصحاب النَّبي حنظلة بن صفوان، كانوا مبتلين بالعنقاء، وسيأتي بحثها، فكانت تسكن جبلهم، وتَنْقَضُّ على صبيانهم، فتخطفهم إن أعوزها الصيد، فدعا عليها حنظلة، فأصابتها الصاعقة، ثم إنهم قتلوا حنظلة فأُهلكوا، وقيل: هم أصحاب الأخدود، والرَّسُّ: هو الأخدود، وقيل: الرَّسُّ بأنطاكية، قتلوا فيها حبيباً النَّجار.

العنقاء: هي أعظم ما يكون من الطير، سميت لطول عنقها، ويقال لها: عنقاء مُغرب ـ على الإضافة ـ أو: العنقاء المغرب، والمغربة ـ على الوصف ـ وهي: طائر مجهول الجسم لم يوجد، والداهية، ويقال في الإخبار عن هلاك الشيء وبطلانه: حلقت به عنقاء مغرب، وسميت بالمغرب: إما لإتيانها بأمر غريب، وهو اختطاف الصبيان وقيل: أنها اختطفت عروساً. أو: لغروبها، أي: غيبتها، ومغرب: بضم الميم وفتحها، وقيل غير ذلك مما يطول تعداده.

وقيل: الرَّسُّ: ماءٌ ونخلٌ لبني أسد. وقيل: الثلج المتراكم في الجبال. والرَّسُّ اسم وادٍ، قال زهير:

بَكَرْنَ بُكوراً واسْتَحَرْنا بسحْرَةٍ
فَهُنَّ ووادي الرَّسِّ كاليَدِ في الفَمِ

﴿ تَبَّرْنَا﴾ : فتتنا، ومنه: التبر، لفُتات الذهب والفضة.

○ الإعراب:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ الواو: استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لتأكيد ما مرّ من تسلية محمد ﷺ بحكاية ما جرى للأنبياء، وما كابدوه من أقوامهم. واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وآتينا موسى: فعل وفاعل ومفعول به، والكتاب: مفعول ثان لآتينا، وجعلنا: عطف على آتينا، ومعه: ظرف مكان متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني لجعلنا، وأخاه: هو المفعول الأول لجعلنا، وهارون: بدل من أخاه، أو: عطف بيان، ووزيراً: حال، أو تجعل وزيراً هو المفعول الثاني، وتعلق الظرف بمحذوف نصب على الحال. ﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ فقلنا: عطف على ما تقدم، وقلنا: فعل وفاعل، وجملة اذهبا: مقول القول، وإلى القوم: جار ومجرور متعلقان باذهبا، والذين: نعت للقوم، وجملة كذبوا: صلة، وبآياتنا: متعلقان بكذبوا، والفاء: عاطفة على محذوف، أي: فذهبا إليهم، فكذبوهما، فدمرناهم، ودمرناهم: فعل وفاعل ومفعول به، وتدميراً: مفعول مطلق. ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ ﴾ وقوم نوح: مفعول به لفعل محذوف يفسره ما بعده، أي: وأغرقنا قوم، ولك أن تعطفه على الهاء في: دمرناهم، أي: ودمرنا قوم نوح، ولما: ظرف بمعنى حين، أو: رابطة متضمنة معنى الشرط على كل حال، وقد تقدم الإلماع إليها، وكذبوا الرسل: فعل وفاعل ومفعول به، وجملة أغرقناهم: جواب شرط غير جازم، فلا محل لها. ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ وجعلناهم: عطف على ما تقدم، وللناس: مفعول جعلناهم الثاني، وآيةً: مفعول جعلناهم الأول، وأعتدنا: عطف على جعلناهم، وللظالمين: متعلقان بأعتدنا، وهي تحتمل التعيين والتخصيص، فتكون من وضع الظاهر موضع الضمير تسجيلاً عليهم بوصف الظلم. ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾

وعاداً: مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أهلكنا، أو دمرنا، وثمود وأصحاب الرس وقروناً: عطف عليه، والمراد بقوله قروناً: أقواماً، وكثيراً: صفة لقروناً. ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ كلاً: مفعول به لفعل محذوف يلاقي ضربنا في المعنى، أي: خوفنا، وأنذرنا كلاً، فهو نصب على الاشتغال، وجملة ضربنا: مفسرة، وهو فعل ماض وفاعل، وله: متعلقان بضربنا، والأمثال: مفعول به، وكلاً: مفعول به مقدم لتبرنا؛ لأنه فارغ له لم يشتغل بضميره، وتبرنا: فعل وفاعل، وتتبيراً: مفعول مطلق. ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ ﴾ الواو: استئنافية، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وأتوا: فعل وفاعل، وعلى القرية: متعلقان بأتوا، والتي: صفة للقرية، وجملة أمطرت صلة، ومطر السوء: مفعول مطلق لأمطرت، فهي بمعنى: أمطار السوء، والمراد بمطر السوء: الحجارة. والمعنى: أن قريشاً عرَّجوا مراراً كثيرة بمنازل تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء أثناء انتجاعهم للتجارة. وفي القاموس: «ساء سوءاً ـ بالفتح ـ فعل به ما يكره، والسُّوء بالضم: اسم منه»، والقرية هنا: اسم جنس؛ لأنها تشمل خمسة قرى كان قوم لوط يسكنونها، ما نجت منها إلا واحدة. وقيل: هي قريةٌ واحدةٌ اسمها: سذوم بالذال المعجمة، أو سدوم بالدال المهملة، وقد تقدَّم هذا كله. ﴿ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ الهمزة: للاستفهام التقريري، المتضمن معنى الإنكار، والتقرير: هو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه، والفاء: عاطفة، لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام، أي: ألم يكونوا ينظرون إليها فلم يكونوا يرونها مرات أثناء تعريجهم عليها؛ ليعتبروا بمصائر من قبلهم؛ وما جرَّ عليهم إمعانهم في الغواية، وركوب متن الشطط من عقوبة لا تقدر. وجملة يرونها: خبر يكونوا، بل: حرف إضراب، وكان واسمها، وجملة لا يرجون: خبرها، ونشوراً: مفعول به.

□ البلاغة:

١ ـ في قوله: ﴿لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ مجاز عن التوقع، وتوقع الشيء يكون في الخير والشر؛ لأنه لما كانت حقيقة الرجاء انتظار الخير، وما فيه من سرور، وما هو محبب إلى النفس احتيج إلى توجيه الرجاء بما ذكرناه، ولأنه لا يتصور رجاء النشور إلى الكفار.

هذا وقد أجرى بعضهم الكلام على الحقيقة فقال: إنَّ الرجاء بمعنى الخوف هنا، وهو محض تكلُّف، وفي المجاز عنه مندوحة.

٢ ـ وفي قوله: ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا﴾ إلى قوله ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ الحذف، ألا ترى كيف حذف جواب الأمر في هذه الآية، فإنَّ تقديره: فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا، فذهبا إليهم، فكذبوهما، فدمرناهم تدميراً.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ الواو: استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة رأوك: مجرورة بإضافة الظرف إليها، وإن: نافية، ويتخذونك: فعل وفاعل ومفعول، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ولم يقترن الجواب بالفاء، لأن «إذا» اختصت من بين أدوات الشرط بأن جوابها المنفي لا يقترن بالفاء، بخلاف غيرها من الأدوات. وإلا: أداة حصر، وهزواً: مفعول به ثان ليتخذونك. ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ

رَسُولًا﴾ الجملة في محل نصب على الحال من الواو في يتخذونك، على تقدير القول، أي: قائلين، والهمزة للاستفهام الإنكاري، وهذا: مبتدأ، والذي: خبره، وجملة بعث: صلة، والعائد محذوف، أي: بعثه، والله: فاعل لبعث، ورسولاً: حال، ويجوز أن يكون بمعنى مرسل، وأن يكون مصدراً حذف منه المضاف، أي: ذا رسول، وهو الرسالة، وفي الإشارة معنى الاحتقار لأنها للقريب. ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ إن: مخففة من الثقيلة، والجملة من تتمة مقولهم، واسمها: محذوف، أي: إنَّه، وجملة كاد خبرها، ويجوز إهمالها، واسم كاد مستتر تقديره: هو، واللام: الفارقة بين إن النافية وإن المخففة من الثقيلة، وجملة يضلنا: خبر كاد، وهو فعل مضارع وفاعل مستتر، ونا: مفعول به، وعن آلهتنا: متعلقان بيضلنا، ولولا: حرف امتناع لوجود، متضمن معنى الشرط، وأن وما في حيزها مبتدأ، وعليها: متعلقان بصبرنا، والخبر محذوف، أي: موجود، والجواب محذوف، أي: لصرفنا عنها. ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الواو: استئنافية، والكلام مستأنف، مسوق للرد عليهم من الله تعالى، وسوف: حرف استقبال، ويعلمون: فعل مضارع، وفاعل، وحين: ظرف زمان متعلق بيعلمون، وجملة يرون: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ومن: استفهام مبتدأ، وأضل: خبره، وسبيلاً: تمييز، والجملة في محل نصب سدت مسد مفعولي يعلمون التي علقت عن العمل بالاستفهام، أي: أهم أم المؤمنون؟. ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ الهمزة: للاستفهام، ورأيت: فعل وفاعل، أي: أخبرني، ومن: اسم موصول مفعول رأيت الأول، وجملة اتخذ: صلة، وإلهه: مفعول به ثان لاتخذ، وهواه: مفعول به أول، وقدّم المفعول الثاني لأنه أهم، وللاعتناء به؛ لأنه هو المحور الذي يدور عليه التعجب، وستأتي في باب البلاغة مناقشة طريفة حول هذا التقديم. ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ الجملة في محل نصب مفعول به ثان لرأيت، والهمزة: للاستفهام الإنكاري للتيئيس من إيمانهم، والفاء: عاطفة على مقدر، أي: أنت تحرص على إيمانه، وأنت: مبتدأ وجملة تكون: خبره، واسم تكون:

ضمير مستتر تقديره: أنت، وعليه: متعلقان بوكيلاً، ووكيلاً: خبر تكون. ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ أم: حرف عطف مقدرة ببل والهمزة، فهي منقطعة، والهمزة المقدرة للاستفهام الإنكاري، وأن وما في حيزها: سدت مسد مفعولي تحسب، وجملة يسمعون: خبر أن، وأو: حرف عطف، ويعقلون: عطف على يسمعون. ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ إن: نافية، وهم: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، والكاف: خبر هم، بل: حرف عطف وإضراب، وهم: مبتدأ، وأضل: خبره، وسبيلاً: تمييز.

□ البلاغة:

١ ـ التقديم:

في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ التقديم، فقد قدم المفعول الثاني، والأصل: اتخذ الهوى إلهاً؛ للعناية به؛ كقولك: ظننت منطلقاً زيداً؛ إذا كانت عنايتك بالمنطلق، وفيه إلى جانب هذه النكتة نكتة ثانية، وهي: إفادة الحصر، فإنَّ الكلام قبل دخول أرأيت مبتدأ وخبر، المبتدأ: هواه والخبر: إلهه، وتقديم الخبر كما علمت يفيد الحصر، فكأنه قال: أرأيت من لم يتخذ معبوده إلا هواه، فهو أبلغ في ذمه وتوبيخه. هذا وقد زعم بعض المعربين: أنه لا تقديم ولا تأخير في الكلام، وأنهما مفعولا الاتخاذ من غير تقديم ولا تأخير، لاستوائهما في التعريف، ولكن هذا مجرد وهم فإنَّهما وإنْ تساويا في التعريف؛ فقد غاب عن أصحاب هذا الزعم أنَّ المفعول الثاني هو المتلبس بالحالة الحادثة، أي: أرأيت من جعل هواه إلهاً لنفسه من غير أن يلاحظه، وبنى عليه أمر دينه معرضاً عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية.

٢ ـ التمثيل:

في قوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ فن التمثيل وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الفن؛ الذي يتلخص في: أنه هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظ الخاص، ولا بلفظي الإشارة، ولا الإرداف، بل بلفظ هو أبعد من

لفظ الإرداف قليلاً، يصلح أن يكون مثلاً للفظ الخاص؛ لأنَّ المثل لا يشبه المثل من كل الوجوه، ولو تماثل المثلان من كلِّ الوجوه لا تَّحدا. ومن التمثيل أيضاً نوع آخر ذهب إليه من جاء بعد قدامة، وهو: أن يذكر الشيء ليكون مثالاً للمعنى المراد، وإن كان معناه ولفظه غير المعنى المراد ولفظه؛ كأنهم لثبوتهم على الضلالة بمنزلة الأنعام والبهائم، بل أضل سبيلاً؛ لأن البهائم تنقاد لمن يتعهدها، وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها، أما هؤلاء فقد أَسَفُّوا إلى أبعد من هذا الدرك.

هذا وقد استخرج ابن أبي الإصبع في كتابه المسمى: بـ«تحرير التحبير» أمثال أبي تمام من شعره فوجدها تسعين نصفاً وثلاثمئة بيت، واستوعب أمثال أبي الطيب المتنبي، فوجدها مئة نصف وأربعمئة بيت، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب عدداً من أمثال المتنبي ونذكر هنا طائفة أخرى منها:

لعلَّ عتبك محمودٌ عواقِبُه ... فربَّما صحَّت الأجسامُ بالعِلَلِ

وقوله:

ومكايدُ السُّفهاءِ واقعةٌ بِهِمْ ... وعداوةُ الشَّعراء بئس المقْتَنى

وقوله:

لا يُعْجِبَنَّ مضيماً حسن بِزَّتِه ... وهلْ تروقُ دَفيناً جُودَةُ الكفَنِ

وقوله:

وأنا الذي اجْتَلَبَ المنيةَ طرفُه ... فَمَنِ المُطَالَبُ والقتيلُ القاتِلُ

وقوله:

وما كَمَدُ الحُسَّاد شيئاً قَصَدْتُه ... ولكنَّه مَنْ يرحمِ البحرَ يَغْرق

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ

لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ سُبَاتًا ﴾ : راحةً للأبدان بقطع الأعمال، وهو من السَّبْتِ، أي: القطع، سمي بذلك لقطع الأشغال فيه، وفي «المصباح»: «والسبات ـ وزان غراب ـ: النوم الثقيل، وأصله الراحة، يقال منه: سبت، يسبت، من باب قتل» وفي «القاموس»: «إنه من بابي قتل، وضرب، ثم قال: والسُّباتُ: النوم، أو: خفيفه، أو: ابتداؤه في الرأس حتى يبلغ القلب»، وقال الزمخشري: «والسبات: الموت، والمسبوت: الميت؛ لأنه مقطوع الحياة، وهذا كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ فإن قلت: هلا فسرته بالراحة؟ قلت: النشور في مقابلته يأباه إباء العيوف الورد وهو مرنق» والعيوف من الإبل كما في «الصحاح»: «الذي يشم الماء فيدعه وهو عطشان، وفيه أيضاً: رنقته ترنيقاً: كدرته» وفي «اللسان» و«الأساس»: «وجعل الله النوم سباتاً: موتاً، وأصبح فلانٌ مسبوتاً: ميتاً» وفي «القاموس» و«التاج»: «السبات: النوم، أو: أوله، والدهر، والرجل الداهية، وابنا سبات: الليل والنهار، مأخوذ من معنى الدهر، وسبت، يسبت، من بابي قتل وضرب، سبتاً: دخل في السبت، وقام بأمر السبت: استراح، وسبت الشيء: قطعه، وسبت الرأسَ: حلقه، والسبت: مصدر، ويوم من أيام الأسبوع بين الجمعة والأحد، وجمعُه: أسبت، وسبوت، والسبت أيضاً: النوام، والفرس الجواد، والرجل الداهية.

﴿ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ : في «المصباح»: «والريح أربع: الشمال، وتأتي من ناحية الشام، والجنوب تقابلها، وهي الريح اليمانية، والثالثة: الصبا، وتأتي من مطلع الشمس، وهي: القبول أيضاً، والرابعة: الدبور، وتأتي من ناحية

المغرب، والريح مؤنثة على الأكثر، فيقال: هي الريح، وقد تذكر على معنى الهواء، فيقال: هو الريح، وهب الريح، نقله أبو زيد، وقال ابن الأنباري: الريح مؤنثة، لا علامة فيها، وكذلك سائر أسمائها إلا الإعصار فإنه مذكر.

﴿ طَهُورًا ﴾: الطهور على وجهين في العربية: صفة، واسم غير صفة، فالصفة: قولك: ماء طهور، كقولك طاهر، والاسم قولك لما يتطهر به: طهور، كالوضوء، والوقود، لما يتوضأ به، وتوقد به النار، كقولك وضوءاً حسناً، ذكره سيبويه.

﴿ وَأَنَاسِيَّ ﴾: الأناسي: جمع إنسي، أو: إنسان، ونحوه: ظرابي في ظربان على قلب النون ياء، والأصل: أناسين، وظرابين، ولعلَّ الثاني هو الأرجح، قال سيبويه: «إنَّ الياء في إنسي للنسب، وما هي فيه لا يجمع على فعالي» وقال ابن مالك: «واجعل فعالي لغير ذي نسب» وجزم ابن هشام، وابن مالك بأنه جمع إنسان، لا جمع إنسي، قالا: وشذ: قباطي: جمع قبطي، وبخاتي: جمع بختي. وفي الصحاح: القبط: أهل مصر، ورجل قبطي، والقبطية: ثياب بيض ورقاق من كتان، والبخت من الإبل معرب، وقيل: هو عربي، وينشد لابن قيس الرُّقيات:

يهبُ الخيلَ والألوفَ ويَسْقي   لبنَ البخْتِ في قِصاع الخَلْنج

○ الإعراب:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ كلام مستأنف مسوق للشروع في إيراد أدلة محسوسة على توحيده، وستأتي خمسة أدلة. أولها: امتداد الظل، وثانيها: جعل الليل لباساً، وثالثها: إرسال الرياح، ورابعها: مرج البحرين، وخامسها: خلق البشر من الماء. والهمزة: للاستفهام التقريري، ولم: حرف نفي وقلب وجزم، وتر ـ أي: تنظر ـ: فعل مضارع مجزوم بلم، وهي هنا بصرية، وإلى ربك: متعلقان بتنظر، وعلى حذف مضاف، أي: إلى صنيع ربك؛ لأنه ليس المقصود رؤية ذات الله، وكيف: اسم استفهام في محل نصب على الحال، أي: ألم تر إلى صنيع ربك كيف مدَّ

الظل، أي: على أية حالة، ومعنى مدَّ الظل: أن جعله يمتد، وينبسط، فينتفع بـه الناس، واختار الزجاج أن تكون الرؤية قلبية، والمعنى: ألم تعلم، قال: وهـذا أولى؛ لأن الظـلَّ إذا جعلناه من المبصرات فتأثير قدرة الله تعالى في تمديده غير مرئي بالاتفاق، ولكنه معلومٌ من حيث أنَّ كل مبصر، له مؤثر، فحمل اللفظ على رؤية القلب أولى، وقد علقت كيف تر عن العمل، فجملة مدَّ الظل: في محل نصب مفعول به على الثاني، وعلى الأول مستأنفة.

ولو: الواو حالية، ولو: شرطية، وشاء: فعل ماض، وفاعل مستتر، واللام: واقعة في جواب لو، وجملة جعله: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، والهاء: مفعول جعل الأول، وساكناً: مفعوله الثاني، أي: ثابتاً بأن يجعل الشمس على وضع واحدٍ، أو دائماً غير زائل. ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ ثم: هنا للتفاضل بين أوقات الظهور، وليست للتراخي الزماني؛ لأنه لا يصح هنا، فهي محمولة على المجاز، كما سيأتي في باب البلاغة، وجعلنا: فعل وفاعل، والشمس: مفعول به، وعليه: حال، ودليلاً: مفعول به ثانٍ، أي: لولا الشمس لما عرف الظل. ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ وثم: هنا للتفاضل أيضاً بين الأمور الثلاثة، وهي: مد الظل، وسكونه، وقبضه، كأنَّ الثاني أعظم من الأول، والثالث أعظم منهما، وقبضناه: فعل وفاعل ومفعول به، وإلينا: متعلقان بقبضناه، وقبضاً: مفعول مطلق، ويسيراً: صفة، ومعنى: قبضه قبضاً يسيراً؛ أي: حسبما ترتفع الشمس، لتنتظم بذلك مصالح الكون. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ الواو: عاطفة، وهو مبتدأ، والذي: خبره، وجملة جعل: صلة، ولكم: حال؛ لأنه كان في الأصل صفة للباساً، والليل: مفعول جعل الأول، ولباساً: مفعوله الثاني: والنوم سباتاً: عطف على ما تقدم، وجعل النهار نشوراً: عطف أيضاً؛ أي: انتشاراً ينشر فيه الناس لتحصيل معاشهم. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ بشراً: حال،

وبين: ظرف متعلق بمحذوف صفة لبشراً، ويدي رحمته: مضاف إليه وسيأتي تحقيق ذلك في باب البلاغة. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ عطف على ما تقدم، وفيه إشعار بأن تطهير الظاهر يستلزم تطهير البواطن، وفي ذلك منتهى المنة والنعمة. ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ لام التعليل متعلق بأنزلنا، لبيان العلة في إنزاله، وبه: متعلقان بنحيي، وبلدة: مفعول به، وميتاً: صفة لبلدة، يستوي فيه المذكر والمؤنث، أو: لأنه ذكر على معنى البلد في قوله: ﴿فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ ونسقيه: عطف على نحيي تبعه في النصب، ويقال: سقاه، وأسقاه، وكلاهما يتعدى إلى مفعولين، ومما: متعلقان بمحذوف حال، وأنعاماً: مفعول به ثان لنسقيه، وأناسي كثيراً: عطف على أنعاماً. وسيأتي سرُّ تقديم الأنعام عى الأناسي في باب البلاغة.

□ البلاغـة:

١ ـ التقديم والتأخير:

في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ فن التقديم والتأخير، وهو فن عجيب دقيق المسلك، خفي الدلالة، وهو قسمان: قسم يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، وقسم يختص بدرجة التقدم في الذكر، ومنه الآية التي نحن بصددها، فقد قدَّم حياة الأرض وإسقاء الأنعام على إسقاء الناس، وإن كانوا أشرف محلاً؛ لأن حياة الأرض هي سبب لحياة الأنعام والناس، فلما كانت بهذه المثابة جعلت مقدمة في الذكر، ولما كانت الأنعام من أسباب التعيش والحياة للناس قدمها في الذكر على الناس؛ لأن حياة الناس بحياة أرضهم وأنعامهم، فقدَّم سقي ما هو سبب نمائهم ومعاشهم على سقيهم.

٢ ـ في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا﴾ و﴿ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ﴾ استعارة تصريحية تبعية، استعير فيها لفظة المشبه به ـ وهو البعد والتراخي ـ للمشبه، وهو تفاضل الأمور.

وفي قوله ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾ استعارة أيضاً، أي: قُدَّام المطر، وسيأتي المزيد من ذلك.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: جعلهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان، وفي المصباح: «المرج: أرض ذات نبات ومرعى، والجمع: مروج، مثل: فلس، وفلوس، ومرجت الدابة مرجاً ـ من باب قتل ـ: رعت في المرج، ومرجتها مرجاً: أرسلتها ترعى في المرج». وفي «المختار»: وقوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أي: خلاّهما لا يلتبس أحدهما بالآخر. وفي «الأساس»: «أمرج الدواب، ومرجها: أرسلها في المرج، والمروج، ومرج السلطان الناس، ورجل مارج: مرسَل غير ممنوع، ولا يزال فلان يمرج علينا مروجاً: يأتينا مفاجئاً، ومرج الخاتم في الإصبع: قلق. ومن المجاز: مرج الله البحرين، ومرج فلان لسانه في أعراض الناس، وأمرجه، وفلان سرّاج مرّاج: كذاب، ومرجت عهودهم، وقد مرج أمرهم مَرَجاً ومروجاً، وأمر مارج ومريج، وفي الحديث: «كيف أنتم إذا مرج الدِّين وظهرت الرغبة» قال زهير:

مـرجَ الـديـنُ فـأعـددتُ لـه　　مُشَرف الحارِكِ محبوكَ الثبَج
يـرهـبُ السَّـوط سريعـاً فـإذا　　وَنَت الخَيْلُ من الشَّدِّ مَعَج

وأمرجوا عهودهم ودينهم، وطلع مارج من نار: لهب ساطع».

هذا وقد سمي الماء الكثير: بحراً، ولم يقصد بحرين معينين.

﴿فُرَاتٌ﴾: الفرات: البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة، والتاء فيه أصلية لام الكلمة، ووزنه فُعال، وبعض العرب يقف عليها هاء، ويقال: سمي الماء العذب فراتاً؛ لأنه يفرت العطش، أي: يشقه، ويقطعه، وفي «المصباح»: «الفرات: الماء العذب، يقال: فرت الماء فروتة ـ وزان سهل سهولة ـ: إذا عذب، ولا يجمع إلا نادراً على فرتان، كغربان» والفرات أيضاً: نهر عظيم معروف، والفرات أيضاً: البحر.

﴿أُجَاجٌ﴾: الأجاج: البالغ في الملوحة، وقيل: في الحرارة، وقيل: في المرارة. وفي «الأساس»: «وماء أجاج: يحرق بملوحته» وفي «القاموس»: «أجّ يؤج الماء: صار أجاجاً، أي: ملحاً مراً، وهذه نبذة لغوية في تفصيل كمية الماء وكيفيته: إذا كان الماء دائماً لا ينقطع، ولا ينزح في عين أو بئر فهو: عدٌّ، فإذا كان إذا حُرِّك منه جانب لم يضطرب جانبه الآخر فهو: كرٌّ، فإذا كان كثيراً عذباً، فهو: غَدَقٌ، وقد نطق به القرآن، فإذا كان مغرقاً فهو: غمرٌ، فإذا كان تحت الأرض فهو: غور، فإذا كان جارياً فهو: غيلٌ، فإذا كان على ظهر الأرض يستقى بغير آلة فهو: سَيْحٌ، فإذا كان ظاهراً جارياً على وجه الأرض فهو: معين، وسنم، وفي الحديث: «خير الماء السنم»، فإذا كان جارياً بين الشجر فهو: غللٌ، فإذا كان مستنقعاً في حفرةٍ، أو نقرة فهو: ثغبٌ. فإذا أنبط من البئر فهو: نبط، فإذا غادر السيل منه قطعة فهو: غدير، فإذا كان إلى الكعبين، أو أنصاف السوق فهو: ضحضاح، فإذا كان قريب القعر فهو: ضحل، فإذا خاضته الدواب فغيرته فهو: طرق، فإذا كان منتناً غير أنه شروب فهو: آجن، وإلا فهو: آسن، فإذا كان بارداً منتناً فهو: غساقٌ، أو كان حاراً: فسخن، فإذا اشتدت حرارته: فحميم، فإذا كان

ملحاً فهو: زعاقٌ، أو مراً فهو: قعاعٌ، فإذا اجتمعت فيه الملوحة والمرارة فهو: أجاجٌ، فإذا كان فيه شيء من العذوبة وقد يشربه الناس على ما فيه فهو: شريب فإذا كان دونه في العذوبة، وليس يشربه الناس إلا عند الضرورة، وقد تشربه البهائم، فهو: شروب، فإذا كان عذباً فهو: فرات، فإذا زادت عذوبته فهو: نقاخٌ، فإذا كان زاكياً في الماشية فهو: نمير، فإذا كان سهلاً سائغاً متسلسلاً في الحلق فهو: سلسل، وسلسال، فإذا جمع الصفاء والعذوبة والبرد فهو: زلال، فإذا كثر عليه الناس حتى نزحوه بشفاههم فهو: مشفوه، ثم مثمودٌ، ثم مضفوفٌ، ثم ممكولٌ، ثم مجمومٌ ثم منقوص» فما أعجب أمر لغتنا الشريفة.

﴿ بَرْزَخًا﴾: حاجزاً يحول دون اختلاط أحدهما بالآخر دون أن يرى.

﴿ وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾: تقدم تفسيرهما، وسيأتي البحث عن موقعهما هنا في باب البلاغة.

﴿ وَصِهْرًاۗ ﴾: الصهر بالكسر: القرابة كما في «القاموس»، والختن، وجعمه: أصهار، وفي «المصباح»: «الصهر: جمعه أصهار، قال الخليل: الصهر: أهل بيت المرأة، وقال: ومن العرب من يجعل الأحماء، والأختان جميعاً أصهاراً، وقال الأزهري: الصهر: يشتمل على قرابات النساء ذوي المحارم وذوات المحارم، كالأبوين، والأخوة، وأولادهم، والأعمام، والأخوال، والخالات، فهؤلاء أصهار زوج المرأة، ومن كان من قبل الزوج من ذوي قرابته المحارم فهم أصهار المرأة أيضاً، وقال ابن السكيت: كل من كان من قبل الزوج: من أبيه، أو أخته، أو عمه، فهم: الأحماء، ومن كان من قبل المرأة، فهم: الأختان، ويجمع الصنفين الأصهار، وصاهرت إليهم، ولهم، وفيهم: إذا تزوجت منهم».

﴿ ظَهِيرًا ﴾: الظهير: المعين، فهو فعيل بمعنى مفاعل، ويجوز أن يراد بالظهير: الجماعة؛ كقوله: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ كما جاء الصديق والخليط.

○ الإعـراب:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ عطف على ما تقدم، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وصرفناه: فعل وفاعل ومفعول به، والضمير يعود على الماء، أو على القول الذي مرَّ فيه ذكر إنشاء السحاب، وإنزال القطر بين الناس؛ ليعتبروا، فأبوا إلا الكفور، وبينهم: متعلقان بصرفناه، وليذكروا: اللام للتعليل، ويذكروا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، فأبى أكثر الناس: الفاء: عاطفة، والجملة عطف على ما تقدم، وإلا: أداة حصر، وكفوراً: مفعول به، أو مفعول مطلق. ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ الواو: عاطفة، ولو: شرطية، وشئنا: فعل وفاعل ومفعول المشيئة محذوف، وقد تقدم: أنه يكثر بعد فعل المشيئة، واللام: واقعة في جواب لو، وجملة بعثنا: لا محل لها، وفي كل قرية: متعلقان ببعثنا، ونذيراً: مفعول به، أي: ولكننا قصرنا الأمر عليك، وأنطناه بك وحدك؛ ليكون لك فضل إظهاره، والتمرس بأعبائه.

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ الفاء: الفصيحة، ولا: ناهية، وتطع: مجزوم بلا، والفاعل مستتر تقديره أنت، والكافرين: مفعول به، أي: فلا تسايرهم فيما يريدونك عليه، ولا تأخذك هوادة، أو لين، وجاهدهم: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، وبه: متعلقان بجاهدهم، والضمير للقرآن، واتل عليهم دائماً زواجره وأوامره ونواذره، وجهاداً: مفعول مطلق، وكبيراً: صفة. ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ الواو: عاطفة، والكلام معطوف على ما تقدم ليتساوق ذكر الدلائل الخمسة على توحيده، وهذا هو الدليل الرابع. وهو: مبتدأ، والذي: خبره، وجملة مرج البحرين: صلة، وجملة هذا عذب: استئنافية، أو مقولاً لقول محذوف في موضع الحال؛ أي: مقولاً فيهما، وهذا: مبتدأ، وعذب: خبره، وفرات: خبر ثان، وهذا ملح أجاج: عطف على ما تقدم.

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ عطف على مرج داخل في حيز الصلة،

وجعل: فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو، وبينهما: ظرف متعلق بمحذوف في موضع المفعول الثاني لجعل، وبرزخاً: مفعول به أول، وحجراً محجوراً: عطف على برزخاً، وقيل: منصوبين بقول مقدر، وسيأتي تقرير ذلك في باب البلاغة. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ عطف على ما تقدم، وقد ذكر فيه الدليل الخامس، ومن الماء: جار ومجرور متعلقان بخلق، وبشراً: مفعول به، فجعله: الفاء عاطفة، وجعله: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، ونسباً: مفعول به ثان، وصهراً: عطف على نسباً، والواو استئنافية، وكان: فعل ماض ناقص، وربك: اسمها، وقديراً: خبرها. ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ﴾ الواو: استئنافية، وجملة يعبدون: استئنافية، مسوقة للشروع في تقبيح جنوح المشركين إلى عبادة الأوثان؛ بعد أن أورد الدلائل الخمسة على التوحيد، ومن دون الله: حال، وما: مفعول به، وجملة لا ينفعهم: صلة، وجملة ولا يضرهم: عطف على جملة لا ينفعهم. ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ الواو: عاطفة، وكان الكافر: كان واسمها، وعلى ربه: متعلقان بظهيراً، وظهيراً: خبر كان؛ أي: معيناً للشيطان. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ كلام مستأنف مسوق لتقرير حال رسوله ﷺ، وما: نافية، وأرسلناك: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وإلا: أداة حصر ومبشراً حال فالاستثناء من أعم الأحوال، ونذيراً: عطف على مبشراً. ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ قل: فعل أمر، وجملة ما أسألكم: مقول القول، وعليه: حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لأجر، وتقدم عليه، ومن: حرف جر زائد، وأجر: مجرور لفظاً في محل نصب مفعول به لأسألكم. ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ إلا: أداة استثناء، ومن شاء: مستثنى منقطع؛ لأنه من غير الجنس؛ أي: لا أطلب منكم أجراً لنفسي، لكن من شاء أن ينفق أمواله في سبيل الله، ولوجهه خالصاً فليفعل، وأن وما في حيزها: مفعول المشيئة، وإلى ربه: في موضع المفعول الثاني ليتخذ، وسبيلاً: مفعول به أول ليتخذ.

□ **البلاغة:**

الاستعارة التصريحية في قوله ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾فقد شبه بهما الماءين الكثيرين الواسعين، و ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾هي: كلمة تقال عند التعوذ كما أسلفنا في هذه السورة، ولكنهما هنا تقالان على سبيل المجاز، كأنَّ كلَّ واحدٍ من البحرين يتعوذ من الآخر، ويقول له: حجراً محجوراً، فإعراب حجراً محجوراً: مفعولين للقول المحذوف جيد للغاية من الناحية البيانية، وسيأتي قوله: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ في سورة الرحمن، فقد شبههما كما قلنا بطائفتين متعاديتين، تريد كلٌ منهما الإيقاع بالأخرى، وتتربص بها بالدوائر، وتنتهز السوانح والفرص، ولكنها عندما تحصل على ما تريد تمتنع من البغي، فجعل المعنى المستعار كاللفظ المقول، وهذا من أبلغ القول وأبينه، وأكثره تجسيداً وملاءمة للمعنى المراد.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾

○ **الإعراب:**

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ الواو عاطفة على ما تقدم، والآية متصلة بقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ فإنه لما بيّن: أن الكفار متظاهرون على إيذائه أمره أن يتوكل عليه. وتوكل: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، وعلى الحي: متعلقان بتوكل، والذي: صفة، وجملة: لا يموت: صلة، وسبح: عطف على توكل، وبحمده: متعلقان بمحذوف حال، أي: متلبساً بحمده. ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ الواو: حرف

عطف، وكفى: فعل ماض، والباء: حرف جر زائد، والهاء: مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل، وبذنوب: متعلقان بخبيراً، وخبيراً: تمييز، أو: حال. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الذي: نعت، أو: بدل من قوله ﴿بِهِۦ﴾ أو: مبتدأ، وجملة خلق السموات والأرض: صلة، وما بينهما: عطف على السموات، والظرف: متعلق بمحذوف صلة، وفي ستة أيام متعلقان: بخلق. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ ثم: حرف عطف، واستوى: عطف على خلق، وعلى العرش: متعلقان به، والرحمن: خبر الذي، أو: خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو الرحمن، فاسأل: الفاء الفصيحة، واسأل: فعل أمر، وبه: متعلقان بخبيراً، وخبيراً: مفعول به، ويجوز أن تكون الباء بمعنى عن، والجار والمجرور متعلقان بقوله: ﴿فَسْـَٔلْ﴾ ومنه قول الشاعر:

فإنْ تَسْألُوني بالنِّساء فإنَّني ... خَبِيرٌ بسأدْوَاءِ النِّســاء طَبِيْــبُ

وقول عنترة:

هلا سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ ... إنْ كنتِ جاهلةً بِما لمْ تَعْلَمي

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الواو: استئنافية، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة قيل: مجرورة بإضافة الظرف إليها، ولهم: متعلقان بقيل، وجملة اسجدوا للرحمن: مقول القول، وجملة قالوا: جواب شرط غير جازم، لا محل لها، والواو: زائدة، وما الرحمن: ما: اسم استفهام خبر مقدم، والرحمن: مبتدأ مؤخر، أو: بالعكس، يجوز أن يكون سؤالاً عن المسمى به، أو: عن معناه. ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، ونسجد: فعل مضارع، وفاعله مستتر، تقديره: نحن، ولما: متعلقان بنسجد، أي: كيف نسجد لما لا نعرفه، وجملة تأمرنا: صلة، ويجوز أن تكون ما: مصدرية، أي: للسجد من أجل أمرك، وزادهم: فعل وفاعل يعود على القول، والهاء: مفعول به، ونفوراً: مفعول به ثان، أو: تمييز.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استعارة مكنية، ويسميها القدامى تخييلية، فالمستعار: الاستواء، والمستعار منه: كل جسم مستو، والمستعار له: الحق عز وجلَّ ليتخيل السامع عند سماع هذه اللفظة ملِكاً فرغ من ترتيب ممالكه، وتشييد ملكه، وجميع ما تحتاج إليه رعاياه وجنده، من عمارة بلاده، وتدبير أحوال عباده، استوى على سرير ملكه استيلاء عظمة، فيقيس السامع ما غاب عن حسه من أمر الإلهية على ما هو متخيله من أمر المملكة الدنيوية عند سماع هذا الكلام، ولهذا لا يقع ذكر الاستواء على العرش إلا بعد الإخبار بالفراغ من خلق السموات والأرض وما بينهما، وإن لم يكن ثم سرير منصوب، ولا جلوس محسوس، ولا استواء على ما يدل عليه الظاهر من تعريف هيئة مخصوصة.

فائدة:

في الاستواء مذهبان، أحدهما: مذهب السلف، وهو لا يفسر الاستواء، بل يقول: إنه استواء يليق به. وثانيهما: مذهب الخلف وهو يفسره بالاستيلاء عليه بالتصرف فيه. وفي سائر المخلوقات.

* الفوائد:

قوله: ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: يعني: في مقدار هذه المدة، والظاهر: أنها من أيام الدنيا، وأولها: الأحد، آخرها: يوم الجمعة، وقد كان لها أسماء عندهم، وهي: الأحد: أوهل، والاثنين: أوهن، والثلاثاء: جبار، والأربعاء: دبار، والخميس: مؤنس، والجمعة: عروبة، والسبت: شيار.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ بُرُوجًا ﴾: أي: منازل للكواكب السيارة، وهي اثنا عشر، وأصل البروج: القصور العالية، سميت هذه المنازل: بروجاً؛ لأنها للكواكب السيارة بمثابة المنازل الرفيعة التي هي القصور لسكانها، هذا ومنطقة البروج هي منطقة سماوية؛ تحتوي على المدارات التي تجتازها الكواكب السيارة حول الشمس، وانحراف هذه المدارات بالنسبة إلى بعضها يختلف قلة وكثرة، ولا سيما مدارات الكواكب التي لا تشاهد إلا بالآلة العظيمة الفلكية، وهذه المنطقة تقسمها الدائرة الكسوفية المسماة بمدار الأرض إلى قسمين متساويين، عرض كل منهما تقريباً ثماني درجات، وينتهيان بدائرتين موازيتين لتلك الدائرة، وهي منحرفة عن دائرة الاستواء؛ التي تقسمها إلى قسمين يقربان للتساوي، وقد قسمت في سالف الأزمان إلى اثني عشر قسماً تسمى: صوراً، وكل قسم منها ثلاثون درجة، ومن سير الشمس بحسب الظاهر في هذه الأقسام تحصل الفصول ومددها، وذلك: أنَّ هذا الكوكب بتركه النصف الجنوبي من الكرة ودخوله في نصفها الشمالي تفتتح السنة الشمسية، أعني بمجرد دخوله في برج الحمل، وفي ذلك الوقت يبتدىء الربيع الذي يحيا به الكون، ويستمر هذا الفصل مدة اجتياز الشمس البرج المذكور وبرج الثور والجوزاء، ثم تدخل على التعاقب في السرطان والأسد والسنبلة، وهذه تسمى بفصل الصيف، فينبعث إلينا مدة إقامتها في تلك البروج أشعة شديدة الحرارة؛ تنضج الحبوب التي تحصد زمن الصيف، ثم بعد بلوغها هذا الارتفاع تنزل من جهة النصف الجنوبي؛ فتجتاز على التوالي الميزان والعقرب

والقوس، ويقال لهذه البروج الثلاثة: فصل الخريف، ثم يدخل الشتاء بثلجه وبرده، وتكون الشمس حينئذٍ أبعد نقطة عنا، ولا ينبعث منها إلينا إلا أشعة مائلة، فتقطع بروجه الثلاثة؛ أعني: الجدي، والدلو، والحوت، ثم ترجع إلى محلها الأول؛ لتعيد الحياة والحركة إلى كثير من الكائنات؛ التي كانت كأنها خلية عنها بسبب بعدها عنها.

فقد عرفت من ذلك: أنَّ الصور الاثني عشرة لمنطقة البروج تنقسم على الفصول الأربعة، فللربيع: الحمل، والثور، والجوزاء. وللصيف: السرطان، والأسد، والسنبلة. وللخريف: الميزان، والعقرب، والقوس. وللشتاء: الجدي، والساكب، والحوت.

﴿سِرَٰجًا﴾: السراج: الشمس؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾.

﴿خِلْفَةً﴾: أي: يخلف كلٌّ واحد منهما الآخر، فالخلفة: مصدر هيئة. وعبارة القرطبي: قال أبو عبيدة: الخلفة: كلُّ شيءٍ بعد شيءٍ فكلٌّ واحدٍ من الليل والنهار يخلف صاحبه، ويقال للمبطون: أصابه خلفةٌ، أي: قيامٌ وقعودٌ، يخلف هذا ذاك، ومنه: خلفة النبات، وهو ورق يخرج بعد الورق الأول في الصعيد. وقال مجاهد: خلفة: من الخلاف، هذا أبيض، وهذا أسود. والأول أقوى. وقيل: يتعاقبان في الضياء والظلام، والزيادة والنقصان، وقيل: هو من باب حذف المضاف؛ أي: جعل الليل والنهار ذوي خلفة؛ أي: اختلاف لمن أراد أن يذكَّر، أي: يتذكر، فيعلم: أنَّ الله لم يجعلهما كذلك عبثاً، فيعتبر في مصنوعات الله تعالى، ويشكر الله على نعمه عليه في العقل، والفكر، والفهم، وقال عمر بن الخطاب، وابن عباس، والحسن: معناه: من فاته شيءٌ من الخير بالليل أدركه بالنهار، ومن فاته بالنهار أدركه بالليل.

﴿هَوْنًا﴾ الهون: الرفق والسكينة، وهو مصدرٌ وضع موضع الصفة للمبالغة، وقد مرت له نظائر، ومنه الحديث: «أحبب حبيبك هوناً ما» وقوله: «المؤمنون هينون لينون» ومن أمثالهم: «إذا عز أخوك فهن».

﴿ غَرَامًا ﴾ : هلاكاً، وخسراناً، وعذاباً لازماً، وفي «المختار»: «الغرام الشر الدائم والعذاب» قال بشر بن أبي خازم:

ويومَ النِّسارِ ويومِ الفِجَا ... رِكانا عَذاباً وكان غَراما

والنِّسار: ماء لبني عامر، والفِجار ماء لبني تميم، وقد جرت فيهما هاتان الواقعتان، وكانتا عذاباً على أهلهما، وهلاكاً دائماً.

○ الإعراب:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ تبارك: فعل ماض جامد، والذي: فاعله، وجملة جعل: صلة، وفي السماء: متعلقان بجعل، وبروجاً مفعول به، وما بعده: عطف عليه، ويجوز أن تجعل جعل متعدية لاثنين بمعنى الجعل؛ أي: التصيير. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ كلام معطوف على ما قبله، وهو: مبتدأ، والذي: خبره، وجملة جعل الليل والنهار: صلة، وخلفة: مفعول به ثان لجعل إن كانت بمعنى صير، أو: حال إن كانت بمعنى خلق، وأفرد لأن المعنى يخلف أحدهما الآخر، فلا يتحقق هذا إلا منهما، قيل: ولابد من تقدير مضاف؛ أي: ذوي خلفة: كما تقدم في باب اللغة، ولمن صفة لخلفة، وجملة أراد: صلة مَنْ، وأن يذكر: مصدر مؤول في محل نصب على المفعولية لأراد، ومفعول يذكر محذوف؛ أي: ما فاته في أحدهما، وأو: حرف عطف، وأراد شكوراً: عطف على أراد الأولى. ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان الأوصاف التي تميز بها عباد الرحمن المخلصون بعد بيان حال المنافقين، وقد وصفهم بثمانية موصولات. وعباد: مبتدأ، والرحمن: مضاف إليه، وما بعده صفات، ويجوز أن تكون الموصولات الثمانية أوصافاً، وخبر عباد في آخر السورة، وهو قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ ﴾ كأنه قال: وعباد الرحمن الموصوفون بهذه الصفات أولئك يجزون، ولعلَّ الأولى أولى؛ لبعده عن التعسف، والذين: خبر عباد، أو: صفة، وجملة يمشون: صلة، وعلى الأرض: متعلقان

بيمشون، وهوناً: مصدر وضع في موضع الحال، أو: نصب على المفعولية المطلقة، كأنه وصف للمصدر، أو ملاقيه في المعنى؛ أي: مشياً هوناً. ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ الواو: عاطفة، والجملة معطوفة على ما قبلها، فهي من حيز الصلة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة خاطبهم الجاهلون: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة قالوا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وسلاماً: مفعول مطلق؛ أي: قولاً يسلمون فيه من الإثم، وستأتي مناقشة طريفة بين سيبويه والمبرد حول هذا المصدر في باب الفوائد. ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴾ والذين: عطف على الموصول الأول، وجملة يبيتون: صلة، والواو: اسم يبيتون، ويضعف جعلها تامة؛ أي: يدخلون في البيات؛ كما سيأتي في باب الفوائد، ولربهم: متعلقان بسجداً، وسجداً: خبر يبيتون، أو: حال على جعلها تامة، وقياماً: عطف على سجداً، وقدم السجود على القيام؛ وإن كان القيام قبله في الفعل؛ لمراعاة الفواصل، وسجداً: جمع ساجد، وهو اسم فاعل، ولذلك تعلق الجار والمجرور به، وكذلك: قياماً: جمع قائم. ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾ والذين: عطف أيضاً، وجملة يقولون: صلة، وربنا: منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، واصرف: فعل أمر معناه الدعاء، وعذاب جهنم: مفعول اصرف، والجملة مقول القول. ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ الجملة تعليلية لا محل لها، فهي تعليل لقولهم: ﴿ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾ وأنَّ واسمها، وجملة كان: خبرها، واسم كان ضمير مستتر تقديره: هو، وغراماً: خبر كان.

﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ الجملة تعليلية أيضاً، وحذف العاطف بينهما، فالجملتان من جملة مقولهم، وإنَّ واسمها، وجملة ساءت: خبرها، وفاعل ساءت ضمير مستتر مبهم مفسر بنكرة، ومستقراً: تمييز، ومقاماً: عطف على مستقراً، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: هي، وقد أجاز

المعربون كالزمخشري والسمين أن تكون ساءت بمعنى: أحزنت، فلا تكون من أفعال الذم، بل تكون فعلاً متصرفاً ناصباً للمفعول به، وهو هنا محذوف؛ أي: وأحزنت أصحابها وداخليها، عندئذ يجوز في مستقراً أن يكون تمييزاً، وأن يكون حالاً.

* **الفوائـد:**

١ ـ مناقشة حول ﴿سَلَـٰمًا﴾

قال القرطبي في تفسيره: «قال النحاس: ولا نعلم لسيبويه كلاماً في معنى الناسخ والمنسوخ إلا في هذه الآية، قال سيبويه: لم يؤمر المسلمون يومئذٍ أن يسلموا على الكفار، لكنه على معنى قوله: سلمنا منكم، ولا خير بيننا وبينكم ولا شر، وقال المبرد: كان ينبغي أن يقول: لم يؤمر المسلمون يومئذٍ بحربهم ثم أمروا بحربهم، وقال؛ أي: محمد بن يزيد المبرد: أخطأ سيبويه في هذا وأساء العبارة، وقال ابن العربي: لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين، ولا نهوا عن ذلك، بل أمروا بالصفح والهجر الجميل، وقد كان عليه الصلاة والسلام يقف على أنديتهم، ويحييهم، ويدانيهم، ولا يداهنهم».

قلت: ولا حاجة إلى ادِّعاء النسخ؛ لأن الإغضاء عن السفهاء، وترك المقابلة مستحسنٌ في الأدب والمروءة والشريعة، وأصون للعرض، وأوفر له.

٢ ـ فعل بات:

قال في «القاموس»: «وبات يفعل كذا، يبيت، ويبات، بيتاً، وبياتاً، ومبيتاً، وبيتوتة، أي: يفعله ليلاً، وليس من النوم» ومعنى قوله: «وليس من النوم» أي: وليس الفعل من النوم، فإذا نام ليلاً لا يصح أن يقال: بات ينام، ومنه قول الشريف الرضي:

أَتَبِيْتُ ريَّان الجُفونِ من الكرىٰ وأبيتَ مِنْكَ بليلةِ الملُسوعِ

ذكر ابن هشام في «مغني اللبيب» عن رجل كبير من الفقهاء: أنه استشكل

قول الشريف الرضي الآنف الذكر، وقال: كيف ضم التاء من تبيت وهي للمخاطب، لا للمتكلم وفتحها من أبيت وهو للمتكلم؟ فبينتُ للحاكي: أن الفعلين مضارعان، وأن التاء فيهما لام الكلمة، وإن الخطاب في الأول مستفاد من الهمزة، والأول مرفوع لحلوله محل الاسم، والثاني منصوب بأن مضمرة بعد واو المصاحبة على حد قول الحطيئة:

أَلَمْ أَكُ جارَكُمْ ويكونَ بَيْنِيْ وبَيْنَكُـــمُ المـــودةُ والإخــــاءُ

هذا ونعود إلى بيت الشريف فنقول: هو من أرق الشعر وأجمله، وفيه استعارة تبعية؛ حيث شبه امتلاء جفون المحبوب من النوم بالرِّيِّ وهو امتلاء الجوف بالماء المذهب للأوار بجامع حصول الراحة في كل منهما، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من الري ريَّان، بمعنى: ممتلىء الجفون، وفيه أيضاً كناية، وذلك: أنه كنى بليلة الملسوع عن ليلة السهر؛ لأن السَّهر والأرق من لوازم ذلك، وفيه أيضاً طباق بين النوم المستفاد من الصدر صريحاً والسهر المستفاد من العجز كناية، فقد استكمل البيت ثلاثة فنون من البيان، فإذا أضفت إلى ذلك خروج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى البث والشكوى؛ فقد استكمل أربعة فنون، يضاف إليها خامس، وهو فن حسن النسق، وسلاسة الأسلوب. وهو من أبيات نذكر منه الباقة التالية:

يا صاحِبَ القلبِ الصَّحيحِ أما اشْتَفى
ألـمُ الجـوى مـن قلبـي المصْـدوعِ
هيهـــاتَ لا تتكلفــنَّ لِــيَ الهـــوى
فَضَــــحَ التطبُّـــعُ شيمـــةَ المطبـــوعِ
كَمْ قد نصبْتُ لك الحبائلَ طامعاً
فنجـــوتَ بَعْـــدَ تعـــرضٍ لـــوقـــوعِ
وتـــركْتَنـــي ظمـــآنَ أشربُ غلَّتـــي
أسَفـــاً على ذاكَ اللَّمـــى الممنـــوعِ

كَمْ ليلةٍ جرَّعته في طُولِها
غُصَصَ الملامِ ومؤلم التَّقريعِ
أَبكي ويَبْسِم والدُّجى ما بيننا
حتى أضاءَ بثغرِه ودُمُوعي
قمرٌ إذا استعجلتَه بعتابِه
لَبِسَ الغُروبَ ولم يعد لِطُلوعِ
لَوْ حَيْثُ يُستمَعُ السِّرارُ وَقفتما
لَعَجِبْتُما مِنْ عزِّه وخضُوعي
أهونُ عليَّ إذا امتلأتُ من الكرى
أنِّي أبيتُ بليلةِ الملسُوعِ

وتكون بات تامة مكتفية بمرفوعها عن منصوبها إذا كانت بمعنى: عرَّس، وهو النزول آخر الليل، نحو قول ابن عمر رضي الله عنه: «أما رسول الله فقد بات بمنى» أي: عَرَّس بها، وقال امرؤ القيس بن عانس بالنون، وهو غير «امرؤ القيس بن حجر الكندي»:

وباتَ وباتَتْ له ليلةٌ كَلَيْلَةِ ذي العائرِ الأرْمَدِ

أي: وعرَّس، والعائر بالعين المهملة: اسم فاعل من العور، وهو القذى في العين تدمع له، وقيل: الرَّمد، والأرمد صفة له، وقالوا: بات بالقوم، أي: نزل بهم ليلاً.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ

وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾

☆ اللغة:

﴿يَقْتُرُوا۟﴾ : في «المختار» : «وقتر على عياله ؛ أي : ضيق عليهم في النفقة ، وبابه : ضرب ، ودخل ، وقتر تقتيراً ، وأقتر أيضاً لغات» وقد قرىء بفتح أوله وضمه .

﴿قَوَامًا﴾ : بفتح القاف وكسرها ، وقد قرىء بهما ، والقوام ـ بالفتح ـ : العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين ، ونظير القوام من الاستقامة : السواء من الاستواء ، والقوام بالكسر : ما يقام به الشيء ، يقال : أنت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة ، لا يزيد عنها ولا ينقص .

﴿أَثَامًا﴾ : الأثام كالوبال والنكال وزناً ومعنى : جزاء الإثم الذي هو الذنب نفسه ، قال :

جزى الله ابنَ عروةَ حيثُ أمْسَى عقـوقـاً والعقـوقُ لـه أَثَـامُ

وفي «المختار» : «أثمه الله في كذا بالقصر ، يأثمه ـ بضم الثاء وكسرها ـ أثاماً : عده عليه إثماً ، فهو مأثوم ، وقال الفراء : أثمه الله ، يأثمه ، إثماً ، وأثاماً : جازاه جزاء الإثم ، فهو مأثوم ، أي : مجزيٌ جزاء إثمه» .

○ الإعراب:

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ والذين : عطف على ما تقدم ، وإذا : ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة أنفقوا : في محل جر بإضافة الظرف إليها ، وجملة لم يسرفوا ، ولم يقتروا : لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، والواو عاطفة ، أو : حالية ، وكان : فعل ماض ناقص ، واسمها ضمير مستتر ، أي : وكان الإنفاق ، وبين : ظرف متعلق بمحذوف حال ؛ لأنه كان صفة لقواماً ، وذلك : مضاف إليه ، وقواماً : خبر كان . قال الزمخشري : «والمنصوبان أعني : بين ذلك ، قواماً جائز أن يكونا خبرين معاً ، وأن يجعل بين ذلك لغواً ، وقواماً مستقراً ، وأن يكون

الظرف خبراً، وقواماً حالاً مؤكدة». ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ والذين: عطف على ما تقدم أيضاً، وجملة لا يدعون: صلة، ومع الله: متعلق بيدعون، وإلهاً مفعول به، وآخر: صفة. ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ ولا يقتلون: عطف على ولا يدعون، والنفس: مفعول به، والتي: صفة، وجملة حرم الله: صلة، وإلا: أداة حصر، وبالحق: متعلقان بيقتلون، أو: بمحذوف حال، فالاستثناء من أعم الأحوال؛ أي: إلا مستحقين، ولا يزنون: معطوفة. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ الواو: عاطفة، ومن: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويفعل: فعل الشرط، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو، وأثاماً: مفعول به، ويضاعف: بدل من يلق؛ لأنهما في معنى واحد، وسيأتي في باب الفوائد بحث إبدال الفعل من الفعل لأن مضاعفة العذاب لقي الآثام، وله متعلقان بيضاعف، والعذاب: نائب فاعل، ويوم القيامة: ظرف متعلق بيضاعف أيضاً، ويخلد: عطف على يضاعف، وفيه: متعلقان بيخلد، ومهاناً، حال من فاعل يخلد. ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا﴾ إلا: أداة استثناء، ومَنْ: استثناء من الجنس في موضع نصب، وجملة تاب: صلة، وآمن: عطف على تاب، وكذلك عمل عملاً: مفعول مطلق، أو: مفعول به، وصالحاً: صفة. ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الفاء: رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط، وأولئك: مبتدأ، والإشارة إلى الموصول وهو مَنْ، والجمع باعتبار معناها، وجملة يبدل: خبر أولئك، والله: فاعل، وسيئاتهم: مفعول، وحسنات: مفعول ثان ليبدل، أو نصب على نزع الخافض، وكان: الواو استئنافية، وكان واسمها، وغفوراً: خبرها الأول، ورحيماً: خبرها الثاني. ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ الواو: عاطفة، أو: استئنافية، ومَنْ: اسم شرط جازم مبتدأ، وتاب: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وعمل: عطف على تاب، وصالحاً: صفة لمفعول مطلق، أو: لمفعول به محذوف؛ أي: عملاً صالحاً، فإنه: الفاء رابطة للجواب؛ لأنه جملة اسمية، وإنَّ واسمها، وجملة

يتوب : خبر ، وإلى الله : جار ومجرور متعلقان بيتوب ، ومتاباً : مفعول مطلق ؛ لأنه مصدر ميمي .

* الفوائد :

إبدال الفعل من الفعل :

يبدل كل من الاسم والفعل والجملة من مثله ، وينطبق عليه أحكام البدل ، فيكون بدل كل من كل ، أو : بدلاً مطابقاً ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ ﴾ فيضاعف : بدل من يلق بدل كل من كل ، أو بدلاً مطابقاً ، قال الخليل : لأن مضاعفة العذاب هي لقي الآثام . وبدل البعض نحو : إن تُصَلِّ تسجد لله يرحمك ، فتسجد بدل من تصل بدل بعض من كل . وبدل الاشتمال كقوله :

إنَّ علــيَّ الله أَنْ تُبَــايِعــا تؤخذ كُرْهاً أَوْ تجيء طَائِعا

لأن الأخذ كرهاً والمجيء طائعاً من صفات المبايعة ، والله منصوب على نزع الخافض ، أي : والله ، وأن تبايعا : اسم إن ، والألف في تبايعا للإطلاق ، وهو من بايع ؛ أي : عاهد ، وعلي : متعلق بالخبر ، وتؤخذ وما عطف عليه : بدل اشتمال من حيث المعنى . أما إبدال الجملة فيطرد في البدل المطابق ، نحو : قعدت جلست في دار زيد .

وفي بدل البعض من الكل كقوله تعالى : ﴿ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴾ فجملة أمدكم الثانية أخص من الأولى باعتبار متعلقيهما ، فتكون داخلة في الأولى ؛ لأن «ما تعلمون» تشمل الأنعام وغيرها ، وبدل الاشتمال كقوله :

أقــولُ لــه ارحــلْ لا تُقيمــنَّ عِنْــدَنــا
وإلا فَكُــنْ في السِّــر والجَهْــرِ مُسْلِمــا

فـ «لا تقيمن عندنا» بدل اشتمال من «ارحل» لما بينهما من المناسبة اللزومية ، وليس توكيداً له ؛ لاختلاف لفظيهما ، ولا بدل بعض ؛ لعدم

دخوله في الأول، ولا بدل كل من كل؛ لعدم الاعتداد به؛ كما تقدم.

وقد تبدل الجملة من المفرد بدل كل؛ كقول الفرزدق:

إلى اللهِ أشكُو بالمدينةِ حاجةً وبالشّام أخرى كيفَ يَلْتَقِيان

فقد أبدل جملة كيف يلتقيان من حاجة وأخرى وهما مفردان، وأما إبدال المفرد من الجملة فقد صرح أبو حيان في «البحر» بأن المفرد يبدل من الجملة كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ فقيماً بدل من جملة لم يجعل له عوجاً؛ لأنها في معنى المفرد؛ أي: جعله مستقيماً.

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ۝٧٢ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٣ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٧٦ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ۝٧٧ ﴾

○ الإعراب:

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ والذين: عطف على الموصولات السابقة، وجملة لا يشهدون: صلة، والزور: إن كانت يشهدون بمعنى الشهادة المعلومة فيكون الزور منصوباً بنزع الخافض، أي: بالزور، وإن كانت يشهدون بمعنى يحضرون فيكون الزور مفعولاً به، وإذا: الواو عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة مروا: مجرورة بإضافة الظرف إليها، ومروا: فعل وفاعل، وباللغو: متعلقان بمروا، وجملة مروا الثانية: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وكراماً: حال، أي: ربئوا بأنفسهم عن الوقوف عليه، والإسهام فيه.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ جملة لم يخروا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وعليها: متعلقان بيخروا، وسيأتي معنى هذا النفي في باب البلاغة، وصماً: حال، وعمياناً: حال ثانية. ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ عطف على ما تقدم، وربنا: منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، وهب: فعل أمر فيه معنى الدعاء، ولنا: متعلقان بهب، ومن أزواجنا: حال، وسيأتي بحث هذا التجريد في باب البلاغة، وقرة أعين: مفعول هب، وتقدم: أن قرة العين: سرورها، والمراد به: ما يحصل به السرور، وسيأتي سر تقليل الأعين في باب البلاغة، واجعلنا: فعل أمر متضمن معنى الدعاء، وفاعله مستتر، ومفعول أول، وللمتقين: حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لإماماً، وإماماً: مفعول به ثانٍ، وفيه أربعة أوجه:

١ ـ أنَّه مصدر مثل: قيام، وصيام، فلم يجمع لذلك والتقدير ذوي إمام.

٢ ـ أنَّه جمع إمامة، مثل: قلادة، وقلاد.

٣ ـ هو جمع: آمٍّ، من: أَمَّ، يؤمُّ.

٤ ـ أنَّه واحد اكتفي به عن أئمة كما قال تعالى: ﴿ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾.

﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ الجملة حالية من المتقين، أو: خبر عباد الرحمن على أحد القولين، وأولئك: مبتدأ، وجملة يجزون الغرفة: خبره، والغرفة: مفعول به ثان ليجزون، والواو: نائب فاعل، وهو المفعول الأول، وبما: متعلقان بيجزون، وما مصدرية، والباء: للسببية؛ أي: بسبب صبرهم على المشاق في الطاعات، والابتعاد عن الشهوات، ومكابدة المجاهدات، ويلقون: عطف على يجزون، وفيها: حال، وتحية: مفعول به ثان ليلقون؛ لأنه مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وسلاماً عطف على تحية. ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ خالدين: حال، وفيها: متعلقان بخالدين، وحسنت فعل ماض، والفاعل مستتر يعود على الغرفة، ومستقراً: تمييز، ومقاماً: عطف على

مستقراً، وجملة حسنت: حال ثانية من الغرفة. ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ ما: اسم استفهام في محل نصب مفعول مطلق، ويعبأ: فعل مضارع، وبكم: متعلقان بيعبأ، وربي: فاعل، أي: إنه يكترث بكم، ويعبأ بكم، ويعلي ذكركم؛ لأجل عبادتكم، ولولا عبادتكم لم تكونوا شيئاً يؤبه له، ويجوز أن تكون ما: نافية، ولولا: حرف امتناع لوجود، ودعاؤكم: مبتدأ محذوف الخبر وجوباً، وجواب لولا محذوف، كما قدرناه سابقاً، ودعاؤكم: مصدر أضيف لفاعله، والمفعول محذوف، أي: إياه. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾ الفاء: الفصيحة؛ أي: إني إذا أعلمتكم أني لا أعتد بكم، ولا أقيم لكم وزناً إلا لأجل عبادتكم؛ فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي، فسوف تتحملون مسؤولية تكذيبكم. ويكون: فعل مضارع ناقص، واسمها: هو، أي: التكذيب، ولزاماً: خبرها، وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل؛ أي: ملازماً لكم.

□ البلاغة:

١ ـ النفي والإثبات:

في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ نفي وإثبات، فقد أثبت الخرور؛ لأنهم طالما خروا ساجدين خاشعين في هدوء الليل ووسط الدجى، ولكنهم إن خرُّوا ساجدين سلمت لهم أبصارهم وآذانهم، فلم يبصروا إلا مرائي الهيبة، وتعاجيب الألوهية، وأنوار السنا الساطعة، ولم يسمعوا إلا الآيات، تتردد في آذانهم، وتهجس في مخيلاتهم، فإذا الورى آيٌ وعبر، وإذا الحوبة لا عين ولا أثر، تقول: ما يلقاني زيد ماشياً، إنما هو نفي للمشي، لا للقاء، وعبارة ابن قتيبة: «المعنى: لم يتغافلوا عنها؛ كأنهم صمٌّ لم يسمعوها، وعميٌ لم يبصروها».

٢ ـ التقريع للكافرين:

وفيها أيضاً تنديد وتقريع للكافرين؛ لأنهم صمٌّ، بكمٌ، عميٌ،

لا ينتفعون بما يقرؤون، ولا يعتبرون بما يشاهدون، ولا يتجاوز آذانهم ما يسمعون.

٣ ـ التنكير والتقليل:

وفي قوله تعالى: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ نكتتان؛ الأولى: التنكير وإنما جنح إليه لأجل تنكير القرة، والمضاف لا يمكن تنكيره إلابتنكير المضاف إليه ليكون السرور غير متناه ولا محدود، وإنما قلل الأعين، أي: جمع القلة؛ لأن أعين المتقين قلة بالإضافة إلى غيرهم، يدل على ذلك قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ وهناك وجه آخر لعله أبلغ مما تقدم، وهو: أن المحكي كلام كلٍّ أحد من المتقين، فكأنه قال: يقول كلٌّ واحد من المتقين: اجعل لنا من ذرياتنا قرة أعين، فإنَّ المتقين؛ وإن كانوا بالإضافة إلى غيرهم قليلاً؛ إلا أنهم في أنفسهم على كثرة من العدد، والمعتبر في إطلاق جمع القلة أن يكون المجموع قليلاً في نفسه؛ لا بالنسبة والإضافة.

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿بَـٰخِعٌ﴾ : تقدم تفسير هذه الكلمة، والبخع: أن يبلغ بالذبح البخاع بالباء، وهو: عرق مستبطن الفقار، وذلك أقصى حدٍّ للذابح، وفي «المصباح»: «وبخع نفسه، بخعاً من باب نفع: قتلها من وجدٍ أو غيظٍ، وبخع لي بالحق بخوعاً: انقاد وبذله».

○ **الإعراب:**

﴿طسٓمٓ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ طسم تقدم إعرابها والحديث عن فواتح

السور، وتلك: مبتدأ، وآيات الكتاب: خبر، والمبين: صفة لكتاب. ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ لعل: للإشفاق؛ أي: فالترجي هنا بمعنى الأمر؛ أي: ارحم نفسك وارفق بها، والكاف: اسمها، وباخعٌ: خبرها، ونفسك: مفعول به لباخع، وأن وما في حيزها: مفعول لأجله؛ أي: خيفة ألا يؤمنوا، أو لامتناع إيمانهم، ومؤمنين: خبر يكونوا. ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ كلام مستأنف مسوق لتعليل الأمر بإشفاقه على نفسه من الاسترسال في التحسّر والغم على عدم إيمانهم، وإنْ: شرطية، ونشأ: فعل الشرط، وفاعله مستتر، تقديره: نحن، ومفعول المشيئة محذوف؛ لأنه مضمون الجواب؛ أي: إيمانهم، وننزل: جواب الشرط، وعليهم: متعلقان بننزل، ومن السماء: حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لآية، والفاء: حرف عطف، وظلت: فعل ماض ناقص معطوف على ننزل، فهو مجزوم محلاً، ويجوز أن تكون فعل ماض ناقص معطوف على ننزل، فهو مجزوم محلاً، ويجوز أن تكون الفاء استئنافية، وظلت بمعنى المضارع؛ أي: تظل، وتدوم، وإليه جنح الجلال فيكون قد فسره بالمرفوع، وأعناقهم: اسم ظلت، ولها: متعلقين بخاضعين، وخاضعين: خبر ظلت، وسيأتي سر المخالفة في العطف، وسر مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق في باب البلاغة. ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، ويأتيهم: فعل مضارع، ومفعول به، ومن: حرف جر زائد، وذكر: مجرور لفظاً مرفوع محلاً؛ لأنه فاعل يأتيهم، ومن الرحمن: صفة لذكر، ومحدث: صفة ثانية؛ أي: تجدد إنزاله وفق مقتضيات الأحوال، وإلا: أداة حصر، وجملة كانوا: استثناء من أعم الأحوال، فهي حالية، وكان واسمها، وعنه: متعلقان بمعرضين، ومعرضين: خبر كانوا. ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ الفاء: الفصيحة؛ كأنه قيل: إذا شئت أن تعرف ماذا كان موقفهم من الذكر حين أعرضوا عنه، وصدفوا عن التأمل فيه، فقد كذبوا. وقد: حرف تحقيق، وكذبوا: فعل ماض، وفاعل، فسيأتيهم: عطف على

ما تقدم للوعيد والتهديد، ويأتيهم: فعل مضارع، ومفعول به، وأنباء: فاعل، وما: مضاف إليه، وجملة كانوا: صلة، والواو: اسم كان، وبه: متعلقان بيستهزئون، وجملة يستهزئون: خبر كانوا. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والواو: عاطفة على مقدر، وقد تقدم مثل هذا التعبير كثيراً، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويروا: فعل مضارع مجزوم بلم، والواو: فاعل، والرؤية هنا بصرية، ولذلك تعدت بإلى، وإلى الأرض: متعلقان بيروا، وكم: خبرية في محل نصب مفعول أنبتنا، وأنبتنا: فعل ماض وفاعل، ومن كل زوج: تمييز كم الخبرية، ويجوز أن يكون حالاً؛ كما ذكر أبو البقاء، وكريم: صفة لزوج، وأراد بالزوج الصنف من النبات والنوع، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب البلاغة. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إنَّ: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبرها المقدم، واللام: المزحلقة، وآية: اسم إنَّ، وما: الواو: حالية، وما: نافية، وكان أكثرهم مؤمنين: كان، واسمها؛ أي: سبق ذلك في علم الله، وقال سيبويه: كان: زائدة، وسيأتي مزيد من هذا البحث في باب الفوائد. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الواو: استئنافية، وإنَّ واسمها، واللام: المزحلقة، وهو ضمير فصل، أو مبتدأ، والعزيز: خبر إن، أو: خبر هو، والجملة: خبر إن، والرحيم: خبر ثان.

□ البلاغة:

انطوت هذه الآيات على الكثير من فنون البلاغة ندرجها فيما يلي:

١ ـ المخالفة في العطف:

فقد خالف في العطف، فعطف ﴿فَظَلَّتْ﴾ على ﴿نُنَزِّلْ﴾ ولو قيل: أنزلنا؛ لكان صحيحاً، ولعلَّه كان مما يقتضيه السياق، ولكنه خولف؛ لأن في عطف الماضي على المستقبل إشعاراً بتحقيقه، وأنه كائن لا محالة؛ لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل، وكونه مقطوعاً، وله في القرآن نظائر، وسترد في مواضعها.

٢ ـ المجاز العقلي:

المجاز العقلي في إسناد الخضوع للأعناق، فقد يقال: كيف صح مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق والخضوع من خصائص العقلاء، وقد كان أصل الكلام: «فظلوا لها خاضعين» والسر في ذلك: أنه لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل: خاضعين؛ كما تقدم في قوله: ﴿لِي سَٰجِدِينَ﴾ وهناك أقوال أخرى أوصلها علماء البيان إلى سبعة، نلخصها فيما يلي:

آ ـ المراد: الرؤساء؛ كما قيل لهم: وجوه وصدور.

ب ـ إنه على حذف مضاف؛ أي: فظل أصحاب الأعناق، ثم حذف وبقي الخبر على ما كان عليه قبل الحذف مراعاةً للمحذوف.

ج ـ إنه لما أضيف إلى العقلاء اكتسب منهم هذا الحكم؛ كما يكتسب التأنيث بالاضافة.

د ـ إنَّ الأعناق جمع عنق من الناس، وهم الجماعة، يقال: جاءنا عنق من الناس؛ أي: فوج، وليس المراد الجارحة المعلومة.

هـ ـ إقحام الأعناق لبيان موضع الخضوع، وترك الكلام على أصله.

و ـ ما ذكره من أنها عوملت معاملة العقلاء؛ لما أسند إليها ما يكون عادة من أفعال العقلاء على طريق المجاز العقلي.

ز ـ إنه لما أضاف الأعناق إلى المذكر، وكانت الأعناق متصلة بهم في الخلقة والتكوين أجري عليها حكمهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية، قال: ستكون لنا عليهم الدولة، فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة، ويلحقهم هوان بعد عزة.

٣ ـ التتميم :

بقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ فقد كان يكفي أن يقال كم أنبتنا فيها من زوج كريم، وما معنى الجمع بين كم وكل؟ والجواب : أن كلاًّ إنما دخلت للإحاطة بأزواج النبات، وكم دلت على أن هذا المحاط مفرط بالكثرة، وبذلك تنبيه على تمام القدرة وكمالها، وهذا هو مقتضى التتميم الذي تقدمت الإشارة إليه، وتعريفه : أن تأتي في الكلام كلمة إذا طرحت من الكلام نقص معناه في ذاته، أو في صفاته، ولفظه تام؛ كما أن المقصود هنا في الآية آحاد الأزواج، ويدل عليه : أنه لو اسقطت «كل» فقلت : انظروا إلى الأرض كم أنبت الله فيها من الصنف الفلاني لكنت مكنياً عن آحاد ذلك الصنف المشار إليه، فإذا أدخلت كلاًّ فقد أديت بتكريره آحاد كل صنف، لا آحاد صنف معين.

٤ ـ التتميم أيضاً :

وتمم كذلك بوصفه الزوج بالكريم وذلك لأمرين :

آ ـ أن النبات ـ كما هو معلوم ـ نوعان : نافع، وضار، فدل بكلمة كريم : أنه يقصد النوع النافع، فذكر كثرة ما أنبت في الأرض من جميع أصناف النبات النافع، وخلى ذكر الضار.

ب ـ أنه يقصد كلا النوعين : النافع، والضار، ويصفهما جميعاً بالكرم تنبيهاً على أنه ما خلق شيئاً إلا لفائدة، وربما خفيت عليكم أسرارها، وصعب عليكم اكتناهها، ولكنه تعالى عالم بما تجهلون.

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝١٣ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝١٤ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم

مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ كلام مستأنف مسوق للشروع في سرد سبع قصص هي على التوالي: قصة موسى، وقصة إبراهيم، وقصة نوح، وقصة هود، وقصة صالح، وقصة لوط، وقصة شعيب. والظرف: متعلق بمحذوف تقديره: اذكر يا محمد لقومك، عساهم يتعظون بها، ويعتبرون بما آل إليه مصير أولئك الأقوام؛ الذين جنحوا إلى المكابرة والتعنت، ولجؤوا إلى اللجاج والسفسطة التي لاطائل تحتها، وجملة نادى: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وربك: فاعل نادى، وموسى: مفعول به، وأن ائت: يجوز في «أن» أن تكون مفسرة، وأن تكون مصدرية، وهي مع مدخولها في موضع نصب بنزع الخافض، وائت: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل مستتر، تقديره: أنت، والقوم: مفعول به، والظالمين: صفة. ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ قوم فرعون: بدل من القوم الظالمين، أو عطف بيان، ولعله أولى؛ لأنهما عبارتان تعتقبان على مدلولٍ واحدٍ، ولما كان القوم الظالمين يوهم الاشتراك أتى عطف البيان بإزالته، والهمزة: للاستفهام الإنكاري، ولا: نافية، ويتقون: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، والجملة: استئنافية، والمقصود منها: التعجب؛ أي: تعجب من عدم تقواهم، ولا بد من تقدير معنى التعجب؛ لأن الاستفهام الإنكاري معناه النفي، ولا نافية، ودخول النفي على النفي إثبات، فيؤول المعنى إلى أنهم اتقوا الله، وذلك فاسد، ويحتمل أن تكون الجملة حالية من الضمير الذي تحمله اسم الفاعل، وهو: الظالمون؛ أي: يظلمون غير متقين، واختار بعض المعربين أن تكون ألا للعرض، وآخرون اختاروا أنها للتنبيه. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ رب: منادى مضاف، حذف منه حرف النداء، وإني: إنَّ، واسمها، وجملة أخاف: خبرها، وأن وما في حيزها: مفعول أخاف،

وحذفت ياء المتكلم من يكذبوني لمراعاة الفواصل. ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ الواو: عاطفة، ويضيق: معطوف على خبر إنَّ، أي: على أخاف، فهو مرفوع مثله، ويجوز عطفه على يكذبون، فهو منصوب مثله، وقد قرىء به، والفرق بين المعنيين: أن الرفع يفيد فيه ثلاثة علل، أو: معاذير وهي: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان. وأما الرفع فيفيد: أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة. وصدري: فاعل، ولا ينطلق لساني: عطف على ما قبله؛ لحبسة في لسانه، فأرسل: الفاء الفصيحة، وأرسل فعل أمر، معناه: الالتماس، وإلى هارون: متعلقان بأرسل، وليس مراد موسى الامتناع من أداء الرسالة، أو: التلكؤ فيها، بل أراد أن يظهر عجزه عن الاضطلاع بهذا العبء الخطير، وطلب المعونة من ربه، بأن يعضده بأخيه، حتى يتساندا، ويتضافرا على تنفيذ الأمر، وتبليغ الرسالة. ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ عطف على ما تقدم، ولهم: خبر مقدم، وعليَّ: حال، وذنب: مبتدأ مؤخر، وهو قتله القبطي؛ الذي قيل: إنه كان خباز فرعون. والمعنى: لهم علي تبعة ذنب، وهي: قود ذلك القتيل، فأخاف أن يقتلوني به، فحذف المضاف، أو: سمى تبعة الذنب ذنباً؛ كما سمى جزاء السيئة سيئة. ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ كلا: حرف ردع نابت عن الفعل، وهو: ارتدع يا موسى، ولذلك عطف عليها بالفاء من قوله: فاذهبا، واذهبا: فعل أمر، وألف الاثنين: فاعل، وبآياتنا: متعلقان باذهبا، وجملة إنا معكم مستمعون: تعليلية للأمر، وإنَّ واسمها، ومستمعون: خبرها، والظرف: متعلق بمحذوف حال، أو: خبر ثان، أو: بمستمعون نفسها، ومفعول مستمعون محذوف؛ أي: ما يدور بينكما وبين فرعون وقومه، وفي هذا الكلام مجاز سيأتي ذكره في باب البلاغة. ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وائتيا فرعون: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، فقولا: عطف، وإنا: إنَّ واسمها؛ أي: إنَّ كلاً منا؛ ليطابق اسم إن خبرها، ورسول: خبرها، ورب العالمين: مضاف إليه، وسيأتي في باب الفوائد مزيد من هذا التطابق. ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الأرجح أن تكون أن هنا

مصدرية؛ لأنها مسبوقة بجملة فيها معنى القول وحروفه، والمصدر المؤول في محل نصب بنزع الخافض، وأصر الزمخشري على أنها تفسيرية، بمعنى: أي؛ وجعلها غير مسبوقة بقوله: فقولا، بل بما تضمنه لفظ الرسول من معنى الإرسال، تقول: أرسلت إليك أن أفعل كذا، لما في الإرسال من معنى القول؛ كما في المناداة، والكتابة، ونحوهما، والظرف: متعلق بأرسل، وبني إسرائيل: مفعول به.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ مجاز معناه: إنَّا معكم نستمع ما يجري بينكم وبينه، وأنا الناصر لكما عليه، فالاستماع قرينة للكلام المجازي؛ لأن من سمع محاورة خصمين كان مستطيعاً الحكم بينهما، ومشايعة أيهما رآه أقرب إلى الحق، وأدنى من الصواب، فإذا اعترض معترض بأن الله تعالى مستمع حقيقة، وسامع، ولا يجوز إجراء المجاز عليه تعالى: قلنا: إن الاستماع يقتضي الإصغاء بالأذن؛ كما الإبصار يتطلب تقليب الحدقتين من العين، وكل ذلك من خواص المحدَثين.

* الفوائد:

يجوز أن يكون الرسول بمعنى الرسالة، فجازت التسوية فيه؛ إذ وصف به بين الواحد والتثنية والجمع، كما يفعل بالصفة بالمصادر، نحو: صوم، وزور، قال أبو ذؤيب:

أَلِكْنِي إليها وخيرُ الرسو ... لِ أعلمُهم بِنَواحِي الخَبر

فجعله للجماعة؛ لأن الرسول في الأصل مصدر، فجاز إفراده مع تعدد معناه، ولذلك عاد إليه ضمير الجمع في أعلمهم، وشبه الخبر بمكان ذي جهات على طريق الاستعارة المكنية، والنواحي: تخييل، أو شبه توابع الخبر التي يسأل عنها تبعاً له بالنواحي على طريق الاستعارة التصريحية، يعني: أنه

أعلم من غيره بذلك، وألكني: أرسلني مصحوباً بالرسالة. ومن مجيء الرسول بمعنى الرسالة قول كثير عزة:

حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى منى خلالَ الملا يَمْدُدْنَ كلَّ جَدِيلِ

لَقَدْ كذبَ الواشُونَ ما فِهْتُ عِنْدَهُمْ بِسِرٍّ ولا أرسلتُهُمْ بِرَسُوْلِ

فلا تَعْجَلي يا عزُّ أَنْ تتفهمي بنصحٍ أتى الواشونَ أَمْ بحبولِ

والراقصات: المطايا السائرات إلى منى في الحج، وخلال الملا: أي في أثناء الناس، فيكون مخففاً من الملأ، أو: في الصحراء؛ لأن الملا الصحراء، والمتسع من الأرض، والجديل: الرسن في عنقها، والواشي: الذي يحسن الكلام، ويموهه، ويخلط الصدق بالكذب، ويحرف الكلم عن مواضعه، وما: نافية، أي: ما تفوهت عندهم بسر، ولا أرسلتهم إلى أحد برسول، أي: برسالة، فهو في الأصل مصدر، وقد يطلق على المرسل، والأصل: يا عزةُ، فرخم بحذف التاء، وأن تتفهمي: أي: في أن تتفهمي، أو: لأجل أن تتفهمي، وبنصح أي: أبنصح أتى الواشون إليك أم بحبول؟ وهي: جمع حبل بالكسر، وهي: الداهية العظيمة، ولا أدهى من الكذب!

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ لا بدَّ من تقدير مقدر

محذوف، أي: فانطلقا إلى باب فرعون، فلم يؤذن لهما سنة، حتى قال البواب إنَّ ها هنا إنساناً يزعم: أنه رسول رب العالمين، فقال: ائذن له لعلَّنا نضحك منه، فأدَّيا إليه الرسالة، فعرف موسى لأنه نشأ في بيته، فقال له: ألم نربك. والهمزة: للاستفهام التقريري، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ونربك: فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والفاعل ضمير مستتر تقديره: نحن، والكاف: مفعول به، وفينا: متعلقان بنربك، ووليداً: حال، ولبثت: فعل وفاعل، وفينا: متعلقان بلبثت، ومن عمرك: حال؛ لأنه كان صفة لسنين، وسنين: ظرف متعلق بلبثت أيضاً. ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الواو: عاطفة، وفعلت: فعل وفاعل، وفعلتك: مفعول به، أو مفعول مطلق، والتي: نعت، وجملة فعلت: صلة، والواو: حالية، وأنت: مبتدأ، ومن الكافرين: خبر، أي: الجاحدين لنعمتي، والفعلة التي فعلها موسى هي: قتل خبازه القبطي. ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: فعل ماض؛ أي: موسى، وفعلتها: فعل وفاعل ومفعول به، أو: مفعول مطلق؛ أي: فعلت الفعلة، وإذاً: حرف جزاء بمثابة الجواب، والواو: واو الحال، وأنا: مبتدأ، ومن الضَّالين: خبر؛ أي: عما آتاني الله بعدها من العلم والرسالة، وربأ بمحل النبوة عن تلك الصفة التي أطلقها عليه فرعون، وهي قوله له: وأنت من الكافرين؛ فقال: من الضالين؛ أي: المخطئين؛ كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل. ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وفررت: فعل وفاعل، ومنكم: متعلقان بفررت، ولما: حينية؛ كما يقول الفارسي، ورابطة كما يقول سيبويه، وجملة خفتكم: مضاف إليها الظرف، فوهب: عطف على ففررت، ولي: متعلقان بوهب، وربي: فاعل، وحكماً: مفعول به، وجعلني من المرسلين: عطف على ما تقدم، دفع قدحه في نبوته بهذا القول؛ أي: إن موهبة الحكم والنبوة كانت بعد تلك الحادثة، ثم كرّ على امتنانه عليه بالتربية، فدحضه، وأبطله من أصله، واجتثه من أساسه بقوله:

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ كلام مستأنف مسوق لنسف الاتهام الذي وجهه إليه فرعون، وتلك: مبتدأ، ونعمة: خبر، وجملة تمنها: صفة لنعمة، وعليَّ: متعلقان بتمنها، وأن وما في حيزها: عطف بيان لتلك؛ لأن الإشارة إلى خطة شنعاء، وخصلة شوهاء، لا تكتنه حقيقتها إلا بتفسيرها، فجاء عطف البيان مفسراً ما أبهم فاتحاً ما أغلق، ويجوز أن يعرب المصدر المؤول: بدلاً من نعمة، أو: يكون في محل نصب على أنه مفعول لأجله، وتمنها: فعل مضارع، وفاعله: ضمير مستتر تقديره: أنت، والهاء: منصوب بنزع الخافض؛ لأنَّ منَّ فعل لازم يتعدى بالباء، أي: تمن بها.

وأشار الجلال في تفسيره المختصر إلى أن بعضهم قدر أول الكلام همزة؛ أي: قبل وتلك، وأصل الكلام: أو تلك؟ أي: ليست هذه نعمة حتى تمنَّ بها عليَّ، والمقدِّر هو: الأخفش، وهذه الهمزة للاستفهام الإنكاري المتضمن معنى النفي؛ كما شرحنا.

□ البلاغة:

الإبهام:

في قوله: ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ ﴾ إبهام من غير تفسير، وهو قسمان: إبهام مفسر، وإبهام من غير تفسير، فإنَّ قوله: ﴿ ٱلَّتِى فَعَلْتَ ﴾ يذهب فيها الوهم كلَّ مذهب، وتحمل الكثير من المعاني، وهو كثير شائع في القرآن الكريم.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ

ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾

○ الإعراب:

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال فرعون: فعل وفاعل، والواو: عاطفة لتعطف القول على قول موسى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وما: اسم استفهام مبتدأ، ورب العالمين: خبره، وإنما أجاب بما؛ لأنه سأل عن صفاته وأفعاله، ولو أراد عينه لقال: مَنْ؟ ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ قال موسى: هو رب، فرب: خبر لمبتدأ محذوف، وما: عطف على الجنسين، فلا يرد اعتراض على التثنية، وهي راجعة على الجمع، وبينهما: ظرف متعلق بمحذوف صلة، وإن: شرطية، وكنتم: فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، وكان واسمها وخبرها، وجواب إنْ محذوف؛ أي: إن كنتم ممن يرجى منهم النظر الصحيح، والاعتبار السليم؛ نفعكم هذا الجواب، أو تقدره: إن كنتم توقنون بشيءٍ فهذا أولى ما توقنون به؛ لسطوعه، وإنارة دليله. ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ قال فرعون، ولمن: متعلقان بقال، وحوله: ظرف متعلق بمحذوف هو الصلة، وهم أشراف قومه، والهمزة؛ للاستفهام، ولا: نافية، وتستمعون: فعل مضارع وفاعله، ومفعوله محذوف؛ أي: جوابه الذي لم يطابق السؤال. ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال موسى، وربكم: خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هو، ورب آبائكم: عطف على ربكم، والأولين: صفة لآبائكم، أجابه بهذا؛ وإن كان داخلاً ومنتظماً في قوله رب السموات والأرض وما بينهما؛ لإغاظته وتحدِّيه، وسيأتي سر ذكر الخاص بعد العام في باب البلاغة. ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ قال فرعون، وجملة إنَّ رسولكم: مقول القول وإنَّ واسمها، والذي: صفة، وجملة أرسل إليكم: صلة للموصول، واللام: المزحلقة، ومجنون: خبر إنَّ. وهذا شأن المبطلين المتحكمين عندما يسقط في أيديهم، يلجؤون إلى نعت صاحب الحق بالجنون، أو غيره؛ لأنهم لا يملكون الدليل

على معارضته. ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قال موسى زيادة في إغاظته، والتدليل على إسفافه: هو رب المشرق والمغرب وما بينهما، وسيأتي سر هذا الطباق في باب البلاغة، وإن كنتم تعقلون: شرط وجوابه محذوف؛ أي: إن كان لكم مسكة من عقل علمتم أن لا جواب لكم غير المكابرة والسفه والشطط في القول، قال أولاً: إن كنتم موقنين؛ لأن المقام مقام تدليل واقناع؛ ثم لما يئس واشتد اللجاج غالظهم وقابل لجاجتهم ونسبتهم إياه إلى الجنون بمثلها، فنفى عنهم العقل الذي يمكنهم من التمييز بين الأمور. ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ قال فرعون، لئن: اللام موطئة للقسم، وإن: شرطية، واتخذت: فعل ماض وفاعل، وهو في محل جزم فعل الشرط، وإلهاً: مفعول به، وغيري: صفة، واللام: جواب القسم، وجواب الشرط محذوف، دلَّ عليه جواب القسم، بناء على القاعدة المشهورة، وأجعلنك: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل: ضمير مستتر تقديره: أنا، ومن المسجونين: في موضع نصب على أنه المفعول الثاني. ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ قال موسى، والهمزة: للاستفهام، والواو للحال، وكل ما كان على هذا التركيب يكون قد سبقه فعل محذوف؛ أي: أتفعل ذلك ولو...، ولو: شرطية، وجئتك: فعل ماض وفاعل ومفعول به، وبشيء: متعلقان بجئتك، ومبين: صفة لشيء؛ أي: ببرهان ساطع على نبوتي. ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ قال فرعون، فائت: الفاء الفصيحة؛ أي: كنت صادقاً في دعواك فائت، وبه: متعلقان بقوله فائت وإن: شرطية، وكنت: فعل الشرط، وكان واسمها، ومن الصادقين: خبر كنت، وجواب الشرط محذوف دلَّ عليه ما قبله.

□ **البلاغة:**

العموم والخصوص:

بعد أن ذكر العموم بقوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾؛ إذ

استوعب به الخلائق كلَّها؛ عاد إلى التخصيص بذكرهم، وذكر آبائهم، والمطابقة بين المشرق والمغرب ليتأملوا في أنفسهم؛ لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه، ومن ولد منه، وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع، والناقل من هيئة إلى هيئة، ومن حال إلى حال من وقت ميلاده إلى وقت وفاته، وطابق بين المشرق والمغرب؛ لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم، ونظام ثابت، لا خلل فيه في فصول السنة، وحساب مستقيم أيضاً، من أظهر ما يمكن الاستدلال به.

وعمم ثانياً بجعله من المسجونين، ولم يقل: لأسجننك؛ للإشارة إلى أنَّ ذلك ديدنه، فقد كان يأخذ من يريد سجنه، فيطرحه في وهدة عميقة الغور وحيداً، لا يرى الضوء فيها، ولا يسمع الصوت من داخلها، فكان ذلك أنكى من القتل، وهو ديدن المعاند المكابر المحجوج حين تواتيه الأيام، ويبتسم له الزمان، يعتقد حين يملك قطراً في غفلة من الدَّهر: أنَّ على أهله أن يعبدوه. فاللام في قوله: ﴿مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ للعهد؛ أي: ممن عرفت شأنهم، وعهدت حالهم في سجوني، فالتعميم هنا أبلغ، كما أنَّ التخصيص فيما سبق أبلغ، ولله أسلوب القرآن: إنه يتعالى على الأذهان السطحية البدائية ويدق على البدائه الأولى.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ثُعْبَانٌ﴾: الثعبان: الحية، يطلق على الذكر والأنثى، ويجمع على ثعابين، واشتقاق الثعبان من: ثعب الماء: فجره فانثعب، وقد ظهرت هذه

الثعبانية على العصا حين ألقاها. وللثاء مع العين خاصة التلون والتحيل والإرهان، يقال: ثعَّ، يثعُّ من باب ضرب، ثعاً: قاء ما أكله، وانثعَّ الأكل من فمه، والدم من أنفه، أو جرحه؛ أي: انصب، ومن أقوالهم: سالتِ الثّعبانُ كما انساب الثعبانُ، جمع ثَعَب، وهو المسيل، قال:

وما ثَعَبٌ باتت تطرّده الصبا بسـرّاء وادٍ منجـدٍ غيـرِ أتهمـا

ومن المجاز: صاح به فانثعب إليه: إذا وثب يجري إليه، وشدٌّ أثعوب، قال:

لهـا إذا حَـرَّ الحـرارُ واللـوبْ قـوائـمٌ عـوجٌ وشـدٌّ أثعـوب

وقال أبو دؤاد:

وكلُّ قائمةٍ تَهْوِي لِوجْهَتِها لها أَتيٌّ كفَرغِ الدَّلو أُثعوب

وكلاهما من باب الاستعارة إلا أن الطريق مختلف، وثَعَب عليهم الغارة: شنَّها، وثعب البعير شقشقته: أخرجها. وثعلت أسنانه، تثعل، من باب فتح، ثعلاً: تراكبت إحداها على الأخرى، فهو أثعل، وفيه معنى التلوّن والتحيل، وأثعل الأمر: عظم وتفاقم، والثُّعل بضم الثاء المشددة: دويبة تظهر في السقاء إذا خبثت ريحه، وثعالة: علم على أنثى الثعلب، لا ينصرف، وثعلب، وتثعلب: راغ، أو: تشبه بالثعلب في روغانه، والثعلب: حيوان مشهور بالتحيل والرّوغان يتساقط شعره كلَّ سنة، ومنه: داء الثعلب وهو: عملية تساقط الشعر، ويقال للأنثى: ثعلبة، وللذكر: ثعلبان، وكلمة ثعلب تقع على المذكر، والمؤنث، ويجمع على ثعالب، وثعال، والثعلب أيضاً: طرف الرمح الداخل في جبة السنان، قال بشار:

وجيشٍ كجُنْحِ اللَّيلِ يَزْحَفُ بالحَصَىٰ
وبـالشَّـوكِ والخَطِّـيِّ حُمْـرٌ ثعـالِبُـه

والثعلبة أيضاً: العصعص، والاِست. وبالجملة فهذه المادة ظاهرة الثعلبة والثعبانية.

﴿ أَرْجِهْ ﴾ : وأرجئه كما قرئ أيضاً بالهمز وبالتخفيف، وهما لغتان يقال : أرجأته وأرجيته : إذا أخرته، ومنه المرجئة .

○ الإعـراب:

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ الفاء : عاطفة، وألقى : فعل ماض، وفاعله : مستتر تقديره : هو، وعصاه : مفعول به، فإذا : الفاء عاطفة، وإذا : فجائية وهي ظرف، أو حرف، وقد تقدم بحثها مفصلاً، وهي : مبتدأ، وثعبان : خبر، ومبين : صفة. وقد تقدم بحث المسألة الزنبورية وخلاف سيبويه مع الكسائي في حضرة يحيى البرمكي حولها. ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾ الجملة معطوفة على سابقتها، وهي مماثلة لها في إعرابها. ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ قال فرعون، وللملأ : متعلقان بقال، وحوله : ظرف متعلق بمحذوف حال، وللزمخشري تفنن في إعرابها نورده لروعته :

«فإن قلت : ما العامل في حوله؟ قلت : هو منصوب نصبين، نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف، والعامل في النصب المحلي هو النصب على الحال» .

وإنَّ : حرف مشبه بالفعل، وهذا : اسمها، واللام : المزحلقة، وساحر : خبر، وعليم : خبر ثـان. ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ الجملة صفة لساحر، وهي بيت كامل من مجزوء الرجز، وليس شعراً؛ لانتفاء القصد، وقد تقدم بحث ذلك مفصلاً. وأن وما في حيزها : مفعول يريد، ومن أرضكم : متعلقان بيخرجكم، وبسحره : متعلقان بيخرجكم أيضاً.

﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ الفاء : عاطفة، وماذا : اسم استفهام مفعول به لقوله : ﴿ تَأْمُرُونَ ﴾ أو : مفعول مطلق لكونه في معنى المصدر، أو : ما : اسم استفهام وذا : اسم موصول خبر، وجملة تأمرون : صلة، قال ذلك بعد أن بهره ما شاهد، واستولى عليه الدهش والبهر. ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ

حَٰشِرِينَ﴾ قالوا: فعل وفاعل، وأرجه: فعل أمر، والهاء مفعول به، وأخاه: مفعول معه، أو عطف على الهاء، وابعث: عطف على أرجه، وفي المدائن: متعلق بابعث، وحاشرين: صفة لمفعول به محذوف، أي: شُرطاً يحشرون السحرة، ويجمعونهم. ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ يأتوك: فعل مضارع مجزوم؛ لأنه جواب الأمر، وبكل سحَّار: متعلقان بيأتوك، وعليم: صفة لسحار.

* الفوائـد:

الشُّرَط: واحده شرطي، وهم الطائفة من خيار أعوان الولاة، وفي أيامنا هم رؤساء الضابطة، ورجالها، سموا بذلك؛ لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها، وفي الصحاح: «الشرط محركة: الحرس سمُّوا بذلك لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها» والشرط أيضاً: أول كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للموت.

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

○ الإعـراب:

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ الفاء: عاطفة على مقدر، وجمع: فعل ماض مبني للمجهول، والسحرة: نائب فاعل، ولميقات: جار ومجرور متعلقان بجمع، ويوم: مضاف إليه، ومعلوم: صفة، واليوم المعلوم هو: يوم الزينة، وميقاته هو: وقت الضحى، وقد مرّ ذكره في طه فجدد به عهداً.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ وقيل: معطوف على ما تقدم، للناس: متعلقان به، وهل: حرف استفهام، وأنتم: مبتدأ، ومجتمعون: خبر، والجملة: مقول القول، وفي الاستفهام معنى الأمر؛ كأنه يستبطئهم ويستحثهم على الاجتماع، ومنه قول تأبط شراً:

هَلْ أَنْتَ باعثُ دينارٍ لحاجَتِنا ... أَوْ عبد ربَّ أخا عَوْفِ بن مِخْراقِ

فهل: استفهام استبطائي، فيه حث على الفعل، ودينار: اسم رجل ورب: كذلك، ونصب لأنه معطوف على محل دينار؛ لأنه مفعول معنى، وأخا عوف: نعت له، وقيل: منادى، وعوف، ومخراق: اسمان لرجلين، ويروى: عون بالنون. ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ الجملة في محل نصب حال؛ لأن الترجي باعتبار حالة الغلبة المقتضية للاتباع، وإن كان مقصودهم الأصلي: ألا تتبعوا موسى، والمعنى: راجين أن تكون الغلبة لهم فلا نتبع موسى. ولعل واسمها، وجملة نتبع: خبرها، والسحرة: مفعول به، وإن شرطية، وكانوا: فعل الشرط، وهو كان واسمها، وهم: ضمير فصل، والغالبين: خبر كانوا. ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ الفاء: عاطفة، ولما: حينية ظرفية، أو رابطة، وجاء السحرة: فعل وفاعل، وجملة قالوا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ولفرعون: متعلقان بقالوا، والهمزة: للاستفهام، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، ولنا: خبرها المقدم، وأجراً: اسمها المؤخر، وإن: شرطية، وكنا: كان واسمها، وهو فعل الشرط، ونحن: ضمير فصل، والغالبين: خبر كنا، وجواب الشرط: محذوف، دل عليه ما قبله؛ لأن قوله: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ في معنى جواب الشرط لدلالته عليه. ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ قال فرعون، ونعم: حرف جواب؛ أي: لكم الأجر، وزادهم بقوله: وإنكم، فهو عطف، وإن واسمها، وإذاً: حرف جواب وجزاء، واللام: المزحلقة، ومن المقربين: خبر إن، وعدهم بالأجر، وبالقربى، والزلفى لديه. ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ قال لهم موسى: فعل وفاعل، ولهم: متعلقان بقال،

وجملة ألقوا: مقول القول، وما: مفعول به، وجملة أنتم ملقون: صلة، وأنتم: مبتدأ، وملقون: خبر. ﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ الفاء: عاطفة، وألقوا: فعل وفاعل، وحبالهم: مفعول به وعصيهم: عطف على حبالهم، وقالوا: عطف على فألقوا، وبعزة: الباء: حرف قسم وجر، وعزة: مجرور بالباء، والجار والمجرور: متعلقان بفعل محذوف، وتقديره: نقسم، ونحلف بعزة فرعون، وإنا: إن واسمها، وكسرت همزتها وجوباً لوقوعها بعد القسم؛ كما تقدم، واللام: المزحلقة، ونحن: ضمير فصل، أو: مبتدأ، والغالبون: خبر إنا، أو: خبر نحن، والجملة: خبر إنا.

﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ الفاء: عاطفة، وألقى موسى عصاه: فعل وفاعل ومفعول به، فإذا: الفاء عاطفة، وإذا: فجائية، وهي: مبتدأ، وجملة تلقف: خبر، وما: مفعول به، وجملة يأفكون: صلة ما؛ أي: تبتلع ما يقلبونه بتمويههم عن وجهه، ويزورونه. ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ الفاء: عاطفة، وألقي: فعل ماض مبني للمجهول، والسحرة: نائب فاعل، والفاعل الذي ناب عنه المفعول به لو صرح به هو الله عز وجل بما ألهمهم من التوفيق، أو: إيمانهم، أو: ما عاينوه من المعجزة الباهرة التي ضؤل أمر السحر عندها، وسيأتي مزيد بحث عن الإلقاء في باب البلاغة، وساجدين:

حال. ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جملة آمنا من الفعل والفاعل مقول القول، وبرب العالمين: متعلقان بآمنا، وجملة القول: بدل اشتمال من ألقي، أو: حالية بتقدير: قد. ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ رب: بدل من رب العالمين، أو: عطف بيان، وموسى وهارون: مضاف إليه. ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ جملة آمنتم: مقول القول، وله: متعلقان بآمنتم، والظرف: كذلك، وأن وما في حيزها: في محل جر بالإضافة، ولكم: متعلقان بآذن. ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تعليل لانصياعهم لموسى وهارون، وللتلبيس على قومه لئلا يعتقدوا: أن السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق. وإنَّ واسمها، واللام: المزحلقة، وكبيركم: خبر إن، والذي: صفة، وجملة علمكم: صلة، والكاف: مفعول به أول، والسحر: مفعول به ثان، فلسوف: الفاء: الفصيحة؛ أي: إن استمررتم في فعلكم فلسوف تعلمون وبال ما فعلتموه، واللام: موطئة للقسم، وسوف: حرف استقبال، وتعلمون: فعل مضارع وفاعل، والمفعول: محذوف كما قدرناه. ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ اللام: موطئة للقسم، وأقطعن: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل: ضمير مستتر تقديره: أنا، والجملة لا محل لها؛ لأنها مفسرة؛ بمثابة بيان لما أبهمه بقوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وأيديكم: مفعول به، وأرجلكم: عطف على أيديكم، ومن خلاف: حال؛ أي: مضمومة يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى، وقد تقدم القول فيها، ولأصلبنكم: عطف على لأقطعن، وأجمعين: تأكيد للكاف. ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ لا: نافية للجنس، وضير: اسمها المبني على الفتح، وخبرها: محذوف؛ أي: لا ضير علينا، ولا بأس، وجملة إنا: تعليل لعدم الضير، وإنَّ واسمها، وإلى ربنا: متعلقان بمنقلبون، ومنقبلون: خبر إنَّا. ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إنَّ واسمها، وجملة نطمع: خبر، والفاعل مستتر تقديره: نحن، وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض؛ أي: في غفران خطايانا، أو: على تضمين نطمع معنى نرجو، فتكون إن وما في حيزها في محل نصب على

المفعولية، وربنا: فاعل يغفر، وخطايانا: مفعول به، وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض؛ أي: لأن كنا، أو: الباء، فالتقدير: بسبب أن كنا، وكان واسمها، وأول المؤمنين: خبرها؛ أي: أول من آمن من رعية فرعون.

□ **البلاغة:**

في قوله: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ استعارة مكنية، كأنهم أُخذوا، فطُرحوا على وجوههم، وقد زاد هذه الاستعارة جمالاً المشاكلة؛ لأنه عبر بألقي عن الخرور، فلم يقل: فخروا ساجدين؛ لمشاكلة الإلقاءات المتقدمة.

﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ لَشِرْذِمَةٌ ﴾: الشرذمة: الجماعة القليلة من الناس، وتجمع على شراذم، وشراذيم، وثياب شراذم: ممزقة، وشرَّذ الجمع ـ بالتشديد ـ: فرّقه.

﴿ حَٰذِرُونَ ﴾: متيقظون، وهي مبالغة اسم الفاعل، وقد قرىء: حاذرون، قال أبو عبيدة: هما بمعنى واحد، يقال: رجل حذر، وحاذر، بمعنىً، وقيل: بل بينهما فرق، فالحذر: المتيقظ، والحاذر: الخائف، وقيل:

الحذر المخلوق مجبولاً على الحذر، والحاذر: من عرض فيه ذلك، وفي المصباح: «حذر، حذراً، من باب تعب، واحتذر، واحترز، كلها بمعنى، واستعد، وتأهب، فهو حاذر، وحذر، والاسم منه: الحذر، مثل: حمل، وحذر الشيء: إذا خافه، فالشيء محذور؛ أي: مخوف، وحذرته الشيء، فحذره» وفي قراءة: حادرون ـ بالدال المهملة ـ والحادر: السمين القوي قال:

أحـبُّ الصبـيَّ السـوءَ مـن أَجْـلِ أمِّـه
وأبغضُـهُ مِـنْ بُغْضِهـا وهـو حـادِرُ

أي: أن مدار حب الولد على حب أمه، لا على حسن أوصافه، وضمير أبغضه عائد على الصبي بدون وصفه، ولكن هذه شيمة المنهمك في حبِّ النساء.

﴿مُّشْرِقِينَ﴾: داخلين في وقت الشروق، من: شرقت الشمس شروقاً: إذا طلعت.

﴿فِرْقٍ﴾: بكسر الفاء؛ أي: قطعة.

(الطّود): الجبل، أو: عظيمه؛ كما في «القاموس»، والجمع: أطواد، وطاد، يطود: إذا ثبت.

﴿وَأَزْلَفْنَا﴾: قربنا.

○ الإعراب:

﴿۞وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ الواو: استئنافية، والجملة مستأنفة للشروع في الأمر الموجه إلى موسى بأن يسير بقومه إلى جهة البحر ليلاً، وذلك بعد ثلاثين سنة من الحوادث الآنفة الذكر. وأوحينا: فعل وفاعل، وإلى موسى: جار ومجرور متعلقان بأوحينا، وأن: مفسرة؛ لأن في الإيحاء معنى القول دون حروفه، وأسر: فعل أمر من أسرى؛ أي: سار ليلاً، وفي قراءة: بكسر النون، ووصل همزة أسر، من: سرى لغة: أسرى،

وبعبادي: متعلقان بأسر، أو: حال؛ أي: مصحوباً بعبادي، وجملة: إنكم متبعون تعليل للأمر بالإسراء. ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ الفاء: عاطفة؛ وإن كان في الوقت انقطاع؛ لأنهم كما يروى شغلوا بدفن موتاهم من الوباء الذي اجتاح مصر، وأرسل فرعون: فعل وفاعل، وفي المدائن: حال، وحاشرين: مفعول به. ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ الجملة: مقول قول محذوف منصوب على الحال؛ أي: قائلاً، وإنَّ واسمها، واللام: المزحلقة، وشرذمة: خبرها، وقليلون: صفة؛ لأنهم كانوا أقلية ضئيلة بالنسبة لقوم فرعون، وسيأتي في باب البلاغة سرُّ الجمع بالمذكر السالم لقليل. ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ الواو: عاطفة، أو: حالية، وإن واسمها، ولنا متعلقان بغائظون، واللام: المزحلقة، وغائظون: خبر إن؛ أي: فاعلون ما يغيظنا. ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ الواو عاطفة، أو: حالية، وإن واسمها، واللام: المزحلقة، وجميع: خبر أول، وحاذرون: خبر ثان، أي: ونحن قوم عادتنا التيقظ والحذر، واستعمال الحزم في الأمور. أراد فرعون أن يغطي الصَّدع الذي أصاب هيبته، فوصف نفسه، ورهطه بأبلغ الأوصاف الدالة على أصالة المنزلة، وقوة الشكيمة. ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ الفاء: استئنافية، وأخرجناهم: فعل وفاعل ومفعول به، ومن جنات وعيون: متعلقان بأخرجناهم، وأراد البساتين التي كانت على جانبي النيل، والأنهار الصغيرة المتفرعة من النيل، والموزعة على الدور، وسيأتي وصف مسهب لمصر في باب الفوائد. ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ عطف على جنات وعيون، وأراد بالكنوز؛ الأموال التي تحت الأرض، وخصها؛ لأن ما فوقها انطمست معالمه، أو: لأنهم لم ينفقوها فيما يجب إنفاقه من خير. ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ كذلك: نعت لمصدر محذوف؛ أي: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج، ويجوز أن تعرب الكاف صفة لمقام كريم؛ أي: مقام مثل ذلك المقام الذي كان لهم، ويجوز أن تعرب الكاف رفعاً على أنها خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: الأمر كذلك، وأورثناها: الواو عاطفة، أو اعتراضية، ولعله أرجح، وأورثناها: فعل وفاعل ومفعول به أول، وبني إسرائيل: مفعول به ثان؛ أي: بعد إغراق فرعون وقومه.

﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾ الفاء عاطفة، وأتبعوهم فعل ماض وفاعل ومفعول به ثان؛ أي: لحقوهم، ومشرقين: حال. ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ الفاء: عاطفة، ولما: ظرفية حينية، أو رابطة، وتراءى الجمعان: فعل ماض وفاعل؛ أي: تقابلا، ورأى كلٌّ واحدٍ منهما الآخر، وجملة قال: لا محل لها لأنها جواب لما، وأصحاب: فاعل قال، وجملة إنا لمدركون: مقول القول. ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ قال موسى، وكلا: حرف ردع وزجر، وأراد موسى أن ينحي عليهم باللائمة لخور أعصابهم، وفتور عزائمهم؛ أي: لن يدركونا، وإن معي: تعليل لهذا الردع، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، والظرف: متعلق بمحذوف خبر مقدم، وربي: اسمها المؤخر، وجملة سيهدين: استئنافية، وغلط من أعربها حالاً، وسيأتي التفصيل في باب الفوائد. ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ ﴾ الفاء: عاطفة، وأوحينا: فعل وفاعل، وإلى موسى: متعلقان بأوحينا، وأن: مفسرة، واضرب بعصاك البحر: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، وبعصاك: متعلقان باضرب، فانفلق: الفاء: الفصيحة، وقد تقدمت كثيراً؛ أي: فضرب فانفلق. ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الفاء: عاطفة، وكان واسمها، والكاف: اسم بمعنى مثل خبرها، أو: هو جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، والعظيم: صفة للطود. ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ الواو: عاطفة، وأزلفنا: فعل وفاعل، وثم: ظرف بمعنى هناك، والآخرين: مفعول به، وأراد بهم قوم فرعون؛ أي: قربناهم من قوم موسى. ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾ وأنجينا: عطف على ما تقدم، وهو فعل وفاعل، وموسى: مفعول به، ومَنْ: عطف على موسى، ومعه: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة مَنْ، وأجمعين: تأكيد لِمَنْ. ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ عطف على ما تقدم. ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ تعليل لما تقدم؛ أي: إنما جعلنا ذلك، وقدرناه؛ ليكون آية، وموعظة للناس ولكن ما تنبه إليها أكثرهم، وفي ذلك: خبر إنَّ المقدم، واللام: المزحلقة، والواو: حرف عطف، وما: نافية، وكان واسمها، والباء: حرف جر زائد، ومؤمنين: مجرور لفظاً، منصوب محلاً؛

على أنه خبر كان[١]، وستأتي زيادة الباء في خبر كان في باب الفوائد. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ عطف على ما تقدم، وإنَّ واسمها، واللام: المزحلقة، وهو ضمير فصل، أو: مبتدأ، والعزيز الرحيم: خبران لإنَّ، أو: لهو، والجملة: خبر إنَّ.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ الشرذمة: هي الطائفة، أو: الجماعة القليلة؛ كما ذكرنا في باب اللغة، وكان يمكن الاكتفاء بها تعبيراً عن القلة، ولكنه وصفها بالقلة القليلة زيادة في احتقارهم، واستصغار شأنهم، ثم جمع وصفهم؛ ليعلم أن كل ضرب منهم قليل، واختار جمع المذكر السالم الذي هو للقلة، فهذه أربعة أوجه تتساند لتقليلهم، وهناك وجه خامس: وهو الوصف بالموصوف، وتناهيه فيه بالنسبة إلى غيره من الموصوفين. فتأمل هذا فإنه من روائع النكت.

* الفوائد:

١ ـ شروط وقوع الحال جملة:

تقع الحال جملة بشروط ثلاثة:

أ ـ أن تكون الجملة خبرية، وهي المحتملة للصدق والكذب، وهذا الشرط مجمع عليه؛ لأن الحال بمثابة النعت، وهو لا يكون بجملة إنشائية، وأما ما ورد في الحديث: «لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا هاء هاء» فهو على إضمار القول، أي: إلا قائلين: هاء، وهاء، من جهة البائع والمشتري.

وفي شرح التسهيل للمرادي: أن الخبرية تتناول الشرطية، وأنه يجوز وقوعها حالاً، ولكن كلام «المغني» يخالفه، والتحقيق: أنَّ الكلام في الجملة

(١) الذي ورد في الآية هو كلمة ﴿مؤمنين﴾ وليس: بمؤمنين، كما أعرب المؤلف. فتأمل.

الشرطية إن كان هو الجزاء والشرط قيد له، فالجزاء إن كان خبراً فالجملة الشرطية خبرية، وإن كان إنشاء فإنشائية، وإن كان الكلام مجموع الشرط والجزاء فليست خبرية؛ لأن الأداة أخرجتها عن ذلك.

هذا وقد غلط من قال في قول أحد المولدين:

اطلبْ ولا تضجرَ من مَطْلبٍ فـآفـةُ الطَّـالـبِ أَنْ يَضْجَـرا
أمـا تـرى الحَبْـل بتكـرارِه في الصَّخْـرةِ الصَّمّـاءِ قد أثَّـرا

أنَّ لا: ناهية، وأنَّ الواو للحال. قال في «المغني»: وهذا خطأ والصواب في الواو: أنها عاطفة، إما مصدراً يسبك من أن والفعل على مصدر متوهم من الأمر السابق؛ أي: ليكن منك طلب، وعدم ضجر، أو: جملة على جملة، وعلى الأول ففتحة تضجر إعراب، ولا نافية، وعلى الثاني: فالفتحة بناء للتركيب، والأصل: ولا تضجرن بنون التوكيد الخفيفة، فحذفت للضرورة ولا ناهية، والعطف مثل: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ ﴾ ثم استأنف ابن هشام في «المغني» كلامه في النوع الثامن من الجهة السادسة، فقال: «ثم الأصح: أن الفتحة يعني فتحة تضجر إعراب مثلها في: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، لا بناء لأجل نون توكيد محذوفة».

٢ ـ أن تكون الجملة غير مصدرة بدليل استقبال؛ لأنَّ الغرض من الحال تخصيص وقوع مضمون عاملها بوقت حصول مضمون الحال، وذلك ينافي الاستقبال، وغلط من أعرب ﴿سَيَهۡدِينِ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ حالاً، وبيان غلطه من جهة الصناعة ظاهر، وأما من جهة المعنى: فلأنه صير معنى الآية سأذهب مهدياً، فصرف التنفيس إلى الذهاب وهو في الآية للهداية، وأجيب: بأن مهدياً وقع بعد الذهاب الذي فيه تنفيس، فيلزم أيضاً أن يكون فيه تنفيس كالمقيد. وأما قولهم: لأضربنه إنْ ذهب وإنْ مكث؛ فإنما جاز وقوع الشرطية فيه حالاً؛ وإن كانت مصدرة بدليل استقبال وهو: إن، لأن المعنى: لأضربنه على كل حال؛ إذ لا يصح اشتراط وجود الشيء وعدمه لشيءٍ واحدٍ.

٣ ـ أن تكون مرتبطة إما بالواو والضمير معاً لتقوية الربط نحو: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ فجملة: هم ألوف: حال من الواو في خرجوا، وهي مرتبطة بالواو والضمير وهو: هم. أو بالضمير فقط دون الواو نحو: ﴿ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ فبعضكم: مبتدأ، وعدو: خبره، ولبعض متعلقان بعدو، أو: حال منه، والجملة: حال من الواو في اهبطوا؛ أي: متعادين يضل بعضكم بعضاً، وهي مرتبطة بالضمير فقط، وهو: الكاف والميم. أو مرتبطة بالواو فقط دون الضمير نحو: ﴿ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ فجملة: ونحن عصبة: حال من الذئب، مرتبطة بالواو فقط، ولا دخل لنحن في الربط؛ لأنها لم ترجع لصاحب الحال.

(٢) وصف مصر لعمرو بن العاص:

ولما استقر عمرو بن العاص على ولاية مصر؛ كتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنْ صف لي مصر، فكتب إليه:

«ورد كتاب أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ يسألني عن مصر، اعلم يا أمير المؤمنين أنَّ مصر قرية غبراء، وشجرة خضراء، طولها شهر، وعرضها عشر، يكنفها جبل أغبر، ورمل أعفر، يخطر وسطها نيل مبارك الغدوات، ميمون الروحات، تجري فيه الزيادة والنقصان، كجري الشمس والقمر، له أوانٌ يدرُّ حلائُبه، ويكثر فيه ذبابه، تمده عيون الأرض وينابيعها، حتى إذا ما اصلخمَّ عجَّاجُه، وتعظّمت أمواجه، فاض على جانبيه، فلم يمكن التخلص من القرى بعضها إلى بعض إلا في صغار المراكب، وخفاف القوارب، وزوارق كأنهن في المخايل ورق الأصائل؛ فإذا تكامل في زيادته نكص على عقبيه كأول ما بدأ في جريته، وطما في دِرّته، فعند ذلك تخرج أهل ملّةٍ مَحْقُورة، وذمة مخفورة، يحرثون الأرض، ويبذرون بها الحبَّ، يرجون بذلك النَّماء من الربِّ، لغيرهم ما سعوا من كدهم، فناله منهم بغير جدّهم، فإذا أحدق الزرع، وأشرق، سقاه النَّدى، وغذاه من تحته الثرى، فبينما مصر يا أمير

المؤمنين لؤلؤة بيضاء، إذا هي عنبرة
سوداء، فإذا هي زمردة خضراء، فإذا هي ديباجة رقشاء، فتبارك الله الخالق لما يشاء» إلى آخر تلك الرسالة الممتعة.

وجاء في خطط المقريزي ما يجلو غوامض هذه الرسالة:

«ووصف بعضهم مصر فقال: ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء، وثلاثة أشهر مسكة سوداء، وثلاثة أشهر زمردة خضراء، وثلاثة أشهر سبيكة ذهب حمراء، فأما اللؤلؤة البيضاء فإنَّ مصر في أشهر: أبيب، ومسرى، وتوت، يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء، وضياعها على روابي وتلال، مثل الكواكب، قد أحيطت بالمياه من كل وجه، فلا سبيل إلى قرية من قراها إلا بالزوارق، وأما المسكة السوداء فإن في أشهر: بابه، وهاتور، وكيهك، ينكسف الماء عن الأرض، فتصير أرضاً سوداء، وفي هذه الأشهر تقع الزراعات، وأما الزمردة الخضراء فإن في أشهر: طوبة، وأمشير، وبرمهات، يكثر نبات الأرض، وربيعها، فتصير خضراء كأنها الزمردة، وأما السبيكة الحمراء فإن في أشهر: برمودة، وبشنس، وبئونة، يتورّد العشب، ويبلغ الزرع الحصاد، فيكون كالسبيكة التي من الذهب منظراً ومنفعة».

(٣) زيادة الباء في خبر كان [1]:

تختص ليس، وكان بجواز زيادة الباء في خبريهما، وتكثر زيادتها في خبر ليس، وما الحجازية، أمَّا كان فلا تزاد إلا إذا سبقها نفيٌ، أو: نهيٌ كما في الآية، وكقول الشَّنفرى:

وإِنْ مُدَّتِ الأَيديْ إلى الزَّادِ لَمْ أكنْ
بـأَعْجَلِهِـم إذْ أجشَـعُ القـومِ أعْجَـلُ

(١) انظر التعليق السابق (ص٤١٠).

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ۝٧٠ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝٧٤ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٣ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝٨٤ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨٥ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٨٦ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ الواو: عاطفة، واتل: معطوف على اذكر المقدرة عاملاً في قوله: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ ﴾ للشروع في القصة الثانية، وعليهم: متعلقان باتل، ونبأ إبراهيم: مفعول به. ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ إذ: ظرف لما مضى من الزمن، وهو بدل من نبأ بدل اشتمال، فيكون العامل فيه اتل، وقيل: منصوب بنبأ إبراهيم، أي: وقت قوله لأبيه وقومه: ما تعبدون، وجملة قال: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولأبيه: متعلقان بقال، وقومه: معطوفة، وما: اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم لتعبدون، وجملة ما تعبدون: مقول القول. ﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ جملة نعبد أصناماً: في محل نصب مقول القول، فنظل: الفاء عاطفة، ونظل: فعل مضارع ناقص، واسمها: ضمير مستتر تقديره: نحن، ولها: متعلقان بعاكفين، وعاكفين: خبر نظل، وفي الكلام إطناب سيأتي في

باب البلاغة. ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ هل: حرف استفهام، ويسمعونكم: فعل مضارع، وفاعل، والكاف: مفعول به، ولا بد من تقدير محذوف، أي: يسمعون دعاءكم، فتكون متعدية لواحد، أو: يسمعونكم تدعون، فتكون متعدية لاثنين، وقد قامت الجملة المقدرة مقام المفعول الثاني، وإذ: ظرف متعلق بيسمعونكم، وهو كما يقول الزمخشري: لحكاية الحال الماضية، ومعناه: استحضروا الأحوال التي كنتم تدعونها فيها، هل سمعوكم إذ دعوتم؟ وهو أبلغ في التبكيت، وجملة تدعون: مجرورة بإضافة الظرف إليها. ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ عطف على يسمعونكم. ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ بل: إضراب انتقالي، تفادوا به الإجابة عن استفهامه، وكأنهم وجدوا أنفسهم حقيقة في معزل عن التفكير والمساءلة، وأنهم لم يرجعوا إلى عقولهم، فيناقشوا ما يعبدون: هل يسمع؟ هل ينفع؟ هل يضر؟ وإنما هو مجرد تقليد درجوا عليه دون التأمل في مغابّه، أو: النظر إلى عواقبه، ونتائجه. ووجدنا: فعل وفاعل، وآباءنا: مفعول أول لوجدنا، وجملة يفعلون: هي المفعول الثاني، وكذلك: نعت لمصدر محذوف، أي: يفعلون فعلاً مثل ذلك، أو: تجعل الكاف مفعولاً به مقدماً ليفعلون، ولعله أولى. ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري المتضمن معنى الاستهزاء والسخرية، وقد تقدم: أنَّ «رأيتم» في مثل هذا التعبير إما أن تكون بمعنى: أخبروني، فتكون متعدية لمفعولين، أوّلُهما: اسم الموصول، وثانيهما: محذوف، وهو جملة؛ تقديرها: هل هو جدير بالعبادة؟ وإما أن تكون رأى بمعنى: عرف، وهي تنصب مفعولاً واحداً والمعنى: هل تأملتم، فعلمتم ما كنتم تعبدون؟ والفاء: عاطفة على محذوف؛ كما قدرناه، وقد تقدمت نظائر كثيرة له في مثل هذا التركيب، وجملة كنتم: صلة ما، وجملة تعبدون: خبر كنتم. ﴿أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾ أنتم: تأكيد للضمير في تعبدون، وآباؤكم: عطف على أنتم، والأقدمون: صفة لآباؤكم. ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاء: تعليلية، وإنَّ واسمها، وعدوٌّ: خبرها ولي: صفة لعدو، والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة، قال:

وقـــومٍ علـــيَّ ذَوِي مِئْـــرةٍ أراهمْ عدوّاً وكانوا صَدِيقا

ويروى: مرةٍ بالكسر، وهي: القوة وشدة الجدال، والمئرة: العداوة. يقول: رب قوم أصحاب قوة عليّ أراهم اليوم أعداءً وكانوا أصدقاء.

وإلا: أداة استثناء، وربَّ: نصب على الاستثناء، والاستثناء منقطع، ولذلك تقدر إلا بمعنى: لكن، وفي الآية فن التعريض، وسيأتي في باب البلاغة.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ الذي: يجوز فيه النصب على النعت لرب العالمين، أو: البدل، أو: عطف البيان، أو: الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هو الذي خلقني، وغلط أبو البقاء، فأعرب الذي: مبتدأ وخبره: جملة: هو يهدين، ولم يتكلم عن الفاء، وهذا مردود؛ لأن الموصول معين، ليس عاماً، ولأن الصلة لا يمكن فيها التجدد، فلم يشبه الشرط، والصحيح: أنها استئنافية، وهو: مبتدأ، وجملة يهديني: خبره، وحذفت الياء لمراعاة الفواصل. ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ عطف على ما سبق، وهو: مبتدأ، وجملة يطعمني: خبر. ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ الواو: عاطفة، ومرضت: فعل وفاعل، أضاف المرض إلى نفسه؛ وإن كان المرض والشفاء من الله تعالى تأدباً، كما قال الخضر: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ وسيأتي مزيد بحث في هذا الصدد في باب البلاغة. ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ عطف على ما تقدم، وعطف يحيين على يميتني بثم خلاف ما تقدم؛ لتراخي المدة، واتساع الأمر بين الإماتة والإحياء في الآخرة. ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ والذي: عطف على ما قبله، وجملة أطمع: صلة، وأن وما في حيزها: نصب بنزع الخافض، أي: في أن يغفر، ولي: متعلقان بيغفر، وخطيئتي: مفعول يغفر، ويوم الدين: ظرف متعلق بيغفر أيضاً. ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ رب: منادى مضاف لياء المتكلم، حذف منه حرف النداء، وهب: فعل أمر أراد به الدعاء، ولي: متعلقان بهب، وحكماً: مفعول به، وألحقني: عطف

على هب، وبالصالحين: متلعقان بألحقني ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ واجعل: عطف على ما تقدم، ولي: مفعول اجعل الثاني، ولسان صدق: مفعول اجعل الأول، والإضافة من إضافة الموصوف إلى صفته، وفي الآخرين: حال؛ أي: الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة. ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ من ورثة: مفعول اجعلني الثاني، وجنة النعيم: مضاف إلى ورثة ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ لأبي: متعلقان باغفر، وجملة إنه: تعليل لطلب الغفران له، وإنَّ واسمها، وجملة كان خبرها، ومن الضالين: خبر كان ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ الظرف متعلق بتخزني، وجملة يبعثون: في محل جر بإضافة الظرف إليها. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ يوم: ظرف في محل نصب بدل من يوم الأول، وهذا يؤكد أنه من كلام إبراهيم، ويجوز أن يكون من كلام الله تعالى في هذا اليوم، ولا مانع من إعرابه بدلاً أيضاً، أي: متعلق بما تعلق به الظرف الأول، وجملة لا ينفع مال: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولا بنون: عطف على مال ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ يجوز في هذا الاستثناء أن يكون منقطعاً، أي: من غير الجنس، ومعناه: لكن من أتى الله، ويجوز أن يكون متصلاً، وفيه وجهان؛ أحدهما: أن يكون بدلاً من المحذوف، أو استثناء منه، فهو في محل نصب على الوجهين، والتقدير: لا ينفع مال ولا بنون أحداً إلا من أتى، ويجوز أيضاً أن يكون بدلاً من فاعل، فهو في محل رفع، وغلب من يعقل، ويكون التقدير: إلا مال من، وبنو من، فإنه ينفع نفسه أو غيره، وجعل الزمخشري مَنْ مفعول ينفع، أي: لا ينفع ذلك إلا رجلاً أتى الله. وبقلب: متعلقان بأتى، أو: بمحذوف حال، أي: مصحوباً، وسليم: صفة لقلب.

□ **البلاغة:**

في هذه الآيات سمو منقطع النظير من حيث البلاغة البيانية؛ تتقطع دونه الأعناق، وتخرس الألسن، وسنجنح إلى اختصار الكلام؛ لأنَّ فيه متسعاً من القول يضيق به صدر هذا الكتاب.

١ ـ الإطناب:

ـ في قوله: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ وكان مقتضى جواب السؤال وهو: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ أن يقولوا: أصناماً، لأنه سؤال عن المعبود وحسب؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ و﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ ولكنهم أضافوا إلى الجواب زيادة شرحوا بها قصتهم كاملة؛ لأنهم قصدوا إظهار ابتهاجهم، وإعلان افتخارهم، وذلك شائع في الكلام، تقول لبعضهم: ماذا تلبس؟ فيقول: ألبس البرد الأتحمي، فأجر أذياله بين جواري الحيِّ الحسان. وقالوا: نظل؛ لأنهم كانوا يعكفون على عبادتها في النهار دون الليل، وهذه هي مزية الإطناب؛ تزيد في اللفظ عن المعنى لفائدة مقصودة، أو: غاية متوخاة، فإذا لم تكن ثمة فائدة في زيادة اللفظ؛ فإنه يكون تطويلاً مملاً، بادي الغثاثة، ظاهر الركاكة.

٢ ـ التعريض:

وذلك في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فإنه صور المسألة في نفسه، والعداوة مستهدفة شخصه، كأنه يعرض بهم قائلاً: لقد فكرت في المسألة ملياً، وأمعنت النظر فيها طويلاً، فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو الذي يتربص به الدوائر للإيقاع، فإذا بلغ المرء من الإسفاف مدى يحب فيه عدواً، ويؤثره بالعبادة، فذلك هو الارتطام في مزالق الغيِّ، ومهاوي الضلال، وقد يبلغ التعريض للمنصوح مالا يبلغه التصريح؛ لأنه يلفت انتباهه، ويسترعي أنظاره، فيتأمل فيه، فربما قاده التأمل إلى التقبل، ومنه ما يحكى عن الشافعي: أنَّ رجلاً واجهه بشيء فقال له: لو كنت بحيث أنت لاحتجت إلى أدب.

٣ـ أسرار حروف العطف:

وهنا موضع دقيق المسلك، لطيف المرمى، قلما ينتبه إليه أحد، أو يتفطن إليه كاتب، فإن أكثر الناس يضعون حروف العطف في غير مواضعها،

فيجعلون ما ينبغي أن يجر بـ «على» بـ «في» في حروف الجر، كما أنهم يعطفون دون أن يتفطنوا إلى سر الحرف الذي عطف به الكلام، فقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ فالأول عطفه بالواو التي هي لمطلق الجمع وتقديم الإطعام على الإسقاء، والإسقاء على الإطعام جائز لولا مراعاة حسن النظم، ثم عطف الثاني بالفاء لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما، ثم عطف الثالث بثم لأن الإحياء يكون بعد الموت بزمان، ولهذا جيء في عطفه بثم؛ التي هي للتراخي. وهذا من الأسرار التي يجدر بالكاتب الإلمام بها حتى يقيس عليها، ويعطف على كل بما يناسبه، ويقع موقع السداد منه.

٤ ـ التفويف:

ولم يسبق أن تحدثنا فيما غبر من كتابنا عن هذا الفن، وهو: إتيان المتكلم بمعانٍ شتى من المدح، والوصف، والنسيب، وغير ذلك من الفنون، كل فن في جملة منفصلة من أختها بالسجع غالباً مع تساوي الجمل في الرنّة، ويكون بالجمل الطويلة، والجمل المتوسطة، والجمل القصيرة، فمثال المركب من الجمل الطويلة: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ففي هذه الآيات فنون شتى منها:

آ ـ المناسبة:

في قوله: ﴿خَلَقَنِى﴾ و﴿يُطْعِمُنِى﴾.

ب ـ التنكيت:

في قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ فإن النكتة التي أوجبت على الخليل إسناد فعل المرض إلى نفسه دون بقية الأفعال حسن الأدب مع ربه عز وجل؛ إذ أسند إليه أفعال الخير كلها، وأسند فعل الشر إلى نفسه، وللإشارة إلى أنَّ كثيراً من الأمراض تحدث بتفريط الإنسان في مأكله ومشربه وغير ذلك.

جـ ـ حسن النسق:

فإنه قدم الخلق الذي يجب تقديم الاعتداد به من الخالق على المخلوق واعتراف المخلوق بنعمته، فإنه أول نعمة، وفي إقرار المخلوق بنعمة الإيجاد من العدم إقراره بقدرة الخالق على الإيجاد والاختراع وحكمته، ثم ثنى بنعمة الهداية التي هي أولى بالتقديم بعد نعمة الإيجاد من سائر النعم، ثم ثلَّث بالإطعام والإسقاء اللذين هما مادة الحياة، وبهما من الله استمرار البقاء إلى الأجل المحتوم، وذكر المرض وأسنده إلى نفسه أدباً ـ كما قلنا ـ مع ربه، ثم أعقب ذكر المرض بذكر الشفاء مسنداً ذلك إلى ربه، ثم ذكر الإماتة مسنداً فعلها إلى ربه؛ لتكميل المدح بالقدرة المطلقة على كل شيء من الإيجاد والإعدام، ثم أردف ذكر الموت بذكر الإحياء بعد الموت، وفيه مع الإقرار بهذه النعمة والاعتراف بالقدرة والإيمان بالبعث، وكل هذه المعاني جملٌ ألفاظها معطوف بعضها على بعض بحروف ملائمة لمعاني الجمل المعطوفة كما تقدم.

د ـ صحة التقسيم:

فقد استوعبت هذه الآيات أقسام النعم الدنيوية، والأخروية من الخلق، والهداية، والإطعام، والإسقاء، والمرض، والشفاء، والموت، والحياة، والإيمان بالبعث، وغفران الذنب.

٥ ـ التخلص:

وهو فن عجيب يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينا هو فيه؛ إذ أخذ في معنى غيره آخر، وجعل الأول سبباً إليه، فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً، فمما جاء من التخلص هذه الآية التي تسكر العقول، وتسحر الألباب، ألا ترى ما أحسن ما رتب إبراهيم كلامه مع المشركين حين سألهم أولاً عما يعبدون، سؤال مقرر، لا سؤال مستفهم، ثم أنحى على آلهتهم باللائمة، فأبطل أمرها بأنها: لا تضر، ولا تنفع، ولا تعي، ولا تسمع، وعلى تقليد آبائهم الأقدمين، فكسره، وأخرجه من أن يكون شبهة، فضلاً عن أن يكون

حجة، ثم أراد الخروج من ذلك إلى ذكر الإله الذي لا تجب العبادة إلا له، ولا ينبغي الرجوع والإنابة إلا إليه، فصور المسألة في نفسه دونهم ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ على معنى: إني فكرت في أمري، فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو، وهو: الشيطان فاجتنبتها، وآثرت عبادة من بيده الخير كله، وأراهم بذلك: أنها نصيحة ينصح بها نفسه؛ لينظروا فيقولوا: ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه، فيكون ذلك أدعى إلى القبول لقوله، وأبعث على الاستماع منه، ولو قال: إنهم عدو لكم لم يكن بهذه المثابة، فتخلص عند تصويره المسألة في نفسه إلى ذكر الله تعالى، فأجرى عليه تلك الصفات العظام، فعظم شأنه، وعدد نعمته من لدن خلقه، وأنشأه إلى حين يتوفاه، مع ما يرجى في الآخرة من رحمته؛ ليعلم من ذلك: أن من هذه صفاته حقيق بالعبادة، واجب على الخلق الخضوع له، والاستكانة لعظمته، ثم تخلص من ذلك إلى ما يلائمه ويناسبه، فدعا الله بدعوات المخلصين، وابتهل إليه ابتهال الأوابين؛ لأنَّ الطالب من مولاه إذا قدم قبل سؤاله وتضرعه الاعتراف بالنعمة؛ كان ذلك أسرع للإجابة، وأنجح لحصول الطلبة، ثم أدرج في ضمن دعائه ذكر البعث، ويوم القيامة، ومجازاة الله من آمن به واتقاه بالجنة، ومن ضل عن عبادته بالنار. . فتدبر هذه التخلصات البديعة المودعة في أثناء هذا الكلام.

٦ ـ التقديم:

وفي قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ التقديم، فقد استوهب الحكم أولاً، ثم طلب الإلحاق بالصالحين، والسر فيه دقيق جداً، ذلك: أن القوة النظرية مقدمة على القوة العملية؛ لأنه يمكنه أن يعلم الحق وإن لم يعمل به، وعكسه غير ممكن؛ لأن العلم صفة الروح والعمل صفة البدن، وكما أنَّ الروح أشرف من البدن؛ كذلك العلم أفضل من الإصلاح.

٧ ـ المجاز المرسل:

وفي قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ مجاز مرسل؛ إذ المراد باللسان هنا:

الثناء، وذكر اللسان مجاز؛ لأنه سببه، فالعلاقة هي: السببية، وقد تقدم ذلك مراراً، وقيل: هو مجاز من إطلاق الجزء على الكل؛ لأن الدعوة باللسان.

﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الواو: عاطفة، والجملة معطوفة على لا ينفع، وإنما أورده بصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع؛ عندما تدنو الجنة من موقف السعداء ينظرون إليها، ويغتبطون بما ينتظرهم فيها من نعيم، وعندما تدنو النار من موقف الأشقياء ينظرون إليها، ويتحسرون على أنهم مسوقون إليها. وأزلفت: فعل ماض مبني للمجهول؛ أي: قربت، والجنة: نائب فاعل، وللمتقين: متعلقان بأزلفت ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ عطف على الجملة المتقدمة ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ الواو: عاطفة، وقيل: فعل ماض مبني للمجهول، ولهم متعلقان بقيل؛ أي: على سبيل التوبيخ، وأين: اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم، وما: اسم موصول مبتدأ مؤخر، وجملة كنتم صلة، وجملة تعبدون: خبر كنتم. ﴿ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾ من دون الله: حال، وهل: حرف استفهام، وينصرونكم: فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به، وأو: حرف عطف، وينتصرون: فعل مضارع، وفاعل ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ الفاء: حرف عطف، وكبكبوا: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل،

وهم: ضمير فصل، والغاوون: عطف على الواو في كبكبوا، وسوغه الفصل بالجار والمجرور ضمير الفصل ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ وجنود: عطف على الواو أيضاً، وإبليس: مضاف إليه، وأجمعون: تأكيد للواو وما عطف عليها. ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ قالوا: فعل، وفاعل، والواو: حالية، وهم: مبتدأ، وفيها: متعلقان بيختصمون، وجملة يختصمون: خبر هم، والتخاصم بين الشياطين ومتبعيهم، فالضمير يعود على الغاوون ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الجار والمجرور: متعلقان بفعل محذوف، تقديره: نقسم، وهو متعلق بقالوا، وإن: مخففة من الثقيلة، واسمها: ضمير الشأن المحذوف، أي: إنه، وجملة كنا: خبر إن، وكان، واسمها، واللام: الفارقة، وفي ضلال: خبر كنا، ومبين: صفة ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إذ: ظرف لما مضى من الزمن، وهو متعلق بمبين، أو: بفعل محذوف دل عليه ضلال، ولا يجوز أن يتعلق بضلال؛ لأن المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف، وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية، والمعنى: تالله لقد كنا في غاية الضلال المبين وقت تسويتنا إياكم يا هذه الأصنام برب العالمين في استحقاق العبادة، وأنتم أذل المخلوقات وأعجزهم ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ الواو: عاطفة، أو: حالية، وما: نافية، وأضلنا: فعل ومفعول به مقدم، وإلا: أداة حصر، والمجرمون: فاعل أضلنا، وهم: رؤساؤهم، وكبراؤهم؛ كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾. ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ الفاء: الفصحية، وما: نافية، ولنا: خبر مقدم، ومِنْ: حرف جر زائد، وشافعين: مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه خبر مقدم ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ عطف على شافعين، وحميم: صفة لصديق ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الفاء: استئنافية، ولو: حرف للتمني في مثل هذا الموضع؛ كأنه قيل: فليت لنا كرة؛ لما بين معنى «لو» و«ليت» من التلاقي في التقدير، ويجوز أن تكون على أصلها للشرط، والجواب: محذوف، تقديره: لفعلنا كيت وكيت، وأن: حرف مشبه بالفعل، وهي وما في حيزها مفعول لفعل محذوف، تقديره: نتمنى، وقد

نابت عنه لو، أو: فاعل لفعل محذوف إن كانت لو للشرط، ولنا: خبر أن المقدم، وكرة: اسم أن المؤخر، فنكون: الفاء: للسببية، ونكون: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء، واسم نكون: ضمير مستتر، تقديره: نحن، ومن المؤمنين: خبر نكون ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إن، وخبرها المقدم، واسمها المؤخر، وما: نافية، وكان، واسمها، وخبرها ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الواو: استئنافية، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وهو: ضمير فصل، أو: مبتدأ، والعزيز: خبر إنَّ، أو: خبر هو، والرحيم: خبر ثان.

□ البلاغة:

١ ـ في قوله: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ قوة اللفظ لقوة المعنى، وهذا مما انفرد في التنبيه إليه ابن جني في كتاب «الخصائص»، فإن الكبكبة تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى؛ كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة؛ حتى يستقر في قعرها، وليست الزيادة في اللفظ دالة على قوة المعنى بصورة مطردة، بل إنَّ المدار في ذلك على الذوق، خذ لك مثالاً: زيادة التصغير، فهي زيادة نقص، فرجيل: أنقص من رجل في المعنى، ولكنه أكثر حروفاً منه.

٢ ـ الإيضاح:

وقد تقدم ذكره كثيراً، وهو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس، ثم يوضحه في بقية كلامه، والإشكال الذي يحله الإيضاح يكون في معاني البديع من الألفاظ، وفي إعرابها، ومعاني النفس دون الفنون، وهو هنا في قوله: ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ فإنَّ الصديق الموصوف بصفة حميم هو الذي يفوق القرابة، ويربو عليه، وهو أن يكون حميماً، فالحميم من الاحتمام، وهو الاهتمام؛ أي: يهمه أمرنا، ويهمنا أمره، وقيل: من الحامة، وهي: الخاصة، من قولهم: حامة فلان؛ أي: خاصته.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾

○ الإعـراب:

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ كلام مستأنف مسوق للشروع في حكاية القصة الثالثة، وكذبت قوم نوح المرسلين: فعل، وفاعل، ومفعول، وأنث الفعل باعتبار معنى القوم، وهو الأمة والجماعة، وفي المصباح: «القوم: يذكر ويؤنث، فيقال: قام القوم، وقامت القوم، وكذا كلُّ اسم جمع لا واحد له من لفظه، نحو: رهط، ونفر» وفي الزمخشري، والبيضاوي: «القوم: مؤنث، ولذلك يصغر على قويمة» وهذا محمول على الأغلب، فإن قلت: كيف قال: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ وهم لم يكذبوا إلا نوحاً وحده؟ قلت: هو كقولهم: فلان يركب الدواب، ويلبس البرود، وما له إلا دابة وبرد ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الظرف: متعلق بكذبت، وجملة قال: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولهم: متعلقان بقال، وأخوهم: فاعل قال، ونوح: بدل، وإنما جعله أخاهم جرياً على أسلوبهم في قولهم: يا أخا العرب، ويا أخا تميم، يريدون: يا واحداً منهم، ومنه بيت «الحماسة»:

لا يَسْألونَ أخاهُمْ حِيْنَ يَنْدُبُهُمْ   في النَّائِباتِ على ما قَالَ بُرْهانا

وألا: أداة عرض، وتتقون: فعل مضارع، وفاعل ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ تعليل لعرضه عليهم الجنوح إلى التقوى، وإنَّ، واسمها، ولكم: متعلقان بمحذوف حال، أو: برسول، ورسول: خبر، وأمين: صفة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ الفاء: الفصيحة، واتقوا الله: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، وأطيعون: الواو: عاطفة، وأطيعون: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، والنون: للوقاية، والياء المحذوفة لمراعاة الفواصل: مفعول به ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وأسألكم: فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وعليه: متعلقان بمحذوف حال، ومن: حرف جر زائد، وأجر: مجرور لفظاً منصوب محلاً؛ لأنه مفعول به، وإن: نافية، وأجري: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وعلى رب العالمين: خبر ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ تقدم إعرابها قريباً، وقد صدِّرت القصص الخمس بالأمر بالتقوى للدلالة على اتفاق الأديان السماوية على وجوب معرفة الحق، واتباعه، وكررت الجملة نفسها تأكيداً لهذه الغاية السامية ﴿۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، ونؤمن: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: نحن، ولك: متعلقان بنؤمن، والواو: للحال، واتبعك الأرذلون: فعل، ومفعول به، وفاعل، وحق واو الحال هنا أن يضمر بعدها قد، وهذا ضرب من السخافة، يقيسون كفاءة الأتباع بمقدار ما يتمتعون به من مال وحطام، أو: بما يتميزون به من حسب وجاه، ولكن الإسلام سوّى بين المسلمين كافة. ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الواو: استئنافية، وما: يحتمل أن تكون استفهامية، وأن تكون نافية، فعلى الأول: تكون في محل رفع بالابتداء، وعلمي: خبرها، وبما: متعلقان بعلمي على كل حال، وعلى جعلها نافية يكون الخبر محذوفاً؛ ليصير الكلام به جملة، وجملة كانوا: صلة ما، وجملة يعملون: خبر كانوا ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ إن: نافية، وحسابهم: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وعلى ربي: خبر حسابهم،

ولو: امتناعية، وتشعرون: فعل مضارع مرفوع، وجواب لو: محذوف؛ كما أن مفعول تشعرون: محذوف، تقديره: ذلك، وتقدير الجواب: ما عبتموهم، وما نسبتم إليهم أيَّ نقص ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الواو: عاطفة، وما: حجازية، وأنا: اسمها، والباء: حرف جر زائد، وطارد: مجرور لفظاً خبر ما محلاً، والمؤمنين: مضاف إليه ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ إن: نافية، وأنا: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، ونذير: خبر، ومبين: صفة ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ اللام: موطئة للقسم، وإن: شرطية، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، وتنته: فعل مضارع مجزوم بلم، والفاعل: ضمير مستتر، تقديره: أنت، ولتكونن: اللام: جواب القسم، وجواب الشرط محذوف على حسب القاعدة المشهورة:

واحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَم
جَوابَ مَا أَخَّرْتَ فَهُوَ مُلْتَزَم

وتكونن: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، واسم تكونن: ضمير مستتر، تقديره: أنت، ومن المرجومين: خبر. ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾ رب: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وحرف النداء محذوف، وإنَّ واسمها، وجملة كذبون: خبرها، وكذبون: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وقد حذفت ياء المتكلم لمراعاة الفواصل. ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الفاء: الفصيحة، وافتح فعل أمر، معناه: الدعاء، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وبيني: ظرف متعلق بافتح، وبينهم: عطف على بيني، وفتحاً: يجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً، ويجوز أن يكون مفعولاً به، والفتح هنا: من الفتاحة، بمعنى: الحكومة، والفتاح: الحاكم، سمي بذلك لفتحه مغالق الأمور، وفي «القاموس»: «الفتاحة بالضم والكسر، ويقال: بينهما فتاحات؛ أي: خصومات» والمعنى: احكم بيننا بما يستحقه كلٌّ منا، والمراد: أنزل العقوبة بهم، ولذلك قال: ونجني. ونجني: الواو عاطفة، ونجني: عطف على

احكم، وَمَنْ: الواو عاطفة، أو: للمعية، وَمَنْ: عطف على الياء، أو: مفعول معه، ومعي: ظرف متعلق بمحذوف صلة مَنْ، ومِنَ المؤمنين: حال. ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ الفاء: استئنافية، وهو من كلامه تعالى، وأنجيناه: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وَمَنْ: مفعول معه، أو: عطف على الهاء، ومعه: ظرف متعلق بمحذوف صلة، وفي الفلك: متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به الظرف، والمشحون: صفة للفلك، والمشحون: المملوء. ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ﴾ ثم: حرف عطف للتراخي، وأغرقنا: فعل، وفاعل، وبعدُ: ظرف زمان مبني على الضم لانقطاعه عن الإضافة لفظاً لا معنى، والمراد بعد إنجائهم، والباقين: مفعول أغرقنا. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ كلام مستأنف لبيان العبرة من هذه القصة، وإن: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبر مقدم، واللام: المزحلقة، وآية: اسم إنَّ المؤخر، والواو: عاطفة، أو: حالية، وما: نافية، وكان واسمها، ومؤمنين: خبرها، يعني: أنَّ أكثريتهم الساحقة لم تؤمن، ولذلك أخذوا، ولو كان نصفهم مؤمنين على الأقل لنجوا. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الواو: عاطفة، وإنَّ واسمها، واللام: المزحلقة، وهو: ضمير فصل، أو: مبتدأ، والعزيز: خبر إن، أو: هو والرحيم خبر ثان، وقد تقدم إعراب نظائرها مراراً.

□ **البلاغة:**

التكرير في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ للتأكيد، والتقرير في النفوس؛ مع كونه علق على كلِ واحدٍ منهما بسبب، وهو: الأمانة في الأول، وقطع الطمع في الثاني، ونظيره قولك: ألا تتقي الله في عقوقي وقد ربيتك صغيراً؟ ألا تتقي الله في عقوقي وقد علمتك كبيراً؟.

وفيه أيضاً: التقديم، قدم الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته؛ لأن تقوى الله علةٌ لطاعته.

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ رِيعٍ ﴾: الريع بكسر الراء، وفتحها، قال في «الأساس» و«اللسان»: «ونزلوا بريع، ورَيْع رفيع، وريَعة رفيعة، وهي: المرتفع من الأرض، وتقول: يبنون بكل ريعة، وملكهم كسراب بقيعة» وقال في «القاموس»: «والريع بالكسر والفتح: المرتفع من الأرض، أو: كلُّ فجٍ، أو: كل طريق، أو: الطريق المنفرج في الجبل، والجبل المرتفع، الواحدة بهاء... وبالكسر: الصومعة، وبرج الحمام، والتلّ العالي... وبالفتح: فضل كل شيء؛ كريع العجين، والدقيق، والبذر» قلت: واستعماله بمعنى استغلال الريع صحيح، يقال: طعام كثير الريع، وأراعت الحنطة، وراعت: زكت، وأراعها الله تعالى، وأراع الناس هذا العام: زكت زروعهم، ويقولون: كم ريع أرضك، وهو ارتفاعها، قال المسيب بن علس:

في الآل يَـرْفَعُهـا ويَخْفِضُهـا ... رِيْـعٌ يلـوحُ كـأنَّـه سحـل

والضمير في البيت للظعائن؛ أي: هي في الآل، وهو السراب، يرفعها تارة، ويخفضها أخرى ريع؛ أي: طريق مرتفع تارة، ومنخفض أخرى، أو:

مكان عالٍ ترتفع بصعوده، وتنخفض بالهبوط منه. ويقال: ليس له ريع؛ أي: مرجوع وغلة.

﴿ءَايَةً﴾: الآية: العلم يهتدي به المارة، وكان بناؤها للعبث واللهو؛ لأنهم كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم، فلا يحتاجون إليها، وقيل: المراد بها: القصور المشيدة ترفعون بناءها، وتجتمعون فيها، فتعبثون بمن يمر بكم.

﴿تَعْبَثُونَ﴾: في «المصباح»: «عبث عبثاً من باب تعب: لعب وعمل ما لا فائدة فيه، فهو عابث».

﴿مَصَانِعَ﴾: جمع مصنعة بفتح الميم مع فتح النون أو ضمها، وهي: الحوض، أو: البركة، فقوله: مصانع؛ أي: حيضاناً، وبركاً تجمعون فيها الماء، فهي من قبيل الصهاريج، وفي «المختار»: «المصنعة بفتح الميم وضم النون، أو: فتحها: كالحوض يجمع فيه ماء المطر، والمصانع: الحصون» وفي «القاموس»، وشرحه «التاج»: «المَصْنَعة، والمَصْنُعة بفتح الميم وفتح النون وضمها: ما يجمع فيه ماء المطر، كالحوض، والجمع: مصانع، والمصانع أيضاً: القرى، والحصون، والقصور، والمصنعة أيضاً: الدعوة للأكل، يقال: كنا في مصنعة فلان، وموضع يعزل للنحل بعيداً عن البيوت» وجميع هذه المعاني صالحة للتفسير.

﴿بَطَشْتُم﴾: البطش: السطوة، والأخذ بعنف، وللباء مع الطاء فاء وعيناً للكلمة خاصة غريبة، فهي تدل على السطوة، والقوة، وعدم المبالاة بالآخرين يقال: أبطأ علي فلان، وبطؤ في مشيته، وتباطأ في أمره، وتباطأ عني، وفيه بطء، وما كنت بطيئاً، ولقد بطؤت، وفرس بطيء من خيل بطاء، وما أبطأ بك عنا؟ وما بطّأ بك؟ وما بطّأك؟ قال عمر بن ربيعة:

فَقُمْتُ أمْشِي فقامتْ وَهِيَ فاتِرةٌ
كشاربِ الرَّاحِ بطَّا مَشْيَهُ السُّكْرُ

ولا يخفى ما في ذلك كله من الإدلال بالنفس، والزهو بها، وعدم المبالاة بالآخرين، ويقال: بطحه على وجهه، فانبطح، وفيه كلُّ الإذلال، والصَّغار

والمهانة، ونظر حويص إلى قبر عامر بن الطفيل فقال: هو في طول بطحتي، أراد: في طول قدي منبطحاً على الأرض، وبطاح بطح: واسعة عريضة، وتبطّح السيل اتّسع مجراه، قال ذو الرمة:

ولا زالَ مِنْ نَوْءِ السِّماك عليكُما
ونوء الثُّريَّا وابلٌ متبطِّحُ

وتبطّح فلان: تبوأ الأبطح قال:

هلاّ سألت عن الّذين تبطَّحُوا
كَرمَ البطاح وخيْرَ سُرّة وادي

وأبطخ القوم وأقثؤوا: كثر عندهم البطيخ والقثاء، ونظر الليث إلى قوم يأكلون بطيخاً فقال:

لما رأيتُ المبْطِخيْنَ أَبْطَخُوا فأكلوا مِنْهُ ومِنْهُ لَطَخوا

ورأيته يدور بين المطابخ والمباطخ، ولا يفعل ذلك إلا تياه مفتخر بغناه وثرائه، وبطر فلان: تجاوز الحدُّ في الزهو والمرح، ورجل أشر بطر، وأبطره الغنى، ومن أقوالهم: «وما أمطرت حتى أبطرت» يعني: السماء، وإنَّ الخصب يبطر الناس كما قال:

قومٌ إذا اخضرَّت نعالُهم يتناهَقُون تناهُقَ الحُمُرِ

وامرأة بطيرة: شديدة البطر، ويبطر الدابة بيطرةً. و«أشهر راية البيطار» والدنيا قحبة يوماً عند عطار، ويوماً عند بيطار. ومن أقوالهم أيضاً: «وعهدي به وهو لدوابنا مبيطر، فهو اليوم علينا مسيطر». ومن حكمهم المأثورة: «لا تُبطرنَّ صاحبك ذرعه» أي: لا تقلق إمكانه، ولا تستفزه بأن تكلفه غير المطاق، وذرعه من بدل الاشتمال، وبطر فلان نعمة الله: استخفها، فكفرها، ولم يسترجحها فيشكرها، ومنه: ﴿بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ﴾ وذهب دمه بطراً؛ أي: مبطوراً مستخفياً، حيث لم يُقْتَصّ به، وهو بهذا الأمر عالم بَيْطار، قال عمر بن أبي ربيعة:

ودعاني ما قالَ فيها عتيقٌ وهو بالحُسْنِ عالمٌ بَيْطارُ

والبطش معروف، وقد تقدم، ومن مجازه: فلا يبطش في العلم بباع بسيط، وبطشت بهم أهوال الدنيا، ومن أقوالهم: «وسلكوا أرضاً بعيدة المسالك قريبة المهالك، وُقِذُوا بمباطشها، وما أنقذوا من معاطشها» وجاءت الركاب تبطش بالأحمال، أي: ترجف بها، وبطّ القرحة بالمبط، وهو: المبضع. وعنده بطة من السليط، والبط، والواحدة: بطة للمذكر والمؤنث، وهو: طير مائي قصير العنق والرجلين، وهو غير الإوز، وجمعه: بطوط، وبطاط، والبطة أيضاً: إناء كالقارورة أبطح، وهو باطل بيِّن البطلان، وبطّال بيِّن البطالة بكسر الباء، وقد بطل فتح الطاء، وبطل بيِّن البطالة بفتح الباء، وقد بطل بضم الطاء، وقد بطل بضم الطاء أيضاً يبطل بالضم بَطالة وبطولة: صار شجاعاً، فهو بطل، وجمعه: أبطال، ومؤنثه: بطلة، وجمعها: بطلات، والبطن معروف، وألقت الدجاجة ذات بطنها، ونثرت المرأة للزوج بطنها: إذا أكثرت الولد، وبطنه وظهره؛ أي: ضربهما منه، وقد بُطن فلان بالبناء للمجهول: إذا اعتل بطنه، وهو مبطون، وبطين، ومبطان، ومُبطن؛ أي: عليل البطن؛ وعظيمه، وأبطن البعير: شدّ بطانه، وباطنت صاحبي: شددته معه، وبطّن ثوبه بطانة حسنة، واستبطن أمره: عرف باطنه، وتبطّن الكلأ: جوّل فيه، وتوسطه، قالت الخنساء:

فجـــاء يبشِّـــرُ أصحـــابَـــهُ تبطّنـتُ يـا قـومِ غيثـاً خَصيبـا

وتبطّن الجارية: جعلها بطانة له، قال امرؤ القيس:

كـأنِّيَ لَـمْ أركـبْ جـواداً للـذَّةٍ ولم أتبطَّنْ كاعِباً ذات خِلْخَال

ويقال: أنت أبطن بهذا الأمر خبره، وأطول له عشره، وهو بطانتي، وهم بطانتي، وفلان عريض البطان؛ أي: غني، وشأوٌ بطين؛ أي: بعيد، قال زهير:

فبصبـــص بين أداني الغَضَـــىٰ وبين عُنيْـــزَةَ شـــأواً بَطِيْنـــا

○ الإعـراب:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة، مسوقة

للشروع في القصة الرابعة. ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الظرف: متعلق بكذبت، وقال لهم أخوهم: فعل، وفاعل، وهود: بدل من أخوهم، وألا: أداة عرض، وتتقون: فعل مضارع، وفاعل، والجملة: مقول القول. ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ الجملة: تعليل لعرضه عليهم الجنوح إلى التقوى، وإنَّ واسمها، ولكم: متعلقان بمحذوف حال، أو: برسول، ورسول: خبر إن، وأمين: صفة لرسول. ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ تقدم إعرابها كثيراً. ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وهذه تقدم إعرابها بحروفها قريباً. ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾ الاستفهام: للتقريع، والتوبيخ، وتبنون: فعل مضارع، وفاعل، وبكل ريع: متعلقان بتبنون، وآية: مفعول به، وجملة تعبثون: في محل نصب على الحال. ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ وتتخذون: عطف على تبنون، وتتخذون: فعل مضارع وفاعل، ومصانع: مفعول به، ولعلكم تخلدون: لعل واسمها، والجملة: خبرها، وجملة الرجاء في محل نصب على الحال؛ أي: راجين، ومؤملين أن تخلدوا في الدنيا. ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ الواو: عاطفة، وإذا: ظرف متعلق بالجواب، وهو: بطشتم الثانية، وجملة بطشتم الأولى: في محل جر بإضافة إذا إليها، وجبارين: حال؛ أي: غير مبالين بالنتائج والعواقب، وإنما أنكر عليهم ذلك لأنه ظلم، وأما في الحقِّ فالبطش بالسيف، والسوط، جائزٌ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ الفاء: الفصيحة، واتقوا الله: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، وأطيعون: عطف على اتقوا. ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ واتقوا: فعل أمر، وفاعل، والذي: مفعول به، وجملة أمدكم: صلة، وبما: متعلقان بأمدكم، وجملة تعلمون: صلة. ﴿ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ جملة أمدكم الثانية: بدل من جملة أمدكم الأولى بدل بعض من كل؛ لأنها أخص من الأولى باعتبار متعلقيهما، فتكون داخلة في الأولى؛ لأن ما تعلمون يشمل الأنعام وغيرها، وقيل: هي مفسرة للجملة الأولى، فتكون لا محل لها، وسيأتي بحث بدل الجملة من الجملة في باب الفوائد. ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ إنَّ واسمها، وجملة أخاف: خبرها، وعليكم: متعلقان

بأخاف، وعذاب: مفعول به، ويوم: مضاف إليه، وعظيم: صفة. ﴿ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴾ سواء: خبر مقدم، وعلينا: متعلقان بسواء، والهمزة: للاستفهام، ووعظت: فعل ماض، وفاعل، وأم لم تكن من الواعظين: معادل لقوله: أوعظت، وهمزة التسوية، وما في حيزها: في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر؛ أي: سواء علينا وعظك، وأتى بالمعادل هكذا دون قوله: أم لم تعظ لتواخي القوافي، وقال الزمخشري: «وبينهما فرق؛ لأن المعنى: سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ؛ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشريه، فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك: أم لم تعظ».

﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ إن: نافية، وهذا: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وخلق: خبر هذا، والأولين: مضاف إليه، والمعنى: ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم، كانوا يدينونه ونحن بهم مقتدون. ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية حجازية، ونحن: اسمها، والباء: حرف جر زائد، ومعذبين: مجرور لفظاً بالباء منصوب محلاً على أنه خبر ما.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الفاء: الفصيحة، وكذبوه: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، فأهلكناهم: عطف على فكذبوه، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبر إنَّ، واللام: المزحلقة، وآية: اسم إن، والواو: حرف عطف، وما: نافية، وكان: فعل ماض ناقص، وأكثرهم: اسمها، ومؤمنين: خبرها. ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ تكرر إعرابها كثيراً.

* الفوائــد:

تبدل الجملة من الجملة بشرط أن تكون الجملة الثانية أوفى من الأولى بتأدية المراد، ولذلك لا يقع البدل المطابق في الجمل، وإنما يقع بدل البعض من الكل؛ كما تقدم في الآية، أو بدل الاشتمال كقوله:

أَقُـولُ لـه ارْحَـلْ لاتُقِيمَـنَّ عِنْـدنـا
وإلاّ فَكُـنْ في السِّـرِّ والجَهْـرِ مُسْلِمـا

فلا تقيمنّ عندنا: بدل اشتمال من ارحل؛ لما بينهما من المناسبة اللزومية، وليس توكيداً له؛ لاختلاف لفظيهما، لا بدل بعض من كل؛ لعدم دخوله في الأول، ولا بدل بدلاً مطابقاً؛ لعدم الاعتداء به، ولم يشترط النحاة الضمير في بدل البعض والاشتمال في الأفعال والجمل لتعذر عود الضمير عليها، وقدتبدل الجملة من المفرد بدلاً مطابقاً كقول الفرزدق:

إلى الله أَشْكُو بالمدينةِ حاجةً وبالشَّامِ أُخْرى كيفَ يلتقيانِ

أبدل جملة: كيف يلتقيان من حاجة وأخرى، وهما مفردان، وإنما صحَّ ذلك لرجوع الجملة إلى التقدير بمفرد، أي: إلى الله أشكو هاتين الحاجتين تعذر التقائهما، فتعذر مصدر مضاف إلى فاعله، وهو بدل من هاتين، ولم يسلم بعض النحاة بذلك؛ لاحتمال أن تكون جملة كيف يلتقيان مستأنفة، نبه بها على سبب الشكوى، وهو استبعاد اجتماع هاتين الحاجتين.

قال بعضهم: وهل يجوز عكسه. أعني: إبدال المفرد من الجملة أو لا، وصرح أبو حيان في «البحر»: بأن المفرد يبدل من الجملة؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ فقيماً عنده: بدل من جملة لم يجعل له عوجاً؛ لأنها في معنى المفرد؛ أي: جعله مستقيماً، وقال ابن هشام في «مغني اللبيب»: «إن جملة: ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ بدل من الإبل بدل اشتمال، والمعنى: إلى الإبل كيفية خلقها، ومثله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ وكل جملة فيها كيف من اسم مفرد».

فائدة هامة:

إذا أبدل اسم من اسم استفهام، أو اسم شرط؛ وجب ذكر همزة الاستفهام، أو: «إن» الشرطية مع البدل ليوافق المبدل منه في المعنى، نحو: كم مالك؟ أعشرون أم ثلاثون؟ فكم: اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم، ومالك: مبتدأ مؤخر، وعشرون: بدل من كم، ويسميه النحاة: بدل تفصيل، وهو ينحصر في المطابق. ومن جاءك أعلي أم خالد؟ فمن: اسم

استفهام في محل رفع مبتدأ، وجملة جاءك: خبره، وعليٌّ: بدل من «مَنْ» الاستفهاميـة بدل تفصيل. ونحو: من يجتهدْ إن علي أو خالد فأكرمه؛ فمن: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، والجملة بعده خبره، وإن: حرف شرط لا عمل لـه هنا لأنه جيء بـه لبيان المعنى، لا للعمل، وعليٌّ: بدل من الضمير المستتر في يجتهد، وخالد: معطوف على عليّ، وجملة فأكرمه: في محل جزم جواب الشرط. ونحو: حيثما تنتظرني في المدرسة وإن في الدار أوافك؛ فحيثما: اسم شرط جازم في محل نصب مفعول فيه متعلق بتنتظرني، وفي المدرسة: جار ومجرور في موضع النصب على البدلية من محل حيثما.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ وَنَخْلٍ ﴾: النخل، والنخيل: شجر التمر المعروف، له ساق مستقيم طويل ذو عقد، واحدته: نخلة، ونخيلة، وفي «المصباح» ما ملخصه:

النخل: اسم جمع، الواحدة: نخلة، وكل اسم جمع كذلك يؤنث ويذكر، وأما النخيل بالياء فمؤنثة اتفاقاً.

﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ ما يطلع منها؛ كنصل السيف؛ في جوفها شماريخ القنو، وتشبيهه بنصل السيف من حيث الهيئة والشكل، وفي «المختار»: «ويقال للطلع: هضيم ما لم يخرج؛ لدخول بعضه في بعض» من قولهم: كشح هضيم، وفي «القاموس» و«التاج»: «الطلع: المقدار، تقول: الجيش طلع ألف، ومن النخل: شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان، والحمل بينهما منضود، والطرف محدد، أو: ما يبدو من ثمرته في أول ظهورها» والهضيم: النضيج، الرخص، اللين، اللطيف.

﴿فَرِهِينَ﴾: وقرىء فرهين: بطرين، حاذقين في العمل، من الفره، وهو: شدة الفرح، وقال في «الكشاف»: «والفراهة: الكيس والنشاط، ومنه: خيل فرهة».

﴿شِرْبٌ﴾: بكسر الشين؛ أي: نصيب.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾: أي: ضربها بعضهم بالسيف في ساقيها، وكان اسمه: قدار، وسنورد القصة التي نسجت حول هذه القصة؛ لتكون حافزاً للأقلام على صوغ قصةٍ فنيةٍ منها.

○ الإعراب:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ جملة مستأنفة مسوقة للشروع في القصة الخامسة، وهي: فعل، وفاعل، ومفعول، وثمود: اسم قبيلة صالح، سميت باسم أبيها، وهو: ثمود جد صالح، وفي التعبير عن صالح بالجمع ما تقدم. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الظرف: متعلق بكذبت، والجملة: تقدم إعرابها. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ تقدم إعرابها أيضاً. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ تقدم إعرابها أيضاً. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تقدم إعرابها أيضاً. ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري

التوبيخي، وتتركون: فعل مضارع مبني للمجهول، وفيما: متعلقان بتتركون، وها: حرف تنبيه، وهنا: اسم إشارة في محل نصب ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة للموصول، وآمنين: حال من الواو في تتركون؛ أي: في الذي استقر في هذا المكان من النعيم، ثم فسره بقوله: ﴿فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ في جنات: بدل من قوله: فيما هاهنا بإعادة الجار، وما بعده: عطف على جنات، وطلعها: مبتدأ، وهضيم: خبر، والجملة: صفة لنخل. ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ﴾ الواو: حرف عطف، وتنحتون: عطف على تتركون، فهو في حيز الاستفهام الإنكاري التوبيخي، ومحل جملة الاستفهام التوبيخية: نصب على الحال، ومن الجبال: جار ومجرور متعلقان بتنحتون، وبيوتاً: مفعول به، وفارهين: حال، وقد مرت جملة مماثلة فيها النحت، الذي هو: النحر والبري. ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ تقدم إعرابها. ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الواو: للحال، ولا: ناهية، وتطيعوا: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو: فاعل، وأمر المسرفين: مفعول، وسيأتي معنى إطاعة الأمر في باب البلاغة. ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ الذين: صفة للمسرفين، وجملة يفسدون: صلة، وفي الأرض: متعلقان بيفسدون، ولا يصلحون: عطف على قوله: يفسدون، وسيأتي سر العطف في باب البلاغة. ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ إنما: كافة ومكفوفة، وأنت: مبتدأ، ومن المسحرين: خبر؛ أي: الذين سحروا كثيراً؛ حتى غلب السحر على عقولهم، والجملة: مقول القول. وقيل: المسحر هو: المعلَّل بالطعام، والشراب، فيكون المسحر: الذي له سَحْر، وهو الرئة، فكأنهم قالوا: إنما أنت بشر مثلنا تأكل وتشرب.

﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ما: نافية، وأنت: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وبشر: خبر، ومثلنا: صفة، فائت: الفاء: الفصيحة؛ أي: إن كنت صادقاً كما تزعم فائت، وبآية: متعلقان بقوله: فائت، وإن: شرطية، وكنت: كن، واسمها، وهو في محل جزم فعل الشرط،

ومن الصادقين: خبر كنت، وجواب إن: محذوف دل عليه ما قبله؛ أي: فائت بآيةٍ. ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ هذه: مبتدأ، وناقة: خبر، والجملة: مقول القول، ولها: خبر مقدم، وشرب: مبتدأ مؤخر، والجملة: صفة لناقة، ولكم: خبرمقدم، وشرب يوم: مبتدأ مؤخر، ومعلوم: صفة ليوم. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ الواو: عاطفة، ولا: ناهية، وتمسوها: فعل مضارع مجزوم بلا، والواو: فاعل، والهاء: مفعول به، وبسوء: متعلقان بتمسوها، فيأخذكم: الفاء: هي السببية، ويأخذكم: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء، والكاف: مفعول به، وعذاب: فاعل، ويوم: مضاف إليه، وعظيم: صفة يوم. ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وعقروها: فعل، وفاعل، ومفعول به، فأصبحوا: الفاء: عاطفة، وأصبحوا نادمين: فعل ماض ناقص، والواو: اسمها، ونادمين: خبرها، ولك أن تجعل أصبحوا: تامة، والواو: فاعل، ونادمين: حال، وسيأتي في قصة صالح ما يرجح: أنها تامة. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وأخذهم: فعل ماض، ومفعول به مقدم، والعذاب: فاعل مؤخر، وجملة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ تعليل للأخذ، والواو: حالية، أو: عاطفة، وما: نافية، وكان واسمها وخبرها. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تقدم إعرابها كثيراً.

□ البلاغة:

١ ـ في قوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ مجاز عقلي؛ لأنَّ الأمر لا يطاع وإنما هو صاحبه؛ أي: ولا تطيعوا المسرفين في أمرهم.

٢ ـ الإرداف:

فقد كان يكفي أن يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ولكنه لما كان قوله: يفسدون؛ لا ينفي صلاحهم أحياناً؛ أردفه بقوله: ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ لبيان كمال إفسادهم، وإسرافهم فيه.

* الفوائـد:

قصة صالح:

في القرطبي: «أوحى الله إلى صالح: أنَّ قومك سيعقرون ناقتك، فقال لهم ذلك، فقالوا: ما كنا لنفعل، فقال لهم صالح: إنَّه سيولد في شهركم هذا غلامٌ يعقرها، ويكون هلاككم على يديه، فقالوا: لا يولد في هذا الشهر ذكر إلا قتلناه، فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر، فذبحوا أبناءهم، ثم للعاشر، فأبى أن يذبح ابنه، وكان لم يولد له قبل ذلك، فكان ابن العاشر أزرق، أحمر، فنبت نباتاً سريعاً، فكان إذا مر بالتسعة فرأوه قالوا: لو كان أبناؤنا أحياء؛ لكانوا مثل هذا، وغضب التسعة على صالح؛ لأنه كان سبباً لقتلهم أبناءهم فتعصبوا، وتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله، فقالوا: نخرج إلى سفر، فيرى الناس سفرنا، فنكون في غار؛ حتى إذا كان الليل، وخرج صالح إلى مسجده؛ أتيناه، فقتلناه، ثم قلنا: ما شهدنا مهلك أهله، وإنا لصادقون، فيصدقونا، ويعلمون: أنا قد خرجنا إلى سفر، وكان صالح لا ينام معهم في القرية، بل كان ينام في المسجد، فإذا أصبح أتاهم، فوعظهم، فلما دخلوا الغار؛ أرادوا أن يخرجوا، فسقط عليهم الغار، فقتلهم، فرأى ذلك الناس ممن كان قد اطلع على ذلك، فصاحوا في القرية: يا عباد الله أما رضي صالح أن أمر بقتلهم أولادهم حتى قتلهم، فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة.

رواية عقر الناقة:

وروي: أنَّ مسطعاً ألجأ الناقة إلى مضيق في شعب، فرماها بسهم، فأصاب رجلها، فسقطت، ثم ضربها قدار، وقيل: إنه قال: لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين، فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون: أترضين؟ فتقول: نعم، وكذلك صبيانهم.

هذا وقد ضُرِبَ بقدار المثل في الشؤم، فقال زهير مشيراً إليه وقد غلط، فجعله أحمر عاد، مع أنه أحمر ثمود، وذلك في أبيات له يصف الحرب، ويحذر

قومه من مغابها، ونوردها هنا جملة لأهميتها:

وما الحربُ إلا ما علمتمْ وَذُقْتُم
وما هو عنها بالحديثِ المرجَّمِ
متى تبعثُوها تبعثُوها ذَميمَةً
وتَضْرَ إذا ضَرَّيتُموها فتضْرَمِ
فتعرككم عركَ الرحىٰ بثفالها
وتلقحْ كِشافاً ثم تنتجْ فتئتمِ
فتنتجْ لكُم غِلمانَ أشأمَ كلّهم
كأحمرَ عَادٍ ثم تُرضِعْ فتفطمِ

أي: أنها تلد لكم أبناء كل واحدٍ منهم يضاهي في الشؤم عاقر الناقة، وهو: قدار بن سالف.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلذُّكْرَانَ ﴾: أحد جموع الذكر، والذكر: خلاف الأنثى، وفي «المختار»: الذكر ضد الأنثى، وجمعه: ذكور، وذكران، وذكارة؛ كحجارة» وأورد له في

«القاموس» جموعاً عديدة فقال: «وجمعه: ذكور، وذكورة، وذكران، وذِكار، وذكارة، وذِكَرة».

﴿ٱلْقَالِينَ﴾ : المبغضين، والقلى: البغض الشديد؛ كأنَّه بغض يقلي الفؤاد والكبد، وفي «المصباح»: «وقليت الرجل، أقليه، من باب رمى، قِلىً بالكسر والقصر، وقد يمد: إذا أبغضته، ومن باب تعب لغة» وعبارة «القاموس»: «قلاه؛ كرماه، ورضيه، قلىً، وقَلاء، ومَقْلية: أبغضه؛ وكرهه غاية الكراهة، فتركه، أو قلاه: في الهجر، وقليه: في البغض».

﴿ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ : قال في «الكشاف» «ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك: غير الناجين» وفي «المصباح»: «غبر، غبوراً، من باب قعد: بقي، وقد يستعمل فيما مضى أيضاً، فيكون من الأضداد، وقال الزبيدي: غبر غبوراً: مكث، وفي لغة بالمهملة للماضي، وبالمعجمة للباقي، وغُبَّر الشيء وزان سكر: بقيته» وفي «القاموس»: «غبر، غبوراً: مكث، وذهب ضد، وهو غابر، من غُبَّر؛ كركّع، وغُبْرُ الشيء بالضم: بقيته».

○ الإعـراب:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ جملة مستأنفة مسوقة للشروع في القصة السادسة. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ لم يكن لوط أخاهم في النسب، وإنما جعله أخاهم جرياً على أساليبهم؛ كما تقدم، أو باعتبار أنه كان ساكناً، ومجاوراً لهم في قريتهم. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ صدَّر كل قصة بهذه الآيات، وقد تقدم إعرابها، فجدد به عهداً. ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وتأتون الذكران: فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به؛ ومحل جملة الاستفهام التوبيخية: النصب على الحال، ومن العالمين: حال. ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ وتذرون: عطف على تأتون، داخل في حيز الاستفهام التوبيخي، وهو فعل مضارع، وفاعل، وما: مفعول به، وجملة خلق لكم ربكم: صلة، ومن أزواجكم: حال على أن «من»

للتبيين، ويجوز أن تكون للتبعيض، وسيأتي تفصيل هذا كله في باب البلاغة، وبل: حرف إضراب انتقالي، وأنتم: مبتدأ، وقوم: خبر، وعادون: صفة، أي: متجاوزون الحلال إلى الحرام؛ لأن معنى العادي: المتعدي في ظله، المتجاوز فيه الحد. ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ قالوا: فعل ماض، وفاعل، ولئن: اللام موطئة للقسم، وإن: شرطية، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتنته: فعل مضارع مجزوم بلم، ولتكونن: اللام واقعة في جواب القسم، وتكونن: فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والواو: اسم تكونن، ومن المخرجين: خبر؛ أي: من جملة من أخرجناهم، وسيأتي تفصيل مسهب عن هذا التعبير في باب البلاغة. ﴿ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾ إنَّ، واسمها، ولعملكم: متعلقان بالقالين، ومن القالين: خبر إنَّ، والجملة: مقول القول، وتشدد بضعهم فقال في حواشي البيضاوي ما يلي: «من القالين»: متعلقان بمحذوف؛ أي: لقالٍ من القالين، وذلك المحذوف: خبر إنَّ، ومن القالين: صفة، ولعملكم: متعلقان بالخبر المحذوف، ولو جعل من القالين خبر إن؛ لعمل القالين في لعملكم، فيفضي إلى تقديم معمول الصلة على الموصول؛ وهو أل؛ مع أنه لا يجوز. قلت: وهذا على دقته وملاءمته للقواعد فيه تكلف شديد يخرجه إلى الإحالة، ولا داعي لهذا التشدد؛ مع أن استعمال أل موصولاً يكاد يكون نادراً.

﴿ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ رب: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وقد حذف منه حرف النداء، ونجني: فعل أمر للدعاء، والياء: مفعول به، وأهلي: مفعول معه، أو: معطوف على الياء، ومما: متعلقان بنجني، وجملة يعملون: صلة ما. ﴿ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف مقدر؛ لتتساوق القصة، ونجيناه: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وأهله: مفعول معه، أو معطوف على الهاء، وأجمعين: تأكيد. ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴾ إلا: أداة استثناء، وعجوزاً: مستثنى بإلا، وهي امرأته، وفي الغابرين: صفة لعجوزاً؛ كأنه قيل: إلا عجوزاً غابرة. ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾

عطف على ما تقدم. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ وأمطرنا: عطف على دمرنا، وعليهم: متعلقان بأمطرنا، ومطراً مفعول به، فساء: الفاء حرف عطف، وساء: فعل للذم، ومطر المنذرين: فاعل ساء، والمخصوص بالذم محذوف، وهو: مطرهم، والمراد بالمطر: الحجارة التي انثالت عليهم. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إن وخبرها المقدم، واسمها المؤخر، والواو: حالية، وما: نافية، وكان، واسمها، وخبرها. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تقدم إعرابها كثيراً.

□ البلاغة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ في هذه الآية الإبهام بقوله ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ﴾ وقد أراد به أقبالهنَّ، وفي ذلك مراعاة للحشمة والتصون، و«مِنْ» تحتمل البيان، وتحتمل التبعيض.

٢ ـ العدول إلى الصفة:

في قوله: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ عدول عن الجملة الفعلية إلى الصفة، وكثيراً ما ورد في القرآن ـ خصوصاً في هذه الصورة ـ العدول عن التعبير بالفعل إلى التعبير بالصفة المشتقة، ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع؛ كقول فرعون: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ وأمثاله كثيرة، والسر في ذلك: أن التعبير بالفعل إنما يفهم وقوعه خاصة، وأما التعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع فإنه يفهم أمراً زائداً على وقوعه، وهو: أن الصفة المذكورة كالسمة للموصوف، ثابتة العلوق به؛ كأنها لقب؛ وكأنه من طائفة صارت من هذا النوع المخصوص المشهور ببعض السمات الرديئة، استمع إلى قوله تعالى: ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ كيف ألحقهم لقباً رديئاً، وصيّرهم من نوع رذل مشهور بسمة التخلف؛ حتى صارت له لقباً لاصقاً به، وهذا عام في كل ما يرد عليك، وورد فيما مضى من أمثال ذلك، فتدبره، واقدره قدره.

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ لْـَٔيْكَةِ ﴾ : في اللغة: الشجرة الكثيفة، وجمعها: أيك، قال في «القاموس»: «أيك، يأيك، من باب تعب، أيكاً، واستأيك الشجر: التف وصار أيكة، والأيك: الشجر الكثيف الملتف، الواحدة: أيكة» فتطلق الأيكة على الواحدة من الأيك، وعلى غيضة شجر ملتفة قرب مدين، قالوا: وكان شجرهم الدوم، وهي قرية شعيب، سميت باسم بانيها مدين بن إبراهيم، بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام، وقد اختلف المفسرون، واللغويون فيها، وسننقل لك بعض ما قالوه.

قال الزمخشري:

«قرىء ﴿ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ﴾ بالهمزة، وبتخفيفها، وبالجر على الإضافة، وهو الوجه، ومن قرأ بالنصب، وزعم أنَّ: ليكة، بوزن ليلة: اسم بلد فتوهمٌ، قاد إليه خط المصحف، حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة، وفي سورة (ص) بغير ألف، وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط

المصطلح عليه، وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ؛ كما يكتب أصحاب النحو لأنَّ، ولولا على هذه الصورة؛ لبيان لفظ المخفّف، وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل، والقصة واحدة، على أن: ليكة اسم لا يعرف، وروي: أنَّ أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف، وكان شجرهم الدوم».

وقال الجلال السيوطي:

«وفي قراءة بحذف الهمزة، وإلقاء حركتها على اللام، وفتح الهاء، وهي: غيضة شجر قرب مدين» وهذا الصنيع يقتضي: أنَّ اللام الموجودة لام التعريف، وحينئذ لا يصحُّ قوله: وفتح الهاء؛ إذ الاسم المقرون بأل؛ سواء كانت معرفة، أو غيرها؛ يجر بالكسرة؛ سواء وقع فيه نقل أم لا، ووجه بعضهم فتح الهاء: بأن الاسم بوزن ليلة، فاللام من بنية الكلمة، ولا نقل، بل حركة اللام أصلية، فجرُّه بالفتحة حينئذٍ ظاهر.

وقال الشهاب الخفاجي:

«وقد استشكل هذه القراءة أبو علي الفارسي، وغيره؛ بأنه لا وجه للفتح؛ لأن نقل حركة الهمزة لا يقتضي تغيير الإعراب من الكسر إلى الفتح. وأجيب: بأن ليكة على هذه القراءة: اسم البلدة، وهي غير مصروفة للعلمية والتأنيث، واللام فيها جزء من الكلمة، لا المعرفة؛ لأنها توجب الصرف، فقول القائل: إنها على النقل؛ غير صحيح، وبهذا اندفع ما قاله النحاة، فإنهم نسبوا هذه القراءة إلى التحريف».

وقد أطال السمين الحلبي في توجيه هذه القراءة جداً ونصه:

«قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر: ليكةَ، بلام واحدة، وفتح التاء، جعلوه اسماً غير معرف بأل مضافاً إليه أصحاب هنا، وفي «ص» خاصة، والباقون: الأيكة معرفاً بأل موافقة لما أجمع عليه في «الحجر» وفي «ق»، وقد اضطربت أقوال الناس في القراءة الأولى، وتجرأ بعضهم على قارئها وسأذكر

لك من ذلك طرفاً: فوجهها على ما قال أبو عبيدة: أنَّ ليكة اسم للقرية التي كانوا فيها، والأيكة اسم للبلاد كلها، فصار الفرق بينهما شبيهاً بما بين مكة وبكة».

وقال صاحب «القاموس»:

«ومن قرأ الأيكة فهي: الغيضة، ومن قرأ ليكة فهي: اسم القرية، وموضعه اللام، ووقع في البخاري: اللايكة، جمع: أيكة، وكأنه وهم».

وقال شارحه في «التاج»:

«قوله: وكأنه وهم؛ لأنه ليس له وجه، ولم يتكلم به أحد من الأئمة، ولكنه رضي الله عنه ثقة فيما ينقل، فينبغي أن يحسن الظن به، وقد أجاب عنه شراحه وصححوه».

وقال أبو البقاء:

«﴿أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ يقرأ بكسر التاء مع تحقيق الهمزة وتخفيفها بالإلقاء، وهو مثل: الأنثى، والانثى، وقرىء: ليكة بياء بعد اللام، وفتح التاء، وهذا لا يستقيم؛ إذ ليس في الكلام: ليكة؛ حتى يجعل علماً فإن ادعي قلب الهمزة لاماً فهو في غاية البعد».

الأيك والحمام في الشعر:

هذا وقد استهوى الأيك وحمامه الشعراء فكثرت أشعارهم فيه، أنشد أبو حاتم لرجل من بني نهشل:

أُلامَ على فيضِ الدُّموعِ وإنَّني
بفيضِ الدُّموعِ الجارياتِ جديرُ

أيبكي حمامُ الأيكِ مِنْ فَقْدِ إلفِه
وأصبِرُ عنها إنَّني لصَبُورُ

وأنشد الرياشي عن الأصمعي، قال: أنشدني منتجع بن نبهان لرجل من بني الصّيداء:

دعت فوق أفنان من الأيك موهناً
مطوقة ورقاء في إثر آلف
فهاجتْ عقابيلُ الهوىٰ إذْ ترنَّمتْ
وشبت ضرامُ الشَّوق تحتَ الشَّراسِفِ
بكتْ بجفونٍ دمعُها غيرُ ذارفٍ
وأغرتْ جفوني بالدُّموعِ الذَّوارفِ

والطريف في هذا الباب قول عوف بن محلِّم:

ألا يا حمامَ الأيكِ إلفُكَ حاضرٌ
وغصنُك ميَّادٌ فَفِيْمَ تنوحُ
أَفِقْ لا تنحْ مِنْ غيرِ شيءٍ فإنَّني
بكيتُ زماناً والفؤادُ صحيحُ
ولوعاً فشطَّت غربةً دارُ زينبٍ
فها أنا أبكي والفؤادُ جريحُ

﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾: بكسر القاف، وضمها، وقد قرىء بهما: الميزان السَّوي، فإن كان من القسط، وهو العدل، وجعلت العين مكررة، فوزنه فعلاس، وإلا فهو رباعي، وقيل: هو بالرومية العدل.

﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾: ولا تفسدوا، يقال: عثا في الأرض، وعثي، وذلك نحو قطع الطريق، والغارة، وإهلاك الزروع، وفي «المختار»: «عثا في الأرض: أفسد، وبابه: سما، وعثي بالكسر عثواً أيضاً، وعثى بفتحتين بوزن فتى، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ قلت: قال الأزهري: القراء كلهم متفقون على فتح الثاء، دلَّ على أن القرآن نزل باللغة الثانية».

﴿وَٱلْجِبِلَّةَ﴾: بكسر الجيم والباء، وتشديد اللام المفتوحة: الخلق المتحد الغليظ، وفي القاموس «الجَبْلة، والجبْلة، والجَبَلة، والجبلّة وهي التي قرىء بها: الوجه وما استقبلك منه، والخلقة، والطبيعة، والأصل والقوة، وصلابة الأرض» والجبل بفتح الجيم مع سكون الباء مصدر، جبله الله على كذا؛ أي:

طبعه، وخلقه، واسم الطبيعة: جبلة، ولهذه الكلمة بهذا المعنى ألفاظ كثيرة، وهي: الجبلة، والخيم، والطبع، والنحيزة، والطبيعة، والنبيتة، والضريبة، والسجية، والشنشنة، والخليقة، والسليقة، والشيمة، والغريزة، والنجار، وقد نظم بعضهم معاني الجبل فقال:

قد جبل الله الطباع جَبْلا   وسُمِيَ المالُ الكثير جِبْلا
وعددُ الناسِ الكثيرُ جُبْلا   بالضَّم إن أردتَ أو بالكسر
وجهٌ وقوةٌ وغيثٌ جَبْلة   وامرأة غليظةٌ والجِبْلَهْ
جماعةٌ أو كثرةٌ كالجُبُله   لقدحٍ من خشبٍ ذي كبر

﴿كِسَفًا﴾: بكسر الكاف، وفتح السين، وقرىء: كسْفاً بسكون السين، وكلاهما جمع: كسفة، نحو قطع، وسدر، وقال أبو عبيدة: «الكسف: جمع: كسفة، مثل: سدر، وسدرة، وقرأ السلمي وحفص: كِسَفاً؛ جمع: كسفة أيضاً، وهي القطعة، والجانب، مثل: كسرة، وكسر» وفي «الصحاح»: «الكسفة من الشيء، يقال: أعطني كسفة من ثوبك أي: قطعة، ويقال: الكسف والكسفة واحد» وقال الأخفش «من قرأ: «كسفاً من السماء» جعله واحد، ومن قرأ «كسفاً» جعله جمعاً».

﴿ٱلظُّلَّةِ﴾: المظلة الضيقة، وما يستظل به من الحرِّ، أو البرد، وما أظلك كالشجر، والجمع: ظُلل، وظلال، ويوم الظلة اشتهر بعذابهم، فقد رنقت فوقهم سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم، فأمطرت عليهم ناراً، فاحترقوا.

○ الإعراب:

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لذكر القصة السابعة والأخيرة في هذه السورة. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ تقدمت هذه الآية وما بعدها في جميع القصص السبع، وسيأتي سر ذلك في باب البلاغة. ولم يقل أخوهم؛ كما قال في الأنبياء قبله؛ لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة في النسب، فلما ذكر مدين قال: أخاهم شعيباً؛ لأنه كان منهم. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ

أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ آيات تقدمت في القصص السبع. ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ أوفوا: فعل أمر، وفاعل، والكيل: مفعول به، والواو: حرف عطف، ولا: ناهية، وتكونوا: فعل مضارع ناقص مجزوم بلا، والواو: اسمها، ومن المخسرين: خبر تكونوا، قال الزمخشري: «الكيل على ثلاثة أضرب: وافٍ وطفيف، وزائد، فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء، ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف، ولم يذكر الزائد، وكأن تركه عن الأمر والنهي دليل على أنه إن فعله فقد أحسن، وإن لم يفعله فلا عليه». ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ إعرابها واضح. ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ الواو: عاطفة، ولا: ناهية، وتبخسوا: فعل مضارع مجزوم بلا، والواو: فاعل، والناس: مفعول به أول، وأشياءهم: مفعول به ثان. وفي أقوالهم: «لا تبخس أخاك حقه». ولاتعثوا عطف: على: ولا تبخسوا، وفي الأرض: جار ومجرور متعلقان بتعثوا، ومفسدين: حال مؤكدة لمعنى عاملها، وأما لفظهما فمختلف. ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ الواو: عاطفة، واتقوا: فعل أمر، وفاعل، والذي: مفعول به، وجملة خلقكم: صلة، والجبلة: عطف على الذي، والأولين: صفة للجبلة. ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ إنما: كافة ومكفوفة، وأنت: مبتدأ، ومن المسحرين: خبر، والجملة: مقول القول. ﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وأنت: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وبشر: خبر، ومثلنا: نعت لبشر، والواو: حرف عطف، وإن: مخففة من الثقيلة، واسمها: محذوف، ونظنك: فعل مضارع مرفوع، والفاعل مستتر، تقديره: نحن، والكاف: مفعول به، واللام: الفارقة، ومن الكاذبين: خبر. قال الزمخشري: «فإن قلت: إن المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه؟ قلت: أصلهما أن تتفرقا على المبتدأ والخبر؛ كقولك: إن زيد لمنطلق فلما كان البابان ـ أعني: باب كان وباب ظننت ـ من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين، فقيل: إن كان زيد لمنطلقاً، وإن ظننته لمنطلقاً». ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ الفاء: الفصيحة، وأسقط: فعل أمر، وعلينا: متعلقان بأسقط، وكسفاً: مفعول به، ومن السماء: صفة لكسفاً، وإن شرطية، وكنت: فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء: اسمها، ومن الصادقين: خبر كنت، وجواب الشرط: محذوف دل عليه ما قبله؛ أي: فأسقط علينا. ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ ربي: مبتدأ، وأعلم: خبر، والجملة: مقول القول، وبما: متعلقان بأعلم، وجملة تعملون: لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ الفاء: عاطفة، وكذبوه: فعل، وفاعل، ومفعول به، فأخذهم: فعل، ومفعول به، وعذاب يوم الظلة: فاعل، وإنَّ، واسمها، وجملة كان: خبرها، واسم كان: ضمير مستتر، تقديره: هو، وعذاب خبر كان، ويوم: مضاف إليه، وعظيم: صفة. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تقدم إعرابها.

□ البلاغة:

فن التكرير:

في هذه القصص السبع كرر في أول كلِّ قصة، وفي آخرها ما كرر، مما أشرنا إليه؛ لأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وترسيخاً لها في الصدور مع تعليق كل واحدة بعلة، وفن التكرير فن دقيق المأخذ، وربما اشتبه على أكثر الناس بالإطناب مرةً، وبالتطويل مرةً أخرى، وهو ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول من التكرير:

يوجد في اللفظ والمعنى؛ كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع، ومنه قول أبي الطيب المتنبي:

ولَـمْ أرَ مثـل جيرانـي ومثلـي　　لمثلـي عِنْـدَ مِثْلِهـم مُقَـامُ

القسم الثاني من التكرير:

يوجد في المعنى دون اللفظ؛ كقولك: أطعني، ولا تعص أوامري، فإنَّ الأمر بالطاعة نهيٌ عن المعصية.

وعلى كل حال ليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره.

وزعم قومٌ أنَّ أبا الطيب المتنبي أتى بتكرير لا حاجة به إليه في قوله:

العارضُ الهتِنُ بنُ العارضِ الهَتِنِ

بن العارض الهَتِن بنِ العارضِ الهَتِن

وليس في هذا البيت من تكرير فإنه كقولك: الموصوف بكذا وكذا، ابن الموصوف بكذا وكذا؛ أي: إنه عريق النسب في هذا الوصف، وقد ورد في الحديث النبوي مثله؛ كقوله ﷺ في وصف يوسف النبي: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» فالبيت كالحديث النبوي من جهة المعنى لكنه انحط عن الحديث من جهة ألفاظه، وهي ألفاظ إذا استعملت مفردة كانت حسنة، ولكن إيرادها على هذا الوجه المتداخل هو الذي شوه جمالها، وأحالها إلى ضرب من المغالطة اللفظية، غضت منها، وهذا أمر مرده إلى الذوق وحده، فهو الفيصل الذي يحكم في هذه الأمور، وما أحسن ما قال الفيلسوف الفرنسي فولتير «ذوقك أستاذك».

التكرير غير المفيد:

أما إذا كان التكرير غير مفيد فهو: العي الفاحش، ومن العجيب أن يتورط شاعر كأبي الطيب المتنبي، فيورد البيت الذي أوردناه في مستهل هذا البحث وهو:

ولَمْ أرَ مِثْلَ جيراني ومِثْلِي لِمثْلي عِنْدَ مِثْلِهم مُقَام

ألا ترى أنه يقول: لم أر مثل جيراني في سوء الجوار، ولا مثلي في مسايرتهم ومقامي عندهم، إلا أنه قد كرر هذا المعنى في البيت مرتين، ومثله قوله:

وقلقلت بالهمِّ الذي قَلْقَلَ الحشَا

قلاقل دَهْرٍ كلُّهُنَّ قلاقِلُ

وكذلك قوله:

عَظُمَتَ فلمَّا لَمْ تكلمْ مهابةً
تواضعتَ وهو العِظمُ عِظماً على عِظم

قال أحد النقاد القدامى فيه: «ولو سمي هذا البيت جبانة لكان لائقاً به» والظاهر أن هذا الناقد يكره التكرير وقد صور له كرهه إياه قصيدة ابن الرومي في المرأة التي أولها:

أجنت لك الوَجْد أغصانٌ وكثبانُ
فيهنَّ نوعانِ تفّاحٌ ورمانُ

غير جميلة أو من هذا الضرب، فقال: «هذه دار البطيخ فاقرؤوا نسيبها تعلموا ذلك».

ولسنا ننكر أن ابن الرومي قد بالغ في غزلها، وأكثر من ذكر العناب، والبان، والنرجس، ولكنه واقع موقعه، ولا سبيل إلى النيل منه. ونعود إلى أبي الطيب، فقد أكثر من التكرير حتى أسَفَّ في كثير من أبياته؛ مع أنه شاعر العربية الأول فقال:

أسدٌ فرائسها الأسودُ يقودُها
أَسَدٌ تصير له الأسودُ ثعالبا

قال ابن رشيق: «ما أدري كيف تخلص من هذه الغابة المملوءة أسوداً» وقال الأصمعي لمن أنشده قوله:

فما للنَّوى جذ النَّوى قطع النَّوى
كذاك النَّوى قطّاعةٌ لوصالِ

«لو سلط الله على هذا النوى شاة لأكلته كله».

وأما قول أبي نواس:

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يوم التَّرحل خامسُ

فقال ابن الأثير في المثل السائر: «مراده أنهم أقاموا أربعة أيام ويا عجباً له

يأتي بمثل هذا البيت السخيف الدال على العي الفاحش في ضمن تلك الأبيات العجيبة الحسن وهي:

ودار نـدامـى عطَّلـوهـا وأدلَجُـوا
بهـا أثـر منهـم جـديـدٌ ودارسٌ

مساحب من جرِّ الزِّقاقِ على الثَّرى
وأضغـاث ريحـانٍ جنـيٌّ ويـابـسُ

حبستُ بها صحبي فجددتُ عهدَهمْ
وإنِّـي على أمثـالِ تلـك لحـابـسُ

تُـدارُ علينـا الـرَّاحُ في عسجـديـةٍ
حَبَتْهـا بـأنـواع التَّصـاويـرِ فـارسُ

قـرارتُهـا كِسْرى وفي جنبـاتِهـا
مهـا تـدريهـا بـالقسـيِّ الفـوارس

فللـرَّاحِ مـازرّتْ عليـه جيـوبهـا
وللمـاءِ مـا دارتْ عليـه القـلانِـسُ

وقد أخطأ ابن الأثير، وفهم البيت خطأ، ولم يمعن النظر فيه، فنقده، ولو أنه أمعن النظر لما قال فيه هذا القول، والمعنى الصحيح: إن المقام ستة أيام لأنه قال وثالثاً ويوماً آخر له اليوم الذي رحلنا فيه خامس.

وأبو نواس أجل قدراً من أن يسفَّ، ويأتي بهذه العبارة لغير معنى طائل، وله في الخمر أبيات منقطعة النظير، وقد تدق على الأفهام، حكي عنه أنه ذكر عند الرشيد قوله:

فاسْقِني البِكْرَ التي اعتَجَرتْ بخمـار الشَّيـبِ في الـرَّحـمِ

فقال الرشيد لمن حضر: ما معناه؟ فقال أحدهم: إنَّ الخمر إذا كانت في دنّها كان عليه شيءٌ مثل الزبد، فهو الشيب الذي أراده، وكان الأصمعي حاضراً فقال: يا أمير المؤمنين إن أبا علي أجل خطراً، وإن معانيه لخفية، فاسألوه عن ذلك. فأحضر، وسئل، فقال: إن الكرم أول ما يخرج العنقود في

الزرجون يكون عليه شيء يشبه القطن. فقال الأصمعي: ألم أقل لكم إن أبا نواس أدق نظراً مما قلتم؟

عود إلى الآيات:

ونعود فنقول: إنما كرر القرآن هذه الآيات في أول كل قصة وآخرها؛ لأن هذه القصص قرعت بها آذان أصابها وقر، وقلوب غلف، فلم يكن بد من مراجعتها بالترديد والتكرير؛ لعل ذلك يفتح مغالقها، ويجلو ما تحيَّفها من صدأ. وسيأتي من التكرير في القرآن ما يسكر النفوس، ويخلب الألباب.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴾: قال الزمخشري: الأعجم: الذي لا يفصح، وفي لسانه عجمة واستعجام، والأعجمي: مثله؛ إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد، وقرأ الحسن: الأعجميين، ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له: أعجم، وأعجمي، شبهوه بمن لا يفصح، ولا يبين، وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها: أعجم.

قال حميد:

ولا عربياً شاقَهُ صوتُ أعجَما

قلت: وهذا عجز بيت وصدره:

ولمْ أرَ مثلي شاقَهُ صوتُ مثلها

والبيت من أبيات لحميد بن ثور وقد رحلت صاحبته ومنها:

وما هاجَ هذا الشَّوقَ إلا حمامةٌ دَعَتْ ساقَ حر تَرْحةً وتندُّما
عجبتُ لها أنّى يكونُ غناؤها فصيحاً ولم تفغرْ بمنطقها فما
ولَمْ أرَ مثلي شاقَهُ صوتُ مثلها ولا عربياً شاقه صوتُ أعجما

وساق حر: مركب إضافي وهو ذكر الحمام مطلقاً، يقول: وما حرك هذا الشوق، وبعثه، فتوقد في قلبي إلا حمامةٌ دعت ذكرها، والترحة: الحزن ضد الفرحة، والتندم: التأسف على ما فات، ويروى: وترنما، وهو: تحسين الصوت، وهما نصب على الحالية. أي: حزينة ومتأسفة أو ذات ترحة وذات تندم، وأنى: اسم استفهام بمعنى: كيف، والاستفهام معناه هنا: التعجب، وفغر فاه، يفغره، من باب نفع: فتحه؛ أي: والحال أنها لم تفتح فمها بنطقها، وإنما يخرج صوتها من صدرها، وشاقه: تسبب له في الشوق، والعربي: المفصح، والأعجم: الذي لا يفصح من الحيوان، نقلته العرب لمن لا يفهمون كلامه، ولا يفقهون مراده، وربما ألحقوه ياء النسب للمبالغة في شدة العجمة، وبينه وبين عربي طباق التضاد.

واستشكل كيف يجمع الأعجم جمع المذكر السالم، وهو وصف على وزن أفعل في المذكر، وعلى وزن فعلاء في المؤنث، وشرط الجمع بالياء والنون، أو بالواو والنون: أن لا يكون الوصف كذلك، وأجيب: بأنه جمع أعجمي بياء النسب، وحذفت للتخفيف، كأشعرين في أشعري، والكوفيون يجيزون جمع أفعل فعلاء جمع المذكر السالم، وقال صاحب «التحرير»: «قوله على بعض الأعجمين جمع أعجمي، ولولا هذا التقدير لم يجز أن يجمع جمع سلامة».

وعبارة «القاموس»: «العجم، بالضم، وبالتحريك: خلاف العرب، ورجل، وقوم أعجم، والأعجم: من لا يفصح؛ كالأعجمي، والأخرس، وزياد الشاعر، والموج لا يتنفس، فلا ينضج ماء، ولا يسمع له صوت، والعجمي من جنسه العجم وإن أفصح، وجمعه: عَجَم».

○ الإعراب:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الواو: استئنافية، والجملة: مستأنفة مسوقة لتقرير حقيقة تلك القصص، وتأكيد نبوة محمد ﷺ، فإنَّ إخباره عن الأمم المتقدمة، وهو الأمي الذي لا يقرأ، ولا يكتب، لا يكون إلا عن طريق الوحي، والضمير: يعود على القرآن؛ لأن هذه القصص جزء منه. وإنَّ واسمها، واللام: المزحلقة، وتنزيل رب العالمين: خبرها. ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ الجملة: صفة لتنزيل، وبه: في موضع الحال، أي: متلبساً به فالباء للملابسة، والروح: فاعل، والأمين: صفة، وعلى قلبك: متعلقان بنزل، واللام: للتعليل، وتكون فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد اللام، ومن المؤمنين: خبر تكون. ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ بلسان: جار ومجرور متعلقان بالمنذرين؛ لأنه اسم مفعول، أي: من الذين أنذروا بهذا اللسان العربي، وهم: هود، وصالح، وشعيب، واسماعيل، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، أو أنه بدل من قوله: به، بإعادة العامل؛ أي: نزل بلسان عربي؛ أي: باللغة العربية. ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ عطف على ما تقدم، وإن واسمها، واللام: المزحلقة، وفي زبر الأولين: خبر إن، يعني: أنَّ ذكره مثبت في الكتب السماوية. ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي التقريعي، والواو: عاطفة على مقدر، ولم: حرف نفي وقلب وجزم، ويكن: فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، ولهم: متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لآية، وتقدم عليها، وآية: خبر يكن المقدم، وأن يعلمه: في تأويل مصدر اسم يكن، وعلماء بني إسرائيل: فاعل يعلمه. وهؤلاء العلماء هم خمسة قد

أخبروا بالقرآن، وهم: عبد الله بن سلام، وأسد، وأسيد، وثعلبة، وابن يامين، وقد أسلموا، وحسن إسلامهم. ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ الواو: عاطفة، ولو: شرطية امتناعية، ونزلناه: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وعلى بعض: الأعجمين متعلقان بنزلناه. ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وقرأه: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على بعض الأعجمين، ومفعول به، وعليهم: متعلقان بقرأه، وجملة ما كانوا مؤمنين: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم وبه: متعلقان بمؤمنين، ومؤمنين: خبر كانوا. ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكاف: نعت لمصدر محذوف مقدم؛ أي: مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم، وقررناه فيها، وسلكناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، وفي قلوب المجرمين: متعلقان بسلكناه. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ الجملة: مستأنفة، أو حالية من الهاء في سلكناه، أو: من المجرمين، فعلى الأول تكون الجملة بمثابة الإيضاح والتلخيص لما تقدم، وعلى الثاني يكون التقدير: سلكناه حالة كونه غير مؤمن به، ولا: نافية، ويؤمنون: فعل مضارع مرفوع، وفاعل، وبه: متعلقان بيؤمنون: وحتى: حرف غاية وجر، ويروا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والواو: فاعل، والعذاب: مفعول به، والأليم: صفة. ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الفاء: حرف للتعقيب، قال الزمخشري: «فإن قلت: ما معنى التعقيب في قوله: فيأتيهم بغتة فيقولوا...؟ قلت: ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود، وإنما المعنى: ترتبها في الشدة؛ كأنه قيل: لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب، فما هو أشد منها، وهو: لحوقه بهم مفاجأة، فما هو أشد منه، وهو: سؤالهم النظرة مع القطع بامتناعها، ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه: إن أسأت مقتك الصالحون، فمقتك الله. فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله عقيب مقت الصالحين، وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء» وهكذا سبر الزمخشري أغوار القرآن الكريم، وألمّ بخفاياه إلمام الخبير بمواقع الأسرار. ويأتيهم: معطوف على يروا،

والفاعل مستتر، تقديره: هو، والهاء: مفعول به، وبغتة: حال، والواو: واو الحال، وهم: مبتدأ، وجملة لا يشعرون: خبر. ﴿فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ الفاء: عاطفة؛ كما تقدم، والكلام كله مقدم من تأخير، ويقولوا: عطف على يأتيهم، وهل: حرف استفهام، ونحن: مبتدأ، ومنظرون: خبر، والجملة: مقول القول، ومعنى الاستفهام هنا: التحسر، والاستبعاد لما هو محال، وهو: إمهالهم بعد حلول العذاب بهم.

* الفوائد:

شروط جمع المذكر السالم:

يشترط في كل ما يجمع جمع المذكر السالم من اسم أو صفة ثلاثة شروط:

آ ـ الخلو من تاء التأنيث فلا يجمع هذا الجمع من الأسماء نحو: طلحة، ولا من الصفات نحو علاّمة ـ بتشديد اللام ـ لئلا يجتمع فيهما علامتا التأنيث والتذكير.

ب ـ أن يكون لمذكر، فلا يجمع هذا الجمع علم المؤنث، نحو: زينب، ولا صفة المؤنث، نحو: حائض.

جـ ـ أن يكون لعاقل؛ لأن هذا الجمع مخصوص بالعقلاء، فلا يجمع نحو: واشق ـ علماً لكلب ـ وسابق ـ صفة لفرس ـ ثم يشترط أن يكون إما علماً غير مركب تركيباً مزجياً، ولا إسنادياً، فلا يجمع المركب المزجي نحو معدي كرب، وسيبويه، وقيل: إن المختوم بويه يجمع هذا الجمع فيقال: سيبويهون، ومنهم من يحذف ويه فيقول سيبون، أما المركب الإضافي: فيجمع أول المتضايفين ويضاف للثاني فيقال: غلامو زيد وغلامي زيد، والكوفيون يجمعونهما معاً، وأما صفة تقبل التاء المقصود بها معنى التأنيث؛ فلا يجمع هذا الجمع، نحو: علامة، ونسابة؛ لأن التاء فيهما لتأكيد المبالغة، لا لقصد معنى التأنيث، أو صفة لا تقبل التاء، ولكنها تدل على التفضيل، فالصفة التي تقبل التاء، نحو: قائم، ومذنب، تقول: قائمة، ومذنبة، والصفة التي تدل

على التفضيل، نحو: أفضل، فهذه الصفات الثلاث تجمع هذا الجمع؛ كما تجمع بالألف والتاء فيقال: قائمون، ومذنبون، وأفضلون، كما يقال: قائمات، ومذنبات، وفضليات، فلا يجمع هذا الجمع نحو: جريح بمعنى: مجروح، وصبور بمعنى: صابر، وسكران، وأحمر، وأعجم، فإنها لا تقبل التاء، ولا تدل على تفضيل؛ لأن جريحاً، وصبوراً، مما يستوي فيه المذكر والمؤنث، وسكران مؤنثه: سكرى، وأحمر مؤنثه: حمراء، وأعجم مؤنثه: عجماء، فلا يقال: جريحون، وصبورون، وسكرانون، وأحمرون، كما لا يقال: جريحات، وصبورات، وسكرانات، وحمراوات، وعجماوات، فلو جعلت أعلاماً جاز الجمعان.

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ الهمزة: للاستفهام التوبيخي، والتهكمي، والإنكاري، والفاء: عاطفة على مقدر يقتضيه المقام، وقد سبق تقريره، والتقدير: أيكون حالهم كما ذكر من طلب الإنظار عند نزول العذاب الأليم فيستعجلون، هكذا قدره بعض المعربين، ولكنه لا يخلو من إبهام، فالأولى أن

يقدر: أيغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون، وقدم الجار والمجرور لأمرين؛ لفظي: وهو مراعاة الفواصل، ومعنوي: وهو الإيذان بأن مصب الإنكار والتوبيخ كون المستعجل به العذاب، والجار والمجرور: متعلقان بيستعجلون. ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾ الهمزة: للاستفهام، والفاء: حرف عطف، ورأيت: معطوف على فيقولوا، وما بينهما اعتراض، والتاء: فاعل رأيت، ورأيت بمعنى: أخبرني، فتتعدى إلى مفعولين، أحدهما مفرد، والآخر جملة استفهامية غالباً، وإن: شرطية، ومتعناهم: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وسنين: ظرف متعلق بمتعناهم.

﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ ثم: حرف عطف، وجاءهم: فعل، ومفعول به، وما: فاعل جاءهم، وجملة كانوا: صلة، والواو: اسم كان، وجملة يوعدون: خبرها.

ثم: تنازع أفرأيت، وجاءهم في قوله: ﴿مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ فإن أعملت الثاني، وهو: جاءهم؛ كما تقدم في الإعراب رفعت به ﴿مَّا كَانُوا۟﴾ فاعلاً به، ومفعول أرأيت الأول ضميره، ولكنه حذف، والمفعول الثاني: وهو الجملة الاستفهامية في قوله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ ولا بد من رابط بين هذه الجملة وبين المفعول الأول المحذوف، وهو مقدر، وتقديره: أفرأيت ما كانوا يوعدونه، وإن أعملت الأول؛ نصبت به ﴿مَّا كَانُوا۟﴾ مفعولاً به، وأضمرت في جاءهم فاعلاً به، والجملة الاستفهامية: مفعول ثان أيضاً، والعائد: مقدر على ما تقرر في الوجه قبله، والشرط معترض، وجوابه: محذوف. وقد تقدم البحث مستوفى في هذا التعبير في سورة الأنعام، وهذا كله إنما يتأتى على قولنا: إنَّ «ما» استفهامية، ولا يضيرنا تفسيرهم لها بالنفي، فإن الاستفهام قد يرد للنفي، وأما إذا جعلتها نافية، فتكون حرفاً، ولا يتأتى ذلك؛ لأن مفعول أرأيت الثاني لا يكون إلا جملة استفهامية، وقد ذكر هذا مفصلاً. كما ذكرت أقوال المعربين في سورة الأنعام، فجدد به عهداً. ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ ما: استفهامية؛ كما تقدم مفعول مقدم لأغنى، وأغنى: فعل

ماض، وعنهم: متعلقان بأغنى، وما مصدرية، أو: موصولة، وعلى كل حال هي ومدخولها، أو: هي وحدها فاعل أغنى، والتقدير: ما أغنى عنهم تمعتهم، أو: ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي، وقيل: ما نافية، ولا فرق بينهما؛ كما تقدم. ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ الواو: عاطفة، أو: استئنافية، وما: نافية، وأهلكنا: فعل، وفاعل، ومن: حرف جر زائد، وقرية: مجرور بمن لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول أهلكنا، وإلا: أداة حصر، ولها: خبر مقدم، ومنذرون: مبتدأ مؤخر، والجملة: صفة لقرية، أو: حال منه، وسوغ ذلك سبق النفي، وقد تقدم للزمخشري رأي جميل في مثل هذا التعبير، ونعيده هنا. قال: «فإن قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد إلا، ولم تعزل عنها في قوله: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ﴾ قلت: الأصل عزل الواو؛ لأن الجملة صفة لقرية، وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف؛ كما في قوله: ﴿سَبۡعَةٌ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾».

﴿ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ مفعول لأجله على معنى: أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة، وجوز أبو البقاء أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف؛ أي: هذه ذكرى، والجملة اعتراضية، وأعربها الكسائي: حالاً؛ أي: مذكرين، وأعربها الزجاج: مصدراً والعامل منذرون؛ لأنه في معنى مذكرون ذكرى؛ أي: هذه ذكرى، والجملة اعتراضية، وأعربها الكسائي: حالاً؛ أي: مذكرين، ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وتنزلت: فعل ماض، وبه: جار ومجرور متعلقان بتنزلت، والضمير للقرآن، والشياطين: فاعل تنزلت ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وينبغي: فعل مضارع، وفاعله: مستتر يعود على القرآن، ولهم: متعلقان بينبغي، وما يستطيعون: عطف على ما ينبغي: ومفعول يستطيعون محذوف، تقديره: ذلك. ﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ الجملة: تعليل لعدم استطاعتهم أن يتنزلوا به، وإن واسمها، وعن السمع: متعلقان بمعزولون،

واللام: المزحلقة، ومعزولون: خبر إن. ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ الفاء: الفصيحة، والخطاب للنبي ﷺ، والمقصود غيره، ولا: ناهية، وتدع فعل مضارع مجزوم بلا، والفاعل مستتر، تقديره: أنت، ومع: ظرف متعلق بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لإلهاً، وتقدم عليه، وإلهاً: مفعول به، وآخر: صفة لإلهاً، فتكون الفاء فاء السببية، وتكون: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء، واسم تكون: مستتر، تقديره: أنت، ومن المعذبين: خبر تكون. ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ الواو: عاطفة، وأنذر فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، وعشيرتك: مفعول به، والأقربين: صفة، وسيأتي بحثٌ وافٍ عن هذا الإنذار في باب الفوائد.

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ عطف أيضاً، واخفض جناحك: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، ولمن: متعلقان باخفض، وجملة اتبعك: صلة مَنْ، ومن المؤمنين: حال. ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ الفاء: عاطفة، وإن: شرطية، وعصوك: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وهو في محل جزم فعل الشرط، فقل: الفاء رابطة للجواب، وإنَّ واسمها، وبريء: خبرها، ومما: متعلقان ببريء، وجملة تعملون: صلة، وجملة إني بريء: مقول القول، ولذلك كسرت همزة إن. ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ عطف على ما تقدم وعلى العزيز متعلقان بتوكل. ﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ الذي: صفة للعزيز الرحيم، وجملة يراك: صلة، وحين: ظرف متعلق بيراك، وجملة تقوم: مجرورة بإضافة الظرف إليها، ومتعلق تقوم: محذوف؛ أي: إلى الصلاة ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ عطف على الكاف في يراك، وفي الساجدين: حال، وفي: بمعنى مع؛ أي: مصلياً مع الجماعة، وعن مقاتل: أنه سأل أبا حنيفة رضي الله عنه: هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن؟ فتلا هذه الآية. وقال بعضهم: المراد بالساجدين: المؤمنون؛ أي: يراك متقلباً في أصلاب وأرحام المؤمنين منذ زمن آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ إنَّ واسمها، وهو: ضمير فصل، أو: مبتدأ، والسميع العليم: خبر

لإن أو للضمير، والجملة الاسمية: خبر إن.

* الفوائد:

أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن ينذر الأقرب فالأقرب، فلما أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعاهم إلى دار عمه أبي طالب، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، وفيهم أعمامه، فأنذرهم، فقال: يا بني عبد المطلب: لو أخبرتكم أنَّ بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. وروي: أنه قال: يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار، فإني لا أغني عنكم شيئاً، ثم قال: يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة [1] بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار، فإني لا أغني عنكن شيئاً.

وهناك روايات أخرى لا تخرج عن هذا المعنى نجتزىء بما تقدم منها.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

○ الإعراب:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ كلام مستأنف مسوق لإبطال كونه كاهناً يتلقى من الشياطين، وهل: حرف استفهام، وأنبئكم: فعل مضارع،

(١) القسم الثاني من الرواية غير صحيح، بدليل أن عائشة وحفصة لم تكونا في ذاك الوقت من أزواجه ﷺ. ولم تولد عائشة بعد!!

وفاعل مستتر، ومفعول به أول، وعلى من: جار ومجرور متعلقان بتنزل، وقدم للاهتمام به، ولأن للاستفهام صدر الكلام، وهو معلق لفعل التنبئة عن العمل، والجملة: سدت مسد المفعولين الثاني، والثالث، وتنزل: فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه، والأصل: تتنزل، والشياطين: فاعل تنزل. ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ الجار والمجرور: متعلقان بتنزل، وهو بدل من الجار والمجرور قبله، وأفاك: مضاف إلى كل، وأثيم: صفة، وهم الكهنة، والمتنبئة؛ كشق، وسطيح، ومسيلمة، وطلحة. ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ﴾ يلقون: فعل مضارع، والواو: فاعل، وهو يعود على الشياطين، فتكون الجملة: حالية، أو يعود على كل أفاك أثيم؛ من حيث أنه جمع في المعنى، فتكون الجملة: مستأنفة، أو: صفة لكل أفاك أثيم، ومعنى إلقائهم السمع: إنصاتهم إلى الملأ الأعلى ليسترقوا شيئاً، أو: إلقاء الشيء المسموع إلى الكهنة، والسمع: مفعول به، والواو: حالية، وأكثرهم: مبتدأ، وكاذبون: خبر، والجملة: حالية. ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ كلام مستأنف أيضاً، مسوق لإبطال كونه شاعراً؛ كما زعموا، وسيأتي بحث ضاف عن الشعر، ومن هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون في باب الفوائد، والشعراء: مبتدأ، وجملة يتبعهم: خبر، ويتبعهم: فعل مضارع، ومفعول به مقدم، والغاوون: فاعل مؤخر. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ الجملة: مفسرة، والهمزة: للاستفهام التقريري، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، والفاعل: ضمير مستتر، تقديره: أنت، وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي تر، وفي كل واد: متعلقان بيهيمون، ويهيمون: فعل مضارع، وفاعل، والجملة: خبر أنهم، ويجوز أن تعلق الجار والمجرور بمحذوف هو الخبر، وجملة يهيمون: حالية، وتمثيل ذهابهم في كل شعب من القول بالوادي سيأتي بحثه في باب البلاغة. ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ جملة معطوفة. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ إلا: أداة استثناء، والذين: مستثنى من الشعراء المذمومين، وجملة آمنوا: صلة، وعملوا الصالحات: عطف على آمنوا، داخل في حيز الصلة، وذكروا الله: عطف أيضاً، وكثيراً: صفة لمفعول مطلق

محذوف؛ أي: ذكروا الله ذكراً كثيراً، أو: صفة لظرف زمان محذوف؛ أي: وقتاً كثيراً.

﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ عطف على ما تقدم، وما: مصدرية؛ أي: من بعد ظلمهم، من إضافة المصدر لمفعوله. ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ الواو: استئنافية، والسين: حرف استقبال، ويعلم: فعل مضارع، والذين: فاعله، وجملة ظلموا: صلة، وأي منقلب: منصوب على المفعولية المطلقة؛ لأن أياً تعرب بحسب ما تضاف إليه، وقد علقت يعلم عن العمل، هذا والعامل في «أي» هو: ينقلبون لا يعمل، لأن أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها، قال النحاس: «وحقيقة القول في ذلك أن الاستفهام معنى، وما قبله معنى آخر، فلو عمل فيه لدخل بعض المعاني في بعض».

□ **البلاغة:**

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ استعارة تمثيلية لطيفة، وليس ثمة وادٍ، ولا شعابٍ، ولا هيامٍ، وإنما هو تغلغل إلى مناحي القول، واعتساف في الأوصاف، والتغزل، والتشبيب، والنسيب، وقلة مبالاة بما يهتكونه من أعراض، ويرجفون به من أقوال، وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على الشعر في باب الفوائد، وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله:

فَبِتْنَ بجانبيَّ مصرعاتٍ وبتُّ أفضُّ أغلاقَ الختام

فقال: قد وجب عليك الحد، فقال: يا أمير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

* الفوائد:

١ ـ فضل الشعر:

واستثناء الشعراء الصالحين الذين ينافحون دون الأوطان، ويدعون إلى الفضائل والإصلاح، ويصورون عيوب المجتمع وسيئاته لرأب صدوعه،

يدل على ما للشعر من مكانةٍ ساميةٍ، ومنزلةٍ عاليةٍ، وقد روى البخاري عن أُبيّ بن كعب: أنَّ رسول الله ﷺ قال: إن من الشعر حكمة. وعن ابن عباسٍ قال: جاء أعرابي إلى النَّبيِّ ﷺ فجعل يتكلم بكلام فقال: إن من البيان سحراً، وإنَّ من الشعر حكمة. أخرجه أبو داود. وقالت عائشة رضي الله عنها: الشعر: كلام منه حسن، ومنه قبيح، فخذ الحسن، ودع القبيح. وقال الشعبي: كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان عثمان يقول الشعر، وكان عليٌّ أشعر من الثلاثة، رضي الله عنهم أجمعين.

بين النظم والنثر:

وقال صاحب «العمدة»: «وكلام العرب نوعان: منظوم ومنثور، ولكلٍ منهما ثلاث طبقات: جيدة، ومتوسطة، ورديئة، فإذا اتفق الطبقتان في القدر، وتساوتا في القيمة، ولم يكن لإحداهما فضل على الأخرى، كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية؛ لأنَّ كلَّ منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة، ألا ترى أن الدر، وهو أخو اللفظ ونسيبه، إليه يقاس وبه يشبه، إذا كان منثوراً لم يؤمن عليه ولم ينتفع به في الباب الذي له كسب، ومن أجله انتخب، وإن كان أعلى قدراً، وأغلى ثمناً، فإذا نظم كان أصون له من الابتذال، وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال، وكذلك اللفظ إذا كان منثوراً تبدد في الأسماع، وتدحرج عن الطباع.

الكذب مذموم إلا من الشعراء:

ومن فضائله: أن الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه حسنٌ فيه، وحسبك ما حسّن الكذب واغتفر له قبحه، فقد أوعد رسول الله ﷺ كعب بن زهير لما أرسل إلى أخيه بجير ينهاه عن الإسلام وذكر النبي ﷺ بما أحفظه فأرسل إليه أخوه: ويحك إن النبي أوعدك لما بلغه عنك، وقد كان أوعد رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه فقتلهم، يعني: ابن خَطَل، وابن حُبابة، وإن من بقي من شعراء قريش؛ كابن الزبعْرى، وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله فإنه لا يقتل من جاء

تائباً، وإلا فانج إلى نجائك، فإنه والله قاتلك، فضاقت به الأرض فجاء إلى رسول الله متنكراً فلما صلى النبيُّ صلاة الفجر وضع كعب يده في يد رسول الله ثم قال: يا رسول الله إنَّ كعب بن زهير قد أتى مستأمناً تائباً، أفتؤمنه، فآتيك به؟ قال: هو آمن، فحسر كعب عن وجهه وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنشد كعب قصيدته التي أولها:

بانتْ سعادُ فقلبي اليوم متبولُ   متيّمٌ إثرها لم يُفْدَ مكبولُ

يقول فيها بعد تغزله، وذكر شدة خوفه، ووجله:

أنبئتُ أنَّ رسولَ الله أوعدني   والعفوُ عِنْد رسولِ اللهِ مأمولُ

مهلاً هداكَ الذي أعطاكَ نافلةَ الـ   ـقرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيل

لا تأخذنيّ بأقوالِ الوشَاة فلمْ   أذنبْ وقد كثرتْ فيَّ الأقاويلُ

فلم ينكر عليه النبي قوله، وما كان ليوعده على باطل، بل تجاوز عنه، ووهب له بردته، فاشتراها منه معاوية بثلاثين ألف درهم، وقال العتبي: بعشرين ألفاً، وهي التي توارثها الخلفاء يلبسونها في الجمع والأعياد.

ويروى: أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ مرَّ بحسَّان، وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ثم قال: أرغاء كرغاء البعير فقال حسان: دعني عنك يا عمر فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد لمن هو خير منك فما يغير عليَّ ذلك، فقال عمر: صدقت.

وقال صاحب «العمدة»: «فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ فهو غلط، وسوء تأول؛ لأن المقصود بهذا النص شعراء المشركين؛ الذين تناولوا رسول الله ﷺ بالهجاء، ومسُّوه بالأذى، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك، ألا تسمع كيف استثناهم الله

عز وجل، ونبه عليهم فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ﴾ يريد شعراء النَّبيِّ؛ الذين ينتصرون له، ويجيبون المشركين عنه؛ كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وقد قال فيهم النبي ﷺ: «هؤلاء النفر أشدُّ على قريش من نضح النبل» وقال لحسان بن ثابت: «اهجهم ـ يعني قريشاً ـ وروح القدس معك، فوالله لهجاؤك عليهم أشدُّ من وقع السهام في غلس الظلام، والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات» فلو أن الشعر حرام، أو مكروه ما اتخذ النبي شعراء يثيبهم على الشعر، ويأمرهم بعمله، ويسمعه منهم.

وأما قوله ﷺ «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعراً» فإنما هو من غلب الشعر على قلبه، وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فرضه، ومنعه من ذكر الله تعالى. وقد قال الشعر كثير من الخلفاء الراشدين، والجِلّة من الصحابة، والتابعين، والفقهاء المشهورين:

فمن ذلك قول أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قالوا: واسمه عبد الله بن عثمان ويقال: عتيق لقب له، قال في غزوة عبيدة بن الحارث:

أمِنْ طيفِ سلمىٰ بالبطاحِ الدمائثِ
أرقــت أوَ امْــرٍ في العشيرةِ حــادثِ

تــرى مِــنْ لــؤيٍ فــرقــةً لا يصُــدُّهــا
عن الكفرِ تذكيرٌ ولا بعثُ باعثِ

رســولٌ أتــاهُــم صــادقٌ فتكــذَّبــوا
عليـه وقـالـوا: لسـتَ فينـا بمـاكـثِ

إذا مـا دعـونـاهـمْ إلى الحـقِّ أدبـروا
وهـرُّوا هـريـر المجْمَـراتِ اللـواهـثِ

فكــمْ قــدْ متتنــا فيهــمُ بقــرابــةٍ
وتــركُ التُّقــى شيء لهُــمْ غيرِ كــارثِ

فإن يَرجعوا عَنْ كفرِهِمْ وعقوقِهِمْ
فما طيباتُ الحلِّ مثلُ الخبائثِ
وإن يركَبُوا طغيانَهُمْ وضلالَهُمْ
فليس عذابُ اللهِ عنهم بلابثِ
فأولى بربِّ الراقصاتِ عشيةً
حراجيحُ تخدي في السَّريح الرثائثِ
كأدم ظباءٍ حول مكة عكفٌ
يرِدْنَ حياضَ البئرِ ذات النبائث
لَئِنْ لم يفيقوا عاجلاً من ضَلالِهِمْ
ولستُ إذا آليتُ قولاً بحانثِ
لتبتدرنهم غارةٌ ذات مصدق
تحرم أطهار النِّساء الطَّوامثِ
تغادرُ قتلى تعصِبُ الطيرُ حولَهُم
ولا يرأفُ الكُفَّار رأف ابن حارثِ
فأبلغْ بني سهمٍ لديك رسالةً
وكلَّ كفورٍ يبتغي الشَّرَّ باحثِ
فإن شتموا عِرْضي على سوءِ رأيِهِمْ
فإنِّي من أعراضِهِمْ غير شاعِثِ

هذا ولا بد من الإلماع إلى أنَّ ابن هشام قال في سيرته: «وأكثر أهل العلم ينكر هذه القصيدة لأبي بكر».

ومن شعر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان من أنفذ أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة:

هوِّنْ عليك فإن الأمو ... رَ بكف الإله مقاديرُها
فليس يأتيك منهيها ... ولا قاصرٌ عنكَ مأمورُها

ومن شعره أيضاً وقد لبس برداً جديداً فنظر الناس إليه:

لاشيءَ مما ترى تبقى بشاشتُه
يبقى الإلهُ ويفنى المالُ والولدُ

لم تغنِ عن هُرمزٍ يوماً خزائنُه
والخلدُ قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذْ تجري الرياحُ له
والجنُّ والإنس فيما بينها تردُ

حوضٌ هنالكَ مورودٌ بلا كذبٍ
لا بدَّ من وِرْدِه يوماً كما وَرَدُوا

ومن شعر عثمان بن عفان رضي الله عنه:

غنى النفسِ يُغني النَّفسَ حتَّى يكفَّها
وإن عضَّها حتى يضرَّ بها الفقرُ

وما عسرةٌ ـ فاصبرْ لها إنْ لقيتها ـ
بكائنةٍ إلا سيتْبَعُها يُسْرُ

ومن شعر علي بن أبي طالب ما قاله يوم صفين يذكر همدان ونصرهم إياه:

ولما رأيتُ الخيلَ تُرجَمُ بالقنا
نواصيّها حمرُ النحورِ دوامي

وأعرض نقع في السَّماء كأنَّه
عجاجةُ دجن ملبَس بقتامِ

ونادى ابنُ هِنْد في الكلاعِ وحميرٍ
وكندة في لخمٍ وحيٍّ جذامِ

تيمَّمتُ همدانَ الذين همُ همُ
ـ إذا ناب دهرٌ ـ جُنتي وسِهَامي

فجاوبني من خيلِ همدانَ عصبةٌ
فوارسُ من همدان غير لِئَام
فخاضوا لظاها واستطاروا شرارَها
وكانوا لدى الهيجا كشَرب مُدامِ
فلو كنتُ بوّاباً على باب جنةٍ
لقلتُ لهمدانَ ادخلوا بسلامِ

ومن شعر الحسن بن علي وقد خرج على أصحابه مختضباً، رواه المبرد:
تسوّدُ أعلاها وتأبى أصولُها
فليت الذي يسودُّ منها هو الأصلُ

ومن شعر الحسين بن علي وقد عاتبه أخوه الحسن في امرأته:
لعمركَ إنَّني لأُحب داراً
تحل بها سكينة والربابُ
أحبُّها وأبذلُ جلَّ مالي
وليس للائمي عندي عتابُ

ومن الخلفاء كثيرون قالوا الشعر، فمن شعر عمر بن عبد العزيز:
أيقظانُ أنْتَ اليومَ أم أنْتَ حالمٌ
وكيفَ يطيقُ النَّومَ حيرانُ هائمُ
فلو كنتَ يقظان الغداةِ لحرقتْ
جفوناً لعينيك الدموعُ السواجمُ
نهارُكَ يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ
وليلُك نومٌ والرَّدى لك لازمُ
وتشغلُ فيما سوفَ تكرهُ غبّه
كذلك في الدُّنيا تعيشُ البهائمُ

واشتهر من الفقهاء محمد بن إدريس الشافعي بالشعر، فكان من أحسن الناس افتناناً بالشعر، وهو القائل:

ومتعب العيس مرتاحاً إلى بلدٍ
والموتُ يطلبُه في ذلك البلدِ
وضاحكٍ والمنايا فوق مفرقه
لو كان يعلمُ غيباً ماتَ من كَمَدِ
من كان لم يؤت علماً في بقاء غدٍ
ماذا تفكرُه في رزقِ بَعْدِ غَدِ

ومن روائعه المشهورة قوله في الحظ :

الجَدُّ يدني كلَّ شيءٍ شاسع
والجَدُّ يفتحُ كل باب مُغْلقِ
فإذا سمعتَ بأنَّ مجدوداً حوىٰ
عوداً فأورقَ في يديه فصدِّقِ
وإذا سمعتَ بأن محروماً أتى
ماءً ليشرَبه فجفَّ فحقِّقِ
وأحقُّ خلقِ اللهِ بالهمِّ امرؤٌ
ذو همَّةٍ يُبْلَى برزقٍ ضَيِّقِ
ولربَّما عرضَتْ لنفسي فكرةٌ
فأودُّ منها أنَّني لم أخْلَقِ

وحسبنا ما تقدم من الاستشهاد، فذلك قد يخرج بنا عن الغرض.

نصائح بوالو للشاعر :

هذا ونختم المبحث بالنصائح القيمة التي أوردها الكاتب الفرنسي بوالو للشاعر وخلاصتها : إنه على الشاعر أن يتنزه عن الإباحية، صحيح أن تصوير الحب مباح، ولكن بحيث لا يكون في هذا التصوير أيّ نوع من أنواع التبذّل، وينبغي أن يتجرد من الغيرة، إنها آفة من آفات رجال الأدب، وهي رذيلة، إن وجدت في أحدهم دلت على ضعف مواهبه. ثم ينبغي عليه أن يكون طيب الصحبة، ممتع الحديث، ثم إن مما يشين شاعراً من الشعراء أن يوجه همه إلى

كسب المال، كما يجدر به ـ على العكس ـ أن يسعى لبلوغ المجد، وعليه أن لا يحطّ من قدر الشعر ذلك الفن الإلهي الذي هذب فيما مضى النفوس، وألهب فيها الوطنية، وعلم الحكمة والفضيلة.

٢ ـ من هو سطيح الكاهن:

روى التاريخ: أنَّ سطحياً الغساني كان أكهن الناس، وقد أنذر بسيل العرم، وكان جسده يدرج كما يدرج الثوب خلا جمجمة رأسه، وإذا مست باليد أثرت فيه للين عظمها، وكان أبداً منسطحاً على الأرض، عاش ١٥٠ سنة على ماقيل، ومات في الليلة التي ولد فيها محمد ﷺ، ومن كهانته: أنه لما كان ليلة ولد رسول الله ﷺ ارتج إيوان كسرى، فسقطت منه أربع عشرة شرفة، فأعظم ذلك أهل المملكة، وكتب إلى كسرى صاحب الشام: أن وادي السماوة قد انقطع في تلك الليلة، وكتب إليه صاحب اليمن: أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة، وكتب إليه صاحب طبرية: أن الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية، وكتب إليه صاحب فارس: أن النار خمدت تلك الليلة، فلما تواترت عليه الكتب؛ أظهر سريره، وبرز إلى أهل مملكته، فأخبرهم الخبر، فقال الموبذان: أيها الملك إني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتني، رأيت إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً، حتى اقتحمت دجلة وانتشرت في بلادنا. قال فما عندك في تأويلها؟ قال: ما عندي شيء، ولكن أرسل إلى عاملك في الحيرة يوجه إليك رجلاً من علمائهم، فإنهم أصحاب علم بالحدثان. فوجه إليه عبد المسيح بن نفيلة الغساني، فأخبره كسرى بالخبر، فقال: أيها الملك ما عندي فيها من شيء، ولكن جهزني إلى خالي سطيح، فجهزه، فلما قدم عليه وجده قد احتضر، فناداه فلم يجبه، فقال:

أصــمٌ أم يسمــع غطــريــف اليمــنْ

أتــاك شيــخُ الحــيِّ مــن آل سنــن

أبيضُ فضفاضُ الرِّداء والرسنْ

فرفع إليه سطيح رأسه وقال: عبد المسيح، على جمل مشيح، أقبل إلى

سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان، لارتجاج الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً، حتى اقتحمت الواد، وانتشرت في البلاد، يا عبد المسيح إذا ظهرت التلاوة، وفاض وادي السماوة، وظهر صاحب الهراوة، فليست الشام لسطيح بشام، يملك منهم ملوك وملكات، بعدد ما سقط من الشرفات، وكل ما هو آت آت، ثم قال:

إِنْ كان ملك بني ساسان أفرطهم
فــإِنَّ ذا الــدَّهــر أطــوارٌ دهــاريــرُ
منهــم بنــو الصَّــرح بهــرامٌ وإخــوتُــه
والهــرمــزانُ وســابــورٌ وســابــورُ
فــربمــا أصبحُــوا منهــمْ بمنــزلــةٍ
يهــابُ صــولَهُــم الأســدُ المهــاصيرُ
حثــوا المطــيَّ وجــدُّوا في رحيلهــم
فمــا يقــوم لهــم ســرْجٌ ولا كــورُ
والنَّــاسُ أبنــاءُ عــلاتٍ فمــن علمــوا
أن قَــدْ أقــلَّ فمحقــورٌ ومهجــورُ
والخيــر والشَّــرُّ مقــرونــان في قــرنٍ
والخيــرُ متبــعٌ والشَّــرُّ محــذورُ

فأتى كسرى فأخبره، فغمّه ذلك، فقال: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً يدور الزمان، فملكوا كلهم في أربعين سنة.

* * *



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾

○ الإعـراب:

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ طس: تقدم الكلام على إعرابها، ومعناها في بحث فواتح السور. وتلك: مبتدأ، وآيات القرآن: خبر، وكتاب مبين: عطف على القرآن، ومبين: صفة. وسيأتي سر التنكير والعطف في باب البلاغة. ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يجوز في هدى: النصب على الحال، والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة؛ أي: هاديه ومبشرة، ويجوز فيها: الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هي هدى وبشرى، ومعنى هداها للمؤمنين وهم مهديون: زيادتها في هداهم ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ

﴿ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ الذين: نعت للمؤمنين، ولك أن تقطعه؛ على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هم الذين، وجملة يقيمون الصلاة: صلة الذين، وجملة يؤتون الزكاة: عطف على يقيمون الصلاة، وهم: الواو للحال، وهم: مبتدأ، أو للعطف، وجملة يوقنون: خبره، وبالآخرة: متعلقان بيوقنون، وهم: مبتدأ جيء للفصل بين المبتدأ وخبره؛ ليتصل بالخبر في الصورة، وسيأتي سر التغيير في النظم في باب البلاغة. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان السبب في عدم إيمانهم، وتحيرهم، وتردّدهم في أعمالهم، وإن واسمها، وجملة لا يؤمنون: صلة الذين، وبالآخرة: جار ومجرور متعلقان بيؤمنون، وجملة زينا: خبر إن، وزينا: فعل، وفاعل، ولهم: متعلقان بزينا، وأعمالهم: مفعول به، والفاء: عاطفة، وهم: مبتدأ، وجملة يعمهون: خبره؛ أي: يتحيرون، ويترددون بين تركها ـ لأنها واضحة البطلان، ظاهرة السوء ـ وبين الاستمرار عليها، وقيل: معنى يعمهون: يستمرون من غير تردد؛ إذ لم يدر في خلدهم لحظة الإقلاع عنها، وهو جميل وقوي، ولكن العمه هو كما يقول الزمخشري، وغيره من أئمة اللغة: التردد والتحير؛ كما يكون حال الضالّ عن الطريق، وعن بعض الأعراب: أنه دخل السوق، وما أبصرها قطُّ فقال: رأيت الناس عمهين؛ أراد: مترددين في أعمالهم وأشغالهم، وتكاد تجمع معاجم اللغة على أن العمه: مصدر عمه؛ يعمه، ويعمه من باب: ضرب، وفتح، عمهاً، وعموهاً، وعموهية، وعمهاناً؛ أي: تحير في طريقه، أو: أمره، وتردد في الضلال، فهو عَمِه، وجمعه: عمهون، وعامه، وجمعه: عامهون، وعمَّه.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ أولئك: مبتدأ، والذين: خبره، ولهم: خبر مقدم، وسوء العذاب: مبتدأ مؤخر والجملة: صلة، وهم: مبتدأ، وفي الآخرة: متعلقان بالأخسرون، والأخسرون: خبره، وهم: مبتدأ، جيء به للفصل بين المبتدأ وخبره؛ ليتصل بالخبر في الصورة، وقد تقدم بحثه، هذا ولابدَّ من الإشارة إلى أن قوله ﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾

يحتمل أنها على بابها من التفضيل، وذلك بالنسبة للكفار، ويحتمل أنها للمبالغة، لا للتشريك؛ لأن المؤمن لا خسران له في الآخرة البتة. ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ الواو: استئنافية، وإن واسمها، واللام: المزحلقة، وجملة تلقى: خبرها، ونائب الفاعل: مستتر، تقديره: أنت، والقرآن: مفعول به ثان، ومن لدن: الجار والمجرور متعلقان بتلقى، وحكيم: مضاف إليه، وعليم: صفة.

□ البلاغة:

١ ـ التنكير:

التنكير: فقد نكر الكتاب المبين ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له، ومثله في ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أما عطفه على القرآن مع أنه هو القرآن نفسه، فهو من قبيل عطف إحدى الصفتين على الأخرى كقولك: هذا فعل السخي والجواد الكريم؛ ولأن المعطوف فيه صفة زائدة على مفهوم المعطوف عليه.

٢ ـ تكرير الضمير:

وفي قوله: ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ كرر الضمير حتى صار معنى الكلام: ولا يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح؛ لأن خوف الآخرة يحملهم على تحمل المشاق، وقد سبق لنا أن ذكرنا: أن إيقاع الضمير مبتدأ يفيد الحصر؛ كما مر في قوله تعالى: ﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾ أن معناه: لا ينشر إلا هم، وأما وجه تكراره هنا: فهو أنه كان أصل الكلام: هم يوقنون بالآخرة، ثم قدم المجرور على عامله عناية به، فوقع فاصلاً بين المبتدأ والخبر، فأريد أن يلي المبتدأ خبره، وقد حال المجرور بينهما، فطري ذكره ليليه الخبر، ولم يفت مقصود العناية بالجار والمجرور؛ حيث بقي على حاله مقدماً، ولا يستنكر أن تعاد الكلمة مفصولة له وحدها بعد ما يوجب التطرية.

٣ ـ بالاسمية والفعلية :

قلنا في مواطن من هذا الكتاب : إنَّ التعبير يكون أحياناً بالجملة الاسمية ، وأحياناً بالجملة الفعلية ؛ على أن ذلك ليس متروكاً إلى الاعتباط ، وإنما يعدل عن أحد التعبيرين لضربٍ من التأكيد ، والمبالغة ، والاستمرار والانقطاع ، فإن الإيمان ، والإيقان بالآخرة أمر ثابت مطلوب دوامه ، ولذلك أتى به جملة اسمية ، وجعل خبرها فعلاً مضارعاً فقال : ﴿ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ للدلالة على أن إيقانهم يستمر على سبيل التجدد ، أما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مما يتكرر ويتجدد في أوقاتهما المعينة ، ولذلك أتى بهما فعلين فقال : ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ .

* الفوائـد :

أورد الإمام الزمخشري سؤالاً في هذا الصدد بناء على قاعدته الاعتزالية وهو : «فإن قلت : كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته ، وقد أسنده إلى الشيطان في قوله : ﴿ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ ؟» وقد أجاب بقوله : «قلت : بين الإسنادين فرق وذلك : أنَّ إسناده إلى الشيطان حقيقة ، وإسناده إلى الله عز وجل مجاز ، وله طريقان في علم البيان أحدهما : أن يكون من المجاز الذي يسمَّى الاستعارة ، والثاني : أن يكون من المجاز الحكمي ، فالطريق الأول : أنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق ، وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم ، وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم ، وبطرهم ، وإيثارهم الروح والترفه ، ونفارهم عما يلزمهم فيه من التكاليف الصعبة ، والمشاق المتعبة ، فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم ، وإليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قوله : ﴿ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾ والطريق الثاني : أن إمهاله الشيطان ، وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين ، فأسند إليه ؛ لأن المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات . وقيل : هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها ، زينها الله لهم ، فعمهوا عنها ، وضلوا . ويعزى إلى الحسن» .

وقد أجاب أهل السنة: بأن هذا الجواب مبني على القاعدة الفاسدة في إيجاب رعاية الصلاح والأصلح، وامتناع أن يخلق الله تعالى للعبد إلا ما هو مصلحة، فمن ثم جعل التزيين إلى الله تعالى مجازاً وإلى الشيطان حقيقة، ولو عكس الجواب لفاز بالصواب، وتأمل ميله إلى التأويل الآخر: من أن المراد: أعمال البر على بُعده؛ لأنه لا يعرض لقاعدته بالنقض، على أن التزيين قد ورد في الخير في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ على أن غالب وروده في غير البر؛ كقوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾، و﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ و﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ ومما يبعد حمله على أعمال البر إضافة الأعمال إليهم في قوله: أعمالهم، وأعمال البر ليست مضافة إليهم؛ لأنهم لم يعملوها قط، فظاهر الإضافة يعطي ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ وقوله: ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ فأطلق الإيمان في المكانين عن إضافته إليهم؛ لأنه لم يصدر منهم، وأضاف الإسلام الظاهر إليهم لأنه صدر منهم.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٨) يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٩) وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ (١٤)﴾

☆ **اللغة:**

﴿ءَانَسْتُ﴾ أبصرت من بعيد، ويقال: آنست ناراً، وآنست فزعاً، وآنست

منه رشداً، فهو يطلق على المادي والمعنوي.

﴿ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ يقرأ بالإضافة، وتركها، كما سيأتي في الإعراب، والشهاب: كل مضيء متولد من النار، وما يرى كأنه كوكب انقض، والكوكب عموماً، والسنان لما فيه من البريق، وجمعه: شُهُب، وشُهْبان، وشِهْبان، وأشْهُب، ويقال: فلان شهاب حرب؛ إذا كان ماضياً فيها؛ والقبس بفتحتين: النار المقبوسة، تقول: خذ لي قبساً من النار، ومِقْبَساً، ومِقباساً، واقبس لي ناراً، واقتبس، ومنه: ما أنت إلا كالقابس العجلان؛ أي: المقتبس، ومازورتك إلا كقبسة العجلان، وتقول: ما أنا إلا قبسة من نارك، وقبضة من آثارك، وقبسته ناراً، وأقبسته؛ كقولك: بغيته الشيء، وأبغتيه ومن المجاز: قبسته علماً، وخبراً، وأقبست.

﴿ تَصْطَلُونَ ﴾: فيه الإبدال؛ لأن أصله: تصتلون، فلما وقعت تاء الافتعال بعد حرف الإطباق، وهو الصاد، قلبت طاء على القاعدة، وهو: من صلي بالنار بكسر اللام، وفي «المصباح»: «صلي بالنار، وصليها، صَلىً، من باب تعب: وجد حرها، والصِّلاء بوزن كتاب: حر النار، وصليت اللحم، أصليه، من باب رمى: شويته» وفي «الأساس»: «وصلي النارَ، وصلي بها» ﴿ يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ وتصلاّها، وتصلّى بها، وأصلاه، وصلاّه، وشاة مصليّة: مشوية، وقد صليتها».

﴿ جَآنٌّ ﴾: حية خفيفة الحركة، وقال في «القاموس» و«التاج»: «والجانُّ: اسم جمع للجن، وحية أكحل العين لا تؤذي، كثيرة في الدور» قالوا: وهي كبيرة جداً؛ وإن كانت خفيفة في سرعة الحركة.

﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾: ولم يرجع، يقال: عقب المقاتل إذا كرَّ بعد الفرار قال:

فما عقَّبوا إذْ قيلَ هل مِنْ معقِّبٍ
ولا نزلوا يومَ الكَريهةِ مَنْزِلا

يصف قوماً بالجبن، وأنهم إن قيل: هل من معقب، وراجع على عقبه للحرب؛ لم يرجعوا إليها، ولا نزلوا يوم الحرب منزلاً من منازلها وفي

«المختار»: «وتقول: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ بتشديد القاف، وكسرها؛ أي: لم يعطف ولم ينتظر».

﴿جَيْبِكَ﴾: طوق قميصك، وسمي جيباً: لأنه يجاب؛ أي: يقطع ليدخل فيه الرأس.

﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ﴾: الاستيقان أبلغ من الإيقان، فلا معنى لقول بعض المفسرين: أن السين لمجرد الزيادة.

○ الإعراب:

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ كلام مستأنف مسوق لذكر قصص خمس من قصص الأولين؛ الأولى: قصة موسى، وتليها: قصة النمل، وتليها: قصة بلقيس، وتليها: قصة صالح، وتليها: قصة لوط، والظرف: متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، وقد تقدم كثيراً تقرير ذلك، وجملة قال: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وموسى: فاعل، ولأهله: متعلقان بقال، وجملة إني آنست ناراً: مقول القول، وإنَّ واسمها، وجملة آنست: خبرها، وناراً: مفعول به. وأهله: عبارة عن زوجه بنت شعيب، وولده، وخادمه، وذلك عند قفوله من مدين إلى مصر؛ ليجتمع بأمه وأخيه في مصر، وقيل: لم يكن معه غير امرأته، وقد كنى الله عنها بالأهل، وتبعاً لذلك أورد الخطاب بالجمع. ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ الجملة: استئنافية، وآتيكم: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: أنا، والكاف: مفعول به، وجاء بسين التسويف للإشارة إلى أنه عائد، وإن أبطأ فربما كانت المسافة بعيدة، ومنها: متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لخبر، وبخبر: متعلقان بآتيكم، وأو: حرف عطف، وللعدول عن الواو إلى أو سر سيأتي في باب البلاغة، وآتيكم: عطف على آتيكم الأولى، وبشهاب: متعلقان بآتيكم، وقبس: بدل من شهاب، أو: نعت له على تأويله بالمفعول؛ أي: شهاب مقتبس من نار، وقرىء بالإضافة، لأن الشهاب يكون قبساً وغيره، كالكوكب، فهو من إضافة النوع إلى جنسه، كخاتم فضة، وثوب

خز، وهي بمعنى: من، ولعلكم تصطلون: جملة الرجاء حالية، ولعلَّ، واسمها، وخبرها، أي: راجياً تأمين الدفء لكم وتوفيره.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف للاختصار، ولما: ظرفية حينية، أو: رابطة، وجاءها: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، وجملة نودي: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ونائب فاعل نودي: ضمير مستتر، تقديره: هو، يعود على موسى، وأنْ: هي المفسرة؛ لأن في النداء معنى القول دون حروفه، والمعنى: قيل له: بورك، ويجوز أن تكون على حالها؛ أي: ناصبة للفعل المضارع، وقد دخلت على الماضي، أو مخففة من الثقيلة، وأنْ وما بعدها: في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض؛ أي: بأن بورك، وهناك أعاريب أخرى ضربنا عنها صفحاً لأنها واهنة، وبورك: فعل ماض مبني للمجهول، ومَنْ: نائب فاعل، وفي النار: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة مَنْ؛ أي: في مكان النار، ومَنْ حولها: عطف على مَنْ في النار، والمراد بمن: إما الله تعالى على حذف؛ أي: قدرته، وسلطانه، وقيل: المراد: موسى، وقيل: المراد بِمَنْ: غير العقلاء، وهو النور، والأمكنة التي حولها.

﴿ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الواو: استئنافية، وسبحان: مفعول مطلق لفعل محذوف، والله: مضاف إليه، ورب العالمين: بدل، أو: نعت. ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ يا: حرف نداء، وموسى: منادى مفرد علم، وإنَّ، واسمها، والهاء: إما ضمير الشأن، أو: راجعة إلى مادل عليه ما قبلها، يعني: إنَّ مكلمك، وأنا: مبتدأ، والله: خبر، والجملة: خبر إنَّ، والعزيز الحكيم: صفتان. ﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡ ﴾ الواو: حرف عطف، وألق: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل: ضمير مستتر، تقديره: أنت، والكلام معطوف على بورك؛ لأن المعنى: نودي: أنْ بورك من في النار، وأن ألق عصاك، وهذا ما يرجح كون أنْ مفسرة كما تقدم، وعصاك: مفعول، فلما: الفاء: عاطفة على محذوف؛

أي: فألقاها، فاستحالت حية فلما، ولما: ظرف بمعنى: حين، أو: رابطة، وجملة رآها: في محل جر بإضافة الظرف إليه، ورآها: فعل، وفاعل، ومفعول به، وجملة تهتز: في محل نصب على الحال؛ لأن الرؤية هنا بصرية، وكأنها جان: كأن، واسمها، وخبرها، والجملة: في محل نصب حال ثانية، أو: هي حال من ضمير تهتز، فهي حال متداخلة، وجملة ولَّى: لا محل لها، ومدبراً: حال من فاعل ولَّى، والواو: حرف عطف، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويعقب: فعل مضارع مجزوم بلم. ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ الجملة: مقول القول محذوف؛ لابد من تقديره؛ أي: قال تعالى، ويا موسى: منادى مفرد علم، ولا: ناهية، وتخف: فعل مضارع مجزوم بلا، وإن، واسمها، وجملة لا يخاف: خبرها، والجملة تعليلية للنهي عن الخوف ولدي: ظرف متعلق بيخاف، والمرسلون: فاعل. ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ إلا: أداة استثناء بمعنى: لكن؛ لأن الاستثناء منقطع، ومَنْ: اسم موصول مستثنى في موضع نصب، ويجوز أن تكون شرطية، فتكون مبتدأ، والجملة مستثناة من أعم الأحوال، وظلم: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، ثم بدل: عطف على ظلم، وحسناً: مفعول به، وبعد سوء: ظرف متعلق بمحذوف صفة لحسناً. ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الفاء: واقعة في جواب «من» على الوجهين، وإنَّ، واسمها، وخبراها.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ الواو: عاطفة، وأدخل: عطف على وألق عصاك، ويدك: مفعول به، وفي جيبك: متعلقان بأدخل، وتخرج: فعل مضارع مجزوم؛ لأنه جواب الأمر، وفاعل تخرج: ضمير مستتر، تقديره: هي، وبيضاء: حال من فاعل تخرج، ومن غير سوء: متعلقان ببيضاء؛ لما فيها من معنى الفعل، وقد تقدم هذا في «طه»، واختار أبو البقاء أن يكون الجار والمجرور حالاً أخرى، واختار السمين أن يكون صفة لبيضاء. ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ كلام مستأنف، وحرف الجر يتعلق بالفعل المحذوف؛ أي: اذهب في تسع آيات إلى فرعون،

وقدره بعضهم بمحذوف، أي: مرسلاً، فيكون محله: النصب على الحال، والأول أولى، وله نظائر، قال:

فقلتُ إلى الطَّعامِ فقالَ منهم		فريقٌ يحسدُ الإنسُ الطعاما

وهناك أقوال متشعبة للمعربين، سنوردها في باب الفوائد؛ لصقل الأذهان.

وقومه: عطف على فرعون، وجملة إنهم: تعليل للأمر بالذهاب، وجملة كانوا: خبر إن، وقوماً: خبر كانوا، وفاسقين: صفة، وقد تقدمت الآيات التسع. ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف، وقد تقدم ذلك كثيراً، ومبصرة: حال، وسيأتي معناها في باب البلاغة، وجملة قالوا: لا محل لها، وهذا: مبتدأ، وسحر: خبر، ومبين: صفة، والجملة: مقول القول. ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ جحدوا: عطف على قالوا: وبها: متعلقان بجحدوا، والواو: للحال، وقد بعدها مضمرة، واستيقنتها أنفسهم: فعل ماض، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، وظلماً: مفعول لأجله؛ لأنه علة للجحد، أو: حال من فاعل جحدوا؛ أي: ظالمين مستكبرين. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ الفاء: الفصيحة، وانظر: فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: أنت، وكيف: اسم استفهام في محل نصب خبر مقدم لكان، وعاقبة المفسدين: اسم كان، والجملة: معلقة لانظر عن العمل، فهي محل نصب بنزع الخافض؛ لأن انظر بمعنى: تفكر.

□ **البلاغة:**

١ ـ استعمال «أو» بدل الواو:

في قوله: ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ آثر «أو» على الواو لنكتة بلاغية رائعة؛ فإن أو: تفيد التخيير، وقد بنى رجاءه على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً فلن يعدم واحدة منهما، وهما

إما هداية الطريق، وإما اقتباس النار هضماً لنفسه، واعترافاً بقصوره نحو ربه، وقد كانت الليلة شاتية مظلمة، وقد ضل الطريق، وأخذ زوجته المخاض، وهذا موطن تزلق فيه أقلام الكتاب الذين لا يدركون أسرار البيان، وخاصة في استعمال الحروف العاطفة والجارة، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الفن.

٢ ـ المجاز العقلي:

في إسناد الإبصار إلى الآيات في قوله ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ ويجوز أن يكون المجاز مرسلاً، والعلاقة السببية؛ لأنها سبب الإبصار، وهذا أولى من قول بعضهم: إن «مبصرة»: اسم فاعل، والمراد به المفعول، أطلق اسم الفاعل على المفعول إشعاراً بأنها لفرط وضوحها، وإنارتها كأنها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر.

* الفوائـد:

أقوال المعربين في «في تسع آيات»:

تشعبت أقوال المعربين في إعراب هذه الآية وهي: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ وقد اخترنا لك في الإعراب أمثلها، وأسهلها، وسنورد بقية الوجوه؛ لأنها واردة ومعقولة؛ لتشحذ ذهنك وتختار منها ما تراه أدنى إلى المنطق؛ فالإعراب منطق قبل كل شيء.

أما الزمخشري: فقد اكتفى بالوجه الذي اخترناه في الإعراب قال: «في تسع آيات: كلام مستأنف، وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف، والمعنى: اذهب في تسع آيات؛ أي: في جملة تسع آيات وعدادهن، ولقائل أن يقول: كانت الآيات إحدى عشرة اثنتان منها: اليد، والعصا، والتسع: الفلق، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمسة، والجدب في بواديهم، والنقصان في مزارعهم».

وقال أبو البقاء: ﴿فِي تِسْعِ﴾: «حال ثالثة، وأراد بالحالين الأولى والثانية

قوله: بيضاء، وقوله: من غير سوء، وإلى فرعون: متعلقة بمحذوف، تقديره: مرسلاً إلى فرعون، ويجوز أن يكون صفة لتسع، أو: لآيات، أي: واصلة إلى فرعون».

وجعل الزجاج «في» بمعنى «مِنْ» وعلقها بألق، قال: «كما تقول خذ لي من الإبل عشراً، فيها فحلان، أي: منها فحلان».

وأما ابن عطية فقد أيّد الزجاج في تعليقها بألق، وجعل «في» بمعنى «مع» لأن اليد والعصا حينئذ داخلتان في الآيات التسع، وقال: «تقديره: يمهد لك ذلك، وينشره في تسع». وقال آخرون: هو كما قال ابن عطية، وتكون اليد والعصا خارجتين من التسع.

واختار الجلال أن تتعلق بمحذوف حال أخرى من ضمير تخرج، وقد صرح بهذا المحذوف في سورة «طه» حيث قال هناك: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ فالمعنى هنا: حال كونها آية مندرجة في جملة الآيات التسع.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ المنطق: مصدر نطق، ينطق، من باب ضرب، نَطْقاً،

ومنطقاً، ونطوقاً؛ أي: تكلم بصوت وحروف تعرف بها المعاني، والمنطق: الكلام، وقد يستعمل في غير الإنسان، يقال: سمعت منطق الطير، وقال البيضاوي: «والنطق، والمنطق في المتعارف: كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً كان، أو: مركباً، مفيداً كان، أو: غير مفيد، وقد يطلق على كل ما يصوت به على التشبيه، أو: التبع؛ كقولهم: نطقت الحمامة، ومنه: الناطق، والصمت للحيوان والجماد؛ فإن الأصوات الحيوانية من حيث أنها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات، لا سيما وفيها ما يتفاوت بتفاوت الأغراض، بحيث يفهمها ما هو من جنسه».

وزاد الزمخشري على ما قاله البيضاوي: «وقد ترجم يعقوب ابن السكيت كتابه بإصلاح المنطق، وما أصلح فيه إلا مفردات الكلم».

هذا ويبدو: أنَّ الأصل الاشتقاقي لكلمة المنطق يظهرنا على الصلة الوثيقة بين الفكر واللغة، فإنَّ الحيوان المفكر هو وحده الحيوان المتكلم، وليست اللغة مجرد أداة اصطنعها العقل البشري للتعبير عن أغراضه ومراميه، بل هي أيضاً وسيلة إلى التجرد عن الأعراض الحسية واصطناع بعض الرموز، أو الدلالات المعنوية.

وعلم المنطق: هو علم يبحث في صحيح الفكر وفاسده، فهو يضع القواعد التي تعصم الذهن من الوقوع في الأخطاء، وفي الأحكام، كما أنه يهتم بالتعرف على المناهج المختلفة في دراساتهم المتعددة وأبحاثهم المتباينة، حقاً إنَّ موضوع المنطق هو التفكير الإنساني بصفة عامة، ولكن المنطق لا يقتصر على وصف العمليات الذهنية التي نقوم بها حين نفكر، أو نحكم، أو نجرد أو نتذكر، أو نحل مشكلة، بل هو يريد أيضاً أن يعيننا على التمييز بين الحكم الصحيح، والحكم الخاطىء، بين الاستدلال السليم، والاستدلال الفاسد.

وقد اهتم فلاسفة اليونان الأقدمون بدراسة العلاقة بين صورة الفكر ومادته؛ أي: بين الناحية الشكلية للأحكام، أو القضايا، ومضمون التفكير

نفسه، فنشأت من ذلك مباحث جدلية كانت هي النواة الأولى لعلم المنطق، وهكذا اهتم سقراط، وأفلاطون بالبحث في مغالطات السوفسطائيين، فوضعا للردِّ عليهم أصول التفكير الجدلي السليم، ثم جاء أرسطو فاستفاد من دراسات السابقين عليه في تكوين التصورات، والقسمة المنطقية، وطرق إيراد البرهنة، ووضع هذا كله في كتاب مشهور أطلق عليه اسم: «التحليلات الأولى» وإن كان أرسطو لم يستعمل كلمة المنطق؛ فإن المؤرخين قد أجمعوا على مبايعته بأمارة المنطق.

أما في العصور الحديثة: فقد ثار كلٌ من بيكون، وديكارت على منطق أرسطو بدعوى: أنه منطق صوري مجدب. ثم فطن المناطقة أخيراً إلى ضرورة تخليص الفكر من سحر الألفاظ، وتحريره من سلطان اللغة، فحاولوا أن يجعلوا من المنطق علماً رياضياً يصوغ العمليات الذهنية في رموز جبرية.

﴿ يُوزَعُونَ ﴾: يحبس أولهم على آخرهم؛ أي: توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي، وسلاف العسكر يعني: متقدميهم: كما في «الصحاح»، وفي «المختار»: «وزعه، يزعه، وزعاً، مثل: وضعه، يضعه، وضعاً؛ أي: كفه، فاتزع هو؛ أي: كفَّ، وأوزعه بالشيء: أغراه به، واستوزعت الله شكره فأوزعني؛ أي: استلهمته، فألهمني، والوازع: الذي يتقدم الصف، فيصلحه، ويقدم، ويؤخر، وجمعه: وزعة، وقال الحسن: لابد للناس من وازع؛ أي: من سلطان يكفهم، يقال: وَزَعْتُ الجيش: إذا حبست أولهم على آخرهم».

﴿ نَمْلَةٌ ﴾: النمل، والنمُل، بضم الميم: حيوان حريص على جمع الغذاء، يتخذ قرى تحت الأرض، فيها منازل، ودهاليز، وغرف، وطبقات منعطفة، يملؤها حبوباً وذخائر للشتاء، الواحدة: نملة، ونملة: للذكر والأنثى، والجمع: نمال.

وحكى الزمخشري عن أبي حنيفة: أنه وقف على قتادة، وهو يقول:

نفسه، فنشأت من ذلك مباحث جدلية كانت هي النواة الأولى لعلم المنطق، وهكذا اهتم سقراط، وأفلاطون بالبحث في مغالطات السوفسطائيين، فوضعا للردِّ عليهم أصول التفكير الجدلي السليم، ثم جاء أرسطو فاستفاد من دراسات السابقين عليه في تكوين التصورات، والقسمة المنطقية، وطرق إيراد البرهنة، ووضع هذا كله في كتاب مشهور أطلق عليه اسم: «التحليلات الأولى» وإن كان أرسطو لم يستعمل كلمة المنطق؛ فإن المؤرخين قد أجمعوا على مبايعته بأمارة المنطق.

أما في العصور الحديثة: فقد ثار كلٌ من بيكون، وديكارت على منطق أرسطو بدعوى: أنه منطق صوري مجدب. ثم فطن المناطقة أخيراً إلى ضرورة تخليص الفكر من سحر الألفاظ، وتحريره من سلطان اللغة، فحاولوا أن يجعلوا من المنطق علماً رياضياً يصوغ العمليات الذهنية في رموز جبرية.

﴿ يُوزَعُونَ ﴾ : يحبس أولهم على آخرهم؛ أي: توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي، وسلاف العسكر يعني: متقدميهم: كما في «الصحاح»، وفي «المختار»: «وزعه، يزعه، وزعاً، مثل: وضعه، يضعه، وضعاً؛ أي: كفه، فاتزع هو؛ أي: كفَّ، وأوزعه بالشيء: أغراه به، واستوزعت الله شكره فأوزعني؛ أي: استلهمته، فألهمني، والوازع: الذي يتقدم الصف، فيصلحه، ويقدم، ويؤخر، وجمعه: وزعة، وقال الحسن: لابد للناس من وازع؛ أي: من سلطان يكفهم، يقال: وَزَعْتُ الجيش: إذا حبست أولهم على آخرهم».

﴿ نَمْلَةٌ ﴾ : النمل، والنمُل، بضم الميم: حيوان حريص على جمع الغذاء، يتخذ قرى تحت الأرض، فيها منازل، ودهاليز، وغرف، وطبقات منعطفة، يملؤها حبوباً وذخائر للشتاء، الواحدة: نملة، ونملة: للذكر والأنثى، والجمع: نمال.

وحكى الزمخشري عن أبي حنيفة: أنه وقف على قتادة، وهو يقول:

مقول القول، والذي: اسم موصول صفة لله، وجملة فضلنا: صلة، وعلى كثير: متعلقان بفضلنا، ومن عباده: صفة لكثير، والمؤمنين: صفة لعباده. ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ الواو: استئنافية، وورث سليمان داود: فعل، وفاعل، ومفعول به، وقال: عطف على ورث، ويا أيها الناس: تقدم إعرابها، وعلمنا: فعل ماض مبني للمجهول، ونا: نائب فاعل، ومنطق الطير: مفعول به ثان. ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ وأوتينا: عطف على علمنا، ومن كل شيء: متعلقان بأوتينا، وإن هذا: إنَّ، واسمها، وهو كلام مستأنف مسوق على سبيل إيراد الشكر والمحمدة، واللام: المزحلقة، وهو: ضمير فصل، أو: مبتدأ، والفضل: خبر إنَّ، أو: خبر هو، والجملة: خبر إنَّ، والمبين: صفة للفضل. ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ الواو: استئنافية، وحشر: فعل ماض مبني للمجهول، ولسليمان: متعلقان بحشر، وجنوده: نائب فاعل، ومن الجن والإنس والطير: حال من جنوده، والفاء: الفصيحة، وهم: مبتدأ، وجملة يوزعون: خبر، وسيأتي في باب البلاغة ما يرويه التاريخ عن معسكر سليمان.

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ حتى: حرف غاية لمحذوف، تقديره: فساروا حتى إذا أتوا، ويجوز أن يكون غاية ليوزعون؛ لأنه مضمن معنى: فهم يسيرون ممنوعاً بعضهم من مفارقة بعض؛ حتى إذا أتوا، وعلى وادي النمل: جار ومجرور متعلقان بأتوا، وسيأتي سر تعليقه بأتوا في باب البلاغة، وجملة قالت نملة: لا محل لها، ويا أيها النمل: تقدم إعرابها، وادخلوا مساكنكم: فعل، وفاعل، ومفعول به على السعة، وسيأتي ما قاله السيوطي في «الإتقان» عن قول النملة. ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ نهي مستأنف لا تعلق له بما قبله؛ أي: لا تكونوا بحيث يحطمونكم ويجوز أن يكون الكلام بدلاً من جملة الأمر مثله، وهو: ادخلوا مساكنكم. وقد تصدى الزمخشري لهذا التعبير فقال «فإن قلت

لا يحطمنكم ما هو؟ قلت يحتمل أن يكون جواباً للأمر، وأن يكون نهياً بدلاً من الأمر، والذي جوز أن يكون بدلاً منه: أنه في معنى: لا تكونوا حيث أنتم، فيحطمنكم، على طريقة: لا أرينك ها هنا» ولا: ناهية، ويحطمنكم: فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا، والكاف: مفعول به، وسليمان: فاعل، وجنوده: عطف على سليمان، وهم: الواو: حالية، وهم مبتدأ وجملة لا يشعرون: خبر، والجملة: حالية. ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ الفاء: عاطفة على محذوف يقتضيه السياق؛ أي: فسمع قولها المذكور، فتبسم، وضاحكاً: حال مؤكدة، وسيأتي سر ما أضحكه في باب الفوائد، ومن قولها: متعلقان بضاحكاً. ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ وقال: عطف على فتبسم، ورب: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وحرف النداء: محذوف، وأوزعني: فعل دعاء، وفاعل مستتر، ومفعول به، وأنْ وما في حيزها: مفعول ثان لأوزعني؛ لأنه متضمن معنى الإلهام؛ أو: نصب بنزع الخافض؛ أي: بأن أشكر نعمتك، والتي: صفة لنعمتك، وجملة أنعمت: صلة، وعليَّ: متعلقان بأنعمت، وعلى والدي: عطف على عليَّ. ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ جملة معطوفة. ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الواو: حرف عطف، وأدخلني: فعل دعاء، وفاعل، ومفعول به، وبرحمتك: متعلقان بمحذوف حال، والباء: للسببية، وفي عبادك: متعلقان بأدخلني، والصالحين: نعت لعبادك.

□ البلاغة:

اشتملت هذه الآيات على فنون شتى ندرجها فيمايلي:

١ ـ التنكير وأسراره:

ففي قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ التنكير، وفائدته: إفادة التبعيض، والتقليل، أو إفادة التعظيم، والتكثير، والثاني هو المراد هنا؛ فظاهر قوله في ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ في سياق الامتنان تعظيم العلم الذي أوتياه؛ كأنه قال: علماً أيَّ علم، وهو كذلك، فإن علمهما كان مما

يستغرب، ويستعظم، ومن ذلك علم منطق الطير وسائر الحيوانات، على أن كل علم بالإضافة إلى علم الله قليل ضئيل.

قصة رائعة:

ونورد هنا قصة مروية جرياً على عادتنا في إدراج القصص المروية؛ لتكون مصدر إلهام للكتاب ومعالم صبح لهم. قال مقاتل: كان سليمان جالساً في معسكره، وكانت مساحته مئة فرسخ في مئة، خمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للطير، وخمسة وعشرون للوحش، وقد نسجت له الجن بساطاً من ذهب، وابريسم فرسخاً في فرسخ، فمر به طائر يطوف، وفي روايةٍ: رأى بلبلاً على شجرة، فقال لجلسائه: أتدرون ما يقول هذا الطائر؟ قالوا: الله ونبيه أعلم، قال: يقول: أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء، ومر بهدهد فوق شجرة، فقال: استغفروا الله يا مذنبون، وصاحت فاختة، فأخبر: أنها تقول: ليت ذا الخلق لم يخلقوا، وصاح طاووس فقال: يقول: كما تدين تدان، وصاح طيطوى فقال: يقول: كل حي ميت، وكل جديد بال، وصاح خطاف، فقال: يقول: قدموا خيراً تجدوه، وصاح قمريٌ فأخبر: أنه يقول: سبحان ربي الأعلى، وقال: الحدأ يقول: كل شيء هالك إلا وجهه، والقطاة تقول: من سكت سلم، والببغاء تقول: ويل لمن الدنيا همه، والديك يقول: اذكروا الله يا غافلون، والنسر يقول: يا بن آدم عش ما شئت آخرك الموت، والعقاب يقول: في البعد من الناس أنس، والضفدع يقول: سبحان ربي الأعلى.

٢ ـ استعمال حرف الجر:

وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ فعدّى أتوا بعلى؛ لأن الإتيان كان من فوق، فأتى بحرف الاستعلاء، وقد رمق أبو الطيب المتنبي هذه السماء العالية فقال:

فلشدَّ ما جاوزتَ قدركَ صاعداً		ولشدَّ ما قربتْ عليكَ الأنجمُ

فقد عنى بالأنجم أبيات شعره، ويقول: ما أشد ما تجاوزت قدرك؛ حتى

بعثت تسألني المديح، ومسألتك إياي مدحك تجاوز منك لقدرك؛ حين طلبت أن تهبط الأنجم من سمواتها لتكون قريبة منك. وهذا البيت من أمض الهجاء وأقذعه، وهو من قصيدة لأبي الطيب المتنبي، فقد سافر من الرملة يريد أنطاكية، فنزل بطرابلس، وبها إسحاق بن إبراهيم الأعور بن كيغَلَغ، وكان جاهلاً يجالسه ثلاثة نفر من بني حيدرة، وكان بينه وبين أبي الطيب عداوة قديمة، فقالوا له: أتحب أن يتجاوزك ولا يمدحك، وجعلوا يغرونه، فراسله أن يمدحه، فاحتج عليه بيمين لحقته لا يمدح أحداً إلى مدة، فعاقه عن طريقه ينتظر المدة، وأخذ عليه الطريق وضبطها، ومات النفر الثلاثة الذين كانوا يغرونه في مدة أربعين يوماً، فهجاه أبو الطيب المتنبي، وأملاها على من يثق به، فلما ذاب الثلج خرج كأنه يسير فرسه، وسار إلى دمشق، فأتبعه ابن كيغلغ خيلاً ورجلاً فأعجزهم وظهرت القصيدة وأولها:

لهوى النُّفوسِ سريرةٌ لا تُعلمُ
عرضاً نظرتُ وخلتُ أنِّي أسلمُ

ومن أبياته الحكيمة فيها:

ولقدْ رأيتُ الحادثاتِ فلا أرى
يققاً يميتُ ولا سواداً يعصِمُ
والهمُّ يخترمُ الجسيمَ نحافةً
ويشيبُ ناصيةَ الصبيّ ويهرمُ
ذو العَقْلِ يَشْقى في النَّعيم بعقْله
وأخو الجهالةِ في الشَّقاوةِ يَنْعَمُ
والناسُ قد نبذوا الحفاظَ فمطلقٌ
ينسى الذي يولى وعافٍ يندمُ
لا يخدعنَّك منْ عدوٍّ دمعُه
وارحمْ شبابك من عدوٍّ تُرحمُ

لا يسلمُ الشرَّفُ الرفيعُ من الأذى
حتى يراقَ على جوانبهِ الدَّمُ
والظلمُ من شِيَمِ النُّفوس فإن تجدْ
ذا عفةٍ فلعلَّةٍ لا يظلمُ

ثم تطرق إلى هجاء ابن كيغلغ فقال وأقذع:

يحمي ابنُ كيغَلَغ الطريقَ وعرسُهُ
ما بين رجليها الطريقُ الأعظمُ
أقمِ المسالحَ فَوقَ شُفْرِ سكينةٍ
إنَّ المنيّ بحلقتيها خِضْرِمُ
وارفقْ بنفسك إنَّ خلقك ناقصٌ
واسترْ أباك فإنّ أصلَك مظلمُ
واحذْر مناوأةَ الرِّجال فإنما
تقوى على كسرِ العبيدِ وتقدمُ
وغناك مسألةٌ وطيشُك نفخةٌ
ورضاك فيشلةٌ وربُّك دِرْهَمُ

ثم يعود إلى الحكمة الملائمة فيقول:

ومِنَ البليةِ عذلُ من لا يَرْعَوي
عن غيِّه وخطابُ مَنْ لا يفهمُ
يمشي بأربعةٍ على أعقابِه
تَحْتَ العُلوجِ ومن وراءٍ يلجمُ
وجفونُه ما تستقرُّ كأنَّها
مَطْروفةٌ أو فُتَّ فيها حُصْرمُ
وإذا أشارَ محدِّثاً فكأنَّه
قردٌ يُقَهْقِهُ أو عجوزٌ تَلْطُمُ

يقلـي مفـارقـة الأكـفّ قـذالـه
حتـى يكـادَ على يـدٍ يتعمَّـمُ
وتـراه أصْغَـرَ مـا تـراهُ نـاطقـاً
ويكـونُ أكـذبَ مـا يكـون ويُقْسِـمُ
والـذلُّ يظهـر في الـذليـل مـودةً
وأودُّ منـه لمـن يـودُّ الأرقَـمُ
ومـن العـداوةِ مـا ينـالـك نفعُـه
ومِـنَ الصَّـداقـةِ مـا يضـرُّ ويـؤلِـمُ

والقصيدة كلها من هذا النمط البديع، فحسبنا ما أوردناه منها، ونعود إلى ما نحن بصدده فنقول: ويجوز أن يراد قطع الوادي، وبلوغ آخره من قولهم: أتى على الشيء: إذا بلغ آخره.

٣ ـ التوليد:

وقد اشتملت الآية ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ على أحد عشر نوعاً من البلاغة، يتولد بعضها من بعض، وقد ذكرها السيوطي في كتابه «الإتقان» أي: قالت قولاً مشتملاً على حروف وأصوات، والمراد: قالته على وجه النصيحة، وقد اشتمل هذا القول منها على أحد عشر نوعاً من البلاغة:

أولها: النداء بيا.

وثانيها: كنّت بأيْ.

وثالثها: نبّهت بها التنبيه.

ورابعها: سمّت بقولها النمل.

وخامسها: أمرت بقولها: ادخلوا.

وسادسها: نصَّت بقولها: مساكنكم.

وسابعها: حذرت بقولها: لا يحطمنكم.

وثامنها: خصَّصت بقولها: سليمان.

وتاسعها: عمّمت: بقولها وجنوده.

وعاشرها: أشارت بقولها: وهم.

وحادي عشرها: عذرت بقولها: لا يشعرون.

هذا وقد أنشدوا ملغزين في نملة سليمان، وبقرة بني إسرائيل:

فما ميتٌ أحيا له اللهُ ميتاً
ليخبرَ قوماً أنذروا ببيانِ

وعجفاء قدْ قامتْ لتنذرَ قومَها
وأهلَ قُراها رهبةَ الحدثانِ

* الفوائد:

١ ـ ما الذي أضحك سليمان؟ وإنما ضحك سليمان من قول النملة لشيئين:

أولهما: ما دل على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم، وذلك قولها: وهم لا يشعرون؛ يعني: أنهم لو شعروا لم يفعلوا.

وثانيهما: سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً من إدراك سمعه ما قالته النملة، وهي مثل في الضآلة والقماءة، والإنسان إذا رآى، أو سمع مالا عهد به ضحك.

٢ ـ الحال المبينة والمؤكدة:

الحال ضربان مؤسسة، وتسمى أيضاً: مبينة، وهي التي لا يستفاد معناها بدونها؛ كجاء زيد راكباً، فلا يستفاد معنى الركوب إلا بذكر راكباً، ومؤكدة، وهي: التي يستفاد معناها بدون ذكرها، وهذه تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

آ ـ مؤكدة لعاملها لفظاً ومعنى، نحو: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ﴾ فرسولاً حال من الكاف، وهي مؤكدة لعاملها، وهو: أرسلنا لفظاً ومعنى.

ب ـ مؤكدة لعاملها معنى فقط، واللفظ مختلف، نحو: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا ﴾ فضاحكاً: حال من فاعل تبسم، وهي مؤكدة لعاملها معنى فقط؛ لأن التبسم نوع من الضحك، واللفظ مختلف.

جـ ـ مؤكدة لصاحبها نحو: ﴿ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ فجميعاً: حال من فاعل آمن، وهو مَنْ الموصولة مؤكدة لها. وهناك أقسام أخرى للحال المؤكدة يرجع إليها في المطولات.

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلْهُدْهُدَ ﴾ والهُدَهِد، والهُداهِد: طائر ذو خطوط وألوان كثيرة، الواحدة: هُدْهُدَة، وهُدَهِدَة، وهُداهِدة، والجمع: هَداهِد، وهَداهيد، ويقولون: أبصر من هدهد؛ لأنهم يزعمون: أنه يرى الماء تحت الأرض، والهُدْهد: أيضاً كل ما يقرقر من الطير، والحمام الكثير، وستأتي قصته مع سليمان في باب الفوائد.

﴿ فَمَكَثَ ﴾: بضم الكاف، وفتحها، والأول: من باب قرب، والثاني: من باب نصر، وفي «القاموس» وغيره: مكث، يمكث، من باب نصر، مَكْثاً، ومَكَثاً، ومكوثاً، ومُكثاناً، ومِكِّيثَى، ومِكِّيثاء، بالمكان: أقام،

ولبث، فهو ماكث، والاسم: المُكث، والمِكث، ومكث، يمكث، من باب قرب، مَكَاثةً: لبث، ورزن.

﴿سَبَإٍ﴾ : بلاد واقعة جنوب غربي الجزيرة العربية في اليمن، ذكرت في كتب العهد القديم، وفي مؤلفات العرب، واليونان، والرومان، كانت على جانب عظيم من الحضارة، كان يتعاطى سكانها تجارة الذهب، والفضة، والأحجار الكريمة.

وقال الزمخشري في الكشاف: «سبأ: قرىء بالصرف، ومنعه، وقد روي بسكون الباء، وعن ابن كثير في رواية: سبا بالألف؛ كقولهم: ذهبوا أيدي سبا، وهو: سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فمن جعله اسماً للقبيلة لم يصرف، ومن جعله اسماً للحي، أو الأب الأكبر صرف قال:

من سبأِ الحاضرين مأربٌ إِذْ يبنونَ من دونِ سيلهِ العَرِما

وقال:

الــواردونَ وتيــمٌ في ذرا سبــأً قد عضَّ أعناقَهُم جلدُ الجواميسِ

ثم سميت مدينة مأرب بسبأ، وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث، كما سميت معافر بمعافر بن أد، ويحتمل أن يراد: المدينة والقوم».

معنى ذهبوا أيدي سبا:

هذا ويقال: ذهبوا أيدي سبا. وفيه لغتان: أيدي سبا، وأيادي سبا، وله حالتان: إما أن تركب الاسمين اسماً واحداً، وتبنيهما؛ لتضمن حرف العطف؛ كما فعلوا بخمسة عشر. والثانية: أن تضيف الأول إلى الثاني، وموضعهما النصب على الحال، والمراد: ذهبوا متفرقين، ومتبددين، ونحوهما، وإذا اعترض بأن سبا معرفة، قيل: بأن تركيبهما طاح بمعنى العلمية وصارا اسماً واحداً، وأصل هذا المثل: أن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان لما أنذروا بسيل العرم؛ خرجوا من اليمن متفرقين في البلاد، فقيل لكل جماعةٍ تفرقت: ذهبوا أيدي سبا، والمراد بالأيدي: الأبناء،

والأسرة، لا نفس الجارحة؛ لأن التفرق وقع بهم، واستعير اسم الأيدي؛ لأنهم في التقوى والبطش بهم بمنزلة الأيدي.

﴿ٱلْخَبْءَ﴾: مصدر بمعنى: المخبوء، يقال: خبأت الشيء، أخبؤه خبئاً، من باب نفع، أي: سترته، والخبء في السموات: المطر، وفي الأرض: النبات.

○ الإعراب:

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ كلام مستأنف للشروع في سرد أمر آخر حدث لسليمان أثناء مسيره الذي كانت فيه قصة النمل. وتفقد: فعل ماض، وفاعله: ضمير مستتر، تقديره: هو، أي: سليمان، والطير: مفعول به، فقال: عطف على تفقد، وما: اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، ولي: خبره، وجملة لا أرى الهدهد: حال، وأم: منقطعة، وكان: فعل ماض ناقص، واسمها: ضمير مستتر يعود على الهدهد، ومن الغائبين: خبر كان ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ اللام: موطئة للقسم، وأعذبنه: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل: ضمير مستتر، تقديره: أنا، والهاء: مفعول به، وعذاباً: مفعول مطلق، وشديداً: صفة، أو لأذبحنه: عطف على لأعذبنه، أو ليأتيني: عطف عليه أيضاً، وبسلطان: متعلقان بيأتيني، ومبين: صفة ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ الفاء: استئنافية، ومكث: فعل ماض، وفاعل مستتر، يعود على الهدهد، أو: على سليمان، وغير بعيد: ظرف زمان متعلق بمكث، أو على الأصح: صفة لظرف محذوف نابت عنه؛ أي: وقت غير بعيد، أو مكاناً غير بعيد، فهو ظرف مكان، فقال: عطف على مكث، وهذا يؤيد عودة الضمير إلى الهدهد، وجملة أحطت: مقول القول، وبما: متعلقان بأحطت، وجملة لم تحط: صلة، وبه: متعلقان بتحط، وجئتك: عطف على أحطت، ومن سبأ: متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لنبأ، وبنبأ: متعلقان

بجئتك، ويقين: صفة لنبأ ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة وجدت امرأة: خبر إني، وجملة تملكهم: صفة لامرأة، وأوتيت: الواو عاطفة، أو: حالية، وجملة أوتيت: إما معطوفة على جملة تملكهم، وساغ عطف الماضي على المضارع؛ لأن المضارع بمعنى الماضي؛ أي: ملكتهم، وإما حالية من فاعل تملكهم، وقد مقدرة، ومن كل شيء: متعلقان بأوتيت، أو: بمحذوف هو مفعول أوتيت الثاني، والتقدير أيضاً من كل شيء، ولها: خبر مقدم، وعرش: مبتدأ مؤخر، وعظيم: صفة.

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ جملة وجدتها: بدل من وجدت امرأة، فهي داخلة في حيز الخبر، ووجدتها هنا تتعدى لواحد؛ لأنها بمعنى لقيتها، والهاء: مفعول به، وقومها: عطف على الهاء، أو: مفعول معه، وجملة يسجدون: حال من مفعولها، وما: عطف عليه، وللشمس: متعلقان بيسجدون، ومن دون الله: حال ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ الواو: حرف عطف، وزين: فعل ماض، ولهم: متعلقان به، والشيطان: فاعله، وأعمالهم: مفعوله، فصدهم: عطف على زين، وعن السبيل: متعلقان بصدهم، فهم: الفاء: عاطفة، وهم: مبتدأ، وجملة لا يهتدون: خبر ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يجب حذف النون في الرسم اتباعاً لسنة المصحف، وأن: هي حرف مصدري ونصب، ولا زائدة، والمعنى: أن يسجدوا، وهذا المصدر المؤول معمول لقوله: لا يهتدون؛ لكن بنزع الخافض، وهو: إلى، المعنى: فهم لا يهتدون إلى السجود، وعلى هذا الإعراب لا يصح الوقوف على يهتدون، ويجوز أن يكون المصدر بدلاً من أعمالهم، والتقدير: وزين لهم الشيطان أعمالهم عدم السجود، ويجوز أن يكون بدلاً من السبيل، وقرىء بتخفيف ألا، فهي حرف تنبيه، واستفتاح، ويا: حرف نداء، والمنادى محذوف، واسجدوا: فعل أمر، فكان حق الخط على هذه القراءة أن يكون يا اسجدوا،

ولكن الصحابة أسقطوا ألف يا، وهمزة الوصل من اسجدوا خطاً لما سقطت لفظاً، ووصلوا يا بسين اسجدوا، فصارت صورته: يسجدوا؛ كما ترى فاتحدت القراءتان لفظاً، وخطاً، واختلفتا تقديراً، وسيأتي بحث اختلاف النحويين في «يا» الداخلة على فعل، أو حرف في باب الفوائد. ولله: متعلقان بيسجدوا، والذي: موصول نعت لله، وجملة يخرج الخبء: صلة، وفي السموات والأرض: متعلقان بالخبء؛ أي: المخبوء في السموات، أو: بيخرج؛ على أن «في» بمعنى «مِنْ» أي: يخرجه مِن السموات والأرض ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ويعلم: عطف على يخرج، فهو داخل في حيز الصلة، وفاعل يعلم: ضمير مستتر، يعود على الله، وما: موصول مفعول به، وجملة تخفون: صلة، وما تعلنون: عطف على ما تخفون ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩﴾ كلام مستأنف مسوق للثناء على عرش الله العظيم بعد الإلماع إلى عرش بلقيس، وبينهما بونٌ عظيم.

□ البلاغة:

جناس التصريف:

في قوله ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ جناس التصريف، وهو اختلاف صيغة الكلمتين بإبدال حرف من حرف؛ إما من مخرجه، أو من قريب من مخرجه، وهو من محاسن الكلام المتعلقة باللفظ، شريطة أن يأتي جارياً مع الطبع، بعيداً عن التكلف، محتفظاً بصحة المعنى، ولقد جاء هنا زائداً على الصحة، فحسن، ورقَّ، ألا ترى أنه لو قال: بخبرٍ بدلاً من بنبأ لصح المعنى واستقام، ولكنه جاء منغوماً عذب الجرس لاتفاق سبأ ونبأ، وقد تقدم مثله في قوله بسورة الأنعام ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾.

* الفوائد:

١ ـ قصة سليمان والهدهد:

وجرياً على عادتنا نورد إحدى الروايات المذكورة عن قصة سليمان

والهدهد؛ لما فيها من جذور قصصية، وتمهيداً للنابغين الملهمين من كتاب القصص:

روي: أن سليمان حين فرغ من بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره، فوافى الحرم، وأقام به ما شاء، وكان يقرب كلّ يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة، وخمسة آلاف بقرة، وعشرين ألف شاة، ثم عزم على السير إلى اليمن، فخرج من مكة صباحاً يؤم سهيلاً، فوافى صنعاء وقت الزوال، فرأى أرضاً حسناء تزهو خضرتها، فنزل ليتغدى ويصلي، فلم يجدوا الماء، وكان الهدهد قناقنه؛ أي: دليله الهادي، وكان يرى الماء تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة، فتفقده لذلك، وحين نزل سليمان حَلَّق الهدهد؛ فرأى هدهداً آخر واقعاً، فانحط إليه، فوصف له ملك سليمان، وما سخر له من كل شيء، وذكر له صاحبه ملك بلقيس، وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد، وتحت كل قائد مئة ألف، وذهب معه لينظر، فما رجع إلى بعد العصر، وذكر: أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان، فنظر فإذا موضع الهدهد خال، فدعا عريف الطير، وهو: النسر، فسأله عنه، فلم يجد عنده علمه، ثم قال لسيد الطير وهو العقاب: عليّ به، فارتفع العقاب في الهواء حتى نظر إلى الدنيا كالقصعة، ثم التفت يميناً وشمالاً، فرأى الهدهد مقبلاً فانقضّ العقاب يريده، وعلم الهدهد: أن العقاب يقصده بسوء، فقال: بحق الذي قواك، وأقدرك إلا ما رحمتني، فتركه، وقال: ويلك ثكلتك أمك! إن نبيّ الله قد حلف ليعذبنك، قال: وما استثنى نبي الله؟ قال: بلى، قال: أو ليأتيني بسلطان مبين. فقال: نجوت إذاً، فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض متواضعاً لسليمان، فلما دنا منه أخذ برأسه فمدّه إليه فقال: يا نبي الله، اذكر وقوفك بين يدي الله، فارتعد سليمان، وعفا عنه، ثم سأله: ما الذي أبطأك عني؟ فقال الهدهد: أحطت بما لم تحط به.. الخ.

نكتة بيانية:

قال الزمخشري: «فإن قلت: قد حلف على أحد ثلاثة أشياء، فحلفه على

فعليه لا مقال فيه، ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد؟ ومن أين درى أنه يأتي بسلطان حتى يقول: والله ليأتيني بسلطان؟ قلت: لما نظم الثلاثة بأو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه إلى قولك ليكونن أحد الأمور، يعني: إن كان الإتيان بسلطان لم يكن تعذيب، ولا ذبح، وإن لم يكن كان أحدهما، وليس في هذا ادعاء دراية».

٢ ـ من هي بلقيس؟

أما بلقيس: فهي ابنة شراحيل بن أبي سرح بن الحارث بن قيس بن صيغي بن سبأ. وقال ابن الكلبي: كان أبوها من عظماء الملوك، وستأتي قصتها، وذكر الحريري في «درة الغواص»:

إن صواب لفظ بلقيس أن تكسر باؤه؛ لأن كل أعجمي يعرب فقياسه أن يلحق بأمثلة كلام العرب وعلى ذلك بلقيس، وفي أخبار سيف الدولة: أن الخالديين مدحاه، فبعث إليهما وصيفاً ووصيفة مع كل واحد منهما بدرة وتخت من ثياب مصر والشام فكتبا إليه:

لم يَغْدُ شكرُك في الخلائقِ مطلقاً
إلا ومالك في النوالِ حبيسُ
خولتنا شمْساً وبَدْراً أشرقتْ
بهما لَدَيْنا الظلمةُ الحنديسُ
رشأٌ أتانا، وهو حسن يوسف
وغزالةٌ هي بهجة بلقيس
هذا ولم تقنعْ بذاكَ وهذه
حتى بعثْتَ المالَ وهو نَفِيْسُ
أتتِ الوصيفةُ وهي تحملُ بَدْرَةً
وأتى على ظهر الوصيفِ الكيسُ

وكسوتنا مما أجادتْ حَوْكَهُ
مصر وزادتْ حسنَهُ تنيسُ
فغَدا لنا من جُودكَ المأكولُ والـ
مشروبُ والمنكوحُ والملبوسُ

فلما قرأها سيف الدولة قال: أحسنا إلا في لفظ المنكوح؛ إذ ليست مما يخاطب بها الملوك. هذا وقد كانت قصة بلقيس وصرحها الممرد مصدر إلهام للشعراء، فقد أورد البحتري ذلك كلَّه في قصيدة له يمدح بها المتوكل، ويذكر بناء البركة المشهورة، ومنها:

يا مَنْ رأى البُرْكةَ الحسناء رؤيتها
والآنساتِ إذا لاحتْ مغانيها
بحسبها أنها في فضلِ رتبتها
تعدُّ واحدةً والبحرُ ثانيها
كأنَّ جنَّ سليمان الذين ولوا
إبداعها فأدقُّوا في معانيها
فلو تمرُّ بها بلقيسُ عن عُرُض
قالت هي الصَّرحُ تمثيلاً وتشبيها

٣ ـ سجدات القرآن:

وعلى ذكر قوله: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ﴾ إنَّ أبا حنيفة والشافعي اتفقا على أن سجدات القرآن أربع عشرة، وإنما اختلفا في سجدة «ص» فهي عند أبي حنيفة سجدة تلاوة، وعند الشافعي سجدة شكر، وفي سجدتي سورة الحج.

٤ ـ قصة سيل العرم وتفرق العرب أيادي سبا:

ونورد هنا بعض الأساطير المروية للطرافة والفائدة:

وسبأ: هو أبو قبائل اليمن المتفرقة من سد مأرب؛ الذين مزقهم الله كلّ ممزّق، وسمي: سبأ؛ لأنه أول من سبى السبي، وقيل: سبأ اسم أمهم،

ومأرب اسم بلدهم، وكانت سبأ من أحسن بلاد الله، وأخصبها، وأكثرها شجراً وماء، وقد ذكر الله: أنها كانت جنتين عن يمين وشمال، وكانت مسيرة شهر في شهر للمجدِّ الراكب، يسير في جنانٍ من أولها إلى آخرها، لا تواجه الشمس، ولا يفارقه الظلُّ، مع تدفق الماء، وصفاء الهواء، واتساع الفضاء، فمكثوا ما شاء الله، لا يعاندهم ملك إلا قصموه، وكانت في بدء الزمان تركبها السيول، فجمع ملك حمير أهل مملكته، فشاورهم في دفع السيل، فأجمعوا على حفر مسارب له حتى تؤديه إلى البحر فحشد أهل مملكته، حتى صرف الماء، واتخذ سداً في موضع جريان الماء من الجبال، ورصفه بالحجارة والحديد، وجعل فيه مجاري للماء في استدارة الذراع فإذا جاء السيل تصرف في المجاري إلى جناتهم ومزروعاتهم بتقدير يعمهم نفعه. وذكر الأعشى في شعره: أن حميراً بنته، فقال:

رخـامٌ بنتـه لهـم حميـرٌ إذا جـاء مـاؤُهـم لَـمْ يـرم

وأروى الـزروعَ وأعنـابَهـم على سعـةٍ مـاؤهـم قـد قُسِـمْ

فعـاشـوا بـذلـكَ في غبطـةٍ فحـاقَ بهـم جـارفٌ مُنْهـدِمْ

ولما انتهى الملك إلى عمرو بن عامر مزيقياء، وسمي بذلك؛ لأنه كان يمزق كل ليلة حلةً كبراً من أن تعاد عليه، أو يلبسها غيره، وقيل: سمي بذلك؛ لأنه مزق الأزد في البلاد، وكان أخوه عمران كاهناً، فأتته كاهنة تدعى ظريفة، فأخبرته بدنو فساد السد، وفيض السيل، وأنذرته، فجمع أهل مأرب وعمل لهم طعاماً فأخبرهم بشأن السيل، فأجمعوا على الجلاء، فقال لهم عمران أخوه: إني أصف لكم بلداناً، فاختاروا أيتها شئتم، فمن كان منكم ذا هم بعيد، وجمل غير شرود؛ فليلحق بالشعب من كرود، فلحق به همدان، ثم قال: ومن كان منكم ذا سياسة، وصبر على أزمات الدهر، فليلحق ببطن مر، فلحقت به خزاعة، ثم قال: ومن كان منكم يريد الراسخات في الوحل، المطعمات في المحل؛ فليلحق بيثرب ذات النخل، فنزلها الأوس والخزرج، ثم قال: ومن كان منكم يريد الخمر

والخمير، والأمر والتأمير؛ فليلحق ببصرى وسدير، وهي من أرض الشام، فنزلها غسان، ثم قال: ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق، والخيل العتاق، والذهب والأوراق؛ فليلحق بالعراق، فلحق بها مالك بن فهم بن الأزد، وتخلف مالك بن اليمان في قومه؛ حتى أخرجهم السيل، فنزلوا نجران، وانتسبوا إلى مذحج، ودخلت جماعة منهم إلى معد، فأخرجتهم معد بعد حروب فنزلوا بجبال الشراة على تخوم الشام فلما تفرقت البلاد هذا التفرق ضربت العرب بهم المثل فقالوا: ذهبوا أيدي سبا وأيادي سبا.

﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿أَفْتُونِى﴾: أشيروا عليَّ والفتوى: الجواب في الحادثة، اشتقت على طريق الاستعارة من الفتا في السنّ، والمراد بالفتوى هاهنا: الإشارة عليها بما عندهم؛ كما ذكرنا فيما حدث لها من الرأي والتدبير. وفي «الأساس»: «وفلان من أهل الفتوى، والفتيا، وتعالوا ففاتونا، وتفاتوا إليه: تحاكموا، قال الطرماح:

هلمَّ إلى قضاة الغوثِ فاسألْ ... برهطِك والبيانُ لدى القضاةِ

أنـخْ بفنـاء أشـدقَ مـن عـديٍّ ... ومن جَرْمٍ وهُمْ أهلُ التفاتي

وقال عمر بن أبي ربيعة:

فبتُّ أفاتيها فلا هيَ تَرْعوِي بجودٍ ولا تُبدي إباءً فتبخلا

أي: أسائلها».

هذا ويجوز ضم الفاء، وفتحها؛ كما جاء في أدب الكاتب لابن قتيبة قال: «قالوا: فتوى، وفتيا، وبقوى، وبقيا، وثنوى، وثنيا، ورعوى، ورعيا».

﴿ أُوْلُواْ قُوَّةٍ ﴾: اسم جمع بمعنى: أصحاب، والواحد: ذو، بمعنى: صاحب، وقيل: جمع ذو على غير لفظه، وقد تقدم: أنها من الملحقات بجمع المذكر السالم، والمؤنث: أولات، وواحدتها: ذات، تقول: جاء أولو العلم، وأولات الفضل.

○ الإعراب:

﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ كلام مستأنف مسوق للإجابة عن سؤال نشأ عن حكاية الهدهد، وجملة سننظر: مقول القول، والهمزة: للاستفهام، وصدقت: فعل، وفاعل، وأم: متصلة، معادلة للهمزة، وكان، واسمها، ومن الكاذبين: خبرها، وعدل عن الفعل المطابق لما قبله إلى الاسم لنكتة بلاغية تقدمت الإشارة إليها أكثر من مرة. وهي جعله واحداً من الفئة الموسومة بالكذب﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ لا بد من تقدير كلام محذوف لتتناسق حوادث القصة، أي: ثم دلهم على الماء، فاستخرجوه، وارتووا، وتوضؤوا، وصلوا، ثم كتب سليمان كتاباً هذه صورته: «من عبد الله سليمان إلى بلقيس ملكة سبأ، بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلوا عليَّ، وأتوني مسلمين» ثم ختمه بخاتمه، ثم قال للهدهد: اذهب، فالجملة: مقول قولٍ محذوف، واذهب: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وبكتابي: متعلقان باذهب، وهذا: نعت لكتابي، أو: بدل منه، فألقه: الفاء: عاطفة، وألقه: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، وإليهم: متعلقان بألقه، ثم: حرف عطف، وتول: فعل أمر على حذف حرف العلة، والفاعل: مستتر،

تقديره: أنت، وعنهم: متعلقان بمحذوف حال؛ أي: متجاوزاً إياهم إلى مكان قريب، تتوارى فيه، ليكون ما يقولونه بمسمعٍ منك، فانظر: عطف على تول، وماذا يرجعون: في هذا التعبير وجهان:

أولهما: أن تكون انظر بمعنى تأمل، وتفكر، فتكون ماذا: اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم ليرجعون، تقديره: أيَّ شيء يرجعون، أو: تجعل ما: اسم استفهام مبتدأ، وذا: اسم موصول بمعنى الذي خبر ما، وجملة يرجعون: صلة ذا، والعائد: محذوف، تقديره: أيَّ شيء الذي يرجعونه، وعلى كلا التقديرين فالجملة الاستفهامية قد علق عنها العامل، وهو: انظر بالاستفهام، فمحلها النصب على نزع الخافض؛ أي: انظر في كذا، وفكر فيه.

وثانيهما: أن تكون انظر بمعنى انتظر من قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ فتكون ماذا كلها: اسم موصول، وهو أحد أوجه ماذا التي ستأتي في باب الفوائد، وهي مفعول به، أي: انتظر الذي يرجعونه، وجملة يرجعون: صلة، والعائد: محذوف؛ كما تقدم، والمعنى: ماذا يردون من الجواب، أو: ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول.

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾ لا بد من تقدير كلام محذوف، روعي في حذفه الإيجاز، وتقديره كما قال مقاتل: «حمل الهدهد الكتاب بمنقاره، وطار حتى وقف على رأس المرأة، وحولها الجنود والعساكر، فرفرف ساعة، والناس ينظرون، فرفعت المرأة رأسها، فألقى الكتاب في حجرها». وسيأتي مزيد من الروايات في تقدير هذا المحذوف. وإني: إن واسمها، وجملة ألقي: خبرها، وإليَّ: متعلقان بألقي، وكتاب: نائب فاعل، وكريم: صفة، وسيأتي سر هذا الوصف في باب البلاغة.

﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ الجملة: مستأنفة مسوقة للرد على سؤال مقدر، كأنهم: قالوا: ممن هو؟ وما هي منطوياته؟ فقالت: إنه من سليمان. وإن، واسمها، ومن سليمان: خبرها، وإنَّه: الواو: عاطفة،

وإنَّ، واسمها، وجملة البسملة: خبرها، وقد تقدم إعراب البسملة في صدر هذا الكتاب ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ أن: مفسرة، والمفسر كتاب؛ لتضمنه معنى القول دون حروفه، ولا: ناهية، وتعلوا: فعل مضارع مجزوم بلا، والواو: فاعل، وعليَّ: متعلقان بتعلوا، ويجوز أن تكون أن: مصدرية ناصبة للفعل، ولا: نافية، وأن وما في حيزها: مصدر مؤول في محل رفع بدل من كتاب، أو: خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: مضمونه: ألا تعلوا، أو: في محل نصب بنزع الخافض؛ أي: بأن لا تعلوا، وأتوني: الواو عاطفة، وائتوني: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، والنون: للوقاية، والياء: مفعول به، ومسلمين: حال ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ أفتوني: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، والنون: للوقاية، والياء: مفعول به، وفي أمري: متعلقان بأفتوني ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ ما: نافية، وكنت قاطعة: كان، واسمها، وخبرها، وأمراً: مفعول به، وحتى: حرف غاية وجر، وتشهدون: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، وعلامة نصبه حذف النون، والنون الموجودة: نون الوقاية، وياء المتكلم المحذوفة: مفعول به ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ جملة نحن: مقول القول، ونحن: مبتدأ، وأولو: خبر، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وقوة: مضاف إليه، وأولو بأس شديد: عطف على ما تقدم ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ الواو: حرف عطف، والأمر: مبتدأ، وإليك: خبر؛ أي: موكول إليك، ونحن مطيعون لك، فانظري: الفاء: الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن مقدر؛ كأنما تصوروا: أنها قد تكون راغبة في القتال، أو: أنهم راغبون فيه، فإن أردتِ ذلك، وعزمت على خوض الحرب فنحن أبناء بجدتها، وانظري: أي فكري، وماذا: اسم استفهام، وقد تقدم إعرابها، وستأتي وجوهها، وهي هنا في محل نصب مفعول مقدم لتأمرين، والاستفهام معلق للنظر.

□ **البلاغة:**

في هذه المحاورة التي جرت بين بلقيس وبين الملأ من قومها، وفي الوصف لكتاب سليمان بعد ذكر العنوان والتسمية فنون عديدة، نورد أهمها فيمايلي:

١ ـ الإشارة:

وهذا الفن سبقت إليه الإشارة في هذا الكتاب، وقد فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه، فقال: هو أن يكون اللفظ القليل دالاً على المعنى الكثير؛ حتى تكون دلالة اللفظ كالإشارة باليد، فإنها تشير بحركة واحدة إلى أشياء كثيرة، والفرق بينه وبين الإيجاز: أن الإيجاز بألفاظ المعنى الموضوعة له، وألفاظ الإشارة لمحة خاطفة دالة، فدلالة اللفظ بالإيجاز دلالة مطابقة، ودلالة اللفظ في الإشارة إما دلالة تضمن، أو دلالة التزام، والدلالة هنا دلالة تضمن، فقد وصفت كتاب سليمان بالكرم؛ لأنه من عند ملك كريم، أو: لأنه مختوم، وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «كرم الكتاب ختمه» وعن ابن المقفع: من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به.

وروي: أنها كانت راقدة، وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب، ووضعت المفاتيح تحت رأسها، فدخل الهدهد من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية. وقيل: نقرها، فانتبهت فزعة، فلما رأت الخاتم ارتعدت وقالت لقومها ما قالت.

٢ ـ الإيجاز:

في قولهم: ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ إيجاز عجيب، فهو أولاً: يدل على تعظيم المشورة، وتعظيم بلقيس أمر المستشار، وهو ثانياً: يدل على تعظيمهم أمرها، وطاعتها، وفي قولهم: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ وقولهم: ﴿فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ إيجاز يسكر الألباب، قال أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتابه «إعجاز القرآن»: «فإن الكلام قد يفسده الاختصار، ويعميه التخفيف منه، والإيجاز، وهذا مما يزيده الاختصار

بسطاً؛ لتمكنه ووقوعه موقعه، ويتضمن الإيجاز منه تصرفاً يتجاوز محله وموضعه» إلى أن يقول: «وأنت لا تجد في جميع ما تلونا عليك إلا ما إذا بسط أفاد، وإذا اختصر كمل في بابه، وجاد، وإذا سرح الحكيم في جوانبه طرف خاطره، وبعث العليم في أطرافه عيون مباحثه؛ لم يقع إلا على محاسن تتوالى، وبدائع تترى».

* الفوائـد:

عقد ابن هشام في «المغني» فصلاً لـ «ماذا» نلخصه فيمايلي ونعرب أمثلته:

تأتي ماذا في العربية على أوجه:

١ ـ أن تكون ما: استفهامية، وذا: إشارة نحو ماذا التواني؟ ماذا الوقوف؟ فما: اسم استفهام مبتدأ، وذا: خبر، والتواني: بدل، أو: عطف بيان؛ أي: أيُّ شيءٍ هذا التواني؟

٢ ـ أن تكون ما: استفهامية، وذا: موصولة؛ كقول لبيد:

ألا تسـألانِ المـرءَ مـاذا يحـاولُ أنحبٌ فيقضى أَمْ ضلالٌ وباطلُ

فما: اسم استفهام مبتدأ، وذا: اسم موصول خبره، وجملة يحاول: صلة، والهمزة: للاستفهام، ونحب: بدل من ما.

٣ ـ أن يكون ماذا كله استفهاماً على التركيب، كقولك: لماذا جئت؟ وقوله:

يا خزر تغلب ماذا بالُ نسوتِكُم لا يستفِقْنَ إلى الديرين تحنانا

فماذا: اسم استفهام مركب مبتدأ، وبال نسوتكم: خبر.

٤ ـ أن يكون ماذا كله اسم جنس بمعنى شيء، أو: موصولاً بمعنى الذي على خلاف تخريج قول الشاعر:

دعـي مـاذا علمـت سـأتقيـهِ ولكِـنْ بـالمغيَّـب نبئينـي

فالجمهور على أن ماذا كله مفعول دعي، ثم اختلف، فقيل: موصول

بمعنى: الذي، وقيل: نكرة بمعنى: شيء، وهناك وجهان ذكرهما ابن هشام ولم نر حاجة إليهما؛ لأنهما لا يقعان في فصيح الكلام.

﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ كلام مستأنف مسوق للرد على مستشاريها؛ أي: لم ترض بما أشاروا به، وهو خوض الحرب، بل مالت للسلام، وعقد الصلح، وعللت ذلك بقولها إن الملوك.. وكأنها تلمع لهم بسوء مغبة الحرب، وعواقبها المخيفة، وآثارها الكثيرة. فإن واسمها، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة دخلوا: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وقرية: مفعول به على السعة، وجملة أفسدوها: جواب شرط غير جازم لا محل لها، وجملة الشرط وجوابه خبر إن ﴿ وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ الواو: عاطفة، وجعلوا: فعل وفاعل، وأعزة أهلها: مفعول جعلوا الأول، وأذلة: مفعول جعلوا الثاني، وكذلك: الواو عاطفة؛ لأن ذلك من جملة كلامها، وكذلك: نعت لمصدر محذوف تقدمت له نظائر، أرادت: هذه عاداتهم المستمرة، وديدنهم الثابت ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ إن واسمها، ومرسلة: خبرها، وإليهم: متعلقان بمرسلة، وبهدية: متعلقان بمرسلة أيضاً، فناظرة: عطف على مرسلة، وبم: الباء: حرف جر، وما: الاستفهامية المحذوف ألفها: في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بيرجع، ولا يجوز تعلقهما بناظرة، كما أعربها

الحوفي؛ لأن الاستفهام له الصدر، فلا يعمل ما قبله فيه، وإلا خرج عما ثبت له، وللمفسرين كلام طويل في هذه الهدية، لا يحتمل ذكرها صدرُ هذا الكتاب، ويرجع المرسلون: فعل، وفاعل، والجملة: مفعول به لناظرة.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف لا بد من تقديره: فأعدت الهدية مع رسول بكتاب، وسيأتي مزيد بحث عنها في باب البلاغة. ولما: ظرفية حينية، أو: رابطة متضمنة معنى الشرط، وجاء سليمان: فعل ماض، والفاعل مستتر، تقديره: هو، أي: الرسول، وسليمان: مفعول به، وجملة قال: لا محل لها، والهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وتمدونن: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو: فاعل، والنون: للوقاية، والياء المحذوفة: مفعول به، وبمال: متعلقان بتمدونن؛ أي: تعاونونني بالمال ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ الفاء: حرف تعليل لما تقدم من إنكاره عليهم، وتوبيخه إياهم، وما: اسم موصول مبتدأ، وجملة آتاني: صلة، وآتاني الله: فعل ماض، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، وخير: خبر ما، وبل: حرف إضراب انتقالي؛ لبيان السبب الذي حداهم إلى إمداده بالمال، وأنتم: مبتدأ، وبهديتكم: متعلقان بتفرحون، وجملة تفرحون: خبر ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ الخطاب لأمير الوفد، وارجع: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وإليهم: متعلقان بارجع، وقيل: الخطاب للهدهد محملاً إياه رسالة أخرى، والفاء: استئنافية، واللام: موطئة للقسم، ونأتينهم: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، والهاء: مفعول به، والميم: علامة جمع الذكور، وبجنود: متعلقان بنأتينهم، ولا: نافية، للجنس، وقبل: اسمها المبني، ولهم: خبر، وبها: متعلقان بقبل؛ لتضمنه معنى المصدر؛ لأن حقيقته المقابلة والمقاومة، يقال: مالي به قبل؛ أي: طاقة، ويقال: لي قبل فلان دين؛ أي: عنده، وأتاني من قبله، أي: من عنده، فتكون بمعنى المصدر، وبمعنى

الظرف ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ ولنخرجهم: عطف على فلنأتينهم، ومنها: متعلقان بنخرجنهم، والضمير يعود إلى سبأ؛ أي: بلادهم، وأذلة: حال، وهم: الواو: حالية، وهم: مبتدأ، وصاغرون: خبر، والجملة: حال ثانية من الهاء في لنخرجنهم.

□ البلاغة:

الإيجاز:

في هذه الآيات إيجاز بليغ، يحسن بنا أن نتدبره؛ لأن المدار فيه على المعاني دون الألفاظ، فرب لفظ قليل ينطوي على معنى كثير، وقد تقدم معنا: أنَّ الإيجاز قسمان. أحدهما: إيجاز بالحذف، وهو ما يحذف منه المفرد. وإيجاز بالقصر، وفي هذه الآيات إيجاز بالحذف، وهو قوله: ﴿بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ ثم قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ فقد حذف هنا ما لو أظهر لظهر الكلام غثاً لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والحسن، لأن الخاطر قد يذهب كل مذهب، وقد يترك العنان للخيال؛ ليجول في آفاق لا نهاية لها، ليتصور الهدية التي أعدتها مما يتولى الشرح إظهاره. فقد روي: أن بلقيس كانت امرأة عاقلة لبيبة قد ساست الأمور، وسبرت أغوار الناس، وكانت تعرف: أن سليمان لو كان نبياً لترفع عن أخذ الهدية، ولو كان ملكاً لأخذها، فأحبت أن تتأكد من هذه المسألة، وروي أيضاً: أنها بعثت خمسمئة غلام عليهم ثياب الجواري، وحليهنَّ الأساور، والأطواق، والقرطة، راكبي خيل مغشاة بالديباج، ومحلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمئة جارية على رماك؛ أي: إناث الخيل في زي الغلمان، وألف لبنة من ذهب وفضة، وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر، وحقاً فيه درة عذراء، وجزعة معوجة الثقب، وبعثت رجلين من أشراف قومها، وهما: المنذر بن عمرو، وآخر ذا عقل ورأي، ثم قالت للمنذر: إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك، فلا يهولنَّك أمره. وإن رأيته بشاً لطيفاً فهو نبي، فأقبل الهدهد، فأخبر سليمان بما تم، فأمر سليمان الجن، فضربوا اللبن الذهب والفضة، وفرشوه في

ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ، وجعلوا حول الميدان حائطاً شرفه من الذهب والفضة، وأمر بأحسن الدواب فربطوها عن يمين الميدان ويساره، وأمر أولاد الجن وهم خلق كثير، فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله، فلما دنا القوم، ونظروا؛ بهتوا، ثمَّ رد الهدية، وقال للمنذر: ارجع إليهم، فقالت: هو نبي، ومالنا به من طاقة، وتجهزت إلى المسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به، فارتحلت في اثني عشر ألف قيل، أي: ملك وهو بفتح القاف، سمي قيلاً؛ لأنه ينفذ كل ما يقول، إلى أن قربت منه على فرسخ، فشعر بها.

هذا: والهدية اسم المهدى، كما أنَّ العطية اسم المعطى، فتضاف إلى المهدي والمهدى إليه، تقول: هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها، أو أهديت إليه، والمضاف إليه في قوله: ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ هو المهدى إليه.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿عِفْرِيتٌ﴾: العفريت: الخبيث المنكر، والنافذ في الأمر مع دهاء، وذلك

من الإنس، والجن، والشياطين، وجمعه: عفاريت، ومؤنثه: عفريتة، والعفرية مثله، وقد قرىء به، ويقال: رجل عفرية، وعفر، وعفير: إذا كان صحيحاً، شديداً، مونق الخلق، أخذ من عفر الأرض، وهو: التراب؛ أي: من علق به من عفره بالأرض، ومنه: ليث عفرين، أي: ليث ليوث معفر لفريسته، قال الخليل: رجل عفار: بين العفارة، إذا وصف بالشيطنة، والعفير أيضاً: الظريف الكيس، ويقال للشيطان: عفريت، وعفرية. وفي الحديث: «إن الله ليبغض العفريت النفريت» قيل: هو الجموع، المنوع. وقال أبو عثمان النهدي: دخل رجل عظيم على النبي ﷺ فقال له: متى عهدك بالحمى؟ قال: ما أعرفها. قال: فبالصداع؟ قال: ما أدري ما هو؟ قال: أفأصبت بمالك؟ قال: لا. قال: أفرزئت بولدك؟ قال: لا. فقال النبيُّ ﷺ: إن الله ليبغض العفريت النفريت، وهو: الذي لا يرزأ.

﴿ٱلصَّرْحَ﴾: قال في «الكشاف»: الصرح: «القصر. وقيل: صحن الدار» وأصله من التصريح، وهو الكشف، وكذب صراح، أي: ظاهر مكشوف، ولؤم صراح، ولبن صريح، أي: ذهبت رغوته، وخلص. وعربي صريح: من عرب صرحاء، غير هجناء. وكأس صُراح: لم تمزج. وصرحت الخمرة، ذهب عنها الزبد. ولقيته مصارحة: مجاهرة. وصرح النهار: ذهب سحابه، وأضاءت شمسه. قال الطرماح في وصف ذئب:

إذا امتلَّ يعدو قلتُ ظلَّ طخاءه
ذَرَى الريحَ في أعقابِ يومٍ مصرّح

﴿مُّمَرَّدٌ﴾: الممرَّد: المملَّس، وسيأتي سر بنائه في باب الفوائد، ومنه: الأمرد؛ لملاسة وجهه؛ أي: نعومته؛ لعدم وجود الشعر به، وفي «القاموس»: «التمريد في البناء: التمليس، والتسوية، وبناء ممرد: مطول، والمارد: المرتفع والعاتي».

﴿قَوَارِيرَ﴾: في «المصباح»: «القارورة: إناء من زجاج، والجمع: القوارير، والقارورة أيضاً: وعاء الرطب والتمر، وهي: القوصرة، وتطلق

القارورة على المرأة؛ لأن الولد، أو المني يقر في رحمها، كما يقر الشيء في الإناء، أو: تشبيهاً بآنية الزجاج لضعفها، قال الأزهري: والعرب تكنى عن المرأة بالقارورة والقوصرة». وفي «القاموس»: «والقارورة: حدقة العين، وما قر فيه الشراب، أو نحوه، أو يخصُّ بالزجاج، وقوارير من فضة؛ أي: من زجاج في بياض الفضة، وصفاء الزجاج».

○ الإعراب:

﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ فاعل قال: سليمان، والخطاب لكل من هو عنده من الجن والإنس وغيرهما، وأيكم: مبتدأ، وجملة يأتيني بعرشها: خبر، والظرف: متعلق بيأتيني أيضاً، وأنْ وما في حيزها: مصدر مؤول مضاف إليه، ومسلمين: حال ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ قال: فعل ماض، وعفريت: فاعل، ومن الجن: صفة، وأنا: مبتدأ، وجملة آتيك به: خبر، والظرف: متعلق بآتيك، ومن مقامك: متعلق بتقوم؛ أي: قبل أن تبارح مجلسك الذي تجلس فيه للقضاء من الغداة إلى منتصف النهار. ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ الواو: عاطفة، وإنَّ واسمها، وعليه: متعلقان بقوي، واللام: المزحلقة، وقوي: خبر، وأمين: خبر ثان؛ أي: قوي على حمله، أمين به، لا أختلس منه شيئاً، ولا أعبث به ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ لا بد من تقدير محذوف على طريق الإيجاز؛ كما تقدم، وهو: قال سليمان: أريد أن يتم ذلك في أسرع وقت. وقال: فعل ماض، والذي: فاعل، والظرف: متعلق بمحذوف خبر مقدم، وعلمٌ: مبتدأ مؤخر، ومن الكتاب: صفة لعلم، والجملة: صلة الموصول وأنا: مبتدأ، وجملة آتيك به: خبر، والجملة: مقول القول، وتقدم إعراب الباقي، وسيأتي معنى: ارتداد الطرف في باب البلاغة ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ الفاء: عاطفة على محذوف، يقدر بحسب المقام، ويروى: أن آصف بن برخيا، وهو الذي عنده علم من الكتاب المنزل قال لسليمان مدَّ عينيك حتى ينتهي طرفك، فمدَّ

سليمان عينيه، ونظر نحو اليمين، ودعا آصف بالعلم الذي لديه، فغار العرش في مكانه بمأرب، ثم نبغ بمجلس سليمان، ولما: ظرف بمعنى حين، أو: رابطة، ورآه: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، ومستقراً: حال؛ لأن الرؤية بصرية؛ أي: ثابتاً، والظرف: متعلق بمستقراً، وجملة قال: لا محل لها من الإعراب، وهذا: مبتدأ، ومن فضل ربي: خبر.

﴿ لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ اللام: للتعليل، ويبلوني: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وفاعل يبلوني: يعود على ربي، والياء: مفعول، وأأشكر: الهمزة للاستفهام، وأشكر: فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنا، وجملة أأشكر: بدل من الياء في يبلوني، فهو بمثابة المفعول به، وأم أكفر: عطف على أأشكر ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ الواو: استئنافية، ومَنْ: شرطية مبتدأ، وشكر: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاء: رابطة؛ لأنَّ الجواب جملة اسمية، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، وما: مصدرية، وهي وما بعدها في تأويل مصدر اسم إنَّ؛ أي: فإنَّ ثواب شكره، ولنفسه: هو الخبر، وفعل الشرط وجوابه خبر مَنْ، ومن كفر فإن ربي غني كريم: جملة معطوفة على الجملة السابقة مماثلة لها في الإعراب ﴿ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ نكروا: فعل أمر، والواو: فاعل، ولها: متعلقان بنكروا، وعرشها، مفعول به؛ أي: غيِّروه، وننظر: فعل مضارع مجزوم؛ لأنه جواب الأمر، وقرىء بالرفع على الاستئناف، وجملة أتهتدي: في محل نصب على المفعولية؛ لأن الاستفهام علق ننظر عن العمل، وأم: حرف عطف معادلة للهمزة، وتكون: فعل مضارع ناقص، معطوف على أتهتدي، واسمها: مستتر، تقديره: هي، ومن الذين: خبر تكون، وجملة لا يهتدون: صلة الذين ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف اقتضاه الإيجاز؛ كما تقدم، أهكذا: الهمزة: للاستفهام، الهاء: للتنبيه، والكاف: حرف جر للتشبيه، وذا: اسم إشارة في محل جر بالكاف، والجار والمجرور: خبر مقدم، وعرشك: مبتدأ

مؤخر، والأصل: اتصال هاء التنبيه باسم الإشارة، فكان مقتضاه أن يقال: أكهذا عرشك؟ وهذا الفصل جائز إذا كان حرف الجر كافاً، فلو قلت: أبهذا أمرت، أو: ألهذا فعلت؟ لم يجز فيه ذلك الفصل، فلا يجوز أن تقول: أها بذا أمرت، وأها لذا فعلت؟ وسيأتي السر في الإتيان بكاف التشبيه، وعدم الاكتفاء بالقول: أهذا عرشك؛ في باب البلاغة. قالت: فعل وفاعل مستتر، تقديره: هي، يعود على بلقيس، وكأنه هو: وكأن، واسمها، والضمير هو: خبرها، وسيأتي السر في عدولها عن مطابقة الجواب للسؤال في باب البلاغة أيضاً.

﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ الواو: عاطفة على كلام محذوف للإيجاز؛ أي: لما سمعوا قولها كأنه هو، قالوا: أصابت في الجواب، فقال سليمان: وأوتينا، وهو فعل ماض مبني للمجهول، ونا: نائب الفاعل، والعلم، مفعول أوتينا الثاني، ومن قبلها: متعلقان بأوتينا، وكنا: الواو عاطفة، وكان واسمها، ومسلمين: خبرها، ويحتمل أن يكون: وأوتينا، من كلام بلقيس، فالضمير في قبلها راجع للمعجزة، والحالة التي دل عليها سياق الكلام، والمعنى: وأوتينا العلم بنبوة سليمان من قبل ظهور هذه المعجزة، أو: من قبل هذه الحالة. والأول أرجح ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ من جملة كلام سليمان، أو من كلام الله، وصدها: فعل ماض، ومفعول به، وما: موصول فاعل، وجملة كانت: صلة، واسم كانت: مستتر، تقديره: هي، وجملة تعبد: خبر، ومن دون الله: حال، ويجوز أن تكون ما: مصدرية، أي: وصدّها عبادة الشمس عن الإسلام، وجملة إنها: تعليل للصد عن الإسلام، وعبادة غير الله، وإنَّ، واسمها، وجملة كانت: خبرها، واسم كانت، هي، ومن قوم: خبرها، وكافرين: صفة، وقرىء: أنها بالفتح على أنه بدل من فاعل صدها، أو: نصب بنزع الخافض ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ قيل: فعل ماض مبني للمجهول، والجملة: مستأنفة، وجملة ادخلي الصرح: مقول القول، والصرح: مفعول به على السعة، وستأتي قصة

الصرح في باب الفوائد﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف للإيجاز؛ أي: فدخلته، لما: حينية، أو: رابطة، وجملة حسبته: لا محل لها، والهاء: مفعول به أول، ولجة: مفعول به ثان، وكشفت عن ساقيها: عطف على حسبته﴿ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ إنَّ، واسمها، وصرحٌ: خبرها، وممردٌ: صفة، ومن قوارير: صفة ثانية؛ أي: إن الذي ظننته ماء فوقه؛ هو صرح ممرد؛ أي: مسقف بسطح، فمن أراد مجاوزته لم يحتج إلى تشمير ثيابه﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ رب: منادى مضاف، محذوف منه حرف النداء، وإن، واسمها، وجملة ظلمت نفسي: خبرها، وأسلمت: عطف على ظلمت، ومع: ظرف مكان متعلق بمحذوف حال؛ أي: كائنة مع سليمان، وإنما قدر حالاً؛ لأن تعليقه بأسلمت يوهم اتحاد إسلاميهما في الزمان، ولله: متعلقان بأسلمت، ورب العالمين: بدل من الله، أو: صفة له.

□ **البلاغة:**

١ ـ الكناية في ارتداد الطرف:

في قوله: ﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ كناية عن الإسراع، والطرف: هو تحريك أجفانك إذا نظرت، فوضع موضع النظر، ولما كان الناظر موصوفاً بإرسال الطرف وصف برد الطرف، ووصف الطرف بالارتداد، وعليه قوله:

وكنتَ إذا أرسلتَ طرفَكَ رائداً
لقلبك يوماً أتعبتك المناظرُ

رأيتَ الذي لاكلّه أنت قادرٌ
عليه ولا عنْ بعضِه أنت صابرُ

وهذان البيتان لأعرابية نظرها أعرابي، فخاطبها بشعر، يسألها عن أحوالها ومحاسنها، كأنه يراودها عن نفسها، فأجابته بذلك. وقيل: هو لشاعر حماسي، وشبه إطلاق البصر نحو المناظر الجميلة بإرسال الرائد أمام

الركب يتعرف لهم مكان الخصب على طريق الاستعارة التصريحية، ورائداً: ترشيح للاستعارة، ويوماً: ظرف له.

٢ ـ السر في التشبيه:

وفي قوله «كأنه هو» تشبيه مرسل، عدلت إليه عن مقتضى السؤال، ومقتضاه أن تقول: هو هو؛ لسر دقيق جداً، وذلك: إن «كأنه» عبارة من قرب الشبه عنده، حتى شكك نفسه في التغاير بين الأمرين، فكاد يقول: هو هو، تلك حال بلقيس، ولما كانت هكذا هو عبارة جازم بتغاير الأمرين، حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير، فلهذا عدلت إلى العبارة المذكورة في التلاوة؛ لمطابقتها لحالها.

٣ ـ التجنيس:

وهو تآلف الكلمتين في تأليف حروفهما، وهو هنا في قوله: ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ ﴾.

* الفوائـد:

١ ـ قصة الصرح:

هذا ونلخص ما يروى من قصة الصرح؛ لأنَّها قصة شعرية مجنحة الخيال، فقد روي: أن سليمان أمر قبل قدومها، فبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض، وأجرى من تحته الماء، وألقى فيه من دواب البحر: السمك وغيره، ووضع سريره في صدره فجلس عليه، فلما رأت اللجة؛ فزعت وظنت أنه قصد إغراقها، وتعجبت من كون كرسيه على الماء ولم يكن لها بد من امتثال الأمر، فكشفت عن ساقيها، والمقصود من ذلك كله: اختبار عقلها وإرهاصها بالمعاجز، لا ما يروى: أنه قيل له: إنها شعراء الساقين، ورجلها كحافر الحمار، مما لا يتلاءم ووقار النبوة، وترفعها عن الصغائر.

٢ ـ هل تزوج سليمان بلقيس؟:

قيل: تزوجها بعد ذلك، وأقرها على ملكها، وكان يزورها في الشهر

مرة، فيقيم عندها ثلاثة أيام، وولدت له، وقيل: بل زوجها ذا تبع من ملوك اليمن، ويقال لهم: الأذواء؛ لأن أعلامهم تُصدَّر بكلمة (ذو) والمراد: صاحب هذا الاسم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱطَّيَّرْنَا﴾: وتطيرنا: تشاءمنا والطائر هنا: ما تيمنت به، أو تشاءمت، والمقصود هنا: الثاني، كان الرجل يخرج مسافراً فيمر بطائر فيزجره فإن مر سانحاً تيمن، وإن مر بارحاً تشاءم، فلما نسبوا الخير أو الشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته، أو من عمل العبد، وقد مر هذا في سورة الأعراف، فجدد به عهداً.

﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾: البلد، مَنْ أخذها من: مدن بالمكان، يمدن: إذا قام فيه، فهي: فعيلة، والجمع: مدائن بالهمز، والميم أصلية، والياء زائدة، ومن أخذها من دان، يدين، فالميم زائدة، والياء أصلية، وهي: مفعولة، ويقال:

دنت الرجل ملكته، ودنت له: خضعت له، وأطعت، ويقال للأمة: مدينة لأنها مملوكة، قال الشاعر:

ثوتْ وثوى في كرمِها ابنُ مدينةٍ
يظـــلُّ على مسحـــاتِـــه يتـــوكـــلُ

وفي معاجم اللغة: مدن بالمكان، يمدُن، من باب نصر، مُدوناً: أقام، وهو فعل ممات، ومدن المدينة: أتاها، ومدَّن المدائن ـ بالتشديد ـ: بناها ومصَّرها، وتمدَّن: تخلق بأخلاق أهل المدن، وانتقل من الهمجية إلى حالة الأُنس والظرف، وتجمع المدينة على: مُدْن بسكون الدال، ومدن بضمها، ومدائن، والمدينة: علم أطلق على يثرب، ومدينة السلام: بغداد، والمدائن: مدينة قرب بغداد، كان فيها إيوان كسرى، وسميت بالجمع لكبرها، والنسبة إليها: مدائني.

﴿رَهْطٍ﴾: الرهط: قوم الرجل، وقبيلته، وعدد يجمع من الثلاثة إلى العشرة، وليس فيهم امرأة، ولا واحد له من لفظه، وجمعه: أرْهُط، وأرهاط، وجمع الجمع: أراهط، وأراهيط، وإذا أضيف إلى الرهط عدد كان المراد به الشخص، والنفس، نحو: عشرون رهطاً؛ أي: شخصاً، ويقال: نحن ذوو رهط؛ أي: مجتمعون، وفي «المصباح» «الرهط: بما دون العشرة من الرجال، ليس فيهم امرأة، وسكون الهاء أفصح من فتحها، وهو جمع لا واحد له من لفظه، وقيل: الرهط: من سبعة إلى عشرة، وما دون السبعة إلى الثلاثة: نفر، وقال أبو زيد: الرهط، والنفر: ما دون العشرة من الرجال، وقال ثعلب أيضاً: الرهط: النفر، والقوم، والمعشر، والعشيرة، معناهم الجمع، لا واحد لهم من لفظهم، وهو للرجال دون النساء، وقال ابن السكيت: الرهط، والعترة، بمعنى، ويقال: الرهط: ما فوق العشرة إلى الأربعين. قاله الأصمعي، ونقله ابن فارس أيضاً، ورهط الرجل: قومه، وقبيلته الأقربون» وسيأتي مزيد بحث عنه في باب الإعراب.

○ **الإعراب:**

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ كلام مستأنف مسوق لتقرير القصة الثالثة، أو الرابعة إذا استقلت قصة النمل عن قصة سليمان وبلقيس، وهي قصة صالح. واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وأرسلنا: فعل ماض، وفاعل، وإلى ثمود: متعلقان بأرسلنا، وأخاهم: مفعول به، وصالحاً: بدل من أخاهم، أو: عطف بيان، وأن: مصدرية، وهي ومدخلوها: في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، ويصح كونها مفسرة؛ لأن الإرسال يتضمن معنى القول، واعبدوا الله: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وإذا: فجائية تقدم القول فيها، وهم: مبتدأ، وفريقان: خبر، وجملة يختصمون: نعت لفريقان على المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ لأن كل فريق يضم جماعة ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ يا: حرف نداء، وقوم: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، ولِمَ: اللام حرف جر، وما: اسم استفهام حذفت ألفه لدخول الجار، والجار والمجرور متعلقان بتستعجلون، وبالسيئة: متعلقان بتستعجلون، وقبل الحسنة: ظرف متعلق بمحذوف حال، والمراد بالسيئة: العذاب، وبالحسنة: الرحمة؛ كما سيأتي ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لولا: حرف تحضيض بمعنى هلا، وتستغفرون الله: فعل مضارع مرفوع، والواو: فاعل ولفظ الجلالة: مفعوله، ولعلكم ترحمون: لعل، واسمها، والجملة: خبرها ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ اطيرنا: فعل ماض، وفاعل، وأصله: تطيرنا، ادغمت التاء في الطاء، واجتلبت همزة الوصل للتوصل إلى النطق بالساكن؛ لأن المدغم ساكن دائماً، وبك: متعلقان باطيرنا، وبمن: عطف على بك، ومعك: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة مَنْ، والجملة: مقول قولهم.

﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ طائركم: مبتدأ، وعند الله: ظرف متعلق بمحذوف هو الخبر، والجملة: مقول قوله، وبل: حرف

إضراب، فقد أضرب عن بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه، وأنتم: مبتدأ، وقوم خبر، وجملة تفتنون: نعت لقوم ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ الواو: استئنافية، وكان: فعل ماض ناقص، وفي المدينة: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم، وتسعة: اسمها المتأخر، ورهط: مضاف إليه، وسيأتي بحث تمييز العدد مفصلاً في باب الفوائد، وجملة يفسدون: صفة لتسعة، ولا يصلحون: عطف على يفسدون، وسيأتي سرُّ قوله: ﴿ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ في باب البلاغة﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ﴾ تقاسموا: فعل أمر؛ أي: احلفوا، ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً، وحينئذ يجوز أن يكون مفسراً، كأنه قيل: ما قالوا؟ فقيل: تقاسموا، ويجوز أن يكون مع فاعله: جملة في محل نصب على الحال؛ أي: قالوا متقاسمين بإضمار قد، والتقاسم، والتقسم، كالتظاهر، والتظهر: التحالف، لنبيتنه: اللام: واقعة في جواب القسم، ونبيتنه: من البيات ـ وقد تقدم معناه في مكان آخر ـ: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، والهاء مفعول به، أي: لنباغتنه ليلاً، وأهله: الواو عاطفة، وأهله: معطوف على الهاء، ويجوز أن يعرب مفعولاً معه، فتكون الواو للمعية﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ ثم: حرف عطف للتراخي، واللام: موطئة للقسم، ونقولن: تقدم إعراب مثيلتها، ولوليه: متعلقان بنقولن؛ أي: الذين لهم ولاية دمه، ومهلك: مفعول به، وهو إما مصدر ميمي، أو اسم زمان، أو اسم مكان، وقرىء بضم الميم، وفتح اللام؛ على أنه من الرباعي، وأهله: مضاف إليه، وإنا: الواو: عاطفة، أو: حالية، وإنا: إن، واسمها، واللام: المزحلقة، وصادقون: خبر إن.

﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ الواو: عاطفة، ومكروا: فعل، وفاعل، ومكراً: مفعول مطلق، ومكرنا مكراً، عطف على الجملة السابقة، والواو: حالية، وهم: مبتدأ، وجملة لا يشعرون: خبر

﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الفاء: استئنافية، والكلام مستأنف مسوق لبيان ما يترتب على مكرهم المبيت، وتآمرهم الدنيء، فإنَّ البيات مما يستكره، ويروى عن الإسكندر: أنه أشير عليه بالبيات، فقال: ليس من آيين الملوك استراق الظفر؛ أي: من عادته وطرائقه. وكيف: خبر كان المقدم، وعاقبة: اسم كان المؤخر، والجملة: في محل نصب بنزع الخافض، والجار والمجرور: متعلقان بانظر المعلقة عن العمل بالاستفهام، وإنا: جملة مستأنفة، ولذلك كسرت همزة إنا، وقرىء بفتحها على أن المصدر بدل من العاقبة، أو: خبر لمبتدأ محذوف، وأن، واسمها، وجملة دمرناهم: خبرها، وأجمعين: تأكيد لكل من المعطوف والمعطوف عليه؛ أي: صالح وأهله المؤمنين به، وكانوا كما يروى أربعة آلاف ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ الفاء: عاطفة، والجملة معطوفة على ما قبلها، مقررة لها، وتلك: مبتدأ، وبيوتهم: خبر، وخاوية حال من بيوتهم، والعامل فيها معنى الإشارة، وبما ظلموا: متعلقان بخاوية، وما: مصدرية، والباء: للسببية؛ أي: بسبب ظلمهم، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبرها المقدم، واللام: المزحلقة، وآية: اسمها، ولقوم: صفة لآية، وجملة يعلمون: صفة لقوم ﴿ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ فعل، وفاعل، ومفعول به، وجملة آمنوا: صلة، وكانوا يتقون: عطف على آمنوا، فهو في حيز الصلة، وكان، واسمها، وخبرها.

□ البلاغة:

١ ـ التمام أو التتميم:

في قوله: ﴿ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ فن التمام، كما سمَّاه قدامة في «نقد الشعر»، وابن رشيق في «العمدة»، وابن عساكر في «الصناعتين»، أو: التتميم كما سماه الحاتمي، وقد تقدم ذكره في «البقرة» و«النحل»، ونعيد تعريفه مختصراً هنا، وهو: أن تأتي في الكلام كلمة إذا طرحت منه نقص معناه

في ذاته، أو في صفاته، ولفظه تام؛ فإن قوله: ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ شأنهم الإفساد البحت، وقد كانوا كما يروى عتاةً غلاظاً، وهم الذين أشاروا بعقر الناقة لمراغمة صالح، وإثارة حفيظته، ومنهم قدار بن سالف المشهور بالشؤم، وقد تقدم ذكره، ولكن قوله: ﴿ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ لا يدفع أن يندر منهم، أو من أحدهم بعض الصلاح، فتمم الكلام بقوله «ولا يصلحون» دفعاً لتلك العذرة أن تقع، أو أن يخالج بعض الأذهان شك في أنها ستقع، وبذلك قطع كلَّ رجاء في إصلاح أمرهم، وحسن حالهم.

٢ ـ المشاكلة:

في قوله: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾ فن المشاكلة، وهي: ذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته؛ لأن الله تقدس عن أن يستعمل في حقه المكر، إلا أنه استعمل هنا مشاكلة، وهو كثير في القرآن، ومنه: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ والله تعالى وتقدس لا تستعمل في حقه لفظة النفس، أما مكرهم، فهو: ما بيتوه لصالح، وما انتووه من إهلاكه وأهله، وأما مكر الله، فهو: إهلاكهم من حيث لا يشعرون، على سبيل الاستعارة المنضمة إلى المشاكلة، فقد شبه الإهلاك بالمكر في كونه إضراراً في الخفاء؛ لأن حقيقة المكر هو الإيقاع بالآخرين قصداً، وعن طريق الغدر والحيلة، وقد تقدمت قصة إهلاكهم في الشعب.

* الفوائـد:

١ ـ تمييز العدد:

مميز الثلاثة والعشرة وما بينهما؛ إن كان اسم جنس؛ وهو: ما يفرق بينه وبين مفرده بالتاء؛ كشجر وتمر، أو اسم جمع، وهو ما دل على الجمع، وليس له مفرد من لفظه؛ كقوم، ورهط؛ جُرّ بمن، تقول: ثلاثة من التمر أكلتها، وعشرة من القوم لقيتهم، وتسعة من الرهط صحبتهم، قال تعالى: ﴿ فَخُذْ

﴿أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ﴾ وقد يجر بإضافة العدد إليه، فاسم الجمع نحو الآية المتقدمة ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ﴾ وفي الحديث: «ليس فيما دون خمس ذود صدقة» وقال الشاعر:

ثـلاثـةُ أنفـسٍ وثـلاثُ ذودٍ لقـدْ جـارَ الـزَّمـانُ على عِيـالي

والذود من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشرة، وهي مؤنثة، ولا واحد لها من لفظها، كما في «الصحاح»، والأنفس: جمع نفس، وهي مؤنثة وإنما أنّث عددها وكان القياس تذكيره؛ لأنَّ النفس كثر استعمالها مقصوداً بها الإنسان، أما اسم الجنس فكقول جندل بن المثنى:

كـأنَّ خِصْيـيـهِ مـن التَّـدلْـدُلِ ظرفُ عجوزٍ فيه ثنتا حَنْظَلِ

فحنظل: اسم جنس مجرور بالإضافة على حد: تسعة رهط، هذا ويروى بدل التدلدل: التهدل، وهو أولى، ويروى: سحق جراب، وخص العجوز: لأنها لا تستعمل الطيب؛ حتى يكن في ظرفها ما تتزين به والبيت من أقذع الهجاء.

وإن كان مميز الثلاثة والعشرة، وما بينهما جمعاً، جُرَّ بإضافة العدد إليه نحو: ثلاثة رجالٍ، وثلاث إماء، ويعتبر التذكير والتأنيث مع اسمي الجمع والجنس بحسب حالهما؛ باعتبار عود الضمير عليهما تذكيراً وتأنيثاً، فيعطى العدد عكس ما يستحقه ضميرهما، فإن كان ضميرهما مذكراً أنث العدد، وإن كان مؤنثاً ذكر، فتقول في اسم الجنس: ثلاثة من الغنم عندي، بالتاء في ثلاثة؛ لأنك تقول: غنم كثير بالتذكير للضمير المستتر في كثير، وروى صاحب «المصباح»: أنه يجوز في غنم تذكير ضميره وتأنيثه، وثلاث من البط، بترك التاء من ثلاث؛ لأنك تقول: بط كثيرة بالتأنيث للضمير المستتر في كثير، وثلاثة أو ثلاث من البقر؛ لأن ضمير البقر يجوز فيه التذكير والتأنيث، وذلك: أن في البقر لغتين: التذكير، والتأنيث، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ بتذكير الضمير، وقرىء: تشابهت، بتأنيثه، وأما اسم الجمع؛ فحكمه حكم المذكر، إن كان لمن يعقل، كالقوم، والرهط، والنفر، وإن كان

لما لا يعقل؛ فحكمه حكم المؤنث؛ كالجامل، والباقر. هذا ما ذكره النحاة، ولكن فيه نظراً؛ لأن نسوة اسم جمع، وحكمه حكم المؤنث باتفاق، فيقال: ثلاث نسوة، والتذكير والتأنيث مع الجمع يعتبران بحال مفرده، فإن كان مفرده مذكراً؛ أنث عدده، وإن كان مؤنثاً؛ ذكر عدده، فلذلك: تقول ثلاثة إصطبلات، جمع: إصطبل بقطع الهمزة المكسورة، وثلاثة حمامات؛ لأن الإصطبل والحمام مذكران، وتقول: ثلاث سحابات، بترك التاء اعتباراً بالسحابة، فهي مؤنثة، ولا يعتبر من حال الواحد حال لفظه؛ حتى يقال: ثلاث طلحات بترك التاء، ولا يعتبر حال معناه؛ حتى يقال: ثلاث أشخص بتركها أيضاً؛ يريد نسوة؛ لأن الشخص يقع على المذكر والمؤنث، بل ينظر إلى ما يستحقه المفرد باعتبار ضميره، فيعكس حكمه في العدد، فأما قول عمر بن أبي ربيعة:

فكـانَ مِجَنِّـي دونَ مَـنْ كنـتُ أتَّقـي
ثـلاثَ شخـوصٍ كـاعبـانِ ومُعصِـرُ

فضرورة، وكان القياس فيه ثلاثة شخوص بالتاء، ولكنه كنى بالشخوص عن النساء، والذي سهل ذلك قوله: «كاعبان ومعصر» فاتصل اللفظ بما يعضد المعنى المراد وهو التأنيث، والكاعب الجارية؛ حين يبدو ثديها للنهود، والمعصر بضم الميم وكسر الصاد الجارية أول ما أدركت سميت بذلك لكونها دخلت في عصر الشباب كما قال الخليل. هذا وقد جمح بنا عنان القول، فحسبنا ما تقدم أوردناه لأهميته وفائدته، ولا بد من الرجوع إلى المطولات لمن أراد المزيد.

٢ ـ اعلم أنهم قد كسروا شيئاً من الأسماء لا على الواحد المستعمل، بل تحملوا لفظاً آخر مرادفاً له، فكسروه على ما لم يستعمل، فمن ذلك: رهط وأراهط. قال الشاعر:

يـا بُـؤْسَ للحـربِ التـي وضَعَـتْ أراهـطَ فـاستراحـوا

وليس القياس في رهط أن يجمع على أراهط، لأن هذا البناء من جموع

الرباعي، وما كان على عدته، نحو: جعفر، وجعافر، وجدول، وجداول وأرنب، وأرانب. وليس أرهط بجمع رهط؛ إذ لو كان كذلك؛ لم يكن شاذاً، ويدل على ذلك: أن الشاعر قد جاء به لما احتاج إليه قال:

وفاضـحٍ مفتضـحٍ في أرهُطِـه ... من أرفعِ الوادي ولا مِنْ بُعْثُطه

والبُعْثط والبعثوط: سُرَّة الوادي، وخير موضع فيه.

هذا وقد اختلف النحويون في أراهط، فزعم قوم منهم: أنه جمع أرهط؛ الذي هو جمع رهط، وهو النفر من ثلاثة إلى عشرة، وزعم أكثر النحويين: أن أراهط جمع رهط على خلاف القياس. والبيت مطلع قصيدة لسعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة جد طرفة بن العبد الشاعر، وبعده:

والحـربُ لا يبقـى لجـا ... حِمِهـا التخيـلُ والمـراحُ

إلا الفتـى الصبـارُ في النّـ ... ـجـداتِ والفـرس الـوقـاحُ

والنثـرةُ الحصـداءُ والـ ... ـبيـضُ المكلّـلُ والـرِّمـاحُ

وتسـاقـط الأوشـاظِ والـذّ ... نبـاتِ إذْ جهـد الفضـاحُ

والكـرُّ بعـد الفـرِّ إذْ ... كُـرِه التقـدمُ والنِّطـاحُ

كشفـتْ لهـم عـن سـاقِهـا ... وبـدا مـن الشَّـرِ الصُّـراحُ

لفظ الآيين في شعر أبي نواس:

وردت في باب الإعراب كلمة الإسكندر، وفيها: يقول: ليس من آيين الملوك استراق الظفر، ونحب أن نورد أبياتاً لأبي نواس استعمل فيها كلمة الآيين، فجاءت خفيفة ظريفة رغم غرابتها، قال أبو نواس يصف ما جرى له في دير نهراذان:

بـديـرِ نهـراذانَ لي مجلـسٌ ... وملعـبٌ وسـط بسـاتينـهِ

رحـتُ إليـه ومعـي قينـةٌ ... نـزورهُ يـومَ سعـانينـهِ

بكـلِّ طـلابِ الهـوى فـاتـكٌ ... قـد آثـرَ الـدُّنيـا على دينِـه

حتـى تـوافينـا إلى مجلـسٍ ... تضحـكُ ألـوانُ ريـاحينـهِ

والنرجسُ الغضُّ لدى وردهِ ... والـوردُ قـد خـفَّ بنسرينـه

وجيء بالدَّنِّ على مرفع وخاتم العِلج على طينهِ
وطاف بالكأسِ لنا شادنٌ يدميه مسُّ الكفِّ من لينهِ
يكادُ من إشراق خدَّيه أنْ يختطفَ الأبصارَ مِنْ دونهِ
فلم يزلْ يسقي ونلهو به ونأخذ القصفَ بآيينهِ
حتى غدا السَّكرانُ من سُكْرِهِ كالميت في بعض أحايينهِ

فقوله: نأخذ القصف بآيينه؛ أي: برسومه، وقوانينه، وشروطه.

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ الواو: استئنافية، والكلام مستأنف، مسوق لذكر القصة الخامسة والأخيرة من قصص السورة، ولوطاً: مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو: أرسلنا، فإن جعلته اذكر؛ كانت إذ ظرفاً لما مضى من الزمان متعلقاً باذكر، وإن جعلته أرسلنا؛ كانت إذ بدل اشتمال من لوطاً، وجملة قال: مجرورة بإضافة الظرف إليها، ولقومه: جار ومجرور متعلقان بقال، والهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وتأتون: فعل مضارع، والواو: فاعل، والفاحشة: مفعول به، والجملة: مقول القول، وأنتم: الواو حالية، وأنتم: مبتدأ، وجملة تبصرون: خبر أنتم، والمراد: بصر القلب؛ أي: تعلمون أنها فاحشة، ومع ذلك تفعلونها ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وكرر التوبيخ زيادة في التقبيح،

واستسماج هذه الفعلة الشنعاء المخالفة لنواميس الطبيعة، وسيرد في باب الفوائد بحث عن هذه الميول الجنسية الشاذة؛ التي لا يبلغ كنه قبحها، وإن، واسمها، واللام: المزحلقة، وجملة تأتون الرجال: خبرها، وشهوة: مفعول لأجله، أو: حال من الفاعل، أو المفعول، ومن دون النساء: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ بل: حرف إضراب، وأنتم: مبتدأ، وقوم: خبر، وتجهلون: صفة لقوم ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وما: نافية، وكان: فعل ماض ناقص، وجواب قومه: خبر كان المقدم، وإلا: أداة حصر، وأن قالوا: مصدر مؤول في موضع الرفع اسم كان المؤخر، وجملة أخرجوا: مقول القول، وهو فعل أمر، وفاعل، وآل لوط: مفعول به، ومن قريتكم: متعلقان بأخرجوا، وإنهم: تعليل لإخراجهم، وإنَّ، واسمها، وأناس: خبرها، وجملة يتطهرون: صفة؛ أي: يتنزهون عن هذا العمل القذر ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ الفاء: عاطفة على مقدر محذوف يفهم من السياق، أي: فخرج لوط بأهله من أرضهم بعد أن أحس بمكرهم، وكيدهم، وتربصهم الدوائر. وأنجيناه: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وأهله: عطف على الهاء، أو مفعول معه، وإلا: أداة استثناء، وامرأته: مستثنى، وجملة قدرناها: حال، وقدرناها: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، ومن الغابرين: متعلقان بقدرناها، أي: الباقين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ الواو: عاطفة، وأمطرنا: فعل وفاعل، وعليهم: متعلقان بأمطرنا، ومطراً: مفعول به، فساء: الفاء: عاطفة، وساء: فعل ماض للذم، ومطر المنذرين: فاعل.

*** الفوائـد:**

النرجسية والشذوذ الجنسي:

يرجع الفلاسفة المحدثون ظواهر الشذوذ في غرائز الجنس إلى النرجسية،

ولهذا كان لابد من أن نشرح هذه النرجسية كما يفهمها المحللون النفسيون :

كان اليونانيون الأقدمون يطلقون اسم نرجس على فتى من فتيان الأساطير، بارع الحسن، ساحر الشمائل، يفتن من يراه، ويشقي بجماله وتيهه قلوب العذارى الخفرات، فلا يلتفت إليهن، ولا يستجيب لضراعتهن، ولم يزل كذلك حتى ضجت السماء بدعاء عاشقاته وصلواتهن إلى الأرباب أن يصرفوهن عنه، أو يصرفوه عنهن، واستجابت «نمسي» ربة القصاص والجزاء إلى هذا الدعاء، فقضت عليه أن يهيم بحب نفسه، ويلقى منها الشقاء الذي تلقاه منه عاشقاته، قال رواة الأساطير: فما هو إلا أن ذهب يشرب من ينبوع صافٍ حتى لمح بصورته في مائه، فوقف عندها يعجب من جمالها، وأذهلته الفتنة عن شأنه فلم يبرح مكانه مطرقاً إلى الماء ليتملّى تلك الصورة، ويرتوي من النظر إليها، فلا يزيده النظر إلا لهفة وشوقاً، ولا تزيده اللهفة إلا هزالاً، وذبولاً حتى فني، وذهبت عرائس الماء، تطلب رفاته فلم تجد في مكانه غير نرجسة مطرقة ترنو إلى الماء، ولا ترفع بصرها إلى السماء، فالنرجس أبداً مطرق مفتوح العين، لا يشبع من النظر إلى خياله على حوافي الجداول والغدران. وهناك روايات أخرى حول هذه الأسطورة تمثل الصدى، والحذر، والسبات، لا تخرج عن هذا الفحوى، وتلحق بما تنطوي عليه آفة النرجسية من الغرائز أو من الميول والأحاسيس، ولهذا وقع عليها اختيار المحللين النفسيين، فلم يجدوا اصطلاحاً أوفق منها لأعراض تلك الظاهرة النفسية، مع عراقة الاصطلاح في اللغة اليونانية؛ التي يختارونها لابتداع الأسماء الجديدة في العلوم، وأول من أدخل هذا المصطلح في الطب النفسي الدكتور هافلوك اليس رائد المباحث الجنسية المشهور، ثم توسّع الأطباء النفسيون في دراسة هذه الآفة، وتتبعوا أعراضها ولوازمها، واستقصوا ما هو من لوازمها الأولية، وما هو من لوازمها الثانوية، أو التبعية، وتعنينا هنا من شعابها التي تتصل بدراسة المنحرفين شعبتان:

١ ـ تسمى إحداهما الاشتهاء الذاتي.

٢ ـ تسمى ثانيهما التوثين الذاتي.

فالاشتهاء الذاتي يغلب على الحالات الجسدية التي تقرن باختلال وظائف الجنس في صاحبها ويبلغ من اختلال هذه الوظائف: أن المصاب به يمني إذا أطال النظر إلى بدنه عارياً في المرآة وما إليها، وأنه يشتهي بدنه كأنه بدن إنسان غريب عنه، ولكنها شهوة يبالغ فيها المريض.

والتوثين الذاتي يغلب على الحالات العاطفية والفكرية، فيتخذ المصاب به من نفسه وثناً يعبده، ويعزه، ويدلله، فلازمة التلبيس والتشخيص لا غنى عنها في الشذوذ الجنسي، وهو عشق الإنسان لذاته من الناحية الشهوية، فالشاذ في حب جنسه، أو حب الجنس الآخر، يجد طلبته ويقضي مأربه، أما الذي يشتهي بدنه؛ فليس في وسعه أن يقضي مأربه منه بغير الاحتيال لذلك بالتلبيس والتشخيص، فهو يلبس شخصيته شخصاً آخر يتوهم أنه هو ذاته، أو يحل محلّ ذاته، وكما يفعل جالد عميرةُ حين يضع أمامه صورة.

هذا ومن المفيد أن يرجع الذي يتوق إلى معرفة تطور النظريات في مسائل الجنس إلى الكتب المؤلفة في هذا الصدد، فهي تلقي أضواء على المشكلة، ولكنها لا تحلها، لأنها كلها لم تنته إلى تهوين الفوارق بين الجنسين، ولا إلى زعم الزاعمين: أن الانسان مزدوج الجنسين، مختلط الذكورة والأنوثة بطبيعته، وأن الشذوذ الجنسي فيه فطرة عامة تتخذ أطوارها على حسب العمر من الطفولة إلى تمام النمو في الجنسين، كما يقول فرويد ومتبعوه.

وقد صور أبو نواس ـ وهو قطب من أقطاب النرجسيين ـ هذه الأطوار خير تمثيل، وهو يغشى معاهد الدرس على هذا المثال في عرفه بقوله:

إذا ما وَطِـيءَ الأمـر ... دُ للعلـم حَصَـىٰ المسجـدْ
فقـلْ حـلَّ لنـا عقـداً ... مـن التكَّـةِ تستعقـدْ
فـإنْ كـان عـروضيـاً ... فقـولـوا سَجَـدَ الهـدهـدْ

وإنْ أعجبَــــــهُ النَّحـــــوُ فهـــا ذاكَ لـــهُ أجـــودْ
وإنْ مـــــــــالَ إلى الفقـ ـــه فللفقـــهِ لـــه أفســدْ
وإنْ كـــانَ كـــلامياً فحـــرِّك طـــرفَ المقـــودْ
وميلـــــــــه إلى الخير ففيــه قــرب مــا يبعــدْ
وخـــذه كيفمـــا شئـــتَ اقتضـــاباً أوْ على مَـوْعــدْ
وقــلْ: هــذا قضــاءُ اللـ ـــهِ هــل يُـدْفَـعُ أو يُجْحَـدْ

وانتهى مصرحاً:

فيــا مَــنْ وطِــئَ المسجــدَ مـــن ذي بهجـــةٍ أغيـــدْ
أنـــا قســـتُ على نفسي فهـــذا الأمـــرُ لا أجحـــدْ

وننتهي من هذا البحث وقد كان أمراً لا بد منه وإن لم يكن هذا موضعه.

تصحيح رواية بيت في «الكشاف» لأبي نواس:

ذكر الزمخشري في كشافه بصدد الحديث عن قوم لوط قال: «. . . كانوا في ناديهم يرتكبونها، معالنين بها، لا يتستر بعضهم من بعض، خلاعة، ومجانة، وانهماكاً في المعصية، وكأن أبا نواس بنى على مذهبهم قوله:

وبحْ باسمِ ما تأتي وذرني من الكِنَى
فلا خيرَ في اللَّذاتِ من دونها سِتْرُ

وصواب الرواية: «وبُحْ باسمِ من تهوىٰ ودعني من الكِنَى» البيت وهو من قصيدة رائعة أولها:

ألا فاسقني خَمْراً وقلْ لي هي الخمرُ
ولا تسقنـي سـراً إذا أمكـنَ الجَهْـرُ

وبعد البيت:

فعيـشُ الفتـى في سَكْـرةٍ بعـد سَكْـرةٍ
فـإنْ طـالَ هـذا عنـدَه قَصُـرَ العمـرُ

وبعده:

ومـا الغُـرمُ إلا أن تـراني صـاحيـاً
وما الغُنْـمُ إلا أن يُتعتعنـي السُّكـر

ولا نمرّ بك دون أن نقف عند البيت الأول فقد قال: «وقل لي هي الخمر» وقد يبدوا هذا حشواً للوهلة الأولى، ولكن القارىء إذا ذكر أن للإنسان خمس حواس علم أن أبا نواس قصد أن يشرك حاسة السمع التي تظل محرومة من لذة الخمر حال شربها، فطالب ندمانه أن يخاطبه باسمها، ليشرك حاسة سمعه، وهذا من أعاجيب فطنته.

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ حَدَآئِقَ ﴾ : جمع حديقة؛ أي: بستان من أحدق بالشيء: أحاط به، ولما كان البستان محوطاً بالحيطان سمي حديقة، وإلا فلا يسمى بها، وفي «المصباح»: «والحديقة: البستان، يكون عليه حائط، فعيلة بمعنى مفعولة؛

لأن الحائط أحدق بها، أي: أحاط، ثم توسعوا حتى أطلقوا الحديقة على البستان، وإن كان بغير حائط، والجمع: الحدائق» وفي «الصحاح»: «الحديقة كل بستان عليه حائط» ومن أقوالهم: «ورد عليَّ كتابك فتنزهت في آنق رياضه، وبهجة حدائقه».

○ الإعراب:

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ كلام مستأنف مسوق لأمر رسوله ﷺ بحمده تعالى، وبالسلام على المصطفين الأخيار من خلقه، وكأن هذا الحمد براعة استهلال لما سيلقيه من البراهين والدلائل على الوحدانية، والعلم، والقدرة؛ التي سيرد ذكرها، وذلك بعد أن فرغ من قصص هذه السور الخمس. وقل: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت؛ أي: يا محمد؛ ليكون نموذجاً؛ يتأسى به كل كاتب وخطيب، ويحتذى على مثاله في كل علم مفاد، والحمد: مبتدأ، ولله: خبره، وسلام مبتدأ سوغ الابتداء به ما فيه من معنى الدعاء، وعلى عباده: خبر، والذين: صفة لعباده، وجملة اصطفى: صلة، والعائد: محذوف؛ أي: اصطفاهم، وهم المؤمنون المتأهلون للدنيا والآخرة﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الهمزة: للاستفهام، والله: مبتدأ، وخير: خبر، وأم: عاطفة، وما: اسم موصول واقع على آلهتهم، وجملة يشركون: صلة ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ أم: منقطعة لفقدان شرطها وهو تقدم همزة الاستفهام، وهي بمعنى بل، والإضراب بمعنى التبكيت والتوبيخ، ومن: مبتدأ، وجملة خلق السموات والأرض: صلة، وخبر من: محذوف، تقديره: خير أم ما يشركون، فيقدر ما أثبت في الاستفهام الأول تعويلاً عليه، وهذا ما اختاره الزمخشري، وهو جميل متناسب مع الكلام، وقال أبو الفضل الرازي: «لا بد من إضمار جملة معادلة وصار ذلك المضمر كالمنطوق لدلالة الفحوى عليه، وتقدير تلك الجملة: أمن خلق السموات والأرض كمن لم يخلق، وكذلك أخواتها، وقد أظهر في غير هذه المواضع ما أضمر فيها؛ كقوله

تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ ولا نرى خلافاً بيناً بين الوجهين. وأنزل: عطف على خلق، ولكم: حال، ومن السماء: متعلقان بأنزل، وماء: مفعول به، والفاء: عاطفة، وأنبتنا: عطف على ما تقدم على طريق الالتفات، وسيأتي في باب البلاغة، وبه: متعلقان بأنبتنا، وحدائق: مفعول به، وذات بهجة: صفة لحدائق، وسوغ إفراده: أن المنعوت جمع كثرة لما لا يعقل.

﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾ الجملة: نعت ثان لحدائق، أو: حال منها؛ لتخصصها بالصفة، وما: نافية، وكان: فعل ماض ناقص، ولكم: خبر كان المقدم، وأنْ وما في حيزها: اسمها المؤخر، وتنبتوا: فعل مضارع منصوب بأن، والواو: فاعل، وشجرها: مفعول ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري المتضمن معنى النفي، وإله: مبتدأ، وساغ الابتداء به لإفادته بسبب الاستفهام، ومع الله: ظرف متعلق بمحذوف خبر، وبل: حرف إضراب، معناه: التبكيت، وقد تكرر هذا التعبير خمس مرات؛ كما سترى، وهم: مبتدأ، وقوم: خبر، وجملة يعدلون: صفة ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾ تقدم إعراب هذا التركيب فقس عليه، وقراراً: مفعول جعل الثاني، وجعل خلالها أنهاراً: عطف على الجملة الأولى، وخلالها: يجوز أن يكون ظرفاً لجعل، بمعنى: خلق المتعدية لواحد، وأن يكون في محل المفعول الثاني، على أنها بمعنى: صيّر، وعلى الوجه الأول يكون قراراً: حالاً ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ جملة معطوفة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الجملة: معطوفة على ما تقدم، وقد تقدم إعرابها ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ تقدم إعرابها، وجملة دعاه: في محل جر بإضافة الظرف إليها، والمضطر: اسم مفعول، وطاؤه أصلها تاء الافتعال ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ تقدم إعرابها، وقليلاً: نعت لمصدر محذوف، أو لوقت محذوف، وما: زائدة، لتقليل القليل، وتذكرون: فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه، والواو: فاعل ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ تقدم

إعرابها ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تقدم إعرابها أيضاً ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ تقدم إعرابها أيضاً ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ إن: شرطية، وجوابها: محذوف، تقديره: فهاتوا برهانكم، وقد قدمنا: أن قوله: أإله ذكر خمس مرات، وختم الأول بقوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ وختم الثاني بقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والثالث بقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ والرابع بقوله: ﴿تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ والخامس بقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾.

□ البلاغة:

الالتفات في قوله: ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ بعد قوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ فقد انتقل في نقل الإخبار من الغيبة إلى التكلم عن ذاته في قوله: ﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾، والسر فيه تأكيد اختصاص فعل الإنبات بذاته تعالى، وللإيذان بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف، وما يبدو فيها من تزاويق الألوان، وتحاسين الصور، ومتباين الطعوم، ومختلف الروائح المتفاوتة في طيب العرف والأريج، كل ذلك لا يقدر عليه إلا قادر خالق، وهو الله وحده، ولذلك رشح هذا الاختصاص بقوله بعد ذلك: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ﴾ وقد أدرك أبو نواس هذه الحقيقة فقال:

تأملْ في رياض الأرض وانظرْ ... إلى آثـار مـا صنـعَ المليـكُ
عيـونٌ مـن لجيـنٍ شـاخصـاتٌ ... بأنظارٍ هي الذَّهبُ السبيكُ
على قضبِ الزبرجدِ شاهداتٌ ... بـأنَّ الله ليـس لـهُ شريـكُ

هل تاب أبو نواس؟

هذا ولعلك تعجب من هذه الأبيات تنضح بالإيمان العميق، وتصدر عن رجل كأبي نواس، لم يظلمه الذين اتهموه، ولم تعوزهم الأدلة على اتهامه بالفساد، ولكنهم ظلموا الفلسفة، فظنوها مدرجة المطلعين عليها إلى الزندقة

ومذاهبها، ولا زندقة هنا عند أبي نواس، ولا مذهب غير المجون، وحب الظهور، ولقد كان إبراهيم النظام من أعلم أهل زمانه بما يسمونه علوم الأوائل، وكان أبو نواس يحضر عليه، فينهاه عن التبذل، ويذكره بالوعيد يقول له: إن من ترقب وعد الله فعليه أن يحذر وعيده، فلا يرعوي عن لغوه، ومجونه، حتى يئس منه، فطرده من مجلسه، فنظم فيه قصيدته التي اشتهرت بالإبراهيمية ومطلعها مشهور متداول:

دعْ عنك لومي فإن اللوْمَ إغراءُ
وداوني بالتي كانتْ هي الدَّاءُ

وفيها يسخر من النظام:

فقلْ لمن يدَّعي في العلمِ فلسفةً
حفظتَ شيئاً وغابتْ عنك أشياءُ

لا تخطرِ العفوَ إنْ كنتَ امرأً حرجاً
فإنَّ خطركَ بالدِّين إزراءُ

فأبو نواس لم يكن سوى ماجنٍ مستهترٍ، وقد كان المجون في عرف بيئته هو الظرف، نصح له الأمير أبو العباس محمد أن يتوب عن المجون، فقال له: أما المجون فما كل أحد يقدر أن يمجن، وإنما المجون ظرف، ولست أبعد فيه عن حد الأدب، أو أتجاوز مقداره، أما المعاصي؛ فإني أثق فيها بعفو الله عز وجل، وقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ وقد تلقف أبو نواس أضاليل المرجئة وقولهم: «لا يضر مع الإيمان سيئة جلَّت، أو قلَّت أصلاً، ولا ينفع مع الشرك حسنة أصلاً» فنادى بذلك، ويظهر أنه استهواه:

ترى عندنا ما يسخطُ اللّهَ كله
من العملِ المردي الفتى ماخلا الشِّركا

ثم عدل نظريته بعض الشيء، فاكتفى بالقول: إن الكبائر لا تسلك

صاحبها مع الكفار، ولا تحرمه الرجاء بعفو الله، وقوله مشهور في ذلك:

تكثَّر ما استطعتَ من الخطايا فإنَّك بالغٌ رباً غفورا
تعضُّ ندامةً كفيك مِمَّا تَرَكْتَ مخافةَ النّارِ السرورا

ومن ذلك قوله:

يا كبيرَ الذَّنب عفوُ اللّـ ـهِ مِنْ ذَنْبِكَ أَكْبَر

على أنه تاب في أخريات عمره، وقد نستشف من أشعاره التي نظمها في تلك السن المشارفة على النهاية صدق توبته، فقال معترفاً بتأخيرها بعد فوات حينها:

دبَّ فيَّ الفناءُ سفلاً وعلواً وأراني أموتُ عضواً فعضوا
ذهبتْ شرّتي وجدةُ نفسي وتذكرتُ طاعةَ الله نضوا
ليسَ من ساعةٍ مضتْ بي إلا نقصتني بمرِّها لي جزوا
لهفَ نفسي على ليالٍ وأيا م سلكتهنَّ لعباً ولهوا
قد أسأنا كلَّ الإساءة يا ربِّ فصفحاً عنَّا إلهي وعفوا

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

○ الإعراب:

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ شغلت هذه الآية المفسرين والمعربين والنحاة وخاضوا فيها كثيراً، وسنختار

هنا أسهل أقوالهم على أن نورد في باب الفوائد جميع ما قيل حولها لما في ذلك من رياضة ممتعةٍ للذهن. والجملة مستأنفة، مسوقة للرد عليهم، وقد سألوه عن وقت قيام الساعة، فـ «لا»: نافية، ويعلم فعل مضارع، ومن: اسم موصول فاعل يعلم، وفي السموات والأرض: صلة من؛ أي: لا يعلم الذي ثبت واستقر وسكن في السموات والأرض، والغيب: مفعول به، وإلا: أداة استثناء بمعنى لكن إشارة إلى أن الاستثناء منقطع، والله: مبتدأ، خبره محذوف، تقديره: يعلم، ويصح أن تكون من في محل نصب مفعول به، والغيب: بدل اشتمال منها، والله: فاعل يعلم، والمعنى: قل لا يعلم الأشياء التي تحدث في السموات والأرض الغائبة عنا إلا الله تعالى، والواو: عاطفة، وما: نافية، ويشعرون: فعل مضارع، وفاعل، وأيان: اسم استفهام بمعنى متى، وهي منصوبة بيبعثون، ومعلقة ليشعرون عن العمل، فالجملة المؤلفة منها ومما بعدها: في محل نصب بنزع الخافض؛ أي: ما يشعرون بذلك. ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ بل: حرف إضراب انتقالي، وقال الجلال: هي بمعنى هل، وهو غريب بالرغم من أن شراح الجلال قالوا: إن طريقة الجلال أسهل من الطرق التي سلكها غيره، وادارك: فعل ماض؛ أي: لحق، وتتابع، وأورد الزمخشري اثنتي عشرة قراءة لها، وعلمهم: فاعل، وفي الآخرة: متعلقان بادارك، أو بعلمهم، وادارك وإن كان ماضياً لفظاً؛ فهو مستقبل معنى؛ لأنه كان حتماً؛ كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، بل: حرف إضراب انتقالي أيضاً، وهم: مبتدأ، وفي شك: خبر، ومنها: صفة لشك، وبل: حرف إضراب انتقالي أيضاً، وهم: مبتدأ، ومنها: متعلقان بعمون، وعمون: خبر هم، والعمى هنا: عمى القلب، والأصل: عميون استثقلت الضمة على الياء، فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ الواو: للعطف، وقال الذين: فعل، وفاعل، وجملة كفروا: صلة الذين، والهمزة:

للاستفهام الإنكاري، وإذا: ظرف مستقبل، متضمن معنى الشرط، وجملة كنا: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وكان، واسمها، وتراباً: خبرها، وآباؤنا: عطف على اسم كان، وسوغ العطف عليه الفصل بالخبر، والهمزة: للاستفهام الإنكاري أيضاً، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، ومخرجون: خبر إنَّ، والجملة: تأكيد للجملة الأولى. ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الجملة: تأكيد ثان للجملة السابقة، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، ووعدنا: فعل ماض مبني للمجهول، ونا: نائب فاعل، وهذا: مفعول به ثان لوعدنا، ونحن: تأكيد لنا، وآباؤنا: عطف على الضمير البارز في وعدنا، وسوغ العطف تأكيده بالضمير المنفصل، والفصل بالمفعول الثاني، ومن قبل: متعلقان بوُعدنا، والظرف: مبني على الضم لانقطاعه على الإضافة لفظاً لا معنى؛ أي: من قبل مجيء محمد من الرسل السابقين، و هنا لا بد من تقدير حذف اقتضاه الإيجاز: فلو كان الموعود به حقاً لحصل، وإن: نافية، وهذا: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وأساطير: خبر هذا، والأولين: مضاف إليه.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ سيروا: فعل أمر معناه التهديد لهم على التكذيب، والتحذير من أن ينزل بهم ما حاق بالمكذبين من قبلهم، وفي الأرض: متعلقان بسيروا، فانظروا عطف على سيروا، وكيف: اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم، وعاقبة المجرمين: اسم كان المؤخر. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ الواو: عاطفة على قل، ولا: ناهية، وتحزن: فعل مضارع مجزوم بلا، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وعليهم: متعلقان بتحزن، ولا تكن: عطف على لا تحزن، واسم تكن مستتر، تقديره: أنت، وفي ضيق: خبر، ومما: صفة لضيق، وجملة يمكرون: صلة.

* الفوائـــد:

منشأ الاضطراب في هذه الآية أنهم ـ أي: النحاة ـ أعربوا لفظ الجلالة

بدلاً من «مَنْ» وفي ذلك إبدال المستثنى المنقطع وهي لغة مرجوحة لتميم، ولما كانت القراءة مما اتفق عليه السبعة بالرفع حصل ذلك الإشكال، وفيما ذكرناه ـ أي: إعراب لفظ الجلالة مبتدأ ـ مخلص من هذا كله قالوا: «والله: مرفوع على البدلية من «مَنْ» لأنه تعالى لا يحويه مكان».

وجوز الصفاقسي أن يكون الاستثناء متصلاً، والظرفية في حقه تعالى مجازية، وفيه جمع بين الحقيقة والمجاز في الظرفية، وعلى هذا فيرتفع على البدل، أو عطف البيان. وقد سبق لنا تقرير الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة، وأرجحنا جواز اجتماعهما، وعلى ذلك قولهم «القلم أحد اللسانين» وجميع أهل الأصول من أتباع الإمام الشافعي لا يشترطون في المجاز القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

وفي الجمع بين الحقيقة والمجاز إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وهو نوع من البديع يسمى: التنويع، وهو ادعاء: أنَّ مسمّى اللفظ نوعان: متعارف، وغير متعارف على طريق التخيل، وهو نوع واسع يجري في أبواب كثيرة، منه: أن ينزل ما يقع في موقع شيء بدلاً عنه منزلته بدون تشبيه، ولا استعارة، كقولهم «تحية بينهم ضرب وجيع» وقولهم: عقابه السيف.

وقال ابن الكمال: فإن قلت: كيف استثني الله، وإنه تعالى منزه ومتعال عن أن يكون في السموات والأرض؟ قلت: كما استثني «غير أن سيوفهم» من قوله ـ أي النابغة الذبياني ـ:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم بهنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ

يعني: إن كان الله تعالى ممن في السموات والأرض كان فيهم من يعلم الغيب، والغرض: المبالغة في نفي العلم بالغيب عنهم، وسد الطريق إلى ذلك الاحتمال، فالاستثناء متصل كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ﴾ فإن شراح «الكشاف» قاطبة صرحوا بأن الاستثناء فيه متصل.

والعجب: أنَّ البيضاوي جوّز اتصال الاستثناء في آية النكاح على

الوجه المذكور، وجزم هنا بانقطاعه، والظاهر من كلام الزمخشري أيضاً: القطع بالانقطاع حيث قال: «جاز رفع اسم الله تعالى على لغة بني تميم حيث يقولون: ما في الدار أحدٌ إلا حمارٌ، كأنَّ أحداً لم يذكر؛ فإنه على تقدير الكلام على النسق المذكور يصح رفع اسم الله على لغة أهل الحجاز أيضاً».

واعترض بعضهم على الإعراب الثاني، أي: نصب «مَنْ» وإعراب «الغيب» بدلاً من «مَنْ» بدلُ اشتمال فقال: إن بدل الاشتمال يحتاج إلى ضمير يكون رابطاً، ولا ضمير هنا، وليس البدل بعد أداة الاستثناء ليقال: إن قوة المستثنى بالمستثنى منه تغني عنه، وعلى هذا فالوجه الأول خال من كل محذور.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿رَدِفَ﴾: في القاموس: «ردفه، كسمع، ونصر: تبعه» ولكنه ضمن هنا معنى دنا، أو قرب، ولذلك عدي باللام، أو: أن اللام زائدة، كما سيأتي في الإعراب وقد عدي بمن أيضاً قال:

فلما رَدِفْنا من عميرٍ وصحبِه ... تولَّوْا سِراعاً والمنيةُ تعنقُ

ردف، كتبع: يتعدى بنفسه، وضمن هنا معنى الدنو، فعدي بمن،

وأعنق الفرس: سار سيراً سريعاً سهلاً، والعنق: اسم منه، يقول الشاعر فلما دنونا من عمير وأصحابه للحرب أدبروا مسرعين، والحال: أن الموت يسرع خلفهم من جهتنا. شبه المنية بالأسد على طريق الاستعارة المكنية، فأثبت لها العنق تخييلاً؛ كأنهم كانوا تبعوهم برمي النبال.

ويجوز أنه استعار المنية لنفسه وقومه على طريق التصريح، أي: ونحن نسرع خلفهم، فذكر العنق تجريد؛ لأنه يلائم المشبه، والعنق: ضرب من سير الدواب كما في «الصحاح».

وقال ابن الشجري:

معنى ردف لكم: تبعكم، ومنه: ردف المرأة: لأنه تبع لها من خلفها، ومنه قول أبي ذؤيب.

عـادَ السَّـوادُ بيـاضـاً في مفـارِقـهِ

لا مـرحبـاً ببيـاضِ الشَّيـبِ إذْ ردفـا

قال الجوهري: وأردفه لغة في ردفه، مثل: تبعه، وأتبعه، بمعنى، قال خزيمة بن مالك بن نهد:

إذا الجـوزاءُ أردفـت الثـريَّـا ظننـتُ بـآل فـاطمـةَ الظُّنـونـا

○ الإعـراب:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ الواو: استئنافية، والخطاب للنبي، ويقولون: فعل مضارع، وفاعل، ومتى: اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم، وهذا: مبتدأ مؤخر، والوعد: بدل، وإن: شرطية، وكنتم: فعل الشرط، وكان، واسمها، وصادقين: خبرها، وجواب الشرط: محذوف، دل عليه ما قبله.

﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ عسى، ولعل، وسوف، إذا خوطب بها من هو أكبر منك قدراً فهي بمثابة الجزم بمدخولها، وإنما يطلقونها للوقار، وعسى: فعل ماض جامد من أفعال الرجاء،

واسمها: مستتر، تقديره: هو، وأن يكون: مصدر مؤول: خبرها، واسم يكون: مستتر، تقديره: هو، وردف: فعل ماض، ضمن فعل يتعدى باللام، وبعض: فاعل، والذي: مضاف إليه، وجملة تستعجلون: صلة، وجملة ردف: خبر يكون، وقيل: إن ردف على بابها بمع تبع واللام زائدة. ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ الواو: استئنافية، وأن، واسمها، واللام: المزحلقة، وذو فضل: خبرها، وعلى الناس: متعلقان بفضل، أو: صفة له، والواو: حالية، ولكن: حرف استدراك، ونصب، وأكثرهم: اسمها، وجملة لا يشكرون: خبرها. ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ الواو: عاطفة، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وجملة يعلم: خبر إن، وما: مفعول به، وجملة تكن صدورهم: صلة، والعائد: محذوف، وما يعلنون: عطف على ما تكنّ. ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، ومن: حرف جر زائد، وغائبة: مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ، وساغ الابتداء بالنكرة لدخول النفي عليها، والغائبة: كل ما يخفى، سمي الشيء الذي يغيب ويخفى: غائبة، وخافية، فكانت التاء فيهما بمنزلتهما في: العافية، والعاقبة، والنصيحة، والرمية، والذبيحة، في أنها أسماء غير صفات، ويجوز أن تكون هذه صفات، والتاء فيها للمبالغة، كراوية، وعلامة، ونسابة. وفي السماء والأرض: صفة لغائبة، وإلا: أداة حصر، وفي كتاب: خبر غائبة، ومبين: صفة. ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ الجملة مستأنفة لبيان نوع آخر من ميزات القرآن، وإن، واسمها، والقرآن: بدل من اسم الإشارة، وجملة يقص: خبر إنَّ، وعلى بني إسرائيل: جار ومجرور متعلقان بيقص، وأكثر: مفعول به، والذي: مضاف إليه، وفيه متعلقان بيختلفون، وجملة يختلفون: صلة الذي. ﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على ما تقدم، وإن، واسمها، واللام: المزحلقة، وهدى: خبرها، ورحمة: عطف على هدى، وللمؤمنين: صفة. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة يقضي: خبرها،

والظرف: متعلق بمحذوف حال، وبحكمه: متعلقان بيقضي، وهو: مبتدأ، والعزيز: خبر أول، والعليم: خبر ثان.

* الفوائـد:

أحكام التاء المتحركة اللاحقة بالأسماء والصفات:

هذه التاء إحدى علامات التأنيث المختصة بالأسماء؛ لأنه لما كان التأنيث عرفاً للتذكير احتاج لعلامة تميزه، على أن العرب قد أنثوا أسماء كثيرة بتاء مقدرة، ويستدل على ذلك التقدير بالضمير العائد عليها نحو: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۖ﴾ و﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَاۚ﴾ و﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ وبالإشارة إليها نحو: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ وبثبوتها في تصغير الاسم، نحو: عيينة، وأذينة، مصغر: عين، وأذن، من الأعضاء المزدوجة، فإن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها، فإن القاعدة المشهورة هي: أن ما كان من الأعضاء مزدوجاً فالغالب عليه التأنيث؛ إلا الحاجبين، والمنخرين، والخدين، فإنها مذكرة، على أن المرجع السماع، فإن من المزدوج الكف، وهي مؤنثة، وزعم المبرد أنها قد تذكر وأنشد:

ولو كفي اليمينُ يقيكَ خوفاً لأفردتُّ اليمينَ عن الشِّمالِ

ولكن هذا وهم من المبرد، فإن اليمين بمنزلة اليمنى فهي مؤنثة. وقال ابن يسعون: على أنه رجع إلى التأنيث فقال: تقيك. ونعود إلى طرق الاستدلال فنقول: ويستدل على التقدير أيضاً بثبوتها في فعله نحو: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ وبسقوطها من عدده، كقول حميد الأرقط، يصف قوساً عربية:

أرمي عليها وهي فرعٌ أجمعُ وهي ثلاثُ أذرعٍ وأصبعُ

فأذرع جمع: ذراع، وهي مؤنثة، بدليل سقوط التاء من عددها وهو ثلاث، والواو في قوله «وهي» فرع للحال، يقال: قوس فرع: إذا عملت من رأس القضيب، ولم يرد بقوله: وإصبع حقيقة مقدار الإصبع، ولكنه أشار بذلك إلى كمال القوس كما تقول: الثوب سبع أذرع وزائد، تريد: أنها موفاة هذا العدد.

والغالب في هذه التاء أن تكون لفصل صفة المؤنث من صفة المذكر، كقائمة، وقائم، ومن غير الغالب في الأسماء غير الصفات، نحو: رجل، ورجلة، وغلام، وغلامة، وفي الصفات التي تنزل على مقصدين، وهي الصفات المختصة بالمؤنث، كحائض، وطامث، فإن قصد بها الحدوث في أحد الأزمنة؛ لحقتها التاء، فقيل: حائضة، وطامثة، وإن لم يقصد بها ذلك؛ لم تلحقها، فيقال: حائض، وطامث، بمعنى: ذات أهلية للحيض، والطمث.

وقال في «المفصّل»: «للبصريين في نحو حائض، وطامث مذهبان: فعند الخليل: أنه على النسب، كلابن، وتامر، كأنه قيل: ذات حيض، وذات طمث، وعند سيبويه: أنه مؤول بإنسان، أو شيء حائض، كقولهم: غلام ربعة، على تأويل النفس، وإنما يكون ذلك في الصفة الثابتة، وأما الحادثة؛ فلا بد لها من علامة التأنيث، فتقول: حائضة، وطالقة الآن، أو: غداً» وقد أوضحنا الفرق بين الصفة الحادثة الثابتة في الكلام عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ بأن المرضع: هي التي من شأنها الإرضاع، والمرضعة: هي التي في حالة الإرضاع ملقمة ثديها للصبي، فانظره هناك.

وقال في «المفصل»: «إن مذهب الكوفيين: إنَّ حذف التاء في حائض للاستغناء عنها» وهذا يوجب إثبات التاء في محل الالتباس، كضامر، وعاشق، وأيم، وثيّب، وعانس، وهذا الاعتراض بيّن، وأما الاعتراض بإثبات التاء في الصفات المختصة بالإناث من: امرأة مصيبة، وكلبة مجرية، على ما في الصحاح؛ فليس بسديد؛ لأن ما ذكروه مجوز، لاموجب؛ لأنهم يقولون: الإتيان بالتاء في صورة الاستغناء عن الأصل، كحاملة في المرأة، قال الجوهري في «الصحاح»: يقال: امرأة حامل، وحاملة: إذا كانت حبلى، فمن قال: حامل، قال: هذا نعت لا يكون إلا للإناث، ومن قال: حاملة، بناء على حملت، فهي حاملة، وأنشد لعمرو بن حسان:

تمخضتِ المنونُ لهُ بيومٍ أتى ولكلِّ حاملةٍ تمامُ

فإذا حملت شيئاً على ظهرها، أو على رأسها، فهي: حاملة لا غير.

هذا ولا تدخل هذه التاء في خمسة أوزان:

١ ـ فعول بفتح الفاء، بمعنى: فاعل، كرجل جسور، وامرأة جسور ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ وقد سبق ذكرها في سورة مريم.

٢ ـ فعيل، بمعنى: مفعول، نحو رجل جريح، وامرأة جريح، فإن قلت: مررت بقتيلة بني فلان ألحقت التاء خشية الالتباس بالمذكر، لأنك لم تذكر الموصوف.

٣ ـ مفعال بكسر الميم، نحو: منحار، يقال: رجل منحار، وامرأة منحار.

٤ ـ مفعيل بكسر الميم، كمعطير من: العطر، وشذَّ: امرأة مسكينة وسمع: امرأة مسكين على القياس.

٥ ـ مفعل، كمغشم، وهو: الذي لا ينتهي عما يريده، ويهواه من شجاعته.

تاء الفصل: وتأتي التاء لفصل واحد من الجنس، كتمرة، وتمر، أو: فصل الجنس من الواحد، نحو: كماة، وليس منه سيارة في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ فإنها جمع: سيار، لا من أسماء الأجناس.

تاء العوض: وتاء العوض وهي التي تأتي عوضاً من فاء، كعدة، أو: عين، كإقامة، أو: لام، كسنة، أو: من حرف زائد لغير معنى، كزنديق، وزنادقة، فالتاء عوض من ياء زناديق.

تاء التعريب: وتاء التعريب وهي التي تأتي لتعريب الأسماء الأعجمية، كموازجة، جمع: موزج بفتح الميم وسكون الواو وفتح الزاي بعدها جيم، وهو: الخف، أو: الجورب، والقياس موازج، فدخلت التاء في جمعه لتدل على أن أصله أعجمي فعرب.

تاء المبالغة: وتاء المبالغة في الوصف، كراوية، لكثير الرواية ونسّابة، لكثير العلم بالأنساب.

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ الفاء: الفصيحة؛ لأنَّها تفريع على قوله: العزيز العليم؛ أي: إنْ عرفت هذه الصفات لله تعالى، وآمنت بها، فتوكل. وتوكل: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وعلى الله: جار ومجرور متعلقان بتوكل، وجملة إنك على الحق المبين: لا محل لها؛ لأنها تعليل للتوكيل، وإنَّ، واسمها، وخبرها، والمبين: صفة. ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ تعليل ثان للأمر بالتوكل، يقطع طمعه عن متابعتهم. وإنَّ، واسمها، وجملة لا تسمع: خبر، والموتى: مفعول به، ولا تسمع الصم: عطف على سابقتها، والصم: مفعول به أول، والدعاء: مفعول به ثان، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة ولوا: مجرورة بإضافة الظرف إليها، ومدبرين: حال. ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية حجازية تعمل عمل ليس، وأنت: اسمها، والباء: حرف جر زائد، وهادي: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما، والعمي: مضاف إليه، وعن ضلالتهم: متعلقان بهادي، وعدي بعن لتضمنه معنى تصرفهم، وأجاز أبو البقاء وجهاً آخر، وهو أن يتعلق بالعمى؛ لأنك تقول: عمي عن كذا، وهو وجه سائغ مقبول، ومثل الزمخشري للوجه الأول بقولهم: سقاه عن العيمة؛ أي: أبعده عنها بالسقي، والعيمة: شهوة

اللبن كما في «الصحاح». ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ إن: نافية، وتسمع: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وإلا: أداة حصر، ومن: مفعول به، وجملة يؤمن: صلة، وبآياتنا: متعلقان بيؤمن، والفاء: الفصيحة، وهم: مبتدأ، ومسلمون خبر. ﴿۞وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ الواو: استئنافية، والكلام: مستأنف، مسوق لبيان بعض أمائر الساعة الدالة عليها، والمراد بالقول: ما نطق به القرآن من الآيات التي تنبىء عن الساعة، والمراد بوقوعه وهو لم يقع: قرب حصوله. وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة وقع القول: في محل جر بإضافة الظرف إليها، والقول: فاعل وقع، وعليهم: متعلقان بوقع، وجملة أخرجنا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ولهم: متعلقان بأخرجنا، ودابة: مفعول به، ومن الأرض: صفة لدابة، وسيأتي ما قيل في دابة الأرض في باب الفوائد.

﴿تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ جملة تكلمهم: صفة ثانية لدابة، أو: حال منها؛ لأنها وصفت، وأن: بفتح الهمزة على تقدير الباء؛ أي: بأن الناس، والجار والمجرور: متعلقان بتكلمهم، وقرىء بكسرها على الاستئناف، وأن، واسمها، وجملة كانوا: خبر أن، وكان، واسمها، وبآياتنا: متعلقان بيوقنون، ولا: نافية، وجملة لا يوقنون: خبر كانوا، والكلام إما من الله تعالى، وإما من كلام الدابة، وقد اختار الزمخشري هذا الوجه، وردّ على المعترضين بأن قوله: بآياتنا يعكر على ذلك؛ بأن قولها حكاية لقول الله تعالى، أو على معنى: بآيات ربنا، أو: لاختصاصها بالله، وأثرتها عنده، وأنها من خواص خلقه، أضافت آيات الله إلى نفسها، كما يقول بعض خاصة الملك: خيلنا، وبلادنا، وإنما هي خيل مولاه وبلاده.

□ البلاغة:

في قوله ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ فن الإيغال، وهو: أن يستكمل المتكلم معنى كلامه قبل أن يأتي بمقطعه، فإذا أريد الإتيان به أتى بما

يفيد معنى زائداً على معنى ذلك الكلام، فقد انتهى الكلام عند قوله ولا تسمع الصم الدعاء، فما معنى قوله: ولوا مدبرين؟ والجواب: أنه أتى بها وقد أغنى عنها ذكر التولي في الظاهر، أما في الحقيقة فهو لم يغن عنها؛ لأن التولي قد يكون بجانب دون جانب، كما يكون الإعراض، ولما أخبر سبحانه بذكر توليهم متمماً للمعنى في حال الخطاب، لينفي عنهم الفهم الذي يحصل من الإشارة، فإنَّ الأصم يفهم من الإشارة ما يفهمه السامع من العبارة، ثم علم سبحانه أن التولي قد يكون بجانب دون جانب، كما قدمنا، فيجوز أن يلحظ بالجانب الذي لم يتول به، فيدرك بعض الإشارة، والمراد: نفي كل الإشارة، فجاءت الفاصلة: ﴿ مُدْبِرِينَ﴾ ليعلم: أن التولي كان بجميع الجوانب، بحيث صار ما كان مستقبلاً مستدبراً، فاحتجب المخاطَب عن المخاطِب؛ إذ صار من ورائه، فخفيت من غيبه الإشارة، كما صمّت أذناه عن العبارة، فحصلت المبالغة الكلية في عدم الإسماع البتة، وهذا تمثيل مثلت به حال هؤلاء القوم، أتى مدمجاً في الإيغال، وهذا الضرب من الإيغال يسمى: إيغال الاحتياط.

وهناك ضرب آخر وهو: إيغال التخيير، وقد مضى شاهده في سورة المائدة، وقد قدمنا في المائدة ما فيه الكفاية من أمثلة الإيغال، ونورد هنا نماذج منه:

يحكى: أن إخوة ليلى لما علموا بحب توبة بن الحميّر العقيلي لها؛ نذروا دمه، وارتحلوا بها، فقال توبة:

وإنْ يمنعُوا ليلى وحُسْنَ حديثِها
فَلَنْ يمنعوا عني البُكا والقوافِيا

فهلاَّ منعتمْ إذْ منعتُمْ حديثَها
خيالاً يوافيني مَعَ الليلِ هادياً

فقد تم المعنى بقوله مع الليل، ولما أتى بالقافية زاد على ذلك.

ولأبي تمام:

إنَّ المنــازلَ ســاورتْهــا فِــرْقَــةٌ
أَخْلَــتْ مــن الآرامِ كــلَّ كنــاسِ
مِـنْ كـلِّ ضـاحكـة الترائـبِ أرهفـتْ
إرهــافَ خــوطِ البــانــةِ الميَّــاسِ

فإن المعنى قد تمّ قبل إتيانه بالقافية في البيت الثاني فلما أتى بها زاد عليه، وعلى هذا النحو الجميل يطرد له ذلك فيقول:

فتــوحُ أميرِ المــؤمنين تفتَّحَــتْ
لهــنَّ أزاهيرُ الــرُّبــا والخمــائــلِ
لَقَــدْ ألبَــسَ اللَّــهُ الإمــامَ فضــائــلاً
وتــابــعَ فيهــا بــاللهــا والفــواضــلِ
فــأضحــتْ عطــايــاهُ نــوازعَ شرداً
تسـائـل في الآفـاقِ عَـنْ كـلِّ سـائـلِ
مواهبُ جدنَ الأرضَ حتَّى كأنَّما
أَخَـذْنَ بـآدابِ السَّحـابِ الهَـواطِـلِ

* الفوائـد:

دابة الأرض:

دابة الأرض، هي: الجسّاسة، وتنوينها وتنكيرها لإبهام تفخيمها، لتسترعي الانتباه إليها، وتلفت الأنظار إلى ترقب خروجها، وقد كثر الحديث عنها في المطولات وهي من الأمور المغيبة؛ التي نؤمن بها، ولا يعنينا كنهها، ولا حقيقتها.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ

وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

☆ **اللغة:**

﴿فَوْجًا﴾: الفوج: الجماعة، والطائفة، وجمعه: أفواج، وفؤوج، وجمع الجمع: أفاوج، وأفايج، وأفاويج، والفائجة: الجماعة، ومتسع ما بين كل مرتفعين من رمل أو غلظ. وقال الراغب في «مفرداته»: «الفوج: الجماعة المارة المسرعة، وكان هذا هو الأصل، ثم أطلق، وإن لم يكن مرور ولا إسراع، والجمع: أفواج، وفؤوج».

﴿يُوزَعُونَ﴾: تقدم قريباً في سورة «النحل» فجدد به عهداً، أي: يحبس أولهم على آخرهم لأجل تلاحقهم.

﴿دَٰخِرِينَ﴾: صاغرين، وفي «القاموس»: دخر الشخص، كمنع، وفرح، دخراً، ودخوراً: صغر، وذلَّ، أدخرته بالألف للتعدية. والدال مع الخاء فاء وعيناً تفيدان معنىً خاصاً يدل على التضاؤل، والتصاغر، وما تنبو عنه النفس، وتغثي الطباع، فالدَّخ، والدُّخ: الدخان، وهو معروف، يعمي العيون، ويقذيها، وقالت أعرابية لزوجها ـ وكان قد كبر وأسنّ ـ:

لا خيرَ في الشَّيخ إذا ما اجلخّا وسالَ غربُ عينهِ ولخَّا
وكان أكلاً قاعداً وشخّا تحتَ رُواقِ البيت يَغْشَى الدُّخا
وانثنتِ الرِّجلُ فصارت فخَّا وصارَ وصلُ الغانياتِ أخّا

ومعنى يغشى الدخ: أنه يكثر التردد على النساء عند التنور، يقول: أطعمنني، ومعنى اجلخ: سقط ولم يتحرك، وقيل: معناه: اعوج، وأخ بفتح الهمزة: كلمة تقال عند التأوه، كذا قال ابن دريد، ثم قال: وأحسبها محدثة، وقال الصاغاني: يقال للصبي إذا نهي عن فعل شيء قذر: إخ بكسر الهمزة،

بمنزلة قول العجم: كخ، كأنه زجر، وقد تفتح همزته، ودخدخ الرجل: قارب الخطو مسرعاً، وتدخدخ الرجل: انقبض، ودخس الشيء في الرماد: أدخله، ودسه، ودخس الحافر: أصابه داء الدخَس، وهو ورم في حافر الدابة، والدُّخس بضم الدال: دابة في البحر، ودخل: معروف، وهو يفيد التواري، والتضاؤل، ودخل في عقله بالبناء للمجهول، أو جسده، ودخِل بكسر الخاء دَخَلاً بفتحتين: داخله الفساد، فهو مدخول عليه، والدخل بفتح الدال وسكون الخاء: ما دخل عليك من مالك لتختزنه، وتواريه عن العيون، والداء، والعيب، والدخل بفتحتين: ما داخل الإنسان من فساد في العقل، والجسم، والخديعة: العيب في الحسب، والدخيل: من دخل في قوم، وانتسب إليهم، وليس منهم، والجمع: دخلاء، وكل كلمة أعجمية، ويقال: داء دخيل؛ أي: داخل في أعماق البدن، ويقال: إنه لخبيث الدِّخلة بكسر الدال المشددة، وهي باطن أمره، ودخمه، دخماً: دفعه بإزعاج، ودخن الطعام، واللحم، من باب تعب: أصابهما الدخان في حال الطبخ، ولا شيء أخبث من طعمه آنذاك، وكم لهذه اللغة من عجائب.

○ الإعراب:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ الواو: استئنافية، والظرف: متعلق بمحذوف، تقديره: اذكر، وهو كلام مستأنف، مسوق لبيان أحوال الكذابين بصورة إجمالية، وجملة نحشر: مجرورة بإضافة الظرف إليها، ومن كل أمة: متعلقان بنحشر و«من» هنا: للتبعيض، وفوجاً: مفعول به، وممن: صفة لفوجاً و«من» هنا: للتبيين، وجملة يكذب: صلة مَنْ، والفاء: عاطفة، وهم: مبتدأ، وجملة يوزعون: خبر. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حتى: حرف غاية، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة جاؤوا في محل جر بإضافة الظرف إليها، ومتعلق جاؤوا محذوف، أي: إلى مكان الحساب، وقال: فعل ماض، وفاعله: مستتر، يعود على الله تعالى، أكذبتم: الهمزة: للاستفهام التوبيخي

التقريعي، وكذبتم: فعل وفاعل، وبآياتي: متعلقان بكذبتم، ولم: الواو حالية، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، وتحيطوا: فعل مضارع مجزوم بلم، وبها متعلقان بتحيطوا، وعلماً: تمييز، والجملة: حالية، مؤكدة للإنكار، والتوبيخ، وإظهار بشاعة التكذيب القائم على الارتجال، وعدم التمعن، والتبصر، والتحقيق، وأم: حرف عطف، وهي هنا منقطعة، فهي بمعنى بل، وما: اسم استفهام مبتدأ، وذا: اسم موصول خبر، أو: ماذا كلها: اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لتعملون، وكنتم: كان، واسمها، وجملة تعملون: خبرها. ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ الواو: عاطفة، ووقع القول: فعل وفاعل، وعليهم: متعلقان بوقع، وبما ظلموا: متعلقان بوقع أيضاً؛ أي: بسبب ظلمهم، وما: مصدرية، والفاء: عاطفة، وهم: مبتدأ، وجملة لا ينطقون: خبر.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الهمزة: للاستفهام التقريري، والإنكاري، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويروا: فعل مضارع مجزوم بلم، والرؤية هنا قلبية، لا بصرية، وأنَّ وما بعدها سدت مسد مفعولي يروا، وأنَّ، واسمها، وجملة جعلنا: خبرها، والجعل هنا إن كان بمعنى الخلق لا بمعنى التصيير فتتعدى لواحد، والليل: مفعول جعلنا، واللام: للتعليل، ويسكنوا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون، والواو: فاعل، والجار والمجرور: متعلقان بجعلنا؛ على أنه علة له، فهو بمثابة المفعول من أجله، ولكن لا يجوز النصب لاختلاف الفاعل، وفيه متعلقان بيسكنوا، والنهار: عطف على الليل، ومبصراً: حال، أو: مفعول به ثان، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبرها المقدم، واللام: المزحلقة وآيات: اسمها المؤخر، ولقوم: صفة، وجملة يؤمنون: صفة لقوم. ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ويوم: معطوف على ويوم نحشر، منتظم في حكمه، وهو الأمر بذكره، وجملة ينفخ: في محل جر بإضافة

الظرف إليها، ونائب الفاعل: مستتر، وتقديره: هو، وفي الصور: متعلقان بينفخ، ففزع: عطف على ينفخ، وسيأتي سر التعبير بالماضي في باب البلاغة، ومَنْ: فاعل فزع، وفي السموات: صلة، ومَنْ في الأرض: عطف على مَنْ في السموات.

﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ إلا: أداة استثناء، ومن مستثنى، وجملة شاء الله: صلة، وكلٌّ: الواو: للحال، أو هي عاطفة، وكلٌّ: مبتدأ، وساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم، ولأن تنوينه عوض عن المضاف إليه، أي: وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة، وجملة أتوه: خبر، وعبر بالماضي عن المستقبل لتحقيق وقوعه، كأنه وقع فعلاً، وداخرين: حال. ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ ﴾ الواو: حرف عطف، وترى الجبال: فعل مضارع مرفوع، وفاعل مستتر، تقديره: أنت، ومفعول به، والرؤية بصرية، وجملة تحسبها: حال من الجبال، والهاء: مفعول تحسبها الأول، وجامدة: مفعول تحسبها الثاني، وهي: الواو: حالية، وهي: مبتدأ، وجملة تمر خبر، والجملة: حال من جامدة. ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ صنع: مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة قبله، وأضيف المصدر إلى فاعله، والذي: صفة لله، وجملة أتقن: صلة، وكل شيء: مفعول أتقن، وإنَّ، واسمها، وخبرها، وبما: متعلقان بخبير، وجملة تفعلون صلة ما.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون متعددة نوجزها فيما يلي:

١ ـ المجاز العقلي:

في قوله: ﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ ﴾ فقد أسند الإبصار إلى الزمان، وهو لا يعقل، ولم يأت بالكلام مقابلاً بما قبله وهو ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾ بل جعله أحدهما علة، والثاني حالاً؛ لأن التقابل قد روعي من جهة

المعنى؛ لأن معنى مبصراً: ليبصروا فيه طرق التقلب والمكاسب، وهذا هو النظم المطبوع غير المتكلف.

٢ ـ الإخبار بالماضي عن المستقبل:

وأخبر بالماضي عن المستقبل في قوله: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وكان السياق يقضي بأن يأتي بالمستقبل أيضاً، ولكنه عدل إلى الماضي للإشعار بتحقيق الفزع، وأنه كائن لا محالة؛ لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل، وكونه مقطوعاً به.

٣ ـ الطباق:

وفي قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ طباق عجيب بين الجمود والحركة السريعة، فجعل ما يبدو لعين الناظر كالجبل في جموده ورسوخه، ولكنه سريع يمر مروراً حثيثاً، كما يمر السحاب، وهذا شأن الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها، كما قال النابغة في وصف جيش:

بأرعنَ مِثْل الطَّودِ تَحْسَبُ أنَّهم
وقوفٌ لحاج والركابُ تهملجُ

وهذا بيت رائع، فالأرعن: الجبل العالي، وقد استعاره للجيش، ثم شبهه بالطود، وهو الجبل العظيم، ليفيد المبالغة في الكثرة، والحاج: اسم جمع، واحده حاجة، والركاب: المطي، لا واحد له من لفظه، والهملجة: السير الرهو السريع، فارسي معرب، وفي «الصحاح»: «الهملاج من البراذين، واحده: الهماليج، ومشيها الهملجة، فارسي معرب» يقول: حاربنا العدو بجيش عظيم تظنهم واقفين لحاج لكثرتهم، والحال أن ركابهم تسرع السير.

وللزمخشري وصف بليغ لهذه الآيات نورده فيما يلي: «فانظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن نظمه، وترتيبه، ومكانة إضماده، ورصانة تفسيره،

وأخذ بعضه بحجزة بعض، كأنما أفرغ إفراغاً واحداً، ولأمر ما أعجز القوى، وأخرس الشقائق، ونحو هذا المصدر؛ أي: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾ إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته، والمنادي على سداده، وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان، ألا ترى إلى قوله ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾ و﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ و﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾ بعد ما وسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله: ﴿ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ﴾ و﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ و﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾.

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

○ الإعراب:

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق للتمهيد لختام السورة، بإجمال مصير المحسن والمسيء. ومَنْ: اسم شرط جازم مبتدأ، وبالحسنة: جار ومجرور متعلقان بجاء، أو: بمحذوف حال، فالباء للملابسة؛ أي: جاء متلبساً بها، والفاء: رابطة، وله: خبر مقدم، وخير: مبتدأ مؤخر، ومنها: صفة لخير، أو: متعلق به على أنه اسم تفضيل. وهم: مبتدأ، ومن فزع: متعلقان بآمنون، وآمنون: خبر، ويوم: ظرف أضيف إلى مثله، وهو متعلق بمحذوف صفة لفزع؛ أي: كائن في ذلك اليوم، وقرىء بإضافة فزع إلى يومئذ. ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ الواو: عاطفة، ومَنْ: شرطية، وجاء

بالسيئة: فعل الشرط، والفاء: رابطة داخلة على «قد» محذوفة؛ أي: كبت، ليصح اقتران الجواب بها، وكبت: فعل ماض مبني للمجهول، ووجوههم: نائب فاعل، وفي النار: متعلقان بكبت، وجملة فكبت: في محل جزم جواب الشرط، وهل: حرف استفهام، وتجزون: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بثبوت النون على طريق الالتفات، والواو: نائب فاعل، والجملة: حال؛ أي: فكبت وجوههم مقولاً لهم: هل تجزون، وإلا: أداة حصر، وما: مفعول به ثان لتجزون، وجملة كنتم: صلة، وكان، واسمها، وجملة تعملون: خبرها.

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ الجملة مقول قول محذوف، أي: قل لهم: إنما أمرت، وإنما: كافة، ومكفوفة، وأمرت: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء نائب فاعل، وأن أعبد: في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور: متعلقان بأمرت، ورب: مفعول به، وهذه: مضاف لرب، والبلدة: بدل من اسم الإشارة، والمراد بها مكة حرسها الله، والذي: نعت لرب هذه البلدة، وجملة حرّمها: صلة. ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ الواو: للحال، وله: خبر مقدم، وكل شيء: مبتدأ مؤخر، وسيأتي سر هذا الحال في باب البلاغة، وأمرت: عطف على أمرت الأولى، وأن أكون من المسلمين: عطف أيضاً على ما تقدم. ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ وأن أتلو: عطف على أن أكون، أي: وأمرت بأن أتلو، والقرآن: مفعول به، فمن: الفاء: تفريعية، ومَنْ: شرطية مبتدأ، واهتدى: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاء: رابطة، وإنما: كافة ومكفوفة، ويهتدي: فعل مضارع، وفاعله مستتر، تقديره: هو، ولنفسه: متعلقان بيهتدي. ﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ عطف على الجملة السابقة، وهي مماثلة لها في إعرابها، ولا بد من تقدير فعل طلبي بعد الفاء، أي: فقل له: إنما أنا من المنذرين. ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الواو: عاطفة، وقل: فعل أمر،

والفاعل مستتر، تقديره: أنت، والحمد: مبتدأ، ولله: خبر، والجملة: مقول القول، وسيريكم: السين: حرف استقبال، ويريكم: فعل مضارع، والكاف: مفعول به أول، وآياته: مفعول به ثان، والجملة من تتمة مقول القول منتظمة في سلكه، فتعرفونها: الفاء عاطفة، وتعرفونها: فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به، والواو: حرف عطف، وما: نافية حجازية، وربك: اسمها، وبغافل: الباء: حرف جر زائد، وغافل: مجرور لفظاً منصوب محلاً؛ لأنها خبر ما، وعما: متعلقان بغافل، وجملة تعملون: صلة.

□ البلاغة:

الاحتراس:

في قوله تعالى ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ﴾ احتراس بديع، وقد تقدم ذكر هذا الفن، وأنه يؤتى به دفعاً لتوهم يتوجه على الكلام، فقد أضاف سبحانه اسمه إلى مكة تشريفاً لها، وذكراً لتحريمها، ولما أضاف اسمه إلى البلدة، والمخصوصة بهذا التشريف؛ أتبع ذلك إضافة كل شيء سواها إلى ملكه قطعاً؛ لتوهم اختصاص ملكه بالبلدة المشار إليها، وتنبيهاً على أن الإضافة الأولى إنما قصد بها التشريف، لا لأنها ملك الله تعالى خاصة.

الباقلاني يحلل سورة النمل:

هذا ونحب في ختام هذه السورة أن نشير إشارة سريعة تحليلية إلى كتاب «إعجاز القرآن» لأبي بكر الباقلاني؛ الذي سار ذكره في الناس، وهو يجمع إلى روحه الكلامية طابعاً أدبياً؛ إذ لم يقتصر في الإعجاز على دراسته من الوجهة الكلامية، بل تعرض للناحية البيانية، والأسلوبية، فقد نشأ الخطيب الباقلاني بارعاً في الجدل، عالي القدر في علوم القرآن، والسنة، والكلام، وتعرض لكثير من المعارضين والمخالفين، وقارعهم الحجج، وجادل علماء الروم، مما أثار إعجاب معاصريه به.

فقد أرسله الملك عضد الدولة إلى ملك الروم عام ٣٧١ هـ في سفارة

رسمية، وأدخلوه مرة وهو في عاصمة الروم على بعض القسس، فقال القاضي للقسيس: كيف أنت والأهل والأولاد؟ فتعجب الرومي وقال له: ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة: أنك لسان الأمة، ومتقدم على علماء الملة، أما علمت أن المطارنة والرهبان منزهون عن الأهل والأولاد؟ فأجابه القاضي أبو بكر: رأيناكم لا تنزهون الله سبحانه عن الأهل والأولاد، فهل المطارنة عندكم أقدس وأجل وأعلى من الله سبحانه؟ وأراد كبير الروم أن يخزي القاضي فقال له: أخبرني عن قصة عائشة زوج نبيكم وما قيل فيها؟ فأجابه هما اثنتان قيل فيهما ما قيل: زوج نبينا ومريم أم المسيح؛ فأما زوج نبينا فلم تلد، وأما مريم فجاءت بولد تحمله على كتفيها، وقد برأهما الله مما رميتا به، فانقطع الرومي، ولم يحر جواباً.

خلاصة نظرية الباقلاني في الإعجاز:

١ ـ يبدأ بعرض الفكرة عرضاً بسيطاً، فيثبت صحة ما بين أيدينا من نصّ القرآن، وأنه هو حقاً كتاب الله المنزّل على نبيه، وأنه آية محمد، ومعجزته الخالدة.

٢ ـ يثبت عجز العرب عن الإتيان بمثله على رغم تحديه لهم مراراً.

٣ ـ وينتهي من المقدمات السالفة إلى نتيجة عامة، هي خلاصة نظريته في الإعجاز، وهي: «خروج نظم القرآن عن سائر كلام العرب ونظومهم» ثم يشرح هذه النظرية في كتاب الإعجاز فيقول: «والوجه الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة على تصرف وجوهه، واختلاف مذاهبه، خارج عن المعهود من نظم جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب خاص به، ويتميز في فصوله عن أساليب الكلام المعتاد».

وقبل أن يلج إلى نظم القرآن وتحليل سوره، يتناول قصيدة لامرىء القيس، وأخرى للبحتري، ليرسم طريقته في النقد، وتطبيق منهجه، وينتقل في كلتا القصيدتين من المطلع إلى النهاية منبهاً إلى وجوه الجمال، ومواطن

الضعف، وفي تحليله لقصيدة امرىء القيس، أو معلقته ـ على الأصح ـ يوازن بين ما جاء من فنون التعبير والتصرف في القول ونظم الكلام فيها، وما جاء من فنون التعبير والتصرف في القول ونظم الكلام فيها، وما جاء شبيهاً، أو مقارباً لها في القرآن، منبهاً إلى تفوق القرآن دائماً، وكثيراً ما تدخل النقد الشخصي في رأي الباقلاني في تحليل معلقة امرىء القيس، وإن خالف ذلك الرأي آراء جميع النقاد، انظر إليه كيف يخطىء الشاعر في قوله:

إذا قامتا تَضَوَّعَ المسكُ منهما ... ...

يقول: «فوجه التكلف فيه بقوله: إذا قامتا تضوع المسك منهما، ولو أراد أن يجود أفاد: أن بهما طيباً على كل حال، فأما في حال القيام فقط، فذلك تقصير» وهذا تحامل ظاهر من أبي بكر على الشاعر وعلى المعنى الذي تناوله، إذ لا شك أن في هذا التعبير لمسة فنية دقيقة، ترتكز على كلمة «قامتا»؛ لأنها مبعث الحركة والحياة في الصورة كلها، تريك الفتاتين غاديتين، أو رائحتين، وغلائلهما تبعث الأرج، فيسري في الأعطاف، ويعبق الجو بشذاه لما تبعثه الحركة في الهواء، فيحمل العطر إلى الأنوف لتستافه، ولا يتسنى ذلك في القعود والسكون، ومع هذا لا ننكر بعض ما نبه إليه الباقلاني من هنات في العقيدة، بل ونأخذ برأيه، ونقدر له عمقه، وحسن استنباطه، اسمع إلى هذا النقد العجيب الذي يخرس الألسن، فقد تناول مطلع المعلقة في البيتين الأولين وهما:

قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ
بسقطِ اللِّوى بين الدَّخولِ فَحَوْمَلِ

فتوضحُ فالمقراةُ لم يعفُ رسمُها
لما نسجتها من جنوبٍ وشمألِ

فقال: «لم يقنع بذكر حد حتى حدده بأربعة حدود، كأنه يريد بيع المنزل، فيخشى إن أخلّ بحد أن يكون بيعه فاسداً، أو شرطه باطلاً».

وفي تحليله لقصيدة البحتري بعض الطرائف الفنية في النقد نلخصها فيما يلي:

١ ـ الرؤيا الشعرية: فقد أشار اختلالها عند البحتري في تشبيه الخيال بالبرق، وذلك في قول البحتري:

أهــلاً بــذلكــمُ الخيــالِ المقبــلِ
فَعَــلَ الــذي نهــواهُ أمْ لَــمْ يَفْعَــلِ
برقٌ سرى مِنْ بَطْنِ وَجْرَةَ فاهْتَدَتْ
بسنــاهُ أعنــاقُ الــرِّكــابِ الضُّلَّــلِ

فقال: «إنه جعل الخيال كالبرق لإشراق مسراه» والخيال لا يشبه عنده بالبرق، لأن البرق سريع خاطف، والخيال يسري مسرى النسيم.

٢ ـ الحشو: وهو زيادة اللفظ على المعنى المطلوب، وهو عيب في النظم.

٣ ـ الابتذال في الصورة البيانية، كالتشبيه، أو الاستعارة، أو الكناية.

٤ ـ الـرونـق اللفظـي: إذ يـرى في بعـض أبيـات البحتري رونقـاً وطلاوة، ويرى في بعضها الآخر قلة ماء ورونق.

٥ ـ الاختلال في المعنى: ومن هذا قوله في نقد بعض الأبيات «وإنما جرى ذكر العذال على وجه لا يتصل هذا البيت به ويلائمه، ثم الذي ذكره من الانتظار؛ وإن كان مليحاً في اللفظ، فهو في المعنى متكلف؛ لأن الواقف في الدار لا ينتظر أمراً، وإنما يقف تحسراً وتذللاً وتحيراً» وهذه الأبيات التي تناولها النقد:

ما الحسنُ عندكِ يا سعادُ بمحسن
فيمــا أتــاه ولا الجَمَــالُ بمجمــلِ
عذل المشوق وإنَّ مِنْ سِيْما الهوىٰ
فــي حيــثُ تجهلُــه لجــاجُ العــاذلِ

مـــاذا عليـــكِ مـــن انتظـــار متيَّـــمِ
بَـــلْ مـــا يضـــرُّك وقفـــةٌ في منـــزلِ
إنْ سيل عيَّ عن الجوابِ فلم يُطِقْ
رجعـاً فكيـفَ يكـونُ إنْ لَـمْ يُسـأَلِ

٦ ـ التضمين: وهو عيب معروف عند النقاد العرب.

٧ ـ مخالفة بناء القصيدة العربية القديمة.

٨ ـ التعقيد، وعدم السلاسة في رصف الألفاظ، وسبكها، وهو عيب في الصياغة والنظم.

٩ ـ الاستهلال، وصلته بالفصل والوصل.

١٠ ـ الاشتراك في المعاني بينه وبين غيره من الشعراء مع تفاوت في الحسن.

١١ ـ بناء العبارة، وتأليفها، واختلافها بين النظم السَّوي، والمضطرب.

تحليل سورة النمل:

يتناول الباقلاني السورة جملة، يفسر غريبها، ويبين ما فيها من جمال اللفظ والمعنى، ويأخذ في تحليلها من أولها، فيقول: «بدأ بذكر السورة إلى أن بين أنَّ القرآن من عنده» ثم وصل بذلك قصة موسى وأنه رأى ناراً فقال لأهله: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ وقال في سورة «طه» في هذه القصة: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ ثم قال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فانظر إلى ما أجرى له الكلام الأول، وكيف اتصل بتلك المقدمة، وكيف وصل بها ما بعدها من الأخبار عن الربوبية، وما دلَّ عليها من قلب الفصاحة، وجعله دليلاً يدله عليه، ومعجزة تهديه إليه، وانظر الكلمات المفردة القائمة بنفسها في الحسن، وفيما تتضمنه من المعاني الشريفة، ثم ما شفع به هذه الآية، وقرن به هذه الدلالة من اليد البيضاء عن نور البرهان من غير سوء، ثم انظر في آية آية، وكلمة كلمة، هل تجدها كما وصفنا من

عجيب النظم، وبديع الوصف، فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية، وفي الدلالة آية، فكيف إذا قارنتها أخواتها، وضامتها ذواتها، تجري في الحسن مجراها، وتأخذ في معناها، ثم من قصةٍ إلى قصة، ومن باب إلى باب، من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصور لك الفصل وصلاً ببديع التأليف وبليغ التنزيل».

ويبين الباقلاني فضل نظم القرآن على الكلام العادي، فيدعو واحداً إلى التقليد، فلا يصل إلى شيء، ويقر بالعجز أمام لفظ القرآن ونظمه، ويستطرد في تحليل السورة فيقول: «متى تهيأ للآدمي أن يقول في وصف كتاب سليمان عليه السلام بعد ذكر العنوان والتسمية هذه الكلمة العالية الشريفة: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ والخلوص من ذلك إلى ما صارت إليه من التدبير، واشتغلت به من المشورة، ومن تعظيمها أمر المستشار، ومن تعظيمهم أمرها وطاعتها بتلك الألفاظ البديعة، والكلمات العجيبة، ثم كلامها بعد ذلك لتعلم تمكن قولها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ وذكر قولهم: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ لا تجد في صفتهم أنفسهم أبدع مما وصفهم به، وقوله: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ تعلم براعته بنفسه، وعجيب معناه، وموضع إتقانه في هذا الكلام، وتمكن الفاصلة، وملاءمتها لما قبلها، وذلك قوله: ﴿فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ ثم إلى هذا الاختصار، وإلى البيان مع الإعجاز، فإن الكلام قد يفسده الاختصار، ويعميه التخفيف منه والإيجاز، وهذا مما يزيده الاختصار بسطاً؛ لتمكنه، ووقوعه موقعه» إلى أن يقول: «وإن شرحت لك ما في كل آية طال عليك الأمر، ولكني قد بينت بما فسرت، وقررت بما فصلت الوجه الذي سلكت، والنحو الذي قصدت، والغرض الذي إليه رميت، والسمت الذي إليه دعوت».

ونحسبك بعد هذا قد ألممت بكتاب الإعجاز فقد أوردنا لك خير ما فيه.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿شِيَعًا﴾ : في «القاموس» و«التاج» وغيرهما من كتب اللغة: «شيعة الرجل: أتباعه، وأنصاره، والجمع: شِيَع، وأشياع، والشيعة: الفرقة، وتقع على الواحد، والاثنين، والجمع، مذكراً، ومؤنثاً وقد غُلِّبَ هذا الاسم على كل من يتولى عليّاً، وأهل بيته، حتى صار لهم اسماً خاصاً الواحد: شيعي» وقال الزمخشري: «شيعاً: فرقاً يشيعونه على ما يريد، ويطيعونه، لا يملك أحدٌ منهم أن يلوي عنقه، قال الأعشى:

وبلـــدةٍ يـــرهـــبُ الجَـــوَّابُ دُلْجَتَهـــا

حتَّـــى تَـــرَاهُ عليهـــا يَبْتَغِـــي الشِّيَعـــا

أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته، أو أصنافاً في استخدامه، يتسخر صنفاً في بناء، وصنفاً في حرث، وصنفاً في حفر، ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية، أو فرقاً مختلفة، قد أغرى بينهم العداوة» ومعنى البيت الذي أورده الزمخشري للأعشى: ربّ مفازة يخاف الجوّاب؛ أي كثير السفر، من: جبت الأرض: إذا قطعتها بالسير، والدلجة، من: دلج، وأدلج، وادّلج: إذا سار ليلاً، والدلجة ساعة من الليل، أي: يخاف المعتاد على السير من سيرها ليلاً، حتى يطلب الجماعات المساعدين له على سيرها، وبعد البيت قوله:

كلَّفْـــتُ مجهـــولَهـــا نفسي وشـــايعنـــي

همِّـــي عليهـــا إذا مـــا آلُهـــا لمعـــا

بـــذاتِ لـــوثٍ عفـــرنـــاةٍ إذا عثـــرت

فالتَّعسُ أولى لها من أن يُقَال لعا

يقول: كلفت نفسي سير المجهول منها، وعاودني عزمي على سيرها وقت لمعان آلها، وهو السراب؛ الذي يرى عند شدة الحر كأنه ماء، مع أن سير الهاجرة أشد من سير الليل، ثم قال: مع ناقة صاحبة قوة، ويطلق اللوث على الضعف أيضاً فهو من الأضداد، وعفرناة: غليظة، ويقال للعاثر: لعاً لك، دعاء له بالانتعاش، وتعساً له: دعاء عليه بالسقوط، يريد: أنها لا تعثر، ولو عثرت فالدعاء عليها أحق بها من الدعاء لها.

﴿ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾ : يبقيهن أحياء؛ لقول بعض الكهنة له: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكك.

﴿ وَهَٰمَٰنَ ﴾ : وزير فرعون المذكور هنا، وهامان عدو اليهود: وزير احشويروش الفارسي، ذكر في سفر استير من كتب العهد القديم.

○ الإعـراب:

﴿ طسٓمٓ ، تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ تقدم القول فيها، وتلك: مبتدأ، وآيات الكتاب المبين: خبرها. ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ نتلو: فعل مضارع مرفوع، وفاعل مستتر، تقديره: نحن، وعليك: متعلقان بنتلو، ومن نبأ: صفة لمفعول به محذوف؛ أي: شيئاً من قصة موسى وفرعون، وفيه حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه، وبالحق: حال من فاعل نتلو؛ أي: حال كوننا متلبسين بالحق والصدق، أو من المفعول، أي: حال كونه متلبساً بالحق والصدق، ولقوم: متعلقان بنتلو، فهو بمثابة التعليل له، أي: لأجل قوم، وجملة يؤمنون: صفة لقوم. ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان قصة فرعون، أو جملة تفسيرية لنبأ موسى، وكلتاهما لا محل لهما من الإعراب، وإنَّ، واسمها، وجملة علا: خبرها، وفاعل علا: ضمير مستتر جوازاً، تقديره: هو، أي: فرعون، وفي الأرض: متعلقان بعلا، وجعل أهلها: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، وشيعاً: مفعول به ثان. ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ جملة يستضعف: حالية من فاعل جعل، أو: صفة لشيعاً، ولك أن تجعله كلاماً مستأنفاً، وفاعل يستضعف: هو، وطائفة: مفعول به، ومنهم: صفة لطائفة، ويذبح: بدل اشتمال من يستضعف؛ لأن الاستضعاف مشتمل على الذبح، والاستحياء معاً، وأبناءهم: مفعول يذبح، ويستحيي نساءهم: عطف على يذبح أبناءهم، وجملة إنه: تعليل لهذه الأعمال، وإن، واسمها، وجملة كان: خبرها، واسم كان: مستتر، تقديره: هو، ومن المفسدين: خبر كان. وإنما كان فرعون يذبح أبناءهم، ويترك النساء؛ لأن المنجمين في ذلك العصر أخبروه: أنه يذهب ملكه على يد مولود من بني إسرائيل. قال الزجاج: «والعجب من حمق فرعون، فإنَّ الكاهن الذي أخبره بذلك إن كان صادقاً عنده فما ينفع القتل، وإن كان كاذباً فلا معنى للقتل».

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الواو: عاطفة، أو: حالية، فإن جعلتها عاطفة؛ عطفت الكلام على قوله: إن فرعون علا في الأرض، لأنها نظيرة تلك في وقوعها تفسيراً لنبأ موسى وفرعون، وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية، وإن جعلتها حالية؛ فالجملة حال من يستضعف، أي: يستضعفهم فرعون، ونحن نريد أن نمن عليهم. وأنْ، وما في حيزها: مفعول نريد، وعلى الذين: متعلقان بنمن، وجملة استضعفوا: صلة، وفي الأرض: متعلقان باستضعفوا، أو بمحذوف حال؛ أي: حالة كونهم على الأرض، ولعله أولى. ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ ونجعلهم: عطف على نمنّ، والهاء: مفعول به أول، وأئمة: مفعول به ثان، ونجعلهم الوارثين: عطف على نجعلهم أئمة. ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ ونمكن: عطف على نجعل، وفاعله: مستتر، تقديره: نحن، ولهم: متعلقان بنمكن، وفي الأرض: حال، ونري: عطف أيضاً، وفرعون: مفعول به، وهامان: عطف على فرعون، وجنودهما: عطف على فرعون، وهامان، ومنهم: متعلقان بنري، أي: ونري فرعون وهامان وجنودهما من بني إسرائيل ما كانوا يحذرون، أي: يخافونه منهم وقد وقع على يد مولود منهم، وما: مفعول به ثان لنري، وجملة كانوا: صلة، وكان، واسمها، وجملة يحذرون: خبر كانوا.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن

كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ : الخوف: هو غم يلحق الإنسان لأمر مكروه متوقع، والحزن: غم يلحقه لأمر مكروه واقع، وسيأتي تقرير ذلك في باب البلاغة، وما ورد من الاعتراض على هذا العطف.

﴿قُصِّيهِ﴾ : اتبعي أثره، وتتبعي خبره، وبابه نصر. وسيأتي المزيد من شرح هذه المادة.

﴿جُنُبٍ﴾ بضمتين: مكان بعيد، يقال: بصرت به عن جنب، وعن جنابة، بمعنى: عن بعد.

○ **الإعراب:**

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ الواو: عاطفة، وجملة أوحينا: عطف على قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وكلتا الجملتين داخلة في حكم تفسير النبأ، وأوحينا: فعل، وفاعل، وإلى أم موسى: متعلقان بأوحينا، وأن: مفسرة؛ لأن الإيحاء فيه معنى القول دون حروفه، ويجوز أن تكون مصدرية على بابها، وهي مع مدخولها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بأوحينا، وأرضعيه: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به. ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ الفاء: رابطة، وخفت: فعل، وفاعل، وعليه: متعلقان بخفت، فألقيه: الفاء: رابطة، وألقيه: فعل أمر مبني على حذف النون، والياء: فاعل، والهاء: مفعول به، وفي اليم: جار ومجرور

متعلقان بألقيه، وأراد باليم: النيل. ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الواو: عاطفة، ولا: ناهية، وتخافي: فعل مضارع مجزوم بلا، ولا تحزني: عطف على لا تخافي، وجملة إنا رادوه: تعليل للأمر، والنهي، وإن واسمها، ورادوه: خبرها، وإليك: متعلقان برادوه، وجاعلوه: عطف على رادوه، وقد أضيف اسم الفاعل إلى مفعوله الأول، ومن المرسلين: في محل نصب مفعوله الثاني. ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ الفاء: عاطفة على محذوف للإيجاز، تقديره: فأرضعته، وألقته في نهر النيل في تابوت أعدته له، وجرى به النيل إلى قبالة قصر فرعون المطل عليه، فالتقطه آل فرعون، ويعبرون عنها بالفصيحة أيضاً. وهو فعل ماض، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، وليكون: اللام: قيل: للتعليل، وقيل: للعاقبة، وسيأتي تفصيل ذلك، وبحث هذه اللام في باب الفوائد، ويكون على كل حال: فعل مضارع منصوب بأن المضمرة جوازاً بعد اللام، واسم يكون: مستتر، تقديره: هو، وعدواً: خبر يكون، وحزناً: عطف على عدواً.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ كلام لا محل له من الإعراب لأنه تعليل لما سبق من أمور، وقيل: هو كلام معترض بين معطوف عليه، وهو: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ ومعطوف وهو: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وإنَّ، واسمها، وهامان، وجنودهما: عطف على فرعون، وجملة كانوا: خبر إنَّ، وكان، واسمها، وخاطئين: خبرها. ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾ الواو: عاطفة، وقالت: عطف على فالتقطه آل فرعون، وامرأة فرعون: فاعل قالت، وهي: آسية بنت مزاحم، وسيأتي ذكرها في قصة موسى وفرعون، وقرة عين: خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هو قرة عين، ولي، ولك: صفتان للقرة، وقد خبط بعض المعربين خبطاً عجيباً في إعراب هذه الآية، سنلمع إليه في باب الفوائد. ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لا: ناهية، وتقتلوه: فعل مضارع مجزوم بلا،

والواو: فاعل، والهاء: مفعول به، وعسى: فعل ماض من أفعال الرجاء، وهي تعمل عمل كان، واسمها: مستتر، تقديره: هو، وأن ينفعنا: مصدر مؤول في محل نصب خبر عسى، أو نتخذه: عطف على ينفعنا، والهاء: مفعول به أول، وولداً: مفعول به ثان، وهم: الواو حالية، وهم: مبتدأ، وجملة لا يشعرون: خبر، والجملة: حال من آل فرعون، وهي من كلام الله تعالى، ويبعد أن تكون من كلام آسية. ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ الواو: استئنافية، وأصبح: فعل ماض ناقص، وفؤاد أم موسى: اسمها، وفارغاً: خبرها، وسيأتي تفسير هذا الكلام في باب البلاغة. ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إن: مخففة من الثقيلة، وكادت: فعل ماض من أفعال المقاربة، واسمها: مستتر، تقديره: هي، واللام: الفارقة، وجملة تبدي: خبر كادت، وبه: متعلقان بتبدي، وإذا أعملت «إن» كان اسمها: ضمير شأن محذوف، وجملة كادت: خبرها، والأولى إهمالها، ومعنى لتبدي به؛ أي: تظهر القول به، والضمير لموسى، وقيل: الباء: زائدة، والهاء في محل نصب مفعول به، والأول أضبط، ولولا: حرف امتناع لوجود، وأن: مصدرية وهي مع مدخولها: مصدر في محل رفع مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: لولا ربطنا على قلبها حاصل، وعلى قلبها: متعلقان بربطنا، وجواب لولا: محذوف؛ أي: لأبدت به، ولتكون: اللام: للتعليل، وتكون: فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجار والمجرور: متعلقان بربطنا أيضاً، ومن المؤمنين: خبر تكون. ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الواو: عاطفة، وقالت: فعل ماض، وفاعل مستتر، تقديره: هي، أي: أم موسى، ولأخته: متعلقان بقالت، وقصيه: فعل أمر مبني على حذف النون، والياء: فاعل، والهاء: مفعول به، فبصرت: الفاء: عاطفة على محذوف؛ أي: فذهبت ترتاده، وتقص آثاره، وبه: متعلقان ببصرت، وعن جنب: في موضع الحال من فاعل بصرت؛ أي: بصرت به مستخفية كائنة عن جنب، أو: من المجرور، وهو:

به؛ أي: بعيداً، والواو: حالية، وهم: مبتدأ، وجملة لا يشعرون: خبر.

﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ الواو: استئنافية، والجملة: مستأنفة مسوقة للشروع في بيان سبب رده إلى أمه، وحرمنا: فعل، وفاعل، وعليه: متعلقان بحرمنا، والمراضع: مفعول به، ومن قبل: حال ـ والمراضع: جمع مرضع، وهي التي تمارس الإرضاع، ولم تباشره، أو: جمع مرضع، بفتح الميم والضاد، اسم مكان الرضاع، يعني: الثدي ـ فقالت: الفاء: الفصيحة، أي: لما رأت أخته ذلك قالت، وهل: حرف استفهام، وأدلكم: فعل مضارع، وفاعل، مستتر، تقديره: أنا، والكاف: مفعول به، وعلى أهل بيت: متعلقان بأدلكم، وجملة يكفلونه: صفة لأهل بيت، ولكم: متعلقان بيكفلونه، والواو: حالية، وهم: مبتدأ، وله: متعلقان بناصحون، وناصحون: خبر.

﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ الفاء: عاطفة، ورددناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، وإلى أمه: متعلقان برددناه، وكي: حرف تعليل، ونصب، وتقر: فعل مضارع منصوب بكي، ولا تحزن: عطف على تقر، ودمع الفرح بارد، وعين المهموم حرى سخينة. ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الواو: عاطفة، واللام: للتعليل، وتعلم: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وأنَّ، وما بعدها: سدت مسد مفعولي تعلم، وأنَّ، واسمها، وحق: خبرها، والواو: حالية. ولكن أكثرهم: لكن، واسمها، وجملة لا يعلمون: خبرها.

□ البلاغة:

١ ـ معنى الخوف والحزن:

لقائل أن يقول: ما الفرق بين الخوف والحزن حتى عطف أحدهما على الآخر في قوله: ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾؟ ثم أليس من التناقض أن يثبت الخوف

في قوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ ثم ينفيه بقوله ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ والجواب على التناقض المزعوم: أن الخوف الأول المثبت هو غرقه في النيل، والثاني هو خوف الذبح، فاندفع ما يتوهم من تناقض، وأما الاعتراض الأول: فهو مندفع بأن هذا من باب الإطناب، بل هو قسم نادر من أجمل أقسامه، وهو أن يذكر الشيء، فيؤتى فيه بمعان متداخلة. إلا أن كل معنى مختص بخصيصة ليست للآخر، فقد قلنا في باب اللغة: إن الخوف هو غم يصيب الإنسان لأمر يتوقع نزوله في المستقبل، أما الحزن فهو غم يصيبه لأمر وقع فعلاً ومضى فنهيت عنهما جميعاً، ومنه قول أبي تمام، وقد كان بارعاً فيه:

قطعت إليّ الزابيين هباته والتاثَ مأمولُ السَّحاب المسبلِ

من منةٍ مشهورةٍ وصنيعة بكرٍ وإحسان أغرَّ محجلِ

فقوله: منة مشهورة، وصنيعة بكر، وإحسان أغر محجل؛ تداخلت معانيه، إذ المنة والصنيعة والإحسان متقارب بعضه من بعض، وليس ذلك بتكرير، كما يتوهم؛ لأنه لو اقتصر على قوله: منة وصنيعة وإحسان؛ لجاز أن يكون تكريراً، ولكنه وصف كل واحدة من هذه الثلاث بصفة أخرجتها عن حكم التكرير فقال: «منه مشهورة» فوصفها بالاشتهار لعظم شأنها، و«صنيعة بكر» فوصفها بالبكارة، أي: أنها لم يؤت بمثلها من قبل، و«إحسان أغر محجل» فوصفه بالغرة، والتحجيل؛ أي: هو ذو محاسن متعددة، فلما وصف هذه المعاني المتداخلة؛ التي تدل على شيء واحد بأوصاف متباينة؛ صار ذلك إطناباً، ولم يكن تكريراً. وقد اشتملت هذه الآية: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ على أمرين وهما: «أرضعيه، فألقيه» ونهيين

وهما «لا تخافي، ولا تحزني» وخبرين، وهما: إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين» وبشارتين في ضمن الخبرين، وهما: رده إليها وجعله من المرسلين.

٢ ـ الكناية :

وذلك في قوله : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ فإن ذلك كناية عن فقدان العقل، وطيش اللب، والمعنى: أنها حين سمعت برقوعه في يد فرعون طاش صوابها، وطار عقلها؛ لما انتابها من فرط الجزع والدهش، ومثله قوله تعالى :﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ أي : جوف لا عقول فيها ، ومنه بيت حسان :

وهذا البيت من قصيدة مطولة لحسَّان بن ثابت يهجو بها أبا سفيان قبل إسلامه. وبعده :

بأنَّ سيوفنا تَركَتْ عُبَيْداً وعبدَ الدَّار سادتُها الإماءُ
هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعنْدَ الله في ذاك الجزاءُ
أتهجوهُ ولسْتَ له بكفءٍ فشرُّكما لخيرِكما الفِداءُ
أَمَنْ يَهْجُو رسولَ الله مِنْكُم ويمدحُه وينصُرُه سواءُ
فإنَّ أبي ووالدُه وعرضي لعرضِ محمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

وألا : أداة للتنبيه، والاستفتاح، والمأمور بالإبلاغ غير معين، ثم التفت ليثير غيظ أبي سفيان، وكان مقتضى السياق أن يقول: «فإنه» أي: أبا سفيان، لكن مخاطبته، ومشافهته بالذم أمض للنفس، وأقذع في الهجاء. والمجوّف، والنخب، والهواء: خالي الجوف، أو فارغ القلب من العقل والشجاعة، وإسناد الترك للسيوف مجاز عقلي، لأنها آلة للفعل وعبيد بالتصغير: قبيلة، وكذلك عبد الدارِ، سادتها: مبتدأ، والإماء: خبره، والجملة في محل المفعول الثاني لتركت، أي: صيرت عُبَيْداً لا سادة لها إلا النساء، وصيرت عبد الدار كذلك، وأتهجوه: الإستفهام إنكاري توبيخي، والواو بعده للحال، أي: لاينبغي لك ذلك. وشر وخير: اسما تفضيل، واختصا بحذف همزتها تخفيفاً. لكثرة استعمالهما، لكن المراد بهما هنا أصل الوصف، لا الزيادة فيه، والشر أبو سفيان، وجملة فشركما لخيركما الفداء: دعائية، دعا عليه أن يكون فداء لرسول الله، وأبرزه في صورة الإبهام لأجل الإنصاف في الكلام، ولذلك لما سمعه الحاضرون قالوا: هذا أنصف

بيت قالته العرب، وأمن يهجو استفهام إنكاري، أي: ليس من يهجوه منكم؛ ومن يمدحه، وينصره منا مستويين، ويحتمل: أن الهمزة للتنبيه، أو للنداء، والمنادى: محذوف، أي: يا قوم أبي سفيان إن الذي يهجو رسول الله منكم والذي يمدحه وينصره منكم مستويان في عدم الاكتراث بهما، والوقاء: ما يتوقى به المكروه، وزان الحزام، والرباط، فهو إما بمعنى اسم مفعول، أو اسم آلة.

* الفوائـد:

١ ـ قصة موسى وفرعون:

نلخص هنا موسى وفرعون كما رويت لطرافتها، وكما جرينا عليه في هذا الكتاب، فموسى معناه: ماء وشجر؛ لأن مو بالقبطية: هو الماء، وشا: هو الشجر، فعربت، وسمي: موسى؛ لأنهم وجدوه بينهما، وهو: موسى بن عمران، يمت بالنسبة إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ولم يزل بنو إسرائيل من عهد يوسف تحت أيدي الفراعنة حتى كان فرعون الذي بعث موسى إليه، ولم يكن منهم فرعون أعتى منه، ولا أطول عمراً، وكان شديد الغلظة، واسمه: الوليد بن مصعب، وكان قد اتخذ بني إسرائيل خولاً، فصنف منهم يبنون، وصنف يحرثون، ومن لا عمل له وظف عليه الجزية، فرأى في منامه: أن ناراً أقبلت من المقدس فأحرقت القبط، فسأل عن رؤياه، فقيل له: يخرج من هذا البلد ـ أي: الذي جاء بنو إسرائيل منه ـ رجل يكون على يديه هلاك مصر، فأمر بقتل كل مولود، حتى كاد يفنيهم، فقيل له: إنما هم خولك، وإنك إن تفنهم ينقطع النسل، فأمر بقتل الغلمان عاماً، واستحيائهم عاماً، فولد هارون في السنة التي يستحيون فيها، وولد موسى في السنة التي يقتلون فيها، فلما وضعته حزنت، فأوحى الله إليها ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ فعملت تابوتاً جعلته فيه، وألقته في اليم، وهو النيل ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ﴾ فحمله الماء حتى أدخله بين أشجار متكاثفة تحت قصر فرعون فخرجت جواري فرعون يغتسلن، فوجدن التابوت،

فأدخلنه إلى آسية امرأة فرعون، فلما رأته أحبته، وأخبرت به فرعون، فأراد ذبحه، وخشي أن يكون المولود الذي حذر منه، فلم تزل به آسية حتى تركه لها، وذلك قوله: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ وستأتي تتمة القصة.

٢ ـ لام العاقبة أو الصيرورة:

واللام في ﴿ لِيَكُونَ ﴾ للعاقبة، وقد أبرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيهاً له في الترتب عليه بالغرض الحامل له، وتسمى: لام الصيرورة، ولام المآل، وقد أنكر البصريون لام العاقبة. قال الزمخشري: «والتحقيق: أنها لام العلة، وأن التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة. لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدواً وحزناً، ولكن المحبة والتبني، غير أن ذلك لما كانت نتيجة التقاطهم له وثمرته؛ شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله، وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء، والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك: ضربته ليتأدب، وتحريره: أن هذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد».

٣ ـ أعاريب في «قرة عين»:

تفادينا في هذا الكتاب إيراد الأعاريب المرجوحة، بله المتهافتة؛ لأننا آثرنا اختيار أفضل الوجوه وأمثلها، غير أننا لا نرى إغفال بعض الأعاريب المتهافتة التي تبناها بعض المعربين؛ فقد قلنا: إن قرة عين: خبر مبتدأ مضمر، ولي ولك: صفتان، وقد أجاز بعضهم وجهاً لا يجوز إيراده البتة، وهو أن تكون قرة عين: مبتدأ، والخبر: جملة لا تقتلوه؛ لأن فيه الإخبار بالإنشاء عن الخبر، وهذا هين بالنسبة لمخالفة الضمير، لأنه يجب أن يقول: لا تقتلوها، واحتجوا: بأنه لما كان المراد مذكراً ساغ ذلك، وما أغناها عن ذلك التمحّل الذي لا يليق بالقرآن، ونقل ابن الأنباري بسنده إلى ابن عباس: أنه وقف على «لا» أي: هو قرة عين لي فقط، ولك لا، أي: ليس هو قرة عين، ثم يبتدىء

بقوله: تقتلوه وهذا مضحك، لا يمكن أن ينسب إلى ابن عباس ولا إلى ابن الأنباري نفسه، وكيف يبقى تقتلوه من غير نون رفع، ولا مقتضى لحذفها، ولذلك قال الفراء: هو لحن.

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الواو: استئنافية، والكلام مستأنف مسوق لتتمة قصة يوسف بعد بلوغه الأشد، ولما: حينية، أو: رابطة، وقد تقدم ذلك، وبلغ: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، وأشده: مفعول به، وقد مضى تفسير الأشد، والأقوال فيه أكثر من مرة، واستوى: عطف على بلغ، والمراد: أنه انتهى شبابه، وتكامل عقله، وجملة آتيناه: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وآتيناه: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به أول، وحكماً: مفعول به ثان، وعلماً: عطف على حكماً، وكذلك: نعت لمصدر محذوف، ونجزي المحسنين: فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به. ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ ودخل المدينة: عطف على محذوف، أي: وغاب عن فرعون مدة طويلة؛ لأنه أقام في مصر ثلاثين سنة، ثم ذهب إلى مدين، وأقام فيها عشر سنين، ودخل المدينة: فعل، وفاعل، ومفعول على السعة، قيل: المراد بالمدينة: منف بضم فسكون، وهي: ممنوعة من الصرف للعلمية والعجمة،

وقيل غير ذلك، وعلى حين غفلة: حال من المدينة، أو: من فاعل دخل، أي: مختلساً، ومن أهلها: صفة لغفلة، قيل: كان الوقت بين العشاءين، وقيل: وقت القائلة، وقيل: يوم عيد، ومعنى «على» هنا: الظرفية، أي: على حين. ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ فوجد: عطف على دخل، وفيها: متعلقان بوجد، ورجلين: مفعول به، وجملة يقتتلان: صفة لرجلين، وهذا: مبتدأ، ومن شيعته: خبر، والجملة: صفة ثانية لرجلين، وقيل: حال، والحال من النكرة أجازه سيبويه من غير شرط، وهذا من عدوه: عطف عليها. والعرب تشير بهذا إلى الغائب، لأنها حكاية حال ماضية، فعبر عن غائبٍ ماضٍ باسم الإشارة.

﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ الفاء: عاطفة، واستغاثه: فعل ماض، ومفعول به، والذي: فاعل، ومن شيعته: متعلقان بمحذوف صلة، واستغاث: يتعدى بنفسه تارة كما هنا، وتارة بالباء. ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ فوكزه: عطف أيضاً، أي: دفعه بجمع كفه، وقال الكسائي: لكمه، وموسى: فاعل، فقضى عليه: عطف على فوكزه، قال: فعل ماض، والجملة: مستأنفة، وهذا: مبتدأ، ومن عمل الشيطان: خبر، والجملة: مقول القول، وجملة إنه عدو: تعليل، ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ، ولكونه غير مقصود، وإنما عدّه من عمل الشيطان، وسماه: ظلماً، واستغفر منه هضماً لنفسه، واستعظام الهنات اليسيرة التي تبدر منهم، وإن، واسمها، وعدو: خبرها، ومضل: صفة، ومبين: صفة ثانية. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ رب: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وإنَّ، واسمها، وجملة ظلمت نفسي: خبر إنَّ، فاغفر لي: الفاء: عاطفة، واغفر: فعل دعاء، ولي: متعلقان باغفر، فغفر له: عطف، وإنَّ، واسمها، وهو: ضمير فصل، والغفور: خبر، والرحيم: خبر ثان، ويجوز أن تعرب هو: مبتدأ، والغفور الرحيم: خبران لهو، والجملة: خبر إنَّ. ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ بما: الباء: حرف قسم وجر، وجواب القسم: محذوف، تقديره: أقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة لأتوبن، وما: مصدرية، والمصدر: في محل جر بباء القسم، والفاء: عاطفة على الجواب المحذوف، ولن: حرف نفي، ونصب، واستقبال، وأكون: فعل مضارع ناقص، واسمها: مستتر، تقديره: أنا، وظهيراً: خبرها، وللمجرمين: متعلقان بظهيراً، ويجوز أن يكون الكلام استعطافاً، كأنه قال: رب اعصمني بحق ما أنعمت علي من الكفرة، فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين، فتتعلق الباء ومدخولها باعصمني المقدر، ولا تحتاج إلى جواب، وتكون الفاء في: فلن أكون، هي الفصيحة؛ لأنها جواب شرط مقدر كما ذكرنا، هذا وهناك أقوال أخرى كلها سديدة، موعدنا بها باب الفوائد.

* الفوائد:

١ ـ تتمة قصة موسى:

واتخذه فرعون ولداً، وارتادوا له المرضعات، فلم يقبل ثدي واحدة منهن، ولما غاب أمره عن أمه، كاد قلبها يطير وجداً عليه، فبعثت أخته؛ كأنها تلتمس رضاعه، فلما رأت أسفهم عليه حيث لم يقبل على مرضعة؛ قالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ فأجابوا ملتمسها، فذهبت، فجاءت بأمه ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ فأعطته ثديها، فأخذ يرضعه، فربته في قصر فرعون، ثم عرضته آسية على فرعون، فلما أخذه مدَّ موسى يده إلى لحيته، فنتفَها، فقال فرعون: عليّ بالذباحين، فإنما هو هذا، فقالت آسية: هو﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ﴾ فإنه صبي لا يعقل، ودعت له بجمر وياقوت، فطرح جبريل يده في النار، فوضعها موسى في فمه، فأحرقته، فتركه فرعون، فكبر في حجره، فلما ترعرع تبناه، فكان يركب مراكبه، ويلبس ملابسه، ويدعى: ابن فرعون، ثم إن موسى أخبر: أن فرعون قد ركب، فركب أثره فأدركه ببلدة منف، فدخلها وقد أخليت لفرعون، وليس في طرقها أحد، فرأى إسرائيلياً

مع قبطي يقتتلان، فاستغاثه الإسرائيلي، فوكز القبطي، فقضى عليه، فكان من قصتهما ما قص الله تعالى في سورة القصص حتى خرج خائفاً يترقب إلى مدين، وستأتي البقية قريباً.

٢ ـ اختلاف المعربين في ﴿ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾:

أوردنا الوجهين الراجحين في إعراب هذه الآية وهي ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ وقد اختارهما الزمخشري أيضاً، قال: «وأراد بمظاهرة المجرمين؛ إما صحبة فرعون، وانتظامه في جملته، وتكثيره سواده، حيث كان يركب بركوبه، كالولد مع الوالد، وكان يسمى: ابن فرعون، وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم؛ كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له» وكذلك اختارهما أبو البقاء في كتابه «إعراب القرآن»، وقيل: ليس هذا خبراً، بل هو دعاء، أي: فلا أكون بعد هذا ظهيراً، أي: فلا تجعلني يا رب ظهيراً للمجرمين.

﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ الفاء: عاطفة، وأصبح: فعل ماض ناقص، أو تام، وعلى الأول اسمها: مستتر، تقديره: هو، وفي المدينة: حال، وخائفاً: خبر أصبح، أو: في المدينة: خبر أصبح، وخائفاً: حال،

وعلى الثاني يكون فاعل أصبح: مستتراً تقديره: هو، وفي المدينة: متعلقان به، وخائفاً: حال، وجملة يترقب على الوجهين: حال ثانية، أو: خبر ثان، أو: حال من الضمير في خائفاً، فتكون حالاً متداخلة، ومفعول يترقب: محذوف، أي: يترقب المكروه، ويبعد أن يترقب الفرج؛ لأن السياق يستبعده. ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ﴾ الفاء: عاطفة، وإذا: فجائية، وقد تقدم القول في ظرفيتها، أو حرفيتها، والذي: مبتدأ، وجملة استنصره: صلة، وبالأمس: متعلقان باستنصره، وجملة يستصرخه: خبر الذي، ومتعلق يستصرخه: محذوف، أي: على قبطي آخر. ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾. قال: فعل ماض، وله: متعلقان به، وموسى: فاعل، وإنَّك: إنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وغوي مبين: خبران لإن. ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ﴾ الفاء: عاطفة، ولما: حينية، أو: رابطة، وأن: زائدة، وتطرد زيادتها بعد لما، وقبل لو، مسبوقة بقسم، كقول الشاعر:

فأقْسِمُ أَنْ لَوِ الْتَقَيْنا وأَنْتُمُ لكانَ لكمْ يومٌ مِنَ الشَّرِّ مُظْلِمُ

وإنما زاد «أن» للإشعار بأن موسى لم تكن مسارعته إلى قتل الثاني، كما كانت مسارعته إلى قتل الأول، بل كان عنده إبطاء في بسط يده إليه، فعبر القرآن عن ذلك الإبطاء بزيادة أنْ، وقد تقدم في سورة يوسف ما يماثل هذا في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ فجدد به عهداً.

وأراد: فعل ماض، وأن وما بعده: في تأويل مصدر مفعول أراد، وبالذي: متعلقان بيبطش، وهو: مبتدأ، وعدو: خبر، ولهما: صفة، والجملة: صلة الذي. ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ﴾ قال: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، يعود على الإسرائيلي المستغيث، قال ذلك؛ وقد ظن: أنَّ موسى يريد أن يبطش به، وقيل: يعود على القبطي وليس ببعيد، ورجحه زاده في حاشيته على البيضاوي، وكأنه توهم من زجر موسى الإسرائيلي: أنه هو الذي قتل الرجل بالأمس، أتريد: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، وتريد: فعل مضارع مرفوع، وأنْ وما في

حيزها: مفعول تريد، وكما قتلت: نعت لمصدر محذوف، وقد تقدمت له نظائر، ونفساً: مفعول به، وبالأمس متعلقان بقتلت. ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ إن: نافية، وتريد: فعل مضارع مرفوع، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وإلا: أداة حصر وأنْ وما بعدها: في تأويل مصدر مفعول تريد، وجباراً: خبر تكون، وفي الأرض: صفة لجباراً، وما تريد أن تكون من المصلحين: عطف على الجملة المماثلة السابقة.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ الواو: عاطفة على محذوف، يقدر من سياق الكلام، أي: فذهب القبطي الذي سمع ما قاله الإسرائيلي ـ وقد علم أنَّ موسى هو قاتل القبطي الأول ـ إلى فرعون، وأخبره بجلية الأمر، فغضب فرعون، وأمر بقتل موسى، وإلقاء القبض عليه. وجاء رجل: فعل وفاعل، وهو مؤمن من آل فرعون، وردت الإشارة إليه في مكان آخر من القرآن، قيل: هو ابن عم فرعون، ومن أقصى المدينة: صفة لرجل، وجملة يسعى: صفة ثانية، أو: حال؛ لأن قوله: «رجل» تخصص بالوصف، كما هي القاعدة المشهورة، ويجوز تعليق من أقصى المدينة بجاء، فتكون جملة يسعى: صفة فقـــط. ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ إن الملأ: إنَّ، واسمها، وجملة يأتمرون: خبر، وبك: متعلقان بيأتمرون، أي: يتشاورون، والائتمار: التشاور، يقال: الرجلان يتآمران، ويأتمران بمعنى واحد؛ لأنَّ كل واحدٍ فيهما يأمر صاحبه بشيء، أو يشير عليه بأمر، وقيل: معناه: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك، ولعل هذا أوضح، وقد أورد صاحب «التاج» المعنيين قال: «ائتمروا، وتآمروا: تشاوروا، وائتمروا بفلان: هموا به، وأمر بعضهم بعضاً بقتله»، وبك: متعلقان بيأتمرون، وليقتلوك: اللام: تعليلية، والمضارع منصوب بأن مضمرة بعدها، فاخرج: الفاء: الفصيحة، أي: إن سمعت نصيحتي فاخرج، وإني: تعليل لأمره بالخروج، وإنَّ، واسمها، ولك: متعلقان بمحذوف حال، وعليه اقتصر الزمخشري، ومنع تعليقه بالناصحين، وأجاز غيره أن يتعلق بالناصحين للاتساع في الظروف، أو بما يدل عليه لفظ الناصحين، أي: ناصح لك من

جملة الناصحين. ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف، أي: فعمل موسى بنصيحته، فخرج، ومنها: متعلقان بخرج، وخائفاً، حال، وجملة يترقب: حال ثانية، ومفعول يترقب: محذوف، أي: الشر، أو: لحوقهم به، وقيل: يترقب غوث الله، والأول أنسب بالسياق، ورب: منادى، ونجني: فعل دعاء، والياء: مفعول به، ومن القوم: متعلقان بنجني، والظالمين: صفة.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿تِلْقَآءَ﴾: تقدم ذكر المصادر التي وردت على هذا الوزن والمعنى هنا الجهة.

﴿مَدْيَنَ﴾: بلدة في مصر تقع على بحر القلزم محاذية لتبوك، فيها البئر التي استقى منها موسى، ومدين: اسم قبيلة ذكرها ياقوت، قال الجلال: «وهي قرية شعيب مسيرة ثمانية أيام من مصر سميت بمدين بن إبراهيم. ولم يكن يعرف طريقها».

﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: وسطه، ومعظم نهجه، من إضافة الصفة للموصوف، أي: الطريق الوسط.

﴿ تَذُودَانِۖ ﴾: تدفعان أغنامهما عن الماء. ومنه قول الشاعر:

أبيتُ على بابِ القوافي كأنَّما

أذودُ بها سِرْباً من الوَحْشِ نُزَّعا

﴿ مَا خَطْبُكُمَاۖ ﴾: ما شأنكما، قال الزمخشري: «وحقيقته: ما مخطوبكما، أي: مطلوبكما من الذياد، فسمى المخطوب: خطباً، كما سمي المشؤون شأناً في قولك: ما شأنك؟ يقال: شأنت شأنه، أي: قصدت قصده» وفي «القاموس» وشرحه «الخطب: مصدر الشأن، يقال: ما خطبك؟ أي: ما شأنك؟ وما الذي حملك عليه؟ والخطب: الأمر صغر، أو عظم، وغلب استعماله للأمر العظيم المكروه» ولهذه المادة معان كثيرة يرجع إليها في المعاجم المطولة، ولكثرتها نظم بعضهم هذه المعاني بقوله:

ومرَّة الوعظ تسمى خُطبة ثم التماسٌ للنكاح الخِطبة

وما به يُخطب فهو الخُطبه

وحُمْرةٌ أيْ في سَوادِ الشَّعرِ

فحمرةٌ في كُدْرَةٍ تدعى خَطَبْ

وخِطبة النِّكاحِ جمْعُها خِطَبْ

وجمع خُطبةٍ بمنبرٍ خُطَبْ

والخَطْبُ سهلٌ أي سبيلُ الأمرِ

فالأمر مع صرف الزمان خَطْبُ

والخِطبة الخاطبُ كلٌّ خِطْبُ

جمع لأخْطَب وخطباً خُطْبُ

في كل ذي اختلافٍ لونٍ يجري

وفي الوعظِ قلْ وفي النِّكاح خَطَبا

نَعَمْ وفي كُدرةِ لونٍ خَطِبا

وإن ترد صار خطيباً خَطُبا

أتى بسجعٍ في الكلامِ النَّثْرِ

﴿ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾ : الصدر عن الشيء : الرجوع عنه ، يقال في فعله : صدر ، من باب : نصر ، وضرب ، والصَدَر بفتحتين : اسم مصدر منه ، ويتعدى بنفسه ، فيقال : صدره غيره ، أي : رجعه ، أي : رده ، ويستعمل رباعياً ، فيقال : أصدره غيره . والرِّعاء : جمع راع على غير القياس ؛ لأن فاعلاً الوصف المعتل اللام ، كقاض قياسه : فعلة ، كقضاة ، ورماة خلافاً للزمخشري في قوله : إنه جمع راع على فعال قياس ، كصيام ، وقيام ، أما جمع فعال فيطرد في ستة أنواع نوردها فيما يلي :

١ ـ اسم أو صفة ليست عينهما ياء على وزن فَعْل ، أو فَعْلَة ، فالاسم : ككعب ، وكعاب ، وثوب ، وثياب ، ونار ، ونيار ، وقصعة ، وقصاع ، وجنة وجنان ، والصفة : كصعب ، وصعبة ، وصعاب ، وضخم ، وضخمة ، وضِخام ، وندر مجيئه من معتل العين ؛ كضيعة ، وضياع ، وضيف ، وضِياف .

٢ ـ اسم صحيح اللام غير مضاعف على وزن فَعَل ، أو فَعَلة ، كجمل ، وجمال ، وجبل ، وجبال ، ورقبة ورقاب ، وثمرة وثمار .

٣ ـ اسم على وزن فِعْل ، كذئب ، وذئاب ، وظل وظلال ، وبئر وبئار .

٤ ـ اسم على وزن فُعْل ، ليست عينه واواً ، ولا لامه ياء كرمح ، ورماح ، وريح ، ورياح ، ودهن ، ودهان ، وأما الدِّهان في قوله تعالى : ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ فسيأتي : أنه اسم مفرد ، ومعناه : الجلد الأحمر .

٥ ـ صفة صحيحة اللام على وزن فعيل ، أو فعيلة ، ككريم ، وكريمة ، وكرام ، ومريض ومريضة ، ومراض ، وطويل ، وطويلة ، وطوال .

٦ ـ صفة على وزن فَعْلان ، أو فعْلى ، أو فَعْلانة ، أو فُعْلانة ، كعطشان ، وعطشى ، وعطاش ، وريان ، وريا ، ورِواء ، ونَدْمان ، ونَدْمى ونِدام ، وخُمصان ، وخُمصانة ، وخِماص .

وما جمع على فعال من غير ما ذكر فهو على غير القياس ، وذلك : كراع ، وراعية ، ورعاء ، وقائم ، وقائمة ، وقيام ، وصائم ، وصائمة ، وصيام ،

وأعجف، وعجفاء، وعجاف، وخيِّر، وخِيار، وجيّد، وجِياد، وجواد، وجياد، وأبطح، وبِطاح، وقلوص، وقلاص، وأنثى، وإناث، ونُطفة، ونِطاف، وفصيل، وفِصال، وسبع، وسباع، وضبع، وضباع، ونُفَساء، ونفاس، وعشراء، وعِشار.

هذا ولا ندري كيف ندَّ هذا عن الزمخشري، فقال في كشافه: «وأما الرِّعاء بالكسر فقياس، كصيام، وقيام».

﴿ٱسْتِحْيَآءٍ﴾: الاستحياء، والحياء: الحشمة، والانقباض، والانزواء. قال في «المصباح»: «يقال: استحيت بياء واحدة، وبياءين، ويتعدى بنفسه، وبالحرف، فيقال: استحيته، واستحيت منه».

﴿ٱلْقَصَصَ﴾ بفتحتين: مصدر بمعنى: المقصوص، وقد سمي به فيما بعد المقصوص، يقال: قص عليه الخبر: حدثه به، ومصدره: قَصَص بفتحتين، أما القصص بكسر القاف: فهو جمع قصة.

○ الإعراب:

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ الواو: استئنافية، ولما: حينية، أو: رابطة، وتوجه: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، وتلقاء مدين: ظرف مكان متعلق بتوجه، وتلقاء يستعمل مصدراً واسماً للقاء، ومكاناً له، وقد ذكرنا فيما مضى: أنَّ لدينا عشرة مصادر أتت مخالفة فجاءت بكسر أولها، وجعله شارح «القاموس» اسماً للمصدر، فقال تعليقاً على «القاموس»: «قوله: والاسم: التلقاء، أي: اسم المصدر، ولكن يعكر عليه قوله ولا نظير له غير التبيان؛ إذ لم يقل أحدٌ: بأن التبيان اسم مصدر، بل هو مصدر نادر» وعبارة «المحكم»: «التلقاء: اسم مصدر، لا مصدر، وإلا لفتحت التاء، وقيل: مصدر لا نظير له غير التبيان» ومدين: مضاف إليه، ومنعت من الصرف للعلمية والتأنيث، وجملة قال: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وعسى: فعل ماض جامد من

أفعال الرجاء، وربي: اسمها، وإنْ وما في حيزها: خبرها، وسواء السبيل: مفعول ثان، أو: منصوب بنزع الخافض. ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ وجد: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، وعليه متعلقان بوجد، لأن وجد بمعنى لقي، وأمةً: مفعول به، أي: جماعة كثيفة، ومن الناس: صفة لأمة، وجملة يسقون: صفة ثانية، أو: حال، ومفعول يسقون: محذوف للعلم به، أي: مواشيهم. ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ ووجد: عطف على وجد الأولى، ومن دونهم: متعلقان بوجد أيضاً، أي: في مكان أسفل منهم، وامرأتين: مفعول به أول، وجملة تذودان: صفة لامرأتين. ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ما: اسم استفهام مبتدأ، وخطبكما: خبر، والجملة: مقول القول، قالتا: فعل ماض، والتاء تاء التأنيث الساكنة، وحركت بالفتح لمناسبة ألف التثنية، والألف: فاعل، وجملة لا نسقي: مقول قولهما، وحتى: حرف غاية وجر، ويصدر: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والرعاء: فاعل، والواو: حالية، وأبونا: مبتدأ، وشيخ: خبر، وكبير: صفة، وسيأتي في باب البلاغة سر الجملة الحالية. ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف مقدر يفهم من سياق الكلام، وسقى: فعل ماض، ولهما: متعلقان به، والمفعول به محذوف؛ أي: غنمهما لأجلهما، ثم: حرف عطف، وتولى: فعل ماض، وإلى الظل: متعلقان بتولى؛ أي: إلى ظل شجرة كانت هناك. ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ رب: منادى، وإن، واسمها، ولما: اللام حرف جر، وما: نكرة بمعنى شيء، أو اسم موصول، أي: لأي شيء، أو: للذي أنزلت، والجار والمجرور: متعلقان بفقير، وأنزلت: فعل وفاعل، والجملة: إما صفة لما إن كانت نكرة، أو صلة، وإليَّ: متعلقان بأنزلت، ومن خير: حال، وفقير: خبر إنَّ، وعدي فقير بحرف الجر لأنه ضمن معنى سائل، أو طالب، وإلا فهو يتعدى بإلى.

﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف يفهم من سياق الكلام، أي: فرجعتا إلى أبيهما في زمن أقل مما كانتا تستنزفانه في السقي، فسألهما عن سبب ذلك، فأخبرتاه بقصة من سقى لهما، فقال لإحداهما ادعيه لي، فجاءته، وإحداهما: فاعل، وجملة تمشي: حال من الفاعل، وعلى استحياء: حال من الفاعل المضمر في تمشي، أي: مستحيية خفرة، وقيل: واضعة كم درعها على وجهها حياءً منه. ﴿قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ إن، واسمها، وجملة يدعوك: خبر وليجزيك: اللام للتعليل، ويجزيك: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور: متعلقان بيدعوك، والكاف مفعول به أول، وأجر: مفعول به ثان، وما: مصدرية، وهي وما بعدها في تأويل مصدر مضاف لأجر، أي: أجر سقايتك، ولنا: متعلقان بسقيت. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف، والتقدير: فأجابها لا ليأخذ الأجر، ولكن لأجل التبرك بأبيها، لما سمع منهما: أنه شيخ كبير، فمشت أمامه، فجعلت الريح تضرب ثوبها، فتكشف ساقيها، أو ألزقت الريح ثوبها بجسدها، فوصفته، فقال لها: امشي خلفي، ودليني على الطريق، ففعلت، إلى أن دخل عليه، فلما جاءه وقص عليه؛ قص: فعل ماض، وعليه: متعلقان بقص، والقصص: مفعول به، وجملة قال: لا محل لها، ولا: ناهية، وتخف: فعل مضارع مجزوم بلا، ونجوت: فعل، وفاعل، ومن القوم: متعلقان بنجوت، والظالمين: صفة، وإنما هدأ روعه، وطمأنه، لأنَّ مدين لم تكن في سلطان فرعون.

□ **البلاغة:**

١ ـ الإيجاز:

كثر الإيجاز في هذه الآيات، فقد حذف المفعول به في أربعة أماكن. أحدها: مفعول يسقون، أي: مواشيهم، والثاني: مفعول تذودان، أي: مواشيهما، والثالث: لا نسقي، أي: مواشينا، والرابع: فسقى لهما؛ أي:

مواشيهما، وعلة الحذف: أن الغرض هو أن يعلم: أنه كان من الناس سقي، ومن البنتين ذود، وأنهما قالتا: لا نسقي، أي: لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء، وأنه كان من موسى سقي، فأما كون المسقي غنماً، أو إبلاً، أو غير ذلك، فذلك أمر خارج عن نطاق الغرض.

٢ ـ الكناية:

في قوله ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ فقد أرادتا أن تقولا له: إننا امرأتان ضعيفتان مستورتان، لا نقدر على مزاحمة الرجال، وما لنا رجل يقوم بذلك، وأبونا شيخ طاعن في السن، قد أضعفه الكبر، وأعياه، فلا مندوحة لنا عن ترك السقيا، وإرجائها إلى أن يقضي الناس أوطارهم من الماء. وبذلك طابق جوابهما سؤاله؛ لأنه سألهما عن علة الذود، فقالتا ما قالتاه، وإنما ساغ لنبي الله شعيب أن يرضى لابنتيه بامتهان سقيا الماشية على ما فيها من تبذل واطراح حشمة؛ لأن الضرورات تبيح المحظورات، مع أن الأمر في حد ذاته ليس بمحظور، فالدين لا يأباه، والعادات متباينة، ومذهب أهل البدو غير مذهب أهل الحضر، خصوصاً إذا كانت الحالة حالة ضرورة.

٣ ـ الإشارة:

وذلك في قوله ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ فقد أشار بلمح خاطف يشبه لمح الطرف، وبلغة هي لغة النظر إلى وصف جمالها الرائع الفتان باستحياء؛ لأن الخفر من صفات الحسان، ولأن التهادي في المشي من أبرز سماتهن، قال الأعشى:

كأنَّ مشيتها من بيتِ جارتها
مرَّ السحابة لا ريثٌ ولا عجلُ

وأبدع ابن الرومي ما شاء له الإبداع إذ قال:

جرتْ تدافعُ مِنْ وشيٍ لها حسنٍ
تدافعَ الماءَ في وشي مِنَ الحُبَبِ

وإن رمق سماء امرىء القيس بقوله:

سمـوتُ إليهـا بَعْـدَ مـا نـامَ أهلُهـا
سُمُـوَّ حبـابِ المـاءِ حـالاً على حـالِ

وعمر بن أبي ربيعة في رائيته البديعة:

فلمَّا فَقَدْتُ الصَّوتَ مِنْهُم وأُطْفِئَتْ
مَصـابيـحُ شُبَّـتْ بـالعَشـيِّ وأَنْـوَرُ
وغـابَ قُمَيْـرٌ كَنْـتُ أَرْجُـو غيـابَـهُ
وروَّحَ رُعْيَـانٌ وهَـوَّمَ سُمَّـرُ
وخُفِّضَ عنِّي الصَّوتُ أَقْبَلتُ مِشْيَةَ الـ
حبـابِ ورُكنـي خِيْفَـةُ القـومِ أزورُ

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

○ الإعراب:

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ قالت إحداهما: فعل، وفاعل، وهي الكبرى؛ التي تزوجها موسى فيما بعد، ويا أبت: تقدم إعرابه كثيراً، واستأجره: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ الجملة لا محل لها؛ لأنها تعليل للأمر قبلها، وسيأتي معنى هذا الكلام الجامع المانع في باب البلاغة، وإنَّ، واسمها، ومضاف إليه، وجملة استأجرت: لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول، والقوي: خبر أول، والأمين: خبر ثان. ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة

أريد: خبرها، والجملة: مقول القول، وأن أنكحك: في تأويل مصدر مفعول أريد، وفاعل أنكحك: ضمير مستتر، تقديره: أنا، والكاف: مفعول به أول، وإحدى ابنتي: مفعول به ثان، وابنتي: مضاف لإحدى، وهاتين: صفة لابنتي، والإشارة: لتمييزها من بين بقية أخواتهما، فقد كان له كما يروى سبع بنات. ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ على: حرف جر، دخل على أنْ وما يليها، والجار والمجرور: متعلقان بمحذوف في موضع الحال؛ إما من الفاعل، أو من المفعول، أي: مشروطاً عليّ، أو عليك ذلك، وتأجرني: فعل مضارع، من: أجرته: إذا كنت له أجيراً، كقولك: أبوته، أي: كنت له أباً، ومفعول تأجرني الثاني: محذوف، أي: نفسك، وثماني حجج: ظرف لتأجرني، وحجج: أعوام، وتكلف الزمخشري وجهاً ما أدري كيف استقام له، وهو أن يكون ثماني مفعولاً ثانياً لتأجرني، وقد احتاج إلى تقدير مضاف، أي: رعي ثماني حجج، ولا داعي لهذا التكلف، هذا فضلاً عن أن المعنى لا يستقيم معه؛ لأن العمل هو الذي تقع به الإثابة، لا الزمان، فكيف يوجه الإجارة على الزمان؟

﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ الفاء: عاطفة، وإن: شرطية، وأتممت: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وعشراً: مفعول به، والفاء: رابطة للجواب؛ لأنه جملة اسمية، ومن عندك: جار ومجرور، متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، أي: فالتمام من عندك، وليس في الأمر إلزام وتحتيم. ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وأريد: فعل مضارع، وفاعل مستتر، تقديره: أنا، وأن وما في حيزها: مفعول أريد، وعليك: متعلقان بأشق، ستجدني: فعل مضارع مرفوع، والفاعل مستتر، تقديره: أنت، والنون: للوقاية، والياء: مفعول به، وجملة إن شاء الله: اعتراضية لا محل لها، وجواب إن: محذوف، ومن الصالحين: متعلقان بتجدني، ومعنى أشق عليك: أجعل الأمر صعباً، قال الزمخشري: «فإن قلت: ما حقيقة شققت عليه، وشق عليه

الأمر؟ قلت: حقيقته: أن الأمر إذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة: أطيقه، وتارة: لا أطيقه» وسيأتي مزيد من ذلك في باب البلاغة.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ ذلك: مبتدأ، وبيني وبينك: خبره؛ أي: ذلك الذي عاهدتني، وشارطتني عليه قائم، وثابت بيننا، لا نحيد عنه كلانا، وأيما الأجلين: أي: اسم شرط جازم في محل نصب مفعول مقدم لقضيت، وما: زائدة للإبهام، وسيأتي بحث مستفيض عن أي في باب الفوائد، وقيل: إن «ما» نكرة بمعنى شيء، والأجلين: بدل منها، وقضيت: فعل، وفاعل، والفاء: رابطة للجواب، ولا: نافية للجنس، وعدوان: اسمها المبني على الفتح، وعليَّ: خبر لا، والله: مبتدأ، وعلى ما نقول: متعلقان بوكيل، ووكيل: خبر الله.

□ البلاغة:

١ ـ الكلام الجامع المانع:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ في هذه الآية فنون عديدة، ولذلك أطلق عليها علماء البلاغة: أنها من الكلام الجامع المانع الحكيم؛ الذي لا يزاد عليه؛ لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان في القائم بأمرك، والمتعهد لشؤونك، وهما: الكفاية والأمانة؛ فقد فرغ بالك، وتم أمرك، وسهل مرادك، ولأنه ذهب مذهب المثل المضروب، ليذهب في مرّ العصور وقادمات الدهور، وفيه التعميم؛ الذي هو أجمل وأليق في مدح النساء للرجال من المدح الخاص، وأبقى للتحشم والتصوُّن، وخصوصاً بعد أن فهمت غرض أبيها، وهو تزويجها منه، وقد كان عمر بن الخطاب يعجب بهذا التعبير، ويرمق سماءه في دعائه فيقول: «أشكو إلى الله ضعف الأمين وخيانة القوي».

وهذا الإيهام من ابنة شعيب قد سلكته زليخا مع يوسف، ولكن شتان ما بين الحياء المجبول، والحياء المستعمل، وليس التكحل في العينين كالكحل، حيث قالت: ﴿أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهي

تعني: ما جزاء يوسف مما أرادني من السوء إلا أن تسجنه، أو تعذبه عذاباً أليماً، ولكنها أوهمت زوجها الحياء والخفر، وأن تنطق بالعصمة منسوباً إليها الخنا، إيذاناً منها بأن هذا الحياء منها هو الذي يمنعها أن تنطق بهذا الأمر من مراودة يوسف بطريق الأحرى والأولى، ففي هذه الآية كما رأيت: الإيجاز، والمثل، والتعميم، والإيهام، وفيها أيضاً: التقديم، فقد قدم ما هو أولى بالتقديم وجعل اسماً لـ «إن» وهو: خبر، وورد بلفظ الفعل الماضي للدلالة على أن الأمر ليس بدعاً، وأنه معروف مبتوت فيه، قد جرب وتعورف. ومن التقديم البديع: قول أبي الشغب العبسي، يتحزّن على خالد بن عبد الله القسري؛ حين أسره يوسف بن عمرو:

ألا إنَّ خيـرَ النَّـاسِ حيّـاً وهـالكـاً
أسيـرُ ثقيـفٍ عنـدهـم في السَّـلاسـلِ
لَعَمْري لَئِنْ عَمَّرْتُمُ السجنَ خالداً
وأوطـأتمـوهُ وطـأةَ المتثـاقِـلِ
لَقَـدْ كـان نهّـاضـاً بكـلِّ مُلِمَّـةٍ
ومُعطـي اللَّهـى غمـراً كثيـرَ النـوافـلِ

وخير الناس: اسم تفضيل مضاف إلى المعرف بأل، وهو: اسم إن، وحياً، وهالكاً: حالان منه، وأسير ثقيف: خبر إن، وثقيف: علم القبيلة، والعلم أعرف من المحلى بأل، فخبر إن المضاف إليه أعرف من اسمها المضاف المحلّى بأل، وقد قدم الاسم للاهتمام به، وعندهم في السلاسل: حال، أو: خبر بعد خبر، ولعمري: قسم، إن عمرتم: أي أدخلتم، وأسكنتم خالداً السجن، وأوطأتموه؛ أي: صيرتموه يطأ الأرض برجله، كوطأة المتثاقل، أي: الحامل لشيء ثقيل؛ لجعل القيد في رجليه، فهو كناية عن ذلك، لقد كان نهاضاً: جواب القسم، وجواب الشرط: محذوف، أي: كان سريع القيام بكل نازلة ثقيلة، وكان معطي اللهى: بالفتح، جمع: لهاة، كحصى، وحصاة، أي: اللحمة في أقصى الفم، ولكنها هنا بمعنى: الفم نفسه، ويجوز

أن يكون اللهى بضم اللام، جمع: لهوة، كغرف، وغرفة، بمعنى: العطية من أي نوع كانت.

٢ ـ الإيجاز:

وفي قوله ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ إيجاز بليغ، فقد ذكرنا معنى: شق عليه الأمر، وأنه مترجح بين اليأس والرجاء، وفيه إيماء إلى أولئك المعاسرين الذين يكلفون عمالهم أعمالاً تربو على طوقهم، وتتجاوز حدود قدرتهم المعهودة، وعلى هذا درجت الشرائع في حسن المعاملة، والأخذ بالأسهل والأيسر، ومنه الحديث: «كان رسول الله ﷺ شريكي، فكان لا يداري، ولا يشاري، ولا يماري».

* الفوائد:

«أيُّ» المشددة:

تأتي «أيُّ» المشددة على خمسة أوجه:

١ ـ أن تكون شرطاً نحو ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ وقد تزاد «ما» بعدها للتوكيد.

٢ ـ أن تكون إستفهامية: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾.

٣ ـ موصولة: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾.

٤ ـ أن تكون دالة على معنى الكمال، فتقع صفة للنكرة، نحو: زيد رجلٌ أيُّ رجل، أي: كامل في صفات الرجال، وحالاً من المعرفة: كمررت بعبد الله أيّ رجل، قال أبو العتاهية وقد وردت صفة:

إنَّ الشبابَ والفراغَ والجِدَهْ   مفْسدةٌ للمرء أيُّ مفْسدهْ

٥ ـ أن تكون وصلة إلى نداء ما فيه أل، نحو: يا أيُّها الرجل.

هذا وقد أورد صاحب «المغني» بيتاً لأبي الطيب فيه «أي» وهو:

أيُّ يومٍ سَرَرْتَنِي بِوِصَالٍ   لَمْ تَرُعْني ثلاثةً بِصُدودِ

وقال: «ليست فيه أيُّ موصولة؛ لأن الموصولة لا تضاف إلا إلى المعرفة، قال أبو علي في «التذكرة» في قوله:

أرأيـت أيّ سـوالـفٍ وخـدودِ		بـرزتْ لنـا بين اللِّـوى فـزرودِ

«لا تكون أيُّ فيه موصولة لإضافتها إلى نكرة» وتابع صاحب «المغني» كلامه فقال: ولا شرطية؛ لأن المعنى حينئذ إن سررتني يوماً بوصالك آمنتني ثلاثة أيام من صدودك، وهذا عكس المعنى المراد، وإنما هي للاستفهام الذي يراد به النفي، كقولك لمن ادَّعى أنه أكرمك: أي يوم أكرمتني؟ والمعنى: ما سررتني يوماً بوصالك إلا روعتني ثلاثة بصدودك، والجملة الأولى مستأنفة، قُدِّم ظرفها؛ لأن له الصدر، والثانية إما في موضع جر صفة لوصال على حذف العائد، أي: لم ترعني بعده، كما حذف في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ﴾ الآية، أو نصب حالاً من فاعل سررتني، أو مفعوله، والمعنى: أيّ يوم سررتني غير رائع لي، أو: غير مروع منك، وهي حال مقدرة، مثلها في: ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ أو: لا محل لها؛ على أن تكون معطوفة على الأولى بفاء محذوفة، كما قيل في: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ وكذا في بقية الآية، وفيه بُعد، والمحققون في الآية على أن الجمل مستأنفة بتقدير: فما قالوا له؟ فما قال لهم؟ ومن روى ثلاثةٌ بالرفع؛ لم يجز عنده كون الحال من فاعل سررتني؛ لخلو ترعني من ضمير ذي الحال.

وقال أبو البقاء العكبري في شرحه لديوان المتنبي: «أيّ نصب وهو استفهام خرج مخرج النفي، كما تقول لمن يدعي أنه أكرمك: أيّ يوم أكرمتني قط، كما قال الهذلي:

اذهــبْ فـأيّ فتـىً في النّـاس أحـرزهُ
مِـنْ حَتْفِـه ظُلَـمٌ دُعْـجٌ ولا جبـلُ

ولا يجوز أن تكون «أيٌّ» شرطية تتعلق الجملة بالجملة تعلق الجزاء بالشرط، وإذا حملته على الشرط كان مناقضاً للمعنى الذي أراده، فكأنه

يقول: إن سررتني يوماً بوصالك أمنتني ثلاثة من صدودك، وهذا عكس مراده.

وهذا البيت من جملة أبيات غزلية استهل بها أبو الطيب قصيدة قالها في صباه، ونورد هنا الأبيات الغزلية لنفاستها، ونعربُ بعض ما فيه فائدة منها:

كـم قتيـلٍ كمـا قتلـت شهيـد ... ببيـاض الطّلى وَوَرْدِ الخُـدودِ
وعيـونِ المهـا ولا كعيـون ... فَتَكَـتْ بـالمتيَّـم المعمـودِ
درَّ درُّ الصِّبـا أأيـام تجـر ... يـر ذيـولي بـدارِ أثلـةَ عـودي
عمـرَكَ الله هَـلْ رأيـت بـدوراً ... طلعـتْ في بـراقِـعٍ وعقُـودِ
راميـاتٍ بـأسهـمٍ ريشُهـا الهُـد ... ب تشقُّ القلوبَ قبْلَ الجلودِ
يترشَّفْـن في فمـي رشفـاتٍ ... هُـنَّ فيـه أحلى مـن التـوحيـدِ
كـلُّ خَمصـانـةٍ أرقُّ مـن الخمـ ... ـرِ بقلبٍ أَقْسَى من الجُلمودِ
ذات فـرع كـأنَّمـا ضُرب العنـ ... ـبـر فيـه بمـاءِ وردٍ وعـودِ
حـالُكَ كـالغـدافِ مثل دجو ... جيّ أثيـثٍ جَعْـدٍ بـلا تجعيـدِ
تحملُ المسك عن غدائِرها الريـ ... ـح وتفتـرُّ عـن شتيـت بـرودِ
جمعتْ بين جسم أحمد والسقـ ... ـم وبين الجفـونِ والتسْهيـدِ
أَهْلُ ما بي من الضَّنى بطلٌ صيـ ... ـدٌ بتصفيـف طـرَّةٍ وبجيـدِ
كـلُّ شيءٍ مـن الـدمـاء حـرامٌ ... شـربُـه مـا خـلا دَمَ العنقـودِ
فاسقنيها فدىً لعينيك نَفْسي ... مـن غـزالٍ وطـارفي وتليـدي
شيـبُ رأسي وذلَّتـي ونُحـولي ... ودُموعي على هواكِ شهودي

أي يوم سررتني . . . (البيت).

إعراب بعض الكلمات:

(كم) خبرية، وتمييزها مجرور بالإضافة إليها، أو بمن، وقد تقدم القول فيها مطولاً، وهي هنا في محل رفع مبتدأ خبره ببياض، وكما قتلت: نعت لمصدر محذوف، هذا ولهم في العشق حديث طويل، وخبره عند أرباب التصوف معقول. قال الجنيد: «العشق ألفة رحمانية، وإلهام شوقي،

أوجبهما كرم الله على كل ذي روح، لتحصل به اللذة العظمى؛ التي لا يقدر على مثلها إلا بتلك الألفة، وهي موجودة في الأنفس، مقدرة مراتبها عند أربابها، فما أحد إلا عاشق لأمر، يستدل به على قدر طبقته من الخلق، ولأجل ذلك كان أشرف المراتب في الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها، مع كونها معاينة، ومالوا إلى الآخرة مع كونها مغيبة عنهم» وقد وصف الله تعالى نفسه بالحب فقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ وقد تقدم القول فيه مطولاً، وأما العشق فلم يرد في لسان الشرع، وقال الفضيل بن عياض كلاماً جميلاً منه: «لو رزقني الله تعالى دعوة مجابة؛ لدعوته تعالى أن يغفر للعشاق؛ لأن حركاتهم اضطرارية لا اختيارية، وما أحسن قول أبي فراس الحمداني:

وكم في النَّاس من حسنٍ ولكنْ

عليك لشقوتي وقعَ اختياري

وقال رجل من العرب لبعض بني عذرة: ما لأحدكم يموت عشقاً في هوى امرأة ألفها؟ وليس ذلك إلا ضعف نفس أو خور تجدونه يا بني عذرة! فقال: أما والله لو رأيتم الحواجب الزّجّ، فوق النواظر الدعج، تحتها المباسم الفلج، لاتخذتموها اللات والعزى» هذا وقد استند أبو الطيب في قوله «شهيد» إلى حديث يروونه وهو: «إن من عشق وعف وكتم فمات مات شهيداً»[1].

(عمرك الله): مصدر يقال: أطال الله عُمرك، وعَمرك، بالضم والفتح، وهما وإن كانا مصدرين بمعنى إلا أنه استعمل أحدهما في القسم، وهو المفتوح العين، فإذ أدخلت عليه لام الابتداء؛ رفعته بالابتداء، والخبر محذوف، والتقدير: لعمر الله قسمي، فإن لم تأت باللام نصبته نصب المصادر، وقلت: عمر الله ما فعلت كذا، وعمرك الله ما فعلت كذا، فكأنك قلت: بتعميرك الله، أي: بإقرارك له بالبقاء، ومنه قول عمر بن ربيعة:

أيُّها المنكحُ الثّريا سهيلاً   عمرَكَ اللهُ كَيْفَ يلتقيانِ

---

(١) الحديث موضوع لا أصل له.

يريد سألت الله أن يطيل عمرك، وهو في قول أبي الطيب مصدر ومعناه: سألت الله أن يعمرك تعميراً.

(أحلى من التوحيد) قال الواحدي: «كنّ يمصصن ريقي لحبهنّ إياي، فكانت الرشفات في فمي أحلى من كلمة التوحيد، وهي: لا إله إلا الله. وهذا إفراط وتجاوز حد».

قال ابن القطاع: «ذهب كثير من الناس إلى أن لفظة: أفعل من كذا توجب تفضيل الأول على الثاني في جميع المواضع، وذلك غلط. والصحيح: أن أفعل يجيء في كلام العرب على خمسة أوجه:

أحدها: أن يكون الأول من جنس الثاني، ولم يظهر لأحدهما حكم؛ يزيد على الأول به زيادة؛ يقوم عليها دليل من قبل التفضيل، فهذا يكون حقيقة في الفضل، لا مجازاً، وذلك كقولك: زيد أفضل من عمرو، وهذا السيف أصرم من هذا.

والثاني: أن يكون الأول من جنس الثاني، أو قريباً منه، ومحتملاً للحاق به، وقد سبق للثاني حكم أوجب له الزيادة بالدليل الواضح، فهذا يكون على المقاربة في التشبيه، لا التفضيل، نحو قولك: الأمير أكرم من حاتم، وأشجع من عمرو، وبيت المتنبي من هذا القبيل، أي: يترشفن من فمي رشفات هنَّ قريب من التوحيد.

والثالث: أن يكون الأول من جنس الثاني، أو قريباً منه، والثاني دون الأول، فهذا يكون على الإخبار المحض، نحو قولك الشمس أضوأ من القمر، والأسد أجرأ من النمر.

والرابع: أن يكون الأول من غير جنس الثاني، وقد سبق للثاني حكم أوجد له الزيادة، واشتهر الأول من جنسه بالفضيلة، فيكون هذا على سبيل التشبيه المحض، والغرض أن يحصل للأول بعض ما يحصل للثاني، نحو قولك: زيد أشجع من الأسد وأمضى من السيف.

والخامس: أن يكون الأول من غير جنس الثاني، والأول دون الثاني في الصفة جداً، فيكون هذا على المبالغة المحضة نحو قامته أتمُّ من الرمح، ووجهه أضوأ من الشمس. وجاء في الحديث: «ما ألقت الغبراء؛ ولا أظلت الخضراء؛ أصدق لهجة من أبي ذر». ذهب من لا يعرف معاني الكلام: أن أبا ذر أصدق العالم أجمع، وليس الأمر كذلك، وإنما نفى عليه الصلاة والسلام أن يكون أحد أعلى منه رتبة في الصدق، ولو أراد ما ذهبوا إليه لقال: أبو ذر أصدق من كل من أظلت وأقلت.

(كل خمصانة): يجوز فيه الرفع على البدل من الضمير في يترشفن، وعلى هذا يرفع أرق حملاً على كل، ويجوز نصب كل حملاً على النعت لقوله بدوراً، أو على البدلية منها، والخمصانة: الضامرة، والذكر: خمصان.

(أهل ما بي الضنى بطل) أهل: مبتدأ، خبره: بطل، أو: خبر لمبتدأ محذوف، والمعنى: أنا أهل ما بي، وحقيق به، وأنا بطل صيد.

(ما خلا دم العنقود): إذا قلت: جاء القوم ما خلا زيداً؛ فليس إلا النصب لأن خلا يتحتم كونها فعلاً؛ لدخول ما المصدرية عليها، وإذا قلت: جاء القوم خلا زيدٍ؛ كان الجر لا غير.

﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًاۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ

وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾

○ الإعراب:

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ الفاء: عاطفة على محذوف، يفهم من السياق، والتقدير: فتم العقد بينهما على الإجارة، والنكاح، ومارس المهمة التي أنيطت به على أحسن وجه، وأكمله، فلما... ولما: حينية، أو: رابطة، وجملة قضى موسى الأجل: لا محل لها، وسار: عطف على قضى، وبأهله: جار ومجرور، متعلقان بسار، وجملة آنس: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ومن جانب الطور: متعلقان بآنس، وناراً: مفعول به، ولك أن تجعل من جانب الطور: حالاً؛ لأنه كان صفة لناراً، وتقدم عليها. ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ لأهله: متعلقان بقال، وجملة امكثوا: مقول القول، وجملة إني: تعليل للأمر بالمكث، وإنَّ، واسمها، وجملة آنست: خبرها، وناراً: مفعول به. ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ جملة الرجاء: حال، أي: راجياً، ولعل، واسمها، وجملة آتيكم: خبرها، والكاف مفعول به، ومنها: حال، لأنه كان صفة لخبر، وبخبر: متعلقان بآتيكم، وأو: حرف عطف، وجذوة: عطف على خبر، وهي مثلثة الجيم: الشعلة من النار، والقطعة من الحطب، وجمعها: جذا، قال ابن مقبل:

باتَتْ حواطبُ ليلى يلتمسْنَ لها
جزلَ الجذا غيرَ خوارٍ ولا ذعرِ

ومن النار: نعت لجذوة، وجملة الرجاء: حال أيضاً، ولعل، واسمها، وجملة تصطلون: خبرها. ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف؛ يقتضيه السياق؛ أي: فسار نحوها، فلما أتاها، وجملة نودي: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير

جازم، ومن شاطىء الوادي: متعلقان بنودي، والأيمن: صفة لشاطىء، وفي البقعة: حال من الشاطىء، والمباركة: صفة للبقعة، ومن الشجرة: بدل من قوله: من شاطىء الوادي؛ بدل الاشتمال؛ لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطىء، وقد تقدم نظيره في قوله: ﴿ لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ ﴾ أي: أتاه النداء من شاطىء الوادي من قبل الشجرة. ﴿أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أن: مفسرة؛ لأن النداء قول، والتقدير؛ أي: يا موسى، وأجاز أبو البقاء وغيره أن تكون مخففة من الثقيلة، واسمها: محذوف، يفسره جملة النداء؛ أي: نودي بأنه، أي: الشأن، وإني: إن واسمها، وهي مكسورة الهمزة باتفاق القراء؛ لأن النداء قول، وأنا: ضمير فصل، أو: مبتدأ، والله: خبر إن، أو: خبر أنا، والجملة: خبر إن، ورب العالمين: نعت لله، أو: بدل منه. ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ﴾ الواو: عاطفة، وأن: مفسرة معطوفة على سابقتها، وألق: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وعصاك: مفعول به، فلما: الفاء: عاطفة على مقدر يقتضيه السياق؛ أي: فألقاها، فصارت ثعباناً، ورآها: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، وجملة تهتز: حالية، وجملة كأنها جان: حال من فاعل تهتز، وكأن، واسمها، وجان: خبرها، وجملة ولى: لا محل لها، لأنها جواب شرط غير جازم، وفاعل ولى: مستتر، تقديره: هو، ومدبراً: حال، والواو: عاطفة، وجملة لم يعقب: عطف على ولى؛ أي: ولم يرجع. ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ﴾ أقبل: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، ولا تخف: لا: ناهية، وتخف: فعل مضارع مجزوم بلا، وإنَّ، واسمها، ومن الآمنين: خبرها، والجملة: تعليل للأمر بالإقبال، والنهي عن الخوف.
﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ اسلك يدك: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، وفي جيبك: متعلقان باسلك، من: سلك الشيء في الشيء: أنفذه فيه، وتخرج: فعل مضارع مجزوم؛ لأنه جواب الطلب، والفاعل: مستتر، تقديره: هي، وبيضاء: حال، ومن غير سوء: متعلقان ببيضاء، وقد تقدم تعليل ذلك في سورة طه، فجدد به عهداً. ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ

جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ قال الزمخشري: «فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ قلت: فيه معنيان. أحدهما: أن موسى عليه السلام لما قلب العصا حية فزع، واضطرب، فاتقاها بيده، كما يفعل الخائف من الشيء، فقيل له: إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء، فإذا ألقيتها فإنها تنقلب حية، فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقاءك بها، ثم أخرجها بيضاء، ليحصل الأمران: اجتناب ما هو غضاضة عليك، وإظهار معجزة أخرى. والمراد بالجناح: اليد؛ لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر، وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى؛ فقد ضم جناحه إليه، والثاني: أن يراد بضم جناحه إليه: تجلده، وضبطه نفسه، وتشدّده عند انقلاب العصا حية؛ حتى لا يضطرب، ولا يرهب، استعاره من فعل الطائر؛ لأنه إذا خُوّف؛ نشر جناحيه، وأرخاهما، وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران. ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز: أن كاتباً له كان يكتب بين يديه، فانفلت منه فلتة ريح، فخجل، وانكسر، فقام، وضرب بقلمه الأرض، فقال له عمر: «خذ قلمك، واضمم إليك جناحك، وليفرغ روعك، فإني ما سمعتها من أحدٍ أكثر مما سمعتها من نفسي».

واضمم: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وإليك: متعلقان باضمم، وجناحك: مفعول به، ومن الرهب: متعلقان باضمم بمثابة التعليل له، أي: من أجل الرهب، وقيل: بولّى، أي: هرب من الفزع، وقيل: بمدبراً، وقيل: بمحذوف؛ أي: يسكن من الرهب، والرهب: بفتح الراء والهاء، وبفتح الراء واسكان الهاء. وسيأتي مزيد تفصيل في باب البلاغة.

﴿فَذَانِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ الفاء: الفصيحة؛ أي: إذا تأملت بذلك، واستيقنت منه فذانك، وذانك: اسم إشارة، وهي تثنية ذاك، ومن قرأ: ذانّك بالتشديد؛ جعلها تثنية ذلك بلام البعد، ويكون التشديد عوضاً عنها، وبرهانان: خبر، ومن

رب: صفة لبرهانان، أي: مرسلان من ربك، وإلى فرعون: متعلقان بمرسلان، وملئه: عطف على فرعون، وجملة إنهم: تعليل لإرسال البرهانين، وإنَّ، واسمها، وجملة كانوا: خبرها، وكان، واسمها، وقوماً: خبرها، وفاسقين: صفة لقوماً.

□ البلاغة:

تقدم معظم ما في هذه الآيات من فنون البلاغة من استعارة واحتراس، ونضيف إلى ما تقدم ما أورده الإمام الزمخشري بأسلوبه الساحر، وهذا نصه: «فإن قلت قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموماً وفي الآخر مضموماً إليه وذلك قوله: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ وفي طه ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ فما التوفيق بينهما؟ قلت: المراد الجناح المضموم هو اليد اليمنى، والمضموم إليه هو اليد اليسرى، وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح».

وقال الزمخشري أيضاً: «فإن قلت: لم سميت الحجة برهاناً؟ قلت: لبياضها، وإنارتها، من قولهم للمرأة البيضاء: برهرهة، بتكرير العين واللام معاً» وهذا تعليل لطيف، لا يحسن استنباطه غير هذا الإمام، ومعنى ذلك: أن النون في البرهان زائدة، يقولون: أبره الرجل: إذا جاء بالبرهان، ونظيره: تسميتهم الحجة أيضاً: سلطاناً، من: السليط، وهو الزيت؛ لإنارتها، وفي معاجم اللغة: وأبره: أتى بالبرهان، أو: بالعجائب، وغلب الناس، وهذا هو قول الزمخشري والمحققين، وزعم صاحب «القاموس» في أحد قوليه: أن النون أصلية، قال: وبرهن عليه: أقام البرهان، والبرهان بالضم: الحجة، فتدبر.

* الفوائد:

عصا موسى أيضاً:

قدمنا في سورة طه بحثاً مستفيضاً عن العصا، ونضيف هنا ما يتعلق بعصا

موسى خاصة، روى التاريخ أن شعيباً كانت عنده عصي الأنبياء، فقال لموسى بالليل: ادخل ذلك البيت فخذ عصاً من تلك العصي، فأخذ عصاً كان شعيب مفتوناً بها؛ وكان مكفوفاً؛ فضن بها، فقال: غيرها. فما وقع في يده إلا هي سبع مرات، فعلم: أن له شأناً، وقيل: أمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصاً يدفع بها السباع عن غنمه، فوقعت في يدها سبع مرات، كما تقدم. وفي كتب التفسير طرائف عن تلك العصا لا مجال لها في كتابنا.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ رِدْءًا ﴾: معيناً، يقال: ردأته: أعنته، والرِّدْء: اسم ما يعان به، فِعل بمعنى مفعول به، كما أنَّ الدفء اسم لما يدفأ به. قال سلامة بن جندل:

وردئـي كـلُّ أبيـضَ مشـرفـيٍّ شحيذِ الحدِّ عَضْبٍ ذي فُلولِ

أي: وردئي الذي أتوقى به المكاره كلُّ سيف أبيض، وعبَّر بكل؛ لأن المراد بيان الجنس، لا الشخص، ومشرفي: نسبة إلى مشارف اليمن، وهي قرى منها، وقيل من الشام، وشحيذ الحد: مرهفه، من: شحذ المدية؛ أي: حددها، والعضب: القاطع، والفلول: جمع فلّ، وهو: كسر في حد السيف وانثلام، أي: به فلول من قراع الكتائب. وقال النحاس: يقال: ردأته، وأردأته.

(العضد): بفتح العين، وضم الضاد، وبالضم، وبالكسر: غليظ الذراع، وهو من المرفق إلى الكتف، جمعه: أعضاد، وأعضُد، وهو قوام اليد، وبشدته تشتد. قال طرفة، وقيل لأوس بن حجر:

أبنـــيَّ لبينـــي لستُمـــو بيـــدٍ إلا يـــداً ليســـتْ لهـــا عَضُـــدُ

وللعين مـع الضـاد فـاء وعينـاً للكلمـة خـاصـة القـوة، والصـلابـة، والاصطلام، تقول: عضه، يعضه، عضاً: أمسكه بأسنانه، ويقال: أيضاً عض به، وعض عليه، وعضه الزمان: اشتد عليه، وأعضّ السيف بساق العير، قال لبيد:

ولكنّـا نعـضُّ السَّيـف منهـا بأسوق عافياتِ الشَّحم كومِ

وعضته الحرب، قال الأخطل:

ضَجُّوا من الحربِ إذْ عضَّتْ غوارِبَهُم
وقيسُ عيـلانَ مِـنْ عـاداتهـا الضَّجَرُ

وملك عضوض: غشوم، وعن أبي بكر: «سترون بعدي مُلْكاً عضوضاً وأمة شَعاعاً» وبئر عضوض: بعيدة القعر، كأنها تعض الماتح بما تشق عليه، وعضبته بلساني: شتمته، ورجل عضّاب: شتام، وعضبته عن حاجة: قطعته، ومالك تعضبني عما أنا فيه؟ والعضب بالسيف: القاطع، والرجل الحديد الكلام، وعضبر الكلب: استأسد، والعِضبارة: حجر الرحى، وصخرة يقصر القصّارُ الثوب عليها، والمعضاد: سكين كبير للقصاب يقطع به العظام، وأعضـل الأمـر: اشتـد، وبـه داء عُضـال، وقـد أعيـا الأطبـاء وأعضَلهم، وتزوج ذو الإصبع فأتى حيه يسألهم مهرها، فمنعوه، فقال:

واحـــدةٌ أعضَلَكُـــم أمـــرُهـــا فكيـــفَ لـــو درتُ على أربـــع

وفلان عضلة من العُضَل: داهية من الدواهي، وعضلت على فلان: ضيقت عليه أمره، وحلت بينه وبين ما يريد، ومنه «ولا تعضُلوهن» ورماه بالعضيهة: أي: الإفك، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تعضية على أهل الميراث» أي: لا يدخل عليهم الضرر بقسمة نحو: السيف، والخاتم.

○ الإعـراب:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ رب: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، كما تقدم، وإنَّ، واسمها، وجملة قتلت: خبرها، ومنهم: حال؛ لأنه كان في الأصل صفة وتقدمت، ونفساً: مفعول به، فأخاف: الفاء: عاطفة، وأخاف: فعل مضارع مرفوع، وفاعله: مستتر، تقديره: أنا، وأنْ، وما في حيزها: مفعول أخاف، ويقتلون: منصوب بأن، وعلامة نصبه حذف النون، والواو: فاعل، والنون: للوقاء، وياء المتكلم المحذوفة: مفعول به، ﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ الواو: عاطفة، وأخي: مبتدأ، وهارون: بدل، أو عطف بيان، وهو: مبتدأ، وأفصح: خبر هو، والجملة: خبر أخي، ومني: متعلقان بأفصح، ولساناً: تمييز، فأرسله: الفاء: الفصيحة، وأرسله: فعل أمر للدعاء، وفاعله: أنت، والهاء: مفعول به، ومعي: ظرف متعلق بأرسله، وردءاً: حال. وسيأتي معنى التصديق في باب البلاغة، ويصدقني: فعل مضارع مرفوع، ولو جزم لجاز، وقرىء به على أنه جواب للطلب، والنون: للوقاية، والياء: مفعول به، والجملة: مستأنفة، أو: صفة لردءاً، أو: حال من مفعول أرسله، وجملة إني أخاف: تعليل للملتمس، وإنَّ، واسمها، وجملة أخاف: خبر إنَّ، وأنْ، وما في حيزها: مفعول أخاف. ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا﴾ جملة سنشد: مقول القول، وفاعل نشد: نحن، وعضدك: مفعول به، وبأخيك: جار ومجرور متعلقان بنشد، ونجعل: عطف على سنشد، ولكما: في محل نصب مفعول ثان لنجعل، وسلطاناً: مفعول نجعل الأول، أي: غلبة وحجة واضحة، وقد مر تفسيره في باب اللغة. ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ الفاء: عاطفة، ولا: نافية، ويصلون: فعل مضارع مرفوع، والواو: فاعل، وإليكما: متعلقان بيصلون، وبآياتنا: يجوز فيه أن يتعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات، أي: اذهبا بآياتنا، أو بنجعل، أو بيصلون، أو

بسلطاناً، أي: نسلطكما بآياتنا، أو بمحذوف حال، أو من لغو القسم، ولا أرى موجباً للترجيح في هذه الأوجه، فاختر منها ما ترى ترجيحه، وأنتما: مبتدأ، ومَنْ: اسم موصول معطوف على أنتما، وجملة اتبعكما: صلة مَنْ، والغالبون: خبر أنتما.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ الفاء: عاطفة على محذوف، يقتضيه السياق، ولما: ظرفية حينية، أو: رابطة، وجاءهم موسى: فعل، ومفعول، وفاعل، وبآياتنا: متعلقان بجاءهم، أو: بمحذوف حال، وبينات: حال؛ أي: واضحات الدلالة، وجملة قالوا: جواب لما، وما: نافية، وهذا: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وسحر: خبر، ومفترى: صفة. ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وسمعنا: فعل، وفاعل، وبهذا: متعلقان بسمعنا، وفي آبائنا: حال من هذا، فهو متعلق بمحذوف، تقديره: كائناً، والأولين: نعت لآبائنا. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ﴾ ربي: مبتدأ، وأعلم: خبره، وبمن: متعلقان بأعلم، وجملة جاء بالهدى: صلة مَنْ، ومِنْ عنده: حال. ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الواو: عاطفة، ومَنْ: عطف على مَنْ الأولى، وتكون: فعل مضارع ناقص، وله: خبرها المقدم، وعاقبة الدار: اسمها المؤخر، ويجوز أن يكون اسم تكون ضمير الشأن، أو ضمير القصة، وله: خبر مقدم، وعاقبة الدار: مبتدأ مؤخر، والجملة: خبر تكون، ويجوز أن تكون تامة، فتكون جملة له عاقبة الدار: حالاً، وفاعل تكون: ضمير يعود على مَنْ، وأنَّ، واسمها، وجملة لا يفلح الظالمون: خبرها.

□ البلاغة:

١ ـ الإسناد المجازي:

في قوله: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ إسناد مجازي، فقد أسند إليه التصديق؛ لأنه السبب فيه، ومعنى الإسناد المجازي: أن التصديق حقيقة في

المصدق، فإسناده حقيقة، وليس في السبب تصديق، لكن استعير له الإسناد؛ لأنه لابس التصديق بالتسبب، كما لابسه الفاعل بالمباشرة، والدليل على ذلك قوله: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ فليس الغرض من قوله: يصدقني أن يقول: صدقت، أو يقول للناس: صدق أخي، وإنما طريق تصديقه أن يلخص الحق بلسانه، ويجادل الكفار ببيانه، وأن يقرر الحجة، ويورد البرهان مدعوماً بالأرقام، كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة، ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ وفي هذا دليل على سمو البيان، وشرفه، وإنافته على الكلام العادي الذي لا يصيب المحز، ولا يتغلغل إلى أغوار النفوس.

٢ ـ المجاز المرسل:

وفي قوله: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ مجاز مرسل على طريق إطلاق السبب وإرادة المسبب بمرتبتين، تتبع إحداهما ثانيتهما، فإنَّ شدة العضد سبب مستلزم لشدة اليد، وشدة اليد مستلزمة لقوة الشخص في المرتبة الثانية، واختار الشهاب في حاشيته على البيضاوي أن يكون كناية تلويحية قال: «الشد: التقوية، فهو إمَّا كناية تلويحية عن تقويته، لأن اليد تشد بشد العضد، والجملة تشد بشد اليد، أو: استعارة تمثيلية، شبه حال موسى في تقويته بأخيه بحال اليد في تقويتها بالعضد» وليس ببعيد.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿أَطَّلِعُ﴾: الطلوع والاطلاع: الصعود، يقال: طلع الجبل، واطلع بمعنى، وإن نفسك لطُلَعَةٌ إلى هذا الأمر، وإنها لتطّلع إليه؛ أي: تنازع.

﴿ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾: المقبوح: المطرود، وقبحه الله: طرده، وفي «المصباح»: «قبح الشيء قبحاً، فهو قبيح، من باب: قرب، وهو خلاف حسن، وقبحه الله يقبحه بفتحتين: نحاه الله عن الخير، وفي التنزيل: ﴿هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: المبعدين عن الفوز، والتثقيل: مبالغة، وقبح عليه فعله تقبيحاً».

وقال أبو زيد: قبح الله فلاناً، قبحاً، وقبوحاً: أبعده من كل خير، وقال أبو عمرو: قبحت وجهه بالتخفيف، بمعنى: قبّحت بالتشديد ومثله قول الشاعر:

ألا قبحَ اللهُ البراجمَ كلَّها وقبحَ يربوعاً وقبح دارِما

○ **الإعراب:**

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ الواو: عاطفة على مقدر يقتضيه السياق، أي: وقال فرعون بعد ما جمع السحرة لمعارضته، وكان بينهم وبين موسى ما كان، ويا: حرف نداء، وأيها: منادى نكرة مقصودة، بني على الضم في محل نصب، والهاء: للتنبيه، والملأ: بدل، وما: نافية، وعلمت: فعل، وفاعل، ولكم: حال، ومن: حرف جر زائد، وإله: مجرور لفظاً بمن، منصوب محلاً؛ لأنه مفعول به، وغيري: صفة لإله. ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ الفاء: الفصيحة، وأوقد: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، ويا: حرف نداء، وهامان: منادى

مفرد علم، وعلى الطين: متلعقان بأوقد، فاجعل: عطف عل أوقد، ولي: في محل نصب مفعول ثان لاجعل، وصرحاً: مفعول أول. ﴿ لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ لعل، واسمها، وجملة أطلع: خبرها، وإلى إله موسى: متعلقان بأطلع، وإني: الواو عاطفة، وإن، واسمها، واللام المزحلقة، وجملة أظنه: خبر، والهاء: مفعول به أول، ومن الكاذبين: في موضع المفعول الثاني. ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ عطف على وقال فرعون، وهو فاعل استكبر، أو: توكيد للفاعل؛ لأن استتار الفاعل في الغائب جائز، وجنوده: عطف على هو، وفي الأرض: متعلقان باستكبر، وبغير الحق: حال من فاعل استكبر، أي: متلبسين بغير الحق. ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ وظنوا: عطف على استكبر، وأن، وما يليها: سدت مسد مفعولي ظنوا، وإلينا: متعلقان بيرجعون، ولا: نافية، وجملة لا يرجعون: خبر أن. ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فأخذناه: عطف على ما تقدم، وأخذناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، وجنوده: عطف على الهاء في أخذناه، أو: مفعول معه، فنبذناهم: عطف على فأخذناه، وفي اليم: متعلقان بنبذناهم، فانظر: الفاء الفصيحة، وانظر: فعل أمر، وكيف: خبر مقدم لكان، وعاقبة الظالمين: اسمها المؤخر. ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ وجعلناهم: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، وأئمة: مفعول به ثان، وجملة يدعون: صفة لأئمة، وإلى النار: متعلقان بيدعون، ويوم القيامة: الواو عاطفة، ويوم القيامة: ظرف متعلق بينصرون، ولا: نافية، وينصرون: فعل مضارع مبني للمجهول، ولك أن تجعل الواو: حالية، والجملة: حال. ﴿ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ وأتبعناهم: عطف على ما تقدم، وفي هذه الدنيا: حال، والدنيا: بدل من هذه، ولعنةً: مفعول به ثان. ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ الظرف: متعلق بمحذوف، دل عليه قوله المقبوحين، كأنه قيل: وقبحوا يوم القيامة، وإنما قدرنا محذوفاً؛ لأن تعليقه بالمقبوحين، وهو الظاهر، يمنع منه وجود أل

الموصولية، على أنهم قد اتسعوا في ذلك، فعلقوه بمدخولها، ولا مانع من ذلك، ولك أن تعطفه على موضع: في هذه الدنيا، أي: وأتبعناهم لعنة يوم القيامة، وهم مبتدأ، ومن المقبوحين: خبره.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ إطناب بديع، وذلك أنه لم يقل: اطبخ لي الآجر، وذلك ليتفادى ذكر كلمة الآجر؛ لأن تركيبها ـ على سهولة لفظه ـ ليس فصيحاً، وذلك أمر يقرره الذوق وحده، ألا ترى إلى هذه الكلمة وقد وقعت في بيت للنابغة الذبياني من قصيدته الدالية التي أولها:

مــن آل ميــةَ رائــحٌ أو مُغْتـدي عجــلانَ ذا زادٍ وغيــرَ مــزوَّدِ

والبيت هو:

أو دميـة مِـنْ مـرمـرٍ مـرفـوعـة بُنِيَـتْ بـآجـرٍ يُشَـاد بقُـرْمُـدِ

فلفظة آجر في البيت قلقة، نابية؛ لابتذالها، فإن شئت أن تعلم شيئاً من سر الفصاحة التي تضمنها القرآن فانظر إلى هذا الموضع، فإنه لما جيء فيه بذكر الآجر لم يذكره بلفظه، ولا بلفظ القرمد أيضاً، لكنه ذكر في القرآن على وجهه آخر، فعبرَّ عن الآجر بالوقود على الطين، ثم إن هذه العبارة أحسن مطابقة لفصاحة القرآن وعلو طبقته، وأشبه بكلام الجبابرة، وأمر هامان ـ وهو وزيره ورديفه ـ بالإيقاد على الطين منادى باسمه بـ «يا» في وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر، وقد اشتملت هذه العبارة على الكثير من ألفاظ الجبابرة العتاة، وذلك على الوجه التالي:

١ ـ نادى وزيره بحرف النداء.

٢ ـ توسيط ندائه خلال الأمر وبناء الصرح.

٣ ـ رجاؤه الاطلاع إلى الله.

٤ ـ الغباء الذي يلازم الجبابرة العتاة؛ إذ يقعون في التناقض من حيث لا يشعرون، فقد صرح قبل هنيهة بقوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾

فعبر عن نفي المعلوم بنفي العلم، وأعلن تصميمه على الجحود، ثم ما عتم أن أعلن رجاءه الاطلاع، فهل كان مصمماً على الجحود، أم لم يكن.

فصل في اختيار الألفاظ:

هذا وقد عني علماء البيان باللفظة وسر اختيارها، وخلاصة ما يقال فيه: أن حسن الألفاظ وقبحها أمر يعود إلى الذوق وحده، فما استحسنه كان حسناً، وما استقبحه كان قبيحاً، فالاستعمال ليس بدليل الحسن، وهذا طريق يضل فيه غير العارف بمسالكه، ومن لم يعرف صناعة النظم والنثر، وما يجده صاحبها من الكلفة في صوغ الألفاظ واختيارها، فإنه معذور في أن يقول ما قال:

لا يعرف الشَّوقَ إلا من يكابِدُه
ولا الصَّبابةَ إلا مَنْ يُعانِيها

والصاحب بن عباد الذي كان من المفتونين بأبي الطيب، والذي كان يستعمل أشعاره في كتاباته، ويقتبس منها، عندما حصلت بينه وبين أبي الطيب المتنبي الجفوة بسبب ترفع هذا عن مجاوبته؛ فقد ذكروا أنَّ الصاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبي إياه بأصبهان، وإجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان، وهو إذ ذاك شاب، ولم يكن قد استوزر بعد، وقد كتب الصاحب إليه يلاطفه في استدعائه، ويضمن له مشاطرته جميع ماله، فلم يقم له المتنبي وزناً، ولم يجبه إلى كتابه، ولم يحقق مراده، وقصد المتنبي بعد ذلك إلى حضرة عضد الدولة بشيراز، فأسفرت سفرته ـ كما يقول أبو منصور الثعالبي في «يتيمة الدهر» ـ عن بلوغ الأمنية، وورود مشروع المنية، وذلك: أن المتنبي قتل عند مغادرته إياه محملاً بالعطايا والهبات.

قال الثعالبي: «واتخذه الصاحب غرضاً، يرشقه بسهام الوقيعة، ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته، وينعى عليه سيئاته، وهو أعرف الناس بحسناته، وأحفظهم لها، وأكثرهم استعمالاً إياها، وتمثلاً بها في محاضراته، ومكاتباته».

وقد عمل الصاحب رسالة فيما أخذه على المتنبي، وإذا فرضنا أن الذي دعا الصاحب إلى عمل هذه الرسالة هو استياؤه من المتنبي؛ حيث تعاظم عن مدحه؛ فإنا نجده لم يتحامل عليه بالباطل في شيءٍ منها، ولم يظلمه بحرفٍ واحدٍ جاء فيها، ولم يعبه إلا بما هو عيب، ولم يستطع أن ينال منه إلا من طريق الألفاظ وحدها. ونورد هنا نماذج من هذه الرسالة.

١ ـ أخذ الصاحب على المتنبي التفاصح بالألفاظ الشاذَّة، فمن ذلك قوله:

أيفطمُه التوراب قبل فِطامه
ويأكلُه قَبْلَ البلوغِ إلى الأكلِ

قال: «وما أرى كيف عشق التوراب حتى جعله عوذة أشعاره» والتوراب: التراب.

ومعنى البيت: أيفطمه التوراب قبل أن تفطمه أمه، ويأكله التراب قبل أن يبلغ سن الآكل.

٢ ـ وأخذ عليه لفظة ترنج بقوله:

شديدُ البعدِ من شرْبِ الشَّمُول
ترنجُ الهندِ أو طلعُ النَّخيل

قال الصاحب ساخراً: «فلا أدري أإستهلال الأبيات أحسن؟ أم المعنى أبدع؟ أم قوله ترنج أفصح» ولقد أصاب الصاحب، فاللغة الفصيحة هي: أترج، وأترجة، ومنه الحديث: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة، ريحها طيب، وطعمها طيب». وحكى أبو زيد: ترنج وترنجة، يقول أبو الطيب: ترنج الهند وطلع النخيل شديد بعدهما عن محلك من شرب الخمر، وإن كان غيرك يتخذهما لذلك، لأن هذه الحال غير مظنونة بك، وإنما استحضارك لهما ولما يشاكلهما من الرياحين استمتاعاً بحسن ذلك.

٣ ـ وانتقد الصاحب جمع الآخاء في شعره إذ قال:

كلُّ آخائه كرامُ بني الدنـ ـيا ولكنَّه كريمُ الكرام

قال: «ولو وقع الآخاء» في رائية الشمّاخ لاستثقل فكيف مع أبيات منها:

قَـدْ سَمِعْنَـا مـا قُلْـتَ في الأحـلام
وأنلنــاكَ بـــدرةً في المنـــام

والكلام إذا لم يتناسب زيّفه جهابذته، وبهرجه نقاده».

وعلى هذا النحو يمضي في كشف مساوىء المتنبي، وكلها أمور ترجع إلى اللفظة وحدها، وسيرد معنا الكثير منها، فلنكتف بما ذكرناه الآن منها.

وعاب النقاد القوافي الملتاثة، فعابوا على أبي تمام قافيته الثائية في قصيدته التي مطلعها:

قِـفْ بـالطُّلـول الـدارسـاتِ عـلاثـا
أصخـتْ حبـالُ قطينهِـنَّ رِثـاثـا

وعلاثا: منادى مرخم، وأصله يا علاثة. وعابوا على أبي الطيب قافيته الشينية في قصيدته التي مطلعها:

مبيتــي مِــنْ دمَشْــقَ على فــراشٍ
حشــاهُ لي بحــرٍّ حَشَـايَ حمــاشُ

وعابوا على ابن هانىء الأندلسي قافيته الخائية في قصيدته التي مطلعها:

سرى وجنــاحُ الليــلِ أقتــمُ أفتــخُ
حبيــبٌ ضجيــعٌ بــالعبير مضمَّــخُ

والأقتم: المظلم، والأفتخ: المستطيل.

وحسبنا ما تقدم، فقد كدنا نخرج بالكتاب عن موضوعه.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا

فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿بَصَآئِرَ﴾: البصيرة: العقل، والفطنة، والعبرة، والشاهد، والحجة، يقال: جوارحه بصيرة عليه؛ أي: شهود، وفراسة ذات بصيرة؛ أي: صادقة، والجمع: بصائر، وقوله: ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ أي: أنواراً لقلوبهم، تبصر بها الحقائق، وتميز بها بين الحق والباطل، بعد أن كانت عمياً عن الفهم والإدراك بالكلية، فالبصيرة نور القلب؛ الذي به يستبصر، كما أنَّ البصر نور العين الذي به تبصر، وسيأتي المزيد من معناها في باب الإعراب.

﴿ثَاوِيًا﴾: مقيماً، يقال: ثوى، يثوي، من باب ضرب، ثواء، وثُوِياً المكان، وفيه، وبه: أقام. وثوى الرجل: مات. قال عبيد بن الأبرص في مطلع معلقته:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أسماءُ ... ربَّ ثاوٍ يملُّ مِنْهُ الثّواءُ

○ **الإعراب:**

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ الواو: استئنافية، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وآتينا: فعل، وفاعل، وموسى: مفعول به أول، الكتاب: مفعول به ثان، ومن بعد: متعلقان بآتينا، وما: مصدرية، وأهلكنا: فعل، وفاعل، والقرون: مفعول به، والأولى: صفة. ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ بصائر: حال من الكتاب، أو: مفعول لأجله، وعلى الحالية لا بد من تقدير مضاف، أي: ذا بصائر، أو على المبالغة، وللناس: نعت لبصائر، وهدى

ورحمة: عطف على بصائر، ولعلهم يتذكرون: لعل، واسمها، وجملة يتذكرون: خبرها. ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ الواو: عاطفة، أو: استئنافية، وما: نافية، وكنت: كان، واسمها، وبجانب: خبرها، والغربي: مضاف إليه، أي: وما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي، فيكون من حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه، واختاره الزجاج، وقال الكلبي: بجانب الوادي الغربي؛ أي: حيث ناجى موسى ربه، وإذ: ظرف لما مضى متعلق بالاستقرار؛ الذي تعلق به الجار والمجرور، وجملة قضينا: مجرورة بإضافة الظرف إليها، والأمر: مفعول به، والواو: حرف عطف، وما: نافية، وكنت: كان، واسمها، ومن الشاهدين: خبرها، والأمر المقضي: هو الوحي الذي أوحي إليه. ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ الواو: عاطفة، ولكنَّ، واسمها، وجملة أنشأنا: خبرها، ونا: فاعل، وقروناً: مفعول به، فتطاول: عطف على أنشأنا، وعليهم: متعلقان بتطاول، والعمر: فاعل. ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وكنت: كان، واسمها، وثاوياً: خبرها، وفي أهل مدين: متعلقان بثاوياً، وجملة تتلو: في موضع نصب خبر ثان لكنت، أو: حال من الضمير في ثاوياً، ولكنَّا: الواو: حالية، أو: عاطفة، ولكنَّ، واسمها، وجملة كنا: خبرها، وكان، واسمها، وجملة مرسلين: خبرها.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وكنت: كان، واسمها، وبجانب: خبر كنت، والطور: مضاف إليه، والظرف: متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر، وهو: بجانب، والخطاب في الآيتين لمحمد ﷺ، أي: وما كنت حاضراً المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى عليه السلام، ولا كنت من الشاهدين الوحي، ولا كنت بجانب الطور حين ناديناه ليأخذ التوراة، وجملة نادينا: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولكن: الواو: عاطفة، ولكن: حرف

استدراك مهمل. لأنه خفف، ورحمة: مفعول لأجله، أي: أرسلناك وعلمناك هذا كله رحمة، ومن ربك: صفة لرحمة. ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لتنذر: اللام: للتعليل، وتنذر: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل، والجار والمجرور: متعلقان بأرسلناك المحذوفة، وإنَّما جر المفعول لأجله باللام لاختلاف الفاعل، وقوماً: مفعول به، وجملة ما أتاهم: صفة لقوماً، وما: نافية، وأتاهم: فعل ماض، ومفعول به، ومن: حرف جر زائد، ونذير: مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل، ومن قبلك: صفة لنذير، ولعل، واسمها، وجملة يتذكرون: خبرها.

□ البلاغة:

١ ـ جناس التحريف:

في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ جناس التحريف؛ الذي يكون الضبط فيه فارقاً بين الكلمتين أو بعضهما، وقد مرت له نظائر، وستمر نظائر كثيرة، ومثاله في الشعر قول أبي العلاء المعري:

والحُسْـــنُ يَظْهَـــرُ في شيئين رونقُـــه
بيتٌ مِنَ الشِّعْرِ أو بيتٌ من الشَّعَرَ

وله أيضاً:

لغيري زكـاةٌ مـن جِمَـالٍ فـإنْ تَكُـنْ
زكـاة جَمـالٍ فـاذْكُـرِي ابْـنَ سبيـلِ

فالتجنيس في الأول بين «الشِّعر» و«الشَّعر» وفي الثاني يبن «جِمال» و«جَمال» وما ألطف قول بهاء الدين زهير:

زهـــا وردُ خـــدَّيـــك لكنَّـــه　　بِغَيْـرِ النَّـواظـر لَـمْ يُقْطَـفِ
وَقَـــدْ زَعَمُـــوا أنَّـــه مُضْعِـفٌ　　ومـــا عَلِمُـــوا أنَّـــهُ مُضْعِفِـــي

٢ ـ الإشارة:

وقد تقدم بحث هذا الفن أكثر من مرة، ونتناوله الآن بصورة مسهبة، كما نتناول الرمز الذي شاع في العصر الحديث، ليكون كتابنا جامعاً لأفانين الأدب، أمّا الإشارة في الآية فهي: ما أشارت إليه كلمة «الأمر» من قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ فقد أشارت إلى ابتداء نبوة موسى، وخطاب الحق له، وإعطائه الآيات البينات من إلقاء العصا لتصير ثعباناً، وإخراج يده بيضاء، وإرساله إلى فرعون، وسؤاله شدَّ عضده بأخيه هارون، إلى جميع ما جرى في ذلك المقام، وأمثال هذه المواضيع إذا تقصاها الباحث خرجت عن حد الحصر في الكتاب العزيز.

الإشارة في الشِّعر:

وقد قدمنا نماذج شعرية من هذا الفن، ويرى قدامة: أنَّ أفضل بيت في الإشارة قول زهير:

وإنِّي لو لَقِيتُكَ فاجتمعنا
لكانَ لِكُلِّ مُنْدِيَةٍ لِقَاءُ

فقد أشار له بقبح ما كان يصنع لو لقيه. وأنشد الحاتمي عن علي بن هارون، عن أبيه، عن حماد، عن أبيه إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

جعلنا السَّيفَ بين الخدِّ منه وبَيْنَ سَوادِ لِمَّتِه عِذارا

فأشار إلى هيئة الضربة التي أصابه بها دون ذكرها إشارة لطيفة؛ دلت على كيفيتها، وإنما وصف أنهم ضربوا عنقه. ومن أنواع الإشارة: التفخيم والإيماء، فأما التفخيم: فكقول الله تعالى ﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ وقول كعب بن سعد الغنوي:

أخي ما أخي لا فاحشٌ عند بَيْتِهِ
ولا وَرِعٌ عنْد اللِّقاءِ هَيُوبُ

وأما الإيماء: فكقوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ فأومأ إلى

ما غشيهم، وترك التفسير، وتقدم ذكره بعنوان الإبهام، وقال كثير صاحب عزة:

تجافَيْتِ عنِّي حَيْنَ لا لي حيلةٌ		وخَلَّفْتِ ما خَلَّفْتِ بين الجَوانِحِ

فقوله: «خلفت ما خلفت» إيماء مليح.

ومن أنواع الإشارة: الرمز، كقول أحدهم يصف امرأة قتل زوجها وسبيت:

عقلتُ لها مِنْ زَوْجِها عَدَدَ الحصى
مع الصُّبْحِ أو مَعْ جُنْحِ كلِّ أَصِيْلِ

يريد أني لم أعطها عَقْلاً ولا قَوَداً بزوجها إلا الهم الذي يدعوها إلى عدِّ الحصى، وأصل العقل: أخذ الدية، وعدد الحصى: مفعول عقلت، وأصله من قول امرىء القيس:

ظللْـتُ ردائـي فـوقَ رأسي قـاعـداً
أعــدُّ الحصـــى مـــا تنقضي عَبَـــراتي

يريد: أنَّه لما غشي ديار الحي، فلم يجد أحداً وضع رداءه فوق رأسه، وجلس مفكراً يعد الحصى ودموعه لا ترقأ. ومن مليح الرمز قول أبي نواس يصف كؤوساً ممزوجة، فيها صور منقوشة، وقد تقدم ذكر هذه الأبيات ومنها هنا:

قـــرارتُهـــا كسرى وفي جَنَبَـــاتِهـــا
مهـــاً تـــدَّريهـــا بـــالقســـيِّ الفـــوارسُ
فللخمـــرِ مـــا زُرَّتْ عليـــه جيـــوبُهـــا
وللمـــاءِ مـــا دارتْ عليـــه القـــلانِـــسُ

يقول: إن حدّ الخمر من صور هذه الفوارس التي في الكؤوس إلى التراقي والنحور، وزيد الماء فيها مزاجاً، فانتهى الشراب إلى فوق رؤوسها، ويجوز أن يكون انتهاء الحباب إلى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت، والأول أملح،

وفائدته معرفة حدِّها صِرْفاً من معرفة حدِّها ممزوجة، وهذا عندهم مما سبق إليه أبو نواس.

الرمزية في الشعر الحديث:

كان نشوء الرمزية ردَّ فعل ضد الواقعية التي أسرفت في التأثر بالعلم والبعد عن الخيال الشعري، وكما استطاعت الواقعية أن تزحزح الرومانتيكية عن مكانتها؛ كان نشوء الرمزية إيذاناً بتراجع الواقعية؛ لتحل محلها تلك الحركة الجديدة التي احتلت الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

والشعر عند أصحاب هذا المذهب ـ كما يقول بعضهم ـ: «نشوة وحلم يحملان الإنسان إلى حيز اللاوعي، حيث يلمح هناك من الحقائق ما لا يستطيع رؤياها عن طريق العقل والمنطق في العالم الواعي، وهو لا يجد في العالم الباطني صوراً تامة الوضوح يستطيع التعبير عنها تعبيراً صريحاً، ولكنه يعبر عنها بالرمز؛ حتى يستطيع أن يوحي للقارىء بنفس الإحساس وينقله إلى نفس الحالة».

ومن هنا جاء الغموض في الرمزية، ثم أمعنوا في الإبهام، وغلفوا الشعر بغلاف من الضباب، فأسقطوا حروف التشبيه، واعتمدوا على الكلمة في إيحائهم، يقدمونها، ويؤخرونها عن قصد حتى تزيد من إشعاعاتها الموحية، وكذلك طابقوا بين الحروف والألوان، وبين الألوان والمعاني، فاللون الأحمر: يرمز للحياة الصاخبة، والدم، وشهوة الحبِّ، والأعاصير، والأخضر: يمثل الكون، والطبيعة، والبحر، والأزرق: يمثل الانطلاق إلى ما وراء المادة الكونية؛ حيث عالم الملائكة، والموسيقى التي تبلغ الأعماق. واللون البنفسجي: لون الرؤى الصوفية، والأصفر: للحزن والتحفز نحو عالم أفضل، والأبيض: يشف عن الهدوء، والسكينة، والطهر. ويعبر بودلير الشاعر الفرنسي الرمزي عن العلاقة بين الألوان والعطور والأصوات في قصيدته التي يتناول فيها وحدة الطبيعة فيقول:

الطبيعة معبد ذو أعمدة حية
تنبعث منه أحياناً كلمات غامضة
فيمر الإنسان من خلال غابات الرموز
تحدق فيه بنظرات ألفته .
وتتمازج الأصداء الطويلة البعيدة الغموض
في وحدة مظلمة عميقة
رحبة كالليل ، وكالضياء
وتتجاوب العطور ، والألوان ، والأصوات

وحسبنا ما أوردناه ، ومن أراد المزيد فليرجع إلى ما كتب في هذا الصدد وهو كثير .

٣ ـ الاحتراس :

وفي هذه الآية نفسها فن الإحتراس ، وقد تقدم ذكره كثيراً ، ولعل الاحتراس الذي وقع في هذه الآية أعجب احتراس وقع في القرآن ، فالخطاب كما قلنا موجه إلى الرسول ﷺ ، ولما نفى تبارك وتعالى عن رسوله الكريم كونه بالمكان الذي قضى لكليمه موسى الأمر عرَّف المكان بالجانب الغربي ، ولم يصفه باليمين ؛ كما قال في الإخبار عن موسى عليه السلام : ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ ﴾ أدباً منه سبحانه وتعالى مع نبيه أن ينفي عنه كونه في الجانب الأيمن ، ووصف سبحانه الجانب ها هنا باليمين ؛ إذ أخبر : أنه نادى منه كليمه موسى تشريفاً له .

هذا ولا بد من الإلماع إلى أنَّ قوله ﴿ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ ﴾ أصله أن يكون صفة ، أي : بالجانب الغربي ، ولكن حول عن ذلك ، وجعله صفة لمحذوف ضرورة امتناع إضافة الموصوف إلى الصفة ؛ إذ كانت هي الموصوف في المعنى ، وإضافة الشيء إلى نفسه خطأ ، والتقدير : جانب المكان الغربي .

﴿ وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ

إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ الواو: عاطفة، ولولا: حرف امتناع لوجود، وأن وما في حيزها: مبتدأ خبره محذوف؛ كما هي القاعدة المشهورة؛ أي: ولولا إصابتهم المصيبة لهم، وجوابها محذوف، تقديره: لما أرسلنا رسولاً، ومصيبة: فاعل، وبما: متعلقان بتصيبهم، وجملة قدمت: صلة. ﴿فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الفاء: عاطفة، ويقولوا: عطف على أن تصيبهم، وربنا: منادى مضاف، ولولا: تحضيضية بمعنى هلا، وأرسلت: فعل وفاعل وإلينا: متعلقان بأرسلت، ورسولاً: مفعول به، فنتبع: الفاء: فاء السببية، ونتبع: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، وفاعل نتبع: مستتر، تقديره: نحن، وآياتك: مفعول به، ونكون: عطف على نتبع، واسم نكون: ضمير مستتر، تقديره: نحن، ومن المؤمنين: خبره.

هذا وقد شغلت هذه الآية المفسرين والمعربين قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف استقام هذا المعنى؛ وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول؛ لدخول حرف الإمتناع عليها دونه؟ قلت: القول هو المقصود بأن يكون سبباً لإرسال الرسل، ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول، وكان وجوده بوجودها؛ جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال بواسطة القول، فأدخلت عليها لولا، وجيء بالقول معطوفاً عليها بالفاء المعطية معنى

السببية، ويؤول معناه إلى قولك ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا، ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة، وهم أنهم لو لم يعاقبوا مثلاً على كفرهم؛ وقد عاينوا ما ألجئوا به إلى العلم اليقين لم يقولوا: ﴿ لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ وإنما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير، لا التأسف على ما فاتهم من الإيمان بخالقهم، وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى».

والسر في جعل سبب السبب سبباً، وعطف السبب الأصلي عليه أمران؛ أحدهما: أن مزيد العناية يوجب التقديم، وهذا هو السر الذي أبداه سيبويه، والثاني: أن في هذا النظم تنبيهاً على سببية كل واحد منهما، أما الأول: فلاقترانه بحرف التعليل، وهو: أن، وأما الثاني: فلاقترانه بفاء السبب، وكان بعض النحاة يورد إشكالاً بهذه الآية، فيقول: «لولا» عند أهل الفن تدل على امتناع جوابها لوجود ما بعدها، وحينئذ يكون الواقع بعدها في الآية موجوداً، وهو عقوبة هؤلاء المذكورين بتقدير عدم بعثة الرسل، وجوابها المحذوف غير واقع، وهو عدم الإرسال؛ لأنه ممتنع بالأولى. ومتى لم يقع عدم الإرسال كان الإرسال واقعاً ضرورة، فيشكل الواقع بعدها؛ إذ لا ظلم قبل بعثة الرسل، فلا تتصور العقوبة بتقدير عدم البعثة، وذلك لأنها واقعة جزاء على مخالفة أحكام الشرع، فإن لم يكن شرع فلا مخالفة ولا عقوبة، ويشكل الجواب على النحاة؛ لأنه يلزم أن لا يكون واقعاً، وهو عدم بعثة الرسل، لكن الواقع بعدها يقتضي وقوعه، والتحرير في معنى لولا: أنها تدل على أن ما بعدها مانع من جوابها عكس «لو»، فإن معناها لزوم جوابها لما بعدها، ثم المانع قد يكون موجوداً، وقد يكون مفروضاً، والآية من قبيل فرض وجود المانع، وكذلك اللزوم في «لو» قد يكون الشيء الواحد لازماً لشيئين، فلا يلزم نفيه من نفي أحد ملزوميه، وعلى هذا التحرير يزول الإشكال.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ الفاء: عاطفة، ولما: حينية، أو رابطة، وجاءهم الحق: فعل ماض، ومفعول به

مقدم، وفاعل مؤخر، ومن عندنا: متعلقان بجاءهم، وجملة قالوا: لا محل لها؛ لأنها جواب لما، ولولا: حرف تحضيض، أي: هلا، وأوتي: فعل ماض، ونائب الفاعل: مستتر، تقديره: هو، أي: محمد ﷺ، ومثل: مفعول به ثان، وما: اسم موصول مضاف لمثل، وجملة أوتي: صلة، وموسى: نائب فاعل. ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري التقريري، والواو: عاطفة على مقدر يقتضيه السياق، ولم: حرف نفي وقلب وجزم، ويكفروا: فعل مضارع مجزوم بلم، وبما: متعلقان بيكفروا، وجملة أوتي موسى: صلة، ومن قبل: متعلقان بأولم يكفروا، أو بأوتي، فيكون المعنى: أن أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتوراة. ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾ فجملة قالوا: مفسرة، وسحران: خبر لمبتدأ محذوف، أي: هما ساحران، وجملة تظاهرا: نعت لسحران، أي: تعاونا بتصديق أحدهما الآخر، وقالوا: عطف على قالوا، وإنا: إنَّ، واسمها، وبكل: متعلقان بكافرون، وكافرون: خبر إنَّا، والجملة مقول القول. ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ قل: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، والفاء: الفصيحة، وائتوا: فعل أمر، وبكتاب: متعلقان بفائتوا، ومن عند الله: متعلقان بمحذوف صفة، وهو: مبتدأ، وأهدى: خبر، ومنهما: متعلقان بأهدى، والجملة: صفة ثانية لكتاب، وأتبعه: فعل مضارع مجزوم؛ لأنه جواب الأمر، والفاعل: مستتر، تقديره: أنا، والهاء: مفعول به، وإن: شرطية، وكنتم: فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء: اسمها، وصادقين: خبرها، وجواب الشرط: محذوف، دل عليه ما قبله، أي: فائتوا، والأمر هنا للتعجيز المشوب بالتوبيخ، والتقريع. ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الفاء: عاطفة، وإن: شرطية، ولم: حرف نفي وقلب وجزم، ويستجيبوا: فعل مضارع مجزوم بلم، والواو: فاعل، ولك: متعلقان بيستجيبوا، والفاء: رابطة لجواب الشرط، واعلم: فعل أمر، وأنما: كافة ومكفوفة لإفادة

الحصر، ويتبعون: فعل مضارع مرفوع، وفاعل، وأهواءهم: مفعول، وإنما وما في حيزها: سدت مسد مفعولي اعلم.

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الواو: عاطفة، ومن: اسم استفهام معناه النفي والإنكار في محل رفع مبتدأ، وأضل: خبره، وممن: متعلقان بأضل، وجملة اتبع هواه: صلة من، وبغير هدى: حال، ومن الله: صفة لهدى، وجملة إن الله: تعليل لما تقدم، وإنَّ، واسمها، وجملة لا يهدي القوم الظالمين: خبرها.

* الفوائـد:

نظراً لانغلاق التراكيب الواردة في الآية المتقدمة، وهي: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾. وسمو إعجازه نورد بالإضافة إلى ما قدمناه في الإعراب ما قاله الشهاب الخفاجي في حاشيته الممتعة على البيضاوي، ففيه إيضاح لما أوضحناه، قال ما ملخصه: إن الآية تقتضي وجود إصابتهم، ووجود قولهم المذكور، والواقع: أنهم لم يصابوا، ولم يقولوا القول المذكور، فحينئذ يشكل هذا الترتيب من حيث أن لولا حرف امتناع لوجود، فيصير المعنى: أرسلناك إليهم لنزول المصيبة بهم، ووجود قولهم المذكور، وهذا غير صحيح، وتكلف بعضهم الجواب بأن في الكلام حذف المضاف، والتقدير: ولولا كراهة أن تصيبهم... الخ، فالمحقق في الموجود إنما هو كراهة مصيبتهم المترتب عليها قولهم المذكور، فيكون المعنى: أرسلناك إليهم لأجل كراهة أن يصابوا، فيقولوا ما ذكر، وقيل: إن التحقيق أن لولا إنما تدل على أن ما بعدها مانع من جوابها، والمانع قد يكون موجوداً، وقد يكون مفروضاً، وما هنا من الثاني، فلا إشكال فيه، وإن لم يقدر المضاف. انتهى.

﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن

قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

○ الإعراب:

﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ الواو: استئنافية، ولك أن تجعلها عاطفة ليتساوق الكلام، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، ووصّلنا: فعل ماض، مبني على السكون، ونا: ضمير متصل في محل رفع فاعل، ولهم: متعلقان بوصلنا، والقول: مفعول به؛ أي: أتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال؛ ليتصل التذكير، ولعلَّ، واسمها، وجملة يتذكرون: خبر لعلّ، أي: جعلناه متنوعاً؛ يشتمل على الوعد والوعيد، والنصائح، والمواعظ، والقصص؛ لعلهم يتعظون به. ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ الذين: اسم موصول مبتدأ، وجملة آتيناهم: صلة، وآتيناهم: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والكتاب: مفعول به ثان، ومن قبله: حال، وهم: مبتدأ ثان، وبه: جار ومجرور متعلقان بيؤمنون، وجملة يؤمنون: خبر «هم»، وجملة هم به يؤمنون: خبر الذين، وهم أهل الكتاب؛ الذين آمنوا، وكان عددهم أربعين رجلاً، وقيل: ثمانين. ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ ﴾ الواو: عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة يتلى: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ويتلى: فعل مضارع مبني للمجهول، وعليهم: متعلقان بيتلى، ونائب الفاعل: مستتر تقديره هو، يعود على القرآن، وجملة قالوا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة آمنا: مقول القول، وبه: متعلقان بآمنا. ﴿ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان وتعليل ما استدعى إيمانهم به، وإن، واسمها، والحق: خبر

إِنَّ، ومن ربنا: حال، وإنا كنا . . . الخ: كلام مستأنف أيضاً، مسوق لبيان: أَنَّ إيمانهم ليس بدعاً، ولا مستحدثاً، وإنما هو أمر متقادم العهد، وإن، واسمها، وجملة كنا: خبرها، ومن قبله: حال، ومسلمين: خبر كنا؛ لأن الإسلام صفة كل مؤمن مصدق للوحي.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ أولئك: مبتدأ، وجملة يؤتون: خبر، ويؤتون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل، وأجرهم: مفعول به ثان، ومرتين نصب على المصدرية، أو: الظرفية، وبما صبروا: متعلقان بيؤتون، والباء: حرف جر للسببية، وما: مصدرية أي: بسبب صبرهم. ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ويدرؤون: عطف على يؤتون؛ أي: يدفعون، والواو: فاعل، وبالحسنة: متعلقان بيدرؤون، والسيئة: مفعول به، ومما: متعلقان بينفقون، وجملة رزقناهم: صلة، وينفقون: عطف على يدرؤون. ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ الواو: عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة سمعوا: مجرورة بإضافة الظرف إليها، واللغو: مفعول به، وجملة أعرضوا: لا محل لها، وعنه: متعلقان بأعرضوا، وقالوا: عطف على أعرضوا، ولنا: خبر مقدم، وأعمالنا: مبتدأ مؤخر، ولكم أعمالكم: عطف على ما تقدم. ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ سلام: مبتدأ، وساغ الابتداء به؛ لأن فيه معنى الدعاء، وعليكم: خبر، والسلام هنا: سلام توديع ومتاركة، لا سلام تحية ومواصلة، وجملة لا نبتغي الجاهلين: حالية، ولا: نافية، ونبتغي: فعل مضارع، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، والجاهلين: مفعول به. ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان حرصه على إيمان عمه أبي طالب، وإن، واسمها، وجملة لا تهدي: خبرها، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت، ومَنْ: مفعول به، وجملة أحببت: صلة، ولكنَّ الله: الواو: عاطفة، أو: حالية، ولكن، واسمها، وجملة يهدي: خبرها، ومَنْ يشاء: مفعول به، وهو: مبتدأ، وأعلم: خبر، وبالمهتدين: متعلقان بأعلم.

* الفوائـد :

قال الزجاج : أجمع المسلمون على أن هذه الآية : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى . . . ﴾ الخ نزلت في أبي طالب ؛ لما احتضرته الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وقال : يا عم قل : لا إله إلا الله كلمة أحاج بها لك عند الله ، فقال : يا بن أخي قد علمت أنك لصادق ، ولكن أكره أن يقال : جزع عند الموت ، ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضةٌ لقلتها ، ولأقررت بها عينك عند الفراق ؛ لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ، وأنشد :

لـولا المـلامـةُ أو حـذار مسبـةٍ لوجَدْتني سَمْحاً بذاكَ مُبينا
ولقـد علمـتُ بـأنَّ ديـن محمـدٍ مِـنْ خيْـرِ أديـانِ البريَّـةِ دينـا

ولكنِّي سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب ، وهاشم ، وعبد مناف . وهناك روايات أخرى مختلفة لا تخرج عن هذه الفحوى .

﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

○ الإعـراب:

﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ الواو : حرف عطف ، والجملة : معطوفة على ما تقدم ، فهي بمثابة تفريع على قصة أبي طالب ، قالوا : إن الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف أتى النَّبيَّ ﷺ ، فقال له :

إنا نعلم أنك على الحق ولكنَّا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا. وإن: شرطية، ونتبع: فعل الشرط مجزوم، وفاعله: مستتر، تقديره: نحن، والهدى: مفعول به، ومعك: ظرف متعلق بمحذوف حال، ونتخطف: جواب الشرط، وهو فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل: مستتر، تقديره: نحن، ومن أرضنا: متعلقان بنتخطف. ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والواو: عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، وبه يرد عليهم دعواهم التي لا أساس لها من الصحة؛ بأنه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت، وآمن قطانه بحرمته، وسيأتي المزيد من هذا المعنى في باب البلاغة. ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ونمكن: فعل مضارع مجزوم بلم، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، ولهم: متعلقان بنمكن، وحرماً: مفعول به، وآمناً: صفة، وجملة يجبى: صفة ثانية لحرماً، ومعنى بيجبى إليه: يساق، ويحمل إليه، ويجمع لازدهاره، وإليه: متعلقان بيجبى، وثمرات كل شيء: نائب فاعل، ورزقاً: مفعول مطلق لقوله يجبى؛ لأن معنى الجباية والرزق واحد، والمراد: تساق إليه الميرة، وأعربه آخرون: مفعولاً لأجله، وأجازه الزمخشري، وفي النفس منه شيء، ويجوز أن يكون رزقاً مصدراً بمعنى المفعول، فينتصب على الحال من الثمرات لتخصصها بالإضافة، ومن لدنا: صفة لرزقاً، والواو: حالية، أو: عاطفة ولكن أكثرهم: لكن، واسمها، وجملة لا يعلمون: خبرها.

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ يجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً مسوقاً لتخويف أهله من سوء مغبة من كانوا في نعمة فغمطوها، وقابلوها بالبطر، والبطر بفتحتين: النشاط، والأشر، وقلة احتمال النعمة، والدهش، والحيرة، والطغيان بالنعمة، وكراهة الشيء من غير أن يستحق الكراهة، قال في «القاموس»: «وفعل الكل كفرح، وبطر الحق: أن يتكبر عنه فلا يقبله» ويجوز أن يكون معطوفاً على ما قبله ليتساوق الكلام. وكم: خبرية مفعول مقدم لأهلكنا، ومن قرية: تمييز كم الخبرية المجرور بمن، وقد

تقدم تقرير ذلك فجدد به عهداً، وجملة بطرت: صفة لقرية، ومعيشتها: منصوب بنزع الخافض على حد قوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ أي: في معيشتها، وهذا أقرب ما قيل فيه، وأقله تكلفاً، وقال الزجاج: هو نصب على الظرفية الزمانية؛ أي: أيام معيشتها، ويجوز تضمين بطرت معنى خسرت، فتكون معيشتها: مفعولاً به، واقتصر عليه أبو البقاء. ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ فتلك: الفاء: عاطفة، وتلك: مبتدأ، ومساكنهم: خبر، وجملة لم تسكن: يجوز أن تكون خبراً ثانياً، ويجوز أن تكون حالاً، والعامل فيها معنى الإشارة، وإلا: أداة حصر، وقليلاً: ظرف؛ أي: إلا وقتاً قليلاً، فالاستثناء من الظرف، أو: مفعول مطلق، أي: إلا سكنى قليلاً، فالاستثناء من المصدر، ولا مرجح لأحد الوجهين، والواو: عاطفة، أو: حالية، وكنا: كان، واسمها، ونحن: ضمير فصل، أو: عماد، والوارثين: خبر كنا، وسيأتي مزيد من هذا المعنى في باب البلاغة.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان عادة الله تعالى في عباده، وما: نافية، وكان ربك: كان، واسمها، ومهلك القرى: خبرها، وحتى: حرف تعليل وجر، ويبعث: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى، والفاعل: مستتر يعود على الله، وفي أمها: متعلقان بيبعث، ورسولاً: مفعول به، وجملة يتلو: صفة لرسولاً، وعليهم: متعلقان بيتلو، وآياتنا: مفعول به، والمراد بأمها: أعظمها، والتعميم هنا خير من تخصيصها بمكة. ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وكان، واسمها، ومهلكي القرى: خبرها، وإلا: أداة حصر، والواو: حالية، وأهلها: مبتدأ، وظالمون: خبر، والجملة: حالية، فالاستثناء من أعم الأحوال، أي: وما كنا نهلكهم في حال من الأحوال إلا في حال كونهم ظالمين. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ﴾ الواو: عاطفة، أو:

استئنافية، وما: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، وأوتيتم: فعل ماض مبني للمجهول، وهو في محل جزم فعل الشرط، والتاء: نائب فاعل، ومن شيء: حال مبينة لمن، والفاء: رابطة للجواب، ومتاع: خبر لمبتدأ محذوف، والحياة مضاف إليه، والدنيا: صفة، وزينتها: عطف على متاع، والجملة: في محل جزم جواب الشرط، والفعل والجواب: خبر ما. ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ الواو: حالية، وما: اسم موصول مبتدأ، وعند الله: ظرف متعلق محذوف صلة للموصول، وخير: خبر، وأبقى: عطف على خير، والهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء: عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، ولا: نافية، وتعقلون: فعل مضارع مرفوع وفاعل.

□ البلاغة:

الإسناد المجازي:

في قوله ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ إسناد مجازي؛ لأنَّ المراد أهل الحرم، وقد تقدم بحثه كثيراً ومثله: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ﴾ المراد أهلها، بدليل قوله فيما بعد: ﴿فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ﴾ أي: لقد زهوا بها حيناً من الدهر، وغرتهم الأماني، وأبطرتهم النعمة، وكان ديدنهم ديدن المترفين الرافلين في حلل السعادة، فما عتموا أن فنوا، وطوتهم الأيام، وبقيت آثارهم شواخص، أطلالاً باهتة، ورسوماً محيلة، تهزأ بهم، وتدل الآخرين على أفن رأيهم وطيش أحلامهم. وقد رمق المتنبي سماء هذه البلاغة العالية في قصيدته الخالدة التي رثى بها أبا شجاع فاتكاً فقال بيته المشهور:

تتخلفُ الآثــارُ عن أصحــابها حينــاً ويــدْرِكُهــا الفنــاءُ فتتبــعُ

يريد: أنَّ الآثار، وهي البنيان، تبقى بعد أربابها؛ لتدل على تمكنهم، وقوتهم، وسطوتهم، ثم ينالها بعدهم ما نالهم من الفناء، وأن الخراب سيدركها، فتذهب الآثار كما ذهب المؤثرون لها، فهذه هي عادة الدنيا بأهلها، وهذا هو المعهود من تصاريفها، ويحسن بنا أن نورد لك نخبة مختارة من هذه القصيدة جرياً على شرطنا في هذا الكتاب:

الحزنُ يقلقُ والتَّجملُ يردعُ والدَّمعُ بينهما عصيٌّ طيِّعُ
يتنازعانِ دموعَ عيدٍ مسَهَّدٍ هذا يجيءُ بها وهذا يرجعُ
النَّومُ بعد أبي شجاع نافرٌ والليلُ معي والكواكبُ ظلَّعُ

قال ابن جني «لو كان الليل والكواكب مما يؤثر فيهما حزن لأثر فيهما موته» وقال الخطيب: «إنما أراد: أن الليل طويل لفقده فالليل معي والكواكب ظلع ما تسير» وقال الواحدي «النوم بعده لا يألف العين، فلا تنام حزناً عليه، والليل من طوله كأنه قد أعيا عن المشي، فانقطع، والكواكب كأنها ظالعة لا تقدر أن تقطع الفلك فتغرب، كل هذا يصف به ليله بعده من الحزن عليه» وقال الواحدي: «وتوفي أبو شجاع فاتك بمصر ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ٣٥٠هـ».

ومضى أبو الطيب يقول:

إنِّي لأجبُنُ عَنْ فراقِ أحبَّتي
وتحسُّ نفسي بالحمام فأشجعُ
ويزيدني غضبُ الأعادي قسوةً
ويُلم بي عتبُ الصَّديق فأجْزَعُ
تصفو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ
عمَّا مضى منها وما يُتوقَّعُ
ولمنْ يغالطُ في الحقائق نَفْسَه
ويسومُها طلبُ المحالِ فتطمعُ
أين الذي الهَرَمانِ من بُنيانِه
ما قومُه؟ ما يومُه؟ ما المصْرَعُ؟

تتخلف الآثار... البيت.

﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ

يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَـٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾

○ الإعراب:

﴿ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والفاء: عاطفة لترتيب إنكار التساوي بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين الجانبين، ومَنْ: اسم موصول مبتدأ، وجملة وعدناه: صلة، وكمن: خبرها، ووعدناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، ووعداً: مفعول مطلق، وحسناً: صفة، والفاء: عاطفة، وهو: مبتدأ، ولاقيه: خبر، والكاف: اسم بمعنى مثل خبر، أو: جار ومجرور في موضع الخبر، وجملة متعناه: صلة من، ومتاع الحياة الدنيا: مفعول مطلق، وثم: حرف عطف، وهو: مبتدأ، ويوم القيامة: ظرف متعلق بالمحضرين، ومن المحضرين: خبر هو، وللزمخشري كلام مفيد في تحليل هذه الآية من الناحية الإعرابية نورده فيما يلي:

«فإن قلت: فسر لي الفاءين، وثم، وأخبرني عن مواقعها. قلت: قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحياة الدنيا، وما عند الله، وتفاوتهما، ثم عقبه بقوله: أفمن وعدناه على معنى: أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوّي بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا، فهذا معنى الفاء الأولى، وبيان موقعها، وأما الثانية: فللتسبيب؛ لأن لقاء الموعود مسبّب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير، وأما ثم: فلتراخي حال الإحضار عن حال التمتيع لا لتراخي وقته عن وقته».

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ الظرف: متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، والكلام مستأنف، وجملة يناديهم مجرورة

بإضافة الظرف إليها، والفاعل: مستتر، تقديره: هو، يعود على الله، والهاء: مفعول به، والقصد من هذا النداء: التوبيخ، والتقريع. فيقول: عطف على يناديهم. وأين: اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم، وشركائي: مبتدأ مؤخر، والذين: صفة لشركائي، وجملة كنتم: صلة الذين، وكان، واسمها، وجملة تزعمون: خبرها، ومفعولا تزعمون: محذوفان، تقديرهما: تزعمونهم شركائي، وسيأتي في باب الفوائد ذكر حذف مفعولي ظننت وأخواتها. وجملة أين شركائي: مقول القول.

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ كلام مستأنف مسوق للإجابة عن سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا صدر عنهم حينئذ؟ وقال الذين: فعل، وفاعل، وجملة حق عليهم: صلة، والقول: فاعل، وربنا: منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، وهؤلاء: مبتدأ، والذين: صفة لهؤلاء، وجملة أغوينا: صلة، وجملة أغويناهم: خبر هؤلاء، وكما أغوينا: نعت لمصدر محذوف؛ أي: أغويناهم فغووا غياً مثل ما غوينا، وقد جرينا في هذاالإعراب على ما أعربه الزمخشري، وأبو حيان.

﴿ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ الجملة مفسرة مقررة لما قبلها، وتبرأنا: فعل ماض، وفاعل، وإليك: متعلقان بتبرأنا، وما: نافية، وكان، واسمها، وإيَّانا: مفعول مقدم ليعبدون، وجملة يعبدون: خبر كانوا. وأجاز أبو البقاء أن تكون ما مصدرية، والمصدر منصوب بنزع الخافض؛ أي: مما كانوا يعبدون؛ أي: من عبادتهم إيانا، ولا أرى داعياً لهذا التكلف؛ لأن المعنى: ما كانوا يعبدوننا، وإنما كانوا يعبدون أهواءهم، ويسترسلون مع شهواتهم. ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ ﴾ الواو: عاطفة، وقيل: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل: مستتر، تقديره: هذا القول تهكماً بهم، وتبكيتاً لهم، وادعوا: فعل أمر، وفاعله، وشركاءكم: مفعول به، فدعوهم: الفاء: عاطفة، ودعوهم: فعل ماض، وفاعل،

ومفعول به، والفاء: عاطفة، ويستجيبوا: فعل مضارع مجزوم بلم، والواو: فاعل، ولهم: متعلقان بيستجيبوا. ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾ الواو: عاطفة، ورأوا العذاب: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، ولو: شرطية، وإنَّ، وما بعدها: فاعل لفعل محذوف؛ أي: لو ثبت كونهم مهتدين في الدنيا لما رأوا العذاب في الآخرة، وإنَّ، واسمها، وجملة كانوا: خبرها، وكان واسمها، وجملة يهتدون: خبرها.

* الفوائـد:

يجوز بإجماع النحاة حذف مفعولي ظننت وأخواتها من أفعال القلوب اختصاراً لدليل يدل عليهما، نحو: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ وقول الكميت يمدح آل البيت:

بــأيِّ كتــابٍ أَمْ بــأيــةِ سنَّــةٍ ترى حُبَّهم عاراً عليَّ وتحسبُ

فحذف في الآية مفعولا تزعمون، وفي البيت مفعولا تحسب لدليل ما قبلهما عليهما؛ أي: تزعمونهم شركاء، وتحسب حبَّهم عاراً عليَّ، وأما حذف أحدهما اختصاراً لدليل: فقد أجازه الجمهور، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ﴾ تقديره: ولا يحسبن الذين يبخلون ما يبخلون به هو خيراً لهم؛ فحذف المفعول الأول للدلالة عليه، وكقول عنترة:

ولقد نزلتِ فلا تظنِّي غَـيْـرَهُ منِّي بمنزلةِ المُحَبِّ المُكْرَمِ

تقديره: فلا تظني غيره مني واقعاً، فحذف المفعول الثاني، والتاء في نزلت مكسورة، والحاء والراء من المحب المكرم مفتوحتان.

وفي الباب الخامس من «المغني» بيان أنه قد يظن الشيء من باب الحذف وليس منه؛ جرت عادة النحويين أن يقولوا: يحذف المفعول اختصاراً، واقتصاراً، ويريدون بالاختصار: الحذف لدليل، وبالاقتصار: الحذف لغير دليل. ويمثلونه بنحو: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ أي: أوقعوا هذين الفعلين، وقول العرب فيما يتعدى إلى اثنين: من يسمع يخل؛ أي: تكن منه خيلة. والتحقيق

أن يقال: إنه تارةً يتعلق الغرض بالإعلام بمجرد وقوع الفعل، من غير تعيين من أوقعه، أو من أوقع عليه، فيجاء بمصدره مسنداً إلى فعل كون عام، فيقال: حصل حريق أو نهب. وتارة يتعلق بالإعلام بمجرد إيقاع الفاعل للفعل، فيقتصر عليهما، ولا يذكر المفعول، ولا ينوى؛ إذ المنويُّ كالثابت، ولا يسمى محذوفاً؛ لأن الفعل ينزل لهذا القصد بمنزلة ما لا مفعول له، ومنه: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ و﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ إذ المعنى: ربي الذي يفعل الإحياء والإماتة. وهل يستوي من يتصف بالعلم ومن ينتفي عنه العلم. وأوقعوا الأكل والشرب وذروا الإسراف. وإذا حصلت منك رؤية هنالك. ومنه على الأصح: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ. . .﴾ الآية، ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام إنما رحمهما؛ إذ كانتا على صفة الذياد، وقومهما على السقي، لا لكون مذودهما غنماً، ومسقيهم إبلاً، وكذلك المقصود من قولهما: ﴿لَا نَسْقِي﴾ لا المسقي، ومن لم يتأمل قدّر: يسقون إبلهم، وتذودان غنمهما، ولا نسقي غنماً. وتارة يقصد إسناد الفعل إلى فاعله، وتعليقه بمفعوله، فيذكران نحو: ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ وقولك: ما أحسن زيداً. وهذا النوع إذا لم يذكر مفعوله قيل: محذوف، نحو: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ وقد يكون في اللفظ ما يستدعيه فيحصل الجزم بوجوب تقديره، نحو: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ و:

حَمَيْتَ حِمى تِهامةَ بَعْدَ نَجْدٍ وما شَيءٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَباحِ

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ

وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

○ الإعـراب:

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ كلام معطوف على ما قبله، فقد سئلوا أولاً عن إشراكهم، وسئلوا ثانياً عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك، فيقول: عطف على يناديهم، وماذا: اسم استفهام بكاملها في محل نصب مفعول مطلق، لا مفعول به؛ لأن أجاب لا يتعدى إلى الثاني بنفسه بل بالباء، وإسقاط الجار ليس بقياس، والمعنى: أجبتموهم أي إجابة، والمرسلين: مفعـول بـه لأجبتـم. ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ الفاء: عاطفة، وعميت عليهم الأنباء: فعل، وفاعل، وسيأتي بحث إسناد العمى للأنباء في باب البلاغة، ويومئذٍ: ظرف أضيف إلى مثله، والتنوين في يومئذٍ: عوض عن جملة، أي: يوم إذ نودوا؛ وقيل لهم: ماذا أجبتم المرسلين، فهم: الفاء: عاطفة، وهم: مبتدأ، وجملة لا يتساءلون: خبر. ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان حال المؤمنين بعد بيان حال الكافرين، وأما: حرف شرط وتفصيل، ومن: اسم موصول مبتدأ، وجملة تاب: صلة، وعمل صالحاً: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، أو مفعول مطلق، أي: عمل عملاً صالحاً، والفاء: رابطة، وعسى: فعل ماض جامد من أفعال الرجاء التي تعمل عمل كان، واسمها: مستتر، تقديره: هو، وأن وما في حيزها: خبرها، والرجاء من الكرام بمثابة التحقيق، أو يكون الرجاء على بابه، ولكنه من قبل التائب، ومن المفلحين: خبر يكون. ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الواو: استئنافية، وربك مبتدأ، وجملة يخلق: خبر، وما: مفعول به، ويشاء: صلة، ويختار: عطف على يخلق، وما: نافية، وكان: فعل ماض ناقص، ولهم: خبرها المقدم، والخيرة: اسمها المؤخر، والجملة مفسرة لأنها مقررة لما قبلها، ويجوز

أن تكون مستأنفة، وقيل: إنَّ ما: مصدرية، أي: يختار اختيارهم، والمصدر: واقع موقع المفعول، أي: مختارهم، وقيل: إنَّ ما: موصولة بمعنى الذي، والعائد: محذوف، أي: ما كان لهم الخيرة فيه، وقيل أيضاً: إن كان: تامة، وجملة لهم الخيرة: كلام مستأنف، وسبحان الله: مفعول مطلق لفعل محذوف، وتعالى: فعل ماض، وفاعله: هو، وعما: متعلقان بتعالى، وجملة يشركون: صلة.

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ الواو: عاطفة، ورب: مبتدأ، وجملة يعلم: خبر، وما: مفعول به، وتكن: صلة، وصدورهم: فاعل، وما: عطف على ما الأولى، وجملة يعلنون: صلة. ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ وهو: مبتدأ، والله: خبر، وجملة لا إله إلا هو خبر ثان، وقد تقدم إعراب كلمة التوحيد والاختلاف فيها، وله: خبر مقدم، والحمد: مبتدأ مؤخر، والجملة: خبر ثالث، وفي الأولى: حال، والآخرة: عطف على الأولى، وإليه: متعلقان بترجعون، وترجعون: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، والواو: نائب فاعل.

□ البلاغة:

١ ـ إسناد العمى إلى الأنباء مجاز عقلي، وقد تقدم كثيراً، والمراد: أن الأنباء صارت كالعمى لا تهتدي إليهم، وقيل: إنَّه من باب القلب، وإنَّ أصله: فعموا عن الأنباء، والقلب ـ كما تقدم ـ من محسنات الكلام.

٢ ـ الإدماج:

في قوله: ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ الإدماج، وحدُّه: أن يدمج المتكلم إما غرضاً في غرض، أو بديعاً في بديع؛ بحيث لا يظهر في الكلام إلا أحد الغرضين، أو أحد البديعين، والأخر مدمج في الغرض الذي هو موجود في الكلام، فإن هذه الآية أدمجت فيها المبالغة في المطابقة؛ لأن انفراده سبحانه

بالحمد في الآخرة، وهي الوقت الذي لا يحمد فيه سواه مبالغة في وصف ذاته بالانفراد، والحمد، وهذه وإن خرج الكلام فيهما مخرج المبالغة في الظاهر فالأمر فيها حقيقة في الباطن؛ لأنه أولى بالحمد في الدارين، ورب الحمد، والشكر، والثناء الحسن في المحلين حقيقة، وغيره من جميع خلقه إنما يحمد في الدنيا مجازاً، وحقيقة حمده راجعة إلى ولي الحمد سبحانه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿سَرْمَدًا﴾: السرمد: الدائم المتصل، وقد اختلف العلماء في اشتقاقه، فقيل: هو من السرد، وهو المتابعة، والميم مزيدة، ووزنه: فعمل، كما في: دلامص من الدلاص، يقال: درع دلاص، أي: ملساء متينة، وهذا ما رجحه الزمخشري وغيره، واختار صاحب «القاموس» وبعض النحاة: أن الميم أصلية، ووزنه: فعلل؛ لأن الميم لا تنقاس زيادتها في الوسط والآخر.

○ **الإعراب:**

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الهمزة: للاستفهام، ورأيتم: فعل، وفاعل، أي: أخبروني، وإن: شرطية، وجعل الله عليكم: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والله: فاعل، وعليكم:

حال، والليل: مفعول جعل الأول، وسرمداً: مفعوله الثاني، وإلى يوم القيامة: صفة لسرمداً، وقد علقت أرأيتم عن العمل بسبب الاستفهام، وجواب الشرط: محذوف، يقدر بما يقتضيه السياق، وتقديره: فأخبروني. ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ الجملة الاستفهامية: في محل نصب مفعول أرأيتم، ومن: اسم استفهام مبتدأ، وإله: خبر، وغير الله: صفة إله، وجملة يأتيكم: صفة ثانية لإله، وبضياء: جار ومجرور متعلقان بيأتيكم، أفلا: الهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والفاء: عاطفة على محذوف مقدر، ولا: نافية، وتسمعون: فعل مضارع، والواو فاعل. ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ تقدم إعرابها. ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ من رحمته: خبر مقدم، وجعل لكم: مؤول بمصدر بتقدير أن: مبتدأ مؤخر، وهو كثير في كلامهم، ومنه المثل: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. وجعل: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، ولكم: مفعول جعل الثاني، والليل: مفعول جعل الأول، والنهار: عطف على الليل، وزاوج بينهما لنكتة سيرد تفصيلها في باب البلاغة، ولتسكنوا: اللام: للتعليل، وتسكنوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والواو: فاعل، وفيه: متعلقان بتسكنوا، ولتبتغوا من فضله: عطف على لتسكنوا، ولعلكم: لعل، واسمها، وجملة تشكرون: خبرها. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ تقدم إعرابها بلفظها قريباً، فجدد به عهداً. ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ الواو: عاطفة، ليتساوق الكلام، ونزعنا: فعل، وفاعل، أي: أخرجنا، ومن كل أمة: متعلقان بنزعنا، وشهيداً: مفعول به، فقلنا: عطف على نزعنا، وجملة هاتوا: مقول القول، وهاتوا: فعل أمر، وفاعل، وبرهانكم: مفعول به. ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وعلموا: فعل ماض، وفاعل، وأنَّ وما في حيزها: سدت مسد مفعولي علموا، وأنَّ، واسمها، ولله: خبرها، وضل:

فعل ماض، وعنهم: متعلقان بضل، وما: فاعل، وجملة كانوا: صلة، وكان، واسمها، وجملة يفترون: خبرها.

□ البلاغة:

١ ـ المناسبة:

في قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا ﴾ إلى قوله ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ فن المناسبة وهي ضربان: مناسبة في المعاني، ومناسبة في الألفاظ، فالمعنوية: هي أن يبتدىء المتكلم بمعنى، ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ، فإنه سبحانه لما أسند جعل الليل سرمداً إلى يوم القيامة لنفسه، وهو القادر الذي جعل الشيء لا يقدر غيره على مضادته قال: ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ لمناسبة السَّماع للطرف المظلم من جهة صلاحية الليل للسماع دون الإبصار، لعدم نفوذ البصر في الظلمة، ولما أسند جعل النهار سرمداً إلى يوم القيامة لنفسه؛ كأن لم يخلق فيه ليل البتة قال في فاصلة هذه الآية: ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ لمناسبة ما بين النهار والإبصار.

أما المناسبة اللفظية: فسيأتي حديثها في هذا الكتاب.

٢ ـ اللف والنشر:

اللف والنشر في قوله: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ وقد تقدم بحث هذا الفن، وذكرنا: أنَّه عبارة عن ذكر متعدد على وجه التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحدٍ من المتعدد من غير تعيين، ثقة بأنَّ السامع يميز ما لكل واحد منها، ويرده إلى ما هو له، فقد زاوج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة أولها: لتسكنوا في أحدهما، وهو الليل، ولتبتغوا من فضله في ثانيهما، وهو النهار، ولإرادة شكركم، وهذا من أطرف ما يتفنن به المتكلم نثراً أو شعراً.

٣ ـ صحة المقابلات:

وفي هذه الآية أيضاً فن عرفوه بأنه صحة المقابلات، وهو عبارة عن توخي

المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى في صدره بأشياء قابلها في عجزه بأضدادها، أو بأغيارها، من المخالف والموافق على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني، ولا يخرم من ذلك شيئاً في المخالف والموافق، ومتى أخل بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة، وهذه الآية من معجز هذا الباب، فقد جاء الليل والنهار في صدر الكلام، وهما ضدان، وجاء السكون والحركة في عجزه، وهما ضدان، ومقابلة كل طرف منه بالطرف الآخر على الترتيب، وعبر سبحانه عن الحركة بلفظ الإرداف، فاستلزم الكلام ضرباً من المحاسن زائداً على المقابلة، والذي أوجب العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل: كون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة، وابتغاء الفضل حركة للمصلحة دون المفسدة، وهي اشتراك الإعانة بالقوة، وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل، وسلامة الحسّ، ويستلزم إضاءة الطرف الذي تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه؛ ليهتدي المتحرك إلى بلوغ المآرب، ووجوه المصالح، ويتقي أسباب المعاطب، والآية سيقت للاعتداد بالنعم، فوجب العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ هو ردفه وتابعه؛ ليتم حسن البيان، فتضمنت هذه الكلمات التي هي بعض آية عدة من المنافع والمصالح؛ التي لو عددت بألفاظها الموضوعة لها لاحتاجت في العبارة عنها إلى ألفاظ كثيرة فحصل بهذا الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن، ألا تراه سبحانه جعل العلة في وجود الليل والنهار حصول منافع الإنسان حيث قال: ﴿لِتَسْكُنُوا۟﴾ و﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ بلام التعليل، فجمعت هذه الكلمات المقابلة، والتعليل، والإشارة، والإرداف، والإئتلاف، وحسن النسق، وحسن البيان لمجيء الكلام فيها متلاحماً، آخذة أعناق بعضه بأعناق بعضه، ثم أخبر بالخبر الصادق: أنَّ جميع ما عدده من النعم التي هي من لفظي الإشارة والإرداف بعض رحمته، حيث قال بحرف التبعيض: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ وكل هذا في بعض آية عدتها إحدى عشرة لفظة، فالْحَظْ هذه البلاغة الظاهرة والفصاحة المتظاهرة.

٤ ـ التفسير:

وفي قوله: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فن التفسير وهو أن تذكر أشياء، ثم تفسرها بما يناسبها، ومنه قول ابن حيوس:

ومقرطق يُغني النديمَ بوجههِ عَنْ كأسهِ الملأى وَعَنْ إبريقهِ

فعلُ المُدامِ ولونُها ومَذاقُها في مُقْلتَيْهِ ووجْنَتَيْهِ وريْقهِ

﴿۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ أي: تنوء بها العصبة أن تتكلف النهوض بها، وسيأتي

مزيد عن القلب في هذا التعبير في باب البلاغة، يقال: ناء، ينوء، نوءاً وتَنْواء: نهض بجهد ومشقة، وناء به الحمل: أثقله، وأماله، وناء النجم: سقط في المغرب مع الفجر، وطلع آخر يقابله من ساعته في المشرق، وفي «المصباح»: «وناء، ينوء، نوءاً، مهموز، من باب قال: نهض» وفي «القاموس»: ناء بالحمل: نهض متثاقلاً، وناء به الحمل: أثقله، وأماله، كأناءه، وناء فلان: أثقل، فسقط، ضد.

(المفاتح): جمع مفتاح، وكان حقه أن يجمع على مفاتيح، ولكن هذه الياء قد تحذف، كما أنهم قد يجتلبون ياء في الجمع الذي لا ياء فيه، وقيل: إن مفاتحه: جمع مفتح، فلا حذف فيه.

○ الإعـراب:

﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ كلام مستأنف، مسوق لذكر قصة قارون، وما تنطوي عليه من عظات وعبر، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، وقارون: اسمها، وهو علم أعجمي، مثل: هارون، ولم ينصرف للعلمية والعجمة، ولو كان فاعولاً من: قرن، لانصرف، وستأتي قصته قريباً؛ وجملة كان: خبر إن، واسم كان: مستتر، يعود على قارون، ومن قوم موسى: خبر كان، أي: ابن عمه، أو ابن خالته، وآمن به، كما سيأتي. ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ الفاء: عاطفة، وبغى: فعل ماض، وفاعله: مستتر، يعود على قارون، وعليهم: متعلقان ببغى، وآتيناه: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، ومن الكنوز: متعلقان بآتيناه، وما: اسم موصول مفعول به ثان لآتيناه، وإنَّ، حرف مشبه بالفعل، ومفاتحه: اسم إنَّ، ولتنوء: اللام: المزحلقة، وتنوء: فعل مضارع، وفاعله: مستتر تقديره هي، يعود على المفاتح، جمع: مفتح بالكسر، وهو ما يفتح به، والجملة: خبر إن، وجملة إن مفاتحه لتنوء بالعصبة: لا محل لها؛ لأنها صلة، وبالعصبة: متعلقان بتنوء، وأولي القوة: صفة للعصبة. ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ الظرف: متعلق بتنوء، وقيل: باذكر مضمراً، وقال أبو البقاء:

«ظرف لآتيناه، ويجوز أن يكون ظرفاً لفعل محذوف، دل عليه الكلام، أي: بغى إذ قال له قومه» وجملة قال: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وله متعلقان بقال، وقومه: فاعل، وجملة لا تفرح: مقول القول، ولا: ناهية، وتفرح: فعل مضارع مجزوم بلا، وفاعل تفرح: مستتر، تقديره: أنت، وجملة إن الله: تعليل للنهي، وسيأتي سر هذا التعليل في باب البلاغة، وإنَّ، واسمها، وجملة لا يحب الفرحين: خبرها.

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ الواو: عاطفة، وابتغ: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وفي: حرف جر، وما: مصدرية، أو موصولية، والجار والمجرور: متعلقان بمحذوف حال، أي: متقلباً فيما آتاك، ومعنى «في» هنا: السببية، وجملة آتاك الله: لا محل لها، وآتاك الله: فعل ماض، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، والدار: مفعول ابتغ، والآخرة: صفة للدار، ولا تنس: لا: ناهية، وتنس: فعل مضارع مجزوم بلا، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، ونصيبك: مفعول به، ومن الدنيا: متعلقان بمحذوف على أنه حال، والنصيب: ما يكفيك، ويسد حاجتك، ويصلح أمورك، وسيأتي مزيد بحث من النصيب، والمراد منه في باب البلاغة. ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ الواو: عاطفة، وأحسن: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وكما: نعت لمصدر محذوف، أي: إحساناً مثل الإحسان الذي أحسن الله به إليك، وإليك: متعلقان بأحسن، ولا تبغ الفساد: عطف على ما تقدم، وفي الأرض: متلعقان بالفساد، أو بتبغ، وجملة إنَّ الله: تعليل للنهي المتقدم، وإنَّ، واسمها، وجملة لا يحب المفسدين: خبرها. ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ ﴾ استئناف مسوق للإجابة عن قولهم: إن ما عندك تفضل وإنعام من الله، فأنفق منه شكراً لمن أنعم به عليك. وإنما: كافة ومكفوفة، وأوتيته: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء: نائب فاعل، والهاء: مفعول به ثان،

وعلى علم: في موضع الحال من نائب الفاعل في أوتيته، وعندي: ظرف متعلق بمحذوف صفة لعلم، أي: إنما أوتيته حال كوني متصفاً بالعلم الذي عندي. قالوا: لم يكن في بني إسرائيل أعلم منه بالتوراة بعد موسى وهارون. ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والواو عاطفة على مقدر دخلت عليه الهمزة؛ أي: أعلم ما ادعاه أو لم يعلم، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويعلم: فعل مضارع مجزوم بلم، وفاعله ضمير مستتر، تقديره: هو، يعود على قارون، وأنَّ، وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلم، وأنَّ، واسمها، وجملة قد أهلك: خبرها، وفاعل أهلك: ضمير مستتر، تقديره: هو، يعود على الله، ومن قبله: متعلقان بأهلك، ومن القرون: حال من ﴿ مَنْ هُوَ أَشَدُّ ﴾ مقدمة عليه، ومَنْ: اسم موصول مفعول به لأهلك، وهو: مبتدأ، وأشد: خبر، والجملة: صلة الموصول، وقوة: تمييز، ومنه: متعلقان بأشد، وأكثر جمعاً: عطف على ﴿ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً ﴾.

﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ الواو: عاطفة، لتربط الجملة بما قبلها على سبيل التهديد والوعيد؛ أي: إن الله مطلع على ذنوب المجرمين، لا يحتاج إلى سؤال عنها، ولا: نافية، ويسأل: فعل مضارع مبني للمجهول، وعن ذنوبهم: متعلقان بيسأل، والمجرمون: نائب فاعل. ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ الفاء: عاطفة على ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ وما بينهما اعتراض، وعلى قومه: متعلقان بخرج، وفي زينته: متعلقان بمحذوف حال، أي: متبختراً في زينته، متقلباً في تعاجيبه، وسيأتي وصف مسهب للزينة التي خرج حالياً بها. ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لبيان الشعور الذي خالج المؤمنين والكافرين على السواء؛ عندما رأوا هذا النعيم المتدفق، والرواء العجيب جرياً على ديدن البشر من تمني المناعم. وقال الذين: فعل وفاعل، وجملة يريدون: صلة، والحياة: مفعول به، والدنيا: صفة للحياة، ويا: حرف نداء، والمنادى محذوف، وليت: حرف تمن ونصب، ولنا: خبرها، ومثل:

اسمها المؤخر، وما: اسم موصول مضاف إليه، وجملة أوتي: صلة، وهو فعل ماض مبني للمجهول، وقارون: نائب فاعل، وهذا التمني على سبيل الغبطة، وهي أن يتمنى الإنسان مثل نعمة صاحبه من غير أن يتمنى زوالها منه، أما الحسد: فهي تمني النعمة التي يتمتع بها المحسود وزوالها عنه. وفي الحديث: «قيل لرسول الله ﷺ: هل يضر الغبط؟ فقال: لا إلا كما يضرّ العضاة الخبط» والعضاة: كل شجر يعظم فيه شوك، والخبط: ضرب الشجرة بالعصا ليسقط ورقها. وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وذو حظ: خبرها: وعظيم: صفة لحظ. والحظ: البخت، والجَدُّ، يقال: رجل مبخوت، ومجدود، كما يقال: فلان ذو حظ، وحظيظ، ومحظوظ، وما الدنيا إلا أحاظٍ قسِّمت وجدود.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ﴾ وقال الذين: فعل، وفاعل، وجملة أوتوا العلم: صلة، وويلكم: مفعول لفعل محذوف على سبيل الردع، أي: ألزمكم الله ويلكم. ﴿ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ ثواب الله: مبتدأ، وخير: خبر، ولمن: متعلقان بخير، وجملة آمن: صلة، وعمل صالحاً: عطف على آمن، والواو: عاطفة، ولا: نافية، ويلقاها: فعل مضارع مبني للمجهول، والهاء: مفعول به ثان، وإلا: أداة حصر، والصابرون: نائب فاعل مؤخر، وهو المفعول الأول، والضمير يعود على الإثابة، أو الأعمال الصالحة. ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ الفاء: هي الفصيحة، أي: إن شئت أن تعلم مصيره، وما آل إليه أمره، وخسفنا: فعل وفاعل، وبه: متعلقان بخسفنا، وبداره: عطف على به، والأرض: مفعول به، والخسف له معان كثيرة، منها خسف المكان، يخسف، خسوفاً، من باب: ضرب، أي: ذهب في الأرض، وغرق، وخسف القمر: ذهب ضوءه، وخسفت العين: ذهب ضوءها، وغابت، وخسف في الأرض، وخسف به فيها: غاب، وفي حديث ابن عباسٍ، وأبي هريرة بسند ضعيفٍ عن النبي ﷺ: «من لبس ثوباً جديداً فاختال فيه خسف به من شفير جهنم، فهو

يتجلجل فيها، لا يبلغ قعرها» قال في «فتح الباري»: «إنَّ مقتضى الحديث: أن الأرض لا تأكل جسده، فيمكن أن يلغز، ويقال لنا: كافر لا يبلى جسده بعد الموت، وهو قارون» وفي «القاموس»: التجلجل: السوخ في الأرض، والتحرك، والتضعضع، والجلجلة: التحريك». ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وما: نافية، وكان: فعل ماض ناقص، وله: خبرها المقدم، ومن: حرف جر زائد، وفئة: مجرور لفظاً بمن، مرفوع محلاً على أنه اسم كان، وجملة ينصرونه: صفة لفئة، أو هي خبر كان، وله: متعلقان بمحذوف حال، ويجوز أن تكون كان: تامة، وفئة: فاعل كان، ومن دون الله: حال من فئة، وما: نافية، وكان: فعل ماض ناقص، واسمها: مستتر، تقديره هو، يعود على قارون، ومن المنتصرين: خبر كان. ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ﴾ الواو: عاطفة، وأصبح: فعل ماض ناقص، والذين: اسمها، وجملة تمنوا: صلة، ومكانه: مفعول به، وبالأمس: متعلقان بتمنوا، وجملة يقولون: خبر أصبح، ويجوز أن تكون أصبح: تامة، والذين: هو الفاعل، وجملة يقولون: في محل نصب على أنها حال، أي: قائلين. ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ وي: فيه مذاهب، نختار منها واحداً، وسنورد الباقي في باب الفوائد، فهي اسم فعل مضارع معناه: أتعجب، والكاف حرف جر، وأنَّ: حرف مشبه بالفعل، وهي مع ما في حيزها في محل جر بالكاف، والجار والمجرور: متعلقان بوي، ومعنى الكاف هنا: التعليل، لا التشبيه، والله: اسمها، وجملة يبسط الرزق: خبر أنَّ، والرزق: مفعول به، ولمن: متعلقان بيبسط، وجملة يشاء: صلة، ومن عباده: حال، ويقدر: عطف على يبسط. ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ لولا: حرف امتناع لوجود، متضمن معنى الشرط، وأن وما في حيزها: مصدر مؤول مرفوع بالابتداء، والخبر: محذوف وجوباً، ومنّ الله: فعل، وفاعل، وعلينا: متعلقان بمنّ، واللام: واقعة في جواب لولا، وجملة خسف بنا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ومفعول خسف: محذوف، أي: الأرض.

﴿وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ تقدم إعرابها، وسيأتي المزيد منه قريباً، وهو تأكيد لما قبله.

□ البلاغة:

١ ـ القلب:

في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ في هذا التعبير فن القلب، وقد تقدم القول فيه، والأصل: لتنوء العصبة بالمفاتح، أي: لتنهض بها بجهد، قال أبو عبيد: هو كقولهم: عرضت الناقة على الحوض، وأصله: عرضت الحوض على الناقة، وقول حسان بن ثابت:

كـأنَّ سبيئـةً مـن بيـتِ رأسٍ   يكـونُ مـزاجَهـا عسـلٌ ومـاءُ
على أنيـابهـا أو طَعْـمُ غـضٍّ   مـن التُّفـاح هصَّـرَه اجتِنَـاءُ

ويروى: كأنَّ سلافةً، والسلافة: أول ما يسيل من ماء العنب. أما سبيئة فمعناه: مشتراة، يقال: سبأ الخمر، كنصر: إذا اشتراها، ويروى أيضاً: خبيئة؛ أي: مصونة في الخابية، وبيت رأس: قرية بالشام اشتهرت بجودة الخمر، وقد وقع بين صاحب «القاموس» وصاحب «الصحاح» خلاف بين سبيئة، فقال صاحب «القاموس»: وقد وهم الجوهري وإنما سبى الخبر، سبياً، وسِباء: حملها من بلد إلى بلد. ومزاجها: خبر يكون مع أنه معرفة، وعسل: اسمها مع أنه نكرة، وكانَّ القياس العكس، فقلب الكلام، وتأوله الفارسي: بأن انتصاب مزاجها على الظرفية المجازية، وروي برفع الكلمات الثلاث، على أن اسم كان: ضمير الشأن، وجملة يكون: صفة سبيئة، وعلى أنيابها في البيت الثاني: خبر كأن المشددة، والمزاج ما يمزج به غيره، والمراد بالأنياب: الثغر كله، فهو مجاز، والغضُّ: الطري، الرطب، وهو صفة لموصوف محذوف، أي: طعم عضن غض، والهصر: عطف الغصن، وإمالته إليك من غير إبانة، لتجني ثمره، والتهصير: مبالغة فيه، يروى: جناء بدل اجتناء، وهو الجنى بالقصر، ومدّه هنا ضرورة، وإسناده التهصير إلى الاجتناء مجاز عقلي، من باب الإسناد للسبب، شبّه ريقها بالخمر الجيدة

وطعمه بطعم تفاح ميل غصنه الجاني ليجتنيه، إشارة إلى أنه مجني الآن، لم يمض عليه شيء من الزمان، وتلويحاً لتشبيه محبوبته بالأغصان في الرقة، واللين، والتثني.

هذا وقد قيل: إنه لا قلب في الآية وإنَّ الباء للتعدية كالهمزة، والأصل: لتنوء المفاتح العصبة الأقوياء، أي: تثقلهم، وهو رأي صاحب «العمدة» أيضاً.

٢ ـ المبالغة:

وذلك في وصف كنوز قارون، حيث ذكرها جمعاً، وجمع المفاتح أيضاً، وذكر النوء، والعصبة، وأولي القوة، قيل: كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلاً، لكل خزانة مفتاح، وهذه المبالغة في القرآن من أحسن المبالغات وأغربها عند الحُذَّاق، وهي: أن يتقصى جميع ما يدل على الكثرة وتعدد ما يتعلق بما يملكه، استمع إلى عمرو بن الأيهم التغلبي كيف أراد أن يصف قومه بالكرم، فلم يزل يتقصى ما يمكن أن يقدر عليه من صفات، فقال:

ونُكْرِم جارَنا ما دامَ فينا ... ونُتْبِعُه الكرامةَ حيثُ كانا

٣ ـ بلاغة التعليل:

وفي قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ حسن تعليل جميل بجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ لأن الفرح المحض في الدنيا من حيث أنها دنيا مذموم على الإطلاق، وأيُّ فرح بشيءٍ زائلٍ، وظلٍ حائلٍ وقد رمق أبو الطيب سماء هذه البلاغة بقوله البديع:

كأنَّ الحُزْنَ مشغوفٌ بقلبي ... فساعةَ هَجْرِها يَجِدُ الوِصالا

كذا الدُّنْيا على مَنْ كان قبلي ... صروفٌ لم يُدِمْن عليه حالا

أشدُّ الغَمِّ عندي في سُرورٍ ... تيقَّن عنه صاحبُهُ انتقالا

ألست تراه كيف جعل الحزن عالقاً بفؤاده، حتى كأنه يعشقه، ولكنه لا يواصلني إلا حين تهجرني، فإذا هجرتني واصل الحزن قلبي؟ ثم كيف يحث

على الزهد في الدنيا لمن رزق فيها سروراً ومكانة لعلمه أنه زائل عما حين، والسرور الذي يعرف صاحبه أنه منحسر عنه قريباً هو أشد الغم، وهذا من أبلغ الكلام وأوعظه وأدله على عبقرية شاعر الخلود.

ومن جميل ما قيل في هذا المعنى: قول هدبة بن خشرم لما قاده معاوية إلى الحرة ليقتصَّ منه في زياد بن زيد العذري، فلقيه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فاستنشده فأنشده:

وَلَسْتُ بمفراحٍ إذا الدُّهرُ سَرَّني
ولا جازعٍ من صَرْفِهِ المتقلب
ولا أبتغي شرّاً إذا الشَّرُّ تاركي
ولكنْ متى أُحْمَلْ على الشَّرِّ أَرْكَب

والمفراح: كثير الفرح: والمراد: نفي الفرح من أصله، وصرف الدهر: حدثانه، وإذا: شرطية فلا بد بعدها من فعل، أي: إذا سرني الدهر، وإذا كان الشر تاركي، وأحمل مبني للمجهول، وأركب للفاعل، والأول: فعل الشرط، والثاني: جوابه وجزاؤه.

٤ ـ التتميم:

وفي قوله: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ ﴾ تتميم لا بد منه؛ لأنه إذا لم يغتنمها ليعمل للآخرة؛ لم يكن له نصيب في الآخرة؛ ففي الحديث: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» وقد عاد أبو الطيب فرمق سماء هذه البلاغة مرة ثانية، فقال من قصيدة يرثي بها والدة سيف الدولة، وقد توفيت بميّافارقين، وجاءه الخبر بموتها إلى حلب سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وأنشد أبو الطيب قصيدته في جمادى الآخرة من السنة، ونورد نخبة مختارة منها:

نُعِدُّ المشرفيةَ والعوالي وتَقْتُلنا المنونُ بلا قِتال
وترتبطُ السوابقُ مُقرباتٍ وما يُنْجِيْنَ من خَبَب الليالي

ومَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنيا قديماً ولكـنْ لا سبيـلَ إلى الـوِصـال
نَصِيبُكَ في حياتِكَ مِنْ حبيبٍ نَصِيبُكَ في مَنَامِكَ مِنْ خَيال
رمـاني الـدَّهـرُ بـالأرزاءِ حتَّـى فـؤادي في غشـاءٍ مـن نِبـال
فصرتُ إذا أصـابَتْنِـي سَهـامٌ تَكَسَّرَتِ النِّصـالُ على النِّصـال

والشاهد المراد هو في قوله: نصيبك في حياتك. . . البيت، أي: إن نصيب الإنسان من وصال حبيبه في حياته كنصيبه من وصال خياله في منامه، ووجه الشبه: اتفاق الأمرين في سرعة انقضائهما، واشتباههما في عجلة زوالهما.

* الفوائـد:

١ ـ قصة قارون:

نسج المؤرخون والقصاصون روايات شتى، وأساطير عجيبة حول هذه القصة الفريدة؛ التي تصلح نواة لمسرحيةٍ عالمية، تمثّل الزهو الذي يصيب المتمولين، وقد اختلف في نسبه، قيل: كان ابن عم موسى بن عمران، وقيل: كان ابن خالته، وهو أول من ضرب به المثل في كثرة المال، وفي قوله تعالى: ﴿كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ دليل على إيمانه، وقرابته، وكان من أحسن الناس وجهاً، وقراءة للتوراة، ويسمّى: المنور لحسنه، وقيل: إنه كان من السبعين الذين اختارهم موسى من قومه، قيل: إنه خرج راكباً بغلة شهباء، ومعه سبعمئة وصيفة على بغال شهب، عليهن الحلي، والحلل، والزينة، فكاد يفتن بني إسرائيل، ثم بغى، وتكبر، وركب رأسه حتى أهلكه الله. وقد أخطأ صاحب «المنجد»، فزعم: أنه وزير فرعون، كأنه ظنه هامان، وهذا من نتائج التسرع، وعدم التحقيق. وكان سبب هلاكه: أنه حسد هارون على الحُبورة، وذلك: أن موسى لما قطع البحر، وأغرق فرعون، جعل الحُبورة لهارون، فحصلت له النبوة، والحبورة بضم الحاء: الإمامة، مأخوذة من الحبر بمعنى: الرئيس في الدين، فوجد قارون من ذلك في نفسه، وقال: يا موسى لك الرسالة، ولهارون الحُبورة، ولست في شيء، لا أصبر على هذا، فقال

موسى: والله ما صنعت ذلك لهارون، بل جعله الله له، فقال: والله لا أصدقك أبداً حتى تأتيني بآية، فأمر موسى رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل رجل منهم بعصاه، فجاؤوا بها، فألقى موسى بها في قبّة له، وكان ذلك بأمر الله، ودعا موسى أن يريهم الله بيان ذلك، فباتوا يحرسون عصيهم، فأصبحت عصا هارون تهتز لها ورق أخضر، وكانت من شجر اللوز، فقال موسى: يا قارون أما ترى صنع الله تعالى لهارون فقال: والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر، ثم اعتزل بمن معه من بني إسرائيل، وكان كثير المال والتبع، فدعا عليه موسى.

وقيل: إنه لما نزلت آية الزكاة على موسى جاء موسى إليه، وصالحه على كل ألف دينار دينار، وكل ألف شاة شاة، وعلى هذا الأسلوب، فحسب ذلك، فوجده مالاً عظيماً، فجمع قومه من بني إسرائيل، وقال: إنَّ موسى يأمركم بكل شيء فتطيعونه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا، فمرنا بما شئت، فقال عليَّ بفلانة البغي فأعطاها مئة دينار، وأمرها أن تقذف موسى بنفسها، وجاء إلى موسى وقال: إن قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهاهم، فخرج، فقام فيهم خطيباً فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعناه، ومن زنى جلدناه، فإن كانت له امرأة رجمناه. فصاح به قارون، وقال له: وإن كنت أنت؟ فقال: نعم. قال: فإنَّ بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة البغي. فقال: عليَّ بها، فلما جاءت؛ قال لها موسى: يا فلانة أنا فعلت ما يقول هذا؟ فقالت: لا والله يا نبي الله، وإنما جعل لي جعلاً حتى أقذفك بنفسي، فسجد موسى يبكي ويتضرع، فأوحى الله إليه: مر الأرض بما تشتهيه، فقال: يا أرض خذيه، فأخذته حتى غيبت بعضه، ثم لم يزل يقول: خذيه، وهو يغيب حتى لم يبق من جسده إلا القليل، وهو يتضرع إلى موسى، ويسأله، وهو يقول: خذيه، إلى أن غاب. إلى آخر هذه القصة التي ينفسح فيها الخيال، ويمتد إلى أبعد مداه.

٢ ـ وي كأنه:

وعدناك بالمزيد من بحث «وي كأنه» فنقول: ذهب الخليل وسيبويه إلى: أن «وي» منفصلة معناها: أعجب، ثم ابتدأ فقال: ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وكأن ها هنا لا يراد بها التشبيه، بل القطع واليقين، وعليه بيت «الكتاب»:

وي كأنَّ مَنْ يَكُنْ له نَشَبٌ يحبب
ومَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ حرٍّ

لم يرد ها هنا التشبيه، بل اليقين.

وذهب أبو الحسن إلى: أن ويك مفصولة من أنه، وكان يعقوب يقف على ويك ثم يبتدىء «أنه لا يفلح الكافرون» كأنه أراد بذلك الإعلام بأن الكاف من جملة «وي» وليست التي في صدره «كأن» إنما هي «وي» على ما ذكرنا، أضيف إليها الكاف للخطاب على حدها في: ذلك، وأولئك، ويؤيد ذلك ول عنترة:

وَلَقَدْ شَفى نَفْسي وأَبْرَأَ سُقْمَها
قيلُ الفوارسِ ويكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ

فجاء بها متصلة بالكاف من غير «أن» فهي حرف خطاب، وليست اسماً مخفوضاً كالتي في: غلامك، وصاحبك؛ لأن «وي» إذا كانت اسماً للفعل فهي في مذهب الفعل، فلا تضاف لذلك، وأن وما بعدها في موضع نصب باسم الفعل الذي هو «وي» ولذلك فتحت أن، والتقدير: أعجب لأنه لا يفلح الكافرون، فلما سقط الجار وصل الفعل فنصب.

وذهب الكسائي إلى: أن الأصل «ويلك» فحذفت اللام تخفيفاً، وهو بعيد، وليس عليه دليل.

وقد ذهب بعضهم إلى: أن ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾ بكماله اسم واحد، والمراد شدة الاتصال وأنه لا ينفصل بعضه عن بعض.

وهذا ونص عبارة سيبويه: «وسألت الخليل عن قوله: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ

ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ وعن قوله: ﴿ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ فزعم أنها مفصولة من «كأن» والمعنى: على أن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم، أو نبهوا فقيل لهم: أما يشبه أن يكون ذا عندكم هكذا».

وقال الأعلم: «الشاهد في قوله ﴿ وَيْكَأَنَّ ﴾ وهي عند الخليل وسيبويه مركبة من «وي» ومعناها: التنبيه مع «كأن» التي للتشبيه ومعناه: ألم تر، وعلى ذلك تأولها المفسرون.

وزعم بعض النحويين: أن قولهم ﴿ وَيْكَأَنَّ ﴾ بمعنى ويلك اعلم أنَّ، فحذفت اللام من «ويلك» كما قال عنترة «ويك عنتر أقدم» وحذف اعلم لعلم المخاطب مع كثرة الاستعمال، وهذا القول مردود لما يقع فيه من كثرة التغيير.

وقال أبو سعيد السيرافي: «في ﴿ وَيْكَأَنَّ ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها قول الخليل: تكون «وي» كلمة يقولها المتندِّم، ويقولها المندِّم غيره، ومعنى «كأن» التحقيق، والثاني: قول الفراء: تكون «ويك» موصولة بالكاف و«أن» منفصلة، ومعناه عنده: تقرير كقولك: أما ترى، والقول الثالث: يذهب إلى: أن «ويك» بمعنى «ويلك» وجعل «أن» مفتوحة بفعل مضمر، كأنه قال: ويلك اعلم أن الله.

وقال الفراء: ﴿ وَيْكَأَنَّ ﴾ في كلام العرب تقرير، كقول الرجل: أما ترى إلى صنع الله، وقال الشاعر:

وَيْ كأنَّ مَنْ يَكُنْ له نَشَبٌ . . . (البيت).

وأخبرني شيخ من أهل البصرة قال: سمعت أعرابية تقول لزوجها: أين ابنك ويلك؟ فقال: ويكأنه وراء البيت، معناه: أما ترينه وراء البيت؟ وقد يذهب بعض النحويين إلى: أنهما كلمتان يريد: «ويك، أنه» أراد: ويلك فحذف اللام، وجعل أن مفتوحة بفعل مضمر، كأنه قال: ويلك اعلم أنه وراء البيت، فاضمر اعلم، ولم نجد العرب تعمل الظن والعلم بإضمار مضمر في أن، وذلك: أنه يبطل إذا كان بين الكلمتين أو في آخر الكلمة فلما أضمره جرى مجرى الترك، ألا ترى أنه لا يجوز في الابتداء أن تقول: يا هذا

إنك قائم، ولا يا هذان قمت، تريد علمت، أو أعلم، أو ظننت، أوأظن، وأما حذف اللام من «ويلك» حتى تصير «ويك» فقد تقوله العرب لكثرتها في الكلام قال عنترة: ولقد شفى نفسي. . . (البيت) وقد قال آخرون: أن معنى «وي كأن» أنَّ «وي» منفصلة، كقولك لرجل «وي» تريد: أما ترى ما بين يديك فقال: وي، ثم استأنف كأن، يعني: (أن الله يبسط الرزق لمن يشاء) وهي تعجب، وكأن في مذهب الظن والعلم، فهذا وجه مستقيم، ولم تكتبها العرب منفصلة، ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة، وقد يجوز أن تكون كثر بها الكلام، فوصلت بما ليست منه».

وقال أبو الفتح ابن جني: في «ويكأنه» ثلاثة أقوال«:

ـ فمنهم من جعلها كلمة واحدة فلم يقف على «وي».

ـ ومنهم من يقف على «وي».

ـ ويعقوب يقف على «ويك» وهو مذهب أبي الحسن.

والوجه عندنا: قول الخليل وسيبويه، وهو: أن «وي» اسم سمي به الفعل على قياس مذهبهما، فكأنه اسم أعجب، ثم ابتدأ فقال: (كأنه لا يفلح الكافرون) فـ «كأن» هنا إخبار عار من معنى التشبيه ومعناه: إن الله يبسط الرزق، و«وي» منفصلة من «كأن»، وعليه قول الشاعر: وي كأنَّ من . . . (البيت) ومما جاءت فيه «كأن» عارية من معنى التشبيه قوله:

كـأنَّنـي حِيْـنَ أُمْسِي لا تُكَلِّمنـي
متيـمٌ أشتهـي مـا لَيْـسَ مَـوْجُـودا

أي: أنا حين أمسي متيم من حالي كذا وكذا».

وقال البغدادي في «خزانة الأدب»: «وأما قول أبي الفتح أن «وي» عند سيبويه والخليل بمعنى أعجب فمردود، وكذا قوله: إن «كأن» عندهما عارية عن التشبيه، وأما تنظيره لخلو التشبيه بقوله: كأنني حين أمسي. . . (البيت) فهو مذهب الزجاج فيما إذا كان خبر «كأن» مشتقاً لا تكون للتشبيه لئلا يتحد

المشبه والمشبه به. وأجيب: بأن الخبر في مثله محذوف، أي: كأنني رجل متيم، فهي على الأصل للتشبيه».

وقال التبريزي في «شرح المعلقات» «وقوله «ويك» قال النحويين: معناه: ويحك، وقال بعضهم: معناه: ويلك، وكلا القولين خطأ؛ لأنه كان يجب أن يقرأ «ويك أنه» كما يقال: ويلك أنه، وويحك أنه».

وقال الزمخشري في «كشافه»: «وي مفصولة عن كأن، وهي كلمة تنبه على الخطأ، وتندم، ومعناه: أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم، وقولهم: ﴿ يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ ﴾ وتندموا، ثم قالوا: (كأنه لا يفلح الكافرون) أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح. وهو مذهب الخليل وسيبويه قال:

وَيْ كأنَّ مَنْ يَكُنْ له نَشَبٌ		. . . (البيت).

وحكى الفراء: أن أعرابية قالت لزوجها: أين ابنك؟ فقال: وي كأنه وراء البيت، وعند الكوفيين: أن «ويك» بمعنى «ويلك» وأن المعنى: ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون، ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى «وي» كقوله: «ويك عنتر أقدم» وأنه بمعنى لأنه، واللام لبيان المقول لأجله هذا القول، أو لأنه لا يفلح الكافرون كأن ذلك وهو الخسف بقارون. ومن الناس من يقف على وي، ويبتدىء كأنه، ومنهم من يقف على ويك».

رأي الشهاب الحلبي:

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين وهو مطلع جداً: «وي كأنه، فيه مذاهب:

أحدها: أن وي كلمة برأسها، وهي اسم فعل معناها: أعجب، أي: أنا، والكاف للتعليل، وأن وما في حيزها: مجرورة بها، أي: أعجب لأن الله

يبسط الرزق . . . الخ ، وقياس هذا أن يوقف على وي وحدها ، وقد فعل هذا الكسائي :

الثاني : قال بعضهم : كأن هنا للتشبيه إلا أنه ذهب منها معناه ، وصارت للخبر واليقين ، وهذا أيضاً يناسبه الوقف على وي .

الثالث : أن ويك كلمة برأسها ، والكاف حرف خطاب ، وأن معمولة لمحذوف ، أي : اعلم أن الله يبسط الرزق . . . الخ ، قاله الأخفش . وهذا يناسب الوقف على ويك وقد فعله أبو عمرو .

الرابع : أن أصلها ويلك ، فحذفت اللام ، وهذا يناسب الوقف على الكاف أيضاً ، كما فعل أبو عمرو .

الخامس : أن ويكأن كلها كلمة مستقلة بسيطة ، ومعناها : ألم تر ، وربما نقل ذلك عن ابن عباس ، ونقل الفراء والكسائي أنها بمعنى : أما ترى إلى صنع الله ، وحكى ابن قتيبة : أنها بمعنى رحمة لك في لغة حمير ، ولم يرسم في القرآن إلا ويكأن ، وويكأنه متصلة في الموضعين ، فعامة القراء اتبعوا الرسم ، والكسائي وقف على وي ، وأبو عمرو على ويك» .

وقال ابن هشام في «أوضح المسالك» وشرحه للشيخ خالد الأزهري : «ووا ، ووي ، وواها ، الثلاثة كلها بمعنى أعجب ، كقوله تعالى ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ فوي : اسم فعل مضارع بمعنى أعجب ، والكاف : حرف تعليل ، وأنَّ مصدرية مؤكدة ، أي : أعجب لعدم فلاح الكافرين» وهذا ما اخترناه في الإعراب ، ورأيناه أبعد من الارتياب ، وأدنى إلى الصواب .

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ

تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان: أنَّ الآخرة أعدت للذين لا يريدون علواً في الأرض. وتلك: مبتدأ، والدار: بدل من اسم الإشارة، والآخرة: صفة للدار، وجملة نجعلها: خبر تلك، وللذين: متعلقان بنجعلها؛ على أنه مفعوله الثاني، وجملة لا يريدون: صلة للذين، وعلواً: مفعول يريدون، وفي الأرض: صفة لعلواً، ولا فساداً: عطف على علواً، والعاقبة: مبتدأ، وللمتقين: خبر. ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ ﴾ كلام مستأنف مسوق لوعد المحسنين ووعيد المسيئين بعد ذكر: أنَّ العاقبة للمتقين. ومَنْ: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، وجاء: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وبالحسنة: متعلقان بجاء، والفاء: رابطة لجواب الشرط؛ لأنه جملة اسمية، وله: خبر مقدم، وخير منها: مبتدأ مؤخر، والجملة: في محل جزم جواب الشرط، والفعل والجواب معاً: خبر مَنْ. ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ عطف على ما تقدم، ويجزى: فعل مضارع مبني للمجهول، والذين: نائب فاعل، وجملة عملوا السيئات: صلة الموصول، وإلا: أداة حصر، وما: مفعول ثان ليجزى، وجملة كانوا: صلة، وجملة يعملون: خبر كانوا. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة فرض: صلة، وعليك: متعلقان بفرض، والقرآن: مفعول به، ومعنى فرض عليك القرآن: أوجب عليك تلاوته وتبليغه، واللام: المزحلقة، ورادك: خبر إنّ، والكاف: في محل جر بالإضافة، وإلى

معاد: متعلقان براد؛ لأنه اسم فاعل، وتنكيره يدل على أمور ستأتي في باب البلاغة.

﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ربي: مبتدأ، وأعلم: خبره، وهو بمعنى عالم ولذلك نصب من، وجملة جاء: صلة، وبالهدى: متعلقان بجاء، ومَنْ: عطف على مَنْ الأولى، وهو: مبتدأ، وفي ضلال: خبره، ومبين: صفته. ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وكنت: كان، واسمها، وجملة ترجوا: خبرها، وأن، وما في حيزها: مفعول ترجو، وإليك: متعلقان بيلقى، والكتاب: نائب فاعل، وإلا: أداة حصر بمعنى لكن للاستدراك، ورحمة: مفعول لأجله، ومن ربك: صفة لرحمة، ويجوز أن يكون الاستثناء على حاله، أي: متصلاً، ولكنه محمول على المعنى. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ الفاء: الفصيحة، ولا: ناهية، وتكونن: فعل مضارع ناقص مبني على الفتح في محل جزم، واسمه: ضمير مستتر، تقديره: أنت، والنون: نون التوكيد الثقيلة، وظهيراً: خبر تكونن، وللكافرين: متعلقان بظهيراً. ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ عطف على ما تقدم، وقد تقدم إعراب نظيره، ونعيده لوجود فارق بسيط، فلا: ناهية، ويصدنك: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه: حذف النون، وحذفت الواو؛ لأن النون لما حذفت التقى ساكنان الواو والنون المدغمة، فحذفت الواو لاعتلالها ووجود دليل يدل عليها، وهو الضمة، وأصله: يصدونك، وعن آيات الله: متعلقان بيصدنك، والظرف: متعلق بمحذوف حال، وإذ: ظرف لما مضى، أضيف إلى مثله، وإذ تضاف إليه أسماء الزمان، كقولك: حينئذ، ويومئذ، وقد تقدم بحث ذلك، وجملة أنزلت: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وإليك: متعلقان بأنزلت. ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الواو: عاطفة، وادع: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت، وإلى ربك: متعلقان بادع، ولا: ناهية،

وتكونن، مجزوم بها وقد تقدم إعرابه، واسمها: مستتر، تقديره: أنت، ومن المشركين: خبرها.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الواو: عاطفة، ولا: ناهية، وتدع: فعل مضارع مجزوم بلا، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت يعود على محمد ﷺ، والخطاب له، والمراد غيره، على حد قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ومع الله: ظرف مكان متعلق بتدع، وإلهاً: مفعول به، وآخر: نعت لإلهاً، ولا إله إلا هو: تقدم إعرابها، والجملة في محل نصب حال. ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ كل: مبتدأ، وشيء: مضاف إليه، وهالك: خبر المبتدأ، وإلا: أداة استثناء، ووجهه: مستثنى، وسيأتي معنى الاستثناء في باب البلاغة، له: خبر مقدم، والحكم: مبتدأ مؤخر، وإليه: متعلقان بترجعون، وترجعون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب الفاعل.

□ البلاغة:

١ ـ سر التنكير في قوله ﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ للتفخيم، كأنَّ هذا المعاد قد أعد لك دون غيرك من البشر، قيل: المراد به مكة، وهو يوم الفتح، فمعاد الرجل: بلده؛ لأنه ينصرف منه، فيعود إليه، فالمعاد على هذا: اسم مكان. روي: أنَّه ﷺ لما خرج من الغار ليلاً سار في غير الطريق مخافة الطلب، فلما رجع إلى الطريق، ونزل بالجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة؛ تنزى الحنين في صدره، وهاجه الشوق إلى موطنه، وحنَّ إلى مولده ومولد آبائه، فنزلت عليه تطميناً لقلبه. وفيها يتجلى مقدار الحنين إلى الأوطان، وقد رمق الشعراء جميعاً سماء هذا المعنى، فقال ابن الرومي:

بلدٌ صحبتُ به الشبيبةَ والصِّبا
ولبستُ ثوبَ العَيْشِ وَهُوَ جديدُ
فإذا تمثَّلَ في الضَّميرِ رأيتُهُ
وعليه أغصانُ الشَّبابِ تَمِيْدُ

وقال أبو تمام:

نَقِّلْ فؤادكَ حيثُ شِئْتَ من الهوى
مـــا الحـــبُّ إلا للحبيـــبِ الأوَّلِ

كَـمْ مَنْزِلٍ فـي الأرضِ يـألفُـه الفتـى
وحنينُــــه أبـــــداً لأوَّلِ مَنْـــزِلِ

والقول في حب الأوطان كثير، ومما يؤكد ما قلناه في حب الأوطان قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ فسوَّى بين قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾.

وقال بعضهم: «من أمارات العاقل: بره لإخوانه، وحنينه لأوطانه، ومداراته لأهل زمانه».

وقيل لأعرابي: كيف تصنع في البادية إذا اشتد القيظ، وانتعل كلُّ شيء ظلَّه؟ قال: وهل العيش إلا ذاك، يمشي أحدنا ميلاً فيرفضُّ عرقاً، ثم ينصبُ عصاه، ويلقي عليه كساءه، ويجلس في فيئه، يكتال الريح، فكأنه في إيوان كسرى.

وقال يحيى بن طالب الحنفي من شعراء الدولة العباسية:

ألا هَـلْ إلـى شَـمِّ الخـزامىٰ ونظـرةٍ
إلـى قَـرْقَـرَى قبـل الممـاتِ سبيـلُ

فـأشربُ مـن مـاءِ الحجيـلاءِ شربـةً
يـداوىٰ بهـا قَبْـلَ الممـاتِ عليـلُ

فيـا أثـلاتِ القـاعِ قلبـي مـوكـلٌ
بكـــنَّ وجـــدوى خَيْـرِكـــنَّ قليـــلُ

ويا أثلاتِ القاع قد ملَّ صحبتي
مسيري فهـــلْ في ظلكـــنَّ مَقِيْـــلُ

أريــدُ انحــداراً نحــوهــا فيردّنــي
ويمنعنـــي ديـــنٌ علـــيَّ ثقيـــلُ
أحدِّثُ نفسي عنكِ إذ لستُ راجعاً
إليــكِ فحــزني في الفــؤاد دَخِيْــلُ

والأبيات المشهورة للصمة القشيري:

تَمَتَّـعْ مـن شميـمِ عـرِار نجـدٍ فمـا بَعْـدَ العشِيَّـةِ مـن عـرارِ
ألا يــا حبَّـذا نفحـاتِ نجـدٍ وريَّـا روضـةٍ بعـد القطـارِ
وعيشُـك إذ يحـل الحـيُّ نجـداً وأنْـتَ على زمـانـك غَيْـرُ زارِ
شهـورٌ ينقضين ومـا شعـرنـا بـأنصـافٍ لهـنَّ ولا سرارِ
فـأمَّـا ليلُهُـنَّ فَخَيْـرُ ليـلٍ وأقصـرُ مـا يكـونُ مِـنَ النَّهَـارِ

وحسبنا ما قدمناه الآن.

٢ ـ المجاز المرسل:

في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ أي: إلا إياه، من ذكر البعض وإرادة الكل، وقد جرت عادة العرب في التعبير بالأشرف عن الجملة.

* * *

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

ترتيبها ٢٩ — آياتها ٦٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ٤ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٧﴾

☆ **اللغة:**

﴿يُفْتَنُونَ﴾ : يختبرون، من: فتن فلاناً، يفتنه، من باب: ضرب: خبره، وأحرقه، وأضلّه، يقال: فتن الصائغ الذهب: أذابه بالبوتقة ليختبره، وليميز الجيد من الرديء ويقال: فتنه، يفتنه، من باب: ضرب أيضاً: أعجبه، واستماله، وأوقعه في الفتنة.

○ **الإعراب:**

﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ الٓم: تقدم

إعرابها، والقول فيها في فواتح السور، وأحسب: الهمزة: للاستفهام التقريري، أو التوبيخي، وحسب: فعل ماض ينصب مفعولين، قال الزمخشري: «الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات، ولكن بمضامين الجمل» ولذلك احتاج إلى مفعولين، والناس: فاعل، وأن، وما في حيزها: سدت مسد مفعولي حسب، وأن يقولوا: مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض، وهو متعلق بمحذوف حال إذا قدر حرف الجر باء، ولك أن تقدر حرف الجر لاماً، فيكون تعليلاً للترك، متعلقاً به؛ أي: لأجل قولهم، وجملة آمنا: مقول القول، والواو: حالية، وهم مبتدأ، وجملة لا يفتنون: خبر هم، والجملة: حالية، ومعنى الآية: أحسب الذين نطقوا بكلمة الشهادة أنهم يتركون غير ممتحنين، لا بل يمتحنون، ليتبين الراسخ في الدين من غيره. وهذا أحد أعاريب رأيناه أسهلها، ونورد هنا عبارة الزمخشري لنفاستها، قال:

«تقديره: أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم: آمنا، فالترك: أول مفعولي حسب، ولقولهم آمنا: هو الخبر، وأما غير مفتونين: فتتمة الترك الذي هو بمعنى التصيير، كقوله: «فتركنه جزر السباع ينشنه» ألا ترى: أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول: تركهم غير مفتونين لقولهم: آمنا، على تقدير: حاصل، ومستقر قبل اللام، فإن قلت: أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين، فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ؟ قلت: كما تقول: خروجه لمخافة الشر، وضربه للتأديب، وقد كان التأديب والمخافة في قولك: خرجت مخافة الشر، وضربته تأديباً تعليلين، وتقول أيضاً: حسبت خروجه لمخافة الشر، وظننت ضربه للتأديب، فتجعلهما مفعولين، كما جعلتهما مبتدأ وخبراً» وسيأتي المزيد من أبحاث هذه الآية في باب الفوائد.

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾

الواو: عاطفة، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وفتنا: فعل وفاعل، والذين: مفعوله، ومن قبلهم: متعلقان بمحذوف، هو

صلة الذين، والفاء: عاطفة، واللام موطئة للقسم، وليعلمن: فعل مضارع مبني على الفتح، والله: فاعل، والذين: مفعوله، وجملة صدقوا: صلة، وليعلمن الكاذبين: عطف على ما تقدم، وسيأتي سر المخالفة بين صدقوا والكاذبين في باب البلاغة، والمعنى: أن الفتنة والامتحان أمران لا بد منهما لابتلاء الخلق، وقد تعرضت لهما الخلائق في مختلف ظروف الزمان والمكان.

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ أم: منقطعة، ومعناها: بل، وهي للإضراب الانتقالي، ولا بد من همزة في ضمنها للتقرير والتوبيخ، وحسب: فعل ماض، والذين: فاعل، وجملة يعملون السيئات: صلة، وأنْ وما في حيزها: سدت مسد مفعولي حسب. قال الزمخشري: «فإن قلت: أين مفعولا حسب؟ قلت: اشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه؛ سد مسد المفعولين، كقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ﴾ ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر، وأم: منقطعة، ومعنى الإضراب فيها: أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأول؛ لأن ذاك يقدر: أنه لا يمتحن لإيمانه، وهذا يظن: أنه لا يجازى بمساويه» وساء: فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، وما: نكرة منصوبة على التمييز، وجملة يحكمون: صفتها، والمخصوص بالذم محذوف، أي: حكمهم، ويجوز أن تعرب ما: اسم موصول فاعل، وجملة يحكمون: صلتها، ويجوز أن تكون مصدرية، أي: حكمهم، وعلى هذا يكون التمييز محذوفاً أي: ساء حكماً حكمهم. ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ من: اسم شرط جازم مبتدأ، وكان: فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، واسم كان: مستتر، يعود على مَنْ، وجملة يرجو: خبر كان، ولقاء الله: مفعول به، والفاء: رابطة لجواب الشرط، وإنَّ أجل الله: إن، واسمها، واللام: المزحلقة، وآت: خبر إن، والواو: حرف عطف، وهو: مبتدأ، والسميع العليم: خبران لهو. وسيأتي مزيد بحث لهذه الآية في باب البلاغة، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر مَنْ.

﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الواو: عاطفة، ومن: شرطية مبتدأ، وجاهد: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاء: رابطة للجواب، وإنَّما: كافة ومكفوفة، ويجاهد: فعل مضارع، وفاعله: ضمير مستتر، تقديره: هو، ولنفسه: جار ومجرور متعلقان بيجاهد، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وغني: خبر إنَّ، وعن العالمين: متعلقان بغني، والجملة: تعليلية لما سبق من تقرير: أنَّ جهاد الشخص لا يصل منه إلى الله نفع. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ الواو: عاطفة، والذين: مبتدا، وجملة آمنوا: صلة، وعملوا الصالحات: عطف على آمنوا، واللام: موطئة للقسم، ونكفرن: فعل مضارع مبني على الفتح، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، والجملة: خبر الذين، وعنهم: متعلقان بنكفرن، وسيئاتهم: مفعول به. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ولنجزينهم: عطف على لنكفرن، وأحسن: مفعول به ثان، والذي: مضاف إليه، وجملة كانوا: صلة، وجملة: يعملون خبر كانوا.

□ البلاغة:

١ ـ التعبير بالصيغة الفعلية والصيغة الاسمية:

في قوله تعالى: ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ مخالفة بين الصيغة الفعلية وهي: ﴿صَدَقُوا۟﴾ والصيغة الاسمية في قوله: ﴿ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ والنكتة في هذه المخالفة: أنَّ اسم الفاعل يدل على ثبوت المصدر في الفاعل، ورسوخه فيه، والفعل الماضي لا يدل عليه؛ لأن وقت نزول الآية كانت حكاية عن قوم قريبي عهد بالإسلام، وعن قوم مستمرين على الكفر، فعبر في حق الأولين بلفظ الفعل، وفي حق الآخرين بالصيغة الدالة على الثبات، أما بالنسبة لعلم الله: فلا يقال: إنَّ فيه تجدداً في علم الله تعالى بهم قبل الاختبار، وإيهاماً بأن العلم بالكائن غير العلم بأنه سيكون، والحق: أنَّ علم الله تعالى واحد يتعلق بما لموجودٍ زمان وجوده، وقبله، وبعده، على ما هو عليه، وفائدة ذكر العلم ها هنا وإن كان سابقاً على وجود المعلوم: التنبيه بالسبب على

المسبب، وهو الجزاء، كأنَّه قال: لنعلمنهم، فلنجازيهم بحسب علمه فيهم.

٢ ـ الحذف:

جرينا في إعراب قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍۚ﴾ على أنَّ الفاء رابطة لجواب الشرط، وأنَّ جملة: إنَّ أجل الله لآت هو الجواب، وساغ وقوعه جواباً للشرط مع أنَّ أجل الله آت لا محالة من غير تقييد بشرط، وأنه ينعدم بانعدام الشرط، ساغ وقوعه جواباً؛ لأننا نعني بلقاء الله: تلك الحالة الممثلة، والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للموت، كأنه قال: من كان يرجو لقاء الله فإن لقاء الله لآت لأن الأجل واقع فيه اللقاء، كما تقول: من كان يرجو لقائي فإن يوم الجمعة قريب؛ إذا عُلم وتعورف أنك تقعد للاستقبال يوم الجمعة، هذا ويجوز أن يكون من باب الحذف البلاغي، والتقدير: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

* الفوائد:

أطال المعربون في التماس وجوه الإعراب لهذه الآية، وهي: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ وقد اخترنا أمثل هذه الوجوه، وأدناها إلى المنطق، كما أوردنا نص قول الزمخشري فيها، وكلا الوجهين سائغ مراد، ونريد أن نفصل لك القول في الظن، والحسبان، وغيرهما من الأفعال التي تسمى: «أفعال القلوب» وإنَّما قيل لها ذلك لأن معانيها قائمة بالقلب، وليس معنى هذا: أنَّ كل فعل قلبي ينصب مفعولين، بل القلبي ثلاثة أقسام: ما لا يتعدى بنفسه، نحو: فكر في الأمر، وتفكر فيه، وما يتعدى لواحد بنفسه، نحو: عرف الحق، وفهم المسألة، وما يتعدى لاثنين بنفسه، وهو المقصود بالتسمية، وأصل المفعولين المبتدأ والخبر، ورد بعضهم ـ وهو السهيلي ـ هذا القول وقال: كيف يكون نحو: ظننت زيداً عمراً أصلهما مبتدأ وخبر؟ وأجيب: بأن المراد هو التشبيه، بدليل أنَّه يقال: ظننت زيداً عمراً فتبين خلاف، فالظن المذكور لتشبيهه به، وأجاب بعضهم بجواب آخر،

وهو: أنه متأول بمعنى: ظننت الشيء المسمى بزيد مسمى بعمرو، كما أنَّ قولك:

زيد حاتم متأول بمعنى: زيد مثل حاتم في المعنى، استمع إلى قول زفر بن الحارث الكلابي:

وكنَّا حَسِبْنا كلَّ بيضاءَ شَحْمَةً
عشِيَّةَ لاقَيْنا جذامَ وحِمْيَرَا

فكل بيضاء: مفعول حسبنا الأول، وشحمة: مفعوله الثاني، وهو كناية عن أنه كان يظنهم شجعاناً، فتبينوا بخلاف ذلك. وبعد هذا البيت:

فلمَّا لقينا عُصْبَةً تغلبيةً
يقودون جرداً في الأعنَّةِ خمَّرا
سَقَيْناهُمُ كأساً سَقَوْنا بِمِثْلِها
ولكنَّهمْ كانوا على الموتِ أَصْبَرا
فلمَّا قَرَعْنا النَّبْعَ بالنَّبْعِ بعضه
ببعضٍ أَبَتْ عِيْدَانُه أَنْ تكسَّرا

إذا عرفت هذا كله؛ فهمت معنى الآية بوضوح، أي: أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم، وتبجحوا بها، واستطالوا على من سواهم أنهم سيتركون غير ممتحنين؟ لا، بل سوف يمتحنهم الله بضروب الابتلاء، وأنواع المحن حتى يسبر أغوارهم جميعاً، ويبلو صبرهم، وثبات أقدامهم، ورسوخها في الإيمان، فليس الإيمان كلمات تتردد على الألسنة وحسب، لكنَّه يحتاج إلى عمل أصيل، وجهادٍ مستمر، ليسفر عملهم عما فيه نفع أمَّتهم، وجهادهم عن تأثيل أوطانهم.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ

فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾

○ الإعـراب:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ كلام مستأنف للشروع في تقرير حق الأبوين، وتحديد طاعتهما بعدم معصية الله. ووصينا: فعل، وفاعل، والإنسان: مفعول به، وبوالديه: متعلقان بوصينا، وحسناً: نعت لمصدر وصينا على حذف مضاف؛ أي: إيصاء ذا حسن، أو: هو في نفسه حسن على المبالغة، وقال الزجاج: «معناه: ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن». ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ الواو: عاطفة، وإن: شرطية، وجاهداك: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والألف: فاعل، والكاف: مفعول به، ولتشرك: اللام لام التعليل، وتشرك: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت، والجار والمجرور متعلقان بجاهداك، وبي: متعلقان بتشرك، وما: اسم موصول مفعول به لتشرك، وليس: فعل ماض ناقص، ولك: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم لـ: ليس، وبه: متعلقان بعلم، وعلم: اسم ليس مؤخر، والجملة الاسمية: صلة ما، فلا: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ لأن الجواب جملة، ولا: ناهية، وتطعهما: فعل مضارع مجزوم بلا، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت، ومفعول به، والميم والألف: حرفان دالان على التثنية، والجملة المقترنة بالفاء: في محل جزم جواب إن. ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إليَّ: خبر مقدم، ومرجعكم: مبتدأ مؤخر، والفاء: حرف عطف، وأنبئكم: فعل مضارع،

وفاعله: مستتر، تقديره: أنا، والكاف: مفعول به، وبما: متعلقان بأنبئكم، وجملة كنتم: صلة ما، وجملة تعملون: خبر كنتم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين: مبتدأ، خبره: ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: في زمرة الراسخين في الصلاح، ويجوز أن يكون في محل نصب على الاشتغال. وجملة آمنوا: صلة، وجملة عملوا الصالحات: معطوفة على جملة آمنوا، واللام: موطئة للقسم، وندخلنَّ: فعل مضارع مبني على الفتح، وفاعله: مستتر، تقديره: نحن، والهاء: مفعول به، وفي الصالحين: متعلقان بندخلهم. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان حال المنافقين بعد أن بين حال المؤمنين والكافرين فيما تقدم، ومن الناس: خبر مقدم، ومَنْ: نكرة موصوفة مبتدأ مؤخر، أي: ناس، وهو أولى من جعلها موصولة، وجملة يقول: صفة لِمَنْ على اللفظ، وجملة آمنا: مقول القول، وبالله: متعلقان بآمنا. ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ الفاء: حرف عطف، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وفي الله: متعلقان بأوذي، وجملة أوذي: في محل جر بإضافة الظرف إليها، أي: في سبيل الله، وجملة جعل: لا محل لأنها جواب إذا، وفتنة الناس: مفعول جعل الأول، وكعذاب الله: في موضع المفعول الثاني، أو: الكاف: اسم بمعنى مثل في موضع المفعول الثاني، والمعنى: جزع من أذى الناس، فأطاعهم كما يطيع الله من يخافه. ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ الواو: عاطفة، واللام: موطئة للقسم، وإنْ: حرف شرط جازم، وجاءهم: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والهاء: مفعول به، ونصر: فاعل، ومن ربك: متعلقان بجاءهم، أو بمحذوف صفة لنصر، ليقولن: اللام: واقعة في جواب القسم، ويقولن: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين: فاعل، وجملة إنا: مقول القول، وإنَّ، واسمها، وجملة كنا: خبرها، ومعكم: ظرف متعلق بمحذوف خبر كنا. ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الهمزة:

للاستفهام التقريري التوبيخي، والواو: عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، وليس: فعل ماض ناقص، والله: اسمها، والباء حرف جر زائد، وأعلم: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس، وبما: متعلقان بأعلم، وفي صدور العالمين: صلة ما. ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ الواو: عاطفة، واللام: موطئة للقسم، ويعلمن: فعل مضارع مبني على الفتح، والله: فاعل، والذين مفعول به، وجملة آمنوا: صلة، وليعلمن المنافقين: عطف على: وليعلمن الذين آمنوا.

* الفوائـد:

روى التاريخ أنَّ سعد بن أبي وقاص ـ وهو من السابقين إلى الإسلام ـ حين أسلم قالت أمه ـ وهي: حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس ـ: يا سعد بلغني أنك قد صبأت، فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح، وإن الطعام والشراب عليَّ حرام حتى تكفر بمحمد، وكان أحبّ ولدها إليها، فأبى سعد، وبقيت ثلاثة أيام كذلك، فجاء سعد إلى رسول الله ﷺ، وشكا إليه، فنزلت هذه الآية، والتي في «لقمان»، والتي في «الأحقاف»، فأمره رسول الله أن يداريها ويترضّاها بالإحسان.

وفي روايةٍ للقرطبي: أنَّ سعداً قال لها: والله لو كان لك مئة نفس، فخرجت نفساً نفساً، ما كفرت بمحمد، فإن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت، هذا ومعنى قوله: فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح كما في «الصحاح»: الضح: الشمس، وفي الحديث: لا يقعدن أحدكم بين الضح والظل، فإنه مقعد الشيطان. وقيل: نزلت في عياش بن ربيعة المخزومي، وذلك: أنَّه هاجر مع عمر بن الخطاب مترافقين حتى نزلا المدينة، فخرج أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام ـ أخواه لأمه أسماء بنت مخرمة امرأة من بني تميم بن حنظلة ـ فنزلا بعياش، وقالا له: إن من دين محمد صلة الأرحام، وبر الوالدين، وقد تركت أمك لا تطعم، ولا تشرب، ولا تأوي بيتاً حتى تراك، وهي أشدُّ حباً لك منا، فاخرج معنا،

وفتلا منه في الذروة والغارب، فاستشار عمر رضي الله عنه، فقال: هما يخدعانك، ولك عليّ أن أقسم مالي بيني وبينك، فما زالا به حتى أطاعهما، وعصى عمر، فقال له عمر: أما إذا عصيتني فخذ ناقتي، فليس في الدنيا بعير يلحقها، فإن رابك منهما ريب فارجع، فلما انتهوا إلى البيداء؛ قال أبو جهل: إن ناقتي قد كلت، فاحملني معك، قال: نعم، فنزل ليوطىء لنفسه وله، فأخذاه، وشدًّا وثاقه، وجلده كلٌّ واحدٍ منهما مئة جلدة، وذهبا به إلى أمه، فقالت: لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد. فنزلت.

وسواء أكانت المناسبة هذه أم تلك فالمسألة عامة، وبر الوالدين مطلوب شرعاً، وطاعتهما واجبة إلا في المعصية، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وقوله: «وفتلا منه في الذروة والغارب» قال الجوهري في «صحاحه»: «ما زال فلان يفتل من فلان في الذروة والغارب، أي: يدور من وراء خدعته».

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان نموذج آخر من أضاليلهم. وقال الذين: فعل، وفاعل، وجملة كفروا: صلة الموصول، وللذين: متعلقان بقال، وجملة آمنوا: صلة الموصول، وجملة اتبعوا: مقول القول، واتبعوا: فعل، وفاعل،

وسبيلنا: مفعول، ولنحمل: الواو: عاطفة، واللام: لام الأمر، ونحمل: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وخطاياكم: مفعول به، وسيأتي معنى الأمر في باب البلاغة. ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ الواو: حالية، وما: نافية حجازية تعمل عمل ليس، وهم: اسمها، والباء: حرف جر زائد، وحاملين: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما، ومن خطاياهم: حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لشيء، وتقدم عليه، ومن: حرف جر زائد، وشيء مجرور لفظاً منصوب محلاً؛ لأنه مفعول حاملين، وجملة إنهم لكاذبون: تعليل للجزم بعدم حملهم شيئاً من خطاياهم، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وكاذبون: خبرها. ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ الواو: عاطفة، واللام: موطئة للقسم، ويحملن: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين: فاعل، وأثقالهم: مفعول به، وأثقالاً: عطف على أثقالهم، ومع أثقالهم: ظرف متعلق بمحذوف صفة لأثقالاً. ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ الواو: عاطفة، ويسألن: عطف على يحملن، ويوم القيامة: ظرف متعلق بيسألن، وعما: متعلقان بيسألن أيضاً، وجملة كانوا: صلة ما، وجملة يفترون: خبر كانوا. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ كلام مستأنف مسوق لتأييد التكليف الذي ألزم محمد ﷺ به أتباعه، أي: أنه ليس مختصاً بالنبي وأتباعه، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وأرسلنا: فعل، وفاعل، ونوحاً: مفعول به، وإلى قومه: متلعقان بأرسلنا، فلبث: الفاء: عاطفة، ولبث: فعل ماض، وفاعله مستتر، تقديره: هو، يعود على نوح، وفيهم: متعلقان بلبث، وألف سنة: نصب على الظرف؛ لأنه عدد أضيف إلى الظرف فأخذ منه ظرفيته، وهو متعلق بلبث أيضاً، وإلا أداة استثناء: وخمسين منصوب على الاستثناء، وعاماً: تمييز، وقد روعيت هنا نكتة، نذكرها في باب البلاغة.

﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وأخذهم الطوفان: فعل، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، والواو: حالية، وهم: مبتدأ، وظالمون: خبر. والطوفان: ما أطاف، وأحاط بكثرة وغلبة من سيل، أو ظلام ليل، أو نحوهما، قال العجاج:

حتَّى إذا ما يومُها تصبَّبا وَعَمَّ طوفانُ الظَّلام الأثأبا

والبيت للعجاج، يصف بقرة وحشية، وما: زائدة بعد إذا، عمَّ بالمهملة، ويروى بالمعجمة، والمعنيان متقاربان، والأثأب: نوع من الشجر يشبه شجر التين، الواحدة أثأبة، ونسبة التصبب لليوم مجاز عقلي من باب الإسناد للزمان، أي: تصبب المطر، وستر ظلامه الشجر الذي كان فيه.

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ الفاء: عاطفة وأنجيناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، وأصحاب: عطف على الهاء: أو: مفعول معه، وجعلناها: الواو: عاطفة، وجعلناها: فعل، وفاعل، ومفعول به، آية: مفعول به ثان، وللعالمين: صفة لآية.

□ البلاغة:

١ ـ مجيء الأمر بمعنى الخبر:

في قوله: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ الكلام أمر بمعنى الخبر، يعني: أن أصل ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾: إن تتبعونا نحمل خطاياكم، فعدل عنه إلى ما ذكر مما هو خلاف الظاهر من أمرهم بالحمل. وفي قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ نكتة حسنة يستدل بها على صحة مجيء الأمر بمعنى الخبر، فإن من الناس من أنكره، ولا حجة له؛ لأن الله تعالى أردف قولهم: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ على صيغة الأمر بقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ والتكذيب إنما يتطرق إلى الإخبار.

٢ ـ نكتة العدد:

وذلك في قوله: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ فإن الإخبار بهذه الصيغة يمهد عذر نوح عليه السلام في دعائه على قومه بدعوة أهلكتهم عن

آخرهم؛ إذ لو قيل: فلبث فيهم تسعمئة وخمسين عاماً لما كان لهذه العبارة من التهويل ما للعبارة الأولى؛ لأن لفظة الألف في العبارة الأولى في أول ما يطرق السمع فيشتغل بها عن سماع بقية الكلام من الاستثناء، وإذا راجع الاستماع لم يبق للاستثناء بعد ما تقدمه وقع يزيل ما حصل عنده من ذكر الألف، فتعظم كبيرة قوم نوح عليه السلام في إصرارهم على المعصية مع طول مدة الدعاء.

وعبارة الزمخشري في صدد هذا العدد: «فإن قلت: هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة. قلت: ما أورده الله أحكم؛ لأنه لو قيل كما قلت؛ لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره، وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك، وكأنه قيل: تسعمئة وخمسين سنة كاملة وافية العدد، إلا أنَّ ذلك أخصر، وأعذب لفظاً، وأملأ بالفائدة. وفيه نكتة أخرى، وهي: أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته، وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله ﷺ، وتثبيتاً له، فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدة صبره».

نكتة ثانية في العدد:

وهناك نكتة ثانية، وهو: أنه غاير بين تمييز العددين فقال في الأول ﴿سَنَةٍ﴾ وقال في الثاني ﴿عَامًا﴾ لئلا يثقل اللفظ، ثم إنه خص لفظ العام بالخمسين إيذاناً بأن نبيَّ الله ﷺ لما استراح منهم بقي في زمن حسن، والعرب تعبر عن الخصب بالعام، وعن الجدب بالسنة.

نكتة ثالثة في العدد:

وهناك نكتة ثالثة اكتشفها الرازي قال: «فإن قلت ما الفائدة في مدة لبثه؟ قلت: كان رسول الله ﷺ يضيق صدره بسبب عدم دخول الكفار في الإسلام، فقال له الله تعالى: إن نوحاً لبث في قومه هذا العدد الكبير، ولم يؤمن من قومه إلا القليل، فصبر، وما ضجر، فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك، وكثرة عدد أمتك».

* الفوائـد:

في قوله: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ الأصل دخول لام الأمر، ولا الناهية على فعل الغائب معلوماً ومجهولاً، وعلى المخاطب، والمتكلم المجهولين، ويقل دخولها على المتكلم المفرد المعلوم، فإن كان المتكلم غيره؛ فدخولهما عليه أهون وأيسر؛ كالآية المتقدمة، وقول الشاعر:

إذا ما خَرَجْنا مِنْ دِمَشْقَ فلا نَعُدْ
لها أبداً ما دام فيها الجَراضِمُ

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

○ ٱلإِعْرَاب:

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ كلام مستأنف لسوق قصة ثانية بعد قصة نوح والطوفان. وإبرهيم: منصوب بفعل محذوف، تقديره: اذكر، وإذ: الظرف بدل اشتمال من إبراهيم، ولك أن تجعله كلاماً معطوفاً، فتعطف إبراهيم على

نوحاً، وتعلق الظرف بأرسلنا، والمعنى عندئذ: أرسلنا إبراهيم حين بلغ من السن مبلغاً يخاطب فيه قومه بعبارات الوعظ والإرشاد، وجملة قال لقومه: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولقومه: متعلقان بقال. ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الجملة: مقول قول إبراهيم لقومه، واعبدوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، ولفظ الجلالة: مفعوله، واتقوه: عطف على اذكروا الله، وذلكم: مبتدأ، وخير: خبر، ولكم: متعلقان بخير، وإن: شرطية، وكنتم: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والتاء: اسمها، وجملة تعلمون: خبرها، وجواب الشرط: محذوف دل عليه ما قبله؛ أي: فاعبدوا الله واتقوه. ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ إنما: كافة ومكفوفة، وتعبدون: فعل مضارع، وفاعل، ومن دون الله: حال، وأوثاناً: مفعول به، وتخلقون إفكاً: عطف على ما قبله، ويجوز في الإفك أن يكون مصدراً، وأن يكون صفة، أي: خلقاً إفكاً، أي: ذا إفك وباطل.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ إن، واسمها، وجملة تعبدون: صلة، ومن دون الله: حال، وجملة لا يملكون: خبر إنَّ، ولكم: متعلقان برزقاً، ورزقاً: مفعول به ليملكون؛ لأنه بمعنى المرزوق، أو: مصدر مؤول من إنَّ والفعل، أي: لا يقدرون أن يرزقوكم، ويجوز نصبه على المصدر، وناصبه: لا يملكون؛ لأنه في معناه. ﴿ فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الفاء: الفصيحة، وابتغوا: فعل أمر، وفاعل، وعند الله: متعلقان بابتغوا، والرزق: مفعول ابتغوا، واعبدوه واشكروا له: عطف على ابتغوا، وإليه: متعلقان بترجعون، وترجعون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل. ﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ عطف على ما تقدم منتظم في سلك حديث إبراهيم عليه السلام لقومه، وإن: شرطية، وتكذبوا: فعل الشرط، وعلامة جزمه: حذف النون، والواو: فاعل، فقد: الفاء: رابطة

للجواب؛ لاقترانه بقد، وكذب أمم: فعل، وفاعل، ومن قبلكم: صفة لأمم، وقيل: جواب الشرط محذوف، أي فلا يضرني تكذيبكم، فقد كذّب أمم من قبلكم أنبياءهم، ورسلهم، وما: الواو: حالية، أو استئنافية، وما: نافية، وعلى الرسول: خبر مقدم، وإلا: أداة حصر، والبلاغ: مبتدأ مؤخر، والمبين: صفة لبلاغ. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والواو: عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، ولم: حرف نفي، وجزم، وقلب، وكيف: اسم استفهام في محل نصب حال، وجملة يبدىء الله الخلق: في محل نصب مفعول يروا؛ لأنها علقت عن العمل بالاستفهام، والرؤية قلبية، والمراد بها العلم الصحيح الواضح، لأنه كالرؤية البصرية، ثم يعيده: كلام مستأنف، أو: هو كلام معطوف على أولم يروا، وسبب امتناع عطفه على يبدىء: لأن المقصود الاستدلال بما علموه من أحوال المبدأ على المعاد لإثباته، فلو كان معلوماً لهم لكان تحصيلاً للحاصل، ولا يقال: إنَّه من قبيل عطف الخبر على الإنشاء؛ لأن الاستفهام متضمن معنى الإنكار، والتقرير، فهو بمثابة الإخبار، وإنَّ، واسمها، وعلى الله: متعلقان بيسير، ويسير: خبر إن.

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ الكلام حكاية قول إبراهيم لقومه، أو حكاية قول الله لإبراهيم، وسيروا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، وفي الأرض: متعلقان بسيروا، فانظروا: عطف على سيروا، وكيف: حال، وبدأ الخلق: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، والجملة في محل نصب مفعول انظروا المعلقة بسبب الاستفهام. ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ثم: حرف عطف، والله: مبتدأ، وجملة ينشىء: خبر، والنشأة الآخرة: نصب على المصدرية المحذوفة الزرائد، والأصل: الإنشاءة، وقرىء: النشاءة بالمد، وهما لغتان، كالرأفة، والرآفة، وإن، واسمها، وعلى كل شيء: متعلقان بقدير، وقدير: خبر إنَّ. ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ الجملة: حالية،

أو: خبر ثان لإن، أو: مستأنفة، ويعذب: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: هو يعود على الله، ومَنْ مفعوله، وجملة يشاء: صلة مَنْ، ويرحم من يشاء: عطف على يعذب من يشاء، وإليه: متعلقان بتقلبون، وتقلبون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل، ومعني تقلبون: تردون، وترجعون. ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية حجازية، وأنتم: اسمها، والخطاب لأهل الأرض، والباء: حرف جر زائد، ومعجزين: مجرور لفظاً، منصوب محلاً على أنه خبر ما، وفي الأرض: حال، ومفعول معجزين: محذوف للعلم به، أي: الله تعالى، أي: لا تفوتونه إن حاولتم الهرب من قضائه، ولا في السماء: عطف على في الأرض إن حمل السماء على العلو فجائز، أي: في البروج، والقلاع الذاهبة في العلو، ويكون تخصيصاً بعد تعميم، وما: نافية، ولكم: خبر مقدم، ومن دون الله: حال، ومن ولي: من: حرف جر زائد، وولي: مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر، ولا نصير: عطف على من ولي.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ والذين: مبتدأ، وجملة كفروا: صلة، وبآيات الله: متعلقان بكفروا، ولقائه: عطف على آيات، وأولئك: مبتدأ، وجملة يئسوا من رحمتي: خبر أولئك، وجملة أولئك يئسوا: خبر الذين. ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وأولئك: الواو: عاطفة، وأولئك: مبتدأ، ولهم: خبر مقدم، وعذاب: مبتدأ مؤخر، وأليم: صفة لعذاب، وجملة لهم عذاب أليم: خبر أولئك.

□ البلاغة:

١ ـ نكَّر الرزق في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ ثم عرَّفه بقوله: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ لأن الأول مقصور عليهم، فاستوجب أن يكون ضئيلاً قليلاً، فنكره تدليلاً على قلته وضآلته، ولما كان الثاني مبتغى عند الله

استوجب أن يكون كثيراً؛ لأنه كله عند الله، فعرفه تدليلاً على كثرته وجسامته.

٢ ـ الإضمار والإظهار:

في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ فنٌّ قلَّ من يتفطّن إليه؛ لأنه دقيق للغاية، ولا يجنح إليه الكاتب، أو الشاعر إلا لفائدة تربو على البداهة، وهي تعظيم شأن الأمر. ألا ترى أنه صرح باسمه تعالى في قوله ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ مع إيقاعه مبتدأ، وقد كان القياس أن يقول: كيف بدأ الله الخلق، ثم ينشىء النشأة الآخرة، فأفصح باسمه بعد إضماره، والفائدة في ذلك: أنه لما كانت الإعادة عندهم من الأمور العظيمة، وكان صدر الكلام واقعاً معهم في الإبداء، وقرر لهم: أنَّ ذلك من الله احتج عليهم بأنَّ الإعادة إنشاء مثل الإبداء، وإذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لا يعجزه الإبداء، فوجب أن لا تعجزه الإعادة، فللدلالة وللتنبيه على عظم هذا الأمر الذي هو الإعادة أبرز اسمه تعالى، وأوقعه مبتدأ، والأصل في الكلام: الإظهار، ثم الإضمار، ويليه لقصد التفخيم الإظهار بعد الإظهار، ويليه ـ وهو أفخم الثلاثة ـ الإظهار بعد الإضمار، كما في الآية.

وعلى هذا يقاس ما ورد من كلامهم، كقول بعضهم يصف لقاء مع بني تميم قال: «ولما تلاقينا وبنو تميم؛ أقبلوا نحونا يركضون، فرأينا منهم أسوداً ثكلاً تسابق الأسنة إلى الورود، ولا ترتد على أعقابها إذا ارتدت أمثالها من الأسود، وتناجد بنو تميم علينا بحملة، فلذنا بالفرار، واستبقنا إلى تولية الأدبار» فإنه إنما قيل: «وتناجد بنو تميم» مصرحاً باسمهم، ولم يقل: وتناجدوا كما قيل: «أقبلوا» للدلالة على التعجب من إقدامهم عند الحملة، وثباتهم عند الصدمة، لا سيما وقد أردف ذلك بقوله: «لذنا بالفرار، واستبقنا إلى تولية الأدبار» كأنه قال: وتناجد أولئك الفرسان المشاهير،

والفرسان الكماة المناكير، وحملوا علينا حملة واحدة، فولينا مدبرين منهزمين.

ولقد أشار الإمام الرازي إلى هذه النكتة، ولكنه أوردها مورداً آخر، ولذلك ننقل عبارته بنصها: «أبرز اسم الله في الآية الأولى عند البدء حيث قال: كيف يبدىء الله الخلق، وأضمره عند الإعادة، وفي هذه الآية أضمره عند البدء، وأبرزه عند الإعادة، حيث قال: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ﴾ لأنه في الآية الأولى لم يسبق ذكر الله بفعل حتى يسند إليه البدء، فقال: ﴿يُبْدِئُ ٱللَّهُ﴾ ثم قال: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ وفي الآية الثانية كان ذكر البدء مسنداً إلى الله تعالى، فاكتفى به، وأما إظهاره عند الإنشاء ثانياً حيث قال: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ﴾ فليقع في ذهن السامع كمال قدرته، وعلمه، وإرادته، ولم يقل: يعيده، بل قال: ينشىء للتنبيه على أنَّ البدء يسمى نشأة، كالإعادة، والتغاير بينهما بالوصف حيث قالوا: نشأة أولى ونشأة ثانية».

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

○ الإعراب:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ الفاء: عاطفة، وما: نافية، وكان: فعل ماض ناقص، وجواب: خبرها المقدم، وإلا: أداة حصر، وأن قالوا: مصدر مؤول هو اسم كان المؤخر؛ أي: قال بعضهم لبعض، فكانوا جميعاً في حكم القائلين، واقتلوه: فعل أمر، وفاعل،

ومفعول به، والجملة: مقول القول، وأو: حرف عطف، وحرّقوه: عطف على اقتلوه. ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ الفاء: الفصيحة، أي: فقذفوه في النار، فأنجاه الله، وأنجاه الله: فعل، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، ومن النار: متعلقان بأنجاه، وإن: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبرها المقدم، واللام: المزحلقة، وآيات: اسمها المؤخر، ولقوم: صفة لآيات، وجملة يؤمنون: صفة لقوم. ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ الواو: عاطفة، وقال: عطف على أنجيناه، وإنما: كافة ومكفوفة، واتخذتم: فعل، وفاعل، ومن دون الله: في موضع المفعول الثاني لاتخذتم، وأوثاناً: مفعول به أول لاتخذتم، ومودة: مفعول لأجله، أو: منصوبة بفعل محذوف، تقديره: أعني، وبينكم: مضاف إلى مودة، وفي الحياة الدنيا: متعلقان باتخذتم، أو: بمحذوف حال. وهذه الآية شغلت المعربين كثيراً لاختلاف قراءاتها، وتباين وجهات النظر فيها، وقد ابتسرنا الكلام في الإعراب على قراءة حفص، واخترنا أمثل الأوجه، وأسهلها، وسننقل في باب الفوائد غيضاً من فيض مما قيل فيها شحذاً للأذهان. ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ ثم: حرف عطف للتراخي، ويوم القيامة: ظرف متعلق بيكفر، وبعضكم: فاعل، وببعض: متعلقان بيكفر أيضاً، ويلعن بعضكم بعضاً: فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به. ﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مأواكم: مبتدأ، أو: خبر مقدم، ومن: حرف جر زائد، وناصرين: مبتدأ مؤخر، وهو مجرور لفظاً.

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ الفاء: عاطفة، وآمن: فعل ماض، ولوط: فاعله، وله: متعلقان بآمن، وقال: عطف على فآمن، وفاعله: مستتر يعود على إبراهيم، ولذلك يجب الوقف على لوط؛ لأن قوله: إني مهاجر: مقول إبراهيم، فلو وصل لتوهم: أنَّ الفعل الثاني للوط، فيفسد المعنى، وإنَّ، واسمها، ومهاجر: خبرها، وإلى

ربي: متعلقان بمهاجر؛ أي: إلى حيث يأمرني ربي، ففي الكلام مجاز، وإنَّ، واسمها، وهو: ضمير فصل، أو: مبتدأ، والعزيز: خبر إني، أو: خبر هو، والجملة: خبر إني، والحكيم: خبر ثان. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ ووهبنا: فعل، وفاعل، وله: متعلقان بوهبنا، وإسحاق: مفعول به، ويعقوب: عطف عليه، وجعلنا: فعل، وفاعل، وفي ذريته: في موضع المفعول الثاني، والنبوة: هي المفعول الأول، والكتاب: عطف على النبوة. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وآتيناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، والواو: عاطفة، وأجره: مفعول به ثان، وفي الدنيا: حال، وإنَّه: إنَّ، واسمها، وفي الآخرة: حال، واللام المزحلقة، ومن الصالحين: خبر إنه.

* الفوائـد:

قدمنا لك أمثل الأوجه في إعراب قوله تعالى ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ ووعدناك أن ننقل شيئاً مما قالوه فيها، وكله من الكلام الجيد، والمنطق الحصيف، ونبدأ بما قاله الزمخشري قال: «قرىء على النصب بغير إضافة وبإضافة وعلى الرفع كذلك، فالنصب على التعليل، أي: لتتوادوا بينكم، وتتوصلوا لاجتماعكم على عبادتها، واتفاقكم عليها، كما يتفق الناس على مذهب، فيكون ذلك سبب تحابهم، وتصادقهم، وأن يكون مفعولاً ثانياً، كقوله: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي: اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم؛ على تقدير حذف المضاف، أو: اتخذتموها مودة بينكم؛ بمعنى: مودودة بينكم، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ وفي الرفع وجهان: أن يكون خبراً لأن؛ على أنَّ ما: موصولة، وأن يكون خبر مبتدأ محذوف، والمعنى: أن الأوثان مودة بينكم، أي: مودودة، أو: سبب مودة، وعن عاصم: مودة بينكم بفتح بينكم مع الإضافة، كما قرىء ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ ففتح، وهو فاعل، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه (أوثاناً إنما مودة بينكم في الحياة الدنيا)

أي: إنما تتوادون عليها، أو تودونها في الحياة الدنيا».

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسَّمين: «وقال: إنما اتخذتم: في ما هذه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها موصولة بمعنى الذي، والعائد محذوف، وهو المفعول الأول، وأوثاناً مفعول ثان، والخبر: مودة في قراءة من رفع، كما سيأتي، والتقدير: إن الذي اتخذتموه أوثاناً مودة؛ أي: ذو مودة، أو جعل نفس المودّة مبالغة، ومحذوف على قراءة من نصب مودة، أي: الذي اتخذتموه أوثاناً لأجل المودة، لا ينفعكم، أو: يكون عليكم، لدلالة قوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾.

والثاني: أن تجعل ما: كافة، وأوثاناً: مفعول به، والاتخاد هنا متعدٍ لواحد، أو: لاثنين، والثاني هو: من دون الله، فمن رفع مودة كانت خبر مبتدأ مضمر، أي: هي مودة، أي: ذات مودة، أو: جعلت نفس المودة مبالغة، والجملة حينئذ صفة لأوثاناً، أو مستأنفة، ومن نصب كان مفعولاً له، أو بإضمار أعني.

الثالث: أن تجعل ما: مصدرية، وحينئذ يجوز أن يقدر مضاف من الأول، أي: إن سبب اتخاذكم أوثاناً مودة، فيمن رفع مودة، ويجوز أن لا يقدر، بل يجعل نفس الاتخاذ هو المودة مبالغة، وفي قراءة من نصب يكون الخبر محذوفاً، على ما مر في الوجه الأول، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي برفع مودة غير منونة، وجر بينكم، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر بنصب مودة منونة، ونصب بينكم، وحمزة، وحفص بنصب مودة غير منونة، وجر بينكم، فالرفع قد تقدم، والنصب أيضاً تقدم فيه وجهان، ويجوز وجه ثالث، وهو: أن يجعل مفعولاً ثانياً على المبالغة للاتساع في الظرف، ومن نصبه فعلى أصله، ونقل عن عاصم: أنه رفع مودة غير منونة، ونصب بينكم، وخرجت على إضافة مودة للظرف، وإنما بني لإضافته إلى غير متمكن، كقراءة: «لقد تقطع بينكم» بالفتح؛ إذا جعلنا بينكم فاعلاً».

وفي كتاب أبي البقاء جاء قوله: «قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم ﴾ في ما: ثلاثة أوجه. أحدها: هي بمعنى الذي، والعائد: محذوف، أي: اتخذتموه، و﴿ أَوْثَٰنًا ﴾ مفعول ثان، أو: حال و﴿ مَّوَدَّةَ ﴾ الخبر على قراءة من رفع، والتقدير: ذو مودة. والثاني: هي كافة، وأوثاناً: مفعول، ومودة بالنصب: مفعول له، وبالرفع: على إضمار مبتدأ، وتكون الجملة نعتاً لأوثان، ويجوز أن يكون النصب على الصفة أيضاً، أي: ذوي مودة، والوجه الثالث: أن تكون ما: مصدرية، ومودة بالرفع: الخبر، ولا حذف في هذا الوجه في الخبر، بل في اسم إنَّ، والتقدير: إن سبب اتخاذكم مودة، ويقرأ ﴿ مَّوَدَّةَ ﴾ بالإضافة في الرفع والنصب و﴿ بَيْنِكُمْ ﴾ بالجر وبتنوين ﴿ مَّوَدَّةَ ﴾ في الوجهين جميعاً، ونصب بين، وفيما يتعلق به ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ سبعة أوجه (الأول): أن يتعلق باتخذتم؛ إذا جعلت ما كافة لا على الوجهين الآخرين؛ لئلا يؤدي إلى الفصل بين الموصول وما في الصلة بالخبر. و(الثاني): أن يتعلق بنفس مودة إذا لم تجعل بين صفة لها، لأن المصدر إذا وصف لا يعمل، و(الثالث): أن تعلقه بنفس ﴿ بَيْنِكُمْ ﴾ لأن معناه: اجتماعكم، أو: وصلكم. و(الرابع): أن تجعله صفة ثانية لمودة إذا نونتها وجعلت ﴿ بَيْنِكُمْ ﴾ صفة. و(الخامس): أن تعلقها بـ ﴿ مَّوَدَّةَ ﴾ وتجعل ﴿ بَيْنِكُمْ ﴾ ظرف مكان فيعمل ﴿ مَّوَدَّةَ ﴾ فيهما. و(السادس): أن تجعله حالاً من الضمير في ﴿ مَّوَدَّةَ ﴾ إذا جعلته وصفاً لـ ﴿ مَّوَدَّةَ ﴾ و(السابع): أن تجعله حالاً من ﴿ بَيْنِكُمْ ﴾ لتعرفه بالإضافة، وأجاز قوم منهم أن تتعلق في بـ ﴿ مَّوَدَّةَ ﴾: وإن كان ﴿ بَيْنِكُمْ ﴾ صفة؛ لأن الظروف يتسع فيها، بخلاف المفعول به».

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟

ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ نَادِيكُمُ ﴾: النادي، والندوة، والمنتدى: مجلس القوم نهاراً، أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه، وجمعه: أندية، ولا تقل: نواد، وغلط صاحب «المنجد» فجمعه على نواد، وما يندوهم النادي، أي: ما يسعهم المجلس من كثرتهم. وقال الزمخشري: «ولا يقال للمجلس: ناد إلا ما دام فيه أهله، فإذا قاموا عنه لم يبق نادياً».

○ **الإعراب:**

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ عطف على إبراهيم، أو منصوب بفعل محذوف، تقديره: اذكر، والظرف بدل اشتمال من لوطاً، وجملة قال: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولقومه: متعلقان بقال، وجملة إنكم لتأتون: مقول القول، وأنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وجملة تأتون: خبرها، والواو: فاعل، والفاحشة: مفعول به، وجملة ما سبقكم: مستأنفة، مسوقة لتقرير فحشها، وهجنة فاعلها، ورجح أبو حيان أن تكون حالية، كأنه قال: أتأتون الفاحشة مبتدعين لها، غير مسبوقين بها، وما نافية، وسبقكم فعل ماض ومفعول به، وبها متعلقان بسبقكم. ومن: حرف جر زائد، وأحدٌ: مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل سبقكم، ومن العالمين: صفة لأحد. ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، وإنكم: إن، واسمها، واللام: المزحلقة، وجملة تأتون: خبر إن، والرجال: مفعول به، وتقطعون السبيل: عطف على تأتون الرجال، قيل: إنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين، فلما فعلوا ذلك ترك الناس المرور بهم، فقطعوا السبيل بهذا السبب، وتأتون عطف

أيضاً، وفي ناديكم: متعلقان بتأتون، والمنكر: مفعول به. ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وما: نافية، وكان: فعل ماض ناقص، وجواب: خبر كان المقدم، وإلا: أداة حصر، وأنْ، وما في حيزها: اسم كان المؤخر، وجملة ائتنا: مقول القول، وائتنا: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، وبعذاب الله: متعلقان بائتنا، وإنْ شرطية: وكنت: فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء: اسمها، ومن الصادقين: خبرها، وجواب إنْ محذوف، دل عليه ما قبله؛ أي: فائتنا بعذاب الله. ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ رب: منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، وحرف النداء محذوف، وانصرني: فعل دعاء، والفاعل: مستتر، والنون: للوقاية، والياء: مفعول به، وعلى القوم: متعلقان بانصرني، والمفسدين: صفة للقوم.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ذَرْعًا﴾: الذرع: الطاقة، والقوة. وفي «المصباح»: «ضاق بالأمر ذرعاً: عجز عن احتماله، وذرع الإنسان: طاقته التي يبلغها» وعبارة الزمخشري: «وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة، كما قالوا: رحب الذراع بكذا؛ إذا كان مطيقاً له، والأصل فيه:

أنَّ الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع، فضرب ذلك مثلاً في العجز والقدرة» وفي «الأساس» و«اللسان»: العجيب من مجاز هذه الكلمة إذ يقال: ضاق بالأمر ذرعاً، وذراعاً: إذا لم يطقه، وأبطرْتَ ناقتك ذرعها: كلفتها ما لم تطق، واقصِدْ بذرعك، وارْبَع على ظلعك: ارفق بنفسك، ومالك عليّ ذراع؛ أي: طاقة، وطفت في مذارع الوادي؛ وهي أضواجه، ونواحيه، وقد أذرع في كلامه هو، يذرع فيه، إذراعاً، وهو: الإكثار، وفلان ذريعتي إليك، وقد تذرعت به إليه؛ أي: توسلت، وسألته عن أمره فذرَّع لي منه شيئاً، وذرعت لفلان عند الأمير: شفعت له، وأنا ذريع له عنده ووقع فيهم موت ذريع: سريع فاش، وذلك إذا لم يتدافنوا، واستوى كذراع العامل، وهو: صدر القناة، وهو لك مني على حبل الذراع؛ أي: حاضر قريب وجعلت أمرك على ذراعك، أي: اصنع ما شئت».

هذا والذراع من الرجل: من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى، والساعد مؤنثة فيهما، وقد تذكَّر، والذراع من المقاييس؛ طوله بين الخمسين والسبعين سنتيمتراً.

﴿رِجْزًا﴾: الرجز والرجس: العذاب، من قولهم: ارتجز وارتجس: إذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب.

○ الإعراب:

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ الواو: عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، أي: فاستجاب الله دعاء لوط، وأرسل ملائكة لإهلاكهم، وأمرهم أن يبشروا إبراهيم بالذرية الطيبة، فجاؤوا أولاً إلى إبراهيم. ولما: ظرفية حينية، أو: رابطة، وجاءت رسلنا إبراهيم: فعل، وفاعل، ومفعول به، وبالبشرى: متعلقان بجاءت، وجملة قالوا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة إنا: مقول القول،

وإنَّ، واسمها، ومهلكو: خبرها، وأهل هذه: مضافين، والقرية: بدل من هذه، وهي: سذوم، أو سدوم، وقد تقدم تفصيل ذكرها، فجدد به عهداً. ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ الجملة: لا محل لها؛ لأنها تعليل للإهلاك، وإنَّ، واسمها، وجملة كانوا: خبرها، وظالمين: خبر كانوا. ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ﴾ إن: حرف مشبه بالفعل، وفيها: خبرها المقدم، ولوطاً: اسمها المؤخر، وسيأتي معنى هذا الإخبار في باب البلاغة، وقالوا: فعل، وفاعل، ونحن: مبتدأ، وأعلم: خبر، وبمن: متعلقان بأعلم، وفيها: صلة مَنْ. ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ اللام: موطئة للقسم، وننجينه: فعل مضارع مبني على الفتح، وفاعله: مستتر، تقديره: نحن، وأهله: عطف على الهاء، أو: مفعول معه، وإلا: أداة استثناء، وامرأته: مستثنى، وقد تقدم هذا، وجملة كانت: حالية، وكانت: فعل ماض ناقص، واسمها: مستتر، تقديره: هي، ومن الغابرين: خبرها، أي: الباقين في العذاب.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أَنْ: زائدة بعد لما، تفيد المهلة مع الترتيب في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما، وقد تقدم نظيرها في «يوسف» وجملة سيء بهم: لا محل لها، وسيء: فعل ماض مبني للمجهول، وبهم: متعلقان بسيء، ونائب الفاعل هو ضمير المصدر؛ أي: جاءته المساءة والغم بسببهم على حد قوله:

يُغْضِي حياءً ويُغْضَى مِنْ مهابتـه
فمـا يُكلَّـمُ إلا حِيْـنَ يَبْتَسِـمُ

وسيأتي تفصيل لهذا في باب الفوائد. وضاق بهم: عطف على سيء، وذرعاً: تمييز محول عن الفاعل، أي: ضاق ذرعه بهم، ويحتمل أن نائب الفاعل ضمير يعود على لوط ﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الواو: استئنافية، وقالوا: فعل وفاعل، وإنا: إن، واسمها، ومنجوك: خبرها، والكاف: في موضع جر بالإضافة،

وعلى هذا تنصب وأهلك بفعل محذوف، أي: وننجي أهلك، وما بعده تقدم إعرابه. ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ إنَّ، واسمها، ومنزلون: خبرها، وعلى أهل هذه القرية: متعلقان بمنزلون، ورجزاً: مفعول به لمنزلون؛ لأنه اسم فاعل، ومن السماء: صفة لرجز، وبما: الباء: سببية، وما: مصدرية، أي: بسبب فسقهم، وكان، واسمها، وجملة يفسقون: خبرها. ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الواو: عاطفة، واللام: موطئة للقسم، وقد: حرف تحقيق، وتركنا: فعل، وفاعل، ومنها: متعلقان بتركنا، أو هو المفعول الثاني لها، وآية: مفعولها الأول، وبينة: صفة؛ لأن «ترك» اختلف فيها النحاة فمنهم من جعلها تتعدى إلى واحدٍ، ومنهم من جعلها بمعنى صير فإلى مفعولين، وهو اختيار ابن مالك وأنشد:

وربيتــه حتَّــى إذا مــا تــركتــه
أخا القَوْمِ واستغْنى عَنِ المسْحِ شاربُه

ولقوم: متعلقان ببينة، وجملة يعقلون: صفة لقوم.

□ البلاغـة:

فن الإشارة:

في قوله: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ فن الإشارة، وقد تقدم ذكره كثيراً في هذا الكتاب، فليس المراد إخبارهم بكون لوط في القرية، وإنما هو جدال في شأنه؛ لأنهم ذكروا أن أهلها سيهلكون بسبب إمعانهم في الظلم، فاعترض عليهم بأن فيها من هو بريء الساحة من الذنب، لم يجترح ذنباً، ولم يقترف إثماً، ولم يشارك قومه فيما هم ممعنون فيه من غي، وارتكاس، وفي هذا كله أيضاً إشارة إلى أنَّ من واجب الإنسان المؤمن أن يتحزن لأخيه، وأن يسارع إلى ردِّ الحيف عنه، ويتشمر للدفع عنه، وهذا من بليغ الإشارة وخفيها.

* الفوائـد :

نائب الفاعل :

ينوب عن الفاعل بعد حذفه واحد من أربعة :

١ ـ المفعول به نحو : ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾

٢ ـ المجرور بحرف الجر نحو: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ شريطة أن لا يكون حرف الجر للتعليل، فلا يقال: وُقف لك، ولا من أجلك، ويقال في إعرابه : إنه مجرور لفظاً بحرف الجر مرفوع محلاً على أنه نائب فاعل، غير أنه إذا كان مؤنثاً لا يؤنث فعله، بل يبقى مذكراً، فلا يقال: ذهبت بفاطمة، بل ذُهب بفاطمة .

٣ ـ الظرف المتصرف المختص، نحو: مُشي يوم كامل، وصيم رمضان، والمراد بالظرف المتصرف: ما يصح الإسناد إليه، كيوم، وليلة، ودهر، وشهر، وغير المتصرف: ما لا يصح الإسناد إليه، كحيث، وعند، والمراد بالمختص: أن يكون مفيداً غير مبهم، ويكون مختصاً بالوصف، نحو: جُلِسَ مجلس مفيد، أو بالإضافة؛ نحو سُهِرَتْ ليلة القدر، أو بالعلمية؛ نحو: صيم رمضان، فلا تنوب عن الفاعل الظروف المبهمة، نحو: زمان، ووقتٍ، ومكان غير مضافة .

٤ ـ المصدر المتصرف المختص، نحو: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ فنفخة: نائب الفاعل، وهو مصدر متصرف يصح الإسناد إليه، ومختص: لكونه موصوفاً، ويمتنع: سِيْـرَ سَيْـرٌ؛ لعدم الفائدة، وقد ينوب عن الفاعل في المصدر المتصرف المختص، ومنه قول الفرزدق :

يُغْضي حياءً ويُغْضَى مِنْ مهابته
فما يُكَلَّم إلا حين يَبْتَسِمُ

فيكون المعنى : يغضي الإغضاء المعهود وهو إغضاء الإجلال من مهابته، فنائب الفاعل: ضمير الإغضاء المفهوم من يغضي، ولا يجوز أن يكون من

مهابته، في موضع الرفع على أنه نائب الفاعل؛ لأن حرف الجر هنا للتعليل، فهو في محل نصب على أنه مفعول من أجله. ومن أمثلته أيضاً قول طرفة بن العبد البكري:

فيا لَكَ مِنْ ذِيْ حاجةٍ حِيْلَ دُوَنها
وما كلُّ ما يَهْوى امرؤٌ هو نائِلُه

فيكون المعنى: حيل الحول المعهود، ولا يصح أن يكون الظرف؛ لأنه غير متصرف.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾: ولا تفسدوا، وفي «المصباح»: «عثا، يعثو، وعثي، يعثى، من باب: قال، وتعب: أفسد، فهو عاث» وفي «القاموس»: «وعثا، كرمى، وسعى، ورضي، عُثِيّاً، وعِثِيّاً، وعَثَيَاناً، وعثا، يعثو، عثوّاً: أفسد».

﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزلزلة الشديدة، وفي «الأساس»: «ورجفت الأرض

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ و﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ ﴾ ورجف الشجر، وأرجفته الريح، ورجف البعير تحت الرحل، والمطي تحت رحالها رواجف، ورجّف، وجاءنا شيخ ترجُف عظامه. ومن المجاز: خرجوا يسترجفون الأرض نجدة، وارتجفت بهم دفتا الشرق والغرب، وأرجفوا في المدينة بكذا: إذا أخبروا به على أن يوقعوا في الناس الاضطراب من غير أن يصيح عندهم، وهذا من أراجيف الغواة، والإرجاف: مقدمة الكون، وتقول: إذا وقعت المخاويف، كثرت الأراجيف».

﴿ حَاصِبًا﴾: ريحاً عاصفة فيها حصباء وفي «المختار»: «عصفت الريح: اشتدت، وبابه: ضرب».

○ الإعراب:

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ﴾ الواو: عاطفة، وإلى مدين: متعلقان بمحذوف معطوف على أرسلنا في قصة نوح، أي: وأرسلنا إلى مدين شعيباً، وأخاهم: مفعول به، وشعيباً: بدل، أو: عطف بيان، والفاء: عاطفة، وقال: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، ويا: حرف نداء، وقوم: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وقد مرَّ حكم المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، واعبدوا الله: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، وارجوا: عطف على اعبدوا، واليوم: مفعول به، والآخر: صفة لليوم. ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ الواو: عاطفة، ولا: ناهية، وتعثوا: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو: فاعل، وفي الأرض: متعلقان بتعثوا، ومفسدين: حال. ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴾ الفاء: عاطفة، وكذبوه: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، فأخذتهم: الفاء: عاطفة، وأخذتهم: فعل ماض، ومفعول به مقدم، والرجفة: فاعل مؤخر، فأصبحوا: عطف على فأخذتهم، والواو: اسم أصبح، وفي دارهم: متعلقان بجاثمين، وجاثمين: خبر أصبحوا. ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ ﴾ الواو:

عاطفة، وعاداً: مفعول به لفعل محذوف معطوف على ما قبله، أي: وأهلكنا عاداً، وثموداً: عطف على عاداً، بالصرف وتركه، والواو: عاطفة، وقد: حرف تحقيق، وتبين: فعل ماض، وفاعل مستتر، تقديره: إهلاكهم، وقدره بعضهم: آيات بينات تتعظون بها، وتتفكرون فيها، ومن مساكنهم: متعلقان بتبين؛ أي: من جهة مساكنهم إذا عرجتم بها. ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ الواو: عاطفة، وزين: فعل ماض ولهم: متعلقان بزين، والشيطان: فاعل، وأعمالهم: مفعول به، فصدهم: عطف على زين، وعن السبيل: متعلقان بصدهم، والواو: حالية، وكانوا: فعل ماض ناقص، والواو: اسمها، ومستبصرين: خبرها، أي: والحال: أنهم كانوا متمكنين من النظر والاستبصار، ولكنهم أصموا آذانهم، وأغشوا عيونهم عن الحق ورؤية معالمه.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾ وقارون: معطوف على عاد وفرعون، وهامان: عطف عليه، وقدم قارون لقرابته من موسى، أي: أهلكناهم جميعاً، والواو: عاطفة، واللام: موطئة للقسم، وقد: حرف تحقيق، وجاءهم: فعل، ومفعول به مقدم، وموسى: فاعل، وبالبينات: متعلقان بجاءهم، فاستكبروا: عطف على جاءهم، وفي الأرض: متعلقان باستكبروا، والواو: حالية، وما: نافية، وكانوا: كان واسمها، وسابقين: خبرها، أي: أنهم لجوا في طغيانهم، ولكنهم لم يكونوا فائتين، فأدركهم عذابنا. ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ الفاء: الفصيحة، أي: إن شئت أن تعرف مصيرهم فقد أخذنا كلاًّ منهم بذنبه. وكلاًّ: مفعول مقدم لأخذنا، وأخذنا: فعل، وفاعل، فمنهم: الفاء: عاطفة، ومنهم: خبر مقدم، ومَنْ: مبتدأ مؤخر، وهي نكرة موصوفة، وأرسلنا: صفة، وعليه: متعلقان بأرسلنا، وحاصباً: مفعول أرسلنا. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ الواو عاطفة، ومنهم خبر

مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وجملة أخذته الصيحة صفة، ومنهم من خسفنا به الأرض: عطف على سابقتها، وكذلك ومنهم من أغرقنا. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وكان الله: كان، واسمها، واللام: لام الجحود، ويظلمهم: منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، والواو: حالية، ولكن: مخففة مهملة، وكانوا: كان، واسمها، وأنفسهم: مفعول مقدم، وجملة يظلمون: خبر كانوا.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾: دويبّة معروفة، تنسج من لعابها خيوطاً، وتصيد بذلك النسيج طعامها، والجمع: عناكب، وعنكبوتات، والعنكب ذكرها والجمع: عناكب، وعناكيب، والعنكبة، والعنْكباة، والعكنْباة: أنثاها. والجمع: عناكب، وعناكيب، وقال علماء التصريف: «والعنكبوت معروف، ونونه أصلية، والواو والتاء: مزيدتان؛ بدليل قولهم في الجمع: عناكب، وفي التصغير: عينكيب، ويذكر، ويؤنث، وهذا مطرد في أسماء الأجناس» وقال ابن يعيش في «شرح المفصل»: «ومن ذلك فعللوت، قالوا: عنكبوت، وتخربوت، ولم يأت صفة، فالعنكبوت: معروفة، وهي دويبة

تنسج لها بيوتاً من خيوط واهية، والتخربوت: الناقة الفارهة، والواو والتاء في آخرهما زائدتان زيدا في آخر الرباعي؛ كما زيدا في آخر الثلاثي من نحو: ملكوت، ورهبوت» وسيأتي البحث عن التشبيه المتعلق ببيت العنكبوت في باب البلاغة.

○ الإعراب:

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ ﴾ حال من اتخذ الأصنام أولياء، وعبدها، واعتمدها راجياً نفعها وشفاعتها، حال العنكبوت، كما سيأتي في باب البلاغة. ومثل: مبتدأ، والذين مضاف إليه، وجملة اتخذوا: صلة، وهو فعل، وفاعل، ومن دون الله: حال، وأولياء: مفعول به، وكمثل: خبر وقد تقدم نظيرُه، العنكبوت: مضاف إليه، وجملة اتخذت بيتاً: حالية. ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ لو: شرطية، وكان، واسمها، وجملة يعلمون: خبرها وجواب لو: محذوف، تقديره: لما عبدوها. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الجملة تعليل لما قبله، وإنَّ، واسمها، وجملة يعلم: خبرها، وما: اسم موصول مفعول يعلم، وجملة يدعون: صلة، والعائد: محذوف، أي: يعلم الذين يدعونهم، ويعلم أحوالهم، والمراد بالتعليل: التوكيد لما ضربه من مثل، ومن دونه: حال، ومن شيء: متعلقان بيدعون، ويجوز أن تكون ما: نافية، ومن شيء: مفعول يدعون، على أنَّ مِنْ زائدة؛ لسبقها بالنفي، وجملة ما يدعون في محل نصب مفعول يعلم، وهو: مبتدأ، والعزيز: خبر أول، والحكيم: خبر ثان. وقال بعضهم: «ما: استفهامية، أو: نافية، أو: موصولة، ومن: للتبعيض، أو: مزيدة للتوكيد، وقيل: إنَّ هذه الجملة على إضمار القول، أي: قل للكافرين: إن الله يعلم أيَّ شيء يدعون من دونه». ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ الواو: عاطفة، وتلك: مبتدأ، والأمثال: بدل، وجملة نضربها للناس: خبر، ويجوز أن يكون الأمثال خبراً،

وجملة نضربها حال يكون، أو: خبراً ثانياً، والواو: حالية، وما: نافية، ويعقلها: فعل مضارع، ومفعول به، وإلا: أداة حصر، والعالمون: فاعل يعقلها، وسيأتي بحث الأمثال في باب البلاغة.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ كلام مستأنف للشروع في تسلية المؤمنين بعد أن خامرهم اليأس من إيمان الكفار. وخلق الله السموات: فعل، وفاعل، ومفعول به، وبالحق: حال، والباء للملابسة، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك خبر إنَّ المقدم، واللام: المزحلقة، وآية: اسم إنَّ المؤخر، وللمؤمنين: صفة لآية.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ فن التمثيل، وقد تقدمت نماذج مختارة منه، وبعضهم يجعله ضرباً من ضروب الإستعارة، ويمثل له بقول امرىء القيس:

وما ذَرَفَتْ عيناكِ إلا لتضربي
بسهميكِ في أعْشَارِ قلبٍ مُقَتَّلِ

فمثّل عينيها بسهمي الميسر يعني المعلَّى، وله سبعة أنصباء، والرقيب، وله ثلاثة أنصباء، فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثّل بهما عينيها، ومثّل قلبه بأعشار الجزور، فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل. وفي الآية مثّل ما اتخذوه متكلاً ومعتمداً في دينهم، وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن، وضعف القوة، وهو نسج العنكبوت، أي: كما صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد صح أن دينهم أضعف الأديان وأوهنها.

ومن جيد التمثيل قول عمر بن أبي ربيعة ـ وكانوا يسمون شعره «الفستق المقشر» ـ:

أيُّها المنْكِحُ الثُّرَيَّا سهيلاً
عمْرَكَ اللهُ كيفَ يَلْتَقيانِ

هِـيَ شـاميـةٌ إِذا مـا استهلَّـت
وسهيـلٌ إِذا استقـلَّ يَمَـاني

يعني: الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وكانت نهاية في الحسن والكمال، وسهيل بن عبد الرحمن بن عوف وكان غاية في القبح والدمامة، فمثّل بينهما وبين سمييّهما، ولم يرد إلا بُعد ما بينهما، وتفاوته خاصة لأن سهيلاً اليمانيَّ قبيح ودميم.

وعليه ورد قول المتنبي أيضاً من قصيدة يذكر فيها خروج شبيب الخارجي، ومخالفته كافوراً:

بِـرغْـمِ شبيـبٍ فـارقَ السَّيْـفُ كَفَّـهُ
وكـانـا على العـلاَّتِ يَصْطَحِبَـانِ
كـأنَّ رقـابَ النَّـاسِ قـالـتْ لِسَيْفِـهِ
رفيقُـك قَيْسِـيٌّ وأنـت يَمَـانِي

فإن شبيباً الخارجي الذي خرج على كافور الأخشيدي، وقصد دمشق، وحاصرها، وقتل على حصارها، كان من قيس، ولم تزل بين قيس واليمن عداوات وحروب، وأخبار ذلك مشهورة، والسيف الذي يقال له يماني في نسبته إلى اليمن، ومراد المتنبي: أنَّ شبيباً لما قتل وفارق كفه السيف؛ فكأن الناس قالوا لسيفه: أنت يماني وصاحبك قيسي؛ ولهذا جانبه السيف وفارقه.

التمثيل في رأي عبد القاهر:

وسبب آخر يذكره عبد القاهر مبيناً به روعة التمثيل، ويراه محيطاً بأطراف الباب، وذلك أنَّ لِتَصَوُّرِ الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله باباً آخر من الظرف واللطف، ومذهباً من مذاهب الإحساس، لا يخفى موضعه من العقل، وإذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين، كلما كان أشد كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، والتمثيل أخصُّ شيء بهذا الشأن.

قال عبد القاهر: «وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين، حتى يختصر بُعد ما بين المشرق والمغرب، وهو يريك المعاني الممثلة شبهاً في الأشخاص الماثلة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويرك التئام عين الأضداد، ويجعل الشيء قريباً بعيداً معاً» ونكتفي الآن بهذا القدر؛ على أن نعود إلى هذا البحث في موطن آخر من هذا الكتاب.

* * *

فهرس الآيات

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت